د. يحيى شامي

أروع ما قيل في الشعر العربي

الجزء الأول

دار الفكر العربي
بيروت

دار الفكر العربي

للطباعة والنشر

كورنيش سليم سلام ـ مقابل مخفر المصيطبه

بناية الشروق ـ الطابق الاول

ص.ب ١٤/٥٠٧٠ ـ بيروت ـ لبنان

ت: ٠١/٣١١١١٤ ـ ٠١/٣١١١١٥ فاكس: ٣١٣٧٣٦

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الاولى ١٩٩٩

أروع ما قيل في الشعر العربي

المقدمة

ثمة أشياء ومواقف قد تبدو جميلة أو مؤثرة بطبيعتها، وفي ذاتها، إلاّ أن للخيال دوراً بارزاً في إكسابها معظم الجمال والتأثير. والمقصود بالخيال، هنا، خيال الملهمين من الشعراء الذين عرفوا كيف يخلعون على هذه الأشياء وتلك المواقف سرّ جمالها، وكيف يستلبونها لأنفسهم، ويحيلونها إلى ذواتهم، ليضفوا عليها قيمتها، ويبرزوا جانب الجمال فيها، ولولا ذلك لبدت الطبيعة بنوعيها المادي والمعنوي، وإن شئت فقل بجانبيها المحسوس وغير المحسوس، خلواً من كلّ جمال، مفتقرة إلى كل تعبير أو تأثير.

ولا يخفى أنّ جمال المنظر، وروعة المشهد، وجلال الموقف العاطفي، وأنت تبصره، حقيقة، أو تعانيه فعلاً، هو دونه بكثير وأنت تنظر إليه بعين الخيال والجمال.

من خلال الصورة الشعرية التي تبدعها مخيّلة الشاعر إبداعاً، وتخلقها خلقاً جديداً.

ذلك أنّ الشاعر، لا يقف، في الغالب، عند حدود الظاهرة، كما تبدو للعيان، وحسب، بل قل إنّه لا يقتصر على رسم الواقع المباشر لظواهر الأشياء، ولكنه يعبّر عمّا هو جوهري فيها. . إنّه يجمّل المشهد أو الطبيعة بنوعيها المحسوس وغير المحسوس، ويتغلغل إلى الأعماق، فيفيض عليها من رهافة الحسّ، ودقة الشعور، ما يجعل المشهد أو الطبيعة، أشد فتنةً، وأكثر إثارةً، وأروع تأثيراً. ومن أجدر من الشاعر في التعبير عن الإحساس تعبيراً فنياً متمثلاً بفلذ أدبية، ولُمع شعرية؟!.

❖ الوصف:

من المعلوم، أنّ شعرنا العربي القديم، خاصةً، ينحصر أو يكاد في الشعر الغنائي، حيث عواطف الشاعر، ومشاعره الفردية، وحيث الأنا، وبروز الذات، وتفاعلها مع المشهد أو الموقف، هي المهيمنة. معانٍ وأغراض شتى، تكاد تكون هي هي لدى معظم الشعراء، ولعهود طويلة، وإن كان ثمة حقيقة يجب أن لا تغرب عن البال، وهي تداخل بعض الأغراض الشعرية ببعضها الآخر، ولعلّ فنّ الوصف، بالذات، بنوعيه المادي والمعنوي، أو المحسوس وغير المحسوس، هذا فضلاً عن إستقلاله أحياناً، لعلّ هذا الفن الشعري يأتي في مقدمة هاتيك الأغراض الشعرية المتواصلة المتشابكة

معاً. خذ الغزل، أو المدح، أو الطلل، على سبيل المثال، فإنّك واجد مظاهر الوصف ماثلة لك فيها، تمام المثول، محاسن حبيبة، وصفات ممدوح، وتقلّب مال.. وقل الأمر عينه فيما يخصّ سائر أغراض الشعر الغنائي العربي التي منها الفخر والحماسة، والهجاء، والرثاء، والحكمة والزهد، والوطنية... أغراض ومعانٍ قد يكون قالبها الشعر المشرقي المألوف قصائد ومقطعات، أو قد يكون قالبها، بعض شعر أهل المغرب والأندلس، وهو الذي يعرف بالموشحات.. والمهم أن شعرنا العربي شعر طغت عليه، ولعصور طويلة، نزعة الغنائية فحفل بالعديد من المعاني والأغراض والفنون التي يأتي في طليعتها، لجهة الكم، على الأقل. الوصف كما بيّنا آنفاً، ثم المدح، فالرثاء، فالهجاء، فالفخر، فالغزل، فالحكمة، فالزهد، وما عداها من موضوعات وأغراض.

❖ المدح:

يأتي المدح في طليعة الأغراض الشعرية الغنائية، بعد الوصف، وهو أغزرها مادة، يعبّر فيه الشاعر عن إعجابه بصفات الممدوح، فيعدّد مناقبه، ويذكر محاسنه، ويعظم من شأنه، مبالغاً في الثناء عليه، وهو المدح الفردي، وقد يكون جماعياً، وهو الإشادة بذوي الممدوح، عائلته، قبيلته، وقومه الأدنين والأقصين.

وفي مطلق الأحوال، فإن المدح إما أنّ يكون مدحاً مادياً بحتاً، يركز فيه الشاعر على محاسن الممدوح المادية المحسوسة، وإما أن يكون معنوياً، يركز فيه على مناقب الممدوح وفضائله وشمائله وأخلاقه..

وإن من المدح ما هو صادق، وإنّ منه الكاذب، كما أن فيه ما هو واقعي، وما هو خيالي، وما فيه مبتكر أو تقليدي. وقد حفلت عصور الأدب العربي بأسماء المشاهير من شعراء المدح، وإن في طليعتهم زهيراً، والنابغة، والأعشى، في الجاهلية، وحسّاناً وكعباً، في العصر الراشدي، والأخطل والفرزدق، وجريراً، في الأموي، وأبا تمام والبحتري، والمتنبي في العصر العباسي.

❖ الهجاء:

ولئن كان شعر المدح هو الشعر الذي يعبّر فيه الشاعر عن إعجابه وتغنّيه بصفات الممدوح وفضائله ومناقبه، فإن شعر الهجاء هو النقيض تماماً له.

إنّه الشعر الذي يسلب فيه الشاعر مثل هاتيك الصفات والفضائل والمناقب، يسلبها من المهجوّ، مزرياً عليه مساوئه ورذائله، وعيوبه ومقابحه وهناته الخلقية والخُلقية، وهو

نوعان: فردي وجماعي. وقد يكون الهجاء هجاء فنياً ساخراً، فيه الدعابة والمعاتبة والفكاهة، وقد يغلب عليه الفحش والإقذاع.

وإنَّ من أبرز ممثلي شعر الهجاء، في الأدب العربي، كلاً من الحطيئة، في الجاهلية وعصر صدر الإسلام، والفرزدق وجرير والأخطل والراعي النميري، في الأموي، وبشار ودعبل، وابن الرومي في العباسي.

❖ الرثاء:

أما الرثاء وهو شعر البكاء على الميت، والتفجّع على فقده، فهو من ألصق الفنون الشعرية بالنفس الإنسانية، ومن أصدقها تعبيراً عن تجربة الحزن والأسى والألم واللوعة لفقد عزيز، أو قريب، وهذا هو الرثاء الصادق، حيث الترنّح من هول المصاب، وبثّ اللوعة. وتلهّب الضلوع. وقد يتجاوز الشاعر، في رثائه، حدّ اللوعة والبكاء، ليصل إلى التأمل في حقيقة الموت والحياة، وهذا هو العزاء بعينه. ولقد حفل الشعر العربي، على امتداد عصوره، بألوان الرثاء الذي ظهرت بواكيره منذ فجر الجاهلية، إذ غلب عليه الندب والنواح، وفيه من تعداد فضائل المرثي، والثناء عليه، والإشادة بمناقبه وصفاته، الشيء الكثير. وإن من أشهر ممثليّ شعر الرثاء في الشعر العربي، كلاً من المهلهل، والخنساء في العصر الجاهلي، أو جرير، ودعبل، في الأموي، وابن الرومي والشريف الرضي، في العباسي.

❖ الفخر:

وأما الفخر، وهو الذي يضارع المدح لجهة كونه قائماً على الإشادة بفضائل الذات أو النفس، أو الجماعة، بنوعية الذاتي والجماعي..

الفخر، هذا غرض من أغراض الشعر الغنائي الشديدة الإلتصاق، بشخصية الشاعر، لأنّه مظهر من مظاهر إعجاب الشاعر بنفسه، أو بقومه، والنفس، في الأصل، مفطورة على حب الظهور، والنزوع إلى التفوّق والإقتدار. وبواعث الفخر ومعانيه متنوعة، وقد يغلب عليها التقليد، وإنَّ منها الشجاعة، والبطولة، وشرف المحتد، والسماحة، والنجدة، والسؤدد، والحلم، وحصافة الرأي، والعلم، واللسن والبلاغة والفصاحة.. وثمة نوع من الفخر يتّسم بالغلوّ والإسراف، وإن من أبرز ممثلي هذا الغرض الشعري كلاً من عنترة، في الجاهلية، وأبي فراس، وأبي الطيب المتنبي، والشريف الرضي، في العباسي.

❖ الغزل:

وأما الغزل، وهو شعر العاطفة والإحساس والوجدان، فإنه يدور على محورين اثنين هما التفنن في إظهار محاسن الحبيب أو الحبيبة، وإطراء جمالها، من جهة، والتعبير عن الأثر الذي يتركه هذا الجمال في نفس الشاعر المحبّ، أي أثر الحبّ وما يتصل بهذا من حديث الشوق، ولذة اللقاء، وحرقة الصدّ، ولوعة الهجر، وشدّة الوجد.. والغالب على الغزل، هو ذلك المتمثّل بإبراز مفاتن الحبيبة، وإطراء محاسنها الجسدية، وحديث الصبابة والمغامرة، وهو الذي يعرف بالغزل المادي أو الحضري، وأبرز ممثليه عمر بن أبي ربيعة، في العصر الأموي. وثمة نوع من الغزل، ويطلق عليه اسم الغزل العفيف، أو العذري، نسبة إلى عذرة، فهو أروع وأرقى أنواع الغزل. حيث الصدق في العاطفة، والإقتصار على حبيبة واحدة، شعر يفيض رقّة وعذوبة، وألماً، وشفافية ينزع فيه الشاعر منزعاً روحياً مثالياً وجدانياً، وأبرز ممثلي هذا النوع من الغزل، كلّ من جميل بثينة، ومجنون ليلى وقيس بن الملوّح، وكثير عزّة، وتوبة بن الحميّر، وعروة بن حزام.

❖ الزهد:

ومن الأغراض الشعرية التي راجت في الشعر العربي الغنائي، وكان للإسلام أثر بيّن في ظهوره ورواجه، شعر الزهد، وهو بخلاف التصوّف الذي هو الانقطاع التام عن الدنيا، والإنصراف إلى العبادة، والإستغراق في ذات الله سبحانه.. إنّه ببساطة، أي شعر الزهد، الشعر الذي يعبّر فيه الشاعر عن قناعته والإكتفاء بحاجته، والرضى بالقليل، وصرف النظر عن زينة الحياة الدنيا، وبهرجها وفتنتها، ونهي النفس عن الهوى، وتخلية القلب، وصفاء النفس ورقّتها وشفافيتها.. ولقد كان للإسلام، كما بيّنا، أثر واضح في رواج مثل هذا الشعر، وذلك لأنّ الدين عموماً، والإسلام خصوصاً، يحثّ على الورع والزهد والبساطة والقناعة، وعلى الإنصراف عن الدنيا، والرغبة في الآخرة التي هي وحدها دار القرار. وإضافة إلى أثر الإسلام، ثمة عاملان إثنان كان لهما تأثير بيّن في شعر الزهد، أولهما العامل السياسي، وخصوصاً في العصر العباسي، هذا العامل المتمثل بإنصراف عدد من الشعراء إلى قول شعر الزهد تقيّة، بعيداً عن خوض غمار المسائل السياسية والدينية والمذهبية والفكرية والكلامية، والثاني اجتماعي أخلاقي متمثل بظهور طائفة من الشعراء الذي ساءهم شيوع اللهو والمجون والغناء. وتعدّد الجواري والإماء والغلمان، فما كان بإستطاعتهم الوقوف في وجه هذه الظاهرة، فعكفوا على ذواتهم، وراحوا يعبّرون عن نقمتهم وسخطهم وذلك بالإخلاص لنفوسهم نجيّاً،

وبالتعبير عن ذواتهم بأروع آيات شعر الزهد. ظهرت بواكير الشعر الزهدي في الجاهلية على يد كلّ من لبيد، وبشر بن أبي خازم، وعدي بن زيد ثم تطوّرت معانيه في العهود الإسلامية فكان أبرز ممثليه قاطبة، أبو العتاهية، وأبو نواس.

❖ الحكمة:

وإذا ما ذكر الزهد، ذكرت معه الحكمة التي جاءت في تضاعيف الشعر العربي الغنائي، مستقلّة حيناً، وغير مستقلّة حيناً آخر.

وفي هذا الشعر الحكمي يعبّر الشاعر عن تجربته الشخصية والاجتماعية أو التاريخية أو الدينية.. شعر يتضمن أسمى القيم التي ترضي العقل والخلق والدين..

شعر تمتزج فيه الحكمة بوجدان الشاعر، وتصدر عنه، ليعبّر خلالها عن وجهة نظره إلى الموت والحياة والوجود. ولقد تكون خاطرة مجرّد خاطرة، وتمثل رأي الشاعر، وقد تتجاوزها لتكون حكمة بكل ما في الكلمة من معنى.. إنّها إذّاك تهمّ الإنسان في كل زمان ومكان.

عرف شعر الحكمة في الجاهلية، فكان خير ممثل له كل من زهير بن أبي سلمى وطرفة بن العبد، ولما جاء الإسلام نفح شعر الحكمة بنفحاته فكان ثمة شعر حكمي مستقلّ، حيناً، مندرج في غيره من الأغراض الشعرية حيناً آخر، وإن من أبرز ممثليه أبا تمام والمتنبي والمعري.

تلك هي أهم الأغراض الشعرية الغنائية التي حفل بها تاريخ الشعر العربي، وقد ارتأينا، عزيزي القارىء، أن نختار منها الأجمل والأحسن، بل الأروع، اخترناها من مظانّها في دواوين الشعراء، وكتب الأدب والأخبار والرواية، لتكون شاهدة على خلود هذا الشعر العربي الغنائي، دالّة على روعته وسيرورته وشهرته، وذيوع أسماء أصحابه في الخالدين، وهل الشعر إلاّ ديوان العرب، وسجلّ مفاخرهم ومآثرهم ووقائعهم؟

عزيزي القارىء

لقد ظهرت بواكير هذا الشعر الذي بين يديك، من قبل أن تجمع في هذا الكتاب الذي حمل عنواناً له (أروع ما قيل في الشعر العربي) ظهرت بواكيره تباعاً في كتيّبات كتيبات، عام ١٩٩٢م، ثم عام ١٩٩٣م، وهي التالي:

- أروع ما قيل في الوصف.
- أروع ما قيل في المدح.

- أروع ما قيل في الهجاء.
- أروع ما قيل في الرثاء.
- أروع ما قيل في الفخر.
- أروع ما قيل في الغزل.
- أروع ما قيل في الزهد.
- أروع ما قيل في الحكمة.
- أروع ما قيل في الموشحات.
- أروع ما قيل في الوطنيات.

وفي سنة ١٩٩٧م، انضمت إلى هذا العقد أربعة كتيّبات أخرى هي التالية:

- أروع ما قيل في الكرم والجود.
- أروع ما قيل في البخل.
- أروع ما قيل في الشجاعة.
- أروع ما قيل في الفروسية.

إخترنا فيها أروع الشعر الذي تناول فيه أصحابه كلاً من معاني الشجاعة، والفروسية والجود والبخل، وقد يكون الشاعر نفسه هو الشجاع والفارس، والجواد والبخيل، وقد يكون سواه. اخترنا هذه المعاني والموضوعات من بين سائر المعاني والموضوعات نظراً إلى ما عرف عن العرب جودهم وكرمهم وشجاعتهم وفروسيتهم، وذمّهم البخل والنفور منه، كيف لا وأسماء العديد من الأجواد والشجعان والفرسان لمّا تزل تردّد على ألسنة الناس حتى عصرنا هذا.

عزيزي القارىء

أتمنّى مخلصاً أن أكون وفّقت في إختيار هذا الشعر المتعدد الأغراض، وإني لمغتبط أشدّ الغبطة إنْ وجدت في هذا الكتاب ما يسرّك، ويرضي ذوقك، من حسن الاختيار والتعليق، وإلاّ فالمعذرة سلفاً، وليغفر الله لي زلّتي، إن كنت قصّرت في دراك هذا الأمر، وفي بلوغ الغاية المرجوّة، وعلى الله قصد السبيل.

د. يحيى شامي

أروع ما قيل في الحكمة

الباب الأول

شعر الحكمة في الجاهلية وفي العصرين الإسلامي والأموي

❖ **عبيد بن الأبرص (ت ٦٠٥ م)**

(والنجم تجري أنحساً وسعوداً)

من جيد الحكمة في شعر عبيد بن الأبرص الأسدي، أحد فحول الشعر في العصر الجاهلي، قوله:

وَلَـتـأتـيـنْ بـعـدي قـرونٌ جـمَّـةٌ ... تـرعـى مـخـارمَ أيـكـةٍ ولَـدودا
فـالـشـمـسُ طـالـعـةٌ ولـيـلٌ كـاسـفٌ ... والـنـجـمُ تـجـري أنـحـساً وسـعـودا
حـتـى يـقـالَ لـمـن تـعـرّقَ دهـرَه ... يـا ذا الـزمـانـةِ هـل رأيـتَ عـبـيـدا
مـائـتـيْ زمـانٍ كـامـلٍ ونـصـيّـةً ... عـشـريـنَ عـشـتُ مـعـمَّـرا مـحـمـودا
أدركـتُ أولَ مـلـكِ نـصـرٍ نـاشـئـاً ... وبـنـاءَ سِـنـداد وكـانَ أُبـيـدا
وطـلـبـتُ ذا الـقـرنـيـنِ حـتـى فـاتـنـي ... ركـضـاً وكـدْتُ بـأنْ أرى داؤودا
مـا تـبـتـغـي مِـن بـعـدِ هـذا عـيـشـةً ... إلا الـخـلـودَ ولـن تـنـالَ خـلـودا
وَلَـيَـفْـنَـيْـنَ هـذا وذاك كـلاهـمـا ... إلا الإلٰـهَ ووجَـهـه الـمـعـبـودا[1]

(فنيت وأفناني الزمان)

وله:

وهـل رامَ عـن عـهـدي وُديـكٌ مـكـانـه ... إلى حيثُ يُفضي سيلُ ذاتِ المساجِد
فـنـيـتُ وافـنـانـي الـزمـانُ وأصـبـحـت ... لِـداتـي بـنـو نـعـشٍ وزُهْـرُ الـفـراقـد

(يا حار ما طلعت شمس)

وله:

يـا حـارِ مـا راحَ مِـن قـوم ولا ابـتـكـروا ... إلا ولـلـمـوتِ فـي آثـارِهـم حـادي
يـا حـارِ مـا طـلـعـتْ شـمـسٌ ولا غـربـتْ ... إلا تُـقـرّبُ آجـال لـمـيـعـاد
هـل نـحـن إلا كـأرواحٍ تـمـرُّ بـهـا ... تـحـتَ الـتـرابِ وأجـسـادٍ كـأجـسـاد

(وغائب الموت لا يؤوب)

ومن الشعر الحكمي المرسل السهل، ما قاله عبيد بن الأبرص في معلقته، ويبدو على شعره أثر من آثار الفكر الديني:

تَـضـبـو وَأَنّـى لـكَ الـتَّـصـابـي ... أَنّـى وقـد راعَـكَ الـمـشـيـبُ

---

(١) ديوان عبيد بن الأبرص ص ب. دار صادر دار بيروت. بيروت ١٩٦٤ م.
وجمة: كثيرة. والأيكة، واحدة الأيك، الشجر الملتف الأغصان.

فكلُّ ذي نعمةٍ مخلوسٌ ... وكلُّ ذي أملٍ مكذوب
وكلُّ ذي نعمةٍ موروثٌ ... وكلُّ ذي سَلَبٍ مسلوب
وكلُّ ذي غيبةٍ يؤوبُ ... وغائبُ الموتِ لا يَووب
مَن يسألِ النّاسِ يَحرِموه ... وسائلُ اللّهِ لا يخيب
بِاللّهِ يدرَكُ كلُّ خيرٍ ... والقولُ في بعضِه تغليب
واللّهُ ليسَ له شريكٌ ... علاّمُ ما أخفتِ القلوب
أَفلِحْ بما شئتَ قد يبلغُ بالضّعفِ ... وقد يُخدعُ الأريب
لا يعظُ النّاسُ مَن لا يعظُ ... الدّهر ولا ينفعُ التّلبيب
قد يوصلُ النّازحُ النّائي وقد ... يُقطعُ ذو السُّهمة القريب
والمرءُ ما عاشَ في تكذيبٍ ... طولُ الحياةِ له تعذيب[1]

❖ **الشنفرى (٥١٠ م)**

(وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى)

ومن قصيدة الشنفري، واسمه ثابت بن أوس الأزدي، أحد أبرز الشعراء الصعاليك في الجاهلية، من قصيدته تلك والمعروفة بلامية العرب، نقتطف هذه الأبيات ذات النزعة الحكمية، وهي من أروع الشعر وأبلغه:

وفي الأرضِ مَنأى لِلكريمِ عنِ الأذى ... وفيها لِمَنْ خافَ القِلى مُتَعَزَّلُ
لعمرُكَ ما بِالأرضِ ضيقٌ عَلى امْرِئٍ ... سَرى راغباً راهباً وهْو يعقل
وإنْ مُدَّتِ الأيدي إلى الزّادِ لم أكُن ... بأعجلِهم إذْ أجشعُ القومِ أعجل
وأُعدمُ أحياناً وأغْنى وإنّما ... ينالُ الغِنى ذو البُغْدةِ المتبذّل
فلا جزعٌ مِن خَلّةٍ متكشّفٌ ... ولا مرحٌ تحتَ الغِنى أتخيّل
ولا تزدهي الأجهالُ حِلمي ولا أُرى ... سؤولاً بأعقابِ الأقاويلِ أنمُل
ولولا اجتنابُ الذّأمِ لم يُلْفَ مَشربٌ ... يُعاشُ به إلاّ لَدَيَّ ومأكل
ولكنّ نفساً مُرّةً لا تَقيم بي ... على الضّيمِ إلاّ ريثما أتحوّل[2]

❖ **قيس بن الخطيم (ت ٢ ق. هـ)**

(ويأبى الله إلا ما يشاء)

ومن الدروس الحكمية البليغة في عفة النفس، وغنى العقل، والإباء والسخاء والشمم

---

(١) المعلقات العشر ص ٢١٦ ـ ٢١٨.
والسهمة: النصيب. والمخلوس: المسلوب. والأريب: الذكي العاقل. والتصابي: الجهل. ويؤوب: يرجع.
(٢) الروائع ص ٥٧ ـ ٦٥. عدد ٢. المطبعة الكاثوليكية. بيروت ١٩٥١ م.
والذأم: الذم. وأعدم: أفتقر. والمبتذل: الباذل نفسه. وذو البعدة: ذو الهمة البعيدة. والخلة: الفقر. وأتخيل: أختال. وتزدهي: تستخف. وأنمل: أنم وأغتاب.

ما قاله قيس بن الخطيم، الشاعر الجاهلي الذي أدرك الإسلام ولم يسلم، وقيل إن القول للربيع بن أبي الحقيق اليهودي، وفي الحالين معاً، فإن الذي يهمنا، ويسترعي اهتمامنا هو هذا الشعر الحكمي الجيد، وهو التالي:

وما بعضُ الإقامةِ في ديارٍ ... يُهانُ بها الفتى إلاّ بَلاءُ
وبعضُ خلائقِ الأقوامِ داءٌ ... كَداءِ البطنِ ليسَ له دواء
وبعضُ القولِ ليس له عِناجٌ ... كمحضِ الماءِ ليسَ له إناء
يريدُ المرءُ أنْ يُعطى مُناهُ ... ويأبى اللّهُ إلاّ ما يشاء
وكلُّ شديدةٍ نزلتْ بقومٍ ... سيأتي بعدَ شِدَّتِها رخاء
ولا يُعطى الحريصُ غِنىً لِحرصٍ ... وقد ينحي على الجودِ الثّراء
غنيُّ النّفسِ ما عمرتْ غَنيٌّ ... وفقرُ النفسِ ماعمرتْ شقاء
وليسَ بِنافعٍ ذا البخلِ مالٌ ... ولا مُزرٍ بِصاحبِه السّخاء
وبعضُ الدّاءِ مُلْتَمَسٌ شِفاهُ ... وداءُ النُّوكِ ليسَ له شِفاءُ[1]

(فما المال والأخلاق إلا معارة)

ومن جيد حكم قيس، قوله:

فما المالُ والأخلاقُ إلاّ معارةٌ ... فما اسْطَعْتَ مِن معروفِها فَتَزَوَّد
وإني لأَغْنى الناسِ عن متكلّفٍ ... يرى الناسَ ضُلاّلاً وليسَ بِمُهْتدِ[2]

❖ **عبدة بن الطبيب**

(والمرء ساع)

ومن الأبيات الحكمية المفردة الرائعة وبخاصة لجهة حسن التقسيم والتفصيل، ما قاله عبدة بن الطبيب، الشاعر الجاهلي الذي أدرك الإسلام:

والمرءُ ساعٍ لِأمرٍ ليسَ يُدركُه ... والعيشُ شُحٌّ وإشفاقٌ وتأميلُ[3]

❖ **زهير بن أبي سلمى (ت ٦٣١ هـ)**

(وإن الحق مقطعه ثلاث)

وقريب من القول الأول، لجهة حسن التقسيم والتفصيل، قول زهير بن أبي سلمى، الشاعر الجاهلي الحكيم، وهو:

وإنَّ الحقَّ مَقْطَعُه ثلاثٌ ... يمينٌ أو نفارٌ أو جلاءُ[4]

---

(١) ديوان الحماسة ٢/ ٤٤ ـ ٤٥، شرح التبريزي: دار القلم. بيروت. والنوك: الحمق.
(٢) البيان والتبيين ٢/ ٢٢١، شرح فوزي عطوي، دار صعب، بيروت ١٩٦٨ م.
(٣) نفسه ١/ ١٣٣.
(٤) البيان والتبيين ١/ ١٣٣.

(ومن لا يكرم نفسه لا يكرم)

ومن جيد حكم زهير، وأخلدها وأشهرها، وأشدها متانة وشدة أسر، قوله من معلقته، ويغلب عليها الطابع الحسّي الجاهلي، ولا تخلو من نزعة إنسانية تأملية وإسلامية[١]:

فلا تَكْتُمَنَّ اللّهَ ما في نفوسِكم ... لِيَخْفى ومهما يُكْتَمِ اللّهُ يَعْلَمِ
يُؤخَّرْ فيوضعْ في كتابٍ فَيُدَّخَرْ ... لِيومِ الحسابِ أو يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ
وما الحربُ إلاّ ما علمْتُمْ وذُقْتُمْ ... وما هو عنها بِالحديثِ المرجَّمِ[٢]
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً ... وَتَضْرَ إذا ضرَّيْتُموها فَتضرَمِ[٣]
وأعلمُ عِلْمَ اليومِ والأمسِ قبلَهُ ... ولكنّني عنْ علمِ ما في غدٍ عمي
رأيتُ المنايا خبْطَ عَشواءَ مَنْ تُصِبْ ... تمته ومَنْ تُخطِئْ يُعَمَّر فيهرمِ[٤]
ومنْ لم يُصانعْ في أمورٍ كثيرةٍ ... يُضَرَّسْ بأنيابٍ ويُوطأْ بمنسمِ[٥]
ومنْ يجعلِ المعروفَ مِن دونِ عِرْضِهِ ... يَفِرْهُ ومن لا يتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ[٦]
ومنْ يكُ ذا فضلٍ فيبخلْ بِفضلِهِ ... على قومِهِ يُسْتَغْنَ عنه ويُذْمَمِ
ومن يوفِ لا يُذْمَمْ ومن يُهْدَ قلبُهُ ... إلى مطمئنِّ البِرِّ لا يَتَجمجمِ[٧]
ومن هاب أسبابَ المنايا يَنَلْنَهُ ... وإنْ يَرْقَ أسبابَ السّماءِ بِسُلَّمِ
ومن يجعلِ المعروفَ في غيرِ أهلِه ... يكنْ حَمْدُهُ ذمّاً عليهِ ويندمِ
ومن لم يَذُدْ عن حوضِه بِسلاحِهِ ... يُهدَّمْ ومنْ لا يظلمِ الناسَ يُظلمِ
ومن يغتربْ يحسبْ عدوّاً صديقَه ... ومن لا يُكَرِّم نفسَه لا يُكَرَّمِ
ومهما تكنْ عندَ امْرىءٍ مِن خليقةٍ ... وإنْ خالَها تخفى على الناسِ تُعْلَمِ
وكائِنْ ترى مِن صامتٍ لكَ معجبٍ ... زيادتُه أو نقصُه في التكلّمِ[٨]
لِسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُه ... فلم يبقَ إلاّ صورةُ اللّحمِ والدمِ
وإنَّ سفاهَ الشّيخِ لا حِلْمَ بَعدَهُ ... وإنَّ الْفَتى بعدَ السَّفاهةِ يحلمِ[٩]

---

(١) المعلقات العشر ص ٨٠ ـ ٨٧ .
(٢) المرجم: الذي هو مظنون.
(٣) تضر: تشتعل.
(٤) العشواء: الناقة التي لا تبصر ليلاً.
(٥) منسم البعير: خفّه.
(٦) يفره: يحفظه.
(٧) يتجمجم: يتأخر.
(٨) كائن: كم.
(٩) الحلم: العقل، وهو خلاف السفاه والجهل.

❖ عدي بن زيد

(والخير قد يسبق جهد الحريص)

ومن جيد حكم عدي بن زيد التميمي، الشاعر الجاهلي زمن المناذرة وقد عاش بين ظهرانيهم، قوله:

قد يدركُ المبطيءُ مِن حظِّهِ ... والخيرُ قد يسبقُ جهدَ الحريصْ
يا نفسُ أبقي واتّقي شتمَ ذي ... الأعراضِ إنَّ الحلمَ ما إنْ ينوصْ[1]

(لا يؤاتي العناق من في الوثاق)

ومن حكمه التي أطلقها وهو في السجن، قوله محذراً من ريب الدهر والمنون:

ليسَ شيءٌ على المنونِ بباقِ ... غيرُ وجهِ المسبَّحِ الخلاَّقِ
إنْ نكنْ آمنينَ فاجأنا شرٌ ... مصيبٌ ذا الوُدّ والإشفاقِ
فَاذْهبي يا أُمَيْمُ غيرَ بعيدٍ ... لا يُؤاتي العناقُ مَن في الوثاقِ[2]

(وكذاك الدهر حالاً بعد حال)

ومن جيد حكمه قوله:

رُبَّ شَرْبٍ قد أناخوا حَوْلَنا ... يمزجونَ الخمرَ بالماءِ الزُّلالْ
ثمّ أضحَوْا عصفَ الدّهرُ بِهِمْ ... وكذاكَ الدّهرُ حالاً بعدَ حالْ[3]

(كفى واعظاً)

ومن حكم عدي، السائرة في جوامع الكلم، قوله:

كَفى واعظاً لِلمرءِ أيّامُ دهرِه ... تروحُ عليه النّائباتُ وَتَغْتَدي[4]

❖ طرفة (ت حوالي ٥٥٢ م)

(وأعماله عما قليل تحاسبه)

من الحكم المرموقة والخواطر الخالدة التي ضمنها شعره طرفة بن العبد، الشاعر الجاهلي، وصاحب المعلقة المشهورة، قوله في الحياة والموت:

فكيفَ يُرَجّي المرءُ دهراً مخلّداً ... وأعمالُه عمّا قليلٍ تُحاسبُهْ
ألَم ترَ لُقمانَ بْنَ عادٍ تتابعتْ ... عليهِ النُّسورُ ثم غابتْ كواكبه[5]

---

(١) رسالة الغفران، لأبي العلاء المعري، ص ٨٧، دار صعب. بيروت ١٩٦٨ م.
(٢) تاريخ آداب العربية، لرشيد يوسف عطا الله ١/ ١٠٢، ط ١. دار عز الدين بيروت ١٩٨٥ م.
(٣) العقد الفريد، لابن عبد ربه ٢/ ٢٠٩. دار ومكتبة الهلال. بيروت.
(٤) الإعجاز والإيجاز، للثعالبي ص ١٤٢. دار صعب، بيروت.
(٥) ديوان طرفة بن العبد ص ١١. شرح مهدي ناصر الدين. دار الكتب العلمية. بيروت ١٩٨٧ م. ولقمان: أحد حكماء العرب عمّر حياة سبعة نسور، ثم مات بعدها.

(قد يبعث الأمر العظيم صغيره)

ومن جيد حكمه قوله:

قد يبعثُ الأمرَ العظيمَ صغيرُهُ ... حتى تظلَّ له الدِّماءُ تَصَبَّبُ
قد يورد الظّلمُ المبيّنُ آجناً ... مِلْحاً يخالَطُ بالذّعافِ ويُقْشَب
وقرافُ مَنْ لا يستفيقُ دعارةً ... يُعدي كما يُعدي الصّحيحَ الأجرب
والإثمُ داءٌ ليسَ يُرجى بُرْؤُه ... والبِرُّ بُرْءٌ ليسَ فيه معطب
والصّدقُ يألفُه الكريمُ المرتجى ... والكِذْبُ يألفُه الدَّنيءُ الأخيب
ولقد بدا لي أنّه سيغولُني ... ما غالَ عاداً والقرونَ فأشعبوا[1]

(وظلم ذوي القربى أشد مضاضة)

ومن جيد شعر طرفة الحكمي، قوله من أبيات تضمنتها معلقته:

أرى قَبْرَ نَحّامٍ بخيلٍ بمالِهِ ... كقبرِ غويٍّ في البطالةِ مفسدِ
تَرى حثوتَينِ مِن ترابٍ عليهما ... صفائحُ صمٌّ مِن صفيحٍ منضّدِ
أرى الموتَ يعتامُ الكرامَ ويصطفي ... عقيلةَ مالِ الفاحشِ المتشدّد
أرى العيشَ كنزاً ناقصاً كلَّ ليلةٍ ... وما تنقصِ الأيّامُ والدّهرُ ينفد
لَعَمْرُكَ إنَّ الموتَ ما أخطأَ الفتى ... لَكَالطّولِ المُرْخى وثِنْياهُ باليد
وظلمُ ذوي القربى أشدُّ مضاضةً ... على المرءِ من وقعِ الحسامِ المهنّد
ستُبدي لكَ الأيّامُ ما كنتَ جاهلاً ... ويأتيكَ بالأخبارِ مَن لَمْ تُزَوِّد
ويأتيكَ بالأخبارِ مَن لم تبعْ له ... بتاتاً ولم تضربْ لهُ وقتَ موعد[2]

(عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه)

ومن روائع حكم طرفة قوله:

إذا أنتَ لَمْ تنفعْ بِوُدِّكَ قُرْبَةً ... ولم تنكِ بالبُؤسِ عدوَّكَ فابْعَدِ
أرى الموتَ لا يُرعي على ذي قرابةٍ ... وإن كانَ في الدُّنيا عزيزاً بِمقعد
إذا شاءَ يوماً قاده بِزمامِهِ ... وَمَنْ يَكُ في حبلِ المنيّةِ يَنْقَد
ولا خيرَ في خيرٍ تَرى الشَّرَّ دونَهُ ... ولا قائلٍ يأتيكَ بعدَ التَّلَدُّد
لَعَمْرُكَ ما الأيّامُ إلاّ مُعارةٌ ... فَمَا اسْطَعْتَ مِن معروفِها فتَزَوَّد

---

(١) المصدر نفسه ص ١٢. وتصبب: تسيل. والآجن: المتغير اللون والطعم. والذعاف: السم. ويقشب: يخلط ويدمج. والدعارة: الفسق. والأجرب: المصاب بداء الجرب. والمعطب: الضّرر والسوء. ويغولني: يهلكني، وعاد قبيلة عربية هلكت بالريح الصرصر.

(٢) الديوان ص ٢٦ ـ ٢٩. والنحام: البخيل. ويعتام: يختار. والطول: الحبل. ومضاضة: حرقة. والبتات: ثوب المسافر.

عنِ المرءِ لا تسألْ وَسَلْ عن قرينِهِ فكلُّ قرينٍ بالمقارَنِ يَقْتَدي[١]

(والشر أخبث ما أوعيت من زاد)

ومن الأبيات الحكمية المفردة الرائعة التي قالها طرفة، قوله:

الخيرُ خيرٌ وإنْ طالَ الزّمانُ بهِ والشّرُّ أخبثُ ما أوعيْتَ مِن زادِ[٢]

(يوماً يبين من الغنى فقره)

وقوله:

كلُّ امْرِيءٍ في ما أَلَمَّ بهِ يوماً يبينُ مِنَ الْغِنى فقرُهْ[٣]

(خالط الناس بخلق واسع)

وقوله:

خالطِ النّاسَ بِخُلْقٍ واسعٍ لا تكنْ كلباً على النّاسِ تهرّ[٤]

(فارسل حكيماً ولا توصه)

ومن جيد حكم طرفة، قوله:

وإنْ كنتَ في حاجةٍ مُرْسِلاً فَأَرْسِلْ حكيماً ولا توصِهِ
وإنْ ناصحُ منكَ يوماً دنا فلا تَنْأَ عنهُ ولا تُقْصِه
وإنْ بابُ أمرٍ عليكَ الْتَوى فشاورْ لبيباً ولا تَقْصه
وذو الحقِّ لا تنتقصْ حَقَّه فإنَّ القطيعةَ في نقصه
ولا تذكرِ الدّهرَ في مجلسٍ حديثاً إذا أنتَ لم تُخْصه
ونُصَّ الحديثَ إلى أهلِهِ فإنَّ الوثيقةَ في نَصِّه
ولا تحرمنَّ فرُبَّ امْرِيءٍ حريصٍ مضاعٌ على حرصه
وكم مِن فتىً ساقطٍ عقلُه وقد يُعجَبُ الناسُ مِن شخصه
وآخرَ تحسبُه أنوكاً ويأتيكَ بالأمرِ مِن فَصِّه
لبستُ الليالي فأفنينَني وسربلني الدّهرُ في قُمْصِه[٥]

---

(١) الديوان ص ٣٢. وتنكى: تقهر. والبؤس: الشدة والفقر. والتلود: الإقامة في المكان.
(٢) المصدر نفسه ص ٣٣.
(٣) الديوان ص ٣٦.
(٤) نفسه ص ٤٩. وتهر: تنبح.
(٥) الديوان ص ٥١. والتوى: صعب. ولم تحصه: لم تعمل له حساباً. والأنوك: الجاهل. وفصّه: أصله. وسربلني: ألبسني سربالاً، أي قميصاً.

❖ **النابغة الذبياني (ت ٦٠٤ م)**

(المرء يأمل أن يعيش)

لم يبخل النابغة الذبياني، أحد ألمع شعراء العصر الجاهلي، واسمه زياد بن معاوية ابن ضباب، لم يبخل علينا بلمع من أبيات الشعر في الحكمة والمنطق والصواب والنصح والتحذير والوعظ والإرشاد، وإن منها هذه الأبيات في الحياة والموت:

المرءُ يأمُلُ أنْ يعيشَ وطولُ عَيْشٍ قدْ يَضُرُّهْ
تَفْنى بشاشتُه ويبقى بعدَ حلوِ العيشِ مرُّه
وتخونُه الأيامُ حتى لا يَرى شيئاً يَسُرُّه
كم شامتٍ بي إمّا هَلَكْتُ وقائلٍ: لِلَّهِ دَرُّه[1]

(ولست بذاخر لغد طعاماً)

وإن منها هذين البيتين الحكميين الرائعين:

وَلَسْتُ بِذاخرٍ لِغَدٍ طعاماً حذارَ غدٍ، لِكلِّ غدٍ طَعامُ
تمخّضتِ المنونُ لهُ بِيَوْمٍ أتى ولِكُلِّ حاملةٍ تَمامُ[2]

(حسب الخليلين ناي الأرض بينهما)

وإن منها هذا البيت المعبر عن ريب الزمان والمنون:

حَسْبُ الخليلَيْنِ نأيُ الأرضِ بينَهما هذا عليها وهذا تحتَها بالي[3]

(وكل امرىء يوماً به الحال زائل)

وإن منها هذا البيت الآخر:

فلا تبعدَنْ إنَّ المنيَّةَ موعدٌ وكلُّ امْرِىءٍ يوماً بهِ الحالُ زائلُ[4]

(إذا أنا لم أنفع)

وإن منها قوله:

إذا أنا لمْ أنفعْ خليلي بِوُدِّهِ فإنَّ عدُوّي لا يضرُّهُمُ بُغْضي[5]

(تعدو الذئاب على من لا كلاب له)

وإن منها قوله، وهو مستقى من واقع الجاهلية الذميم:

---

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ١٦٨. دار صعب. بيروت ١٩٨١ م.
(٢) نفسه ص ١٨٣.
(٣) الديوان ص ٢٠٦. والبالي: الفاني.
(٤) نفسه ص ٢١١.
(٥) الديوان ص ٢١٧.

تعدو الذئابُ على مَنْ لا كلابَ لَهُ وتتقي مربضَ المستنفرِ الحامي[١]

(أي الرجال المهذب)

ومنها قوله:

ولستَ بِمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّهُ على شَعَثٍ أيُّ الرّجالِ المهذّبُ[٢]

❖ مالك بن حريم

(وتبدي لك الأيام ما لست تعلم)

ومن الذين علمتهم الحياة، وعجمت عودهم الأيام، فأمدت شعرهم بالحكمة الخالدة مالك بن حريم الهمداني، الشاعر الجاهلي، وجد مسروق بن الأجدع التابعي الإسلامي. يقول مالك:

وأُنبِئْتُ والأيّامُ ذاتُ تجاربٍ وتُبدي لكَ الأيّامُ ما لَسْتَ تَعْلَمُ
بأنَّ ثراءَ المالِ ينفعُ ربَّهُ ويُثني عليه الحمدُ وهو مُذَمَّمُ
وأنَّ قليلَ المالِ لِلمرءِ مُفسدٌ يحزُّ كما حزَّ القطيعُ المحرَّمُ
يرى درجاتِ المجدِ لا يستطيعُها ويقعدُ وسْطَ القومِ لا يتكلَّمُ[٣]

❖ بعضهم

(وصمم إذا أيقنت أنك عاقره)

ومن رائع الحكمة المبنية على التجربة، والواقع، ما أنشده ابن الأعرابي، وهو قوله:

إذا المرءُ أَوْلاكَ الهوانَ فَأَوْلِهِ هواناً وإنْ كانتْ قريباً أواصرُهْ
فإنْ أنتَ لم تقدرْ على أنْ تهينَهُ فَذَرْهُ إلى اليومِ الذي أنتَ قادره
وقاربْ إذا ما لمْ تكنْ لَكَ قدرةٌ وَصَمِّمْ إذا أيقنْتَ أنّكَ عاقره[٤]

❖ بعضهم

(يجدد أحزاناً لنا)

ومن جيد الشعر الحكمي قول بعضهم:

يُجدِّدُ أحزاناً لنا كلُّ هالكٍ ونُسرعُ نسياناً ولم يأتِنا أمْنُ
وإنّا ولا كفرانَ لِلّهِ ربُّنا لَكَالْبُدْنِ لا تَدري متى يومُها الْبُدْنُ[٥]

---

(١) نفسه ص ٢١٨.
(٢) الإعجاز والإيجاز، للثعالبي ص ١٣٩.
(٣) ديوان الحماسة ٢/ ٣١ ـ ٣٢. والقطيع: السوط. والمحرم: الخشن والصلب. ومعنى الأبيات أن الفقر يثني من عزيمة صاحبه فهو يرى الشرف فلا يقدر عليه من الذل والهم.
(٤) البيان والتبيين ٢/ ٣٨٩، والأواصر، جمع آصرة، وهي ما يعطف ويشد من المعروف. وعاقره: ضاربه.
(٥) نفسه ٣/ ٤٧٧.

❖ **شريح بن عمران**

(آخ الكرام)

ومن جيد نصائح شريح بن عمران، أحد يهود المدينة، قوله، وهو من رائع الحكم والأمثال:

آخِ الكرامَ إن اسْتَطَعْتَ إلى إخائِهِمُ سبيلاً
وَاشْرَبْ بكأسِهِم وإنْ شربوا السُّمَّ الثَّميلا
أَأُسَيْدُ إنْ مالٌ ملَكْتَ فَسِرْبهِ سَيْراً جميلا
أَأُسيدُ إنَّ المالَ لا يبكي إذا فقدَ البخيلا
إنَّ الكريمَ إذا تُؤاخيهِ وجدْتَ له فُضولا[1]

❖ **شعبة بن غريض**

(لا تبعدن)

ومن الشعراء اليهود في المدينة، شعبة بن غريض، وهو القائل من جيد القول والحكمة:

لا تَبْعُدَنَّ فكُلُّ حيٍّ هالكٌ ... لا بدَّ مِن تَلَفٍ فَبِنْ بِفلاحِ
إنَّ امْرءاً أمِنَ الحوادثَ جاهلاً ... ورجا الخلودَ كضاربٍ بِقداحِ[2]

❖ **أبو الذيال**

(وكل من تم ظمؤه يرد)

ومن الشعراء اليهود في المدينة، أبو الذيال، وهو القائل من جيد القول والحكمة:

إنّي لَمستيقنٌ لَئِنْ لم أمتْ ... يومِيَ إنّي إذاً رهينُ غَدِ
هل نحنُ إلاّ كَمَنْ تقدَّمَنا ... وكلُّ مَن تَمَّ ظِمْؤُهُ يردِ
نحن كمنْ قد مضى وما أنْ أرى ... شُحّاً يزيدُ الحريصَ مِن عددِ[3]

❖ **عروة بن الورد (ت ٥٩٦ م)**

(ولكن للغنى رب غفور)

ومن جيد حكم عروة بن الورد العبسي، وهو صعلوك من الصعاليك، قوله من الحكمة المستقاة من واقع الحياة الجاهلية، وهو يعبر عن واقع العصور جميعاً:

ذريني لِلْغِنى أَسْعى فإنّي ... رأيْتُ الناسَ شرُّهمُ الفقيرُ

---

(١) طبقات الشعراء ص ١١١. شرح محمود محمد شاكر. مطبعة المدني. القاهرة.
(٢) نفسه ص ١١١. وبن، باين، وابعد والقداح: ما كان يضرب به عند الآلهة لمعرفة الحظ والمستقبل.
(٣) نفسه ص ١٣. والظمأ: العطش. والشح: البخل.

وأبعدهُم وأهونُهم عليهم ... وإنْ أمسى له كرمٌ وخِير
يباعدُه النَّوِيُّ وتَزدريهِ ... حليلتُه وينهرُه الصّغير
تلقى ذا الغناءِ له جلالٌ ... يكادُ فؤادُ صاحبهِ يطير
قليلٌ عيْبُه والعيبُ جَمٌّ ... ولكنْ لِلغِنى ربٌّ غفور[1]

❖ ذو الإصبع العدواني

(كل امرىء راجع يوماً لشيمته)

حكمة بالغة قالها ذو الإصبع العدواني، واسمه حرثان بن الحرب بن محرّث، الشاعر الجاهلي، ولقب بذلك لأن أفعى نهشت إصبعه. والحكمة تدور حول غلبة الطبع على الخلق، وإن تخلّق المرء بخلاف ذلك. فهو إلى حين يقول ذو الإصبع هذا البيت الحكمي الرائع، وهو في غاية الجودة والإتقان:

كُلُّ امْرِىءٍ راجعٌ يوماً لشيمتهِ ... وإنْ تمتَّعَ أخلاقاً إلى حينِ[2]

❖ وهب بن عبد مناف

(ودع الغواة الجاهلين)

ومن الشعر الحكمي الموجّه، الدال على التماس الخير والفضيلة، والذي يحث على مجالسة أهل العلم والفضل والحلم، قول وهب بن عبد مناف بن زهرة، جد الرسول ﷺ لأمّه:

وإذا أَتَيْتَ جماعةً في مجلسٍ ... فَاخْتَرْ مجالِسَهم ولمّا تَعْقُدِ
ودعِ الغُواةَ الجاهلينَ وجهلَهم ... وإلى الذين يُذَكِّرونَكَ فَاعْمِدِ[3]

❖ قسّ بن ساعدة (ت ٦٠٠ م)

(في الذاهبين الأولين)

من شعراء الجاهلية، وحلمائها وحكمائها، قس بن ساعدة الإيادي، أسقف نجران وخطيب العرب، وبه تضرب الأمثال في الفصاحة والحكمة التي منها قوله:

في الذّاهبينَ الأوّلينَ ... مِنَ القُرونِ لَنا بَصَائِرْ
لمّا رأيتُ مواردا ... لِلموتِ ليسَ لها مصادرْ
ورأيتُ قومي نحوَها ... يمضي الأصاغرُ والأكابرْ
أيقنتُ أنّي لا محالةَ حيثُ ... صارَ القومُ صائرْ[4]

---

(١) معادن الجواهر ونزهة الخواطر، للسيد محسن الأمين ص ١١٥. بيروت ١٩٨١ م.
(٢) الكامل في اللغة والأدب للمبرد ١/ ١١. مكتبة المعارف. بيروت.
(٣) الكامل في اللغة والأدب للمبرد ١/ ١٠٢. والغواة: جمع غوي، وهو الضال غير الرشيد.
(٤) البيان والتبيين ١/ ١٦٣ ـ ١٦٤.

❖ بعض بني كلاب

(ومن التكلم ما يكون خبالاً)

ومن الشعر الحكمي المتضمن دعوة إلى عدم الخطل والإطالة في الكلام، ما قاله بعض الكلابيين:

وإذا خطبْتَ على الرّجالِ فلا تكُنْ ... خَطِلَ الكلام تقولُه مختالا
وَاعْلَمْ بأنَّ مِنَ السّكوتِ إبانةً ... ومِنَ التَّكَلُّمِ ما يكونُ خَبالا[1]

❖ أحدهم

(فما المرء إلاّ الأصغران)

ومن جيد شعر الحكمة ما قاله أحدهم، ويبدو تأثره بمن تقدم من الحكماء واضحاً:

أرى النّاسَ في الأخلاقِ أهلَ تَخَلُّقٍ ... وأخبارَهم شَتّى فَعُرْفٌ وَمُنْكَرُ
قريباً تدانِيهم إذا ما رأيْتَهم ... ومختلفاً ما بينَهم حينَ تخبرُ
فلا تحمدنَّ الدّهرَ ظاهرَ صفحةٍ ... مِنَ المرءِ ما لم تَبْلُ ما ليسَ يَظْهر
فما المرءُ إلاّ الأصغرانِ لسانُه ... ومعقولُه والجسمُ خلقٌ مصوَّر
وما الزَّيْنُ في ثوبٍ تراهُ وإنّما ... يزينُ الفتى مخبورُه حينَ يُخبر
فإنْ طُرّةٌ راقَتكَ منهم فربّما ... أمرَّ مذاقُ العودِ والعودُ أخضر[2]

❖ أحدهم

(إبدأ بنفسك)

ومن الأدب الموجّه ذي الطابع الحكمي التعليمي، ما قاله أحدهم:

إبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَها عنْ غيِّها ... فإذا انتهت عنهُ فأنتَ حَكيمُ
فهناكَ تُعذرُ إنْ وعظْتَ ويُقْتَدى ... بِالقولِ مِنكَ ويُقبلُ التعليمُ[3]

❖ المتلمّس (ت حوالي ٥٥٠ م)

(وما علّم الإنسان إلاّ ليعلما)

من الشعراء الجاهليين الذين عرفوا بالحكمة وضرب الأمثال، جرير بن عبد المسيح الضبعي، خال طرفة والملقب بالمتلمس، وذلك لقوله في أحد أبياته:

وهذا أوان العرض إن ذبابه ... زنابيره والأزرق الملتمس

ومن أبيات الملتمس الحكمية، والتي تجري مجرى الأمثال:

---

(١) البيان والتبيين ١/ ٨٥. والخبال: الهلاك.
(٢) البيان والتبين ١/ ١٠٠. والطرّة: الرواء والجمال.
( ) البيان والتبيين ١/ ١١٤.

وَمَنْ كان ذا عِرضٍ كريم ولم يصنْ ... له حَسَباً كان اللّئيمَ المذمَّما
لِذي الحِلْمِ قبلَ اليومِ ما تقرعُ العصا ... وما عُلِّمَ الإنسانُ إلاّ لِيَعْلَما
إذا لم يزلْ حبلُ القَرينَيْنِ يلتوي ... فلا بدَّ يوماً مِن قُوىً أنْ تَجَذَّما[1]

(وذا يشجّ فما يرثي له أحد)

ومن شعر الملتمس المتضمن شيئاً من الحكمة التي تعلم الشمم والأنفة وعزة النفس والعنفوان، قوله، وهو من جيد القول:

ولَنْ يُقيمَ على خَسْفٍ يُسامُ بهِ ... إلاّ الأذلاّنِ عَيْرُ الحيِّ والوَتَدُ
هذا على الخسفِ مربوطٌ برمَّتِهِ ... وذا يُشجُّ فما يرثي له أحدُ[2]

❖ السموأل (ت حوالي ٥٦٠ م)

(فقلت لها إن الكرام قليل)

ومن حكم السموأل، أبي شريح بن عادياء، وكان من يهود يثرب، وهو صاحب الحصن الأبلق المعروف، والذي يضرب به المثل في الوفاء، قوله مؤكداً على حسن الخلق، وإباء الضيم:

إذا الْمرءُ لَمْ يدنسْ مِنَ اللُّؤمِ عِرْضُهُ ... فكُلُّ رداءٍ يَرْتديهِ جميلُ
وإنْ هو لم يحملْ على النّفسِ ضيْمَها ... فليسَ إلى حُسْنِ الثّناءِ سبيلُ
تُعَيِّرُنا أنّا قليلٌ عديدُنا ... فقلتُ لها إنَّ الكرامَ قليلُ[3]

❖ الأعشى (ت ٧ هـ/٦٢٩ م)

(وأيّ امرىء لم يخنه الزمن)

من رائع الحكمة القديمة التي لهج بها الشعراء الجاهليون، ما قاله الأعشى، ميمون ابن قيس، أحد أشهر أصحاب المعلقات، وفي قوله نلمس حصافة الرأي، وبعد النظر، وشدة المراس. يقول الأعشى:

لَعَمْرُكَ على طولُ هذا الزَّمَنْ ... على المرءِ إلا عناءُ مُعَنّ
يظلُّ رجيماً لِرَيْبِ المنونِ ... وللسُّقْمِ في أهلهِ والحَزَنْ
وهالكِ أهلٍ يُجنّونه ... كآخرَ في قفرةٍ لم يُجَنّ
وما إنْ أرى الدهرَ في صرفهِ ... يغادرُ مِن شارخٍ أو يَفَنْ

---

(١) تاريخ الآداب العربية ١/ ٨٩ ـ ٩٠. والمذمّم: المذموم. والحلم: العقل. وما، في البيت الثاني، زائدة، أو مصدرية. وتجذّم: تقطع.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٩٠. والخسف: الذل. ويسام به: يعلّم به. والعير: الحمار. والرمة: القطعة من الحبل. ويشج: يضرب به ويجرح.

(٣) تاريخ الآداب العربية ١/ ٩٢. ويدنس: يوضر ويتسخ. والضيم: الظلم.

فهل يمنعَنيّ ارتيادي البلادَ مِن ... حذرِ الموتِ أن يأتِيَنْ
ليسَ أخو الموتِ مستوثقاً ... عليّ وإنْ قلتُ قد أنسَأَنْ
عليَّ رقيبٌ له حافظٌ ... فقلْ في امْرىءٍ غلِقٍ مرتهَنْ
أزال أُذينةَ عن ملكهِ ... وأخرجَ مِن حصنِه ذا يَزَنْ
وخانَ النعيمُ أبا مالكٍ ... وأيُّ امْرىءٍ لم يخنْهُ الزمن[1]

❖ **الحارث بن حلزة (ت حوالي ٥٧٠ م)**

(وفي التجارب تحكيم ومعتبر)

ومن الحكمة المتقدمة على عصرها في العصر الجاهلي، ما قاله الحارث بن حلزة اليشكري، وهو التالي:

إنَّ السّعيدَ لَهُ في غَيْرِهِ عِظَةٌ ... وفي التّجارِبِ تحكيمٌ ومُعْتَبَرُ[2]

❖ **أمية بن أبي الصلت (ت حوالي ٨ هـ/٦٣٠ م)**

(للموت كاس والمرء ذائقها)

وإن من أحكم أبيات الشعر في وصف الموت، بيتا أمية بن أبي الصلت حيث يقول:

يوشكُ مَنْ خرَّ مِن مَنِيَّتِهِ ... في بعضِ غرّاتِهِ يُوافقُها
مَنْ لم يمتْ غبطةً يمتْ هرماً ... لِلموتِ كأسٌ والمرءُ ذائعتها[3]

❖ **عمرو بن قميئة**

(أمسى فلان لسنّه حكماً)

تحسر عمرو بن قميئة، الشاعر الجاهلي المعرق في القدم، على شبابه المفقود، وساءه أن يقال له: أنت أحكم قومك. إذ ما نفع الحكمة وقد أودى الشباب، وبانت آثار الكبر على وجهه. يقول عمرو، ولا يخلو شعره من حكمة بيّنة الملامح:

لا تغبطِ المرءَ أنْ يُقالَ له ... أمسى فلانٌ لِسنِّه حَكَما
إنْ سَرَّهُ طولُ عمرِه فلقدْ ... أضحى على الوجهِ طولُ ما سلما[4]

---

(١) ديوان الأعشى ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦. دار صادر. دار بيروت. ومعنّ: مُظهر: والعناء: التعب. ورجيماً: مرمياً. وريب المنون: الموت والهلاك. والحزَن، الحزَن والهم. ويجنّونه: يخفونه. والشارخ: من هو في أول شبابه. واليفن، من طعن في السنّ. وأنسأن: النون، زائدة. وأنسأ: أؤخر وأؤجل. والغلق: القليل الصبر، والضيق النفس والصدر. وأذينة، وذو يزن: اسما ملكين من ملوك اليمن.

(٢) البيان والتبيين ٢/ ٢٦٧.

(٣) العقد الفريد ١/ ٣٢٢.

(٤) ديوان الحماسة ٢/ ١١.

❖ **المستوغر**

(ولقد سئمت من الحياة وطولها)

ومن جيد الحكمة وأشدها تأثيراً ما قاله المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد، وبقي في الجاهلية بقاء طويلاً فقال:

ولقد سئمتُ منَ الحياةِ وطولِها ... وَازْدَدْتُ مِن عددِ السّنينَ مِئينا
مائةٌ أنتْ مِن بعدِها وَاثْنانِ لي ... وازددْتُ مِن عدد الشّهورِ سنينا
هل ما بقي إلا كما قد فاتَنا ... يومٌ يكرُّ وليلةٌ تحدونا[1]

❖ **العباس بن مرداس (حوالي ١٨ هـ)**

(فإني في خياركم كثير)

ومن الشعر المليء بالحكمة، والزاخر بالمثل، ما قاله العباس بن مرداس السلمي، الشاعر الجاهلي الإسلامي، وقيل: هو لمعاوية بن مالك الكلابي، وفي الحالين معاً، فإن الذي يهمنا هو ما تضمنه هذا الشعر من المعاني اللطيفة المبنية على الملاحظة والتجربة. يقول الشاعر[2]:

تَرى الرّجلَ النّحيفَ فَتَزْدَريهِ ... وفي أثوابِه أَسَدٌ مَزيرُ[3]
ويُعجبُكَ الطّريرُ فَتَبْتليهِ ... فَيُخْلِفُ ظَنَّكَ الرَّجُلُ الطريرُ[4]
فما عِظَمُ الرّجالِ لهمْ بِفخرٍ ... ولكنْ فخرُهم كَرَمٌ وَخِيرُ[5]
بغاثُ الطّيرِ أكثرُها فِراخاً ... وأمُّ الصَّقْرِ مِقْلاةٌ نَزورُ[6]
ضِفافُ الطّيرِ أَطْوَلُها جُسوماً ... ولم تطُلِ البُزاةُ ولا الصُّقورِ
لقد عظُمَ البعيرُ بِغيرِ لُبٍّ ... فلمْ يَسْتغْنِ بالعظمِ البعيرُ[7]
يُصَرِّفُه الصّبيُّ بكلِّ وجهٍ ... ويَحْبِسُه على الْخَسْفِ الجريرُ[8]
وتضرِبُه الوليدةُ بِالْهراوَى ... فلا غِيَرٌ لَدَيْهِ ولا نكيرُ[9]
فإنْ أكُ في شرارِكُمُ قليلاً ... فإنّي في خيارِكُمُ كثيرُ

---

(١) طبقات الشعراء ص ٢٠
(٢) ديوان الحماسة ٢/ ٢١.
(٣) مزير: عاقل وحازم.
(٤) طرير: ناعم.
(٥) الخير: الشرف.
(٦) بغاث الطير: شراره، وهي لا تصيد. والمقلاة: غير كثيرة الفراخ. ونزور: قليل.
(٧) اللب: العقل.
(٨) الجرير: الخطام والحبل. والخسف: الذل.
(٩) الهراوى: جمع هراوة، وهي العصا. والوليدة: الجارية.

❖ معن بن أوس

(وفي الأرض عن دار القلى متحول)

ومن جيد الكلام، وبليغ القول، ورائع الحكمة المستقاة من واقع الحياة والتجربة، ما قاله معن بن أوس بن زياد المزني، الشاعر الجاهلي الإسلامي، وشعره يتميز بالفخامة والمتانة وشدة الأسر. يقول معن:

وفي النّاسِ إنْ رَثَّتْ حِبالُكَ واصلٌ ... وفي الأرضِ عنْ دارِ القِلى مُتَحَوَّلُ
إذا أنتَ لم تُنْصِفْ أخاكَ وجدْتَهُ ... على طرفِ الهجرانِ إنْ كانَ يعقل
ويركبُ حدَّ السّيفِ مِنْ أنْ تَضيمَهُ ... إذا لم يكنْ عن شفرةِ السّيفِ مَزْحَل
وكنتُ إذا ما صاحبٌ رامَ ظِنَّتي ... وبدَّلَ سوءاً بالذي كنتُ أفعل
قلبْتُ لهُ ظهرَ المِجَنِّ فلمْ أدمْ ... على ذاكَ إلاّ ريثما أتحوَّل
إذا انْصرفَتْ نفسي عن الشّيءِ لم تكدْ ... إليه بوجهٍ آخرَ الدّهرِ تُقْبِل[1]

❖ سالم بن وابصة

(غنى النفس ما يكفيك من سدّ خلّة)

ومن جيد الكلام الحكمي، وفيه من التوجيه والنصح، وسداد الرأي، الشيء الكثير، ما قاله سالم بن وابصة، من بني أسد، وهو شاعر إسلامي تابعي؛ يقول سالم:

أُحِبُّ الفتى يَنْفي الفواحش سَمْعُهُ ... كأنَّ بِهِ عنْ كلِّ فاحشةٍ وَقْرا
سليمُ دواعي الصّدرِ لا باسطاً أذىً ... ولا مانعاً خيراً ولا قائلاً هُجْرا
إذا شئتَ أنْ تُدعى كريماً مكرّماً ... أديباً ظريفاً عاقلاً ماجداً حرّا
إذا ما أتتْ مِن صاحبٍ لكَ زَلَّةٌ ... فكنْ أنتَ محتالاً لِزَلَّتِه عُذْرا
غِنى النّفسِ ما يكفيكَ مِن سدِّ خلّةٍ ... فإنْ زادَ شيئاً عادَ ذاكَ الغنى فقرا[2]

❖ النابغة الجعدي (ت حوالي ٥٠ هـ)

(وما البغي إلا على أهله)

ومن الحكمة البالغة التي تنهى عن البغي، وتحث على التمسك بالخير، وبالفضيلة، والعدالة، ما قاله النابغة الجعدي، الشاعر الجاهلي الإسلامي وهو أبو ليلى حسان بن قيس الجعدي، وكان في جاهليته ممن أنكر عبادة قومه، ونبذ الأوثان والأصنام. يقول النابغة:

---

(١) ديوان الحماسة ٢/ ٩. ورثت: ضعفت. والقلى: البغض. ومزحل: مبعد. والظنة: التهمة. والمجن: الترس. وتضيمه: تظلمه وتذلّه.

(٢) المصدر نفسه. والفواحش، جمع فاحشة، وهي الإثم. والوقر: الصمم. والخلة: الحاجة. والهجر: الهذيان، وسيء القول.

وما الْبَغْيُ ألاّ على أهْلِهِ ... وما النّاسُ إلاّ كهٰذي الشَّجَرْ
تَرى الغصْن في عنفوانِ الشّبابِ ... يهتزُّ في بهجاتٍ نَضِرْ
زماناً مِنَ الدَّهْرِ ثمّ الْتوى ... فعادَ إلى صُغْرةٍ فانْكَسَرْ

(ولا خير في جهل)

ومن جيد شعر النابغة الجعدي، وبليغه، ورائعه بيتاه الحكميان المشهوران اللذان لما سمعهما رسول الله ﷺ قال: «لا فضّ الله فاك». وبالفعل فإن النابغة بقي عمره لم تنفض له سنّ. أما البيتان فهما التاليان:

ولا خَيْرَ في حِلْمٍ إذا لمْ يكُنْ لهُ ... بوادرُ تَحْمي صَفْوَهُ أنْ يُكَدَّرا
ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكنْ لهُ ... حليمٌ إذا ما أوردَ الأمرَ أَصْدَرا[1]

❖ **بعضهم**

(إن الغصون إذا قومتها اعتدلت)

ومن أشهر الأقوال الحكمية مسرى المثل قول القائل:

قد ينفعُ الأدبُ الأحداثَ في مَهَلٍ ... وليسَ ينفعُ بعدَ الْكِبْرَةِ الأَدَبُ
إنَّ الغصونَ إذا قوَّمْتَها اعْتدلَتْ ... ولنْ تلينَ إذا قوّمْتَها الخُشُبُ[2]

❖ **الربيع بن أبي الحقيق**

(وداء الشيخ ليس له دواء)

ومن جيد حكم الربيع بن أبي الحقيق من بني النّضير، قوله، ويتميز بالسهولة والجزالة:

وَمَنْ يَكُ عاقلاً لم يَلْقَ بُؤساً ... ينخْ يوماً بِساحتِهِ الْقَضاءُ
تَعاورَهُ بناتُ الدَّهْرِ حتّى ... تَئَلَّمه كما ثلمَ الإناءُ
وكلُّ شديدةٍ نزلتْ بِحَيٍّ ... سيأتي بعدَ شِدَّتِها رَخاء
وبعضُ خلائقِ الأقوامِ داءٌ ... وداءُ الشَّيْخِ ليسَ لهُ دواء[3]

❖ **الأضبط بن قريع**

(قد يجمع المال غير آكله)

ومن جيد الحكمة ما قاله الأضبط بن قريع، وهو التالي:

قد يجمعُ المالَ غيرُ آكلِهِ ... ويأكلُ المالَ غيرُ مَنْ جَمَعَهْ

---

(١) الشعر والشعراء ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠. والحلم: العقل. والبوادر، جمع بادرة، وهي الغضبة السريعة. وأورد: أتى به إلى الورد، وأصدر، ذهب عنه وعاد إلى مقامه الأول.

(٢) البيان والتبيين ٢/ ٣٢٩.

(٣) البيان والتبيين ٣/ ٤٧٩. وتعاوره: تناوب عليه. وتثلمه: أصابه بالكسر والسوء. وبنات الدهر: صروفه.

فَاقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ ما أتاكَ بِهِ مَنْ قَرَّ عيناً بِعيشهِ نَفَعَهْ[١]

❖ الحطيئة (ت ٦٣٩ هـ)

(والنفس راغبة إذا رغّبتها)

ومن أشهر الحكم السائرة في الأمثال قول، الحطيئة، واسمه جرول، الشاعر الجاهلي المخضرم:

والنَّفسُ راغبةٌ إذا رَغَّبْتَها وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تقنعُ[٢]

❖ أبو ذؤيب الهذلي (ت ٢٧ هـ/٦٤٨ م)

(لا يذهب العرف بين الله والناس)

ومن حكم أبي ذؤيب الهذلي الخالدة، قوله، وكان الأصمعي يقول: هو أبرع بيت للعرب:

مَن يفعلِ الخيرَ لا يُعدمْ جوائزَهُ لا يذهبُ العرفُ بينَ اللّهِ والناسِ[٣]

(ألفيت كل تميمة لا تنفع)

ومن أقواله البارعة في الحكمة، أيضاً:

فإذا المنيّةُ أنشبَتْ أظفارَها ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ[٤]

❖ حميد بن ثور

(وحسبك داء أن تصح وتسلما)

ومن الحكمة العميقة المعنى، ما قاله حميد بن ثور، الشاعر الجاهلي الإسلامي، وقد أدرك ببصيرته النافذة، أن المرء في إدبار، والموت في إقبال، وأن الشباب يعقبه الهرم، والصحة لا بد أن يعروها السّقام فقال من بليغ القول وأحسنه:

أرى بَصَري قدْ رابَني بعدَ صِحَّةٍ وحسبُكَ داءً أنْ تصِحَّ وَتَسْلما

ولا يلبثُ العصرانِ يومٌ وليلةٌ إذا طَلبا أنْ يدرِكا ما تَيَمَّما[٥]

---

(١) الإعجاز والإيجاز، للثعالبي. ص ١٤٢.

(٢) نفسه ص ١٤٦.

(٣) الإعجاز والإيجاز ص ١٤٦.

(٤) نفسه ص ١٤٧.

(٥) الكامل في اللغة والأدب ١/١٢٨. ورابني: جعلني أشك في الأمر. وتيمما: توخّيا.

❖ **بعض الجاهليين**

(فإذا السلامة داء)

وقريب من المعنى الآنف الذكر، ويتضمن حكمة رائعة، ما قاله بعض الشعراء الجاهليين:

كانتْ قناتي لا تَلينُ لِغامزٍ ... فَألانَها الإصْباحُ والإمْساءُ
ودعوْتُ ربّي في السّلامةِ جاهداً ... لِيُصحَّني فإذا السَّلامةُ داءُ[1]

❖ **عمرو بن معديكرب (ت٢ هـ/٦٤٣ م)**

(إذا لم تستطع شيئاً فدعه)

من كريم المعنى، وبليغ القول ما قاله أبو ثور عمرو بن معديكرب الزبيري، وكان جاهلياً أدرك الإسلام، يقول عمرو ناصحاً وموجهاً، وهو يعد من شعر الحكمة:

إذا لمْ تستطِعْ شيئاً فَدَعْهُ ... وجاوزْهُ إلى ما تَستَطيعُ
وكيفَ تُريدُ أنْ تُدعى حكيماً ... وأنتَ لِكلِّ ما تهوى تَبوعُ[2]

❖ **عقيل بن علّفة**

(وكن أكيس الكيسى)

ومن جيد ما قاله عقيل بن علّفة المريّ، الشاعر الأموي، بيتان من الشعر تضمنا أروع الحكمة المبنية على التجربة والملاحظة والمتأثرة إلى حد بعيد بما قاله الجاهليون. يقول عقيل:

ولِلدّهْرِ أثوابٌ فَكُنْ في ثِيابِهِ ... كَلِبْسَتِهِ يوماً أجدَّ وأَخْلَقا
وكُنْ أَكْيَسَ الكيسى إذا كنتَ فيهمِ ... وإنْ كنتَ في الحمقى فكنْ أنتَ أحمقا[3]

❖ **بعض بني فزارة**

(إني وجدت ملاك الشيمة الأدبا)

ومن الأدب ذي الدلالة على الخلق والكياسة، وهو لا يخلو من توجيه حكمي لطيف، قول بعض بني فزارة:

أكْنيهِ حينَ أُناديهِ لأُكْرِمَهُ ... ولا أُلَقِّبُهُ والسَّوْأَةَ اللَّقَبا

---

(١) المصدر نفسه ١/١٢٨. والقناة: الرمح، وهنا، كناية عن القوة. والغامز: من يغمز القناة ليجسّها أصلبة هي أم هشّة. والغامز، هنا: العائب.

(٢) الأغاني ١٤/٣٣. وتبوع: تابع. ط بولاق.

(٣) ديوان الحماسة ٢/١٧. والكيسى، جمع كيّس، وهو العاقل الحاذق، وخلافه الأحمق، وأجد: جديد. وأخلق: قديم.

كذاكَ أُدِّبْتُ حتى صارَ من خُلُقي ... إنّي وجدْتُ ملاكَ الشّيمةِ الأدبا[1]

❖ بعض بني قريح

(وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى)

ومن الشعر الحكمي الجيد، ما قاله بعض بني قريح، وهو التالي:

وليسَ الْغِنى والفقرُ مِن حيلةِ الْفتى ... ولكنْ أحاظٍ قُسِّمَتْ وجُدودُ
إذا المرءُ أَغْيَتْهُ المروءةُ ناشِئاً ... فَمَطْلَبُها كهلاً عليه شديد
وكائِنْ رأيْنا مِن غنيٍّ مُذَمَّم ... وصُعْلوكٍ قومٍ ماتَ وهْو حميد
وإنَّ امْرءاً يُمسي ويُصبحُ سالماً ... منَ النّاسِ إلاّ ما جَنى لَسَعيد[2]

❖ بعض الخوارج

(للموت كأس فالمرء ذائقها)

ومن جيد الكلام المذكي للمهمة في مواجهة الموت والصعاب، وهو لا يخلو من حكمة وسداد، ما قاله أحد الخوارج الذين قتلهم الحجاج بن يوسف، ويناسب البيتان الأولان حكمة أمية بن أبي الصلت؛ يقول الشاعر:

يوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ ... في بعضِ غِرّاتِهِ يُوافِقُها
مَن لم يمتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَماً ... لِلموتِ كأسٌ فالمرءُ ذائقُها
ما رغبةُ النّفسِ في الحياةِ وإنْ ... عاشتْ قليلاً فالموتُ لاحِقُها
وأيقنَتْ أنَّها تعودُ كما ... كانَ يَراها بالأمسِ خالقُها[3]

❖ محمد بن بشير

(ولا يغرّك صفو أنت شاربه)

ومن الشعر الحكمي الجيد، وفيه الدعوة إلى الصبر والإكتفاء بما قدر من الرزق، وعدم الأمن لمكر الليل والنهار، ما يعجب ويروع: يقول محمد بن بشير بن عقيل الخارجي العدواني، والشاعر الحجازي الأموي:

ماذا يُكَلِّفُكَ الرَّوْحاتِ والدَّلَجا ... أَلْبِرَّ طَوْراً وطوراً تركبُ اللُّجَجا
كم مِن فتىً قصرتْ في الرّزقِ خطوتُه ... ألفَيْتَهُ بِسهامِ الرّزقِ قد فَلَجا
إنَّ الأمورَ إذا انسدَّتْ مسالكُها ... فالصّبرُ يفتقُ منها كلَّ ما ارْتَتَجا

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ١٨. والشيمة: الخلق. والسوأة في البيت الأول، منصوب على المعية، واللقبا، منصوب على المفعولية بالفعل ألقبه.

(٢) ديوان الحماسة ٢/ ١٨ ـ ١٩. وأحاظ، جمع حظ. وأعيته: أعجزته. وكائن: بمعنى كم. والمذمم: المذموم. والصعلوك: الفقير. والجدود: الحظوظ.

(٣) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٤٤. وعبطة: شاباً. والغرات، جمع غرّة، وهي الغفلة والجهل.

لا تيأسَنَّ وإنْ طالتْ مطالبةٌ ... إذا استعنْتَ بصبرٍ أنْ تَرى فَرَجا
أَخْلِقْ بذي الصّبرِ أنْ يحظى بحاجتِهِ ... ومدمنِ القرعِ للأبوابِ أنْ يَلِجا
قدِّرْ لِرجلِكَ قبلَ الخطْوِ موضِعَها ... فمنْ علا زلَقاً عن غرّةٍ زلجا
ولا يَغُرَّنَّكَ صَفْوٌ أنتَ شاربُه ... فربّما كان بالتّكديرِ ممتزِجا[1]

❖ ليلى الأخيلية (ت ٧٠٨ م)

(وكل امرىء يوماً إلى الموت صائر)

ولليلى بنت عبد الله المعروفة بالأخيلية، لمع من الشعر الحكمي نتلمسها من خلال رثائها توبة ابن الحميّر، وهو الذي هام بها وجداً. تقول ليلى:

لَعَمْرُكَ ما بِالموتِ عارٌ على الْفتى ... إذا لم تُصِبْهُ في الْحياةِ المعايرُ
وكلُّ جديدٍ أو شبابٍ إلى بِلىً ... وكلُّ امْرىءٍ يوماً إلى الموتِ صائر
وكلُّ قرينَيْ ألفةٍ لِتفرُّقٍ ... شتاتاً وإن ضنّا وطالَ التّعاشر[2]

❖ محمد بن أبي شحاذ

(وقلّ غناء عنك مال جمعته)

ومن كنوز الشعر العربي الحكمي، ما قاله محمد بن أبي شحاذ الضبي الذي عركه الدهر فأفاد منه الكثير من التجارب التي صاغها حكمة خالدة، ووصايا رائعة. يقول محمد:

إذا أنتَ أُعطيتَ الغِنى ثمّ لم تجدْ ... بِفضلِ الغِنى أُلفيتَ مالكَ حامدُ
إذا أنتَ لم تعرُكْ بِجنبِكَ بعضَ ما ... يُريبُ مِنَ الأدنى رماكَ الأباعد
إذا الحِلْمُ لم يغلبْ لكَ الجهلَ لم تزلْ ... عليكَ بُروقٌ جَمَّةٌ ورواعد
إذا العزمُ لم يفرُجْ لك الشّكَّ لم تزلْ ... جنيباً كما اسْتَتْلى الجنيبةَ قائد
وقلَّ غناءً عنكَ مالٌ جَمَعْتَهُ ... إذا صارَ ميراثاً ووراكَ لاحد
إذا أنتَ لم تتركْ طعاماً تُحِبُّه ... ولا مقعداً تُدعى إليه الولائد
تجلّلْتَ عاراً لا يزالُ يَشُبُّهُ ... سِبابُ الرّجالِ نَثْرُهم والقصائد[3]

---

(١) طبقات الشعراء ص ٢٨١. والروحات، ، جمع روحة، وهي الذهاب مساء. والدلج: السير أول الليل. وفلج: غلب. وفتق: شق. وارتتج: انغلق، وأخلق: أحرِ، والغرة: الغفلة. وزلج: زل.
(٢) تاريخ الآداب العربية ١/ ١٧٦ ـ ١٧٧.
(٣) ديوان الحماسة ٢/ ٥٠ ـ ٥١. ويشبه: يوقده. وتجللت: لبست. والولائد: الخدم والجواري. والجنيب: المجنوب. والجنيبة: ما يقاد في جنب الناقة.

❖ بعضهم

(ويبقى العود ما بقي اللحاء)

ومن فصيح القول وجيده، وفيه من الشمم والعفة والحياء، وتجنب الإثم، ما قاله بعضهم:

وأُعرِضُ عن مطاعمَ قد أراها ... فأتركُها وفي بطني انْطواءُ
فلا وَأبيكَ ما في العيشِ خيرٌ ... ولا الدُّنيا إذا ذهبَ الحياء
يعيشُ المرءُ ما اسْتحيا بِخيرٍ ... ويبقى العودُ ما بقيَ اللِّحاء[1]

❖ الصّلتان العبدي

(وحاجة من عاش لا تنقضي)

ومن الشعر الحكمي الرائع، الجيد السبك، والبعيد الغور، والسهل المأخذ والتناول، ما فاه به قثم بن خبية، أحد بني محارب العبدي، أي عبد القيس، وغلب عليه لقب الصلتان العبدي؛ يقول الصلتان[2]:

أشابَ الصّغيرَ وَأفنى الْكبيرَ ... كَرُّ الغَداةِ وَفَرُّ العَشِي
إذا ليلةٌ هرَّمَتْ يومَها ... أتى بعدَ ذلكَ يومٌ فتي[3]
نروحُ ونغدو لِحاجاتِنا ... وحاجةُ مَن عاشَ لا تنقضي
ويسلبُه الموتُ أثوابَهُ ... ويمنعُه الموتُ ما يشتهي
تموتُ معَ المرءِ حاجاتُهُ ... وتبقى له حاجةٌ ما بقي
إذا قلتَ يوماً لِمَنْ قد تَرى ... أَرُوني السَّرِيَّ أَرَوْكَ الغني[4]
ألم ترَ لُقمانَ أوصى ابْنَهُ ... وأوصيتُ عمراً فنعمَ الوصي[5]
بُنَيَّ بدا خَبْءُ نجوى الرّجالِ ... فكنْ عندَ سِرِّكَ خبْءَ النّجي[6]
وسِرُّكَ ما كانَ عندَ امْرىءٍ ... وسرُّ الثلاثةِ غيرُ الخفي
كما الصَّمْتُ أدنى لِبعضِ الرشادِ ... فبعضُ التَّكَلُّمِ أدنى لِغي[7]

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ٢٥ ـ ٢٦. واللحاء: القشر. والمطاعم التي يتركها الشاعر، ويعفّ عنها، تلك التي فيها دنس، وذلك خوف الإثم والعار.
(٢) ديوان الحماسة ٢/ ٥٦ ـ ٥٧.
(٣) هرمت: أضعفت.
(٤) السري: الشريف.
(٥) عمراً: ولد الشاعر. وهنا يوصيه كما أوصى من قبل لقمان الحكيم ابنه.
(٦) الخبء: ما يخبأ. والنجوى: ما يتناجى به إثنان من الأسرار.
(٧) الغي: الضلال، وهو بخلاف الرشاد.

❖ عباد بن المهلّب

(وبادر بمعروف إذا كنت قادراً)

ومن جيد الحكمة، قول عباد بن حبيب المهلّب:

إذا خَلَّةٌ نابتْ صديقَكَ فَاغْتنمْ ... مرمَّتها فالدّهرُ بالنّاسِ قُلَّبُ
وبادرْ بمعروفٍ إذا كنتَ قادراً ... زوالَ اقْتِدارٍ أو غنىً عنكَ يُعْقِبُ[1]

❖ يزيد الثقفي

(والظلم مرتعه وخيم)

ومن المواعظ الخالدة، والحكم القيّمه، والإرشادات السامية في أدب تهذيب النفس، والدعوة إلى التمسك بالأخلاق والقيم، ما قاله يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي، الشاعر الإسلامي الأموي، يعظ ابنه بدراً[2]:

يا بَدْرُ والأمثالُ يضربُها ... لِذي اللُّبِّ الحكيمُ[3]
دُمْ لِلخليلِ بِوُدِّهِ ... ما خيرُ ودٍّ لا يدوم
واعْرِفْ لِجارِكَ حقَّهُ ... والحقُّ يعرفهُ الكريم
واعْلَمْ بأنَّ الضَّيفَ ... يوماً سوف يَحْمدُ أو يَلُوم
والنّاسُ مُبْتَنِيان ... محمودُ البنايةِ أو ذميم
واعلَمْ بُنَيَّ فإنَّهُ ... بِالعلمِ ينتفعُ العليم
إنَّ الأمورَ دقيقُها ... ممّا يهيجُ له العظيم
والتَّبْلُ مثلُ الدّينِ تُقضاهُ ... وقد يُلوى الغريم[4]
والبغْيُ يصرعُ أهلَهُ ... والظّلمُ مرتعُهُ وخيم
ولقد يكونُ لكَ البعيدُ ... أخاً ويعطيكَ الحميم
والمرءُ يُكرمُ لِلغِنى ... ويُهانُ للعدمِ العديم
قد يُقْتِرُ الحولُ التَّقِيُّ ... ويُكثرُ الحِمِقُ الأثيم[5]
يُملى لِذاكَ ويُبتلى ... هذا فأيُّهُما المَضيم[6]
والمرءُ يبخلُ في الحقوقِ ... ولِلكلالةِ ما يُسيم[7]

---

(١) الكامل في اللغة ١/ ٣٢١. ومرمتها: طلابها. وقلب: يقلب أحوال الناس. والخلة: الحاجة.
(٢) ديوان الحماسة ٢/ ٤٦ ـ ٤٩.
(٣) اللب: العقل.
(٤) التبل: الثأر. والغريم: صاحب الدين.
(٥) يقتر: يبخل، ويقلّ ماله. والحول: الكثير الحيلة. والأثيم: الكثير الإثم.
(٦) يملى: يمد في عمره. والمضيم: من أصابه الضرر.
(٧) الكلالة: من يرث ولا يكون والداً أو ولداً. ويسيم: يخرج السائمة للمرعى.

ما بُخْلُ مَن هو لِلمنونِ ... وريْبِها غرضٌ رجيم
ويرى القرونَ أمامَهُ ... همدوا كما هَمَد الهشيم[١]
وتخرّب الدنيا فلا ... بؤس يدوم ولا نعيم
كلّ امرىء ستئيم منه ... العرس أو منها يئيم[٢]
ما علم ذي ولد أيثكله ... أم الولد اليتيم[٣]
والحرب صاحبها الصّليب ... على تَلاتِلَها العزوم[٤]
من لا يملّ ضِراسها ... ولدى الحقيقة لا يخيم[٥]
واعلم بأنَّ الحرب لا ... يسطيعها المرح السؤوم[٦]
والخيلُ أجوَدُها المناهِبُ ... عند كبّتَها الأزُوم[٧]

❖ **ابن الرقاع**

(ويموت آخر وهو في الأحياء)

ومن أروع الشعر الحكمي ما قاله عدي بن الرقاع، الشاعر الأموي، وهو لا يخلو من عمق في التفكير، وجودة في التعبير:

أُمَمٌ تداخلتِ الْحُتوفُ عليهمُ ... أبوابُهم فكشفْنَ كلَّ غطاءِ
فإذا الذي في حصنِهِ مُتَحَرِّزٌ ... منهمْ كآخرَ مُصْحرٌ بِفضاء
والمرءُ يورثُ مجدَه أبناءَهُ ... ويموتُ آخرُ وَهْو في الأحياءِ
والقومُ أشباهٌ وبينَ حلومِهم ... بَوْنٌ كذاكَ تفاضلُ الأشياءِ[٨]

❖ **نصيب**

(فلا الدهر مبقيه ولا الشح وافره)

ومن جيد شعر الحكمة لنصيب بن رياح، الشاعر الأموي، وكان عبداً أسود، ومولى لعبد العزيز بن مروان، قوله:

وَمَنْ يُبْقِ مالاً عدّةً وصيانةً ... فلا الدّهرُ مُبْقيهِ ولا الشُّحُّ وافرُهْ
ومَنْ يكُ ذا عودٍ صليبٍ يعدُّهُ ... لِيكسرَ عودَ الدَّهرِ فالدّهرُ كاسرُه[٩]

---

(١) الهشيم: ما يبس من النبت.
(٢) العرس: الزوج. وتئيم: تصير أيّماً، أي بلا زوج.
(٣) يثكله: يفقده.
(٤) الصليب: الشديد. والتلاتل: الشدائد. والعزوم: صاحب العزم.
(٥) ضراسها: عضّها. ويخيم: يجبن.
(٦) المرح: النشيط.
(٧) المناهب: الكثير العدو. والأزوم: الذي يعضّ.
(٨) البيان والتبيين ٢/ ٣٤٥. والحتوف: المنايا. ومصحر: مقيم في الصحراء. والحلوم: العقول.
(٩) نفسه ٣/ ٤٢٤.

❖ بعضهم

(فما فات من شيء فليس بضائر)

ومن الحكمة المنطبعة بروح إسلامية بحتة قول بعضهم:

إذا أبقتِ الدُّنيا على المرءِ دينَهُ ... فما فاتَ مِن شيءٍ فليسَ بضائرِ
فلنْ يعدَل الدّنيا جناحُ بعوضةٍ ... ولا وزنُ زفٍّ مِن جناحِ لِطائرِ
فما رضيَ الدنيا ثواباً لِمؤمنٍ ... وما رضيَ الدّنيا عقاباً لِكافرِ[1]

❖ المقنّع الكندي

(وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا)

من أروع الحكمة التي تعلم فعل الخير، والإيثار والرشاد وعدم المعاملة بالمثل، ما قاله محمد بن ظفر بن عمير، الملقب بالمقنع الكندي، لأنه كان يضع قناعاً على وجهه منعاً لإصابته بالعين من شدة جماله، وهو شاعر أموي مقلّ. يقول المقنع:

وإنّ الذي بَيْني وبينَ بني أبي ... وبينَ بني أُمّي لَمُخْتَلِفٌ جِدّا
فإنْ أكلوا لَحمي وَفَرْتُ لُحومَهم ... وإنْ هدموا مجدي بنيتُ لهمُ مجدا
وإنْ ضَيَّعوا غَيْبي حفِظْتُ غُيوبَهم ... وإنْ هم هَوُوا غَيِّي هويتُ لهم رُشْدا
وإنْ زجروا طيراً بِنَحْسٍ تَمُرُّ بي ... زجرْتُ لهمْ طيراً تمرُّ بهمْ سَعْدا
ولا أحملُ الحقدَ القديمَ عليهمُ ... وليسَ رئيسُ القوم مَنْ يحملُ الحقدا
لهم جُلُّ مالي إنْ تتابعَ لي غِنىً ... وإنْ قلَّ مالي لم أكلِّفْهُمُ رِفْدا
وإنّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ ما دامَ نازلاً ... وما شِيمةٌ لي غيرُها تُشبهُ الْعَبْدا[2]

❖ بعض بني فزارة

(ولا خير في حسن الجسوم)

ومن الشعر الحكمي الجزل، والشديد الأسر، ما قاله بعض بني فزارة، وهو يعلم البذل والكرم، ويحث على استباق الحلم والخير والعرف. يقول هذا الفزاري:

ولا خَيْرَ في حُسْنِ الجُسومِ ونُبْلِها ... إذا لم تزنْ حسنَ الجسومِ عقولُ
إذا كنتُ في القومِ الطّوالِ عَلَوْتُهم ... بِعارفةٍ حتى يُقالَ طَويلِ
وكم قدْ رأينا مِن فَروعٍ كثيرةٍ ... تموتُ إذا لم تُحْيِهِنَّ أصولُ

---

(١) البيان والتبيين ٣/ ٤٧٦. وزف الجناح: حركته واضطرابه.

(٢) ديوان الحماسة ٢/ ٣٨ ـ ٣٩. والشيمة: الخلق. والرفد: الصلة والعطاء. وزجر الطير: التفاؤل به. والوفر: الزيادة. وهووا: مالوا. ومعنى الأبيات أن الشاعر يتمنى لقومه السعادة والهناء، ويواصلهم ويداريهم، ويرفدهم ويدافع عنهم مهما تكن مواقفهم منه.

ولـم أر كـالـمـعـروفِ أمّـا مـذاقُـه فـحـلـوٌ وأمّـا وجـهُـه فـجـمـيـلُ[١]

❖ المتوكل الليثي

(إحذر وصال اللئيم)

ومن الشعر المتضمن معاني حكمية تعلّم الإمساك عن الردّ على زلّة الصديق بالمثل، وتسمو بالنفس إلى عل، ما قاله المتوكل بن عبد الله بن نهشل الليثي، الشاعر الإسلامي الأموي. يقول المتوكل:

إنّـي إذا مـا الـخـلـيـلُ أَحْـدَثَ لـي صُـرْمـاً ومـلَّ الـصّـفـاءَ أوْ قَـطَـعـا
لا أحـتـسـي مـاءَهُ عـلـى رَنَـقٍ ولا يـرانـي لِـبَـيْـنِـهِ جَـزِعـا
أَهِـجـرُه ثـمّ يـنـقـضـي غُـبَّـرُ الـهـجـرانِ عـنّـا ولـم أقـلْ قَـذَعـا
إحـذرْ وصـالَ الـلّـئـيـمِ إنَّ لـهُ عَـضـهـاً إذا حـبـلُ وَصْـلِـه انْـقـطـعـا[٢]

❖ الحكم بن عبدل

(قد يرزق الخافض المقيم)

ومن الحكمة المبنية على التجربة، والمحصّلة من الكتب، ما قاله الحكم بن عبدل، الشاعر الإسلامي الأموي. يقول الحكم:

إنّـي رأيـتُ الـفـتـى الـكـريـمَ إذا رَغَّـبْـتَـهُ فـي صـنـيـعـةٍ رغِـبـا
والـعـبـدُ لا يـطـلـبُ الْـعَـلاءَ ولا يُـعـطـيـكَ شـيـئـاً إلاّ إذا رَهِـبـا
ولـم أجـدْ عُـروةَ الـخـلائـقِ إلاّ الـدِّيـنَ لـمّـا اعـتـبـرْتُ والْـحَـسَـبـا
قـد يُـرزقُ الـخـافـضُ الـمـقـيـمُ ومـا شـدَّ بِـعَـنـسٍ رَحْـلاً ولا قَـتَـبـا
ويُـحـرمُ الـمـالَ ذو الـعـطـيّـةِ والـرّحـلِ وَمـن لا يـزالُ مـغـتـربـا[٣]

❖ عبد الله السلولي

(إنما المال عارة)

ومن الحكمة الجيدة يقول عبد الله بن همّام السلولي:

فَـأَخْـلِـفْ واتـلِـفْ إنّـمـا الـمـالُ عـارةٌ فـكِـلْـهُ مـعَ الـدّهـرِ الّـذي هـو آكـلُـهْ
فـأهـونُ مـفـقـودٍ وأيـسـرُ هـالـكٍ على الحيِّ مَن لا يبلغُ الحيَّ نائلُهْ[٤]

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ٣٩ ـ ٤٠. والعارفة: اليد التي تسدي المعروف.
(٢) ديوان الحماسة ٢/ ٤٢ ـ ٤٣. والصرم: القطع. والرنق: الكدر. والعضة: الإفك.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٥٤ ـ ٥٥. والصنيعة: المعروف والإحسان. ورهب: خاف والخافض. صاحب الدعة والهناءة. والعنس: الناقة. والرحل: ما يحمل على الدابة. والقتب: الإكاف. ومعنى البيتين الأخيرين أن الأرزاق بيد الله تعالى، وليست مرتبطة بالحركة والسعي.
(٤) الكامل في اللغة ١/ ٣٢٠.

❖ القطامي (ت ١٣٠ هـ/٧٤٨ م)

(وخير الرأي ما استقبلت منه)

ومن جوامع كلم القطامي، واسمه عمير بن شييم، الشاعر الإسلامي الأموي، قوله من الحكمة:

وخيرُ الرّأيِ ما استقبلتَ منه ... وليس بأنْ تتبعه اتّباعاً[١]

(وقد يكون مع المستعجل الزلل)

ومن جوامع كلمه، وبليغ شعره الحكمي، قوله:

والنّاسُ مَنْ يلقَ خيراً قائلونَ له ... ما يشتهي وَلأُمِّ المخطىءِ الهَبَلُ
قد يدركُ المتأنّي بعضَ حاجتهِ ... وقد يكونُ مع المستعجلِ الزَّلَلُ
وربّما فاتَ قوماً جُلُّ أمرِهم ... مِنَ التّأنّي وكان الحزمُ لو عجلوا
والعيشُ لا عيشَ إلا ما تقرُّ بهِ ... عينٌ ولا حالَ إلاّ سوفَ ينتقل[٢]

❖ الكميت (ت ١٢٦ هـ/٧٤٥ م)

(فلا رأي للمضطر إلا ركوبها)

ومن الأمثال السائرة في شعر الكميت بن زيد، الشاعر الإسلامي المشهور قوله من جيد الحكمة:

إذا لم يكنْ إلاّ الأسنّةُ مركبٌ ... فلا رأيَ لِلمضطّرِ إلاّ ركوبُها[٣]

(والنبلُ إن هي تخطي مرة تصب)

وقوله الآخر:

وهل ظنونُ امْرىءٍ إلاّ كأسهمِهِ ... والنّبلُ إنْ هي تُخطي مرّةً تُصِبِ[٤]

❖ الراعي (٩٠ هـ)

(إذا مضى عنق منها أتى عنق)

ومن جيد ما قاله الراعي، واسمه عبيد بن حصين، الشاعر الأموي، قوله الحكمي:

إنّ الزّمانَ الذي تُرجى هوادنُه ... يأتي على الحجرِ القاسي فينغلقُ
ما الدّهرُ والنّاسُ إلاّ مثلُ واردةٍ ... إذا مضى عنقٌ منها أتى عنقُ[٥]

---

(١) الإعجاز والإيجاز ص ١٥١.
(٢) نفسه ص ١٥١. والهبل: الثكل والخسارة.
(٣) الإعجاز والإيجاز ص ١٥٢.
(٤) نفسه ص ١٥٢.
(٥) الإعجاز والإيجاز ص ١٥٢. والواردة: الذين يردون الماء. وهوادنه: مسالمته.

الباب الثاني

شعر الحكمة

في العصر العباسي

❖ موسى بن عبد الله

(وليس إلى المخلوق شيء من الأمر)

ومن الشعر الحكمي الجزل العبارة، والحسن الرصف والديباجة، ويعلم الصبر على البلاء، والبأساء والضراء، ما قاله موسى بن عبد الله بن أبي طالب، وكان زمن الخليفة العباسي المنصور. قيل إن المنصور حبسه لخروجه عليه مع أخويه، ثم ضربه ألف سوط، فما نطق بحرف واحد، فتعجب منه من كان حاضراً، فما زاد على القول:

إني من القوم الذين يزيدهم ... جلداً وصبراً قسوة السلطان

أما أبياته الحكمية فهي التالية:

إذا أنا لمْ أَقْبَلْ مِنَ الدهرِ كلَّ ما ... تكرَّهْتُ منه طالَ عَتْبي على الدَّهرِ
إلى اللَّهِ كلُّ الأمرِ في الخَلْقِ كلِّهِمْ ... وليسَ إلى المخلوقِ شيءٌ مِنَ الأَمْرِ
تعوّدْتُ مَسَّ الضُّرِّ حتى ألفْتُهُ ... وأسلمني طولُ البلاءِ إلى الصَّبْرِ
ووسّعَ صدري بِالأَذى الأُنْسُ بالأذى ... وإنْ كنتُ أحياناً يَضيقُ بهِ صدري
وصيَّرَني يأسي مِنَ النَّاسِ راجياً ... لِسُرعةِ لُطفِ اللَّهِ مِنْ حيثُ لا أدري[1]

❖ بعضهم

(فلا تهلك لشيء فات يأساً)

وقريب من المعنى السابق ما قاله بعضهم، لجهة وجوب الصبر وتحمل الأذى، وعدم الأسى على ما فات. يقول هذا الشاعر ناصحاً وموجهاً:

إذا ضَيَّقْتَ أمراً ضاقَ جِدّاً ... وإنْ هوَّنْتَ ما قد عزَّهانا
فلا تهلِكْ لِشيءٍ فاتَ يأساً ... فَكَمْ أمرٍ تصعَّبَ ثمّ لانا
سأصبرُ عنْ رفيقي إنْ جفاني ... على كلِّ الأذى إلاّ الهوانا
فإنَّ المرْءَ يجزعُ في خلاءٍ ... وإنْ حضرَ الجماعةَ أنْ يُهانا[2]

❖ ابن دريد

(ما طاب فرع لا يطيب أصله)

ولابن دريد العالم اللغوي النحرير، قصيدة طويلة في الحكمة والأدب والمثل والموعظة، وإنا لنقتطف منها هذه الأبيات، وهي تدخل في صلب الشعر الحكمي التعليمي:

---

(١) زهر الآداب للحصري ١/ ٨٩.

(٢) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٩٩٩ ـ ٢٠٠٠. وعزّ: صعب. وجفاني: قطعني. والهوان: الذل. ويجزع: يفقد صبره.

ما طابَ فرعٌ لا يطيبُ أصلُهُ حمى مؤاخاةِ اللّئيمِ فِعلهُ
وكلُّ مَن آخى لئيماً مثلُه

مَنْ يشتكِ الدهرَ يطلْ في الشّكوى فالدهرُ ما ليسَ عليه غَدْوى
مستشعرُ الحرصِ عظيمُ البلوى

من أمنَ الدهرَ أُتي من مأمنِهْ لا تستثِرْ ذا لُبَدٍ مِن حكمتِه
وكلُ شيءٍ يُبتغى مِن معدنِه

من يتركِ القصدَ تضق مذاهبُه دلَّ على فعلِ امْرىءٍ مُصاحبهُ
لا تركبِ الأمرَ وأنتَ عائبُه

يا ربّما أورثتِ اللّجاجَةْ ما ليسَ للمرءِ إليه حاجَهْ
وضيقُ أمرٍ يتبعُ انفراجَه

خيرُ الأمورِ ما حمدتَ غبَّهْ لا يرهبُ المذنبُ إلاّ ذنبَه
والمرءُ مقرونٌ بِمَنْ أحبَّه

كلُّ مقامٍ فَلَهُ مقالُ كلُّ زمانٍ فله رجالُ
ولِلعقولِ تُضربُ الأمثالُ

مسألةُ الناسِ لباسُ ذلّ مَن عفَّ لم يسأمْ ولم يملّ
فَارضَ مِنَ الأكثرِ بالأقلّ

في كلِ شيءٍ عبرةٌ لِمَنْ عقلْ قد يسعدُ المرءُ إذا المرءُ اعْتَدلْ
ترجو غداً ودونَ ما ترجو الأجلْ[1]

❖ أبو حية النميري

(تقاضاه شيء لا يملّ التقاضيا)

ومن أجود ما قيل في إبلاء الدهر لجديد الإنسان، ما قاله أبو حية النميري، واسمه الهيثم بن الربيع بن زرارة النميري العامري، الشاعر الراجز، وأحد مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. يقول أبو حية، وقوله لا يخلو من الحكمة والبيان:

ألا حَيِّ مِنْ أجلِ الحبيبِ الْمغانيا لَبِسْنَ البِلى ممّا لبسْنَ اللّياليا
إذا ما تقاضى المرءَ يومٌ وليلةٌ تقاضاه شيءٌ لا يملُّ التّقاضيا[2]

---

(١) معادن الجواهر ونزهة الخواطر ص ٤٣٤ ـ ٤٣٧.
(٢) الكامل في اللغة والأدب ١/١٢٨. والمغاني، جمع مغنى، وهو المنزل الذي غني به أهله.

❖ المرّار بن سعيد

(فبالحلم سد لا بالتسرع والشتم)

ومن أروع القول، وبالغ الحكمة، ما قاله المرار بن سعيد، أحد شعراء الدولتين الأموية والعباسية. يقول المرار:

إذا شِئْتَ يوماً أنْ تسودَ عشيرةً ... فبالحِلْمِ سدْ لا بالتَسَرُّعِ والشَّتْمِ
ولَلْحِلْمُ خيرٌ فاغلَمَنَّ مغبَّةً ... مِنَ الجهلِ إلاّ أنْ تُشَمَّسَ مِنْ ظُلْمِ[1]

❖ المؤمل بن أميل

(وكم من لئيم)

ثمة بيتان من الشعر قالهما المؤمل بن أميل المحاربي، وكان من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. يتضمنان حكمة بالغة تدعو إلى عدم المشاتمة تكرماً وصوناً للخلق والعرض. يقول المؤمل:

وكمْ مِنْ لئيمٍ وَدَّ أني شتمتُهُ ... وإنْ كانَ شتمي فيه صابٌ وعلقمُ
ولَلْكَفُّ عنْ شتمِ اللئيمِ تكرُّماً ... أضرُّ لهُ مِن شتمهِ حينَ يُشْتَمُ[2]

❖ أحدهم

(وليس أخو علم كمن هو جاهل)

ومن الحكمة الهادفة إلى التركيز على العلم والتعلم، قول أحدهم:

تَعَلَّمْ فليسَ المرءُ يولدُ عالماً ... وليسَ أخو علمٍ كَمَنْ هوَ جاهلُ
وإنَّ كبيرَ القومِ لا علمَ عنده ... صغيرٌ إذا التفَّتْ عليهِ المحافلُ[3]

❖ أحدهم

(لعمرك ما ودّ اللسان بنافع)

ومن أبيات الشعر المفردة ذات المدلول الحكمي قول أحدهم:

لَعَمْرُكَ ما وُدُّ اللِّسانِ بِنافعٍ ... إذا لم يكنْ أصلُ المودَّةِ في الصَّدْرِ[4]

❖ أحدهم

(لا يعجبنك من خطيب قوله)

وقريب من المعنى الأول السابق، ما قاله الآخر، وهو التالي:

---

(١) ديوان الحماسة ٢/ ٤. والتسرع: التعجل. والمغبة: العاقبة. وتشمس: تنكّر وهمّ بالشر.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ١٧. والصاب: عصارة شجر مرّ؛ ومثله العلقم.
(٣) البيان والتبيين ١/ ١٢٢.
(٤) المصدر نفسه ١/ ١٢٢.

إنَّ الكلامَ لَفي الفؤادِ وإنّما ... جُعِلَ اللِّسانُ على الفؤادِ دليلا
لا يُعْجِبَنَّكَ مِن خطيبٍ قولُه ... حتى يكونَ معَ اللِّسانِ أصيلا[1]

❖ بعضهم

(فلا تثقن بكل أخي إخاء)

ومن الحكمة التي تؤكد على احترام العقل والأخذ بأحكامه ما قاله بعضهم:

إذا ما كنتَ مُتَّخذاً خليلاً ... فلا تَثِقَنْ بِكلِّ أخي إخاءِ
فإنْ خُيِّرْتَ بينَهُمُ فألصِقْ ... بِأهلِ العقلِ منهمْ والحياءِ
فإنَّ العقلَ ليسَ له إذا ما ... تفاضلتُ الفضائلْ مِن كفاءِ[2]

❖ بعضهم

(ولم أر مثل المال أرفع للرذل)

وقريب من قول الآخر:

ولم أرَ مثلَ الفقرِ أوضعَ لِلْفتى ... ولم أرَ مثلَ المالِ أرفعَ لِلرَّذَلِ
ولم أرَ مِن عدمٍ أضرَّ على امْرِئٍ ... إذا عاشَ وسْطَ النّاسِ مِن عدمِ العقلِ[3]

❖ بشار بن برد (ت ١٦٨ هـ/٧٨٤ م)

(وما خير سيف لم يؤيد بقائم)

من محكم شعر بشار بن برد، أبي معاذ البصري، الفارسي الأصل، والشاعر العباسي المولّد، وكان أعمى، قوله ناصحاً بالأخذ بالمشورة، وبالحزم، وبالعزم والمضيّ في كل أمر، وهو من جيد الشعر وأبلغه، وأقصده، ويدل على ثقافة الشاعر، وينم عن تجربة صادقة:

إذا بلغَ الرَّأيُ النَّصيحةَ فَاسْتَعِنْ ... بِعزمِ نصيحٍ أو بِتأييدِ حازِمِ
ولا تجعلِ الشُّورى عليكَ غضاضةً ... مكانُ الخوافي نافعٌ لِلقوادم
وخلِّ الْهُوَيْنا لِلضَّعيفِ ولا تكنْ ... نؤُوماً فإنَّ الحزْمَ ليسَ بِنائم
وما خيرُ كفٍّ أمسكَ الغلُّ أُخْتَها ... وما خيرُ سيفٍ لم يُؤَيَّدْ بِقائم
وحارِبْ إذا لم تُغْطَ إلاّ ظلامةً ... شبا الحربِ خيرٌ مِن قبولِ المظالم
وأدنِ على الْقربى المقرّبَ نَفْسَهُ ... ولا تُشْهِدِ الشُّورى امْرءاً غيرَ كاتم
فإنّكَ لا تستطردُ الهمَّ بِالْمُنى ... ولا تُبلغُ العليا بِغيرِ المكارم

---

(١) البيان والتبيين ١/ ١٢٣.
(٢) البيان والتبيين ١/ ١٣٥.
(٣) البيان والتبيين ١/ ١٣٥.

إذا كنتَ فرداً هرَّكَ القومُ مقبلاً وإنْ كنتَ أدنى لم تفزْ بالعزائم
وما قرعَ الأقوامَ مثلُ مشيّعٍ أريبٍ ولا جلّى العمى مثلُ عالمِ[1]

(وأي الناس تصفو مشاربه)

ومن بليغ قوله الحكمي، أيضاً:

إذا كُنتَ في كلِّ الأمورِ معاتباً صديقَكَ لمْ تَلْقَ الذي لا تُعاتِبُهْ
فعِشْ واحداً أوصِلْ أخاكَ فإنّه مقارفُ ذنبٍ تارةً ومجانبُهْ
إذا أنتَ لم تشربْ مراراً على القذى ظمِئْتَ وأيُّ النّاسِ تصفو مشاربُهْ[2]

(ويخيب سعي الناصب)

ومن بديع قوله، وهو من الحكمة:

تأتي المقيمَ وما سعى حاجاتُهُ عددَ الحصى ويَخيبُ سعيُ النّاصبِ[3]

❖ أبو نواس (ت ١٩٠ هـ/٨١٠ م)

(إذا امتحن الدنيا لبيب)

على الرغم من تهتك أبي نواس، الحسن بن هانىء، الشاعر العباسي المجدّد، فإن ثمة أشعاراً قالها تدخل في صميم شعر الحكمة والتأمل، وإن منها هذين البيتين الرائعين اللذين استمع إليهما المأمون فقال: لو قيل للدنيا: صفي نفسك، ما عدت الأخير منهما. وهما:

وما النّاسُ إلاّ هالِكٌ وابْنُ هالِكٍ وذو نَسَبٍ في الهالكينَ عريق
إذا امْتحنَ الدُّنيا لبيبٌ تكشَّفَتْ لهُ عنْ عدُوٍّ في ثيابِ صديقِ[4]

(سبحان من خلق الخلق)

ويروى أن أبا نواس اجتاز، الموضع الذي كان فيه دكان ورّاق، فأخذ كتاباً، فوجد على ظهره مكتوباً ما يلي، وهي أبيات من الشعر كتبها أبو العتاهية:

فَوَاعَجَباً كَيْفَ يعْصَى المليكُ أمْ كَيْفَ يجحدُه الجاحدُ
ولِلّهِ في كلِّ تحريكةٍ وتسكينةٍ في الورَى شاهِدُ

---

(١) الأغاني ٣/ ٢٩. وانظر: وفيات الأعيان ٣/ ٢١. والنصيح: الناصح والواعظ. والحازم: ذو الحزم والعزم. والشورى: المشاورة وإشراك الآخرين بالأمر. والخوافي: صغار ريش الطائر. والقوادم: ما ظهر منها وهي القوية. نؤوماً: كثير النوم. والهوينا: التمهل. والغل: القيد. وقائم السيف: مقبضه. وشبا السيف: حده. وهرّك: عبس بوجهك. والأريب: المجرب العاقل.

(٢) المصدر نفسه ٣/ ٣٠. ومقارف: فاعل ومرتكب. والقذى: ما يدخل العين من أذى.

(٣) الإعجاز والإيجاز ص ١٥٨. والناصب: الجاد والتعب.

(٤) زهر الآداب ١/ ٥٦. واللبيب: العاقل. وعريق: قديم.

وفي كلّ شيءٍ لَهُ آيةٌ تدلّ على أنّه الواحِدُ

فقال أبو نواس: لمن هذا؟ لوددتها لي بجميع شعري. فقيل: لإسماعيل بن القاسم، أي لأبي العتاهية، فوقع تحتها، وهو من عيون الشعر الحكمي:

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الخلْقَ مِن ضعيفٍ مهينِ
فصاغهُ مِن قرارٍ إلى قرارٍ مكينِ
يحولُ شيئاً فشيئاً في الْحُجُبِ دونَ العيونِ
حتى بدتْ حركاتٌ مخلوقةٌ مِنْ سكونِ[1]

(كأنك لا تظن الموت حقاً)

ومن الشعر الزهدي الحكمي، وهو في غاية الروعة، وجلال المعنى والكمال، ما قاله أبو نواس:

أخي ما بالُ قلبِكَ ليسَ يَنْقى كأنَّكَ لا تظنُّ الموتَ حَقّا
ألا يا ابْنَ الذين فَنَوْا وبادُوا أما واللّهِ ما ذهبوا لِتَبْقى
وما أحدٌ بِزادِكَ منكَ أَحْظى وما أحدٌ بِزادِكَ منكَ أشقى
ولا لكَ غيرُ تَقْوى اللّهِ زادٌ إذا جُعِلَتْ إلى اللّهَواتِ تَرْقى[2]

❖ أبو العتاهية (ت ٢١١ هـ/٨٢٦ م)

(لا تسألن المرء)

ومن الشعر المستمد من الواقع، وهو يدخل في صميم الشعر الحكمي، ما قاله أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم العنزي:

لا تسألنَّ المرءَ ذاتَ يديهِ فَلَيَحْقِرَنَّكَ مَن رغبْتَ إليهِ
المرءُ ما لم تَرْزَهُ لكَ مكرمٌ فإذا رزأْتَ المرءَ هُنْتَ عليهِ
وكما يكونُ لديكَ مَن عاشرتَهُ فكذاكَ فَارْضَ بأنْ تكونَ لديهِ[3]

(وفي كل شيء له آية)

ومن بليغ القول، وفيه من الحكمة الرائعة الخالدة، قوله للرشيد، وكان هذا قال لأبي العتاهية: الناس يزعمون أنك زنديق، فقال: يا سيدي، كيف أكون زنديقاً، وأنا القائل:

أيا عجباً كيفَ يُعصى الإلهُ أمْ كيفَ يَجْحدُهُ الجاحدُ
ولِلّهِ في كلِّ تَحْريكةٍ وفي كلّ تسكينةٍ شاهدُ

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٣٣٢.
(٢) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٢٤٣. وبادوا: فنوا. وأحظى: أشد حظوة وقربى. وترقى: تصعد. واللهوات: جمع لهاة، وهي في قعر الحلق، كناية عن نزاع الروح عند الموت.
(٣) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٣٤٠. وذات يديه: ما في يديه من مال وغيره. وترزه: تصيبه بمصيبة.

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنَّهُ الواحدُ[١]

(الصمت أجمل بالفتى)

ومن الحكمة البالغة في وجوب الصمت والكلام في حين، قول أبي العتاهية:

الصَّمْتُ أَجْمَلُ بالفتى مِن مَنْطِقٍ في غيرِ حِينِهْ
كلُّ امْرِئٍ في نفسِهِ أعلى وأشرفُ مِن قرينِهِ[٢]

(الحق أوسع)

ومن جيد حكم أبي العتاهية، ويتميز بالسهولة والجزالة معاً، قوله:

الحقُّ أَوْسَعُ مِن معالجةِ الْهوى ومضيقِهِ
لا تعرضَنَّ بِكلِّ أمرٍ أنتَ غيرُ مطيقه
والعيشُ يصلحُ إنْ فرجْتَ غليظَه بِرَقيقه
وإذا رأَيْتَ الرَّأيَ مضطرباً فَخُذْ بِوَثيقه
ولربّما غصَّ البخيلُ إنْ استنيلَ بريقهِ[٣]

(من أجاب الهوى)

ومن بديع حكمته قوله أيضاً:

مَنْ أجابَ الْهوى إلى كُلِّ ما يَدْعوهُ وِمْا يَضِلُّ ضَلَّ وتاها
أو رأى عِبْرةً ففكَّرَ فيها آذَنَتْهُ بِالْبَيْنِ حينَ يراها
ربّما اسْتغلقتْ أمورٌ على مَن كان يأتي الأمورَ مِن مَأْتاها
قد تكونُ النّجاةُ تكرهُها النّفسُ وتأتي ما كانَ فيه رَداها[٤]

(لو رأى الناس نبيّاً)

ومن جيد قوله الحكمي:

لو رأى الناسُ نبيّاً سائلاً ما وَصَلوهُ
أنتَ ما اسْتَغْنيتَ عن صاحِبِكَ الدَّهْرَ أخوه
فإذا احْتجتَ إليهِ ساعةً مجَّكَ فوه[٥]

---

(١) تاريخ بغداد ٦/ ٢٥٣. وفي المحاسن والأضداد، للجاحظ، ص ١٤٠. دار صعب الأبيات تنسب إلى أبي نواس. بيروت ١٩٦٩ م.
(٢) البيان والتبيين ١/ ١١٣.
(٣) البيان والتبيين ٣/ ٤٧٨.
(٤) المصدر نفسه ٣/ ٤٧٩. والبين: الفراق. ورداها: هلاكها وموتها.
(٥) الإعجاز والإيجاز ص ١٦١. ومجك: كرهك ولفظك.

❖ محمود الورّاق (ت حوالي ٢٣٠ هـ)

(فكأنما الإحسان كان له)

ومن الشعر السهل المتناول، والجديد المبتكر، ما قاله محمود بن حسن الوراق، أحد الشعراء المولّدين في العصر العباسي، ويتضمن من المعاني الحكيمة التي تدعو إلى العفو عن الإساءة، وإلى المسامحة، وحسن الصحبة، ما يثير الانتباه. يقول محمود وهو من جيد الشعر وأسهله. والذي يبدو أنه أخذ معناه من قول رجل قال لآخر: «إني مررت بقوم يشتمونك». قال: «إياهم فارحم»...

إنّي شكرتُ لِظالمي ظُلْمي ... وغفرتُ ذاكَ لهُ على عِلْمي
ورأيتُ قد أسدى إليَّ يداً ... لما أبانَ بِجهلِهِ حِلْمي
رجعَتْ إساءتهُ عليْهِ وإحساني ... فعادَ مضاعَفَ الجُرْمِ
وغدوتُ ذا أجرٍ ومَحْمَدةٍ ... وغدا بكسبِ الظُّلمِ والإثمِ
فكأنّما الإحسانُ كانَ لهُ ... وأنا المسيءُ إليه في الحكمِ
ما زال يظلِمُني وأرحمُه ... حتى بكيْتُ لهُ مِنَ الظُّلْمِ[1]

(جديدان لا يبقى الجميع عليهما)

ومن أبيات محمود الوراق الحكمية، ذات الطابع الوعظي والتوجيهي، قوله:

يُحِبُّ الفتى طولَ البقاءِ كأنّه ... على ثِقَةٍ أنَّ البقاءَ بقاءُ
إذا ما طوى يوماً طوى اليومَ بعضَهُ ... ويَطْويهِ إنْ جَنَّ المساءُ مساءُ
زيادتُهُ في الجسمِ نَقْصُ حياتِهِ ... وأنّى على نقصِ الحياةِ نَماء
جديدانِ لا يبقى الجميعُ عليهما ... ولا لَهما بعدَ الجميعِ بقاءُ[2]

(فلم يغن عنه علمه والتجارب)

ومن رائع حكمة الورّاق قوله:

أما عَجَبٌ أنْ يكفلَ الناسُ بعضَهم ... ببعضٍ فيرضى بالكفيلِ المطالبُ
وقد كفلَ اللّهُ المليَّ بنفسهِ ... فلم يرضَ والإنسانُ فيه عجائبُ
عليمٌ بأنَّ اللّهَ موفٍ بِوعدِه ... وفي قلبهِ شكٌّ على القلبِ دائب
أبى الجهلُ إلاّ أنْ يصيرَ بِعلمِه ... فلم يُغْنِ عنه علمُه والتجارب[3]

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٢٣٤. وأسدى: أولى وأعطى. والحلم: العقل، وهو خلاف الجهل.
(٢) زهر الآداب ١/ ٢٢٤.
(٣) العقد الفريد ١/ ٣٢٧.

(وليس بمغنيك الكثير من الحرص)

ومن جيد قوله:

غنى النفسِ يُغنيها إذا كنتَ قانعاً ... وليس بِمُغْنيكَ الكثيرُ مِنَ الحرص
وإنَّ اعتقادَ الهمِّ للخيرِ جامعاً ... وقلّة همِّ المرءِ يدعو إلى النّقصِ[1]

(وفي غنى النفس الغنى الأكبر)

ومن جيد قوله أيضاً:

مَنْ كانَ ذا مالٍ كثيرٍ ولمْ ... يقنعْ فذاكَ الْمُوسِرُ المُعْسِرُ
وكلُّ مَنْ كان قنوعاً وإنْ ... كان مُقِلاً فَهُوَ الْمُكْثِر
الفقرُ في النفسِ وفيها الغِنى ... وفي غِنى النفسِ الْغِنى الأكبرُ[2]

❖ سليمان الأعمى

(إنّ في ذا الجسم معتبراً)

ومن أعمق الكلام، وأكثره حفولاً: بالموعظة والحكمة الدالة على عظمة الخالق، قول سليمان بن الوليد الأنصاري. الأعمى، وكان يختلف إلى بشار وهو غلام. يقول سليمان:

إنَّ في ذا الجسمِ مُعْتَبراً ... لِطلوبِ العلمِ مقتبسِهْ
هيكلٌ لِلروحِ ينطقُه ... عرقهُ والصّوتُ من نفسِه
لا تعظْ إلا اللّبيبَ فما ... يعدلُ الضّلعُ على قوسِه
رُبَّ مغروسٍ يُعاشُ به ... فقدَتْهُ كفُّ مغترسِه
وكذاك الدّهرُ مأتمهُ ... أقربُ الأشياءِ من عرسِه[3]

❖ أبو تمام (ت ٢٣١ هـ/٨٤٥ م)

(فاغترب تتجدّد)

ومن الحكم المحدثة والمتفنن في قولها، حكمة أبي تمام، حبيب بن أوس الطائي، الشاعر العباسي المشهور، في الحث على النهوض والاغتراب، يقول أبو تمام:

وطولُ مقامِ المرءِ في الحيِّ مُخْلِقٌ ... لِديباجتيهِ فَاغْتَرِبْ تَتَجدَّدِ
فإنّي رأيتُ الشّمسَ زِيدتْ محبّةً ... إلى النّاسِ أنْ ليستْ عليهمْ بسرمدِ[4]

---

(١) نفسه ١/٣٢٨.
(٢) نفسه ١/٣٢٨.
(٣) الحيوان ٤/٧١. دار ومكتبة الهلال. بيروت ١٩٨٦ م.
(٤) البيان والتبيين ٢/٣٠٧. ومخلق: داع إلى الرثاثة والاهتراء. والديباجة: الثوب المنقش. وسرمد: دائمة.

ومن بديع القول الحكمي، ويدخل في الزهد أيضاً، قول أبي تمام:

أَتَأمَلُ في الدُّنيا تجدُّ وتعمرُ ... وأنتَ غداً فيها تموتُ وتُقبَرُ
تُلقِّحُ آمالاً وترجو نِتاجَها ... وعمرُكَ مما قد تُرجّيهِ أقصر
تحومُ على إدراكِ ما قد كُفيتَهُ ... وتُقبلُ بالآمالِ فيه وتُدبر
وهذا صباحُ اليومِ ينعاكَ ضوؤُه ... وليلتُه تنعاكَ إنْ كنتَ تشعر
ورزقُكَ لا يعدوكَ إمّا مؤجَّلٌ ... على حالةٍ يوماً وإمّا مؤخّر
ولا حولَ محتال ولا وجه مذهب ... ولا قَدَرٌ يرجيهِ إلا المقدّر
فلا تأمنِ الدنيا وإنْ هي أقبلتْ ... عليكَ فما زالت تخونُ وتغدر
فما تمَّ فيها الصّفوُ يوماً لأهلِهِ ... ولا الرّفقُ إلاّ ريثما يتغيّر
وما لاحَ نجمٌ لا ولا ذَرَّ شارقٌ ... على الخلقِ إلاّ جُلُّ عمرِكَ يقصر
فهذي اللّيالي مؤذناتُكَ بالبِلى ... تروحُ وأيامٌ كذاكَ تبكّر
وقد يسترُ الإنسانُ باللّفظِ فعلَه ... فيُظهرُ عنه الطّرفُ ما كان يستر
تأمَّلْ وفكِّرْ في الذي أنتَ صائرٌ ... إليه غداً إنْ كنتَ مِمَّنْ يفكّر
فلا بدَّ يوماً أن تسيرَ لِحفرةٍ ... بأثنائِها تُطوى إلى يومِ تُنْشَر[1]

❖ ابن السّكيت (ت ٢٤٤ هـ/٨٥٨ م)

(إذا اشتملت على اليأس القلوب)

من الشعر الحكمي الموجه القائم على الوعظ والإرشاد، والدعوة إلى حسن الظن بالله تعالى، ما قاله أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، المعروف بابن السّكيت، وكان من كبار علماء اللغة في عصره. يقول ابن السكيت:

إذا اشْتَمَلتْ على الْيأسِ القلوبُ ... وضاقَ لِما بهِ الصّدرُ الرّحيبُ
وأوطنت المكارهَ واستقرّتْ ... وأرستْ في أماكنِها الخطوبُ
ولم تَرَ لانْكِشافِ الضُّرِّ وجهاً ... ولا أغنى بحيلتِه الأريبُ
أتاكَ على قنوطٍ منكَ غَوْثٌ ... يَمُنُّ بهِ اللّطيفُ المستجيبُ
وكلُّ الحادثاتِ إذا تناهتْ ... فَمَوْصولٌ بها فَرَجٌ قريبُ[2]

(وليس يصاب المرء من عثرة الرّجل)

ومن حكم ابن السكيت. قوله:

يُصابُ الْفتى مِن عثرةٍ بِلِسانِهِ ... وليسَ يُصابُ المرءُ مِن عثرةِ الرِّجْلِ

---

(١) ديوان أبي تمام. ١/ ١٨٥. طبعة دمشق. ١٣٥٠ هـ.
(٢) تاريخ الآداب ١/ ٤٠٦.

فَعَثَرتُهُ في القولِ تُذهِبُ رأسَهُ وعثرتُهُ بالرِّجلِ تَبْرا على مهْلِ[١]

❖ البحتري (ت ٢٨٤ هـ/٨٩٧ م)

(أرى الدهر غولاً للنفوس)

ومن جيد حكم أبي عبادة، البحتري، قوله، وهو لا يخلو من حكمة ونزعة فلسفية:

أرى عِلَلَ الأشياءِ شتّى ولا أرى التَّجَمع إلاّ عِلّةً لِلتَّفَرُّقِ
أرى العيشَ ظِلاً توشكُ الشمسُ نقلَهُ فكِسْ في ابْتِغاءِ العيشِ كَيسَكَ أَوْمِقِ
أرى الدّهرَ غولاً لِلنُّفوسِ وإنّما يقي اللّهُ في بعضِ المواطنِ مَن يقي[٢]

(ينال الفتى ما لم يؤمل)

ومن حكم البحتري قوله:

ينالُ الفَتى ما لَمْ يؤمّل وربّما أتاحت له الأقدار ما لم يحاذر[٣]

❖ العتبي

(فصدر الذي يستودع السر أضيق)

ومن ألطف ما قال العتبي في حفظ السرّ، قوله، وهو لا يخلو من حكمة وتوجيه:

فَمَنْ كانتِ الأَسرارُ تَطْفو بِصورِه فأسرارُ صدري بِالأحاديثِ تغرقُ
فلا تودِعَنَّ الدّهرَ سِرَّكَ أحمقاً فإنّكَ إنْ أودعْتَه منه أحمق
وحسبُكَ في سترِ الأحاديثِ واعظاً منَ القولِ ما قالَ الأريبُ الموفَّق
إذا ضاقَ صدرُ المرءِ عنْ سرِّ نفسِه فصدرُ الذي يُسْتَودَعُ السِّرَّ أضيق[٤]

❖ بعضهم

(ولربما حرم الفتى ببيانه)

ومن وحي القول السابق، ما قاله بعضهم:

وَلَرُبَّما كتمَ الوقورُ فَصَرَّحتْ حركاتُه للنّاسِ عَنْ كِتْمانِهِ
ولربّما رُزِقَ الفتى بِسُكوتِهِ ولربّما حُرِمَ الفتى بِبيانهِ[٥]

---

(١) المرجع نفسه ١/ ٤٠٦. ومن غريب المصادفات أن ابن السكيت لم يعمل بهذه النصيحة أو القول، فكان لسانه سبب مقتله على يد المتوكل.
(٢) كتاب الصناعتين، للعسكري ص ٢٢٤. أومق: من ومق: نظر.
(٣) معادن الجواهر ونزهة الخواطر ص ٤١٤.
(٤) المحاسن والأضداد ص ٢٢.
(٥) نفسه ص ٢٢.

❖ أحدهم

(فسرك عند الناس أفشى وأضيع)

وقريب من المعنيين السابقين، ما قاله أحدهم:

إذا أنتَ لمْ تحفظْ لِنفسِكَ سِرَّها ... فسرُّكَ عندَ النّاسِ أفشى وأَضْيَعُ[1]

❖ علي بن الجهم (ت ٢٤٩ هـ/٧٦٣ م)

(والبدر يدركه الظلام)

ومن بديع حكم علي بن الجهم، الشاعر العباسي، ما قاله مستوحيً من حبسه:

والنّارُ في أحجارِها مخبوءةٌ ... لا تُضطَلى إنْ لم تُثِرْها الأَزْنُدُ
والبدرُ يُدركُه الظّلامُ فتنجلي ... أيّامهُ وكأنّهُ متجدِّد
غِيَرُ اللّيالي بادئاتٌ عُوَّدٌ ... والمالُ عاريةٌ يُفادُ وينفد
لا يُؤيِسَنَّكَ مِنْ تَفَرُّجِ كُرْبةٍ ... خطبٌ أتاكَ بهِ الزمانُ الأنكد
فَلِكُلِ حالٍ معقبٌ ولَربّما ... أجلى لك المكروهَ عمّا تحمد
كم مِنْ عليل قد تخطّاه الرّدى ... فنجا وماتَ طبيبُه والعُوَّدُ[2]

ومن جيد حكم علي بن الجهم، قوله:

يا موريَ الزَّنْدِ المضيءِ لِغَيْرِهِ ... لِحسابِ مَنْ تشقى وغيرُكَ يسعَدُ
غِيَرُ الليالي باديات عُوَّدٌ ... والمالُ عاديةٌ يُبالُ وينفدُ
ولِكُلِّ مالٍ معقبٌ ولربّما ... أجلى لكَ المكروهَ عمّا تحمدُ[3]

ومن جيد حكمه، قوله:

لِلدّهرِ إدبارٌ وإقبالُ ... وكلُّ حالٍ بعدها حالُ
وصاحبُ الأيامِ في غفلةٍ ... وليس للأيامِ إغفال
والمرءُ منسوبٌ إلى فعلِه ... والناسُ أخبارٌ وأمثال
يا أيُّها المطلقُ آمالَه ... مِن دونِ آمالكَ آجال
كم أبلتِ الدنيا وكم جدّدتْ ... منّا وكم تُبلي وتغتال
ما أحسنَ الصبرَ ولا سيما ... بالحرِّ إنْ ضاقتْ بهِ الحال[4]

❖ ابن عيينة

وقريب من المعنى السابق ما قاله عبد الله بن محمد بن عيينة، وهو الذي شهد كيد

---

(١) المحاسن والأضداد ص ٢٢.
(٢) نفسه ص ٣٣ ـ ٣٤. والعوذ: جماعة زوّار المريض.
(٣) شعر الزهد، لعلي عطوي، ص ٢٧٠. ط ١. المكتب الإسلامي. بيروت ١٩٨١ م.
(٤) ديوان علي بن الجهم ص ٦٨. تحقيق خليل مردم بك ط ٢. دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٨٠ م.

الدهر بأهله، وعرف ما تأتي به الأيام، يقول ابن أبي عيينة، وهو من جيد الشعر، رقة وجزالة:

ما راحَ يومٌ على حيٍّ ولا ابْتَكَرا ... إلاّ رأى عِبْرةً فيهِ إذا اعْتَبَرا
ولا أتتْ ساعةٌ في الدّهرِ فانْصرمَتْ ... حتى تُؤثِّر في قوم لها أَثَرا
إنَّ اللّيالِيَ والأيّامَ أنفُسَها ... مِن غيرِ أنفسِها لم تكتَسِ الْخَبَرا[1]

ومن وسائط قلائده الزهدية والحكمية، قوله:

هُوَ الصّبْرُ والتّسليمُ لِلّهِ والرِّضى ... إذا نزلتْ بي خطّةٌ أشاؤُها
إذا نحنُ أبْنا سالمينَ بأنفسٍ ... كرام رجعْتْ أمراً فخابَ رجاؤُها
بأنفسِنا خيرُ الغنيمةِ أنّها ... تؤوبُ وفيها ماؤُها وحياؤُها[2]

❖ ابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ/٨٩٦ م)

(فلا تستكثرن من الصحاب)

ومن حكم علي بن العباس، المعروف بابن الرومي، وأحد أشهر شعراء العصر العباسي، قوله ناصحاً:

عَدُوُّكَ مِنْ صديقِكَ مَستفادٌ ... فلا تستكثرَنَّ مِنَ الصِّحاب
فإنَّ الدّاءَ أكثرَ ما تراهُ ... يكونُ مِنَ الطَّعامِ أو الشَّرابِ[3]

(لما تؤذن الدنيا به من صروفها)

ومن أقواله الحكمية التي يغلب عليها طابع السويداء والتشاؤم، لكنها لا تخلو من عمق وطرافة، قوله:

لِما تُؤذِنُ الدُّنيا به مِنْ صروفِها ... يكونُ بكاءُ الطّفلِ ساعةَ يولدُ
وإلاّ فما يُبْكيهِ مِنْها وإنّها ... لأفْسَحُ ممّا كانَ فيه وأرغد
إذا أبصرَ الدّنيا استهلَّ كآبةً ... بماسوفَ يلقى مِن أذاها يهدّد[4]

❖ الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ/١٠١٥ م)

(والناس دار فخلّ الداء مستوراً)

ومن روائع حكم الشريف الرضي، قوله:

كُنْ في الأنامِ بِلا عينٍ ولا أُذُنِ ... أوْ لا فعِشْ أبدَ الأيّامِ مصدورا
النّاسُ أُسْدٌ تُحامي عن فريستِها ... إمّا عقرتَ وإمّا كنْتَ معقورا

---

(١) الكامل في اللغة ١/ ٢٤٠.
(٢) الإعجاز والإيجاز ص ١٧٦ ـ ١٧٧.
(٣) الإعجاز والإيجاز ص ٢٧١.
(٤) نفسه ص ٢٧٢.

كم وحدةٍ هي خيرٌ مِن مصاحبةٍ ... ينسى الجميعُ ويغدوا الفذُّ مذكورا
مَن كاشفَ الناسَ لم يسلمْ له أحدٌ ... والناسُ داءٌ فَخَلِّ الدّاءَ مستورا[1]

❖ الفارابي (ت ٣٣٩ هـ/٩٥١ م)

(فماذا التزاحم في المركز)

من الشعر المشبع بروح الفلسفة والعلم، ما قاله أبو نصر محمد بن طرخان، الفارابي، الفيلسوف المشهور، وهو يتضمن الحكمة البالغة، ويدعو إلى التأمل، والترفع عن هذه المطامع العابرة التي هي متاع غرور المغرورين. يقول الفارابي:

أخي خَلِّ حَيِّزَ ذي باطلٍ ... وكنْ لِلحقائقِ في حيّزِ
فما الدّارُ دار خلودٍ لنا ... ولا المرءُ في الأرضِ بالمعجزِ
وهل نحنُ إلاّ خطوطٌ وقعْنَ ... على كرةٍ وقعَ مُسْتَوْفِزِ
يُنافسُ هذا لِذاكَ على ... أقلَّ مِنَ الكلمِ الموجزِ
محيطُ السّمواتِ أَوْلى بنا ... فماذا التّزاحمُ في المركزِ[2]

❖ ابن عبد ربّه (ت ٣٢٨ هـ/٩٣٩ م)

(ألا إنما الدنيا نضارة أيكة)

ومن شعر ابن عبد ربه، أبي عمر أحمد بن محمد، القرطبي، وهو يتضمن حكمة بينة التشاؤم جاءت نتيجة تجربة الشاعر، قوله:

ألا إنّما الدُّنيا نضارةُ أَيْكَةٍ ... إذا اخْضرَّ منها جانبٌ جَفّ جانبُ
هي الدارُ ما الآمالُ إلاّ فجائعٌ ... عليها ولا اللّذّاتُ إلاّ مصائبُ
فكمْ سخَّنَتْ بالأمسِ عيناً قريرةً ... وقرّتْ عيونٌ دمعُها اليوم ساكب
فلا تكتحلْ عيناكَ فيها بِعَبْرةٍ ... على ذاهبٍ منها بأنّكَ ذاهبُ[3]

❖ المتنبي (ت ٣٥٤ هـ/٩٦٥ م)

(إذا ما تأملت الزمان وصرفه)

عرف أبو الطيب المتنبي بحكمه التي شاعت في معظم أغراض شعره، وقد تأتي مستقلة، أحياناً، حتى قيل فيه: «المتنبي ربّ معان، وهو ينطق بألسنة الحدثان». ولقد يغلب على الحكمة عند أبي الطيب، طابع الثورة والتشاؤم، فينعكس هذا. على نفسية

---

(١) معادن الجواهر ص ٤٢٠.
(٢) عيون الأنباء، لابن أبي أصيبعة ص ٦٠٧ . ٦٠٨. شرح نزار رضا. بيروت ١٩٦٠ م. وانظر أيضاً: الوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدي ١/ ١١٣. شرح هلموت وتيرت. ١٩٦١.
(٣) تاريخ الآداب العربية ٢/ ١٣٤. والأيكة، واحدة الأيك، وهو شجر ملتف. وقريرة: مستقرة هادئة. والعبرة: الدمعة.

القارىء، لشدة تأثير شعره في النفوس؛ ومن هذا القبيل حكمته المتشائمة المتعلقة بحتمية الموت الذي تلاحقنا صورته من حيث لا نعلم. يقول أبو الطيب:

إذا ما تأمّلتُ الزّمانَ وصَرْفَهُ ... تَيَقَّنْتَ أنَّ الموتَ ضَرْبٌ مِنَ القتلِ
وما الدّهرُ أهلٌ أنْ تُؤمّلَ عندَهُ ... حياةٌ وأنْ يُشتاقَ فيهِ إلى النَّسْلِ
وما الموتُ إلاّ سارقٌ دَقَّ شخْصُهُ ... يَصولُ بلا كَفٍّ ويسعى بِلا رِجْلِ[1]

(جمع الزمان)

ومما قاله أبو الطيب، وفيه يبين كيف أن الأمور تنتهي إلى زوال، وأن ماله بداية، فإن له نهاية:

أَنِعِمْ وَلَذَّ فلِلأُمورِ أواخرٌ ... أبداً إذا كانتْ لَهُنَّ أوائِلُ
لِلّهْوِ آونةٌ تَمُرُّ كأنّها ... قُبَلٌ يُزوِّدُها حبيبٌ راحل
جَمَحَ الزّمانُ فلا لِذيذٌ خالصٌ ... ممّا يشوبُ ولا سُرورٌ كامل[2]

(فمن العجز أن تموت جباناً)

ومن الحكمة المتنبئية ذات لاطابع التشاؤمي الوجداني، وهي من أروع الحكم أداء وأسلوباً وبلاغة، قوله:

صَحِبَ النّاسُ قبلَنا ذا الزّمانا ... وعناهُمْ مِنْ شأنِهِ ما عنانا
وَتَولَّوْا بغُصَّةٍ كلُّهم مِنْهُ وإنْ ... سرَّ بعضَهم أحيانا
ربّما تُحسنُ الصّنيعَ لياليهِ ... ولكنْ تُكَدِّرُ الإحْسانا
وكأنّا لم يرضَ فينا بِريبٍ ... الدّهر حتى أعانه مَنْ أعانا
كلّما أنبتَ الزّمانُ قناةً ... ركّبَ المرءُ في القناةِ سِنانا
ومُرادُ النّفوسِ أصغرُ مِنْ أنْ ... نتعادى فيهِ وأنْ نتفانى
وإذا لم يكنْ مِنَ الموتِ بُدٌّ ... فَمِنَ العجزِ أنْ تموتَ جَبانا[3]

(تجري الرياح بما لا تشتهي السفن)

ومن الأبيات الحكمية المشهورة التي قالها المتنبي، والجارية مجرى الأمثال، قوله:

ما كلّ ما يتمنّى المرءُ يُدْرِكُهُ ... تَجري الرّياحُ بما لا تَشْتَهِي السُّفُنُ

---

(١) ديوان المتنبي ص ٣٠٥. ط دمشق. وصرف الزمان: حوادثه. ويصول: يفخر وينازل.
(٢) نفسه ٣٠٠. وجمح: صال وتاه. ويشوب: يعتور.
(٣) الديوان ص ٣٦٠. وريب الدهر: حوادثه ومصائبه. والقناة: عود الرمح. والسنان: نصله.

(فالذي فعل الفقر)

وقوله:

وَمَنْ يُنْفِقِ السّاعاتِ في جمعِ مالِهِ مخافةَ فقرٍ فالّذي فَعَلَ الْفَقْرُ

(وإذا كانت النفوس كبارا)

وقوله:

وإذا كانتِ النُّفوسُ كِباراً تعبتْ في مُرادِها الأَجْسَام

(ما لجرح بميت إيلام)

وقوله:

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الْهوانُ عليهِ ما لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إيلامُ

(ومن يك ذا فم)

وقوله:

وَمَنْ يكُ ذا فمٍ مرٌّ مريضٍ يجدُ مرّاً به الماءَ الزّلالا

(وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا)

وقوله:

إذا أنتَ أكرمْتَ الكريمَ ملكْتَهُ وإن أنتَ أكرمْتَ اللّئيمَ تَمَرَّدا

(ومن نكد الدنيا)

وقوله:

ومِنْ نَكَدِ الدُّنيا على الحرِّ أنْ يَرى عدوّاً له ما مِنْ صداقتِهِ بُدُّ

(إذا اعتاد الفتى)

وقوله:

إذا اعْتادَ الفتى خَوْضَ المنايا فَأَهْوَنُ ما يمرُّ بهِ الْوحولُ

(فطعم الموت)

وقوله:

فَطَعْمُ الموتِ في أمرٍ حقيرٍ كَطَعْمِ الموتِ في أمرٍ عظيمِ

(وحب الشجاع النفس أورده الحربا)

وقوله:

وحُبُّ الجبانِ النّفسَ أوردَهُ الثُّقى وحبّ الشجاعِ النفسَ أورده الحربا

(على قدر أهل العزم)

وقوله:

على قدْرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ ... وتأتي على قدرِ الكِرامِ المكارمُ
وتعظُمُ في عينِ الصَّغيرِ صِغارُها ... وتصغُرُ في عينِ العظيمِ العظائم

(يهون علينا)

وقوله:

يهونُ علينا أنْ تُصابَ جسومُنا ... وتسلمَ أعراضٌ لنا وعقول

(عش عزيزاً)

وقوله:

عِشْ عزيزاً أوْ مُتْ وأنتَ كريمٌ ... بينَ طعنِ القنا وخفْقِ البنودِ

(وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم)

ومن جيد حكم أبي الطيب، وهي في غاية السمو والروعة، قوله:

ذو العقلِ يَشْقى في النّعيمِ بِعقلِهِ ... وأخو الجهالةِ في الشّقاوةِ ينعمُ
لا تخدعنَّكَ مِن عدوٍّ دمعةٌ ... وَارْحَمْ شبابَكَ مِن عدوٍّ يرحم
لا يسلم الشّرفُ الرَّفيعُ مِنَ الأذى ... حتى يُراقَ على جوانبِهِ الدَّم
والظّلمُ مِن شِيَمِ النّفوسِ فإنْ تجدْ ... ذا عِفّةٍ فَلِعلّةٍ لا يظلِم
ومِنَ البليّةِ عَذْلُ مَن لا يرعوي ... عن جهلِهِ وخطابُ مَن لا يفهم
ومن العداوةِ ما ينالُكَ نفعُه ... ومنَ الصداقةِ ما يضرُّ ويُؤلم[1]

❖ أحدهم

(ولا يلتام ما جرح اللسان)

ومن الأبيات الحكمية المفردة أو المثناة، ما قاله أحدهم:

وجرحَ السَّيْفِ تأسوهُ فيبرا ... وجرحُ الدّهرِ ما جرحَ اللّسانُ
جراحاتُ الطِّعانِ لها الْتِئامٌ ... ولا يلتامُ ما جرحُ اللّسانُ[2]

❖ مسلم بن الوليد

(سعى علي بكاسيها الجديدان)

ومن بالغ الجودة، وبديع الحكمة، ما قاله صريع الغواني، الشاعر العباسي المجدّد، واسمه مسلم بن الوليد:

---

(١) الديوان ٣٩٠.
(٢) المحاسن والأضداد ص ١٧. والتئام: شفاء وبرء.

حسبي بما أدّت الأيامُ تجرُبَتِي ... سعى عليّ بكأسيْهَا الجديدَانِ
دلّت عَلَى عَيْبِهَا الدُّنْيَا وصدّقهَا ... ما استزْجَعَ الدّهرُ مما كانَ أعْطاني[1]

❖ أحدهم

(تولى رعيها الأسد)

وإن منها ما قاله أحدهم:

وَمَنْ رعى غَنَماً في أرضِ مَسْبَعَةٍ ... ونامَ عنْهَا تَوَلَّى رَعْيَهَا الأَسَدُ[2]

❖ أحدهم

(فسرّك عند الناس أفشى وأضيع)

وإن منها:

إذا أنتَ لم تحفظْ لِنَفْسِكَ سِرَّها ... فَسِرُّكَ عندَ النّاسِ أَفْشى وأَضْيَعُ[3]

❖ العرزمي

(ويحرم معروف البخيل أقاربه)

ومن جيد القول الحكمي. ما قاله أبو بكر العرزمي، أحد شعراء العصر العباسي الأول، المقلّين:

يَفِرُّ جَبانُ القومِ عنْ أمِّ رَأْسِهِ ... ويَحْمي شجاعُ القومِ مَنْ لا يُناسبُهْ
ويرزقُ معروفَ الجوادِ عدوُّه ... ويحرمُ معروفَ البَخيلِ أقاربُه
وَمَنْ لا يكفُّ الجهلُ عَمَّنْ يودُّهُ ... فسوفَ يكفُّ الجهلُ عمّن يواثبُه[4]

❖ الجرمي

(فبعض الشيء من بعض قريب)

ومن المعنى النادر اللطيف، والحكمة البالغة ما قاله أبو يعقوب الجرمي:

إذا ما ماتَ بعضكَ فَابْكِ بعضاً ... فبعضُ الشَيءِ مِنْ بعضٍ قريبُ[5]

❖ الحكيم بن قنبر

(ومن دعا الناس)

ومن الأمثلة السائرة، والحكمة البديعة قول الحكيم بن قنبر:

---

(١) الإعجاز والإيجاز ص ١٧٠.
(٢) المحاسن والأضداد ص ١٩. والمسبعة: الأرض التي فيها السباع.
(٣) نفسه ص ٢٢.
(٤) رسالة الغفران، ص ٢٢ ـ ٢٣.
(٥) الإعجاز والإيجاز ص ١٧٢.

وَمَنْ دعا النّاسَ إلى ذمِّهِ ذَمُّوهُ بِالْحَقِّ وبالباطلِ
مقالةُ السُّوءِ إلى أهلِها أسرعُ مِنْ منحدرٍ سائلِ[1]

❖ التيمي

(إذا ما مضى القوم)

ومن غرر الأقوال الحكيمة، قول أبي محمد التيمي:

إذا ما مضى القومُ الذي أنتَ فيهمُ وخُلِّفْتَ في قرنٍ فأنتَ غريبُ
وإنَّ امرءاً قد سارَ سبعينَ حجَّةً إلى منهلٍ مِن وِرْدِه لَقَريبُ[2]

❖ أبو فراس (ت ٣٥٧ هـ/٩٦٧ م)

(المرء نصب مصائب)

ومن روائع الحكم التي جاد بها أبو فراس الحارث بن أبي العلاء الحمداني، قوله:

المرءُ نَصْبُ مصائبٍ ما تَنْقضي حتّى يُوارَى جسمُهُ في رَمْسِهِ
فمؤجَّلٌ يلقى الرّدى في أهلِهِ ومعجّلٌ يلقى الرّدى في نفسِهِ[3]

(أتته الرزايا من وجوه المكاسب)

ومن جيد قوله وأبلغه:

إذا كانَ غيرَ اللّهِ لِلمرءِ عدّةٌ أَتَتْه الرَّزايا مِن وجوهِ المكاسبِ[4]

❖ البستي (ت ٤٠٠ هـ/١٠٠٩ م)

(فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان)

ومن الحكمة الرائعة، بالعبارة الناصعة، ما قاله أبو الفتح علي بن محمد البستي، الشاعر العباسي المتفنن في وشي الكلام، وشريف المعاني. يقول أبو الفتح من قصيدته النونية المشهورة:

زِيادةُ الْمَرْءِ في دُنْياهُ نقصانُ وربْحُهُ غيرَ مَحْضِ الخيرِ خُسرانُ
وكلُّ وِجدانِ حظٍّ لإثباتَ لهُ فإنَّ مَعْناهُ في التّدقيقِ فقدانُ
أحسِنْ إلى النّاسِ تستعبِدْ قلوبَهُمُ فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ
يا خادمَ الجسمِ كم تسعى لِخدمتِهِ أتطلبُ الرّبحَ في ما فيهِ خُسران
أقبلْ على النّفسِ واستكملْ فضائلَها فأنتَ بالنّفسِ لا بِالجسمِ إنسان[5]

---

(١) المصدر نفسه ص ١٧٤.
(٢) الإعجاز والإيجاز ص ١٧٧.
(٣) نفسه ص ٢١١.
(٤) الإعجاز والإيجاز ص ٢١١. والرزايا: المصائب. والعدة: ما يقي النفس.
(٥) تاريخ الآداب العربية ١/ ٢٩٢. ومحض الخير: خالصه.

(فلا تعد لحديث)

ومن جيد حكمه ونصحه وتوجيهاته، قوله:

إذا تحدّثتَ في قومٍ لِتُؤنِسَهُمْ ... بما تُحَدِّثُ مِن ماضٍ ومِن آتِ
فلا تُعِدْ لحديثٍ إنَّ طبْعَهُمُ ... مُوَكَّلٌ بِمعاداةِ المعاداتِ[1]

❖ **ابن نباتة السعدي (ت ٤٠٥ هـ/١٠١٤ م)**

(فما كل مصقول الحديد يماني)

ومن الحكم الشائعة الذكر، ما قاله أبو نصر عبد العزيز، المعروف بابن نباتة السعدي، وكان دقيق النظم، وشعره سهل المأخذ، بعيد المرام. يقول ابن نباتة:

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ ماتَ بِغيرِهِ ... تعدَّدَتِ الأسْبابُ والموتُ واحدُ[2]

ومن شعره الحكمي قوله:

وهلْ ينفعُ الفتيانَ حسنُ وجوهِهِمْ ... إذا كانتِ الأخلاقُ غيرَ حِسانِ
فلا تجعلِ الْحُسْنَ الدّليلَ على الفتى ... فما كلُّ مصقولِ الحديدِ يماني[3]

❖ **العتابي**

(ولكن فطام النفس أثقل محملاً)

ومن الأبيات الحكمية المفردة ذات الدلالة والروعة قول كلثوم بن عمرو العتابي، الشاعر العباسي، وهو يؤكد على صعوبة تغيير الطبع وتروبض النفس على الشيء الجديد. يقول العتابي:

ولكنْ فِطامُ النّفسِ أثقلُ مَحْمَلاً ... مِنَ الصَّخْرَةِ الصَّمّاءِ حينَ تَرومَها[4]

❖ **صالح بن عبد القدوس**

(والشيخ لا يترك أخلاقه)

وقريب من المعنى السابق ما قاله، الشاعر العباسي الآخر، صالح بن عبد القدوس، أحد موالي الأزد، يقول صالح:

وإنَّ مَنْ أدَّبْتَهُ في الصِّبا ... كَالْعودِ يُسقى الماءَ في غرسِهِ
وَالشَّيْخُ لا يتركُ أخلاقَهُ ... حتّى يُوارى في ثَرى رَمْسِهِ
إذا ارْعوى عادَ إلى جهلِهِ ... كَذي الضَّنى عادَ إلى نكسِهِ[5]

---

(١) المرجع نفسه ١/ ٢٩١. والمعادات، جمع معادة، وهي المكرّرة ثانيةً.
(٢) تاريخ الآداب العربية ١/ ٢٩٤.
(٣) المرجع نفسه ١/ ٢٩٤. واليماني: السيف المنسوب إلى اليمن.
(٤) البيان والتبيان ١/ ٧٨. ط دار صعب.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٧٨. والرمس: القبر. ويوارى: يغيّب. وارعوى: رشد وثاب. والنكس: الارتداد إلى وراء.

(فلم أر بعد الدين خيراً من الغنى)

ومن جيد حكمه قوله:

بلوْتُ أمورَ النّاسِ سبعينَ حجة ... ولابسْتُ صَرْفُ الدّهرِ في العسرِ واليُسْرِ
فلم أرَ بعدَ الدّينِ خيراً مِنَ الْغِنى ... ولم أر بعدَ الكفرِ شرّاً من الفقر[1]

❖ **أبو البلاد**

(وتذكر أخلاق الفتى وهو لا يدري)

ومن حكم أبي البلاد قوله:

وإنّا وجدْنا النّاسَ عوذيْنِ: طَيِّباً ... وعوداً خبيثاً لا يبضُّ على الْعَصْرِ
تَزينُ الفتى أخلاقُه وتشينُه ... وتُذكرُ أخلاقُ الْفتى وَهْو لا يدري[2]

❖ **آخر**

(فإنما الناس أحاديث)

وقريب من المعنى السابق ما قاله الآخر:

سابقْ إلى الخيراتِ أهلَ العُلى ... فإنّما النّاسُ أحاديثُ
كلُّ امْرىءٍ مِن شأنِه كادحٌ ... فَوارثٌ منهُ ومورُوثُ[3]

❖ **أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ/١٠٥٧ م)**

(ثلاثة أيام هي الدهر كله)

عرف أبو العلاء المعري بالحكمة والفلسفة، وإن من شعره الحكمي قوله، وهو من جيد القول وبليغه:

ثلاثةُ أيّام هيَ الدّهْرُ كلُّه ... وما هنَّ غير الأمسِ واليومِ والغدِ
وما البدرُ إلاّ واحدٌ غيرَ أنّه ... يَغيبُ ويأتي بِالضِّياء المَجدّدِ[4]

(تجاهلت حتى قيل إني جاهل)

وإن منه قوله:

وإنْ كانَ في لُبْسِ الفتى شرفٌ له ... فما السّيفُ إلاّ غمدُه والحمائلُ
ولمّا رأيْتُ الجهلَ في النّاسِ فاشياً ... تجاهلْتُ حتى قيلَ إنّي جاهلِ
فواعجباً كمْ يدّعي الفضلَ ناقصٌ ... وواأسفاً كم يُظهرُ النّقصَ فاضلُ

---

(١) معادن الجواهر ونزهة الخواطر، ص ٢٤٢.
(٢) البيان والتبيين ٢/ ٢٦٦.
(٣) نفسه ٢/ ٢٦٦.
(٤) سقط الزند، لأبي العلاء ص ٤٤. شرح نزار رضا. دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٥ م.

فإنْ كنتَ تبغي العِزَّ فَابْغِ توسُّطاً فعندَ التّناهي يقصرُ المتطاول
تُوقّى البدورُ النّقصَ وهي أهلّةٌ ويدركُها النّقصانُ وهي كوامل[1]

(وهذي الليالي كلها أخوات)

ومن بديع قوله، وفيه من العمق ونفاذ البصيرة ما يغني عن كل قول:

أرى غمراتٍ ينجلينَ عنِ الْفتى ولكنْ توافي بعدها غمراتُ
ولا بدَّ للإنسانِ من سُكْرِ ساعةٍ تهون عليه غيرَها السّكراتُ
ألا إنّما الأيّامُ أبناءُ واحدٍ وهذي اللّيالي كلُّها أخوات
فلا تطلبَنْ ما عندَ يومٍ وليلةٍ خلافَ الذي مرّتْ به السّنوات[2]

(فقصّر بعدما أشفى وكادا)

ومن حكمه الرائعة قوله:

رُبَّ مبالغٍ في كيدِ أمرٍ تقولُ له أحبّتُه اقْتصادا
وذي أملٍ تبصّرَ كُنْهَ أمرٍ فَقَصَّر بعدَما أشفى وكادا[3]

(إن السماء نظير الماء في الزرق)

ومن بديع قوله الحكمي:

فربّما ضرَّ ضِلٌّ نافعٌ أبداً كالرِّيق يحدثُ منه عارضُ الشَّرَقِ
فإنّ توافقَ في معنىً بنو زمنٍ فإنَّ جُلَّ المعاني غيرُ متَّفق
قد يبعدُ الشيءُ عن شيءٍ يشابِهُه إنَّ السّماءَ نظيرُ الماءِ في الزَّرَق[4]

(ومن رام العلى سهر الليالي)

ومن حكم أبي العلاء المشهورة، قوله:

بِقدْرِ الجدِّ تُكتسبُ المعالي ومنْ رامَ العُلى سَهرَ اللّيالي
تَرومُ المجدَ ثمّ تنامُ ليلاً يغوص البحر مِن طلبِ اللّآلي
ومنْ طلبَ العلومَ بِغيرِ كدٍّ أضاعَ العمرَ في طلبِ المحالِ[5]

ومن حكم أبي العلاء الخالدة الرائعة، وإن غلب عليها التشاؤم، قوله:

اللُّبُّ قطبٌ والأمورُ له رحىً فيه تُدَبَّرُ كلُّها وتُدارُ
والبدرُ يكملُ والمحاقُ مآلُهُ وكذا الأهِلّةُ عُقْبُها الإدبار

---

(١) نفسه ص ٥٧ ـ ٥٩.
(٢) سقط الزند ص ١٢٢.
(٣) نفسه ص ٨٩.
(٤) سقط الزند ص ٧٥.
(٥) معادن الجواهر ص ٤١٦.

أتـــرومُ مِـــن زمـــنٍ وفـــاءَ مـــرضـــيـــاً ... إنّ الـــزّمـــانَ كَـــأَهـــلـــهِ غـــدّار
تـقِـفـونَ والـفـلَـكُ الـمـسـخَّـرُ دائـرٌ ... وتُـقـدِّرون وتـضـحـكُ الأقـدار[1]

❖ **ابن طاهر**

ومن كريم القول في الحكمة، ما قاله محمد بن عبد الله بن طاهر، وهو يصدر عن تجربة، وخبرة لا يعتورها نقص:

لَعَمْرُكَ ما بِالعقلِ يُكتسبُ الغِنى ... ولا باكتِسابِ المالِ ينكسبُ العقلُ
وكم مِن قليلِ المالِ يُحمدُ فضلُه ... وآخرَ ذو مالٍ وليسَ له فضل
وما سبقتْ مِن جاهلٍ قطُّ نعمةٌ ... إلى أحدٍ إلاّ أضرَّ بها الجهل
وذو اللُّبِّ إنْ لم يُعْطَ أحمدْتَ عقلَه ... وإن هو أعطى زانَه القولُ والفعل[2]

❖ **الطغرائي (ت ٥١٣ هـ/١١١٩ م)**

من ألمع شعراء الحكمة المتأخرين في العصر العباسي مؤيد الدين أبو إسماعيل الحسين بن علي الأصبهاني، المعروف بالطغرائي، ويتميز بشعره الجيد السبك، المنسجم العبارة، وإن من أشهر ما قاله في الحكمة، قصيدته اللامية المعروفة بلامية العجم، معارضاً لامية الشنفري، إلا أن الفرق جليّ بين اللامتين، فالأولى في غاية الرقة والسهولة وشرف المعنى، والثانية في غاية الخشونة، والإغراب في المعنى واللفظ وإنا لنقتطف من لامية الطغرائي الأبيات التالية:

أصالةُ الرّأيِ صانتْني عنِ الخطلِ ... وحِلْيةُ الفضلِ زانتْني مِنَ العطَلِ
أغْدى عدوِّكَ أدنى مَنْ وثِقْتَ بهِ ... فحاذر النّاسَ واصْحبْهم على دَخَلِ
وإنّما رجلُ الدّنيا وواحدُها ... مَن لا يُعوِّلُ في الدنيا على رجلِ
أعَلِّلُ النّفسَ بالآمالِ أرقبُها ... ما أضيقَ العيشَ لولا فسحةُ الأمل
إنَّ العُلى حدَّثَتْني وهي صادقةٌ ... فيما تحدّثُ أنَّ العِزَّ في النّقلِ
أهبْتُ بِالحظِّ لو ناديت مستمعاً ... والحظُّ عنّي بِالجهّالِ في شُغُلِ
مجدي أخيراً ومجدي أوّلاً شرعٌ ... والشّمسُ رأدَ الضُحى كالشّمسِ في الطَّفَل[3]

---

(١) اللزوميات ١/ ٤٥٤. دار صادر. دار بيروت ١٩٦١ م. والمحاق: استتار الشهر في آخره.
(٢) العقد الفريد ١/ ١٧١.
(٣) تاريخ الآداب العربية ١/ ٣١٢ ـ ٣١٣. وشرع: سواء. والطفل: ميل الشمس إلى الغروب. ورأد الضحى: وقته. والدخل: المكر والاحتيال. والعطل: خلو الجيد من الحلي.

الباب الثالث

شعر الحكمة في ما

بعد العصر العباسي

❖ ابن الوردي (ت ٧٦٨ هـ/١٣٦٧ م)

(إنما من يتقي الله البطل)

من أشهر الشعر الحكمي المتأخر شعر قاله أبو حفص عمر بن مظفر، المعروف بابن الوردي، والذي عرف بلاميته الحكمية المتضمنة إرشادات ومواعظ وجوامع من الكلم متفرقة، هي جماع ما قاله الشعراء والحكماء قبله. وإنا لنقتطف منها هذه الأبيات، وهي تتميز بالسهولة، والوضوح:

إعْتَزِلْ ذِكْرَ الأغاني والْغزلْ ... وقُلِ الفصلَ وجانبْ مَن هَزَلْ
واهْجُرِ الخمرةَ إنْ كنتَ فتىً ... كيفَ يَسعى في جُنونٍ مَن عقل
واتَّقِ اللَّهَ فتقوى اللَّهِ ما ... جاورتْ قلبَ امْرِىءٍ إلاّ وصل
ليسَ مَن يقطعُ طرْقاً بَطَلاً ... إنّما منَ يتّقي اللَّهَ البطل
كُتِبَ الموتُ على الخلْقِ فكمْ ... فلَّ من جيشٍ وأفنى مِن دُوَل[1]
أينَ مَن سادوا وشادوا وبَنَوْا ... هلكَ الكلُّ ولم تُغْنِ القُلل[2]
أُطْلُبِ العلمَ ولا تكسلْ فما ... أبعدَ الخيرَ على أهلِ الكسل
لا تقلْ قد ذهبتْ أيّامُه ... كلُّ مَنِ سار على الدّربِ وصل
في ازْديادِ العلمِ إرغامُ العدى ... وجمالُ العلمِ إصلاحُ العمل
لا تقلْ أصلي وفصلي أبداً ... إنما أصلُ الفتَى ما قد حصل
إنّما الوردُ مِنَ الشَّوْكِ وما ... ينبتُ النّرجسُ إلاّ مِن بصل
قيمةُ الإنسانِ ما يحسنُه ... أكثرَ الإنسانُ منه أو أقَل
ليسَ يخلو المرءُ مِن ضِدٍّ ولو ... حاولَ العزلةَ في رأسِ جبل
بينَ تبذيرٍ وبخلٍ رتبةٌ ... وكِلا هذين إنْ زادَ قتل
دارِ جارَ السُّوءِ بالصَّبْرِ وإنْ ... لم تجدْ صبراً فما أحلى النقل
لا تلِ الأحكامَ إنْ هم سألوا ... رغبةً فيك وخالفْ مَن عذل
إنَّ نصفَ الناسِ أعداءٌ لِمَنْ ... ولِيَ الأحكامَ هذا إنْ عدل
قصِّرِ الآمالَ في الدّنيا تفزْ ... فدليلُ العقلِ تقصيرُ الأمل
غبْ وزرْ غبّاً تزدْ حباً فمن ... أكثرَ الترددَ أقصاه الملل[3]

---

(١) فلّ: هزم.
(٢) القلل: رؤوس الجبال، جمع قلّة.
(٣) غبّاً: فترة بعد فترة.

❖ الشَبراوي (ت ١٠٦٣ هـ/١٦٥٢ م)

(إذا ما سفيه)

ومن حكم المتأخرين، ما قاله جمال الدين أبو محمد عبد الله الشبراوي، العالم والأديب المصري، وشعره يتميز بالرقة والعذوبة. يقول:

إذا ما سَفِيهٌ نالَني منهُ نائلٌ ... مِنَ الذَّم لمْ يحرَجْ بِموقفِهِ صَدْري
أعودُ إلى نفسي فإنْ كانَ صادقاً ... عتبْتُ عَلى نفسي وأصلحتُ مِنْ أمري
وإلاّ فما ذَنْبي إلى النّاسِ إنْ طغى ... هواها فما ترضى بِخيرٍ ولا شرّ[1]

(وما المرء إلا صدقه ووفاؤه)

ومن حكمه، أيضاً، قوله:

ضلالٌ يرى الإنسانُ فضلاً لِنَفْسِهِ ... وساعدُهُ في المكرماتِ قصيرُ
وما المرءُ إلاّ صدقُه ووفاؤه ... وكلُّ كبيرٍ بعدَ ذاكَ صغيرُ[2]

❖ محمد الزهيري (ت ١٠٧٦ هـ/١٦٦٤ م)

(وبالله استعن في كل أمر)

ومن حكم محمد بن أبي بكر الزهري، الدمشقي، قوله واعظاً، ويغلب على حكمته التشاؤم وسوء الظن بالناس:

ألا خَلّ الأصاغرَ والأكابرْ ... خليلي ذا الزمان ولا تكابِرْ
ولا تركنْ لِذي جاهٍ وجيهٍ ... وَمَنْ بالمالِ في الدنيا يفاخرْ
ولا يغررك صدقٌ مِن صديقٍ ... ولا تظهرْ له منكَ السَّرائر
فكم قلبٍ تقلّبَ بعدَ صدقٍ ... فعادى وَهْو أدرى بالمضارِر
ولا تجزمْ بأمرٍ مِن أمورٍ ... إذا لم تحسب الْعُقْبى وشاور
وشاور عاقلاً شهماً نصوحاً ... سليمَ الفكرِ برّاً غيرَ فاجر
وحاذرْ أن تعيشَ بذلّ نفسٍ ... وهونٍ في العوالمِ لِلأصاغرْ
فموتُ الشخصِ خيرٌ مِن حياةٍ ... له فيها المذلّةُ وَهْوَ صاغر
وكنْ مستنصراً باللّهِ حقّاً ... فما خابَ الذي مولاهُ ناصر
وبِاللّهِ استعنْ في كلِّ أمرٍ ... وسَلِّمْ لِلقضاءِ ولِلأوامر[3]

---

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/ ٤٠٢. ويحرج: يضيق. والسفيه: الخفيف العقل والجاهل.
(٢) نفسه ٢/ ٤٠٢.
(٣) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي، ٣/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤، مكتبة بيروت.

❖ ابن قضيب البان (ت ١٠٦٩ هـ)

(فما كل إنسان تراه مهذباً)

ومن حكم محمد حجازي المعروف بابن قضيب البان، الفقيه الحنفي الحلبي، قوله:

ولا تستمعْ مِنْ كُلِّ خِذْنٍ وصاحبٍ ... إخاءَ فقد يُفْضي الإخاءُ إلى الزُّهْدِ
فما كلُّ إنسانٍ تَراه مهذّباً ... ولا كلُّ خلٍّ صادق الوعدِ والعهدِ
ولا كلُّ نجمٍ يُهتدى بِضيائهِ ... ولا كلُّ ماءٍ طيّبُ الطّعمِ والوِرْدِ[1]

❖ ناصيف اليازجي (ت ١٢٨٨ هـ/١٨٧١ م)

(لعمرك ليس فوق الأرض باق)

من شعراء الحكمة المتأخرين في عصر النهضة، ناصيف بن عبد الله اليازجي، الشاعر اللبناني المطبوع اللهجة، والسريع البديهة، والبديع الابتكار، ولناصيف اليازجي أبيات حكمية تتميز بالسلاسة والرقة وإن منها قوله:

لَعَمْرُكَ ليسَ فوقَ الأرضِ باقِ ... ولا مِمّا قضاهُ اللّهُ واقِ
وما لِلْمَرءِ حظٌّ غيرَ قُوتٍ ... وثوبٍ فوقَه عَقْدُ النّطاقِ
وما لِلْمَيْتِ إلاّ قيدُ باعٍ ... ولو كانتْ له أرضُ العراقِ
أضلُّ النّاسِ في الدُّنيا سبيلاً ... محبٌّ باتَ منها في وثاقِ
وأفضلُ ما اشْتغلتَ به كتابٌ ... جليلٌ نَفْعُهُ حلوُ المذاقِ
مضى ذكرُ الملوكِ بِكُلِّ عصرٍ ... وذكرُ السّوقةِ العلماءِ باقِ
إذا هلكتْ رجالُ الحيِّ أضحى ... صبُّي القومِ يحلفُ بالطّلاقِ[2]

❖ سليمان البستاني (ت ١٣٤٤ هـ/١٩٢٥ م)

(ولا يعرف الفضل إلا ذووه)

ومن غرر أقوال سليمان بن خطار البستاني، الشاعر اللبناني، في عصر النهضة ما قاله في الحكمة والوعظ والإرشاد، وهو من السهولة والوضوح بمكان. يقول سليمان البستاني:

شُؤونُ ذوي الشَّأنِ مَرْعِيّةٌ ... ولو أعلتِ الأرضُ أنذالَها
ولا يعرفُ الفضلَ إلاّ ذَوُوهُ ... فلا تبخسِ النّاسَ أعمالَها
وفي الصّدرِ فاحفظْ وعودَكَ ... دهراً أوِ اقْطعْ لسانَكَ إنْ قالَها
كفاكَ عفافٌ على عِزَّةٍ ... تؤيّدُ بالفضلِ إجلالَها

---

(١) المصدر نفسه ٤/ ١٥.

(٢) تاريخ الآداب العربية ٢/ ٣١١. وواق: حامٍ ومدافع. والسوقة: السّفلة. والنطاق: ما يشد به الوسط. والوثاق: الرباط.

ولا تَحنِ رأساً ولا تُذنِ نفساً ... تَقَطَّعُ بالذُّلِّ أوصالَها
وخلِّ الحسودَ على كيدِه ... فإنّ مِنَ النّارِ أكّالُها
إذا العِرْضُ زِينَ بطيبِ الفِعَالِ ... وسوءِ المطالبِ ما طالُها[1]

❖ فرنسيس المراش (ت ١٢٩٠ هـ/١٨٧٣ م)

(كل نفس لها سرور وحزن)

ومن شعراء الحكمة المتأخرين في عصر النهضة فرنسيس بن فتح الله المرّاش، الحلبي المولد؛ يقول فرنسيس، وهو من رائق الشعر وأسهله:

صَدِّقوني كُلُّ الأنامِ سَواءُ ... مِن ملوكٍ إلى رعاةِ البهائِمْ
كلُّ نفسٍ لها سرورٌ وحزنٌ ... لا تني في ولائمٍ أو قائمْ
كم أميرٍ في دَسْتِه باتَ يَشْقى ... بالُهُ والأسيرُ في القَيْدِ ناعم
أصغرُ الخلقِ مثلُ أكبرِها ... جرماً لهذا وذا مزايا تلائم
هذه النّملُ تستطيعُ الذي تعجزُ ... عنْ فعلِه الأُسودُ الضّياغم
والخلايا لِلنّحلِ أعجبُ صنعاً ... مِن قصورِ الملوكِ ذاتِ الدّعائم[2]

❖ إسماعيل صبري (ت ١٣٤١ هـ/١٩٢٣ م)

(إن سئمت الحياة)

ومن جيد الحكمة في العصور المتأخرة ما قاله إسماعيل صبري، الشاعر المصري، وشعره يفيض وجداناً وحكمة. يقول إسماعيل:

إنْ سئمتَ الحياةَ فَارْجِعْ إلى الأرضِ ... تَنَمْ آمناً مِنَ الأَوْصابِ
تلكَ أُمٌّ أحنى عليكَ مِنَ الأُمِّ ... التي خلّفتْكَ للأتعابِ
لا تخفْ فالممات ليسَ بِماحٍ ... منكَ إلاّ ما تشتكي مِن عذاب
كلُّ ميّتٍ باقٍ وإنْ خالفَ العنوانُ ... ما نُصَّ في غضونِ الكتاب
وحياةُ المرءِ اغترابٌ فإذا ماتَ ... فقد عادَ سالماً لِلتُّراب[3]

❖ محمود سامي البارودي (ت ١٣٢٢ هـ/١٩٠٤ م)

(والدهر كالبحر لا ينفك ذا كدر)

ومن حكم محمود سامي البارودي، الشاعر المصري، وأحد زعماء الثورة المصرية المشهورين، ما قاله، وهو يعد من غرر الشعر:

---

(١) المرجع نفسه ٢/٣٥١.
(٢) تاريخ الآداب العربية ٢/٣٢٧. والولائم، دلالة على الفرح. والمآثم، للدلالة على الحزن، وهي المناحات. والدست: صدر المجلس. والضياغم: الضراغم، وهي المفترسة.
(٣) المرجع نفسه ٢/٣٤٦.

والدّهرُ كالبحرِ لا ينفكُّ ذا كَدَرِ ... وإنّما صَفْوُهُ بَيْنَ الورى لُمَعُ
لو كانَ لِلمرْءِ فكرٌ في عواقبهِ ... ما شانَ أخلاقَه حرصٌ ولا طمع
وكيفَ يُدِكُ ما في الغيبِ مِن حَدَثٍ ... مَنْ لم يزلْ بِغرورِ العيشِ ينخدعُ
دهرٌ يغرُّ وآمالٌ تسرّ ... وأعمارٌ تمرُّ وأيّامٌ لها خَدَعُ
يسعى الفتى لِأمورٍ قد تَضُرُّ بهِ ... وليسَ يعلمُ ما يأتي وما يَدَع
يا أيُّها السّادِرُ المُزْوَرُّ مِن صَلَفٍ ... مهلاً فإنّكَ بالأيّامِ منخدع
دعْ ما يُريبُ وخذْ في ما خُلقْتَ له ... لعلَّ قلبَكَ بالإيمانِ ينتفع
إنَّ الحياةَ لَثَوْبٌ سوفَ تخلعُهُ ... وكلُّ ثوبٍ إذا ما رَثَّ ينخلع[1]

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/٤٠٩. وشان: عاب. والمزور: المائل. والصلف: الكبر.

أروع ما قيل في الزهد

الباب الأول

في ما قبل العصر العباسي

❖ عدي بن زيد

(وكذاك الدهر حالاً بعد حال)

من رائع الشعر الحكمي والزهدي معاً، وهو على قدر كبير من الجودة، والمتانة، والرقة، والسلاسة معاً، ما قاله الشاعر الجاهلي عدي بن زيد العبادي، وكان النعمان بن المنذر بن ماء السماء، ملك الحيرة قد نزل، ومعه عدي، في ظل شجرة مونقة ليلهو هناك، فقال له عدي: أيها الملك، أبيت اللعن، أتدري ما تقول هذه الشجرة؟ قال: وما الذي تقول؟ قال: تقول:

مَنْ رآنا فَلْيُحَدِّثْ نَفْسَهُ ... أَنَّهُ مُوفٍ على قرنِ زوالِ
وصُروفُ الدّهرِ لا يبقى لها ... ولما تأتي بهِ صُمُّ الجبال
رُبَّ ركْبٍ قد أناخوا حَوْلَنا ... يمزجونَ الخمرَ بالماءِ الزّلال
والأباريقُ عليها فُذُمٌ ... وجيادُ الخيلِ تَرْدي في الجلال
عمروا الدَّهْرَ بعيشٍ حَسَنٍ ... قطعوا دهرَهُمُ غيرَ عجال
ثم أضحوا عَصَفَ الدَهرُ بِهِمْ ... وكذاكَ الدهرُ حالاً بعدَ حالِ[1]

(أينَ أهل الديار)

ومن أحسن ما قاله عدي، وكان سفيان بن عيينة يستحسنه، قوله:

أينَ أهلُ الديارِ مِنْ قوم نوح ... ثم عادٌ مِن بعدِها وثمودُ
بينما هُمْ على الأسِرَةِ والأنماطِ ... أفضَتْ إلى التُرابِ الخدودُ
وصحيح أمس يعودُ مريضاً ... وهو أدنى للموتِ فمن يعودُ
ثم لم ينقضِ الحديثُ ولكنْ ... بعد ذا كلّه وذاكَ الوعيدُ[2]

(أين كسرى)

ومن رائع شعر عدي، قوله في الزهد، وفي وصف الدنيا:

أَيْنَ كِسْرى كسرى الملوكِ ... أنوشروانَ أمْ أينَ قبلَه سابورُ
وبنو الأصفرِ الكرام ملوك الرّوم ... لم يبقَ منهمُ مذكور
وأخو الحضْنِ إذْ بناه وإذا دجلةَ ... تُجبى إليه والخابورُ
شادَهُ مرمراً وجلّلَه كِلْساً ... فللطّيْرِ في ذراهُ وكور
لم يهبْه ريبُ المنونِ فبادَ ... الملكُ عنه فبابُه مهجور

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٢٩٤. مكتبة المعارف. بيروت. وموفٍ: مشرف. وصروف الدهر: حوادثه وشدائده. وصم الجبال: القوية الصلبة. والزلال: الصافي الرائق العذب. والفذم: أغطية أباريق الخمر. وتردي: تسرع.

(٢) العقد الفريد، لابن عبد ربه ١/ ٣٢٣. لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٦٥ م.

ثم صاروا كأنهم وَرَقٌ جَفَّ فألوَتْ بهِ الصَّبَا والدَّبورُ[١]

❖ جبلة بن حريث

(والدهر في كل حاليه دهارير)

ومن أروع شعر الزهد، وأرقه، وأكثره إثارة، قول جبلة بن حريث العذري مناجياً نفسه، مخاطباً قلبه:

يا قلبُ إنَّكَ في الأحياءِ مغرورُ فَاذْكُرْ وهلْ ينفعنكَ اليومَ تذكيرُ
حتّى متى أنتَ فيها مُدْنَفٌ وَلِهٌ لا يستفِزَّنْكَ منها البدرُ والحورُ
قد بُحْتَ بِالجهلِ لا تُخفيهِ عنْ أحدٍ حتى جرتْ بكَ أطلاقٌ محاضير
تريدُ أمراً فما تدري أعاجلُهُ خيرٌ لِنَفْسِكَ أمْ ما فيهِ تأخير
فَاسْتغفرِ اللَّهَ خيراً وَارْضَيَنَّ بهِ فبينما العسرُ إذْ دارتْ مياسير
وبينما المرءُ في الأحياءِ مغتبطاً إذْ صارَ في الرَّمْسِ تعفوه الأعاصير
حتى كأنْ لم يكنْ إلاّ توهُّمُهُ والدّهرُ في كلِّ حاليْهِ دهارير
يبكي الغريبُ عليه ليسَ يعرفُه وذو قرابتِه في الحيِّ مسرور
فذاكَ آخرُ عهدٍ من أخيك إذا ما ضُمِّنَتْ شِلْوَهُ اللُّحْدُ المحافير[٢]

❖ بشر بن أبي خازم

(فإنّ العزّ في الياس)

ومن زهديات بشر بن أبي خازم، قوله:

إضْرَعْ إلى اللَّهِ لا تضرعْ إلى النّاسِ وَاقْنَعْ بيأسٍ فإنَّ العِزَّ في اليأسِ
وَاسْتغْنِ عن كلِّ ذي قُرْبى وذي رحِمٍ إنَّ الغنيَّ من اسْتَغنى عن النّاسِ[٣]

(وجرى بالخير سعد)

وقريب من المعنى الأول قوله:

ليسَ يُجدي الحرصُ والسّـ ـعيُ إذا لم يكُ جدُّ
ما لِما قدْ قدَّرَ اللَّـ ـهُ مِنَ الأمرِ مَرَدُّ
قد جرى بالشَّرِّ نحسٌ وجرى بالخيرِ سعد
وجرى الناسُ على جر يهمُ قبلُ وبعدُ
أمِنوا الدّهرَ وما للـ ـدهرِ والأيامِ عهدُ
غالَهُمْ فَاضْطلمَ الجمـ ـعَ وأفنى ما أعدُّوا

---

(١) نفسه ١/ ١٢٥.
(٢) العقد الفريد ١/ ٣٢٦.
(٣) نفسه ١/ ٣٢٨.

إنّـهـا الـدُّنـيـا فـلا تـحـفـلْ بـ هـا: جَـزْرٌ ومـدّ[١]

❖ لبيد (ت ٤١ هـ)

(بلينا وما تبلى النجوم الطوالع)

ومن جيد ما قاله أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري، الشاعر الجاهلي المخضرم، أبيات زهدية حكمية رائعة ضمنها مرثاته لأخيه، ومنها قوله:

بَـلـيـنـا ومـا تَـبْـلـى الـنُّـجـومُ الـطّـوالـعُ وتـبـقـى الـجـبـالُ بـعـدَنـا والـمـصـانـعُ
ومـا الـمـرءُ إلاّ كـالـهـلالِ وضـوئِـه يـحـورُ رمـاداً بـعـدَ إذْ هـو سـاطـع
ألـيـسَ ورائـي إنْ تـراخـتْ مـنـيّـتـي لـزومُ الـعـصـا تُـحـنـى عـلـيـهـا الأصـابـع
أُخَـبِّـرُ أخـبـارَ الـقـرونِ الـتـي مـضـتْ أدبُّ كـأنّـي كـلّـمـا قـمْـتُ راكـع
فـلا تـبـعـدَنْ إنّ الـمـنـيّـة مـوعـدٌ عـلـيـنـا فـدانٍ لِـلـطُّـلـوع وطـالـع
لَـعَـمْـرُكَ مـا تـدري الـضّـوارِبُ بـالـحـصـى ولا زاجـراتُ الـطّـيـرِ مـا الـلّـهُ صـانـع[٢]

(وكل نعيم لا محالة زائل)

ومن أبيات لبيد الحكيمة، المشهورة، وفيها نلمس روح الزهد في الحياة، وهو من أصدق القول:

أَلا كُـلُّ شـيءٍ مـا خـلا الـلّـهَ بـاطـلُ وكـلُّ نـعـيـمٍ لا مـحـالـةَ زائـلُ

(وبإذن الله ريثي وعجل)

ومن جيد حكمه وزهده، قوله:

مَـن هـداهُ سُـبُـلَ الـخـيـرِ اهْـتـدى نـاعـمَ الـبـالِ وَمَـنْ شـاءَ أضـلّ
أحـمـدُ الـلّـهَ فـلا نِـدَّ لـه بـيـديـه الـخـيـرُ مـا شـاءَ فـعـل
إنَّ تَـقْـوى ربِّـنـا خـيـرُ نـفـلْ وبِـإذنِ الـلّـهِ رَيْـثـي وَعَـجَـلْ[٣]

❖ الإمام علي بن أبي طالب (ت ٤٠ هـ/٦٦١ م)

(أين الأسرة والتيجان والحلل)

الأبيات التالية، وهي تدخل في صميم شعر الزهد، وتمثل الذروة منه حكمة ومثلاً وخاطرة وعبرة، لا يعرف قائلها بالتحديد، وإن نسبت إلى الإمام علي بن أبي طالب،

---

(١) نفسه ١/٣٢٩. وغالهم: أهلكهم. واصطلم: قطع وأهلك.

(٢) ديوان لبيد ٨٩ ـ ٩٠. تحقيق إحسان عباس الكويت ١٩٦٢ م. والمصانع: المباني والدور. ويحور: يرجع. وضوارب الحصى: اللاتي يضربن الطير. وزاجراته: الصائحات بالطير لمعرفة الخير من الشر تبعاً لطيرانه يمنة أو يسرة.

(٣) رسالة الغفران، للمعري، ص ١٢٥. دار صعب. بيروت ١٩٦٨ م. والريث: المهل. والنفل: العطاء والخير. والند: النظير.

فهي موجودة في طبعات ديوانه. وإذا فاتت الإمام علياً، فإنها لم تفت أحد أبنائه وأحفاده من الأئمة الذين نسبت إلى بعضهم كالإمام الكاظم، والإمام الرضا. وفي مطلق الأحوال فإن القصيدة إن فاتت هؤلاء فقد تكون نظمت في عهد العباسيين، بعد أن أفلت زمام الخلافة من أيديهم وصارت لعبة في أيدي القواد والولاة من الأعاجم. وأياً يكن الدافع على وضعها، وأياً كان صاحبها فإننا نثبت أكبر قدر من أبياتها، نظراً إلى أهميتها، وهي التالية[١]:

باتُوا على قُلَلِ الأَجبالِ تحرسُهم ... غُلْبُ الرّجالِ فلمْ تنفعْهُمُ القُلَلُ[٢]
واستُنزلوا بعدَ عِزٍّ عنْ معاقِلِهمْ ... فأَودِعوا حُفَراً يا بئسَ ما نَزَلوا
ناداهُمُ صارخٌ مِنْ بعدِما دُفِنوا ... أينَ الأَسِرَّةُ والتّيجانُ والحُلَلُ
أينَ الوجوهُ التي كانتْ مُنَعَّمَةً ... مِن دونِها تُضْرَبُ الأستارُ والكِلَلُ[٣]
فَأَفْصَحَ القبرُ عنهمْ حينَ ساءلهم: ... تلكَ الوجوهُ عليها الدّودُ يَقْتَتِل
قدْ طالما أكلوا دهراً وما شربوا ... فأصبحوا بعدَ طولِ الأكلِ قد أُكِلوا
وطالما كنَّزوا الأموالَ وادَّخروا ... فخلّفوها على الأعداءِ وَارْتحلوا
وطالما شيّدوا دُوراً لِتَحْصِنَهم ... ففارقوا الدّورَ والأهلينَ وانْتَقلوا
أضحتْ مساكِنُهم وَحْشاً مُعَطَّلَةً ... وساكنوها إلى الأجداثِ قد رَحلوا[٤]
سلِ الخليفةَ إذ وافتْ منيَّتُه ... أينَ الجنودُ وأينَ الخيلُ والخَوَل[٥]
أينَ الكنوزُ التي كانتْ مفاتحُها ... تنوءُ بِالْعصبةِ المقوينَ لوْ حَملوا[٦]
أينَ العبيدُ الأُولى أرصدْتَهم عدداً ... أينَ العديدُ وأينَ البيْضُ والأَسَلُ[٧]
أينَ الفوارسُ والغلمانُ ما صنعوا ... أين الصّوارمُ والخِطّيَّةُ الذُّبُل
أينَ الكفاةُ ألمْ يكفوا خليفتَهُمْ ... لمّا رَأَوْه صريعاً وهْو يبتهل
أينَ الكماةُ أما حاموا أما غضِبوا ... أين الحماةُ الّتي تُحمى بها الدُّوَل[٨]
أينَ الرّماةُ ألم تمنعْ بِأَسْهُمِهِمْ ... لمّا أَتَتْكَ سِهامُ الموتِ تنتضل
هيهاتَ ما منعوا ضيْماً ولا دفعوا ... عنكَ المنيّةَ إذْ وافى بها الأجل
ما ساعدوكَ ولا واساكَ أقربُهم ... بلْ أسلموكَ لها يا بِئْسَ ما فعلوا

---

(١) ديوان الإمام علي بن أبي طالب ص ٩٧. المطبعة العلمية. القاهرة ١٣١٩ هـ.
(٢) قلل الجبال: رؤوسها. وغلب الرجال: أقوياؤهم وأشداؤهم.
(٣) الكلل، جمع كلة، وهي الستر الدقيق.
(٤) الأجداث: القبور.
(٥) الخول: الخدم.
(٦) تنوء: تعجز.
(٧) البيض: السيوف. والأسل: الرماح.
(٨) الكماة: الأبطال. والضيم: الذل.

ما بالُ قبرِكَ لا يُنثى به أحدٌ ... ولا يَطُورُ به مِنْ بَيْنِهم رجل[١]
ما بالُ قصرِكَ وحشاً لا أنيسَ به ... يغشاكَ مِن كنفيهِ الرُّوعُ والوهل
ما بالُ ذكرِكَ منسيّاً ومُطَّرَحاً ... وكلُّهم بِاقْتسامِ المالِ قد شغلوا
لا تُنكِرنَّ فما دامتْ على ملِكٍ ... إلاَّ أناخَ عليه الموتُ والوجل
وكيفَ يُرجى دوامُ العيشِ متّصلاً ... وروحُه بِجبالِ الموتِ متّصل
وجسمُه لِلُبانَاتِ الرّدى غرضٌ ... ومُلْكُهُ زائلٌ عنه ومنتقل[٢]

(لك الحمد يا ذا الجود)

ومن مأثور كلام علي بن أبي طالب في الزهد، وفي التقرب إلى الله تعالى، والشكر له، قوله:

لكَ الحمدُ يا ذا الجودِ والمجدِ والعُلى ... تباركْتَ تُعطي مَن تشاءُ وتمنعُ
إلهي وخلاّقي وحِرْزي وموئلي ... إليكَ لدى الإعسارِ واليُسرِ أفزع
إلهي لئِنْ خَيّبتني وطردْتَني ... فمن ذا الذي أرجو ومن ذا أشفّع
إلهي ترى حالي وذلّي وفاقتي ... وأنتَ مناجاتي الخفيَّة تسمع
إلهي فلا تقطعْ رجائي ولا تُزِغْ ... فؤادي فلي في بابِ جودِكَ مطمع
إلهي لئنْ عذّبتني ألفَ حجّةٍ ... فحبلُ رجائي منكَ لا يتقطّع
إلهي إذا لم تعفُ عن غير محسنٍ ... فمنْ لمُسيءٍ بِالهوى يتمتّع
إلهي لئنْ فرّطْتُ في طلبِ التُّقى ... فها أنا إثرَ العفوِ أقفو وأتبع
إلهي أقلْني عثرتي وَامْحُ حَوْبتي ... فإني مقرٌّ خائفٌ متضرّع[٣]

❖ **الحسين بن علي (ت ٦٠ هـ/٦٨٠ م)**

(فما بال متروك به الحز يبخل)

وثمة بيتان منسوبان إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، يتضمنان معنى سامياً، هو الحث على التخلي عن جمع المال، والحرص على طلبه وجمعه، وهما في غاية الروعة والجودة، والبيتان هما التاليان:

إذا كانتِ الأرزاقُ قسماً مُقدَّراً ... فقِلَّةُ حِرْصِ المرءِ في الكسبِ أجملُ
ولو كانتِ الأموالُ لِلتَّرْكِ جَمْعُها ... فما بالُ متروكٍ بهِ الحرُّ يَبْخَلُ

---

(١) ينثى: يعلم. ويطور: يطوف.
(٢) اللبانات: الأغراض. والردى: الهلاك.
(٣) تاريخ الآداب العربية ١/ ١٦١. رشيد يوسف عطا الله. ط ١. دار عز الدين. بيروت ١٩٨٥ م. والحوبة: الذنب.

❖ أبو الأسود (ت ٦٩ هـ/٦٨٨ م)

(فادع الإله وأحسن الأعمالا)

ولأبي الأسود الدؤلي، ظالم بن عمرو، واضع علم النحو المشهور، أبيات في العزوف عن الدنيا، وفي الزهد والقناعة، وهي تتميز بالسهولة والسلاسة:

وإذا طلبْتَ مِنَ الحوائِجِ حاجةً ... فَادْعُ الإلٰه وأَحْسِنِ الأعمالا
فَلَيُعْطِيَنَّكَ ما أرادَ بِقدرةٍ ... فهْو اللطيفُ لما أرادَ فعالا
وَدَعِ العبادَ ولا تكنْ بِطلابِهم ... لَهِجاً تَضَعْضَعُ لِلعبادِ سُؤالا
إنَّ العبادَ وشأنَهم وأمورَهم ... بيدِ الإلٰهِ يقلِّبُ الأحوالا[1]

(فسيكفيك مسيئاً عمله)

ومن جيد قول أبي الأسود وبليغه:

أيُّها الآملُ ما ليسَ لهُ ... رُبَّما غَرَّ سفيهاً أَمَلُهْ
رُبَّ مَن ماتَ يُمنّي نفسَهُ ... حالَ مِن دونِ مناهُ أَجَلُهْ
والفتى المحتالُ في ما نابَه ... ربَّما ضاقتْ عليه حِيَلُهْ
قلْ لمنْ قد ماتَ في أشعارِه ... يهلكُ المرءُ ويبقى مَثَلُهْ
نافسِ المحسَنَ في إحسانِه ... فَسَيَكْفيكَ مسيئاً عملُهْ[2]

❖ شبيب بن البرصاء

(وإني لترّاك الضغينة)

ومن جيد ما قاله شبيب بن البرصاء الشاعر الإسلامي الأموي:

وإني لَتَرّاكُ الضَّغينةِ قدْ بدا ... ثراها مِنَ المولى فلا أَسْتَثيرُها
مخافةَ أنْ تجني عليّ وإنّما ... يَهيجُ كبيراتِ الأمورِ صغيرُها
فلا خيرَ في العيدانِ إلاّ صِلابُها ... ولا ناهضاتِ الطّيرِ إلاّ صقورُها[3]

❖ سعدون المجنون

(يا خاطب الدنيا)

ومن المجانين الذين كانوا عقلاء، وما هم بمجانين، سعدون المجنون، العالم والزاهد البصري؛ وله شعر في الحكمة والزهد لا يخلو من طرافة وجدة، وإن منه ذاك

---

(١) الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني ١/١٠٨. ط بولاق وط دار الكتب. وتضعضع: تذل.
(٢) العقد الفريد ١/ ٣٢٥.
(٣) ديوان الحماسة، لأبي تمام ٢/٧٠٦. ط ١. دار القلم. بيروت. والضغينة: الذل. وناهضات الطير: الباسطة أجنحتها.

الذي يذم به الدنيا، داعياً إلى التزود بالتقوى والعمل الصالح. يقول سعدون، وهو من أسهل القول:

يا خاطب الدّنيا إلى نَفسي ... إنَّ لها في كلِّ يومٍ خليلْ
ما أقبحَ الدّنيا بِخُطّابِها ... تقتلُهم عمداً قتيلاً قتيلْ
تستنكحُ البعلَ وقد وُطّئَتْ ... في موضعٍ آخرَ منه البديل
إنّي لَمُغْتَرٌّ وإنَّ البِلى ... يعملُ في نَفسي قليلاً قليل
تزوّدوا لِلموتِ زاداً فقدْ ... نادى مُناديهِ الرّحيلَ الرحيلْ[1]

(كذاك الدهر يبكيكا)

ومن جيد شعره الزهدي، ذاك الذي يخاطب به الرشيد، واعظاً ومحذّراً، وكان الرشيد قد خرج من مكة في موكب مهيب:

هَبِ الدُّنيا تُواتيكا ... أليسَ الموتَ يأتيكا
فما تصنعُ بالدّنيا ... وظِلُّ الميلِ يَكْفيكا
ألا يا طالبَ الدّنيا ... دعِ الدنيا لِشانيكا
كما أضحكَكَ الدّهرُ ... كذاكَ الدهرُ يُبْكيكا[2]

❖ **حميد بن ثور**

(فلا تأمنن بيات المنون)

ومن الشعر الزهدي الذي قاله حميد بن ثور الهلالي، الشاعر الإسلامي، والصحابي، مرشداً الإنسان إلى المصير المحتوم، قوله:

فلا تَأْمَنَنَّ بياتَ المنونِ ... وكنْ حذِراً حدَّ أظفارِها
فإنَّ المنيَّةَ ما أَسْأَرَتْ ... مِنَ القومِ عادتْ لإسآرِها[3]

❖ **ميسون بنت بحدل**

(ولبس عباءة وتقر عيني)

ومن ألطف ما قيل في الزهد في الحياة، والعزوف عن مباهجها، شعر قالته ميسون بنت بحدل الكلبية، وكان معاوية بن أبي سفيان تزوجها وحملها إلى دمشق، فحنّت إلى البادية، التي نشأت فيها فقالت هذه الأبيات السهلة ذات المسحة الزهدية. وهي التالية:

لَبَيْتٌ تَخْفِقُ الأرواحُ فيهِ ... أَحَبُّ إليَّ مِن قصرٍ مُنيفِ

---

(١) شعر الزهد في القرنين الثاني والثالث، لعلي عطوي. ص ٢٢٨. المكتب الإسلامي. بيروت ١٩٨١ م.
(٢) نفسه ص ١٨٣.
(٣) حميد بن ثور الهلالي: حياته وشعره، لرضوان النجار. ص ١٧٥. رسالة ماجستير ١٩٧٨ م.

ولبسُ عباءةٍ وتقرَّ عيني ... أحبُّ إليَّ مِن لبسِ الشَّفوفِ
وأصواتُ الرّياحِ بكلِّ فجٍّ ... أحبّ إليَّ مِن نقرِ الدُّفوف
وأكلُ كُسَيْرةٍ في كسرِ بيتي ... أحبُّ إليّ مِن أكلِ الرغيف
وخرقٌ مِن بني عمّي نحيفٌ ... أحبُّ إليَّ مِن عِلْجٍ عليفِ[1]

❖ مالك بن دينار

(تفانوا جميعاً)

ومن ألطف المعاني الزهدية، في أرق الشعر وأجزله معاً، ما قاله مالك بن دينار، مولى بن أسامة بن لؤي، وكان زاهداً ورعاً، ومن رجال الحديث. يقول مالك:

أتيتُ القبورَ فناديتُهنَّ ... أينَ المعظَّمُ والمحتَقرْ
وأينَ المذلُّ بسلطانِه ... وأينَ المزكّى إذا ما افْتَخَرْ
تفانَوْا جميعاً فما مُخبرٌ ... وماتوا جميعاً وماتَ الخبَرْ
تروحُ وتغدو بناتُ الثرى ... وتُمحى محاسنُ تلكَ الصُّوَر
فيا سائِلي عنْ أُناسٍ مضوا ... أمالَكَ في ما تَرى مُعْتَبَرْ[2]

❖ الطرماح (ت ١٢٥ هـ/٧٤٣ م)

(عجباً ما عجبت)

ومن الشعراء الوعاظ الحاثين على الزهد في متاع الدنيا، والداعين إلى التمسك بحبل الله، وإلى العمل بالتقوى، الطرماح بن حكيم، أحد شعراء الخوارج. يقول الطرماح:

كلُّ حيٍّ مستكملٌ عدّةَ ... العمرِ ومودٍ إذا انقضى عددُهْ
عجباً ما عجبْتُ مِن جامعِ المالِ ... يُباهي بهِ ويرتفدُه
ويضيعُ الذي يصيّرُهُ اللّهُ ... إليه فليسَ يعتقده
يومَ لا ينفعُ المخولَ ... ذا الثروةِ خِلّانُه ولا ولده
ثم يُؤتى بهِ وخصماه ... وسطَ السّجنِ والإنسُ رجلُه ويده
خاشعِ الطّرفِ ليسَ ينفعُه ... ثَمَّ أمانيهِ ولا لَدَدُهْ[3]

❖ الفرزدق (ت ١١٠ هـ/٧٢٩ م)

(أخاف وراء القبر)

والفرزدق على الرغم من فاحش هجائه، وخبث لسانه، فإنه نسك في أواخر حياته،

---

(١) تاريخ الآداب العربية ص ٣٤. والأرواح، في البيت الأول، الرياح، ومنيف: عال. والشفوف: ما رقّ من الثياب. والعلج: الضخم. والعليف: السمين. وهنا تشير إلى معاوية.
(٢) عيون الأخبار، لابن قتيبة ٢/ ٣٣. المؤسسة المصرية للطباعة والنشر.
(٣) شعر الزهد، ص ١١٨.

ومما قاله في النسك والزهد، مصوراً هول يوم الحساب والقيامة:

أخافُ وراءَ القبرِ إنْ لم يُعافِني ... أشدَّ منَ القبرِ التهاباً وأَضْيَقا
إذا قادني يومَ القيامةِ قائدٌ ... عنيفٌ وسوّاقٌ يسوقُ الفرزدقا
لقد خابَ مِن أولاد آدمَ من مشى ... إلى النّارِ مغلولَ القِلادةِ موثقا
إذا شربوا فيها الحميمَ رأيْتَهم ... يذوبونَ مِن حرِّ الحميمِ تَمَزُّقا[1]

❖ عبد الله بن معاوية (ت ١٣١ هـ/٧٤٩ م)

(ما نالني من غنى)

من الشعراء الذين ثابوا إلى رشدهم من بعد غيّ ولهو، الشاعر الأموي، عبد الله بن معاوية، من كرام بني هاشم وأجوادهم. ولقد صوّر في شعره شيئاً من الندامة على ما فات من عمره في معصية الله، كما ضمنه ملامح من الوعظ والزهد والإرشاد والتوكل على الله والرضى بالقليل من الرزق الذي كتب للمرء، وأنى يفوته، أو يدرك دون ما قسم له، وحول هذا المبحث الأخير يقول عبد الله:

قَدْ يُرْزَقُ المرءُ لا مِن فضلِ حيلتِه ... ويُصْرَفُ الرّزقُ عنْ ذي الحيلةِ الدّاهي
ما نالني مِن غِنىً يوماً ولا عدم ... إلاّ وقولي عليه الْحمدُ لِلّهِ[2]

(ولكن سلّ الله من فضله)

ومن مواعظه التي تدور حول المعنى السابق، قوله:

ألا تزعِ القلبَ عنْ جهلِهِ ... وعمّا تُؤَنِّبُ مِنْ أجلِهِ
فأُبدِلَ بعدَ الصِّبا حلمهُ ... وأَقصرَ ذو العذْلِ عن عذلِه
ولا تُتبعِ الطّرفَ ما لا تنالُ ... ولكنْ سلِ اللّهَ مِن فضلِهِ
فكمْ مِن مُقِلٍّ ينالُ الغِنى ... ويُحمدُ في رزقِه كلِّهِ[3]

(الموت هول داخل)

وأمام هول الموت، وصروف الدهر يقف الشاعر متأملاً متسائلاً فيقول:

يا قومُ كيفَ سواغُ عيشٍ ... ليسَ تُؤمَنُ ناجعاتُهْ
ليستْ تزالُ مطلّةً ... تغدو عليكَ مُنَغِّصاتُه
الموتُ هولٌ داخلٌ ... يوماً على كرْهٍ أتاتُهُ
لا بدَّ للحذرِ النّفورِ ... من أنْ تُقَنِّصَهُ رُماتُه[4]

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٧١.
(٢) العقد الفريد ٢/ ١٨٣، والعدم: الفقر.
(٣) الأغاني ١١/ ٧٨. وتزع: تردع. والحلم، العقل، خلاف الجهل، والعذل: اللوم.
(٤) المصدر نفسه ٣/ ٢١٣. والحذر النفور: الأسد الهصور.

الباب الثاني

في العصر العباسي

❖ ربيعة الرّقي

(فإن المنيّة من خلفه)

ومن الشعر الزهدي الهادىء النبرة، اللين العبارة، ما قاله ربيعة بن ثابت الأنصاري، وكان يسكن الرقة، وهو من شعراء العصر العباسي الأول؛ يقول ربيعة ناصحاً وواعظاً:

ولا تسألِ النّاسَ ما يملكونَ ... ولكنْ سَلِ اللّهَ وَاسْتَكْفِهِ
ولا تخضعَنَّ إلى سفلةٍ ... وإنْ كانتِ الأَرضُ في كَفِّهِ
فإنَّ اللّئيمَ وإنْ خِلْتَهُ ... كريماً يذودُكَ عن عُرْفِه
ويرجع محصولُ أخلاقِه ... إلى أصلِهِ وإلى صنفِه
وكلّ مُقِلٌّ وذي ثروةٍ ... فإنَّ المنيّةَ مِن خَلْفِه[1]

❖ القاسم بن إبراهيم

(إنما الدنيا متاع زائل)

ومن أسلس الشعر الزهدي، وأسهله مأخذاً، وأغناه معنى، ما وعظ به الناس القاسم ابن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أخو محمد بن إبراهيم، الذي خرج في عهد المنصور؛ يقول القاسم:

أيُّها الطّالبُ أَجْمِلْ وَاقْتَصِدْ ... وأَرِحْ نفسَكَ مِن جهدٍ وكدّ
لا يزيدُ الحرصُ مِن رزقٍ ولا ... يُنقصُ الإخمالُ مِن رزق أحدْ
فَاتَّعِظ واسْمحْ لما أنتَ له ... وتزوَّدْ زادَكَ اليومَ لِغَدْ
إنّما الدنيا متاعٌ زائلٌ ... عن قليلٍ وإلى اللّهِ المردْ[2]

❖ القاسم بن صبيح

(فإنك مجزي بما أنت صانع)

ويقول القاسم بن صبيح في المعنى نفسه:

سَأَطْلُبُ بالإجمالِ ما أنا طالبٌ ... وإنّي إذا ما ضاقَ رزقٌ لَقَانِعُ
وإنّي لأَسْتَغْني فما أبطرُ الْغِنى ... وما المالُ إلاّ عارضٌ ووداِئع
ألا أيُّها اللاّهي وقد شابَ رأسُه ... أَلَمَا يَزِعْكَ الشّيْبُ والشّيبُ وازع
ترحَّلْ مِنَ الدُّنيا بِزادٍ مِنَ التُّقى ... فإنّكَ مَجْزِيٌّ بِما أنتَ صانع[3]

---

(١) محاضرات الأدباء، للراغب الأصبهاني ١/ ١٧١. دار مكتبة الحياة. بيروت ١٩٦١ م. والسفلة: الرعاع. والعرف: المعروف. تحقيق هوارت دن. ط بغداد وبيروت.
(٢) أخبار الشعراء، أو كتاب الأوراق، للصولي ص ١٩٦.
(٣) المصدر نفسه ص ١٨٥. وبالإجمال: بالرفق والإقتصاد. وأبطر: أكفر.

❖ صالح بن عبد القدوس

(وأتى المشيب فأين منه المهرب)

ومن الشعراء الذين اتهموا بالزندقة، وأسلسوا لشهواتهم القياد، ثم ما لبثوا أن تابوا إلى ربهم، مخلفين شعراً في الزهد والتوبة والموعظة، صالح بن عبد القدوس، أحد موالي الأزد، في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية؛ يقول صالح من شعر له. في غاية الجودة والفصاحة والسلاسة:

دَعْ هذه الدُّنْيا عداكَ زمانُه ... وَازْهَدْ فعُمرك مَرَّ مِنْهُ الأَطْيَبُ
ذهبَ الشَّبابُ فما لهُ مِنْ عودةٍ ... وأتى المشيبُ فأينَ منه المهربُ
وغرورُ دنياكَ التي لا تسعى لها ... دارٌ حقيقتُها متاعٌ يذهب
تبّاً لِدارٍ لا يدومُ نعيمُها ... ومشيُدها عمّا قليلٍ يخرب
فعليكَ تقوى اللّهِ فَالْزَمْها تَفُزْ ... إنَّ التَقِيَّ هو البهيُّ الأهيب
وَاعْملْ بطاعتهِ تَنَلْ فيه الرّضا ... إنَّ المطيعَ له لديْهِ مقرَّب
وَاقْنعْ ففي بعضِ القناعةِ راحةٌ ... واليأسُ عمّا فاتَ فهو المطلبُ[1]

(فبلاؤه حسن جميل)

ومن شعر ابن عبد القدوس الزهدي، شعره الآخر ويتميز بالسهولة والرشاقة، وفيه يقول:

اللّهُ أحمدُ شاكراً ... فبلاؤه حسنٌ جميلُ
أصبحْتُ مستوراً مُعافى ... بينَ أَنْعُجِهِ أجولُ
خلْواً مِنَ الإِخْوانِ خفُّ ... الظَّهْرِ يُقنعُني القليل
سيّانَ عندي ذو الْغِنى ... المتلافُ وَالْمُثْري البخيل
ونفيتُ باليأسِ المنى ... عنّي فطابَ ليَ القليل
والنّاسُ كلُّهُمُ لِمَنْ ... خفَّتْ مؤونتُه خليل[2]

(بلوت أمور الناس)

ومن بديع زهدياته وحكمه قوله:

بلوْتُ أمورَ الناسِ سبعينَ حجَّةً ... ولابسْتُ صرفَ الدَّهرِ في العُسْرِ واليُسْرِ
فلم أرَ بعدَ الدينِ خيراً مِنَ الْغِنى ... ولم أرَ بعدَ الكفرِ شرّاً مِنَ الْفقرِ[3]

---

(١) شعر الزهد ص ٢٨٦.
(٢) المرجع نفسه ص ٢٨٧.
(٣) معادن الجواهر ونزهة الخواطر، للسيد محسن الأمين ص ٤٢٤. بيروت ١٤٠١ هـ.

❖ محمد الباهلي

(والشيب للجهل حرب)

ومن الشعراء الذين تابوا إلى ربهم وزهدوا في الحياة الدنيا من بعد ما قضوا حياة عامرة باللهو، محمد بن حازم الباهلي، الشاعر العباسي الذي دخل يوماً على إبراهيم بن المهدي، فناشده، وآكله، ولما حضر الشراب سأله إبراهيم أن يشرب فأبى، ثم قال من جيد الشعر الزهدي وأسلسه:

أَبَعْدَ خمسينَ أَصْبو ... والشَّيْبُ لِلجهلِ حَرْبُ
سِنٌّ وشَيْبٌ وجهلٌ ... أمرٌ لَعَمْرُكَ صعبُ
آليْتُ أشربُ كأساً ... ما حجَّ لِلَّهِ ركْبُ[1]

❖ العلوي البصري

(قتلت الناس إشفاقاً)

ومن الأبيات الدالة على التألّه، وفيها من روح الزهد والندامة ما نسب إلى العلوي البصري من قول هو التالي:

قتلتُ الناسَ إشفاقاً ... على نَفْسِيَ كيْ تبقى
وحزتُ المالَ بالسّيفِ ... لكيْ أنعمَ لا أشقى
فمنْ أبصرَ مثوايَ ... فلا يظلِمْ إذاً خَلْقا
فوا وَيْلي إذا ما مُتُّ ... عندَ اللَّهِ ما ألقى
أخلداً في جِوارِ اللَّهِ ... أم في نارِه أُلقى[2]

❖ صوت

(ومضى بفضل قضائه أمس)

وقال أصبغ بن الفرج: كان بنجران عابد يصيح في كل يوم صيحتين بهذين البيتين:

قطعَ البقاءَ مطالِعُ الشّمسِ ... وغُدُوُّها مِن حيثُ لا تُمْسي
وطلوعُها حمراءَ قانيةً ... وغروبُها صفراءَ كالْوَرْسِ
اليومَ يُخبرُ ما يجيءُ بهِ ... ومضى بفضلِ قضائِه أمسِ[3]

---

(١) الأغاني ١٢/ ١٦٤.
(٢) رسالة الغفران ص ٢٢٦.
(٣) العقد الفريد ١/ ٣٢٢. والورس: الزعفران.

❖ **محمد بن يسير**

(أي صفو إلاّ إلى تكدير)

ومن أصفى الشعر الزهدي، وهو لا يخلو من الحكمة والمثل، والطرافة والجدّة، وهو في غاية الرقة والسلاسة، والجودة ما قاله الشاعر العباسي المجدّد، محمد بن يسير الرياشي، وكأنما هو ينعي نفسه قبل الموت. يقول:

أيُّ صَفْوٍ إلاّ إلى تكديرِ ... ونعيمٍ إلاّ إلى تغييرِ
وسرورٍ ولذّةٍ وحبورٍ ... ليسَ رهناً لنا بيومٍ عسيرِ
عَجَباً لي ومِن رضائِي بِدُنْيا ... أنا فيها على شَفاً تغريرِ
عالمٌ لا أشكُّ أنّي إلى اللهِ ... إذا متُّ أو عذابِ السّعيرِ
ثُمَّ ألهو ولستُ أدري إلى ... أيِّهما بعدَه يصيرُ مصيري
أيُّ يومٍ عليَّ أفْظَعُ مِن يومٍ ... بهِ تُبرزُ النُّعاةُ سريري
كلّما مُرَّ بي على أهلِ نادٍ ... كنتُ حيناً بِهِمْ كثيرَ المرور
قِيلَ مَن ذا على سريرِ المنايا ... قيلَ هذا محمّدُ بنُ يسيرِ[1]

(ويل لمن لم يرحم الله)

ويتمثل خوف ابن يسير من مواجهة الموت، بل من مواجهة ما بعد الموت، بقوله الذي يتحسر فيه على الأيام التي قضاها في غير جنب الله، فيقول نادماً متحسراً:

وَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَرْحَمِ اللّهُ ... وَمَنْ تكونُ النارُ مَثْواهُ
يا حسرتي في كلِ يومٍ مضى ... يذكرُني الموتُ وأنساه
مَنْ طال في الدنيا بهِ عمرُهُ ... وعاشَ فالموتُ قُصاراه
كأنّهُ قد قيلَ في مجلسٍ ... قد كنتُ آتيهِ وأغشاه
وسارعَ الْيُسري إلى ربِّهِ ... يرحمُنا اللّهُ وإيّاهُ[2]

❖ **سفيان الثوري (ت ١٦١ هـ)**

(وذخره الله العلي الكبير)

من ألمع رجال الحديث والتصوف في المائة الثانية من الهجرة، أبو عبيدة سفيان بن سعيد الثوري الذي دعا إلى تعزيز الثقة بالله، والاعتماد عليه، وأن يفوّض له الأمر، بصدق، وبقناعة الزاهدين، وصبر التائبين. يقول سفيان ناصحاً وواعظاً:

إنْ كنتَ ترجو اللّهَ فَاقْنَعْ بهِ ... فَعِندَهُ الفضلُ الكثيرُ البشيرْ

---

(١) الكامل في اللغة ١/ ٢٤٢. ورهناً: وقفاً. وشفا: حافة. والتغرير: الخداع. وسريري: كناية عن النعش. والمنايا، جمع منية، الموت. وعسير: شديد. والحبور: الفرحة والبهجة.
(٢) الأغاني ١٢/ ١٣٧. ومثواه: مقرّة. وقصاراه: غايته. وأغشى: آتي.

مَـــن ذا الـــذي تـــلـــزمُـــه فـــاقـــةٌ وذُخْـرُهُ الـلّـهُ الـعـلـيُّ الـكـبـيـرْ[١]

(إذا أنت لم ترحل بزاد)

كما يقول ثانية:

إذا أنْـتَ لـم تـرحـلْ بِـزادٍ مِـنَ الـتُّـقـى ولاقَـيْـتَ بـعـدَ الـمـوتِ مَـن قـد تَـزَوَّدا
نَـدِمْـتَ عـلـى أنْ لا تـكـون كَـمـثـلِـهِ وأنّـكَ لـم تـرصـدْ لِـمـا كـانَ أرْصـدا[٢]

❖ الفضيل بن عياض (ت ١٨٧ هـ)

(وبعد الثمانين ما ينتظر)

ومن أرق الشعر الزهدي، وألصقه بالنفس، وأصدقه، ما عبّر به عن نفسه الفضيل بن عياض، المروزي اليربوعي، وكان محدثاً وزاهداً؛ يقول الفضيل الذي بلغ الثمانين أو كاد:

بـلـغْـتُ الـثّـمـانـيـنَ أوْجُـزْتُـهـا فـمـاذا أُؤَمِّـلُ أوْ أنْـتَـظِـرْ
أتـى لـي ثـمـانـونَ مِـن مـولِـدي وبـعـدَ الـثـمـانـيـنِ مـا يُـنْـتَـظَـرْ
عَـلَـتْـنـي الـسّـنـونَ فَـأبْـلَـيْـتَـنـي فـرقَّـتْ عِـظـامـي وكَـلَّ الـبـصـرْ[٣]

❖ بشار بن برد (ت ١٦٨ هـ/٧٨٤ م)

(كيف يبكي لمحبس في طلول)

ومن الشعراء الذين انصرفوا إلى اللذائذ ولهو العيش، وما لبثوا أن تابعوا إلى ربهم، وعادوا عن غيّهم، بشار بن برد، الشاعر العباسي المجدد، وكان أعمى.

ويتميز شعره بالجدة والطرافة والعمق والابتكار. يقول بشار ذاكراً هول المحشر، ويدخل شعره في الزهد. ولا يخلو من نزعة تأملية:

كـيْـفَ يَـبْـكـي لِـمَـحْـبِـسٍ فـي طُـلـولِ مَـنْ سـيـقـضـي بِـحـبـسِ يـومٍ طـويـلِ
إنَّ فـي الـبـعـثِ والـحـسـابِ لـشـغـلاً عـنْ وقـوفٍ بِـرسـمِ دارٍ مـحـيـلِ[٤]

(وليس لأيام المنون خليل)

وقال في موضع آخر، ويدخل في المعنى نفسه تقريباً، وهو من جيد الشعر، وأفصحه:

---

(١) شعر الزاهد ص ١٠٧. والفاقة: الفقر.
(٢) نفسه ص ١٠٨.
(٣) شعر الزهد ص ١١١. ويقال إن الشطر الثاني من البيت الأخير، أتمه علي بن خشرم، وكان حاضراً لما قال الفضيل: (علتني السنون فأبليتني)، فخنقته العبرة، ولم يستطع إتمام الكلام.
(٤) البيان والتبيين، للجاحظ ٣/ ١٦٤. دار صعب، بيروت ١٩٦٨ م.

بـذَا لـيَ أنَّ الـدَّهْـرَ يـقـدحُ فـي الـصَّـفـا ... وأنَّ بـقـائـي إنْ حـيـيـتُ قـلـيـلُ
فـعِشْ خـائـفـاً لِـلـمـوتِ أو غـيـرَ خـائـفٍ ... عـلـى كـلِّ نـفـسٍ لِـلْـحِـمـامِ دلـيـلُ
خـلـيـلُـكَ مـا قـدْمـتَ مِـن عـمـلِ الـتّـقـى ... ولـيـسَ لِأيّـامِ الـمـنـونِ خـلَـيـلُ[1]

(ويوم الحزن منه طويل)

ويقول أيضاً، وهو من جيد شعره في الزهد:

لَـعَـلَّـكَ تـرجـو أنْ تـعـيـشَ مـخـلّـداً ... أبـى ذاكَ شُـبّـانٌ لـنـا وكُـهـولُ
ولِـلـدّهـرِ أيّـامٌ قِـصـارٌ إذا سـرَتْ ... بـخـيـرٍ ويـومُ الـحـزْنِ مـنـهُ طـويـلُ[2]

(وسعى ساع وأخطأ في الرجا)

ومنه أيضاً قوله الآخر الرائع:

مـا أراكَ الـدّهـرَ إلاّ شـاخـصـاً ... دائـبَ الـرّحـلـةِ فـي غـيـرِ عَـنـا
فـدعِ الـدُّنـيـا وعِـشْ فـي ظِـلِّـهـا ... طـلـبَ الـدنـيـا مـنَ الـدّاءِ الْـقِـيـا
ربّـمـا جـاءَ مـقـيـمـاً رزقُـهُ ... وسعى ساعٍ وَأَخْطَى في الرَّجا[3]

❖ الحسين بن مطير (ت ١٦٩ هـ/٧٨٥ م)

(فما لك نفسي بعدها تستعيرها)

ومن الشعر الغني بالحكمة والموعظة والكلمة الطيبة، ما قاله الشاعر الأموي العباسي، الحسين بن مطير مولى بني أسد بن خزيمة، يقول ابن مطير، وهو من جيد الشعر وأفصحه:

ومـا الـجـودُ مِـن فـقـرِ الـرّجـالِ ولا الـغِـنـى ... ولـكـنّ ذا خِـيـمٌ الـرّجـالِ وخِـيـرُهـا
فـكـمْ طـامـعٍ فـي حـاجـةٍ لـنْ يـنـالَـهـا ... وكـم يـائـسٍ مـنـهـا أتـاهُ بـشـيـرُهـا
ونـفـسَـكَ أكـرِمْ عـن أمـورٍ كـثـيـرةٍ ... فـمـا لَـكَ نـفْـسٌ بـعـدَهـا تـسـتـعـيـرُهـا
فـمـنْ يَـتَّـبِـعْ مـا يُـعـجـبُ الـنـفـسَ لـم يـزلْ ... مُـطـيـعـاً لـهـا فـي فـعـلِ شـيءٍ يـضـيـرُهـا
ولا تـقـربِ الأمْـرَ الـحـرامَ فـإنّـه ... حـلاوتُـه تـفـنـى ويـبـقـى مـريـرَهـا
ولا تُـلْـهِـكَ الـدنـيـا عـن الـحـقِّ واعْـتـمِـدْ ... لِآخـرةٍ لا بـدَّ أنْ سـتـصـيـرَهـا[4]

❖ أحدهم

(ولعلَ صهرك صاحب البيت)

ومن جيد ما قال أحدهم في وصف الدنيا، وفي الموت الذي لا بد منه، قوله:

---

(١) زهر الآداب، للحصري ٢/ ٤٢٤. دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٣ م.
(٢) البيان والتبيين ٣/ ٤٧٤.
(٣) ديوان بشار ٤/ ١٥٣. لجنة التأليف والترجمة. تونس ١٩٥٧ م.
(٤) شعر الزهد ص ٦٢٧. والخيم: الطبع والأصل. والخير: الشرف والأصل. ومريرها: مرارتها.

زيّنتَ بيتَكَ جاهلاً وعمرْتَهُ ... ولعلَّ صهرَكَ صاحبُ البيتِ
من كانت الأيّامُ سائرةً بهِ ... فكأنّه قد حَلَّ بالموْتِ
والمرءُ مرتهَنٌ بِسوفَ وليتني ... وهلاكُهُ في السّوفِ واللّيْت
لِلّهِ إنَّ فتىً تدبَّرَ أمرَه ... فَغَدا وَرَاحَ مبادرَ الموتِ[1]

❖ الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ/٧٨٦ م)

(كن كيف شئت)

للخليل بن أحمد الفراهيدي، مؤسس علم العروض، وأحد أبرز المفلقين من العلماء في عصره، أشعار تنم عن نفس شفافة، زاهدة، وهي خلاصة لتجاربه في الحياة، ومن هذا القبيل، قوله:

كُنْ كيفَ شِئْتَ فَقَضْرُكَ الْموتُ ... لا مُزْحَلٌ عنهُ ولا فَوْتُ
بينا غِنىً بيتٍ وبهجتُهُ ... زالَ الغِنَى وتقوَّضَ البيتُ[2]

(وما هي إلاّ ليلة ثم يومها)

ومنه أيضاً قوله:

وما هي إلاّ ليلةٌ ثمّ يومُها ... وحَوْلٌ إلى حولٍ وشهرٌ إلى شهرِ
مطايا يُقَرِّبْنَ الجديدَ إلى البِلى ... ويُدْنِينَ أشلاءَ الكرامِ إلى القبرِ
ويتركْنَ أزواجَ الغيورِ لِغيرِه ... ويقسمْنَ ما يحوي الشّحيحُ مِنَ الْوَفْرِ[3]

(فإن الذي هو آتٍ قريب)

ومنه، أيضاً، قوله:

وقبلَكَ داوى الطبيبُ المريضَ ... فعاشَ المريضُ وماتَ الطّبيبُ
فكُنْ مستعدّاً لِدارِ الفناءِ ... فإنَّ الذي هو آتٍ قريبُ[4]

(وإذا افتقرت إلى الذخائر)

وثمة بيت ينسب إلى الخليل، وهو في الغاية من البلاغة والحكمة والتوجيه للتزود بالعمل الصالح، وهو التالي:

وإذا افْتَقَرْتَ إلى الذّخائرِ لم تَجِدْ ... ذُخْراً يكونُ كصالحِ الأعمالِ[5]

---

(١) العقد الفريد ١/ ٣٢٢.
(٢) عيون الأخبار، لابن قتيبة ٢/ ٣٠٤. والمزحل: الزوال، والتباعد. وتقوّض: تهدم.
(٣) وفيات الأعيان ٥/ ٢٠٩ ـ ٢١٠. والأشلاء: القطع. والشحيح: البخيل.
(٤) المصدر نفسه ٥/ ٢١٠.
(٥) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٢٤١.

❖ العتابي

(إن القنوع الغنى لا كثرة المال)

للعتابي، واسمه كلثوم بن عمرو، من شعراء الدولة العباسية، زمن الرشيد والمأمون، شعر يتميز بالطبيعة والعفوية، وحسن التصرف بالكلام، وإن منه ذلك الذي يتسم بالحكمة والزهد، لجهة الحث على التخلي عن الطمع، والاكتفاء بالقليل. يقول العتابي:

حَتّى متى أنا في حِلٍّ وتَرْحالِ ... وطولِ شُغْلٍ بإِدْبارٍ وإِقبالِ
بِمشْرِقِ الأرضِ طوراً ثم مغربِها ... لا يخطرُ الموتُ مِن حرْصٍ على بالي
ونازحِ الدّارِ ما أنفكُّ مغتربِاً ... عنِ الأَحبّةِ ما يَدْرون ما حالي
ولو قَنعْتُ أتاني الرّزقُ في دَعَةٍ ... إنَّ القنوعَ الغِنى لا كثرةُ المالِ[1]

(ذريني تجئني منيتي مطمئنة)

ولقد عاتبته امرأته مرة على ترك السعي إلى العمل، والاكتفاء بالقليل، خلافاً لما فعله منصور النمري الذي اقتنى الضياع ونبى الدور، وجمع النساء. يقول العتابي متحدثاً عن زوجته:

تلومُ على تَرْكِ الغِنى باهليّةٌ ... طوى الدّهرُ عنها كلَّ طِرفٍ وتالدِ
ذَريني تجئْني مُنْيَتي مطمئنّةً ... ولم أتقحَّمْ هولَ تلكَ الموارِدِ
فإنَّ كريماتِ المعالي مشوبةٌ ... بِمُستودعاتٍ في بطونِ الأساوِدِ[2]

(وليأتين عليك)

ومن لطيف شعر العتابي الزهدي، قوله:

الْمرءُ يجمعُ ما لَه مُسْتهتراً ... فرحاً وليسَ بآكلٍ ما يجمعُ
وَلَيأْتِيَنَّ عليكَ يومٌ مرّةً ... يُنكى عليكَ مقنّعاً لا تسمعُ[3]

❖ ابن المبارك (ت ١٨١ هـ)

(ما ليس يبقى فلا والله ما اتّزنا)

ومن الزهاد الذي يشار إليهم بالبنان، وحفظ التاريخ لهم أسمى معاني القدر والاحترام، عبد الله بن المبارك، أحد أشهر الفقهاء والعلماء في عصره، عنيت العصر

---

(١) العقد الفريد ٣/ ٢٠٩. ونازح الدار: البعيد عنها.
(٢) عيون الأخبار ١/ ٢٣٢. والباهلية: المنسوبة إلى باهلة، القبيلة العربية المعروفة. والطرف: الحديث من المال. والتالد: القديم، والأساود: الحيات جمع أسود.
(٣) العقد الفريد ٣/ ٢٩٧. والمستهتر بالشيء: المولع به. وينكى: ينقلب عليك.

العباسي الأول، وأحد ألمع زهاد عصره، إطلاقاً، وإن من شعره الزهدي، ذاك الذي كان يخاطب نفسه به في كل مرة يخرج فيها إلى الحج. يقول ابن المبارك:

بُغْضُ الحياةِ وخوْفُ اللّهِ أَخْرجني ... وبيعُ نفسي بما ليستْ له ثمنا
إنّي وزنْتُ الذي يبقى لِيعدِلَه ... ما ليسَ يبقى فلا واللّهِ ما اتَّزَنا[1]

(فاستغن بالدّين عن دنيا الملوك)

وإن من شعره الزهدي الآخر، وفيه يتعجب ابن المبارك من الذين يسعون لدنياهم، فقصروا في ذات الله، وطمعوا بما عند الناس من ملوك وغير ملوك. يقول في هذا المعنى:

أَرى أُناساً بِأَدْنى الدّينِ قد قنعوا ... ولا أراهمْ رَضُوا بِالعيشِ بالدُّونِ
فَاسْتَغْنِ بالدّينِ عن دُنْيا الملوكِ كما ... اسْتَغْنى الملوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدّينِ[2]

(يحصده الموت كلما طلعا)

وثمة أبيات قالها ابن المبارك يدعو فيها طالب العلم والناس جميعاً، إلى مبادرة الزهد والورع، وهجر النوم والشبع. يقول:

يا طالبَ العلمِ بادرِ الْوَرَعا ... وهاجرِ النَّوْمَ وَاهْجُرِ الشَّبَعا
يا أَيُّها النّاسُ أَنْتُم عُشُب ... يحصدُهُ الموتُ كُلَّما طلعا[3]

(فلم يبق للأيام كهل ولا فتى)

ومن رائع شعر الزهد الذي جادت به قريحة ابن المبارك، قوله:

ألا قِفْ بِدارِ المترفين وقُلْ لهمْ ... ألا أينَ أربابُ المدائنِ والْقُرى
وأينَ الملوكُ النّاعمون بغبطةٍ ... ومَنْ عانقَ الْبِيضَ الرَّعابيبَ كَالدُّمى
فلو نطقَتْ دارٌ لَقالَتْ ديارُهُمْ ... لكَ الخيرُ صاروا لِلتُّرابِ ولِلْبِلى
وأفناهُمُ كَرُّ النّهارِ وليله ... فلم يبقَ لِلأيّامِ كهلٌ ولا فتى[4]

(فطوبى لعبد شغله بك دائماً)

ومن الشعر الزهدي المنسوب إلى عبد الله بن المبارك، ويغلب عليه طابع التصوف، قوله:

وكلُّ اجْتهادٍ في سواكَ مضيَّعٌ ... وكلُّ كلامٍ لا بِذكرِكَ آفاتُ

---

(١) شعر الزهد ص ٩١.
(٢) المرجع نفسه ص ٩٢.
(٣) شعر الزهد ص ١١٠.
(٤) مجلة معهد المخطوطات العربية، ص ٣١٣. ج ١. مجلد ٢٨. ١٩٨٤ م. والرعابيب، جمع رعبوبة، وهي الشابة الناعمة.

وكلُّ اشتغالٍ لا بِحُبِّكَ باطلٌ ... وكلُّ سماعٍ لا لِقولِكَ زلاّت
وكلُّ اجتماعٍ لا إليكَ ضلالةٌ ... وجدٌّ وسعيٌ لا إليكَ بطالات
وكلُّ وقوفٍ لا لِبابِكَ خيبةٌ ... وكلُّ عكوف لا إليكَ جنايات
وكلّ رجاءٍ دونَ فضلكَ آيسٌ ... وكلُّ حديثٍ عن سواكَ خطيئات
وأنتَ حراءُ الحبِّ والغيرُ باطلٌ ... فطُوبى لِعبدٍ ناله منكَ أوقات
فيا ويلَ قلبٍ لم تكنْ فيه ساكناً ... ويا فوزَ قلبٍ فيه منكَ مودّات
فطوبى لعبدٍ شغلُه بكَ دائماً ... كحالِ مُحِبٍّ أدركتْهُ العنايات
وسحقاً لِمطرودٍ عنِ البابِ مبعداً ... وليس له إلاّ التّشاغلُ همّات
على نفسِه فَلْيَبْكِ مَنْ فاته الهدى ... وليس له عزمٌ إليكَ ونيّات[1]

(إن السفينة لا تجري على اليبس)

وثمة بيتان من الشعر الزهدي، يتّسمان بالرقة، وينسبان إلى ابن المبارك، وهما التاليان:

ما بال دينكَ ترض أنْ تُدَنِّسَهُ ... وثوبكَ الدّهرَ مغسولٌ مِنَ الدَّنَس
ترجو النّجاةَ ولم تسلكْ طريقتَها ... إنَّ السّفينةَ لا تجري على اليبسِ[2]

❖ **ريحانة**

(من كان راكب يوم)

ومن شعراء الحكمة والزهد، والتصوف، تلك المعروفة باسم ريحانة، وكان لقيها إبراهيم بن الأدهم، الصوفي المعروف، فذاكرها شيئاً من أمر الآخرة فأنشأت تقول:

مَنْ كانَ راكبَ يوم ليسَ يَأمنُهُ ... وليلة تائهاً في عقْبِ دنياهُ
فكيفَ يلتذُّ عيشاً لا يَطيبُ له ... وكيفَ تعرفُ طعمَ الغمْضِ عيناه[3]

❖ **ميمونة**

(دنيا غرارات)

ومنهن أيضاً، تلك المسماة ميمونة السوداء، التي لقيها عبد الله بن المبارك، فطلب أن تعظه، فقالت:

دُنْيا غرارات فذرْها ... فإنّها مركبٌ جموحُ
دونَ بلوغِ الجهولِ منها ... منيةُ نفسِه تطوحُ

---

(١) المرجع نفسه ص ٣٢٠ ـ ٣٢١.
(٢) المرجع نفسه ص ٣١٨.
(٣) شعر الزهد ص ١٨٧.

لا تركبِ الشَّرَّ فَاجْتَنِبْهُ فإنّه فاحشٌ قبيحُ
والخيرُ فاقدمْ عليهِ جهراً فإنّه واسعٌ فسيحُ[١]

(كذاك من مسكنه القبر)

ومن رائع شعرها الزهدي قولها:

ولَيسَ لِلْمَيِّتِ في قَبْرِه فِطْرٌ ولا أَضْحى ولا عشرُ
باتَ مِنَ الأَهْلِ على قُرْبِه كذاكَ مَنْ مسكنُه القبرُ[٢]

❖ **الغزال**

(يرمي التراب ويحثوه على خدي)

ومن جيد ما قال الغزال في الشعر الزهدي:

أصبحتُ وَاللّهِ مجهوداً على مَلَلِ مِنَ الحياةِ فصبري غيرُ مُمْتَدِّ
وما أفارقُ يوماً مَنْ أفارقُه إلاّ حسبْتُ فراقي آخر العهد
أُنْظرْ إليَّ إذا أُدرجْتُ في كفني وانظرْ إليَّ إذا أدرجْتُ في لحدي
وَاقْعُدْ قليلاً وعايِنْ مَن يُقيمُ معي مِمَّنْ يُشَيِّعُ نعشي مِن ذوي وُدّي
هيهاتِ كلُّهمُ في شأنِه لعبٌ يرمي التّرابَ ويحثوه على خدّي[٣]

❖ **البهلول (ت ١٩٠ هـ)**

(وفي العيش فلا تطمع)

ثمة اسم من أسماء المجانين، لمع في عهد الرشيد، الخليفة العباسي، وما كان مجنوناً، لكنه تظاهر بذلك تقيةً، وإن كان به جنون حقاً، فهو جنون الحبّ الإلهي، وشدة مخافته الله سبحانه وتعالى، فلا عجب أن نجد كلام هذا المجنون، بهلول بن عمرو، وكنيته أبو وهيب الصيرفي الكوفي.. أقول لا عجب أن نجد في كلام أبي وهيب، وفي شعره خاصة، الكثير من المعاني الحكمية والزهدية القائمة على الوعظ والإرشاد، والاكتفاء بالقليل من المتاع، وإن من هذا الشعر، على سبيل المثال، قوله:

دَعِ الْحِرْصَ على الدُّنيا وفي العيشِ فَلا تَطْمَعْ
ولَا تَجمعْ مِنَ الْمالِ فلا تَدْري لِمَنْ تجمعْ
فإنَّ الرِّزقَ مقسومٌ وسوء الظَّنِّ لا ينفعْ
فقيرٌ كلُّ ذي حرصٍ غنيٌّ كلُّ مَنْ يقنعْ[٤]

---

(١) نفسه ١٩١.
(٢) نفسه ١٩٣.
(٣) العقد الفريد ١/ ٣٢٥.
(٤) شعر الزهد ١٧٨ ـ ١٧٩. وينسب هذا الشعر لأبي نواس أيضاً. أنظر المحاسن والأضداد ص ١٠٢.

(ويحثو التّرب هذا ثم هذا)

ومن جيد قوله الزهدي، وبليغ معناه، ما قاله مخاطباً الرشيد:

وَهَبْ أنْ قدْ ملكْتَ الأرضَ طُرّاً ... ودانَ لكَ البلادُ فكانَ ماذا
أليسَ غداً مصيرُكَ جوفَ تُرْبٍ ... ويحثو التّرْبَ هذا ثمّ هذا[1]

(تقول لله ماذا حين تلقاه)

ومن أشعاره الزهدية قوله:

يا مَنْ تمتَّعَ بالدّنيا وزينتها ... ولا تنامُ عنِ اللّذّاتِ عَيْناهُ
شغلْتَ نفسَكَ في ما لستَ تذكرُه ... تقولُ لِلّهِ ماذا حينَ تلقاهُ[2]

❖ أبو نواس (ت ١٩٨ هـ/٨١٠ م)

(يا نواسي تفكّر)

من أعجب العجب في شعر أبي نواس، الشاعر اللاهي والماجن، والفاتك، وزعيم الخمرة في الشعر العربي، أن نجد فيه نمطاً آخر يحاكي به كبار شعراء الزهد والموعظة والتوبة النصوح إلى الله. ونحن أمام هذه النماذج الرقيقة البالغة الروعة من زهديات أبي نواس، لا يسعنا إلاّ أن نصدق توبته، فنذوب إعجاباً بهذا الشعر الزهدي البالغ الجودة، ومنه قوله مناجياً:

يا نواسيُّ تَفَكَّرْ ... وَتَجَمَّلْ وَتَصَبَّرْ
ساءَكَ الدّهرُ بِشيءٍ ... ولِما سَرَّكَ أكثرْ
يا كبيرَ الذّنبِ عفوُ اللّهِ ... مِنْ ذنبِكَ أكبر
أكبرُ الأشياءِ عَنْ ... أصغرِ عفوِ اللّهِ أكبر
ليسَ لِلإنسانِ إلاّ ... مَا قَضى اللّهُ وَقَدَّر
ليسَ لِلمخلوقِ تدبيرٌ ... بلِ اللّهُ المُدَبِّر[3]

(يا سوأتي فما اكتسبت)

ومن بديع شعر أبي نواس الزهدي، ما قاله وقد تصور نفسه مسجى على فراش الموت، تقلّبه الأيدي، ثم هو يغسل ويحنّط ويكفّن، ثم يحمل على سرير الموت، ثم يبعث يوم القيامة، وقد فرّط في حق الله أيّما تفريط. يقول النواسي نادماً ومناجياً نفسه، وهو من رائع الشعر السهل الممتنع:

يا لَيْتَ شِعْري كيفَ أنتَ على ... ظَهْرِ السّريرِ وأنتَ لا تَدْري

---

(١) نفسه ص ١٧٩. ودان: خضع وذلّ. ويحثو: يلقي ويهيل.
(٢) نفسه ص ١٧٩.
(٣) ديوان أبي نواس. ص ٦٢٠. تحقيق أحمد الغزالي. دار الكتاب العربي. بيروت.

يا ليتَ شعري كيفَ أنتَ إذا غُسِّلْتَ بالكافورِ والسِّدْر
يا ليتَ شِعري كيفَ أنتَ إذا وُضِعَ الحسابُ صبيحةَ الْحَشْر
ما حُجّتي في ما أتيتُ وما قولي لِرَبّي بلْ وما عُذْري
يا سَوْأَتي ممّا اكْتسبْتُ ويا أَسَفي على ما فاتَ مِن عمري[1]

(كأنك لا تظن الموت حقاً)

ومن رائع زهديات أبي نواس، قوله المتضمن بديع الحكمة، ولطيف المعنى، ورفيع الأدب التوجيهي، والإرشاد الديني، وكأنما هو ليس أبا نواس الذي نعرف، زندقة ومجوناً وتهتكاً. يقول أبو نواس:

أخي ما بالُ قلبِكَ ليسَ يَنْقى كأنَّكَ لا تَظُنُّ الموتَ حَقّا
ألا يَا ابْنَ الذينَ فَنَوْا وبادُوا أما واللّهِ ما بَادوا لِتَبْقى
وما لَكَ فَاعْلمَنْ فيها مقامٌ إذا اسْتكملْتَ آجالاً ورزقا
وما لكَ غيرُ ما قدّمْتَ زادٌ إذا جُعِلَتْ إلى اللّهَواتِ تَرْقى
وما أحدٌ بِزادِكَ منكَ أحظى وما أحدٌ بِذَنْبِكَ مِنْكَ أَشْقى[2]

(يا سائل الله فزت بالظفر)

وإن من هذا الشعر الزهدي الوجداني الرائع قوله، وهو يفيض حكمة وموعظة وإيماناً:

يا سائلَ اللّهِ فُزْتَ بِالظَّفَرِ وبِالنَّوالِ الْهَنِيِّ لا الْكَدِرِ
فَارْغَبْ إلى اللّهِ لا إلى بشَرٍ منتقلٍ في الْبِلى وفي الغِيَرِ
وَارْغبْ إلى اللّهِ لا إلى جسدٍ منتقلٍ مِنْ صِباً إلى كِبَر
إنّ الذي لا يُخيبُ سائلَهُ جَوْهرُهُ غيرُ جوْهرِ البشرِ
مالكَ بالتُّرّهاتِ مشتغلاً أفي يَدَيْكَ الأمانُ مِنَ سَقَر[3]

(وأراني أموت عضواً فعضوا)

ومن زهديات أبي نواس، وفيها ذكر لأهوال الموت والاحتضار، متأسفاً على ما فات من عمره في معصية الله تعالى، قوله:

شاعَ فِيَّ الفناءُ عُلْواً وسُفْلاً وأراني أموتُ عضواً فعضوا

---

(١) المصدر نفسه، ص ٦١٠. والسرير: النعش. والسدر: الحنوط يحنط به الميت. والحشر: يوم البعث.
(٢) شعر الزهد ص ٢٩٥. وبادوا: فنوا. واللهوات، جمع لهاة، وهي في أعلى الحلق. وهنا إشارة إلى نزاع الروح ساعة الموت.
(٣) نفسه ص ٢٩٨. وسقر: النار. والترهات: سفاسف الأمور التافهة. والغير: الأحداث والخطوب. والظفر: الفوز.

ذهبتْ جِدّتي بِطاعةِ نفسي وتذكّرتُ طاعةَ اللّهِ نِضوا[١]

(وفي العيش فلا تطمع)

ومن رائع زهد أبي نواس قوله:

دَعِ الْحرصَ على الدّنيا وفي العيشِ فَلا تَطْمَعْ
ولا تجمعْ لكَ المالَ فما تدري لِمَنْ تجمعْ
ولا تدري أفي أرضِكَ أم في غيرِها تَضْرَعْ[٢]

(للّه درُّ الشيب من واعظ)

ومن شعر أبي نواس الحكمي الزهدي قوله، وهو من بليغ القول وأعمقه:

أَيَّةَ نارٍ قَدَحَ الْقادِحُ وأيَّ جِدٍّ بلغَ الْمازحُ
لِلّهِ درُّ الشّيبِ مِن واعظٍ وناصحٍ لو حظيَ النّاصح
يأبى الْفتى إلاّ اتّباعَ الهوى ومنهجُ الحقِّ لهُ واضح
فَاسْمُ بِعَيْنَيْكَ إلى نسوةٍ مهورُهُنَّ الْعَملُ الصّالح
لا يجتلي العذراءَ مِن خِدرِها إلاّ امْرؤٌ ميزانُه راجح
مَنِ اتّقى اللّهَ فذاكَ الذي سِيقَ إليه المتجرُ الرّابح[٣]

(وبتقواه تمسك)

ومن شعره الزهدي السهل الممتنع قوله:

كُنْ مَعَ اللّهِ يَكُنْ لَكْ وَاتّقِ اللّهَ لَعَلَّكْ
لا تكنْ إلاّ معدّاً لِلْمنايا فكأنّكْ
إنَّ لِلموتِ لَسَهماً واقعاً دونَكَ أوْ بِكْ
نحن نجري في أفانينِ سُكونٍ وتَحرُّكْ
فَعَلى اللّهِ توكّلْ وبِتَقْواهُ تَمَسَّكْ[٤]

(لبّيك قد لبيت لك)

وما أرقّ هذه التلبية الشعرية الرقيقة التي لا تقال إلاّ في موسم الحج، ولا تصدر إلا عن نفس شفّها الحزن والندم على المعصية؛ يقول أبو نواس، من شعر ينضح بالتوبة والغفران:

إلهَنا ما أعْدَلَكْ مليكَ كُلِّ مَنْ مَلَكْ

---

(١) البيان والتبيين ٣/ ٤٧٧. والنضو: المهزول والمجهد.
(٢) المحاسن والأضداد، للجاحظ، ص ١٠٢. دار صعب. بيروت ١٩٦٩ م.
(٣) البيان والتبيين ٣/ ٤٨٥.
(٤) المصدر نفسه ٣/ ٤٨٥.

لَبَّيْكَ قد لَبَّيْتُ لَكْ لبّيكَ إنَّ الحمدَ لَكْ
والملكَ لا شريكَ لكْ
ما خابَ عبدٌ أَمَّلَكْ أنتَ لَه حيثُ سَلَكْ
لولاكَ يا ربِّ هلكْ لبّيكَ إنّ الحمدَ لكْ
والملكَ لا شريكَ لكْ
كلُّ نبيٍّ ومَلَكْ وكلُّ مَنْ أهلَّ لكْ
وكلُّ عبدٍ سألكْ سبَّحَ أو لبّى مَلَكْ
لبيكَ إنّ الحمدَ لكْ والملكَ لا شريكَ لكْ
يا خاطئاً ما أغفلَكْ إعْمَلْ وبادرْ أَجَلَكْ
وَاخْتُمْ بخيرٍ عَمَلَكْ لبّيك إنَّ الحمدَ لكْ
والملكَ لا شريكَ لكْ

(سبحان علاّم الغيوب)

ومن أروع ما قاله أبو نواس في التوبة والزهد والانقطاع إلى الله والندامة على الذنب، قوله مناجياً النفس:

سبحانَ علاّمِ الغُيوبِ عجباً لِتَصْريفِ الخطوبِ
تغدو على قَطْفِ النّفوسِ وتجتني ثمرَ القلوبِ
يا نفسُ توبي قبلَ أنْ لا تستطيعي أنْ تتوبي
وَاسْتغفري لِذنوبِكِ الرّحمٰنَ غفّارَ الذُّنوب
إنَّ الحوادثَ كالرّياحِ عليكِ دائمةُ الهبوب
والموتُ شرعٌ واحدٌ والخلْقُ مختلفو الضُّروب
والسَّعْيُ في طلبِ التُّقى مِن خيرِ مكسبةِ الكَسوب
ولقلّما ينجو الفتى بتقاهُ مِن لطخِ العيوبِ[1]

❖ **علي الرّضا (ت ٢٠٢ هـ)**

(واشكر لمولاك على نعمته)

ومن الأدب الوعظي، ذي النفحة الإيمانية الزهدية، ما ينسب إلى الإمام علي بن موسى الرضا (ع). يقول علي مزهداً بالدنيا، محذراً من زخرفها، حاثاً على التمسك بالخير والصبر، والتعلق بأهداب الفضيلة والتقوى:

لا تحرصَنْ فالحرصُ يُزري بالفتى ويُذْهِبُ الرَّوْنقَ عن بهجتِه

(١) الديوان ص ١٠٠.

والحظ لا تجلُبُهُ حِيلةٌ ... كيفَ يخافُ المرءُ مِن فَقْرتِه
ما فاتكَ اليومَ سيأتي غداً ... ما في الذي قُدِّرَ مِن حيلتِه
والرّزقُ مضمونٌ على واحدٍ ... مفاتحُ الأشياءِ في قَبْضتِه
قد يُرزقُ العاجزُ مَعْ عجزِهِ ... ويُحرمُ الكَيِّسُ معْ فِطْنتِه
لا تنهرِ المسكينَ يوماً أتى ... فقد نهاكَ اللّهُ عن نهرتِه
إنْ عضَّكَ الدّهرُ فكنْ صابراً ... على الذي فاتكَ من عضتِه
أوْ مسَّكَ الضّرُّ فلا تشتكي ... إلاّ لِمَنْ تطمعُ في رحمتِه
وَاقْنعْ بما أعطاكَ مِن فضلِهِ ... واشكرْ لِمولاكَ على نعمتِه[1]

❖ صوت

(وإنّ امرءاً)

ومما حدث به الأصمعي قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: بينا أنا أدور في بعض البراري، إذا أنا بصوت يقول: . . ولما سأل عن الصوت أصوت إنسي أم جنّي؟ لم يجبه، فنقش الشعر على خاتمه. والصوت الذي سمعه هو التالي:

وَإنَّ امْرَأً دُنْياهُ أكثرُ همِّهِ ... لَمُسْتَمْسِكٌ مِنْهَا بِحَبْلِ غُرورِ[2]

❖ أبو العتاهية (ت ٢١١ هـ/٨٢٦ م)

(لا فخر إلاّ فخر أهل التّقى)

من أشهر شعراء الزهد والحكمة في الأدب العربي، أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم العنزي المعروف بأبي العتاهية، وهو أحد أبرز شعراء العصر العباسي، انقطع إلى الزهد في أواخر حياته، وأكثر من ذكر القبر واللحد، وذكر الموت، والبعث والوعد والوعيد. ومن رائع شعره الزهدي الحكمي قوله متعجباً، ومنبهاً، ومحذراً من الغفلة والفخر والكبرياء، وشعره من أسهل الشعر، وأوضحه معنى ودلالة، وأقربه تناولاً:

يا عجباً لِلنّاسِ لو فكّروا ... وحاسبوا أنْفُسَهُمْ أبصروا
وعبروا الدُّنْيا إلى غيرِها ... فإنّها الدُّنْيا لهمْ مَعْبَر
الخيرُ مِمّا ليسَ يَخْفى هو ... المعروفُ والشّرُّ هو المُنْكَر
والموعدُ الموتُ وما بعدَهُ ... الْحشرُ فذاكَ الموعِدُ الأكبر
لا فخرَ إلاّ فخرُ أهلِ التُّقى ... غداً إذا ضَمَّهُمُ الْمَحْشَر

---

(١) جواهر الأدب. ص ٤٣٢. والمولى: السيد. ومسّك: أصابك. وعضك الدهر: أزرى بك وأساءك. وتنهر: تزجر. والكيّس: العاقل الذكي. والفقرة، واحدة الفقر، مصدر النوع. أو المرة. والرونق: ماء الشباب ونضارته.

(٢) المحاسن والأضداد ص ١٠٢.

لَيَعْلَمَنَّ النَّاسُ أنَّ التُّقى ... والبرَّ كانا خيرَ ما يُذْخر
عجبتُ لِلإنسانِ في فخرِهِ ... وهْو غداً في قبرِهِ يُقْبَر
ما بالُ مَن أوَّلُه نُطْفةٌ ... وجيفةٌ آخرهُ يَفْخَر
أصبحَ لا يملِكُ تقديمَ ما ... يرجو ولا تأخيرَ ما يحذر
وأصبحَ الأمرُ إلى غيرِهِ ... في كلِّ ما يقضى وما يُقْدَر[1]

(يدعوك ربك عنده فتجيب)

ويعجب أبو العتاهية للذين يشغلون بإحصاء العيوب على الناس، وهم غافلون عن عيوبهم، وعن الموت الذي لا محالة هو آتٍ. يقول أبو العتاهية:

يا مَنْ يَعيبُ وَعَيْبُهُ مُتَشَعِّبٌ ... كمْ فيكَ مِنْ عيبٍ وأنتَ تَعيبُ
لِلَّهِ دِرُّكَ كيفَ أنتَ وغايةٌ ... يَدْعوكَ ربُّكَ عندَهُ فتُجيبُ[2]

(كلنا يكثر الملامة)

ومن بديع قوله في وصف الدنيا:

كُلُّنا يُكْثِرُ الملامةَ لِلدُّنيا ... وكلٌّ بحُبِّها مفتونُ
والمقاديرُ لا تناولُها الأوهامُ ... لُطْفاً ولا تراها العيونُ
ويمرُّ الفتى وفي كلِّ يومٍ ... حركاتٌ كأنَّهنَّ سكونُ[3]

(والفقر عين الفقر في الأموال)

ومن جيد الشعر الزهدي، وأرقه، لأبي العتاهية، قوله مخاطباً الدنيا، داعياً إلى الأخذ بالبساطة، والرضا بالقناعة والكفاف:

ما أنتِ يا دُنيا بِدارِ إقامةٍ ... ما زلْتِ يا دنيا كَفَيْءِ ظِلالِ
غرسَ التَخَلُّصُ منكِ بينَ جوانحي ... شجرَ القناعةِ والقناعةُ مالي
لمّا حصلْتُ على القناعةِ لم أزلْ ... ملِكاً يرى الإكثارَ كالإقلال
لمّا حصلْتُ على القناعةِ لم أزلْ ... والفقرُ عين الفقر في الأموال
ما اغتاضَ باذلُ وجهِهِ ولسانِه ... عِوَضاً ولو نالَ الغِنى بِسؤال[4]

(حتى متى يستفزني الطمع)

وقريب من المعنى السابق قوله أيضاً:

حَتّى مَتى يَستَفِزُّني الطَّمَعُ ... أليسَ لي بالكفافِ مُتَّسَعُ

---

(١) الكامل في اللغة ١/ ٢٣٩. ويؤخر: يحفظ ذخراً. وانظر: الديوان ١٥١ ـ ١٥٢.
(٢) نفسه ١/ ٢٣٨.
(٣) العقد الفريد ١/ ٣١٢.
(٤) ديوان أبي العتاهية، ص ٣١١. دار صادر ـ دار بيروت، ١٩٦٥ م.

ما أفضلَ الصَّبْرَ والقناعةَ ... للنّاسِ جميعاً لو أنَّهم قنِعوا
وأخدعَ اللَّيلِ والنّهارِ لأقوامٍ ... أراهم في الغيِّ قد رقعوا
لِلَّهِ درُّ الدُّنيا فقدْ لعبتْ ... قبلي بقومٍ فما ترى صنعوا
وكان ما قدَّموا لأنفسِهِمْ ... أعظمَ نفعاً مِنَ الّذي ودعوا[1]

(وعلى نفسه بغى كل باغ)

وقريب منه كذلك، وقوله:

أيُّ عَيْشٍ يكونُ أبلغَ مِنْ عيشٍ ... كفاف قوتٍ بقدرْ الْبَلاغ
صاحبُ البَغْي ليسَ يسلمُ مِنْهُ ... وعلى نفسِهِ بَغى كلُّ باغ
رُبَّ ذي نعمةٍ تعرّضَ منها ... حائلٌ بينَه وبينَ المساغ
أبلغَ الدّهرُ في مواعظهِ بل ... زاد فيهنَّ لي على الإبلاغ
غيّبتْني الأيّامُ عقلي ومالي ... وشبابي وصِحَّتي وفراغي[2]

(وابتغينا من المعاش فضولاً)

ومن جيد زهديات أبي العتاهية، قوله داعياً إلى القناعة والرضى بالقليل:

وَابْتَغَيْنَا مِنَ الْمَعاشِ فُضولاً ... لَوْ قَنِعْنا بِدونِها لاكْتَفَيْنَا
ولَعَمْري لَنَمْضِيَنَّ وَلاَ نَمْضِي بشيءٍ ... مِنْها إذا ما مَضَيْنا
عَجَباً لامْرِىءٍ تيقّنَ أنَّ الموتَ ... حقٌّ فَقَرَّ بالْعيشِ عَيْنَا[3]

(قد أورثت حزناً طويلاً)

ودعوة أبي العتاهية إلى القناعة، والاكتفاء من الدنيا بالقليل، تستدعي منه ذمّ الحرص والجشع والطمع والبخل، والإقبال على الدنيا، والاستسلام للشهوات، وغير ذلك من الصفات المذمومة التي تطبع محبّ الدنيا بطابعها المميز، ومن هذا الشعر المتضمن لما ذهبنا إليه، قوله:

الحرصُ داءٌ قد أضرَّ ... بِمَنْ تَرى إلاّ قليلاً
كم مِنْ عزيزٍ قد رأيْتَ ... الحرصَ صيَّرَهُ ذليلا
فَتَجَنَّبِ الشّهواتِ وَاحْذرْ ... أنْ تكونَ لها فتيلا
فلَرُبَّ شهوةِ ساعةٍ ... قدْ أورثَتْ حُزْناً طويلا[4]

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٣٠.
(٢) الأغاني ٣/ ١٤٥.
(٣) الديوان ص ٢٣١.
(٤) نفسه ص ١٨٩.

(خليليّ ما أكفى اليسير)

ومن جيد زهديات أبي العتاهية، قوله:

طلبْتُ الغِنى في كلِّ وَجْهٍ فلم أجِدْ ... سبيلَ الغِنى إلاّ سبيلَ التعفُّفِ
خليليَّ ما أكفى اليسيرُ مِنَ الّذي ... نحاولُ إنْ كُنّا بما كَفى نَكْتَفي[1]

(وأنت الدهر لا ترضى بحال)

وقوله الآخر:

متى تُمْسي وتصبحُ مستريحاً ... وأنتَ الدّهرَ لا تَرْضى بحالِ
وقد يجري قليلُ المالِ مجرى ... كثيرِ المالِ في سدِّ الخِلال
إذا كانَ القليلُ يسدُّ فقري ... ولم أجدِ الْكثيرَ فلا أُبالي[2]

(يا خاطب الدنيا)

ومن رائق شعر أبي العتاهية الزهدي قوله يصف الدنيا وغرورها:

يا خاطبَ الدّنيا إلى نفسها ... تَنَحَّ عنْ خطبتِها تَسْلَم
إنّ التي تخطبُ غرّارةٌ ... سريعةُ العرسِ مِنَ الْمأتم[3]

(سبحان ذي الملكوت)

ومنه أيضاً، قوله مستفظعاً هول الموقف وفراق الحياة:

سبحانَ ذي الملكوتِ أيّةُ ليلةٍ ... مخضتْ بوجهِ صباحِ يومِ الموقفِ
لو أنَّ عيناً وهمّتْها نفيُها ... ما في الفراقِ مُصَوَّراً لم تطرِف[4]

(ليس زاداً سوى التّقى)

ومن أسهل زهدياته وأبلغها دلالة، قوله:

أُذُنَ حَيٍّ تَسَمَّعي ... وَاسْمعي ثمّ عِي وعي
عشْتُ تسعينَ حجّةً ... ثم وافيتُ مضجعي
أنا رَهْنٌ لِمَضْرَعي ... فَاحْذري مثل مَصرعي
ليسَ زاداً سِوى التّقى ... فَخُذي مِنْهُ أوْ دعي[5]

---

(١) الديوان ص ٢٤٠.
(٢) نفسه ٣٢٦.
(٣) البيان والتبيين ٣/ ٤٧٦.
(٤) نفسه ٣/ ٤٧٦.
(٥) البيان والتبيين ٣/ ٤٧٨. وعي: الأمر من وعي، للمؤنث.

(آخر هذا كلّه الموت)

ومن النسق عينه، قوله:

إِسْمَعْ فقد أَسْمَعَكَ الصَّوْتُ ... إنْ لم تُبادرْ فَهُوَ الْفَوْتُ
نَلْ كلَّ ما شِئْتَ وعِشْ سالماً ... آخرُ هذا كلِّهِ الموتُ[1]

(والتفّت الساق منه بالساق)

ومن شعره الزهدي ويبدو أثر القرآن الكريم فيه، قوله:

لَوْ أَنَّ عَبْداً لهُ خزائِنُ ما في ... الأرضِ ما عاشَ خَوْفَ إملاقِ
يا عَجَباً كُلُّنا يحيدُ عنِ ... الحَيْنِ وكلٌّ لِحينهِ لاقِ
كأنَّ حيّاً قدْ قامَ نادِبُه ... والْتَفَّتِ السّاقُ منهُ بِالسّاقِ
واستلَّ منه حياتَه مَلَكُ الْموتِ ... خفيّاً وقيلَ مَن راقِ[2]

(وما الموت إلا رحلة)

ومن أروع ما قال في الموت:

وما الموتُ إلاّ رحلةٌ غيرَ أنّه ... مِنَ الْمنزلِ الفاني إلى المنزلِ الباقي[3]

(ونلعب والدهر لا يلعب)

ومن رائع الشعر الزهدي قول أبي العتاهية:

أَنَلْهو وأيّامُنا تَذْهَبُ ... ونلعبُ والدّهرُ لا يلعبُ
أيلهو ويلعبُ مَنْ نفسُه ... تموتُ ومَنْ بيتُه يخرب
تَرى صُوَرَ اللّهوِ مسموحةً ... ولكنْ لها رونقٌ مُذْهَب
سيصدُقُ مَن ماتَ في هجْرِهِ ... وقد كانَ في وصلهِ يكذبُ[4]

(فعاش المريض ومات الطبيب)

ومن رائع زهده قوله:

نعى عندَ ظلِّ الشّبابِ المشيبُ ... ونادتْكَ بِاسْمِ سواكَ الخطوبُ
فكُنْ مستعداً لِداعي المنونِ ... فكلُّ الذي هو آتٍ قريبُ
وقبلَكَ داوى الطّبيبُ المريضَ ... فعاشَ المريضُ وماتَ الطبيبُ[5]

---

(١) المصدر نفسه ٣/ ٤٧٨.
(٢) البيان والتبيين ٣/ ٤٧٩. والإملاق: الفقر. والحين: المصير. والراق: اسم الفاعل من رقاه، إذا شفاه بالرّقي.
(٣) الإعجاز والإيجاز، للثعالبي، ص ١٦١. دار صعب. بيروت.
(٤) مجلة معهد المخطوطات العربية ص ٣٠٧. ج ١. مجلد ٣٠ ـ ١٩٨٦ م. والرونق: الصفاء والحسن والجمال.
(٥) العقد الفريد ١/ ٣٢٥.

(إنما الدنيا متاع زائل)

ومن جيد شعره الزهدي قوله:

إنّما الدُّنيا متاعُ زائلٌ ... فَاقْتَصِدْ فيه وَخُذْ منهُ وَدَعْ
عجبٌ لِلدّهرِ كمْ مِن أُمَم ... قد أبادَ الدهرُ والدهرُ جَذَعْ
يا أخَا الْمَيْتِ الذي شيِّعَهُ ... فحشا التّربَ عليه ورَجَعْ
ليتَ شعري ما تزوّدت مِنَ ... الزّادِ فيها هذا لِيومِ المطّلَعْ[1]

(ورحى المنية تطحن)

وما أبلغ هذا البيت، على سهولته، يقول أبو العتاهية:

النّاسُ في غَفَلاتِهِمْ ... وَرَحى المنيَّةِ تطحنُ[2]

❖ محمود الوراق (ت حوالي ٢٣٠ هـ)

(وفي غنى النفس الغنى الأكبر)

ومن شعراء بني العباس الذين زهدوا في الحياة، ثم نسكوا وتابوا إلى ربهم من بعد شقوة وفساد ولهو، محمود بن حسن الوراق الذي وجد في الانقطاع إلى الله وعبادته، وفي القناعة بما قسم له من الرزق، سعادة ما بعدها سعادة. يقول الوراق مؤكداً على مبدأ القناعة والرضى بقسم الله:

مَنْ كانَ ذا مالٍ كثيرٍ وَلَمْ ... يَقْنَعْ فذاكَ الموسرُ المعسِرُ
وكلُّ مَنْ كان قنوعاً وإنْ ... كانَ مُقِلاً فَهُوَ المكثر
الفقرُ في النّفسِ وفيها الغِنى ... وفي غِنى النفسِ الغِنى الأكبرُ[3]

(هي الدنيا)

ويعجب الوراق للذين يؤملون الخير والفلاح في الحياة الدنيا، فتراهم منصرفين إليها، يعملون لها بما أوتوا وهم عن الآخرة غافلون، فيقول محذراً:

هِيَ الدُّنيا فَلا يَغْرُرْكَ مِنها ... مخايلُ تستفِزُّ ذوي الْعقولِ
أقلُّ قليلِها يَكْفيكَ مِنها ... ولكنْ ليس تصنعُ بالقليلِ
تشيدُ بها وتبني كلَّ يوم ... وأنتَ على التّجهُّزِ والرّحيلِ
وَمَنْ هذا الذي يُبقي عليها ... مضاربَهُ بِمُدْرجَةِ السّهولِ[4]

---

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية ص ٣٠٩. ج ١. مجلد ٣٠ ـ ١٩٨٦ م.
(٢) العقد الفريد ١/ ٣٣١.
(٣) العقد الفريد ٢/ ٢٠٧.
(٤) شعر الزهد ص ٢٣٦. والمخايل: الظنون والدلائل، جمع مخيلة، وتستفز: تثير. ومضاربه: منازله، ومكان ضربه وإقامته ورحيله.

(كأنها لا ترى ما يصنع القدر)

وينظر الوراق بعين البصيرة إلى ما تفعله الأيام بالناس، وما تتصرف به الأقدار فيخلص إلى القول الحكمي الزهدي:

لا ينفعُ الجِدُّ والتَّشميرُ والحذرُ ... خُطَّ الكتابُ فلا وِرْدٌ ولا صَدَرُ
تستعجلُ النفسُ آمالاً لتبلغها ... كأنَّها لا ترى ما يصنعُ القدر[1]

(كذاك انتقال الدول)

حتى إذا ما أيقن الوراق بدنو الأجل، وفوت الأوان، وما تحدثه الأيام بصروفها قال باكياً:

بكيتُ لِقُربِ الأَجَلْ ... وبعد فواتِ الأَمَلْ
وواقدِ شيبٍ طَرا ... بعِقبِ شبابٍ رحل
شبابٌ كأنْ لم يكنْ ... وشَيبٌ كأنْ لم يزل
طواكَ بشيرُ البقا ... وجاء نذيرُ الأجل
طوى صاحبٌ صاحباً ... كذاكَ انتقالُ الدُّوَل[2]

(يا ناظراً)

ومن رقيق شعر الوراق في الزهد، قوله محذراً من هول الذنب:

يا ناظراً يرنو بِعينَيْ راقدِ ... ومشاهداً لِلأمرِ غيرَ مشاهِدَ
منّيتَ نفسَكَ ضِلّةً وأبختها ... طرقَ الرّجاءِ وهنَّ غيرُ قواصد
تصلُ الذّنوبَ إلى الذنوبِ وترتجي ... درْكَ الجنانِ بها وفوزَ العابد
ونسيتَ أنَّ اللّهَ أخرجَ آدماً ... منها إلى الدنيا بذنبٍ واحدِ[3]

(أليس عجيباً)

ومن جيد شعره، وهو في غاية السهولة، قوله:

أَلَيْسَ عجباً بأنَّ الْفتى ... يُصابُ بِبعضِ الّذي في يديْهِ
فَمِنْ بيْنِ باكٍ لهُ موجعٍ ... وبينَ مُعَزٍّ مُغِذٍّ إليه
ويسلبُه الشَّيْبُ شرْخَ الشبابِ ... فليسَ يُعزّيهِ خلقٌ عليه[4]

---

(١) شعر الزهد، ص ٢٣٩. والتشمير: النهوض والتهيؤ.
(٢) عيون الأخبار ٢/ ٣٢٦.
(٣) الكامل ١/ ٢٣٥. ويرنو: ينظر. وضلة: توهماً. والدرك: الإدراك والوصول.
(٤) البيان والتبيين ٣/ ٤٨٤.

❖ **الإمام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ)**

(فلست أول مجنون بمرزوق)

من الفقهاء الذين دعوا إلى الزهد في الحياة الدنيا، ومن أجدر بهذه الدعوة من الفقهاء، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي صاحب المذهب الفقهي المعروف باسمه، فهو يزري على أصحاب المال جمعهم للمال في ما هم يقضون العمر، سادرين عن تقوى الله، مشغولين بجمعه وتحصيله، وفي الغالب فإن أصحابه من الجهلة ممن لا نصيب لهم من العقل أو العلم أو الخلق القويم. يقول الشافعي، وشعره يتميز بالسهولة والوضوح.

لو كنتَ بالعقلِ تُعطى ما تريدُ بهِ ... لما ظفرْتَ مِنَ الدُّنيا بِمسروقِ
رُزقْتَ مالاً على جهلٍ فعشْتَ به ... فلستَ أوّلَ مجنونٍ بِمرزوقِ[1]

(ويأبى الله إلا ما أرادا)

ويقول ثانية، في المعنى نفسه تقريباً:

يُريدُ المرءُ أنْ يُعطى مُناهُ ... ويأبى اللَّهُ إلاّ ما أرادا
يقولُ المرءُ فائدتي ومالي ... وَتَقْوى اللَّهِ أفضلُ ما اسْتفادا[2]

(ولا عرفوا لمكرمة ثبوتاً)

ويقول ثالثة:

وأنطقتِ الدّراهمُ بعدَ صمْتٍ ... أُناساً بعد ما كانوا سُكوتا
فما عطفوا على أحدٍ بِفضلٍ ... ولا عرفوا لِمكرُمةٍ ثبوتا[3]

(قنعت بالقوت من زماني)

ومن الشعر الدال على قناعة الشفاعي وزهده في الحياة الدنيا قوله:

قنعْتُ بالقوتِ مِن زماني ... وصنْتُ نفسي عن الهوانِ
خوفاً مِنَ الناسِ أنْ يقولوا ... فضلُ فلانٍ على فلانِ
مَنْ كنْتُ عن مالِه غنيّاً ... فلا أُبالي إذا جفاني[4]

(كم ضاحك)

ومن جيد شعر الشافعي، قوله محذراً من يجعل همّه جمع المال، والانشغال بأمور

---

(١) ديوان الشافعي ص ٨٥. تحقيق زهدي يكن. دار الثقافة. بيروت ١٩٦١ م.
(٢) حلية الأولياء ٩/ ١٥١. للأصفهاني. دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧ م.
(٣) المصدر نفسه ٩/ ١٤١.
(٤) الديوان ص ١٦٢.

الدنيا، دون التفكير بالآخرة، وبالموت الذي يحيط بنا جميعاً. يقول الشافعي:

كَمْ صاحكٍ والْمنايا فوقَ هامتهِ ... لو كانَ يعلمُ غيباً ماتَ مِن كَمَدِ
مَنْ كانَ لم يُؤتَ عِلماً في بقاءِ غدٍ ... ماذا تفكُّرُهُ في رِزْقِ بعد غدِ[1]

(وقد قسم الرحمن رزق الخلائق)

والذي عزّز روح الزهد في نفس الشافعي، هو ثقته الكاملة بالله تعالى ذكره، فهو الرازق، والمقدّر، والمفضل. يقول:

توكّلْتُ في رزقي على اللّهِ خالِقي ... وأيقنْتُ أنَّ اللّهَ لا شكَّ رازقي
وما يكُ مِن رزقٍ فليسَ يفوتُني ... ولو كانَ في قاعِ البحارِ العوامق
ففي أيِّ شيءٍ تذهبُ النفسُ حَسْرةً ... وقد قسّمَ الرّحمَن رِزقَ الخلائقِ[2]

❖ منصور التميمي (ت ٣٠٦ هـ)

(وما كل نفس به راضية)

ومن الشعر الزهدي الذي يعتمد صاحبه فيه على التوكل، والرضى بما يرزق الخالق، والاكتفاء بالقليل من متاع الدنيا، ما قاله منصور بن إسماعيل التميمي، وكان من فقهاء الشافعية بمصر. يقول منصور:

إذا قالَ لي قائلٌ كيفَ أنتَ ... أقولُ لهُ أنا في عافِيَةْ
لأشياءَ منها الرّضا بالكفافِ ... وما كلُّ نفسٍ بهِ راضيَةْ[3]

(ألا إن رزق الله ليس يفوت)

وهو، أي منصور التميمي، يؤكد على ثقته الكبيرة بالله تعالى، وعلى أنه هو المكفل بالأرزاق، فلا ييأسنّ أحد من رحمته تعالى، ولا يستأثرن بمال يزيد عن حاجته. يقول منصور:

ألا إنَّ رزقَ اللّهِ ليسَ يفوتُ ... فلا ترعَنْ إنَّ القليلَ يفوتُ
رضيتُ بقسْمِ اللّهِ حظّاً لأنّه ... تكفَّلَ رزقي مَن له الْمَلَكُوتُ
سأقنعُ بالمالِ القَليلِ لأنّني ... رأيتُ أخا المالِ الكثيرِ يموتُ[4]

---

(١) ديوان الشافعي ص ٨٥. والهامة: الرأس. والكمد: الغم.
(٢) نفسه ١٣٨.
(٣) بهجة المجالس، للقرطبي ٢/ ٣٠٤. دار الكتاب العربي. بيروت.
(٤) نفسه ٢/ ٣٠٤. والملكوت: الملك الواسع.

(إني قنعت بقوت)

ومن أصدق الشعر المعبر عن حالة الزهد، لدى منصور التميمي، هذا الشعر السهل الذي يصور حال صاحبه أفضل تصوير.

إني قنعتُ بقوتٍ ... ولُبْسِ ثَوْبٍ مُرَقَّعْ
ولم يكنْ لي عيالٌ ... نفسي لهمْ تتفجَّعْ
ولا بنونَ صِغارٌ ... قلبي لهم يتقطَّعْ
ولا صديقٌ مُصافٍ ... فراقَه أتوقَّعْ
وقد عزفتُ عنِ ... اللَّهْوِ والغِنى والتَّمتُّعْ[1]

(والوزر على مكتسبه)

ويؤكد منصور التميمي المعنى نفسه فيقول، وهو من أسهل الكلام، وأبسط العبارة:

مَنْ كَفاهُ مِن مساعيهِ رغيفٌ يَغْتَذيهِ
ولهُ بيتٌ يُواريهِ وثوبٌ يكتسيهِ
فلماذا يبذلُ العِرْض لِنَذْلٍ أو سفيهِ
كلُّ مالٍ منعتْهُ السّيرَ أيدي باذليهِ
فَهْوَ لِلوارثِ والوِزْرُ على مكتسبيهِ[2]

(فأمرك عندي عجيب عجيب)

ومن أعجب العجب في نظر منصور التميمي، أن يرى الإنسان أن الموت آتٍ لا بد منه، وأن الذي يذهب لا يعود، ومع ذلك فإن هذا الإنسان سادر في لهوه وغيّه. يقول منصور:

إذا كُنْتَ تزعمُ أنَّ الفراقَ ... فراقَ الحياةِ قريبٌ قريبُ
وأنَّ المقدَّمَ ما لا يفوتُ ... على ما يفوتُ مصيبٌ مصيبُ
وأنتَ على ذاكَ لا تَرْعوي ... فأمرُكَ عِندي عجيبٌ عجيبُ[3]

❖ أحمد بن يوسف (ت ٢١٣ هـ)

(ما هذه الدنيا بدار إقامة)

ومن الذين دعوا إلى ترك متاع الدنيا، والتزود بالعمل الصالح، والعمل للآخرة، أحمد بن يوسف بن صبيح، وكان مولى لبني عجيل، في العصر العباسي الأول؛ ومن شعره الزهدي المتضمن لهذه المعاني قوله:

---

(١) بهجة المجالس ٢/ ٢١١، وعزفت: ملت وانصرفت.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٣١٤.
(٣) عيون الأخبار ٢/ ٣٠٤.

ما بعدَ شيبِكَ غيرُ لومِكَ فَاتَّخِذْ ... زاداً لِنَفْسِكَ فالرَّحيلُ قريبُ
ما هذِهِ الدنيا بِدارِ إقامةٍ ... لا توطنَنَّ بها وأنتَ غريبُ
أينَ الأُولى أهلِ السيادةِ والنُّهى ... والمطعمونَ وما تدرُّ حَلوبُ
أخنى الزمانُ عليهمُ بشعارِه ... وسقتْهُمُ كأسَ المنونِ شَعوبُ
وغداً جزاءُ سعادةٍ أو شقوةٍ ... أفلا يُنيبُ إلى الرَّشادِ مُنيبُ
والموتُ يغتالُ النفوسَ ولم يزلْ ... لِلموتِ داعٍ للنفوس طَلوبُ[1]

❖ الخزيمي

(لكل أناس من طوارقها الثكل)

ومن أروع شعر الزهد الداعي إلى نبذ الدنيا والعمل للآخرة، ما قاله أبو يعقوب إسحاق بن حسان، مولى بني خريم، زمن العباسيين في العصر الأول؛ يقول الخزيمي:

تَزَوَّدْ مِنَ الدُّنْيا متاعاً لِغيرِها ... فقدْ شَمَّرَتْ حَذَّاءَ وَانْصرمَ الْحَبْلُ
وهل أنتَ إلاّ هامةُ اليومِ أو غدٍ ... لكلِّ أناسٍ مِن طوارقِها الثكلُ[2]

(ولكن لهذا الرزق وقت موقت)

ويقول من شعر آخر يدخل في باب الزهد عن طريق التوكل على الله تعالى، والاعتماد عليه في الرزق المقدر:

ولكنْ لِهذا الرّزقِ وقتٌ موقّتٌ ... يُقَسِّمُهُ بينَ الْبَرِيَّةِ واهِبُهْ
فليسَ بِعجزِ المرْءِ أخطأه الغنى ... ولا باحتيالٍ أدركَ المالَ كاسبُهْ[3]

❖ أبو تمام (ت ٢٣١ هـ/٨٤٥ م)

(وأنت غداً فيها تموت وتقبر)

ومن أروع الشعر الحكمي والزهدي معاً، ما قاله أبو تمام، واسمه حبيب بن أوس الطائي، الشاعر العباسي النابه الذكر؛ وقد غلب عليه التفكير بالحياة والموت، فخلص إلى أن العمر قصير جداً، وأن الدهر يكيد للإنسان، فلا مندوحة من العمل الصالح. فلا يستحق العمل من أجله والسعي للآخرة قبل فوات الأوان. يقول أبو تمام، وشعره من أجود الشعر، وأفصحه، وأروعه:

أَلِلْعُمْرِ في الدُّنيا تَجِدُّ وتعمرُ ... وأنتَ غداً فيها تموتُ وتُقْبرُ
تلقّحُ آمالاً وترجو نِتاجَها ... وعُمرُكَ مِمّا قد تُرَجِّيهِ أقْصَرُ

---

(١) أخبار الشعراء، للصولي ص ١٦٩. وشعوب: اسم للمنية. وينيب: يميل ويثوب.
(٢) الشعر والشعراء، لابن قتيبة ٢/ ٨٥٧. وشمرت: نهضت. وحذّاء: صارمة وقاطعة. وانصرم: انقطع. والهامة: طائر أسطوري يخرج من رأس القتيل مطالباً بالثأر.
(٣) بهجة المجالس ١/ ١٤٥. والبرية: الخلق.

وهذا صباحُ اليومِ ينعاكَ ضوؤه ... وليلتُه تنعاك إنْ كنتَ تشعر
تحومُ على إدراكِ ما قد كُفِيتَهُ ... وتقبلُ بالآمالِ فيه وتُدبر
ورزقُكَ لا يعدوك إمّا مُعَجَّلُ ... على حالِه يوماً وإمّا مؤخَّر
فلا تأمنِ الدنيا إذا هيَ أقبلتْ ... عليكَ فما زالتْ تخونُ وتدبر
وشمِّرْ فقد أبدى لكَ الموتُ وجهَهُ ... وليسَ يَنالُ الفوزَ إلاّ المشمّر
تذكَّرْ وفكِّرْ في الذي أنتَ صائرٌ ... إليهِ غداً إنْ كنتَ مِمَّنْ يفكر
فلا بدَّ يوماً أنْ تصيرَ لِحُفْرَةٍ ... بأثنائها تُطوى إلى يومِ ينشرُ
تطهَّرْ وألحِقْ ذنبَكَ اليومَ توبةً ... لعلّكَ منه إنْ تطهَّرْتَ تطهر
فهذي اللّيالي مُؤْذِناتُك بالْبِلى ... تروحُ وأيّامٌ كذاكَ تبكّر
وأخلِصْ لِدينِ اللّهِ صدراً ونيّةً ... فإنّ الذي تُخفيهِ يوماً سيظهر
وقد يسترُ الإنسانُ باللّفظِ فعلَه ... فيظهرُ عنه الطّرفُ ما كانَ يستر
تأمَّلْ وفكِّر في الذي أنتَ صائرٌ ... إليه غداً إنْ كنتَ مِمَّنْ يفكّر[1]

(وأبقى صريعاً بين أهلي جنازةً)

ومن أروع شعر الزهد، وأجوده، وأفصحه عبارة، ما قاله أبو تمام، وقد تصور نفسه ينازع سكرات الموت، ثم ميتاً مسكنه اللحد، حيث الوحشة وطول الثواء. يقول أبو تمام تائباً من ذنبه، نادماً على ما سوّف من عمله:

ألَمْ يَأْنِ تركي لا عليَّ ولا لِيا ... وعزمي على ما فيهِ إصلاحُ حالِيا
وقد نالَ منّي الشّيْبُ وابيضَّ مفرقي ... وغالتْ سوادي شُهْبُهُ في قذالِيا
أصوّت بالدّنيا وليستْ تُجيبُني ... أحاولُ أنْ أبقى وكيفَ بقائيا
وأبقى صريعاً بينَ أهلي جِنازةً ... ويحوي ذَوُو الميراثِ خالصَ ماليا
أقولُ لِنفسي حينَ مالتْ بِصفوِها ... إلى خطراتٍ قد نتجْنَ أمانيا
هبيني مِنَ الدُّنيا ظفرْتُ بِكلِّ ما ... تمنّيتُ أو أعطيتُ فوقَ أمانيا
أليسَ الليالي غاصباتي بِمهجتي ... كما غصبتْ قبلي القرون الخواليا
ومُسْكِنَتي لحداً لدى حفرةٍ بها ... يطولُ إلى أخرى الليالي ثوائيا
أخافُ إلا هي ثمَّ أرجو نوالَهُ ... ولكنَّ خوفي قاهرٌ لِرَجائيا
على إثْرِ ما قد كانَ منّي صبابةً ... ليالِيَ فيها كنتُ لِلّهِ عاصيا
فإنّي جديرٌ أنْ أخافَ وأتّقي ... وإنْ كنتُ لم أُشركْ بِذي العرش ثانيا
وأدّخر التقى بمجهودِ طاقتي ... وأركب في رُشْدي خِلافَ هوائيا[2]

---

(١) ديوان أبي تمام ص ٥٩٤. وشمّر: انهض وتهيأ. وانظر أيضاً: معادن الجواهر ونزهة الخواطر ص ٤٢٠ ـ ٤٢١.
(٢) ديوان أبي تمام ص ٥٩٦. شرح التبريزي. دار المعارف ١٩٦٥ م. ويأن: يحن. وغالت: صرعت. وشهبه: كناية عن الشيب. والقذال: ما بين الرأس وأصل العنق. واللحد: جانب القبر. والصبابة: الهوى والميل.

❖ ابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ/٨٩٦ م)

(تتجافى جنوبهم)

ومن جيد شعر الزهد، ما قاله أبو الحسن علي بن العباس، الشاعر العباسي، والمعروف بابن الرومي. وشعره يتميز بالسهولة وغلبة نزعة المنطق عليه، وهذا ما نلاحظه في أبياته الزهدية التالية التي يصور بها حالات العابدين الزاهدين:

تتجافى جُنوبُهُمْ ... عنْ وطيءِ المضاجعِ
كُلُّهُمْ بينَ خائفٍ ... مستجيرٍ وطامعِ
تركوا لذّةَ الكَرى ... لِلعيونِ الهواجعِ
ورعَوْا أنجمَ الدُّجى ... طالعاً بعدَ طالعِ
لو تراهمْ إذا همُ ... خطروا بالأصابعِ
وإذا هُمْ تأوّهوا ... عندَ مرِّ القوارعِ
وإذا باشروا الثَّرى ... بالخدودِ الضّوارعِ
واستهلّتْ عيونُهم ... فائضاتِ المدامعِ[1]

(حتى متى نشتري الدنيا بآخرة)

وله من جيد الشعر، وهو يفيض حكمة وموعظة وزهداً، قوله:

حتّى متى نَشْتري الدُّنيا بِآخِرةٍ ... سفاهةً ونبيعُ الْفَوْقَ بِالدُّونِ
معلّلينَ بآمالٍ تخادِعُنا ... وَزُخْرفٍ مِن غرورِ العيشِ موصونِ[2]

(فهل أنت عن غيّة مرتدع)

واستحسن من ابن الرومي قوله الزهدي:

ألا ليسَ شيبُكَ بِالْمُنْتَزَعْ ... فهلْ أنتَ عنْ غَيَّةٍ مرتدِعْ
وهلْ أنتَ تاركُ شكوى الزمانِ ... إذا شئتَ تشكو إلى مستمعْ
فشيْبُ أخي الشّيبِ أمنيّةٌ ... إذا ما تناهى إليها هَلَعْ[3]

❖ ابن علوان (ت ٢٩١ هـ)

(رضيت بدون الكفاية قوتاً)

ومن الذين عزفوا عن الدنيا، وانقطعوا إلى العبادة والتهجد، أبو عقال بن علوان الذي

---

(١) ديوان ابن الرومي ١١٩/٤. دار صادر بيروت ١٩٦٥ م. وتتجافى: تتجنب. والمضاجع: أمكنة النوم والإضطجاع. ومستجير: لائذ. طالب من يجيره. والكرى: النوم. والهواجع: جمع هاجعة، وهي النائمة. والقوارع: الشدائد، جمع قارعة، وهي يوم القيامة. واستهلت: ابتدرت، وسكبت.

(٢) شعر الزهد ص ٣٠٦.

(٣) رسالة الغفران، ص ٣٦.

ترك شعراً في الزهد يتميز بالبساطة والعفوية والسهولة، يقول ابن علوان مؤكداً ما قلناه:

أَجِبْ داعِيَ اللَّهِ لا تعصِهِ ... فقد جادَ بالنّصح جهراً ونادى
ولا تلْهَ بالموبقاتَ التي ... أبادتْ بوائقُها مَن تمادَى
رضيتُ بِدونِ الكفايةِ قوتاً ... وبَاللَّهِ عنْ كلِّ خَلْقٍ عِمادا
فأضحى الملوكُ وأهلُ النّعيم ... أقلَّ الْبَرِيَّةِ عندي عِدادا
وأسقطْتُ لومي عنِ الْعالمينَ ... فَمَنْ شاءَ ودَّ ومَن شاءَ عادى
فلم أرَ عيشاً كعيشِ القنوع ... ولم أرَ مثلَ القنوعِ مُرادا[1]

(لعمرك ما الدنيا بشيء أريده)

وما أحسن ذمّه الدنيا ووصفه لها، إذ يقول:

لَعَمْرُكَ ما الدّنيا بشيءٍ أَريدُهُ ... سوى أنّها نزْلٌ وأنّي مسافرُ
إذا أقبلَتْ يوماً عليَّ بِوُدِّها ... فإنّي بما تُوليه بالبرِّ كافرُ[2]

❖ بكر بن حمّاد (ت ٢٩٦ هـ)

(كأنك قد أمنت من المعاد)

ومن جيد شعر الزهد، وأرقه، وأصدقه، ما خاطب به بكر بن حماد الزناتي، من تاهرت بالجزائر، نفسه. يقول بكر متأسياً بأخبار الماضين الذين لم تدم لهم الحياة:

نهارٌ مشرقٌ وظلامُ ليلٍ ... أَلَحّا بِالْبياضِ وبِالسَّوادِ
هُما هَدَما دَعائمَ عُمْرِ نوحٍ ... ولقمانٍ وشَدّادٍ وعادِ
فيا بكرَ بنَ حمّادٍ تعجّبْ ... لِقومٍ سافروا مِن غيرِ زادِ
تبيتُ على فراشِكَ مطمئناً ... كأنّكَ قد أَمِنْتَ مِنَ الْمعادِ[3]

(فصفوها لك ممزوج بتكدير)

ومن شعر بكر بن حماد الزهدي الذي يصور فيه حرص الناس على الحياة الدنيا، وقد فاتهم أن الرزق مقدر، وليس للإنسان إلا ما هو في ظهر الغيب، قوله:

النّاسُ حرصٌ على الدّنيا وقد فسدتْ ... فَصَفْوهَا لكَ ممزوجٌ بِتكديرِ
فَمِنْ مُكِبٍّ عليها لا تساعدُه ... وعاجزٍ نالَ دنياهُ بِتقصيرِ
لم يدركوها بعقلٍ عندما قسمتْ ... وإنما أدركوها بالمقاديرِ

---

(١) رياض النفوس ١/٤٢٨. والبوائق: أحداثها ونكباتها.
(٢) المصدر نفسه ١/٤٣٧.
(٣) شعر الزهد ص ١١٧. وعاد وشداد، من أشداء العرب الأقدمين. ولقمان، هو لقمان بن عادياء، الحكيم العربي القديم.

لـو كـانَ عـنْ قـدرٍ أو عـنْ مـغـالـبـةٍ طـارَ الـبُـزاةُ بـأرزاقِ الـعـصـافـيرِ[١]

(فقولوا له يزداد في الطول والعرض)

وللتأكيد على ما ذهب عليه بكر في قوله السابق، يقول:

تـبـارَكَ مَـنْ سـاسَ الأمـورَ عـبـاده وذلَّ لـهُ أهـلُ الـسـمـواتِ والأرضِ
ومـن قَـسَّـمَ الأرزاقَ بـيـنَ عـبـادِهِ وفضّلَ بعضَ الناسِ فيها على بعضِ
فـمـنْ ظـنَّ أنَّ الـحـرصَ فـيـهـا يـزيـدُه فقولوا له يزدادُ في الطّولِ والعرضِ[٢]

❖ **بعضهم**

(والدهر ذو فنون)

ومن بليغ القول في الزهد والتأسي بأخبار الماضين قول بعضهم:

ما لذّة العيش والفتى للدهر والدهر ذو فنون
أهلك لسماً وقبل طسماً أهلك عاداً وذا جدون
وأهل جاسم ومأرب وحيّ لقمان والنّقون
واليسر للعسر والغنى للفقر والحيّ للمنون[٣]

❖ **ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ/٩٠٨ م)**

(أترضى بسبق المتقين إلى الله)

ومن الذين لهوا في حياتهم، وأسرفوا كثيراً في البذخ والترف والمجون، الخليفة العباسي الذي ولي الخلافة يوماً وليلة ثم خلع، فقتل، عبد الله بن المعتز، الشاعر المتفنن، والعالم بالبديع.

عبد الله بن المعتز، هذا، ترك شعراً في الزهد والحكمة والتوبة، وهو على جانب كبير من الجودة والفصاحة وحرارة العاطفة، وصدق الوجدان. بقول ابن المعتز:

إلى أيِّ حـيـنٍ كـنـتَ فـي صَـبْـوَةِ الـلاهـي أمـا لَـكَ فـي شـيءٍ وُعِـظْـتَ بـهِ نـاهـي
ويـا مـذنـبـاً يـرجـو مِـنَ الـلّـهِ عَـفْـوَهُ أَتَـرْضـى بِـسـبقِ الـمـتّـقـيـنَ إلـى الـلّـهِ[٤]

(فعمرك أيام تعدّ قلائل)

ويقول، من بوح وجداني صادق، وشعر رائق، ونلمس فيه التوبة والندامة والحسرة:

نَـسـيـرُ إلـى الآجـالِ فـي كـلِّ سـاعـةٍ فـأيّـامُـنـا تُـطْـوى وهُـنَّ مـراحِـلُ

---

(١) بهجة المجالس ١/ ١٤٣. والبزاة، جمع بازٍ، وهو من الطيور الكاسرة.
(٢) العقد الفريد ٣/ ٢٠٧.
(٣) البيان والتبيين ١/ ١٠٠. وطسم وعاد من الأمم والقبائل الغابرة. وذا جدون، من ملوك اليمن.
(٤) الديوان ص ٤٥٣. دار بيروت ١٩٦١ م.

ولـمْ أرَ مـثـلَ الـمـوتِ حـتـى كـأنَّـهُ ... إذا مـا تَـخَـطَّـتْـهُ الأمـانـيُّ بـاطـل
ومـا أقـبـحَ الـتّـفـريـطَ فـي زمـنِ الـصِّـبـا ... فـكـيفَ بـهِ والشّـيـبُ فـي الرّأسِ شاغل
تـرحَّـلْ مِـنَ الـدُّنـيـا بِـزادٍ مِـنَ الـتُّـقـى ... فَـعُـمْـرُكَ أيّـامٌ تُـعَـدُّ قـلائِـل[١]

(والعمر في لا شيء يذهب)

ومن جيد شعره الزهدي المعبر، ويتميز بالسهولة، قوله:

جَـدَّ الـزّمـانُ وأنـتَ تـلـعـبْ ... والـعـمـرُ فـي لا شـيءَ يـذهـبْ
كـم قـد تـقـولُ غـداً أتـوبُ ... غـداً غـداً والـمـوتُ يُـقـربْ[٢]

(فليس يخطىء ما قد قدر الله)

ومن شعره الزهدي الرائع قوله:

مُـسَـهَّـدٌ فـي ظـلامِ الـلّـيـلِ أوّاهُ ... عَـضَّـتْـهُ لِـلـدّهـرِ أنـيـابٌ وأفـواهُ
إنْ كـانَ يُـخـطـيءُ سـمـعـي مـا أُقَـدِّرُه ... فـلـيـسَ يُـخـطِـيءُ مـا قـدْ قَـدَّرَ الـلّـهُ[٣]

❖ الألبيري (ت ٣١٢ هـ)

(وذي غنى)

ومن الذين دعوا إلى العزوف عن الغنى، وجمع المال، والاكتفاء بالقليل من الزاد، أبو جعفر أحمد بن عمرو، الأندلسي، المعروف بالألبيري، وكان محدثاً ومتفقهاً. يقول في هذا المعنى، مؤكداً على أن لا شيء يدوم أو يبقى على حاله:

وَذِي غِـنـى أَوْهَـمَـتْـهُ هِـمَّـتُـهُ ... أنَّ لـغـنـى عـنـهُ غـيـرُ مـنـفـصـلِ
فَـجَـرَّ أذيـالَ عُـجْـبِـهِ بَـطـراً ... وَاخْـتـال لِـلـكـبـريـاءِ فـي حُـلَـلِ
بـرَثّـهُ أيـدي الـخـطـوبِ بَـرْيَـةً ... فَـاعْـتـاضَ بـعـدَ الـجـديـدِ بـالـسَّـمـلِ
كـفـى بِـنَـيْـلِ الـكـفـافِ مـنـه غـنـىً ... عـنـهُ فـكـنْ مـنـهُ غـيـرَ مـحـتـفـلِ[٤]

(يا عامر الدنيا)

ومن جيد شعره الزهدي، قوله:

يـا عـامـرَ الـدّنـيـا لِـتَـسْـكُـنَـهـا ومـا ... هـي بـالّـتـي يَـبـقـى لـهـا سُـكّـانُ
تـغـنـى وتـبـقـى الأرضُ بـعـدَكَ مـا ... يـبـقـى الـمـنـاخُ وتـرحـلُ الـرُّكـبـانُ
أأُسَـرُّ فـي الـدُّنـيـا بـكـلِّ زيـارةٍ ... وزيـارتـي فـيـهـا هـي الـنُّـقـصـانُ[٥]

---

(١) المستطرف من كل من مستظرف ص ٣١٣. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣ م.
(٢) الديوان ص ٩٨.
(٣) الأغاني ٩/ ١٤١.
(٤) شعر الزهد ص ٩٧. والسمل: البالي.
(٥) المرجع نفسه ص ١١٧.

❖ سريح بن يوسف (ت ٢٣٥ هـ)

(فالله يرزق لا عقل ولا حسب)

ومن الذين دعوا إلى الزهد في الحياة الدنيا، وإلى عدم السعي وراء الرزق، بالكد، والكدح، سريح بن يوسف بن إبراهيم البغدادي، وكان من المحدثين. يقول سريح:

يا طالبَ الرّزقِ في الآفاقِ مجتهداً ... أبقيْتَ نفسَكَ حتى شَفَّكَ التَّعَبُ
تَسعى لِرزقٍ كفاكَ اللّهُ مُؤْنَتَهُ ... أقصِرْ فرزقُكَ لا يأتي بهِ الطَّلَبُ
فَاسْتَرْزِقِ اللّهَ ممّا في خزائِنِهِ ... فاللّهُ يرزقُ لا عقلٌ ولا حَسَبُ[1]

❖ ابن بسام (ت ٣٠٣ هـ)

(والناس بعد الحادثات سماع)

ومن أرق شعر الزهد، وأصوبه ما قاله علي بن محمد بن منصور، الأندلسي، والمعروف بابن بسام إذ هو راعه الشيب، فندم على ما فاته، وقال تائباً نادماً:

أقصرْتُ عنْ طلبِ البطالةِ والصِّبا ... لما علاني لِلمشيبِ قِناعُ
فدعِ الصِّبا يا قلبُ وَاسْلُ عن الهَوَى ... ما منكَ بعدَ مشيبِكَ اسْتِمْتاعُ
وانْظُرْ إلى الدنيا بعينِ مودّعٍ ... فلقد دنا سفرٌ وحانَ وداع
والحادثاتُ موكّلاتٌ بِالْفتى ... والناسُ بعدَ الحادثاتِ سماعُ[2]

❖ ابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ)

(وكان مني الموت قيد يد)

ومن الذين تابوا إلى ربهم، وندموا على ما قصروا به في جنب الله، ثم راحوا يتصورون أنفسهم وقد تخطفهم الموت، أحمد بن محمد بن عبد ربه، الأندلسي، وصاحب «العقد الفريد» إذ يقول من الشعر الزهدي:

مَنْ لي إذا جُذْتُ بينَ الأهلِ والولَدِ ... وكان منّي نحو المَوتِ قيدُ يدِ
والدّمعُ يهملُ والأنفاسُ صاعدةٌ ... فالدمعُ في صَبَبٍ والنفسُ في صعُدِ
ذاكَ القضاءُ الذي لا شيء يَصرِفُهُ ... حتى يفرّقَ بينَ الرّوحِ والجَسدِ[3]

(لا بد لله من إنجاز ما وعدا)

ويقول ثانية، تائباً نادماً:

بادِرْ إلى التَّوْبَةِ الخلصاءِ مجتهداً ... والموتُ وَيْحَكَ لم يمدذ إليكَ يدا

---

(١) بهجة المجالس ١/ ١٤٠. وشفك: أسقمك. والمؤنة: القوت وما يدّخر منه.
(٢) شعر الزهد ص ٢٦٠.
(٣) العقد الفريد ١/ ٣٢٤.

وَازْقُبْ مِنَ اللّهِ وعداً ليسَ مُخْلِفُهُ لا بدَ لِلّهِ مِن إنجازِ ما وَعَدا[١]

(إذا اخضر منها جانب جفّ جانب)

ويقول ابن عبد ربه ذاماً الدنيا، ثالثة:

ألا إنّما الدنيا نضارةُ أيْكَةٍ إذا اخْضَرَّ منها جانبٌ جَفَّ جانبُ
هي الدّارُ ما الآمالُ إلاّ فجائعٌ عليها ولا اللّذّاتُ إلاّ مصائب
فلا تكتحِلُ عيناكَ فيها بِعَبْرَةٍ على ذاهبٍ منها فإنّكَ ذاهب[٢]

(فإن الحزن عاقبة السرور)

ومن أرق شعره الزهدي، وأصدقه لوعة ولهجة، قوله مخاطباً نفسه وقد تصورها ما تزال عاكفة على اللهو والفجور:

أتلهو بينَ باطيةٍ وزيرٍ وأنتَ مِنَ الهلالِ على شَفيرِ
فيا مَنْ غَرَّهُ أملٌ طويلٌ يُؤَدّيهِ إلى أجلٍ قصيرِ
أتفرحُ والمنيّةُ كلَّ يومٍ تُريكَ مكانَ قبرِكَ في القبورِ
هي الدنيا فإنْ سَرَّتْكَ يوماً فإنَّ الحزنَ عاقبةُ السّرورِ
ستسلب كلَّ ما جَمَّعْتَ منها كعاريةٍ تُرَدُّ إلى المعيرِ
وتعتاضُ اليقينَ مِنَ التَّظَنّي ودار الحقِّ مِن دارِ الغرور[٣]

(طويت زماني برهة وطواني)

ومن جيد شعره الزهدي وقد أشرف على الموت، يقول ابن عبد ربه:

كِلاني لِما بي عاذِلَيَّ كَفاني طويْتُ زماني برهةً وطواني
بليتُ وأبليْتُ اللّياليَ مُكْرَهاً وَصَرْفانِ لِلأيّامِ مُغْتَوِراني
ومالِيَ لا أبْلى لِسبعينَ حجّةً وعشرٍ أتَتْ مِن بعدِها سَنَتان
وإنّي بِعونِ اللّهِ راجٍ لِفضلِهِ ولي مِن ضمانِ اللّهِ خيرُ ضمان
ولستُ أُبالي مِن تباريحِ علّتي إذا كانَ عقلي باقياً ولِساني[٤]

(يارب غفرانك)

ومن قول ابن عبد ربه في التوبة والزهد والاعتراف بالذنب:

يا وَيْلَنا مِن موقفٍ ما بهِ أخوفُ مِنْ أنْ يعدل الحاكمُ

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٣١٩. والخلصاء: الخالصة والنصوح. يخلفه: يؤجله وينقضه.
(٢) العقد الفريد ١/ ٣١٢. والأيكة، واحدة الأيك، الشجر المعروف. والعبرة: الدمعة.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٣٢٤. والباطية: زجاجة الخمر. والزير: وتر العود.
(٤) تاريخ الآداب العربية ٢/ ١٣٤. والصرفان: الليل والنهار. واعتوراني: تداولاني. والتباريح: الآلام. وكلاني: أتركاني.

أبارزُ اللَّهُ بِعصيانِه ... وليسَ لي من دونِه راحمُ
يا ربِّ غُفرانَكَ عن مذنبٍ ... أسرفَ إلاّ أنّه نادمُ[1]

❖ ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١ هـ/٨٩٤ م)

ومن الشعر الزهدي القائم على أساس روح التوكل في الرزق على الله يقول عبد الله ابن محمد، المعروف بابن أبي الدنيا.

مَنْ ظنَّ أن الرزق يأتي بحيلة ... فقد كذّبتْهُ نفسُهُ وهو آثِم
يَفوتُ الغِنى من لا يَنامُ عن السّرى ... وآخرٌ يأتي رزقَهُ وهو نائِم
سأَصْبِرُ إن دهرٌ أناخَ بكلكلٍ ... وأرضَى بحكمِ اللَّهِ فاللّهُ حاكم[2]

❖ البحتري (ت ٢٨٤ هـ/٨٩٧ م)

(ولا مزرِ بحظّي تاخّري)

ومن أشعار الزهد والقناعة التي طلع بها علينا أبو عبادة البحتري، قوله:

قنعْتُ وجانبْتُ المطالعَ لابساً ... لباسَ محبٍّ لِلتّنزاهةِ مُؤثرِ
وآنسني علمي بأنْ لا تقدُّمي ... مفيدي ولا مُزرٍ بحظّي تأخُّري
ولوْ فاتني المقدورُ مِمّا أريدُه ... بِسَعْيٍ لأدركْتُ الذي لم يُقدَّرِ[3]

❖ بشر الحافي (ت ٢٢٠ هـ)

(فاستغنِ بالله)

من أشهر الزهاد الأتقياء، والصلحاء النجباء أبو نصر بشر بن الحارث الحافي، المروزي الأصل، البغدادي النشأة، وشعره يتضمن آراء وأفكاراً تدعو إلى الاستغناء بالله، والاكتفاء بالقليل القليل من المتاع، فإن متاع الدنيا قليل في الآخرة. يقول بشر مزهّداً:

أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَرَضْخُ النَّوى ... وشربُ ماءِ الأَعيُنِ المالحَةْ
أعزُّ لِلإنسانِ مِن حرصِهِ ... ومِن سؤالِ الأوجهِ الكالحةْ
فَاسْتغْنِ باللَّهِ تكنْ ذا غِنى ... مغتبطاً بالصَّفْقَةِ الرّابحة
مَنْ كانتِ الدُّنيا بهِ بَرَّةً ... فإنّها يوماً لهُ ذابحة[4]

---

(١) العقد الفريد ١/ ٣١٨.
(٢) بهجة المجالس ١/ ١٣٨.
(٣) معادن الجواهر ونزهة الخواطر ص ٤١٤.
(٤) تهذيب ابن عساكر ٣/ ٢٣٧. ورضخ: كسر ودقّ. والكالحة: العابسة. وبرّة: وفيّة.

(فلست أسلك إلا أوضح الطرق)

ويقول مؤكداً على وجوب الأخذ بالقناعة والكفاف:

قالوا قنعْتَ بِذا قلتُ القنوعُ غِنى ... ليسَ الْغِنى كثرةَ الأموالِ والْوَرقِ
رضيتُ باللّهِ في عُسْري وفي يُسري ... فلستُ أسلكُ إلاّ أوضحَ الطُّرُقِ[1]

(ولا عز أعز من القناعة)

وفي المعنى ذاته يقول بشر:

أفادتْني القناعةُ أيَّ عِزٍّ ... ولا عزٌّ أعزُّ مِنَ القناعَةْ
فَخُذْ منها لِنفسِكَ رأسَ مالٍ ... وصَيِّرْ بعدَها التّقوى بضاعَةْ[2]

ومن أجود شعر بشر في الزهد قوله:

ومِن عجبِ الدّنيا تُبَقّيكَ لِلْبلى ... وأنكَ فيها لِلبقاءِ مريدُ
وأيُّ بني الأيامِ إلاّ وعندَه ... مِنَ الدهرِ ذنبٌ طارفٌ وتليدُ
ومَنْ يأمنِ الأيامَ أمّا اتّساعُها ... فخطرٌ وأمّا فجعُها فعتيد
إذا اعتادتِ النفسُ الرّضاعَ عنِ الهوى ... فإنَّ فطامَ النفسِ عنه شديدُ[3]

❖ أحمد بن أبي سليمان (القرن ٣ هـ)

(يا ليتني لم أفعل)

ومن الشعر الزهدي المتميز ببساطة التعبير، وعمق التفكير، ما قاله أبو جعفر أحمد ابن أبي سليمان، أحد الحكماء الزّهاد بأفريقية في القرن الثالث الهجري. يقول ابن أبي سليمان تائباً من ذنبه، متحسراً على ما سوّلت نفسه:

يا لذّةً قصُرَتْ وطالَ بلاؤُها ... عندَ التّذكُّرِ في الزّمانِ الأوّلِ
لما تذكّرها وقال ندامةً ... مِن بعدِها يا ليتني لم أفعلِ[4]

(فاضحى ذليلاً في التراب موسداً)

ويوفق ابن أبي سليمان في التخلص من بهرج الدنيا إلا من ثلاثة يخلو بها لينا جي ربّه، تاركاً اللذات لأصحابها الذين غفلوا عن الموت وانصرفوا عن هول المصير. يقول في هذا المعنى:

أراني بِحَمْدِ اللّهِ في المالِ زاهداً ... وفي شرفِ الدّنيا وفي العِزِّ أَزْهدا
تخلّيْتُ عنْ دنيايَ إلاّ ثلاثةً ... دفاترَ مِن علمٍ وبيتاً ومسْجِدا

---

(١) شعر الزهد، ص ١٠٠.
(٢) نفسه ص ١٠١.
(٣) الأغاني ١٢/ ١٣٩.
(٤) شعر الزهد في القرنين الثاني والثالث للهجرة ص ٩٥.

غنِيتُ بها عنْ كلِّ شيءٍ حويْتُهُ ... وكنتُ بها أغنى وأقنى وأسْعدا
وكم قدْ رأينا مِن عزيزٍ مشرّفٍ ... يبيتُ مُقِّراً بالضّلالةِ مُجْهَدا
فَجَتْهُ المنايا وهو في حينِ غَفْلَةٍ ... فَأَضْحى ذليلاً في التّرابِ مُوَسَّدا[1]

(وحبست نفسي بين بيتي ومسجدي)

ولعل في هذين البيتين التاليين ما يؤكد المعنى السابق خير تأكيد، فيقول:

وأصبحْتُ في ما كنتُ أبغي مِنَ الْغِنى ... إلى الزُّهدِ في الدُّنيا الدَّنِيّةِ أَحْوَجا
وحَبَّسْتُ نفسي بينَ بيتي ومسجِدي ... وقد صرْتُ مثلَ النَّسْرِ أهوى التعرّجا[2]

(فليس بما لك منه نقيرا)

وزيادة في التأكيد على الزهد بالحياة، يورد الشاعر قوله:

وكمْ مِنْ طالبٍ لِلمالِ يَسْعى ... ويركبُ في مطالبهِ البُحورا
فعادَ يودُّ أنْ لو كانَ أمسى ... فليسَ بِمالكٍ منهُ نقيرا[3]

❖ كشاجم (ت ٣٥٠ هـ/٩٦١ م)

(والنار قد يطفئها النافخ)

ومن ألطف معاني الزهد، ما قاله كشاجم، وهو لقبه، واسمه أبو الفتح محمود بن الحسين الكاتب، أحد أبرع شعراء الوصف في العصر العباسي الثاني. يقول كشاجم:

ومستزيد في طِلابِ الْغِنى ... يجمعُ لَحْماً ما لَهُ طابخُ
ضيّعَ أموالاً بما يرتجي ... والنّارُ قد يُطْفِئُها النّافِخُ[4]

❖ حرب بن المنذر

(فما سؤلنا إلاّ المودة من أجر)

ومن الشعر الزهدي ما قاله حرب بن المنذر بن الجارود، وهو التالي:

فَحَسْبي مِنَ الدُّنيا كفافٌ يُقيمُني ... وأثوابُ كتّانٍ أزورُ بها قَبْري
وحُبّي ذَوِي قُرْبى النبيِّ محمّدٍ ... فما سُؤْلُنا إلاّ المودّةُ مِنْ أجر[5]

---

(١) نفسه ٩٥. وفجته: أصلها: فجأته، بحذف الهمز. وأقنى: أكثر قنية وغنى.
(٢) نفسه ص ٩٦.
(٣) نفسه ص ٩٦. والنقير: نكتة صغيرة في النواة، وهي كناية عن أحقر الأشياء.
(٤) محاضرات الأدباء ٢/ ٥١٩.
(٥) البيان والتبيين ٣/ ٥٥٣. والبيت الثاني مصداق للآية الكريمة: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى».

❖ بعضهم

(واحسرتي)

ومن أرق شعر الزهد وأبلغه قول بعضهم:

واحسرتي في يوم يجمعُ شرّتي كَفَنٌ وَلَحدُ
ضيّعتُ ما لا بُدّ منه بالذي لي منهُ بُدُّ[١]

❖ الفارابي (ت ٣٣٩ هـ/٩٥١ م)

(ففيم التزاحم في المركز)

ومن نادر الشعر الزهدي، وألطفه إشارة، وأعمقه معنى، ما قاله الفيلسوف الإسلامي أبو النصر محمد بن طرخان الفارابي، ويظهر فيه أثر الرياضة والفلسفة واضحاً. يقول الفارابي:

أخي خَلِّ حَيّزَ ذي باطلٍ وكُنْ لِلحقائقِ في حَيِّز
فما الدّارُ دار خلودٍ لَنا ولا المرءُ في الأرضِ بِالْمُعْجِز
وهل نحنُ إلاّ خطوطٌ وقعْنَ على كُرَةٍ وَقَعَ مستوفزِ
ينافسُ هذا لِذاكَ على أقلَّ مِنَ الكَلمِ الموجزِ
محيطُ السمْواتِ أَوْلى بِنا ففيمَ التّزاحمُ في المركَزِ[٢]

❖ ابن الجوزي (القرن الـ ٦ هـ/١٢ م)

(مهلاً فما اللذات إلا خدع)

ومن ألطف أشعار الزهد الوعظ، ما قاله أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد بن الجوزي، وهو المشهور في مباحث الفقه والتفسير والأدب، يقول أبو الفرج واعظاً:

يا نادباً أطلالَ كلِّ نادي وباكياً في إِثْرِ كلِّ حادي
مستلَبَ القلبِ بِحُبِّ غادةٍ غدتْ فإنَّ البينَ بِالفؤادِ
مهلاً فما اللّذّاتُ إلاّ خُدَعٌ كأنّها طيفُ خيالٍ غادي[٣]

(يا ساكن الدنيا تاهب)

ومن أفضل شعره الزهدي، قوله:

يا ساكن الدّنيا تأهّبْ وَانْتظرْ يومَ الفراقِ
وأعدَّ زاداً للرّحيلِ فسوفَ يُحدى بالرّفاقِ

---

(١) رسالة الغفران ص ٤١. والشرّة: الحدّة.
(٢) عيون الأنباء، لابن أبي أصيبعة ص ٦٠٨. والحيز: المكان. والمستوفز: المتهيء للقيام.
(٣) الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب ١/ ٤٢٥. القاهرة ١٩٥٢ م. والبين: الفراق. والغادي: السائر صبحاً.

وَابْـكِ الـرّبـوعَ بـأدمـعٍ تـنـهـلُ مِـنْ سُـحُـبِ الأمـاقِ
يـا مَـنْ أضـاعَ زمـانَـهُ أرضِـيـتَ مـا يَـفـنـى بِـبـاقِ[1]

❖ ابن أبي زندقة (ت ٥٢٠ هـ/١١٢٦ م)

(إنها ليست لحيّ وطنا)

ومن الشعر الذي يعبر فيه أبو بكر محمد الطرطوشي، المعروف بابن أبي زندقة الأندلسي، عن زهده بالحياة الدنيا، والدعوة إلى العمل الصالح، قوله، وهو يتميز بالسهولة:

إنَّ لِـلّـهِ عـبـاداً فُـطُـنـاً طَـلّـقـوا الـدُّنـيـا وخـافـوا الـفِـتـنـا
فَـكّـروا فـيـهـا فـلـمّـا عـلـمـوا أنّـهـا لـيـسـتْ لِـحَـيّ وطـنـا
جـعـلـوهـا لُـجّـةً واتّـخـذوا صـالـحَ الأعـمـالِ فـيـهـا سُـفُـنـا[2]

❖ ابن جبير (ت ٦١٤ هـ/١٢١٧ م)

(فما يقبل اليوم منك اعتذار)

ومن الشعر الذي يندرج في دائرة الزهد، أو ما يشبه الزهد، ما قاله الرحالة الأندلسي الشهير، محمد بن أحمد بن جبير:

خـلـقْـتَ الـعـذارَ بِـشـيْـبِ الـعـذارِ فـمـا يُـقـبـلُ الـيـومَ مـنـكَ اعـتـذارْ
وقـالـوا الـمـشـيـبُ وقـارُ الـفـتـى وهـذا الـمـشـيـبُ فـأيـنَ الـوقـار
جـلا صـبـحُـه عـنـكَ لـيـلَ الـشّـبـابِ فـشـمـسُـكَ مُـؤْذِنَـةٌ بِـاصْـفِـرار
أراكَ صـحـبْـتَ حـيـاةَ الـغـرورِ وتـسـحـبُ جـهـلاً ذيـولَ اغْـتـرار
ألـسـتَ تـرى كـدراً صـفـوَهـا ونـجـمـكَ قـد مـالَ يـبـغـي انْـكـدار
وكـيـف تـنـامُ عـلـى غـرّةٍ وسـيـفُ الـمـنـيّـةِ مـاضـي الـغِـرار
فـلـو كـنـتَ تـحـذرُ صـرفَ الـرّدى إذاً لَـنَـفـى الـنّـومَ عـنـكَ الـحِـذار
عـبـرتَ مـراحـلَ عـمـرِ الأَشـدّ ولـسـتَ أرى لـك فـيـهـا اعـتـبـار
وجـرتَ بـهـا عـن طـريـقِ الـهـدى صـلاةً وتـعـدو عـلـى أنْ تُـجـار
أتـاكَ الـرّحـيـلُ فـشـمّـرْ لـهُ فـإمّـا إلـى جِـنّـةٍ أو لِـنـار
وكـيـف تـقـرُّ بِـدنـيـاكَ عـيـنـاً ولـم تـدرِ أيـنَ يـكـونُ الـقـرار[3]

---

(١) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، لسبط بن الجوزي ١/ ٤٤. مخطوطة الأزهر رقم ٦٧٦٥. ويحدى: يغني لهم حداء. والأماق: محاجر العيون. جمع مؤقة.

(٢) تاريخ الآداب العربية ٢/ ١٦٩. وفطن: أذكياء. واللجّة: معظم الماء.

(٣) مجلة معهد المخطوطات العربية ص ٢١٢. ج ١. مجلد ٢٩ ـ ١٩٨٥ م. والعذار: جانب اللحية. وخلع عذاره: إنهمك في الغيّ، والغرة: الغفلة. والغرار: القالب يضرب عليه النصال.

(وما الدنيا لساكنها بدار)

ولابن جبير، هذان البيتان الرائعان من الشعر الزهدي:

أراكَ مِنَ الحياةِ على اغترارِ ... ومالكَ بالإنابةِ مِن بدارِ
وتطمعُ في البقاءِ وكيفَ تبقى ... وما الدّنيا لِساكنها بِدارِ[1]

(وما يرجى لتوبته قبول)

وله أيضاً:

يُنيلُ المرءَ تبصرةٌ وذكرى ... إذا ما ابْيضَّ فَوْداه وشابا
وما يُرجى لِتوبتهِ قبولٌ ... إذا مزجَ الرّياءَ بها وتابا[2]

❖ **ابن مطروح (ت ٦٤٩ هـ/١٢٥١ م)**

(فأنت يا مولاي أولى به)

من نادر شعر الزهد في الحياة، والتوبة من الذنب، والتضرع إلى الله والتورع عن المحارم، ما قاله أبو الحسن يحيى بن عيسى، المعروف بابن مطروح، وكان ملازماً لملوك بني أيوب في مصر والشام. يقول ابن مطروح، مناجياً ربه، تائباً إليه، وهو من أسهل الشعر وأبينه:

يا أيُّها الشّامخُ في قُرْبِهِ ... يا أيُّها الظاهرُ في حُجْبِهِ
بِالْبابِ كلبٌ وجِلٌ خائفٌ ... مِن طولِ ما أسلفَ مِن ذنبِه
جاءكَ يستغفر ما قد جنى ... مُلْقىً مِنَ الذُّلِّ على جنبهِ
وهْو معَ الخوفِ شديدُ الرّجا ... فأنتَ يا مولايَ أَوْلى بهِ
مُنَكِّسٌ مِنْ خَجَلٍ رأسَهُ ... باسطُ خدَّيْهِ على تُرْبِه
فهلْ لهُ غيرُكَ مِن راحم ... هل يرحمُ الكلبَ سوى ربِّه
وهل له فيكَ طُمَأنينةٌ ... تدخلُ بالأمنِ على قلبهِ[3]

❖ **بعضهم**

(وكل الذي دون الممات قليل)

ومن أروع ما قيل في الزهد والحكمة، ما قاله بعضهم:

لِكُلِّ اجتماعٍ مِنْ خليلَيْنِ فرقةٌ ... وكلُّ الذي دونَ الممات قليلُ

---

(١) المرجع نفسه ص ٢١٣. والبدار: الإسراع.
(٢) المرجع نفسه ص ٢١١. والفودان، مثنى فود، وهو جانب الرأس مما يلي الأذن.
(٣) ديوان ابن مطروح ص ١٢١. مطبعة الجوانب. القسطنطينية ١٢٩٨ هـ.

وإنَّ افْتِقادي واحداً بعدَ واحدٍ دليلٌ على أنْ لا يدوم خليلُ[١]

❖ بعضهم

(والفوز فوز الذي ينجو من النار)

ومن بديع الشعر قول بعضهم في التوبة والزهد:

إنَّ الشَّقِيَّ الّذي في النّارِ منزلُهُ والفوزُ فوزُ الذي يَنْجو مِنَ النَّارِ
يا ربِّ أسرفْتُ في ذني ومعصيتي وقد علمْتُ يقيناً سوءَ آثاري
فاغفرْ ذنوباً إلٰهي قد أحطْتَ بِها ربّ العبادِ وزَحْزِحْني عنِ النّارِ[٢]

(١) البيان والتبيين ٣/ ٤٧٧.
(٢) المحاسن والأضداد ص ١٠٣ ـ ١٠٤.

الباب الثالث

في ما بعد العصر العباسي

❖ ابن الثّردة (ت ٧٥٠ هـ/١٣٤٩ م)

(يا أيها النائم)

ومن أعجب أخبار علي بن إبراهيم المعروف بابن الثردة الواعظ بمسجد دمشق في القرن الثامن الهجري، أنه كان يتخذ كارة، أي صرّة، يحملها تحت إبطه فلا تفارقه ليلاً ولا نهاراً، وكانت تضمّ ما قاله من قصائد وموشحات في الغزل الوعظ والزهد، وإن منها هذه الأبيات الموشحة الزهدية:

يا أيُّها النائمُ كِمْ هذا الرُّقادْ ... إنْ تَتَبهْ كمْ نَوْمْ
انتبهْ مِن ذا الكرى يا ذا الجمادْ ... تلحقْ بِالْقومْ
وتأهّبْ لِغَدٍ يوم المعادْ ... يا لَهُ مِنْ يَوْمْ
وَافْعَلِ الْخَيرَ لِتحظى بالنّجاحْ ... لا تكُنْ كسلانْ
واجتهدْ فالمجتهدْ يلقى الفلاحْ ... وَيَرى الإحسانْ
قد تقضّى العمرُ دَعْ لَهْوَ الصِّبا ... أيُّها الغافلْ
لا تكنْ مِمَّنْ إلى الجهلِ صَبا ... تَعِسَ الجاهلْ
كلُّ شيءٍ تهبُ الدّنيا هُبا ... ليسَ بِالطّائلْ
كم حريصٍ خلّفَ الدّنيا وراحْ ... لابسَ الأكفانْ
وأخو الفقرِ تُوُفّي فَاستراحْ ... قلبُه التّعبانْ[1]

❖ عمر الأنسي (ت ١٢٩٣ هـ/١٨٧٦ م)

(رغبت عن الدنيا)

ومن شعر عمر بن محمد الإنسي، الأديب والشاعر اللبناني، قوله في الزهد:

رغبْتُ عنِ الدُّنْيا وزخرفِ أهلِها ... وقلتُ لِنفسي إنّما العيشُ في الأُخرى
فَدَعْني وزُهْدِيَ في الْحطامِ فإنّني ... أرى الزّهدَ في الدّنيا هو الراحةُ الكبرى[2]

❖ الحسن بن الهبل (ت ١٠٧٩ هـ)

(وإنما الآخرة المنزل)

وللحسن بن علي بن جابر الهبل اليمني، الذي اشتغل بالعلوم والآداب، شعر رائع في وصف الدنيا، يميل فيه إلى الزهد والوعظ والتأمل والمناجاة، يقول الحسن بن الهبل:

أينَ اسْتَقَرَّ السّفرُ الأوّلُ ... عمّا قريبٍ بهمْ ننزلُ

---

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦. وهبا: مقصور هباء، وهو الغبار، ويوم المعاد: يوم القيامة. والكرى: النوم.

(٢) المرجع نفسه ٢/ ٣٢٨. والحطام: يريد به حطام الدنيا وزينتها.

مَـرُّوا سـراعـاً نـحـوَ دارِ الْـبَـقـا ... ونـحـنُ فـي آثـارِهـم نـرحـلُ
مـا هـذهِ الـدُّنـيـا لـنـا مـنـزلاً ... وإنّـمـا الآخـرةُ الـمـنـزلُ
قـد حـذّرتْـنـا مِـن تـصـاريـفـهـا ... لـوْ أنّـنـا نـسـمـعُ أو نـعـقـل
يُـطـيـلُ فـيـهـا الـمـرءُ آمـالَـهُ ... والـمـوتُ مِـن دونِ الـذي يـأمـل
يـحـلـو لـه مـا مـرَّ مِـن عـيـشِـهـا ... ودونَـه لـو عـقـلَ الـحـنـظـلُ
أَلْـهَـتْـهُ عـن طـاعـةِ خـلاّقـه ... والـلّـهُ لا يـلـهـو ولا يـغـفـل
يـا صـاحِ مـا لـذّةُ الـعـيـشِ بـهـا ... والـمـوتُ مـا تـدري مـتـى يـنـزل
يـدعـو لـيَ الأحـبـابُ مِـن بـيـنـنـا ... يُـجـيـبُـه الأوّلُ فـالأوّل
يـا جـاهـلاً يـجـهـدُ فـي كـسـبِـهـا ... أغـرّكَ الـمـشـربُ والـمـأكـل
ويـا أخـا الـحـرصِ عـلـى جـمـعـهـا ... مـهـلاً فَـعَـنْـهـا فـي غـدٍ تُـسـأل
لا تـتـعـبَـنْ فـيـهـا ولا تـأسـفَـنْ ... لِـمـا مـضـى فـالأمـرُ مـسـتـقـبـل
مـا قـولُـنـا بـيـنَ يـدَيْ حـاكـمٍ ... يـعـدلُ فـي الـحـكـم ولا يـعـزل
مـا قـولُـنـا لِـلّـهِ فـي مـوقـفٍ ... يـخـرسُ فـيـه الـمِـصْـقَـعُ الـمِـفْـوَل
وإنْ سُـئِـلْـنـا فـيـه عـن كـلِّ مـا ... نـقـولُ فـي الـدنـيـا ومـا نـفـعـل
مـا الـفـوزُ لِـلـعـالـمِ فـي عـلـمِـه ... وإنّـمـا الـفـوزُ لِـمَـنْ يَـعـمـلُ[1]

(رويدك من كسب الذنوب)

وله أيضاً:

رَوَيْـدَكَ مِـن كـسـبِ الـذّنـوبِ فـأنـتَ لا ... تـطـيـقُ عـلـى نـارِ الـجـحـيـم ولا تَـقْـوى
أتـرضـى بـأنْ تَـلْـقـى الـمـهـيـمـنَ فـي غـدٍ ... وأنـتَ بِـلا عـلـمٍ لَـدَيْـكَ ولا تـقـوى[2]

❖ ابن عطيف (ت ١٠٨٩ هـ)

(وما يعنيك لا تهدم مشاده)

ومن الشعر الوعظي الزهدي المسمى بنظم التلقين، ما قاله حسن بن موسى المعروف بابن عطيف الدمشقي. يقول ابن عطيف:

تَـتَـبَّـعْ يـا فـتـىً طُـرُقَ الـسّـعـادةْ ... فـتـلـكَ إذا وصـلْـتَ هـي الـسّـعـادةْ
وجـنِّـبْ نـفـسَـكَ الـشُّـبُـهـاتِ وَاصْـبِـرْ ... وفـي مـا حـلَّ فَـالْـزمـهـا الـزّهـادة
وحـبَّ الـلّـهِ آثـرْهُ وأحـسِـنْ ... وقـمْ بِـالـواجـبـاتِ مِـنَ الْـعـبـادة
وعـظِّـم أمـرَهُ تـعـظـيـمَ عـبـدٍ ... تَـيَـقَّـنَ رحـلـةً فـأعـدَّ زاده

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبّي ٢/ ٣١. مكتبة خياط ـ بيروت. والسفر: جماعة المسافرين. وتصاريف الدنيا: حوادثها. والحنظل: نبات مرّ. والمصقع المقول: الخطيب البارع في القول والخطابة.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٣٣. والمهيمن: اسم من أسماء الله تعالى، ويعني القوي المسيطر.

ولا تفرحْ بما أُوتيتَ وَانْدم ... على التّفريطِ عن طلبِ السعادة
تجنّبْ ما نهاكَ اللّهُ عنه ... وما يَعنيكَ لا تهدمْ مُشاده
تصوَّرْ بعدَ موتِكَ ما تُلاقي ... فبديُ الأمرِ تمكنُه الإعادة
وجنِّبْ نفسَكَ الدُّنيا فمنْ لم ... يُحاذرْها فقد ملكتْ قيادة
ومهما آذنَتْ بِصلاحِ أمرٍ ... تراه صالحاً فَاحْذرْ فساده
وَرَجِّ الخيرَ في الأحوالِ إلاّ ... لِذي ذنبٍ فخفْ وَاقْدَحْ زناده
ومهما أمكنتْكَ خصالُ خيرٍ ... فآثِرْها تفزْ وحُزِ الإجادة[1]

❖ **محمد الكواكبي (ت ١٠٩٦ هـ)**

(حتّام في ليل الهموم)

ومن الشعر الزهدي الداعي إلى الإنابة لله، والتضرع إليه، قول محمد بن حسن الكواكبي، الحلبي، وكان مفتياً، وفقيهاً وشاعراً:

حَتّامَ في لَيْلِ الهمومِ ... زنادَ فكرِكَ تَقْتَدِحْ
قلبٌ تحرَّقَ بِالأَسى ... ودموعُ عينٍ تنسفحْ
إرفقْ بنفسِكَ واعتصمْ ... بِحمى المهيمنِ تنشرحْ
وَاضْرعْ لَه إنْ ضاقَ ... عنكَ خناقُ حالِكَ تنفسح
ما أَمَّ ساحةَ جودِهِ ... ذو محنةٍ إلاّ مُنِحْ
أو جاءَه ذو المعضلاتِ ... بِمُقْفَلَقٍ إلاّ فُتِحَ
فدعِ الْهوى وَانْهج على ... نهجِ السَّوِيِّ المتَّضِحْ
وَاسْمَعْ مقالةَ ناصحٍ ... إنْ كنتَ مِمَّنْ ينتصح
ما تمَّ إلاّ ما يريدُ ... فدعْ مرادَكَ وَاطَّرح
وَاتْركْ وساوسَكَ التي ... شغلَتْ فؤادَكَ تسترحْ[2]

❖ **إسماعيل صبري (ت ١٣٤١ هـ/١٩٢٣ م)**

(يا عالم الأسرار)

ومن الشعر الوجداني الزهدي القائم على الرجاء واستعطاف العزّة الإلٰهية، ما قاله إسماعيل صبري باشا، الأديب والشاعر المصري. يقول إسماعيل مناجياً ربّه، ومتسائلاً ومستعطفاً:

يا ربِّ أينَ تُرى تُقامُ جهنّمٌ ... لِلظّالمينَ غداً ولِلأشرارِ
لم يُبْقِ عفوُكَ في السّمٰواتِ العُلى ... والأرضِ شبراً خالياً لِلنّار

(١) خلاصة الأثر ٢/٦٨.
(٢) خلاصة الأثر، للمحجي ٣/٤٣٨ ـ ٤٣٩.

يا ربِّ أَهِّلْنِي لِفضلِكَ واكفني ... شَطَطَ العقولِ وفتنةَ الأفكار
وَمُرِ الوجودَ يشفَّ عنكَ لِكَيْ أرى ... غضبَ اللّطيفِ ورحمةَ الجبّار
يا عالمَ الأسرارِ حَسْبي محنةً ... علمي بأنّكَ عالمُ الأسرار
أَخْلِقْ بِرحمتِكَ الّتي تسعُ الورى ... أنْ لا تضيقَ بأعظمِ الأوزارِ[1]

❖ رشيد عطا الله (ت ١٣٤١ هـ/١٩٢٣ م)

(إنما الأكدار فيها شبه نق)

ومن الشعر الذي نظمه في صدر حياته في الزهد وغرور الدنيا، رشيد يوسف عطا الله الأديب والشاعر اللبناني، قوله من أبيات على رويّ الواو الساكنة:

عاشقَ الدّنيا إلى ما أنتَ غَوّ ... قلب أيّ ودّها ولم يُدَوّ
قد ظننتَ ماءَها يَرْوي الظّما ... أتروم الرّيَّ والإناءُ صَوّ
كلُّ خيرٍ نازحٌ عنها ألا ... إنّما الأكدارُ فيها شبهُ نَوّ
فبِجامِ الرّاحِ تَسْقيكَ الرّدى ... وكأيٍّ جدحَتْ سمّاً بِخَوّ
واذْكِرْ في أربعٍ لا تنسَها ... إنَّ ذِكراها لِنورِ اللّهِ كَوّ
موتُ جسمٍ عاجلاً أو آجلاً ... دينُ نفسٍ ثم دارُ الخُلْدِ أو[2]

❖ حمزة الملك (القرن العشرون م)

(مولاي قد نامت عيون)

من أرق شعر التأمل في الوجود والزهد بالحياة، ما قاله حمزة الملك طنبل، الشاعر السوداني المعاصر، والرومنطيقي النزعة، من قصيدة يناجي فيها ربّه وأسماها: جوف الليل. يقول حمزة الملك:

مولايَ قد نامتْ عيونْ ... وتيقّظتْ أيضاً عيونْ
نامت عيونُ الخائنينَ ... وعينُ نجمكَ لا تخونْ
ترنو إلينا وهي ساهيةٌ ... عن الدّنيا الخؤونْ
أتراه أذهلَها جلالُ ... اللّهِ أم مَرُّ القرونْ
أم أنَّ مَن فوقَ الثّرى ... لا يسمعونَ ولا يعونْ
يا ويحَ نفسيَ وهي ترسفُ في سجونْ
آمنتُ أنَّ الفردَ فوقَ الأرضِ أحقرُ ما يكونْ

---

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/٣٤٦. والأوزار: الذنوب، جمع وزر. ويشف: يرق ويظهر. والشطط: تجاوز الحدّ.
(٢) نفسه ٢/٣٩٨. والغو: مخفف غوٍ، وهو الفصيل المهزول، كناية عن اللهو. ودوّى: سار في الدو، وهي الفلاة. والصو: الفارغ، مخفف صوٍ. والنو: المطر. وجدحت: خلطت. والخو: العسل. وهووها: عشقوها. وهووا: سقطوا وماتوا. والكو: النافذة، مخفف كوّة.

مولايَ لو خَيَّرْتَني لاَخْتَرْتُ أنّي لا أكونْ[١]

❖ **التيجاني البشير (القرن العشرون م)**

(الوجود الحق ما أوسع في النفس مداه)

وقريب من الشعر الآنف الذكر، ما يقوله معاصره التيجاني يوسف بشير، وهو الذي تأمل الوجود، وأشرف على تجلّيات الله تعالى في الكون والكائنات، يقول من أبيات له:

كلُّ ما في الكون يمشي في حناياهُ الإلٰهْ
هذهِ النملةُ في رِقَّتِها رَجْعُ صَداهْ
هو يحيا في حواشيها وتحيا في ثراه
هي إنْ أسلمتِ الرُوحَ تلقَّتْها يداه
لم تمتْ فيها حياةُ اللّهِ إنْ كنتَ تراه
الوجودُ الحقُّ ما أوسعَ في النفسِ مداه
والسّكونُ المحضُ ما أوثقَ بِالرّوحِ عُراه[٢]

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/ ٤٢٧.
(٢) نفسه ٢/ ٤٢٨.

أروع ما قيل في الرثاء

الباب الأول

رثاء الأهل

١ ــ رثاء النفس
٢ ــ رثاء الأولاد
٣ ــ رثاء الإخوة
٤ ــ رثاء الأزواج
٥ ــ رثاء الآباء

١ ــ رثاء النفس

❖ أ ـ أفيون التغلبي

(فيا معرضاً إن الحتوف كثيرة)

من الشعراء الذين رثوا أنفسهم في حياتهم شاعر جاهلي اسمه صريم بن معسر بن ذهل التيمي التغلبي، ويلقب بأفيون. حدث الرواة قالوا إنه لقي كاهناً فقال له إنك تموت بمكان اسمه إلاهة. ومضى زمان طويل حتى إذا ركب أفيون مع قومه إلى الشام، وأرادوا الانصراف طلبوا الطريق فقال أحدهم: سيروا حتى إذا كنتم بمكان كذا وكذا ظهر لكم الطريق ورأيتم إلاهة، وهي قارة بالسماوة. فلما أتوا إلاهة نزل الركب وأبى أفيون أن ينزل. فبينا ناقته ترتعي وهو راكبها إذ بحيّة تأخذ بمشفر ناقته، فتحك الناقة مشفرها بساق أفيون فيحسّ بالسم فقال لأخ كان معه اسمه معاوية: إحفر لي فإني ميت. ثم ما لبث ساعة حتى مات بعد أن قال يبكي نفسه[١]:

ولستُ على شيءٍ قروحاً معاويا ... ولا المشفقاتُ يتبعْنَ الحواريا[٢]
ولا خير في ما كذّب المرءُ نفسه ... وتقوالِهِ للشيءِ يا ليت ذالِيا
وإنْ أعجبتْكَ الدهرَ حالٌ مِنِ امْرىءٍ ... فدعْه وواكل حالَه والليالِيا
يرحْنَ عليه أو يغيّرْنَ مابهِ ... وإنْ لم يكن في جوفه العيشُ وانيا
فيا معرضاً إنّ الحتوفَ نثيرةٌ ... وإنك لا تُبقي بنفسِكَ باقيا
لعمركَ ما يدري امرؤٌ كيف يتّقي ... إذا هو لم يجعلْ له اللّهُ واقيا
كفى حَزَناً أن يرحلَ الركبُ غُدوةً ... وأنزلَ في أعلى إلاهةَ ثاويا[٣]

❖ ب ـ يزيد بن خراق

(هل للفتى من بنات الدهر من واق)

وثمة من الشعراء من رثى نفسه ووصف ما يكتب على القبر، ويقال إن أول من بكى على نفسه وذكر الموت في شعره الشاعر الجاهلي يزيد بن خراق، وهو الذي عاصر عمرو بن هند. وقال فيه أبو عمرو بن العلاء: أول شعر ذم في الدنيا قاله يزيد بن خراق، وذلك في قصيدته التي منها هذه الأبيات في رثاء نفسه[٤]:

---

(١) ابن عبد ربه أحمد: العقد الفريد ٢/ ١٠
(٢) الحواري: الخالص المنقى من كل عيب. والحواري: الصاحب.
(٣) ثاويا: مقيما.
(٤) ابن عبد ربه أحمد: العقد الفريد ٢/ ٩.

هل لِلفتى مِن بناتِ الدهرِ مِن واقِ ... أم هل له مِن حِمامِ الموتِ مِن راقِ[١]
قد رجّلوني وما بالشّعرِ مِن شَعَثٍ ... وألبسوني ثياباً غيرَ أخلاق[٢]
وطيّبوني وقالوا أيّما رجل ... وأدرجوني كأنّي طَيُّ مخراق[٣]
وأرسلوا فتيةً مِن خيرِهم حسباً ... ليُسندوا في ضريحِ القبرِ أطباقي
وقسّموا المالَ وارفضّتْ عوائدُهم ... وقال قائلُهُم ماتَ ابْنُ خرّاق[٤]
هاونْ عليكَ ولا تولعْ بإشفاقِ ... فإنما مالُنا للوارثِ الباقي

❖ ج ـ أبو ذؤيب الهذلي (ت حوالي ٢٧ هـ/٦٤٨ م)

(وأدرجت أكفاني ووسدت ساعدي)

ومن الذين رثوا أنفسهم في الحياة قبل الموت أبو ذؤيب الهذلي، خويلد بن خالد، الشاعر الجاهلي، والذي أدرك الإسلام، وضعه ابن سلام في الطبقة الثالثة من طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين، إلى جانب كل من النابغة الجعدي والشماخ ولبيد. قال أبو ذؤيب راثياً نفسه، واصفاً حفرته من أبيات[٥]:

مطأطأةٌ لم يبسطوها وإنّها ... لَيَرضى بها فرّاطها أمّ واحدِ
قضوْا ما قضوا مِن رمّها ثم أقبلوا ... إليَّ بِطاءَ المشي غُبْرَ السواعد
فكنتُ ذنوبَ البئرِ لما تلحبتْ ... وأُدرجْتُ أكفاني ووُسِّدْتُ ساعدي[٦]

❖ د ـ مالك بن الريب (ت ٤٤ هـ/٦٦٦ م)

(غداة غد يا لهف نفسي على غد)

ومن غرائب المراثي ما قاله مالك بن الريب التميمي، الشاعر الإسلامي والأموي، يرثي نفسه ويصف قبره. وكان مالك، وهو الذي نشأ في بادية بني تميم قرب البصرة قد خرج مع سعيد بن عفان، أخي عثمان لما ولي خراسان من قبل معاوية. رثى مالك نفسه لما كان ببعض الطريق، فأراد أن يلبس خفه، فلسعته أفعى كانت داخل الخف، فأحس بوطأة السم وهو يتسرب إلى داخله، وما لبث أن استشعر الموت فاستلقى على ظهره ثم أنشأ يقول قصيدة منها هذه الأبيات[٧]:

تقولُ ابْنتي لما رأتْ وشكَ رحلتي ... سفارُكَ هذا تاركي لا أباً ليا

---

(١) بنات الدهر: صروفه وأحداثه. والواقي: الحامي. والراقي: من يعالج المصاب بالرقية.
(٢) رجلوني: سوّوا شعري ورتبوه. والشعث في الشعر: عدم انتظامه أو ترتيبه. وثياب أخلاق: بالية.
(٣) المخراق: النافذ في الأمور. وهنا. المنديل أو نحوه يلوى فيضرب به.
(٤) ارفضت عوائدهم: انتهى مجلسهم.
(٥) ابن عبد ربه أحمد: العقد الفريد ٢/٩.
(٦) الذنوب: الدلو. وتلحبت: تقطعت.
(٧) ابن عبد ربه أحمد: العقد الفريد ٢/٩.

ألا ليتَ شعري هل بكتْ أمُّ مالكٍ ... كما كنتُ لو عادى نعيُّك باكيا[١]
إذا متُّ فاغتادي القبورَ وسلّمي ... عليهنَّ أُسقينَ السحابَ الغواديا[٢]
تريْ جدثاً قد جرّتِ الريحُ فوقه ... تراباً كلونِ المسطلانيِّ هابيا[٣]
فيا صاحبيْ رَحْلي دنا الموتُ فاحفرا ... ترائبَهُ إني مقيمٌ ليالِيا[٤]
وخُطّا بأطرافِ الأسنّةِ مضجعي ... ورُدّا على عينيَّ فضلَ ردائيا[٥]
ولا تحشراني بارَكَ اللّهُ فيكما ... مِنَ الأَرض ذاتِ العرضِ إنْ تُوسّعاليا
خُذاني فجُرّاني بُبردي إليكما ... فقد كنتُ قبلَ اليومِ صعباً قياديا[٦]
تفقّدْتُ مَن يبكي عليَّ فلم أجدْ ... سوى السيفِ والرمحِ الرُّدَيْنيّ باكيا[٧]
وأدهمَ غربيبٍ يجرُّ لجامَه ... إلى الماءِ لم يترك لَهُ الموتُ ساقيا[٨]
وبالرملِ لم يعلَمْنَ علميَ نسوةٌ ... بكيْنَ وفدّيْنَ الطبيبَ المداويا[٩]
عجوزي وأختاي اللتان أُصيبتا ... بموتي وبنتٌ لي تهيجُ البواكيا[١٠]
لَعمري لئنْ عالت خراسانُ هامتي ... فقد كنتُ عن بابيْ خراسانَ نائيا[١١]
تحمّلَ أصحابي عشاءً وغادروا ... أخا ثقةٍ في عرصةِ الدارِ ثاويا[١٢]
يقولون لا تبعدْوهم يدفنوني ... وأين مكانُ البعدِ إلاّ مكانيا
غداةَ غدٍ يا لهفَ نفسي على غدٍ ... إذا أدلجوا عني وخُلّفتُ ثاويا[١٣]
وأصبح مالي مِن طريفٍ وتالدٍ ... لغيري وكان المالُ بالأمس ماليا[١٤]

❖ هـ ـ هدبة العذري (نحو ٥٠ هـ/٦٧٠ م)

(ألا علّلاني قبل نوح النوائح)

ومن الشعراء الذين رثوا أنفسهم قبل الموت هدبة بن خشرمة العذري، أحد شعراء بني عذرة. إذ قال لما أيقن بالموت، وهو من أرق شعر الرثاء[١٢]:

---

(١) الغي: من يحمل خبر الموت.
(٢) السحاب الغوادي: المطر في الغداة.
(٣) الجدث: القبر. والقسطل: الغبار، والموضع الذي تفترق منه المياه. والقسطلاني، المنسوب إلى القسطل، وهو موضع بين حمص ودمشق. والهابي: الثائر والمرتفع.
(٤) الرحل: الدابة وما يوضع عليها. والترائب، جمع ترتيبة وهي صفحة الصدر.
(٥) البرد: الرداء.
(٦) الرديني: المنسوب إلى ردينة، وهي التي كانت تعمل الرماح أو تنسب إليها.
(٧) الأدهم: الأسود، وهو صفة الجواد، والغربيب: الأسود.
(٨) خراسان: اسم مقاطعة ببلاد فارس، وإيران، اليوم. والهامة: الرأس.
(٩) عرصة الدار، وسطها، والباحة أمامها. وثاويا: مقيما.
(١٠) أدلجوا: دخلوا في الليل.
(١١) التالد من المال: قديمه. والطارف: مستحدثه.
(١٢) ابن عبد ربه أحمد: العقد الفريد ٢/ ١٠.

ألا عـلّـلانـي قـبـلَ نـوحِ الـنـوائـحِ ... وقبلَ اطّلاعِ النفسِ بينَ الجوانحِ[١]
وقبلَ غدٍ يا لهفَ نفسي على غدِ ... إذا راحَ أصحابي ولستُ برائحِ
إذا راح أصحابي بفيضِ دموعِهمْ ... وغُودرْتُ في لحدٍ عليّ صفائحي[٢]
يقولون هل أصلحتُم لأخيكُم ... وما الرمسُ في الأرضِ الغوارِ بصالحِ[٣]

❖ و ـ الطرماح (ت حوالي ١٢٥ هـ/٧٤٣ م)

(ويصبح لحمي بين طير معيلة)

ومن الذين رثوا أنفسهم في حياتهم الطرماح بن حكيم، وهو شاعر إسلامي، وأحد شعراء الخوارج المعروفين. يقول الطرماح[٤]:

فيا ربِّ لا تجعلْ وفاتيَ إنْ أتتْ ... على شرجعٍ يُعلى بدكنِ المطارفِ[٥]
ولكن أجرْ يومي شهيداً وعصبة ... يصابون فَي فجٍّ من الأرض خائف
إذا فارقوا دنياهمُ فارقوا الأذى ... وصاروا إلى موعود ما في الصحائف
فأقتلُ قِطْعاً ثم يُرمى بأعظمي ... مفرّقةً أوصالُها في التنائف[٦]
ويصبحُ لحمي بينَ طيرٍ معيلةٍ ... دُوَيْنَ السماءِ في نسورٍ عواجف[٧]

---

(١) الجوانح: الاضلاع القصيرة مما يلي الصدر. وعللاني: اسقياني مرة بعد مرة.
(٢) الصفائح: الحجارة التي توضع فوق القبر.
(٣) الأرض الغوار: الغائرة. والرمس: القبر.
(٤) العقد الفريد ٢/ ٩.
(٥) الشرجع: السرير يحمل عليه الميت. والمطارف جمع مطرف. وهو الثوب.
(٦) القصع: القطع والكسر. والتنائف، جمع تنوفة، وهي الأرض البلقع.
(٧) الطير المعيلة: الجائعة. والعواجف: الهزيلة.

٢ ــ رثــاء الأولاد

❖ أ ـ أبو ذؤيب الهذلي[١]

(فبقيت بعدهم بعيش ناصب)

ومن أروع الرثاء وأصدقه وأكثره لوعة رثاء أبي ذؤيب الهذلي وكان له أولاد سبعة فماتوا كلهم إلا واحداً. فقال راثياً[٢]:

أمِنَ المنونِ وريبهِ يُتفجّع ... والدهرُ ليسَ بمعتبٍ مَن يجزعُ[٣]
قالتْ أمامةُ ما لِجسمك شاحباً ... منذُ ابتذلْتَ ومثلُ مالِكَ ينفع[٤]
أَوَ ما بجسمكَ لا يلائمُ مضجعاً ... إلاّ أقضّ عليك ذاك المضجع[٥]
فأجبْتُها أمّا بجسمي إنه ... أودى بَنِيَّ مِنَ البلادِ فودّعوا[٦]
أودى بنيّ وأعقبوني حسرةً ... بعدَ الرّقادِ وعبرةً ما تُقلع
سبقوا هوايَ وأعنقوا لهواهمُ ... فتحزمّوا ولِكلّ جنبٍ مصرع[٧]
فبقيتُ بعدَهُمُ بعيشٍ ناصبٍ ... وإخالُ أني لاحقٌ مستتبع
ولقد حرصْتُ بأن أدافعَ عنهمُ ... وإذا المنيّةُ أقبلتْ لا تُدفع
وإذا المنيّةُ أنشبتْ أظفارها ... ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفع[٨]
فالعينُ بعدهمُ كأنّ حداقَها ... سملتْ بشوكٍ فهيَ عودٌ تدمع[٩]
حتى كأنّي للحوادثِ مروةٌ ... بِصفا المشرّقِ كلَّ يومٍ تُقرع[١٠]
وتجلّدي للشامتين أُريهمُ ... أنّي لريبِ الدهرِ لا أتضعضع
والنفسُ راغبةٌ إذا رغّبتها ... وإذا تردّ إلى قليلٍ تقنع[١١]

---

(١) مرت ترجمته.
(٢) ابن عبد ربه، أحمد: العقد الفريد ٢/ ١٢ ـ ١٣.
(٣) ريب الدهر: حوادثه. ومعتب: مُرضٍ بعد العتاب.
(٤) ابتذلت: امتهنت.
(٥) أقضّ: جعله لا ينام أو يطمئن.
(٦) أودى: هلك.
(٧) تحزموا: تقطع حالهم.
(٨) التميمة: ما يعلق على جسم المريض من الأحراز وغيرها وقاية له.
(٩) حداقها: جمع حدقة. وحدقة العين: سوادها المستدير وسطها. وسملت: قلعت.
(١٠) المروة: الصخرة. وهي الصخرة القريبة من الكعبة. ومثلها الصفا.
(١١) قال الأصمعي: هذا أبدع بيت قالته العرب.

❖ ب ـ الحارثية

(نبئت بسراً وما صدقت ما زعموا)

ولما قتل بُسر بن أرطأة، وهو أحد بني عامر، ابنيْ عبيد الله بن العباس، عامل علي بن أبي طالب على اليمن، قالت أم الصبيّين وهي من بني الحارث، ترثيهما[١]:

يا مَنْ أحسَّ بُنيَّيَّ اللّذيْنِ هما ... كالدُّرَّتيْن تَشَظَّى عنهما الصدفُ[٢]
يا مَن أحسَّ بنيَّيَّ اللذين هما ... سمعي وطرفي فطرفي اليومَ مختطف[٣]
يا من أحسّ بنيَّيَّ اللذين هما ... مُخُّ العظام فمخّي اليومَ مزدهف[٤]
نُبّئتُ بُسراً وما صدّقتُ ما زعموا ... مِن قولهم ومنَ الإفْكِ الذي اقترفوا[٥]
أنحى على وَدَجَيْ طفليَّ مرهفةً ... مشحوذةً وعظيمُ الإفكِ يقترف[٦]
مَن دلَّ والهةً حرّى مفجّعةً ... على صبيّيْنِ غابا إذْ مضى السلف[٧]

❖ ج ـ هذلية

(ألا تلك المسرة لا تدوم)

ومن بديع الرثاء، وأوجزه، وأبلغه وغريبه بيتان من الشعر قالتهما امرأة من هذيل في ابن لها، وكان لها عشرة إخوة وعشرة أعمام فهلكوا جميعاً في الطاعون. ولما تزوجها ابن عم لها ولدت له غلاماً فنبت نباتاً حسناً؟ ولما بلغ زوجته وأخذت في جهازه حتى إذا لم يبق إلا البناء أتاه الأجل فلم تشق جيباً عليه، ولم تدمع لها عين، فلما فرغوا من تكفينه دعيت لتوديعه فأكبت عليه ساعة ثم رفعت رأسها ونظرت إليه وقالت بيتين من الشعر، ثم أكبت عليه ثانية فلم تقطع نحيبها حتى فاضت نفسها. أما البيتان فهما[٨]:

ألا تلك المسرّةُ لا تدومُ ... ولا يبقى على الدهرِ النعيمُ
ولا يبقى على الحدثانِ عقرٌ ... بشاهقةٍ له أمُّ رؤوم[٩]

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ٣٢٠٢.
(٢) تشظّى. تفطّر، وتحوّل إلى شظايا وقطع.
(٣) الطرف: النظر.
(٤) مزدهق: ذائب.
(٥) بسر بن أرطاه، هو العامل الذي أرسله معاوية بن أبي سفيان ليحلّ محلّ عبيد الله بن العباس، عامل عليّ على اليمن. والإفك: البهتان والمنكر.
(٦) أنحى: مال. وودجا الطفل: العرقان الكبيران على جانبي عنقه. والمرهفة، صفة للسكين والمدية التي ذبحهما بها.
(٧) الوالهة: المتحيّرة. والمفجعة: التي أصابتها الفاجعة.
(٨) العقد الفريد ٢/ ١٥.
(٩) الرؤوم: العطوف، التي ترأم ولدها. وعقر الدار: وسطها. وحدثان الدهر: نوائبه وحوادثه.

❖ د ـ أعرابي

(سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر)

ومن جيد الرثاء وأبلغه قول ذلك الأعرابي يرثي ابنه[١]:

ولـمّـا دعـوتُ الـصـبـرَ بـعـدكَ والأسـى ... أجاب الأسى طوْعاً ولم يُجبِ الصبرُ
فـإنْ يـنـقـطـعْ مـنـك الـرجـاءُ فـإنـه ... سيبقى عليك الحزنُ ما بقي الدهر

❖ هـ ـ آخر

(دفنت بكفي بعض نفسي)

ومن جيد الرثاء وأبلغه وأرقّه قول الآخر في رثاء ابنه[٢]:

بُـنَـيَّ لـئـنْ ضـنّـتْ جـفـونٌ بـمـائِـهـا ... لـقـد قـرحـتْ مـني عـلـيكَ جـفـونُ[٣]
دفـنـتُ بـكـفـيّ بـعـضَ نـفـسـي فـأصـبـحـتْ ... ولـلـنـفـس مـنـهـا دافـنٌ ودفـيـن

❖ و ـ عقيل بن علّفة (ت ١٠٠ هـ/٧١٨ م)

(وقالوا ألا تبكي لصرع هالك)

وقال عقيل بن علفة المرّي، من غطفان، وهو ابن الحارث اليربوعي الذبياني، شاعر أموي.

قال راثياً ولده[٤]:

لَـعَـمْـرِي لـقـد جـاءتْ قـوافـلُ خـبّـرتْ ... بـأمـرٍ مـنَ الـدنـيـا عـلـيَّ ثـقـيـلِ
وقـالـوا ألا تـبـكـي لِـمـصـرعِ هـالـكٍ ... أصـابَ سـبـيـلَ الـلّـهِ خـيـرَ سـبـيـلِ
كـأنّ الـمـنـايـا تـبـتـغـي فـي خـيـارِنـا ... لـهـا تِـرَةً أو تـهـتـدي بـدلـيـل[٥]
لِـتـأتِ الـمـنـايـا حـيـثُ شـاءتْ فـإنـهـا ... مـجـلّـلـةٌ بـعـدَ الـفـتـى ابـنِ عـقـيـلِ
فـتـىً كـان مـولاه يـحـلُّ بـنـجـوةٍ ... فـحـلّ الـمـوالـي بـعـده بـمـسـيـل[٦]

❖ ز ـ جرير (ت ١١٠ هـ/٧٢٨ م)

(كيف العزاء وقد فارقت أشبالي)

الشاعر هو أبو حزرة جرير بن عطية التميمي. ولد باليمامة، ثم قصد العراق فمدح الحجاج بن يوسف، وعدداً من ألمع شخصيات بني أمية. لكن شهرة جرير لم تقم إلا

---

(١) العقد الفريد ٢/ ١٥.
(٢) نفسه ٢/ ١٥.
(٣) ضنت: بخلت. وقرحت: أصبت بالقروح والجراح.
(٤) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٣٢٢.
(٥) ترة، المصدرين وتره وتراً وترةً، إذا قتل حميمه.
(٦) النجوة: المرتفع من الأرض، ونقيضها المسيل.

على الفخر والهجاء. وفي الهجاء خاصةً، لم يثبت لجرير من الشعراء الذين هجاهم وهجوه سوى الفرزدق والأخطل من بين ثلاثة وأربعين شاعراً.

يعتبر جرير من فحول شعراء العصر الأموي. وله الأبيات السائرة كالأمثال، منها في الفخر، قوله:

إذا غضبت عليك بنو تميم ... حسبت الناس كلهم غضابا

ومنها في الهجاء قوله:

فغضّ الطرف إنك من نمير ... فلا كعباً بلغت ولا كلابا

والذي يهمنا من شعره، رثاؤه لولده سوادة، حيث يقول[١]:

قالوا نصيبك من أجر فقلت لهم ... كيف العزاء وقد فارقت أشبالي[٢]

ذاكم سوادة يجلو مقلتي لحم ... باز يصرصر فوق المرقب العالي

فارقته حين غضّ الدهر من بصري ... وحين صرت كعظم الرّمّة البالي[٣]

❖ ح - إبراهيم بن المهدي

(فلا ميت إلا دون رزئك رزؤه)

ومن أرق شعر الرثاء وأصدقه رثاء إبراهيم بن المهدي لابنه أحمد الذي كان مات بالبصرة. وإبراهيم، هذا، هو ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أول نابغ نبغ من بني العباس، ثم من أولاد الخلفاء، كان أسود اللون، عظيم الجثة، وهو أديب وشاعر ومغنٍّ. عاصر ثلة من الخلفاء العباسيين، وكان مقرباً من الرشيد، وله معه مطارحات ومجالسات، كما كان من أصحابه إسحاق بن إبراهيم الموصلي، المغني المعروف. من الكتب التي تنسب إليه، كتاب الطبيخ، وكتاب الطب، وكتاب الغناء. يقول إبراهيم[٤]:

نأى آخرَ الأيام عنك حبيبُ ... فللعينِ سحٌّ دائم وغروبُ[٥]

دعته نوىً لا يُرتجى أوبةٌ لها ... فقلبُكَ مسلوبٌ وأنتَ كئيب[٦]

يؤوبُ إلى أوطانه كلُّ غائبٍ ... وأحمدُ في الغُيَّاب ليس يؤوب

---

(١) العقد الفريد ٢/ ١٤.

(٢) الأشبال: أولاد السبع، والأسد خاصة.

(٣) غضّ بصري: أضعفه. والرمة: مارمّ وتخّ من العظام.

(٤) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٣١٨.

(٥) السح من الماء: ما سال من أعلى إلى أسفل، وهو متتابع وكثير. والغروب منه: أعلاه وأغزره.

(٦) الأوبة: العودة والرجعة.

تبدّل داراً غيرَ داري وجيرةً ... سوايَ وأحداث الزمانِ تنوب[١]
أقام بها مستوطناً غيرَ أنه ... على طولِ أيامِ المُقام غريب
كأنْ لم يكن كالغصنِ في مَيْعة الضحى ... سقاه الندى فاهتزّ وهو رطيب[٢]
كأنْ لم يكن كالدرِّ يلمع نورهُ ... بأصدافِه لما تشنّه ثقوب[٣]
وريحانَ صدري كان حين أشمُّهُ ... ويُؤنس قصري كان حين أغيب
وكأن يدي ملأى به ثم أصبحتْ ... بحمد إلٰهي عنه وهي سليب
قليلاً منَ الأيام لم يَرْوِ ناظري ... بها منه حتى أعلقتْه شَعوب[٤]
كظلِّ السحابِ لم يقعْ غيرَ ساعةٍ ... إلى أنْ أطاحتْه فطاحَ جَنوبُ[٥]
أو الشمس لمّا مِن غمام تحسّرتْ ... مساءً وقد ولّتْ وحانَ غروب
سأبكيكَ ما أبقتْ دموعيَ والبكا ... بعينيَّ ماءً يا بنيَّ يجيب
وما غار نجمٌ أو تغنّتْ حمامةٌ ... أو اخضرَّ في فرعِ الأراكِ قضيب[٦]
حياتيَ ما دامتْ حياتي فإن أمتْ ... ثويتُ وفي قلبي عليك ندوب[٧]
وأضمرُ إنْ أنقدتُ دمعيَ لوعةً ... عليك لها تحتَ الضلوعِ وجيب[٨]

* * *

قصمت جناحي بعدما هدّ منكبي ... أخوك فرأسي قد علاه مشيب[٩]
فأصبحتُ في الهُلاّكِ إلا حُشاشةً ... تُذابُ بنارِ الحزن فهي تذوب[١٠]
فلا ميّتَ إلا دونَ رزئكَ رزؤهُ ... ولو فُتّتتْ حزناً عليه قلوب
وإني وإن قد متَّ قبلي لَعالم ... بأني وإن أبطأتُ عنك قريب
وإن صباحاً نلتقي في مسائهِ ... صباحٌ إلى قلبي الغداةَ حبيب

❖ ط ـ العتبي (ت ٢٢٨ هـ/٨٤٣ م)

(وذقت ثكلاً ما ذاقه أحد)

قال العتبي، وهو أبو عبد الرحمٰن محمد بن عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو

---

(١) تنوب: تصيب بالنوب والمصائب، وتنوب، أيضاً، تعاود المرة بعد المرة.
(٢) ميعة الضحى: أوله.
(٣) تشنه: تعبه.
(٤) شعوب: اسم علم للموت.
(٥) أطاحته: أهلكته. والجنوب، الريح التي تهب جنوباً، وهي شديدة الهبوب.
(٦) غار النجم: مال إلى الغروب. والأزاك: شجر يتخذ منه المسواك.
(٧) ثوى: أقام، ورقد. والندوب: القروح، وآثار الجرح.
(٨) وجيب: خفقان.
(٩) قصمت: قطعت. وهنا يشير الشاعر إلى أن ثمة ابناً آخر له هلك قبله.
(١٠) الحشاشة: بقية النفس أو الروح.

ابن عتبة بن أبي سفيان، ولد في البصرة، وكان أديباً وشاعراً رقيق العبارة فصيحها. له من الكتب كتاب الخيل، وكتاب الأعاريب، وأشعار النساء اللائي أحببن ثم أبغضن، وكتاب الأخلاق.. قال في رثاء ولديه، وكان تتابع له بنون[١]:

كَلَّ لساني عن وصفِ ما أجدُ ... وذقْتُ ثُكْلاً ما ذاقه أحدُ[٢]
وأُوطئتْ حُرقةً حشايَ فقد ... ذاب عليها الفؤادُ والكبد[٣]
ما عالج الحزنَ والحرارةَ في ... الأحشاءِ مَن لم يمتْ له ولد
فُجعْتُ بإثنيْنِ ليس بينهما ... إلاّ ليالٍ ليستْ لها عدد
فكلُّ حزنٍ يبلى على قِدَمِ الدهرِ ... وحزني يُجِدُّهُ الأبد[٤]

وقال أيضاً في رثاء ولد له[٥]:

بأبي وأمّي مَنْ عبأتُ حَنوطَهُ ... بيدي وودَّعني بماءِ شبابِهِ[٦]
كيف السُلُوُّ وكيف صبري بعده ... وإذا دُعيتُ فإنما أُكْنى بهِ

❖ ي ـ ابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ/٨٩٦ م)

(بكاء كما يشفي)

يقول ابن الرومي في رثاء ابنه:

بكاؤُكما يشفي وإنْ كان لا يجدي ... فجودا فقد أودى نظيرُكما عندي[٧]
ألا قاتلَ اللّهُ المنايا ورمْيَها ... مِنَ القوم حبّاتِ القلوبِ على عمد[٨]
توخّى حِمامُ الموتِ أوسطَ صبيتي ... فللّه كيف اختار واسطةَ العِقد[٩]

يعتبر ابن الرومي من ألمع شعراء الرثاء في الأدب العربي.

وهو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج الرومي. ولد في بغداد سنة ٢٢١ هـ/ ٨٣٥ م، وفيها أنفق معظم أيامه ينشد اللهو، ويمسك عنه حيناً. عرف ابن الرومي بتطيره، ولاحظ الناس فيه هذه الظاهرة فراحوا يثيرون تطيره مما سبب له سويداء وهواجس وشعوراً بالاضطهاد لازمه مدى حياته. حصل ابن الرومي ثقافة واسعة قوامها العلوم

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٣١٩.
(٢) كل: تعب. أجد: أحزن. والثكل: فقد الولد.
(٣) الحشا: ما دون الحجاب مما يلي البطن كلّه.
(٤) يجده: يجدده وينشطه.
(٥) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٣١٥.
(٦) الحنوط: ما يخلط من الطيب بأكفان الميت وجسمه خاصة كالكافور والصندل وغيرهما.
(٧) يجدي: ينفع. أزدى: هلك. وهنا يخاطب عينيه مستحثاً البكاء على ولده.
(٨) المنايا: جمع منية، وهي الموت. وحبات القلوب: كناية عن الأولاد.
(٩) توخى: قصد. وواسطة العقد: كناية عن أثمن الجواهر فيه.

العربية من لغة ونحو وأدب، والعلوم الدخيلة الرائجة في زمانه من منطق وفلسفة ودين. وهو يتعبر أحد الشعراء المولدين الذين تشكل منهم العصر العباسي الثاني. ترك ابن الرومي ديواناً شعرياً تناول فيه مختلف الأغراض من مدح وهجاء ووصف ورثاء. ولقد برع في فن الرثاء خاصة إذ جاء رثاء وجدانياً صادقاً صادراً عن عاطفة جياشة. كيف لا وهو الذي رزء بفقد أولاده الثلاثة، ، وما هذه القصيدة في رثاء ولده الأوسط محمد إلا واحدة من تلك القصائد الرثائية الرائعة التي حفظها لنا التاريخ وسجلها على صفحاته الخالدة. يتابع الشاعر رثاءه فيقول:

على حينَ شِمْتُ الخيرَ من لمحاتِه ... وآنسْتُ في أفعاله آيةَ الرُّشد[١]
طواه الردى عني فأضحى مزارُه ... بعيداً على قربٍ، قريباً على بعد[٢]
لقد أنجزتْ فيه المنايا وعيدَها ... وأخلفت الآمالُ ما كان من وعد[٣]
لقد قلَّ بينَ المهد واللحد لبثُه ... فلم ينس عهدَ المهد إذ ضُمَّ في اللحد[٤]
ألحَّ عليه النزفُ حتى أحاله ... إلى صُفرةِ الجاديِّ عن حمرة الورد[٥]
وظل على الأيدي تَساقَطُ نفسُه ... تساقطَ درٍّ مِن نظام بلا عَقد[٦]
عجبْتُ لقلبي كيف لم ينفطرْ له ... ولو أنه أقسى مِنَ الحجر الصّلد[٧]
وما سرَّني أنْ بعتُه بثوابِهِ ... ولو أنه التخليدُ في جنة الخلد[٨]
ولا بعتُه طوْعاً ولكن غُصِبْتُه ... وليس على ظلم الحوادث من مُعْد[٩]
وإني وإن مُتِّعْتُ بابْنَيَّ بعده ... لذاكرهُ ما حنَّتِ النّيبُ في نجد[١٠]
وأولادُنا مثلُ الجوارح أيُّها ... فقدْناه كان الفاجعَ البيِّنَ الفقد[١١]
لِكلٍّ مكانٌ لا يسدُّ اختلالَهُ ... مكانُ أخيه مِن جزوعٍ ولا جَلْد[١٢]

---

(١) شمت: لمحت. آنست: وجدت. وآية الرشد: علامة العقل.
(٢) الردى: الموت. والمقصود بمزاره قبره القريب إلى الشاعر، والبعيد عنه معاً.
(٣) الوعيد: التهديد. أنجزت: حققت، أخلفت: نقضت.
(٤) لبثه: إقامته. واللحد: يريد به القبر. والمهد: السرير.
(٥) ألح عليه: لازمه ولم يفارقه والنزف: تواصل ذهاب الدم وانهماره.
(٦) النظام: السلك. وهنا يصور كيف أن ولده تلاشى شيئاً فشيئاً، وكيف أن نفسه كانت هي أيضاً تتلاشى وتتساقط تساقط حبات الدر من العقد.
(٧) ينفطر: ينشق. الصلد: الصلب الشديد.
(٨) إشارة إلى أنه لا يمكنه التخلي عن ولده ولو أنه مخلد في الجنان.
(٩) طوعاً: عن طيب خاطر ونفس. والمعدي: المساعد. وهنا إشارة إلى ظلم الحوادث وانتزاعها ولده على الرغم منه.
(١٠) النيب: جمع ناب، وهي الناقة المسنّة، وتعرف نيب نجد بالحنين إلى أولادها التي تفصل عنها.
(١١) الجوارح: أعضاء الإنسان. والبيّن: الظاهر. وهنا يشبه الشاعر الأولاد بالجوارح.
(١٢) الاختلال: الفساد والتهدم. الجزوع: الخائف. الجلد: الصبور وهذا البيت يتضمن تأكيداً لما ذهب إليه الشاعر في البيت السابق.

هلِ العينُ بعدَ السمعِ تكفي مكانَهُ ... أم السمعُ بعدَ العينِ يَهدي كما تَهدي
لَعَمْري لقد حالتْ بيَ الحالُ بعده ... فيا ليت شعري كيف حالتْ به بعدي[١]
ثكلْتُ سروري كلَّه إذْ ثكلْتُهُ ... وأصبحْتُ في لذّاتِ عيشي أخا زهد[٢]
أريْحانةَ العينيْن والأنفِ والحشا ... ألا ليت شعري هل تغيّرْتَ عن عهدي[٣]
كأنّيَ ما استمتعْتُ منك بضمّةٍ ... ولا شمّةٍ في ملعب لك أو مهد
ألامُ لما أُبدي عليك منَ الأسى ... وإني لأُخفي منكَ أضعافَ ما أُبدي
محمدُ ما شيءٌ تُوَهِّمَ سلوةً ... لقلبيَ إلا زاد قلبي من الوجد
أرى أخويْكَ الباقيَيْن كليْهما ... يكونان للأحزان أورى من الزند[٤]
إذا لعبا في ملعب لك لذّعا ... فؤادي بمثل النار عن غير ما قصد
فما فيهما لي سلوةٌ بل حرارةٌ ... يهيجانِها دوني وأشقى بها وحدي
وأنت وإن أُفردْتَ في دار وحشةٍ ... فإني بدار الأنس في وحشة الفرد
عليك سلامُ اللهِ مني تحيةً ... ومن كل غيثٍ صادقِ البرق والرعد

❖ ك ـ ابن عبد ربه (ولد ٢٤٦ هـ/٨٦٠ م)

(كان جميع الأرض عندي له قبر)

ومن جيد الرثاء رثاء ابن عبد ربه لابنه. وابن عبد ربه هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي الأندلسي. تقلب ابن عبد ربه في قرطبة وإشبيلية وزار المشرق العربي ثم عاد إلى الأندلس فألف كتابه القيم: العقد الفريد. عكف على اللهو في شبابه ثم زهد وتاب. ويعتبر من ألمع الكتاب العرب في المغرب. وشعره لا يخلو من طرافة وجدة. والذي يهمنا منه هذه الأبيات الرائعة في رثاء ابنه. يقول الشاعر[٥]:

على مثلِها مِن فجعةٍ خانكَ الصبرُ ... فراق حبيبٍ دونَ أوْبتِه الحشرُ[٦]
ولي كبدٌ مشطورةٌ في يدِ الأسى ... فتحتَ الثرى شطرٌ وفوق الثرى شطر
يقولون لي صبِّرْ فؤادَكَ بعدَه ... فقلت لهم ما لي فؤادٌ ولا صبر
فُرَيْخٌ مِن الحر الحواصلِ ما اكتسى ... من الريشِ حتى ضمّه الموتُ والقبر

---

(١) حالت: تغيرت.
(٢) ثكلت: فقدت.
(٣) الريحانة: واحدة الريحان، وهو الزهر المعروف ذو الرائحة الطيبة.
(٤) أورى: أكثر إضراماً. والزند: حديدة يقدح بها لإضرام النار وهنا يشير الشاعر إلى ما يبديه بعضهم من تقديم العزاء له بوجود أخوي محمد الباقيين، فيرى في ذلك ما يشير أساه وحزنه، لأن ذلك يذكره بولده.
(٥) العقد الفريد ٢/ ١٥.
(٦) الأوبة: العودة.

إذا قلتُ أسلو عنه هاجتْ بلابلٌ ... يجدّدُها فكرٌ يجددّهُ ذكر
وانظرُ حولي لا أرى غيرَ قبرِهِ ... كأنَّ جميعَ الأرضِ عندي له قبر[١]
أفرخَ جنانِ الخلدِ طرتَ بمهجتي ... وليس سوى قعرِ الضريحِ لها وكر

❖ ل - أبو الشعب

(بئس الخليطان طول الحزن والكبر)

ومن أروع الرثاء وأصدقه عاطفة رثاء أبي الشعب ابنه شعباً. يقول أبو الشعب[٢]:

قد كان شعبٌ لَوَ أنَّ اللّهَ عَمرَّه ... عزّاً تزادُ به في عزِّها مُضَرُ[٣]
ليت الجبالَ تداعتْ قبلَ مصرعِهِ ... دكّاً فلم يبقَ مِن أحجارِها حجر[٤]
فارقتُ شعباً وقد قوّستُ من كِبَرٍ ... بئسَ الخليطانِ طولُ الحزن والكبر

❖ م - عبد الله بن ثعلبة

(ألا كل من تحت التراب غريب)

ومن جيد الرثاء قول عبد الله بن ثعلبة في رثاء ولده[٥]:

أأخضبُ رأسي أم أطيّبُ مفرقي ... ورأسُكَ مرموسٌ وأنتَ سليبُ[٦]
نسيبُكَ مَن أمسى يناجيك طرفُه ... وليس لِمنْ تحتَ الترابِ نسيب
غريبٌ وأطراف البيوتِ تُكنُّه ... ألا كلُّ مَن تحتَ الترابِ غريب

❖ ن - عبد الله بن الأهتم

(دعوتك يا بني فلم تجبني)

ومن أرق الرثاء رثاء عبد الله بن الأهتم في ابنٍ له[٧]:

دعوتُكَ يا بنيَّ فلم تجبْني ... فرُدّتْ دعوتي يأساً عليّا
بموتِكَ ماتتِ اللذاتُ مني ... وكانت حيّةً ما دمتَ حيّا
فيا أسفاً عليك وطولَ شوقي ... إليكَ لوْ انّ ذلك ردَّ شيّا

---

(١) أخذ هذا المعنى من قول ابن نويرة في أخيه مالك:

وقالوا أتبكي كل قبر رأيته ... لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت لهم إن الأسى يبعث الأسى ... ذروني فهذا كله قبر مالك

(٢) العقد الفريد ٢/ ١٤.
(٣) مضر، إحدى أكبر قبائل العرب.
(٤) تداعت: دكت.
(٥) العقد الفريد ٢/ ١٦.
(٦) خضب رأسه، طلاه بالخضاب، وهو الحنّاء. ومرموس: مودع في الرمس، أي القبر.
(٧) العقد الفريد ٢/ ١٣.

❖ س ـ التهامي (ت ٤١٦ هـ/١٠٢٥ م)

(يا كوكباً ما كان أقصر عمره)

ومن أرق الرثاء المليء بالحكمة والمثل رثاء التهامي لولده الذي مات صغيراً. والتهامي هو أبو الحسن علي بن محمد؛ شاعر مفلق عرف كيف يستنبط المعنى الدقيق في القول المنسجم واللفظ العذب.

جاء مصر متخفياً زمن الفاطميين وكان يحمل كتاباً من حسان بن مفرح الطائي إلى بني قرة، فظفر به واعتقل في خزانة البنود، ثم سجن بالقاهرة، وقتل سراً يقول التهامي في رثاء ولده[١]:

حكمُ المنيّةِ في البريّةِ جاري ... ما هذه الدنيا بِدارِ قرارِ
ليس الزمانُ وإنْ حرصْتَ مسالماً ... خُلُقُ الزمانِ عداوةُ الأحرار
بينا يُرى الإنسانُ فيها مخبراً ... حتى يُرى خبراً مِن الأَخبار
طُبعتْ على كدرٍ وأنتَ تريدُها ... صفواً مِنَ الأَكدارِ والأقذار[٢]
ومكلِّفُ الأيامِ ضِدَّ طباعِها ... متطلّبٌ في الماء جذوةَ نار[٣]
وإذا رجوْتَ المستحيلَ فإنما ... تبني الرجاءَ على شفيرٍ هارِ[٤]
فالعيشُ نومٌ والمنيّةُ يقظةٌ ... والمرءُ بينهما خيالٌ سارِي
يا كوكباً ما كان أقصرَ عمرَهُ ... وكذا تكونُ كواكبُ الأسحار
أبكيهِ ثم أقولُ معتذراً له ... وُفّقْتَ حينَ تركتَ ألأم دار[٥]
جاورتُ أعدائي وجاورَ ربَّهُ ... هيهات بينَ جوارهِ وجواري[٦]

❖ ع ـ القرشي (ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٩ م)

(فماتوا كأن لم يعرف الموت غيرهم)

وتتابع للقرشي، وهو أبو الحسن القرشي من ظرفاء بغداد، وتتابع له بنون فقال راثياً[٧]:

---

(١) تاريخ الآداب العربية ١/ ٢٩٥.
(٢) الأقذار: الأوساخ. والكدر بخلاف الصفو.
(٣) جذوة النار: الجمرة الملتهبة.
(٤) شفير الوادي: حافته. والهاري: المتساقط المتهدم.
(٥) الأم دار، كناية عن الدنيا.
(٦) زعم الرواة أن التهامي في هذا البيت إنما غفرت خطاياه كما غفر لأبي نواس في قوله:
مالي إليك وسيلة إلاّ الرّجا ... وجميل عفوك ثم أني مسلم
(٧) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٣٢٧، وانظر: العقد الفريد ٢/ ١٣ وتنسب هذه الأبيات أيضاً إلى العتبي.

أسكّانَ بطنِ الأرضِ لو يُقبلُ الفِدا ... فُديتم وأعطيْنا بكم ساكني الظّهرِ
فيا ليتَ مَن فيها عليها وليت مَن ... عليها ثوى فيها مقيماً إلى الحشر[١]
فماتوا كأنْ لم يعرفِ الموتُ غيرَهمْ ... فثُكلٌ على ثكلٍ وقبرٌ على قبر[٢]
لقد شمتَ الأعداءُ بي وتغيَّرتْ ... عيونٌ أراها بعدَ موتِ أبي عمرو[٣]
تجرّى عليَّ الدهرُ لما فقدتُه ... ولو كان حيّاً لاجترأْتُ على الدهر[٤]
وقاسمني دهري بنيَّ مشاطراً ... فلما توفّى شطرَه مال في شطري
فللّهِ ما أعطى وللّهِ ما حوى ... وليس لأيامِ الرّزيّةِ كالصبر

(١) الحشر: المبعث يوم القيامة. وتوى: أقام.
(٢) الثكل: فقد الأب أو الأم لولدهما.
(٣) تعيرت: تعيبّت.
(٤) تجرى. الأصل فيها تجرأ.

٣ ــ رثاء الإخوة

❖ أ ـ مهلهل (ت حوالي ٥٧٠ م)

(دعوتك يا كليب)

يقول المهلهل في رثاء أخيه كليب[١]:

أهاجَ قَذاءَ عيني إلا ذكارُ ... هدوءٌ فالدموعُ لها انحدارُ[٢]
وصار الليلُ مشتملاً عليَّا ... كأنَّ الليلَ ليس له نهارُ[٣]
أُصرِّفُ مقلتي في إثْرِ قومٍ ... تباينتِ البلادُ بهم فغاروا[٤]
وأبكي والنجومُ مطلّعاتٌ ... كأنْ لم تحوِها عني البحارُ[٥]

ومن قديم شعر الرثاء، رثاء المهلهل في أخيه كليب. والشاعر هو أبو ليلى عدي بن ربيعة التغلبي الملقب بـ «المهلهل» لأنه أول من هلهل الشعر وقصّده قصائد قصائد، وعنه أخذ ابن أخته امرؤ القيس صناعة الشعر. يعتبر المهلهل من أقدم الشعراء الجاهليين، ويظن أن وفاته كانت حوالي سنة ٥٧٠ م. تميز بالفصاحة، وساد قومه صغيراً، وانكب على اللهو ومعاقرة الخمر حتى قتل أخوه كليب فعظم المصاب عليه وأخذ يبكيه بالشعر متوعداً بني مرة قاتلي أخيه.

ولقد تسبب مقتل كليب بحرب بكر وتغلب، تلك الحرب التي دامت أربعين سنة إلى أن أصلح بينهم عمرو بن هند، وتعرف هذه الحرب بحرب البسوس، والبسوس خالة جسّاس قاتل كليب، وكان لصاحبها سعد الجرمي ناقة خوارة غزيرة اللبن، فرآها كليب فأنكرها ورماها بسهم خرق ضرعها، ثم قتل فصيلها، فولت الناقة تعج حتى بركت بفناء صاحبها فلما رآها صرخ بالذل، وسمعته البسوس فخرجت وأبصرت ما كان فصكت وجهها وصاحت: واذلاه.. واجوار جساس.. واجوار مرة.. مما أهاج حمية جساس فأقدم على قتل كليب.

على مَن لو نعيْتَ وكان حيّاً ... لقاد الخيلَ يحجبُها الغبارُ[٦]

---

(١) تاريخ الأداب العربية ١/ ٩٧.
(٢) القذاء والقذى: ما يقع في العين ويوجعها. والهدوء: أول الليل.
(٣) مشتملاً: محدقاً.
(٤) تباينت: تباعدت واختلفت، وأصرف: أسرّح وأرسل.
(٥) مطلعات: طالعة، بمعنى أن النجوم لا تغرب في البحار لطول الليل.
(٦) قاد الخيل: سار بفرسانها. يحجبها: يسترها.

دعوتُكَ يا كليبُ فلم تجبْني ... وكيف يجيبُني البلدُ القَفار[١]
أجبتُني يا كليبُ خلاكَ ذمٌّ ... لقد فُجعتُ بفارسِها نزار[٢]
سقاكَ الغيثُ إنك كنتَ غيثاً ... ويُسراً حين يُلتمسُ اليسار[٣]
أبتْ عيناي بعدَك أنْ تكفّا ... كأنَّ غضا القتادِ لها شفار[٤]
كأني إذْ نعى الناعي كليباً ... تطايرَ بينَ جنبيَّ الشرار[٥]
فدرْتُ وقد عشي بصري عليه ... كما دارت بشاربها العُقار[٦]
خذِ العهدَ الأكيدَ عليَّ عمري ... بتركي كلَّ ما حوتِ الديار
ولستُ بخالعٍ درعي وسيفي ... إلى أنْ يخلعَ الليلَ النهار

❖ ب ـ قسّ بن ساعدة (ت حوالي ٦٠٠ م)

(أقيم على قبريكما)

ومن أروع شعر الرثاء وأغناه عاطفة ما قاله قسّ بن ساعدة في رثاء أخوين له وقد وقف على قبريهما بدير سمعان. والشاعر هو قس بن ساعدة الإيادي، أسقف نجران وخطيب العرب وشاعرها وحكيمها في الجاهلية.

قيل إن قسّاً كان أول من علا على شُرف، وهو المكان العالي، فخطب عليه؛ وهو أول من ابتدأ كلامه بقول: أما بعد،

وهو أول من اتكأ في الخطبة على السيف أو العصا. وفضلاً عن ذلك فإن قساً يعتبر من بلغاء العرب وبه يضرب المثل في الفصاحة والبيان. ينسب إلى النبي ﷺ قوله: رأيته ـ أي قساً ـ بسوق عكاظ على جمل أحمر وهو يقول: أيها الناس، اسمعوا وعوا. من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت.

يقول قس في رثاء أخويه[٧]:

أقيم على قبريكما لست بارحاً ... طوال الليالي أو يجيب صداكما[٨]

---

(١) القفار: الخالي من أهله.
(٢) نزار: اسم قبيلة عربية. وفجعت: أصيبت.
(٣) الغيث: المطر. واليسر واليسار: الغنى والسهولة. وهو ضد العسر.
(٤) الغضا: شجر من الأثل خشبه أصلب الخشب. وجمره يبقى زمنا طويلاً. والقتاد: شجر صلب شوكه كالإبر. والشفار: جمع شفرة، وهي السكين. وهنا فإن الشاعر يريد القول إن عينه أبت أن تزرف الدموع كأن شوكاً دخلها فيجرحها كما تجرح السكين.
(٥) الشرار: ما يتطاير من النار.
(٦) العقار: الخمرة. دارت به: أثرت به. وعشي البصر: ساءت رؤيته ليلاً ونهاراً.
(٧) تاريخ الآداب العربية ١/ ١١٠.
(٨) بارحاً: ذاهباً. والصدى: الصوت وترداده.

جرى الموت مجرى اللحم والعظم منكما ... كأن الذي يسقي العقار سقاكما[١]
فلو جعلت نفس لنفس وقاية ... لجدت بنفسي أن تكون فداكما[٢]
سأبكيكما طول الحياة وما الذي ... يردّ على ذي عولة أن بكاكما[٣]
خليليّ هبّا طالما قد رقدتما ... أجدّا كما لا تقضيان كراكما[٤]
ألم تعلما أني بسمعان مفرد ... ومالي فيه من حبيب سواكما

❖ ج ـ أبو خراش الهذلي (١٥ هـ/٦٣٦ م)

(ولكن صبري يا أميم جميل)

الشاعر هو أبو خراش، خويلد بن مرّة الهذلي من مضر. شاعر مخضرم عاش في الجاهلية والإسلام، فارس وفاتك مشهور. ويعتبر أحد حكماء العرب، له في الرثاء شعر رقيق الحاشية جزل العبارة، ومنه هذه الأبيات في رثاء أخيه عروة. يقول أبو خراش[٥]:

تقولُ أراهُ بعدَ عروةَ لاهياً ... وذلك رُزءٌ لو علمت جليلُ[٦]
فلا تحسبي أنّي تناسيتُ عهدَهُ ... ولكنَّ صبري يا أميم جميل[٧]
ألم تعلمي أنْ قد تفرّقَ قبلَنا ... خليلا صفاءٍ مالكٌ وعقيل[٨]
وأني إذا ما الصبحُ أُنسيتُ ضوءَهُ ... يعاودُني قِطعٌ عليَّ ثقيل[٩]
أبى الصبرُ أني لا أزالَ يَهيجني ... مبيتٌ لنا فيما مضى ومقيل[١٠]

❖ د ـ الخنساء (ت حوالي ٢٥ هـ/٦٤٦ م)

(كأنه علم في رأسه نار)

الخنساء هي أم عمرو تماضر بنت عمرو بن الحارث، الملقبة بالخنساء، وهي البقرة الوحشية تشبه بها المرأة لحسن عينيها. شاعرة من أشهر شواعر العرب في الجاهلية

---

(١) العقار: الخمرة.
(٢) فداكما أي فداء لكما. وهو ما يعطى من المال عوض المفدي.
(٣) العولة: البكاء ورفع الصوت به.
(٤) هبّا: أفيقا وانتبها. أجداكما الهمزة للاستفهام. والجد: العزم، وهو ضد الهزل. والكرى: الرقاد.
(٥) زهر الآداب ٢/ ٧٤١.
(٦) الرزء: المصاب.
(٧) أميم، تصغير أميمة، وهي التي يخاطبها الشاعر.
(٨) خليلا الصفاء اللذان ذكرهما الشاعر، هنا، وهما عقيل ومالك، يضرب بهما المثل في الصحبة، وكانا نديمي جذيمة الابرش، وكانا أتياه بابن أخت عمرو الذي استهوته الجن فمنّاهما فتمنيا منادمته. وهما اللذان عناهما متمم بن لويرة في قوله راثياً أخاه مالكاً:

وكنّا كندمانيْ جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

(٩) يعاودني، يعود إلي مرة بعد مرة. والقطع من الليل، الجزء منه.
(١٠) المقيل، مكان القيلولة، وهي النوم ظهراً.

والإسلام. ويكاد يكون شعر الخنساء وقفاً على الرثاء في أخويها معاوية وصخر، وهذا الأخير كان مضرب المثل في الشجاعة والإقدام والسؤدد. حدث الرواة فقالوا إن الخنساء كانت تنشد الشعر في الجاهلية بسوق عكاظ، وقد أنشدت مرة بين يدي النابغة الذبياني فأعجب أيما إعجاب بشعرها ثم قال: اذهبي فأنت أشعر من كل ذات ثديين. ولولا أن هذا الأعمى - يريد الأعشى - أنشدني قبلك لفضلتك على شعراء هذا الموسم. والمهم في الأمر أن الخنساء شاعرة جيدة الشعر، وإن رثاءها لأخويها صخر ومعاوية من أشهر شعر الرثاء في الأدب العربي.

قالت الخنساء ترثي صخراً[١]:

قذىً بِعينِكَ أمْ بالعينِ عُوّارُ ... أم ذرّفتْ إذ خلتْ مِن أهلها الدارُ[٢]
تبكي لصخرٍ هي العَبْرى وقد ولهتْ ... ودونَه مِن جديدِ التربِ أستارُ[٣]
تبكي خُناسُ على صخرٍ وحُقَّ لها ... إذْ رابها الدهرُ إنَّ الدهرَ ضرّارُ[٤]
مشى السَّبَنْتى إلى هيجاءَ مُعضلةٍ ... لها سلاحانِ أنيابٌ وأظفارُ[٥]
وإنّ صخراً لَوالينا وسيّدُنا ... وإنّ صخراً إذا نشتو لَنَحّارُ[٦]
وإنّ صخراً لِمقدامٌ إذا ركبوا ... وإن صخراً إذا جاعوا لَعَقّارُ[٧]
وإنَّ صخراً لَتَأتَمُّ الهداةُ به ... كأنه علمٌ في رأسِهِ نارُ[٨]
حمّالُ ألويةٍ هبّاطُ أوديةٍ ... شهّادُ أنديةٍ لِلجيشِ جرّارُ[٩]

* * *

وما عجولٌ على بوٍّ تُطيفُ بهِ ... لها حنينانِ إعلانٌ وإسرارُ[١٠]
يوماً بأوجعَ مني حينَ فارقني ... صخرٌ وللعيشِ إحلاءٌ وإمرارُ
لم تره جارةٌ يمشي بساحتِها ... لِريبةٍ حينَ يُخلي بيتَه الجارُ[١١]

---

(١) تاريخ الآداب العربية ١/ ١٤٢.
(٢) القذى، والقذاء، ما يقع في العين من غبار وغيره. والعوار، ما يعور العين من القذى والرماد.
(٣) العبرى: التي لا تجف دموعها، وهي صفة للعين. ولهت: استولى عليها الجزع والحزن. وأستار القبر: ترابه وصفائحه.
(٤) خناس، أي الخنساء، الشاعرة. رابها الدهر: أصابها بريبة وغيره.
(٥) السبنتى: النمر. والهيجاء: الحرب. والمعضلة: الأمر الشديد.
(٦) نحار: أي ينحر الابل وغيرها للأضياف. ونشتو: نقيم في الشتاء.
(٧) عقّار: أي يعقر الابل لينحرها. والمقدام: الجريء الشجاع.
(٨) تأتم به الهداة: تتخذه إماماً لهم. والعلم: الجبل.
(٩) الألوية، جمع لواء، وهو الراية والأندية، جمع نادٍ، وهو مجلس القوم. والجيش الجرار: الكثير العدد.
(١٠) البو: المنزل المقفر. وهنا تصور الشاعرة جزعها على أخيها وحنينها له الذي يفوق حنين العجول لأولادها.
(١١) الريبة: الفحش والغدر. وهنا تصفه بأنه عفيف.

(رأيت بكاءك الحسن الجميلا)

ولها فيه أيضاً[١]:

ألا يا صخرُ إنْ أبكيْتَ عيني ... لقد أضحكْتني دهراً طويلاً
بكيتُكَ في نساءٍ مُعولاتٍ ... وكنتُ أحقَّ مَنْ أبدى العويلا[٢]
دفعْتُ بكَ الجليلَ وأنتَ حيٌّ ... فمنْ ذا يدفع الخطبَ الجليلا[٣]
إذا قَبُحَ البكاءُ على قتيلٍ ... رأيتُ بكاءَكَ الحُسْنَ الجميلا

(وقائلة والنعش قد فات خطوها)

وللخنساء أبيات رثائية في أخيها صخر، تقول[٤]:

وقائلةٍ والنعشُ قد فاتَ خطوهَا ... لِتدركَه يا لهفَ نفسي على صخرِ
ألا ثكلتْ أمُّ الذين غَدَوْا به ... إلى القبرِ ماذا يحملون إلى القبر[٥]
وماذا يُواري القبرُ تحتَ ترابِه ... مِنَ الجودِ يا بُؤسَ الحوادثِ والدهر[٦]
فشأنُ المنايا إذْ أصابكَ ريبُها ... لِتَغْدُ على الفتيانِ بعدَكَ أو تَسْر[٧]

(يذكرني طلوع الشمس صخراً)

ولها فيه أيضاً[٨]:

ولولا كثرةُ الباكينَ حولي ... على إخوانِهم لقتلْتُ نفسي
وما يبكونَ مثلَ أخي ولكنْ ... أُسَلّي النفسَ عنه بالتأسّي
يذكّرُني طلوعُ الشمسِ صخراً ... وأذكرُه لكلِّ غروبِ شمس[٩]

(فسوفَ أبكيك ما ناحت مطوقة)

ولها فيه أيضاً[١٠]:

إذهبْ فلا يُبعدنْكَ اللّهُ مِن رجلٍ ... مَنّاعِ ضَيْمٍ وطلاّبٍ لأوتار[١١]

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٣٤٤.
(٢) معولات: مجشهات بالبكاء.
(٣) الجليل: العظيم. والخطب: الرزء والمصاب.
(٤) زهر الآداب ٢/ ٩٣٠.
(٥) ثكلت: أصيبت بفقد ولدها. غدوا به: مضوا به في الغداه.
(٦) يواري: يستر ويخفي.
(٧) ريب المنايا: صرفها. تغدو: تسير في الغداة. تسري: تسير ليلاً.
(٨) الكامل في اللغة والأدب ١/ ١٠.
(٩) أي هي تذكره في أول النهار للغارة، وهي تذكره في آخره للضيفان.
(١٠) زهر الآداب ٢/ ٩٢٧.
(١١) الضيم: الظلم والإذلال. والأوتار: جمع وتر، وترة، وهي الأخذ بالثأر.

قد كنتَ فينا صريحاً غيرَ مؤتشبٍ ... مركّباً في نصابٍ غير خوّار[١]
فسوف أبكيكَ ما ناحتْ مطوّقةٌ ... وما أضاءتْ نجومُ اللّيلِ للساري[٢]
أبكي فتى الحيّ نالتْه منيّتُهُ ... وكلُّ نفسٍ إلى وقتٍ بمقدار

(ألا تبكيان لصخر الندى)

ومن جيد شعر الرثاء، للخنساء، في أخيها صخر، قولها[٣]:

أعينيَّ جودا ولا تجمدا ... ألا تبكيانِ لصخرِ الندى[٤]
ألا تبكيانِ الجريءَ الجميلَ ... ألا تبكيانِ الفتى السيّدا
طويلُ النجادِ رفيعُ العمادِ ... سادَ عشيرتَه أمردا[٥]
إذا القومُ مدّوا بأيديهمُ ... إلى المجدِ مدّ إليه يدا
فقال الذي فوقَ أيديهمُ ... إلى المجد ثم مضى مُصْعدا
يكلّفه القومُ ما عالهمْ ... وإن كان أصغرهم مولدا[٦]
ترى الحمدَ يَهوي إلى بيته ... يَرى أفضل الكسب أن يُحمدا

(فخر الشوامخ من فقده)

ولها فيه أيضاً:

أبعدَ ابنِ عمرو مِن آلِ الشريدِ ... حلّتْ به الأرضُ أثقالها[٧]
لَعَمْرُ أبيه لَنِعمَ الفتى ... إذا النفسُ أعجبَها مالها[٨]
فإن تكُ مُرّةُ أودتْ به ... فقد كان يُكثرُ تَقْتالها[٩]
فخرَّ الشوامخُ مِن فقدهِ ... وزُلزلت الأرضُ زلزالَها[١٠]
هممْتُ بنفسيَ كلَّ الهموم ... فأولى لنفسي أولى لها[١١]
لأحملَ نفسي على آلةٍ ... فإمّا عليها وإمّا لها

---

(١) مؤتشب: غير صريح النسب. والخوار: الشديد الخور والضعيف.
(٢) المطوقة، صفة للحمامة التي في عنقها ما يشبه الطوق. والساري: السائر ليلاً.
(٣) الكامل في اللغة والآداب ٢/ ٣٣٧.
(٤) الندى: الكرم. وجودا: أعطيا ما عندكما من الدمع.
(٥) طويل النجاد، كناية عن الطول. والنجاد: مماثل السيف. والأمرد: الذي ليس له لحية.
(٦) عالهم: أفقرهم، ونابهم ونزل بهم.
(٧) حلت من الحلي، أي زينت به الأرض موتاها.
(٨) أي هو يجود بما هوله في الوقت الذي يؤثره أهله على الحمد.
(٩) مرّة، قبيلة عربية. وأودت به: أهلكته.
(١٠) الشوامخ: صفة للجبال العالية.
(١١) معنى ذلك أنها حاولت شيئاً فأفلتها من بعد ما كاد يصيبها.

(أريقي من دموعك واستفيقي)

ومن جيد شعر الخنساء في رثاء أخيها معاوية بن عمرو، وكان أخاها لأبيها وأمها[١]:

أريقي مِنْ دموعكِ واستفيقي ... وصبراً إنْ أطقتِ ولن تُطيقي[٢]
وقولي إنَّ خيرَ بني سُلَيْم ... وفارسَها بصحراءِ العقيقِ[٣]
ألا هلْ ترجعنَّ لنا الليالي ... وأيامٌ لنا بِلِوى الشقيقِ[٤]
وإذْ نحن الفوارسُ كلَّ يوم ... إذا حضروا وفتيانُ الحقوق
وإذْ فينا معاويةُ بنُ عمروٍ ... على أدماءَ كالجملِ الفنيقِ[٥]
فبكّيهِ فقد أودى حميداً ... أمينَ الرأيِ محمودَ الصديقِ[٦]
فلا والّلهِ لا تسلاكَ نفسي ... لفاحشةٍ أتيتَ ولا عقوقِ[٧]
ولكنّي رأيتُ الصبر خيراً ... منَ النَّعلَيْن والرأس الحليقِ[٨]

❖ هـ - متمم بن نويرة (ت ١٢ هـ/٦٣٤ م)

(وكنا كندماني جذيمة حقبة)

ومن أروع الرثاء وأرقه وأبقاه على الدهر رثاء متمم بن نويرة، أبي مالك اليربوعي في أخيه مالك بن نويرة، وكان هذا من فرسان العرب وشجعانهم ومن أرداف الملوك المعدودين. أسلم ثم ارتد بعد وفاة النبي ﷺ، فحاربه أبو بكر في من حارب من المرتدين. ولما وقع مالك في يد خالد بن الوليد، وكان أميراً للجيش، قتله ضرار بن الأزور، بأمر من خالد، فبلغ أمره أخاه متمماً فجزع عليه جزعاً شديداً ورثاه بعدة قصائد أودعها عاطفة الحب واللوعة، فلم يزل يذكره طول حياته ويبكيه. قيل إنه دخل على عمر بن الخطاب فقال له عمر: ما أرى في أصحابك مثلك. قال: يا أمير المؤمنين! أما والله إني مع ذلك لأركب الجمل الثفال، أي البطيء الثقيل، وأعتقل الرمح الشطون، أي الطويل الأعوج، وألبس الشملة الفلوت، ولقد أسرتني تغلب في الجاهلية، فبلغ ذلك أخي مالكاً فجاء لفدائي، فلما رآه القوم أعجبوا بجماله وحديثه، فأطلقوني بغير فداء. ويقال إن عمر بن الخطاب، وكان استشهد زيد، أخوه، يوم مسيلمة طلب إلى متمم أن

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٣٣٩.
(٢) تخاطب الشاعرة عينها وتطلب منها أن تجود بالدمع.
(٣) العقيق واحد الأعقة الأربعة. وهنا، هو عقيق المدينة وفيه نخل وعيون.
(٤) الشقيق: ماء لبني أسيد بن عمرو بن تميم. وقد يكون المقصود بالشقيق، هنا، كل ما غلظ بين رملين.
(٥) الادماء، مؤنث آدم، وهي الشديدة السواد، وتقصد بها الناقة. والفنيق من الابل: الجمل الفحل.
(٦) أودى: هلك.
(٧) معنى ذلك أنها لا تجد فيه ما تسلو نفسها عنه له.
(٨) تأويل ذلك أن المرأة كانت إذا أصيبت بحميم لها جعلت في يديها نعلين تصفق بهما وجهها وصدرها.

ينشده شعره في أخيه مالك فأنشده مرثاته في أخيه مالك، وهي من عيون شعر الرثاء، فقال عمر: يا متمم، لو كنت أقول الشعر لسرني أن أقول في زيد مثل ما قلت في أخيك. فأجابه متمم بالقول: لو قتل أخي كقتلة أخيك ما قلت فيه شعر أبداً، إشارة منه إلى أن أخاه قتل وهو مرتد عن الإسلام. وحدث الرياشي قال: صلى أبو بكر فقام متمم بحذائه واتكأ على سية قوسه ثم قال:

نعم القتيل إذ الرياح تناوحت ... خلف البيوت قتلت يا ابن الأزور
ولنعم حشوا الدرع كنت وحاسراً ... ولنعم مأوى الطارق المتنور
أدعوته بالله ثم غررته ... لو هو دعاك بذمة لم يغدر

وأومأ إلى بكر، فقال: والله ما دعوته ولا غررته. ثم بكى وانحط على سية قوسه. وكان أعور فما زال يبكي حتى وقعت عينه العوراء. يقول متمم في رثاء أخيه مالك[1]:

أقولُ وقد طار السّنا في ربابهِ ... وغيثٌ يسحُّ الماءَ حتى تَريَّعا[2]
سقى الله أرضاً حلّها قبرُ مالكٍ ... ذِهابَ الغوادي المدجناتِ فأمرعا[3]
وآثرَ سيلَ الواديين بديمةٍ ... ترشّحُ وسميّاً مِنَ النّبت خِرْوعا[4]
تحيّتُه منّي وإنْ كان نائياً ... وأضحى تراباً فوقَه الأرضُ بلقعا[5]
فما وجْدُ أظآرٍ ثلاثٍ روائمٍ ... رأيْنَ مجرّاً مِن خُوارٍ ومصرعا[6]
يُذكّرْن ذا البثِّ الحزينِ ببثّهِ ... إذا حنّتِ الأولى سجعْنَ لها معا[7]
بأوجعَ مني يومَ فارقتُ مالكاً ... ونادى به النادي الرفيعُ فأسمعا
وكُنّا كَنَدمَانَيْ جذيمةَ حِقبةً ... منَ الدهرِ حتى قيل لن يتصدّعا[8]
فلما تفرّقْنا كأنّي ومالكاً ... بطولِ اجتماعٍ لم نبتْ ليلةً معا

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥.
(٢) السنا: الضوء. والرباب: السحاب الممطر. وتريع: كثر حتى جاء وذهب ذهاب.
(٣) ذهاب الغوادي: الأمطار اللينة تساقط في الغداة. والمدجنات: الكثيرة المطر، من الدجنة، وهي الظلام. وأمرع: أخصب.
(٤) الديم: المطر الطويل زمانه في سكون الوسمي: مطر الربيع الأول. والخروع: نبت يقوم على ساق، وهو غني بالزيت المعروف به.
(٥) البلقع: الخالي من أهله.
(٦) أظآر، جمع ظئر، وهي المرضعة لغير ولدها، والروائم، جمع رائمة، وهي الأنثى من الحيوان وغيره التي ترئم ولدها رأماً، أي تحبه وتعطف عليه وتلازمه. والمجر، جماعة الماشية. والحوار: ولد الناقة من وقت ولادته إلى أن يفطم ويفصل.
(٧) البث: أشد الحزن الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه، أي يفرقه وينشره. وسجعت الناقة، إذا رددت صوتها على طريقة واحدة.
(٨) جذيمة، هو جذيمة الأبرش، مالك بن فهم، ملك الحيرة، لقب بالأبرص لبرص كان فيه ثم قيل الأبرش تلطفاً وتأدباً قتلته هند بنت الريان المعروفة بالزبّاء أما ندماناه فهما مالك وعقيل. يتصدع: ينشق.

وعشنا بخيرٍ في الحياةِ وقبلنَا ... أصاب المنايا رهطَ كِسرى وتُبَّعا[١]
فإنْ تكنِ الأيامُ فرَّقْن بيننا ... فقد باتَ محموداً أخي يومَ ودّعا
تقولُ ابنةُ العَمْريّ مالكَ بعدما ... أراك حديثاً ناعمَ البالِ أفرعا[٢]
فقلتُ لها طولُ الأسى إذ سألْتِني ... ولوعةُ حزنٍ تتركُ الوجهَ أسفعا[٣]
وفقد بني أمٌ تفانَوْا فلم أكنْ ... خلافَهُمُ أنْ أستكينَ وأُسرعا
ولستُ إذا ما الدهرُ أحدثَ نكبةً ... ورُزْءاً بزوّارِ القرائبِ أخضعا
ولا فرحٍ إنْ كنتُ يوماً بغبطةٍ ... ولا جزعٍ إنْ نابَ دهرٌ فأوجعا[٤]
ولكنّني أمضي على ذاك مُقدماً ... إذا بعضُ مَن لاقى الخطوبَ تكعكعا[٥]
فعمركِ ألاّ تُسمعيني ملامةً ... ولا تَنْكِئي قرحَ الفؤادِ فَيَيْجعا[٦]
وقصركِ أني قد شهدتُ فلم أجد ... بكفيَّ عنه للمنيّةِ مُدفعا
فلو أنَّ ما ألقى أصابَ مُتالعاً ... أو الركنَ مِن سَلمى إذاً لتضعضعا[٧]
لقد كفّنَ المِنهالُ تحتَ ردائِه ... فتىً غيرَ مِبطانِ العشّياتِ أروعا[٨]
لبيباً أعانَ اللّبَّ منه سماحةٌ ... خصيباً إذا ما زائدُ الجدبِ أوضعا
تراها كنصلِ السيفِ يهتزُّ للنّدى ... إذا لم تجدْ أمْرىء السوءِ مطعما
إذا ابتدرَ القومُ القِداحَ وأوقدتْ ... لهم نارُ أيسارٍ كفى مَن تضجّعا[٩]
بمثنى الأيادي ثم لم تُلْفِ مالكاً ... على الفرث يحمي اللحمَ أنْ يتمزّعا[١٠]
فتىً كان مِقداماً إلى الرَّوْعِ ركضُه ... سريعاً إلى الداعي إذا هو أفْزعا[١١]
فتىً كان أحيا مِن فتاةِ حَيِيَّةٍ ... وأشجعَ مِن ليثٍ إذا ما تمنّعا

(فدعني فهذي كلها قبر مالك)

ومن الرثاء الجيد المثير للّوعة رثاء متمم بن نويرة لأخيه مالك. يقول متمم[١٢]:

---

(١) كسرى، ملك فارس، وتبع، اسم يطلق على كل من ملك اليمن.
(٢) أفرع: تام الشعر.
(٣) أسفع: شاحب اللون متغيره.
(٤) ناب: أصاب بنوائبه.
(٥) الخطوب: المصائب. تكعكع: تخاذل وتردد.
(٦) نكأ الجرح: قشره قبل أن يبرأ، ييجع: يتوجع.
(٧) متالع: جبل بناحية البحرين بين السودة والأحساء. وسلمى، جبل بنجد، معروف. تضعضع: تصدّع واهتزّ.
(٨) المنهال: اسم للآلة التي يهال بها التراب على الميت في قبره. مبطان: شديد البطنة.
(٩) القداح، جمع قدح، وهو السهم الذي كان يرمى على الأصنام مقارعة. والأيسار، جمع يسر، وهو الذي يعمل بيديه جميعا.
(١٠) الفرث: بقايا الطعام في الكرش. يتمزع: يتقطع.
(١١) الروع: الفزع. وهنا استعيرت اللفظة للحرب. والمقدام: الشجاع.
(١٢) العقد الفريد ٢/ ١٧.

ومستضحكٍ مني ادّعى كمصيبتي ... وليس أخو الشّجوِ الحزينِ بضاحكِ[١]
يقولُ أتبكي مِن قبورٍ رأيتَها ... لقبرٍ بأطرافِ اللّوى فالدكادكِ[٢]
فقلتُ لهم إنّ الأسى يبعثُ البكا ... فدعْني فهذي كلُّها قبرُ مالكِ[٣]

❖ و ـ لبيد بن ربيعة (ت ٤٠ هـ/٦٦٠ م)

(بلينا وما تبلى النجوم الطوالع)

يقول لبيد:

بلينا وما تبلى النجومُ الطوالعُ ... وتبقى الجبالُ بعدَنا والمصانعُ[٤]
وقد كنتُ في أكنافِ دارِ مَضِنَّةٍ ... ففارقني جارٌ بأربدَ نافعُ[٥]

ومن غرر شعر الرثاء مرثية لبيد في أخيه من أمه أربد بن قيس، بسبب صاعقة أصابته، فرثاه رثاء صادقاً متوجعاً.

والشاعر هو لبيد بن ربيعة بن عامر، الشاعر الجاهلي المعروف، وصاحب المعلقة المشهورة، والتي مطلعها:

عفت الديار محلّها فمقامها ... بمنىً تأبّد غولها فرجامها

ولد لبيد حوالي سنة ٥٣٠ م، وأدرك الإسلام فتوفي حوالي عام ٦٦٠ م/ ٤٠ هـ قال فيه النبي ﷺ: أصدق كلمة قالها شاعر، كلمة لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل

يعد لبيد بن ربيعة من أجواد العرب وفرسانهم الذين يشار إليهم بالبنان. حدث الرواة فقالوا إنه نذر في الجاهلية على أن لا تهب ريح الصبا إلا أطعم. وقالوا إنه كان له جفنتان يغدو بهما ويروح على قومه فيطعمهم في كل يوم. وحدث الرواة عنه قالوا إنه ترأس مائة فارس ساروا إلى المنذر بن ماء السماء فتمكنوا منه وقتلوه.

فلا جزعٌ إنْ فرّقَ الدهرُ بيننا ... فكلُّ امرىءٍ يوماً به الدهرُ فاجعُ[٦]
وما المرءُ إلاّ كالهلالِ وضوئِهِ ... يحورُ رماداً بعدَ إذْ هو ساطعُ[٧]

---

(١) الشجو: الحزن.
(٢) اللوى: ما التوى من الرمل وانقطع. والدكادك: ما استوى منه. وفي الكامل ١/ ٩ تجد البيت كالتالي:
وقالوا أتبكي كل قبر رأيته ... لِمِيت توى بين النوى والدكدك
(٣) وفي الكامل ١/ ١٠ تجد (أروني) بدلاً من (فدعني).
(٤) بلينا: أصابنا البلى والانحلال. والمصانع: المباني من قصور وحصون.
(٥) المضنة: ما يضن به لنفاسته. وأربد، اسم أخيه لأمه، وكانت أصابته الصاعقة فقضى بسببها. والأكناف، جمع كنف، وهو جانب الشيء.
(٦) جزع: خائف. فاجع: يؤلم إيلاماً شديداً.
(٧) يحور: يرجع. وفي رواية: كالشهاب، بدلاً من الهلال، وهو الأنسب.

أليسَ ورائي إنْ تراختْ منيّتي ... لزومُ العصا تُحنى عليها الأصابع[١]
أخبّرُ أخبارَ القرونِ التي مضتْ ... أدبُّ كأنّي كلما قمتُ راكع[٢]
فأصبحتُ مثلَ السيفِ أخلقَ جفنَه ... تقادمُ عهدِ القيْن والنصلُ قاطع[٣]
فلا تبعدَنْ إنّ المنيّة موعدٌ ... علينا فدانٍ للطلوع وطالع
أعاذلُ ما يُدريك إلا تظنّياً ... إذا رحل الفتيانُ مَن هو راجع[٤]
أتجزعُ مما أحدثَ الدهرُ بالفتى ... وأيُّ كريم لم تُصبْه القوارع[٥]
لعمرُكَ ما تدري الضوارِبُ بالحصى ... ولا زاجراتُ الطيرِ ما اللّهُ صانع[٦]

وله أيضاً في رثائه[٧]:

أخشى على أربدَ الحتوفَ ولا ... أرهبُ نوْءَ السّماكِ والأسدِ[٨]
ما إنْ تُعرّي المنونُ مِن أحدٍ ... لا والدٍ مشفقٍ ولا ولد
فجّعني الرعدُ والصواعقُ بالفارسِ ... يومَ الكريهةِ النّجد[٩]
يا عينُ هلاّ بكيتِ أربدَ إذ ... قمنا مقامَ العدوِّ في كَبَد[١٠]

وله فيه أيضاً[١١]:

ذهب الذين يُعاشُ في أكنافِهمْ ... وبقيتُ في خلقٍ كجِلدِ الأجربِ[١٢]
يا أربدَ الخيرِ الكريمَ جدودُهُ ... غادرْتَني أمشي بقرنٍ أعضب[١٣]
إنّ الرزيئةَ لا رزيئةَ مثلُها ... فِقدانُ كلّ أخٍ كَضَوْءِ الكوكب[١٤]

---

(١) تراخت: أبطأت والمنية: الموت. ولزوم العصا، إشارة إلى الإعتماد عليها في الشيخوخة.
(٢) أدب: أمشي على يدي ورجلي كالطفل الصغير.
(٣) أخلق: أبلى. وجفن السيف: غمده. والقين: الحداد. والنصل: حديدة السيف وغيره.
(٤) العاذل: اللائم. وتظنياً: ظناً.
(٥) القوارع: جمع قارعة، وهي الداهية، والنكبة المهلكة.
(٦) الضوارب بالحصى، إشارة إلى النسوه الائي كن يضربن الطيور بصغار الحجارة، في الجاهلية، وهن الزاجرات أيضاً، أي النسوة اللائي كن يصحن بالطير فإن ولّى ميامنة تفاءلن به، وإن ولى مياسرة تشاء من، والزجر ضرب من العرافة.
(٧) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٣٢٥.
(٨) الحتوف: المنايا، جمع حتف. ونوء السماك، المطر الذي يسّاقط لدى ظهور السّماك، وهو أحد النجمين المعروفين: السماك الرامح، والسماك الأعزل. أما نوء الأسد، فهو النور المنسوب إلى برج الأسد.
(٩) أي هو رُمي بصاعقة فأحرقته، وكان تآمر على قتل النبي (ﷺ). والكريهة: الحرب، والنجد: ذو النجدة.
(١٠) الكبد: المشقة.
(١١) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٣٢٥.
(١٢) خلق فلان إذا قام مقامه من غير أهله.
(١٣) أعضب: مقطوع.
(١٤) الرزيئة: المصيبة.

❖ ز ـ الفارعة

(حمال ألوية شهاد أندية)

ومن الرثاء الفاجع رثاء الفارعة بنت شداد، في أخيها مسعود[١]:

يا عينُ بكّي لمسعودِ بنِ شدّادِ ... بكاءَ ذي عبراتٍ شجوُهُ بادي[٢]

مَن لا يُذاب له شحمُ السّديفِ ولا ... يجفو العيالَ إذا ما ضُنَّ بالزاد[٣]

ولا يحلُّ إذا ما حلَّ منتبذاً ... يخشى الرّزيّة بينَ المالِ والنادي[٤]

قوّالُ مُحكمةٍ نقّاضُ مُبرمةٍ ... فتّاحُ مبهمةٍ حبّاسُ أورادِ[٥]

قتّالُ مسغبةٍ وثّابُ مرقبةٍ ... منّاعُ مغلبةٍ فكّاكُ أقياد[٦]

حلاّلُ مُمرعةٍ فرّاج مفظعةٍ ... محّال مضلعةٍ طلاّعُ أنجاد[٧]

حمّالُ ألويةٍ شهّادُ أنديةٍ ... شدّادُ أوهيةٍ خرّاجُ أسداد

جّماعُ كلّ فعالِ الخيرِ قد علموا ... زينُ القرينِ ونِكلُ الظالمِ العادي[٨]

أبا زرارةَ لا تبعدْ فكلُّ فتىً ... يوماً رهينُ صفيحاتٍ وأعواد[٩]

نِعمَ الفتى ويمينِ اللّهِ قد علموا ... يحلو به الحيُّ أو يغدو به الغادي

هو الفتى يحمدُ الجيرانُ مشهدَهُ ... عند الشتاء وقد همّوا بإخماد

الطاعنُ الطعنةَ النجلاءَ يُتبعُها ... متعنجراً بعدَ ما تغلي بإزباد[١٠]

والسابىءُ الزِّقَّ للأضيافِ إنْ نزلوا ... إلى ذراهُ وغيثُ المجوجِ الغادي[١١]

❖ ح ـ كعب بن مالك

(وماذا يؤدي الليل حين يؤوب)

ومن جيد الرثاء وبليغ القول رثاء كعب الأنصاري لأخيه أبي المغوار.

يقول كعب[١٢]:

---

(١) زهر الآداب ٢/ ٩٤١ وانظر الأبيات في أمالي القالي ٢/ ٣٢٤.

(٢) بكي: إبكي. والعبرات: الدموع. والشجو: الهم والحزن.

(٣) السديف: لحم سنام الإبل وشحمها. ضن: بخل.

(٤) منتبذاً: متوحداً.

(٥) المحكمة: التي فيها الحكمة. والمبرمة: ذات الحكم الفصل. المبهمة: الغامضة.

(٦) المسغبة: المجاعة.

(٧) المضلعة: التي فيها ضلوع والتواءات. والأنجاد: ما ارتفع من الأرض، جمع نجد.

(٨) نكل: قيد.

(٩) الصفيحات، إشارة إلى حجارة القبر. والأعواد، إشارة إلى أعواد النعش.

(١٠) النجلاء: المتسعة. متعنجراً، كناية عن الخمرة التي تصبّ بقوة.

(١١) الزق: وعاء الخمر. والسابىء: الذي يشق وعاء الخمرة ويجعلها تسيل.

(١٢) العقد الفريد ٢/ ١٩.

تقولُ سليمى ما لجسمكَ شاحباً ... كأنك يحميكَ الشرابَ طبيبُ
فقلتُ نحولٌ مِن خطوبٍ تتابعتْ ... عليَّ كبارٍ والزمانُ يريب[١]
لعمري لئنْ كانت أصابتْ منيّةٌ ... أخي فالمنايا للرجالِ شعوب[٢]
فإني لباكيه وإني لصادقٌ ... عليهِ وبعضُ القائلين كذوب
أخي ما أخي لا فاحشٌ عند بيتِه ... ولا ورعٌ عندَ اللقاءِ هيوب
أخٌ كان يكفيني وكان يُعينني ... على نائباتِ الدهرِ حينَ تنوب
هوتْ أمُّهُ ما يبعثُ الصبح غادياً ... وماذا يؤدي الليلَ حينَ يؤوب
كعاليةِ الرمحِ الرّدينيّ لِم يكنْ ... إذا ابتدرَ الخيلَ الرجالُ يخيب[٣]
وداع دعا يا مَن يجيبُ إلى الندا ... فلم يستجبْه عند ذاك مجيب
فقلّت ادعُ الاخرى وارفعِ الصوتَ ثانياً ... لعلّ أبا المغوارِ منك قريب
فلو كانتِ الموتى تُباع اشْتريتَه ... بما لم تكنْ عنه النفوسُ تطيب
بعينيَّ أو يُمنى يديَّ وخلّتي ... أنا الغانمُ الخذلانُ حينَ أؤوب
لقد أفسد الموتُ الحياةَ وقد أتى ... على يومه عِلْقٌ إليَّ حبيب[٤]
فوَاللّهِ لا أنساه ما ذرَّ شارقٌ ... وما اهتزَّ من فرعِ الأراكِ قضيب[٥]
فإن تكنِ الأيامُ أحسنَّ مرّةً ... إليَّ لقد عادتْ لهنّ ذنوب

❖ ط ـ أخت ابن الطريف الشيبانية

(كأنك لم تجزع على ابن طريف)

يعد الوليد بن طريف من أجواد العرب في الجاهلية والإسلام، ومن أشرافهم المعدودين. ولما قتل رثته أخته بأبيات تفيض رقة ولوعة. منها قولها[٦]:

أيا شجرَ الخابورِ مالكَ مورقاً ... كأنكَ لم تجزعْ على ابنِ طريفِ[٧]
فتىً لا يعدُّ الزّادَ إلاّ مِنَ التُّقى ... ولا المالَ إلاّ مِنْ قناً وسيوفِ[٨]
خفيف على ظهر الجواد إذا عدا ... وليس على أعدائه بخفيف

---

(١) يريب: يصيب بريبه، أي بحوادثه.
(٢) شعوب: اسم علم للمنية.
(٣) العالية: قنا الرمح التي يركب فيها السنان. والرمح الردينيّ، نسبة إلى ردينة إمرأة عرفت برماحها.
(٤) العلق: الشيء النفيس.
(٥) الأراك، نوع من الأشجار يتخذ منه السواك.
(٦) زهر الآداب ٢/ ٩٦٦. وانظر الأبيات في الصناعتين، لأبي هلال العسكري ص ١٢٣. وفي الأغاني ١١/ ٩. وفي أمالي القالي ٢/ ٢٧٤. والعقد ٢/ ١٩.
(٧) شجر الخابور: جنس من الأزهار الواهية المنظر، لونها أصفر وهي جيدة الرائحة.
(٨) القنا: الرماح.

عليكَ سلامُ اللّهِ وقفاً لأنني أرى الموتَ وقّاعاً بكلّ شريف[١]
فقدْناكَ فِقدانَ الربيعِ وليتنا فديناكَ مِن فتيانِنا بألوف

❖ ي ـ عروة بن أذينة (ت ١٣٠ هـ/٧٤٧ م)

(وأي العيش يصلح بعد بكر)

ومن أبيات الرثاء القليلة الفائقة الرقة والروعة أبيات قالها عروة بن أذينة، وهو شاعر أموي، يرثي بها أخاه بكراً.

وفي أمر هذه الأبيات يقال إن خالد صامة، وكان من أحسن الناس ضرباً بالعود، قدم على الوليد بن يزيد، وهو في مجلس الخلافة، فألفاه على سريره، وبين يديه معبد، ومالك بن أبي السمع، وابن عائشة، وأبو كامل غزيّل الدمشقي، وكلهم مغنّون، فجعلوا يغنون حتى بلغت النوبة إلى خالد صامة فغنى الخليفة بها، فقال له: أعد يا صام، فأعاد خالد الأبيات، فسأله الوليد عن قائلها، فقال له: هو عروة بن أذينة يرثي بها أخاه بكراً، فقال: وأي العيش يصلح بعد بكر! هذا العيش الذي نحن فيه، والله، قد تحجر واسعاً على رغم أنفه. وقيل إن سكينة بنت الحسين، أنشدت هذه الأبيات، فقالت: ومن بكر؟ فوصف لها، فقالت: أذاك الأسيّد الذي كان يمر بنا؟ والله، لقد طاب كل شيء بعد ذاك، حتى الخبز والزيت. أما الأبيات فهي التالية[٢]:

سرى همّي وهمُّ المرءِ يسري وغار النجمُ إلاّ قيدَ فترِ[٣]
أراقبُ في المجرّةِ كلَّ نجم تعرّضَ أو على المجراة يجري[٤]
لِهمٍّ ما أزالُ له قريناً كأنَّ القلبَ أُبطنَ حرَّ جمر
على بكر أخي فارقْتُ بكراً وأيُّ العيشِ يصلحُ بعدَ بكر!؟

❖ ك ـ الجواهري (ولد حوالي عام ١٩٠٠ م)

(أتعلم أم أنت لا تعلم)

يقول الجواهري راثياً أخاه[٥]:

أتعلمُ أمْ أنتَ لا تعلمُ بأنَّ جراحَ الضحايا فمُ

ومن روائع الشعر الرثائي المعاصر، ما قاله محمد مهدي الجواهري في رثاء أخيه جعفر الذي قضى برصاص الغدر في وثبة الشباب العراقي. والشاعر هو أحد أبرز

---

(١) وقّاعا: ينزل الوقيعة به.
(٢) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٣٨٩.
(٣) السرى: السير ليلاً. والنجم، الثريا. وغار: غاب.
(٤) المجرة: مجموعة النجوم التي تشاهد ليلاً، وإليها تنتسب مجموعتنا الشمسية.
(٥) الجواهري، محمد مهدي: المجموعة الشعرية الكاملة ١/ ٢١١ ـ ٢١٧. ط ١. دار الطليعة. بيروت ١٩٦٨ م.

الشعراء المعاصرين. ولد في النجف الأشرف بالعراق، حوالي عام ١٩٠٠ م وهو اليوم خارج وطنه. واكب الحركة الوطنية العربية، وسخر شعره للتعبير عن مواقفه القومية والوطنية، بأسلوب ثوري يعتبر استمراراً لأساليب شعراء النهضة العربية المعاصرة. وشعره يتميز بالقوة والجزالة والرقة معاً. وهو يصدر عن قريحة متأثرة بالقديم إلى حد بعيد يقول الجواهري:

فيا لكَ مِن مرهمٍ ما اهتدى ... إليه الأساةُ وما رهّموا[1]
ويا لك من بلسمٍ يُشتفى ... به حين لا يُرتجى بلسم[2]
ويا لك من مبسمٍ عابسٍ ... ثغورُ الأماني به تبسم

* * *

أتعلمَ أنَّ جراحَ الشهيدِ تظلُّ ... عنِ الثأرِ تستفهم
أتعلمُ أنَّ جراحَ الشهيد من ... الجوع تهضمُ ما تَلهم[3]
تمصُّ دماً ثم تبغي دماً ... وتبقى تُلحُّ وتستطعم
فقلْ للمقيمِ على ذلّةٍ ... هجيناً يُسخِّرُ أو يُلجم[4]
تقحَّمْ، لُعنْتَ، أزيزَ الرصاصِ ... وجرِّبْ مِن الحظِّ ما يُقسم
وخُضْها كما خاضها الأسبقون ... وثنِّ بما افتتح الأقدم
فإمّا إلى حيث تبدو الحياةُ ... لعينيْكَ مَكْرُمةً تُغنم
وإمّا إلى جَدثٍ لم يكن ... ليفضلَهُ بيتُكَ المظلم

---

(١) المرهم، هنا، الدواء الذي يوصف للمريض. والأساة، جمع آس، وهو الطبيب. ورهموا: وصفوا المرهم، أو استخدموه.
(٢) البلسم: دواء تضمد به الجراحات.
(٣) تلهم: تلتهم، أي ابتلعه بمرّة.
(٤) الهجين من الناس: الذي أبوه عربي وأمه أعجمية.

٤ ــ رثاء الأزواج

❖ أ ـ أعرابية

(كنا كغصنين في جرثومة بسقا)

ومن الرثاء الجيد ما قالته أعرابية في زوجها[١]:

كُنّا كغُصنيْنِ في جرثومةٍ بسقا ... حيناً على خيرِ ما تُمنى به الشجرُ[٢]
حتى إذا قيلَ قد طالتْ فروعُهما ... وطابَ قِنواها واستمطر الثمر[٣]
أخنى على واحدٍ ريبُ الزمانِ وما ... يُبقي الزمانُ على شيءٍ ولا يذر[٤]
كنّا كأنجمِ ليلٍ بينَها قمرٌ ... يجلو الدجى فهوى مِن بينِها القمر

❖ ب ـ جارية

(أهابك إجلالاً وإن كنت في الثرى)

ومن أعجب الرثاء وغريبه وأصدقه رثاء تلك الجارية وقد وقفت على قبر من كانت ملك يمينه وكأنها تمثال وعليها من الحلي والحلل لم يرَ مثله، وكانت تبكي بغزارة، وتصوت بشجن وتنشج، وهي تقول[٥]:

فإنْ تسألاني فيمَ حزني فإنني ... رهينةُ هذا القبرِ يا فتيانِ
وإني لأستحييه والتربُ بيننا ... كما كنتُ أستحييه حين يراني
أهابُكَ إجلالاً وإنْ كنتَ في الثرى ... مخافةَ يومٍ أنْ يسوءَ لساني

ثم اشتد بكاؤها وجعلت تقول[٦]:

يا صاحبَ القبرِ يا من كان ينعمُ بي ... بالاً ويُكثرُ في الدنيا مواساتي[٧]
قد زرتُ قبرَكَ في حلي وفي حللٍ ... كأنني لستُ مِن أهلِ المصيبات
أردتُ آتيكَ في ما كُنتُ أعرفه ... أن قد تسرُّ بهِ مِن بعضِ هيآتي

---

(١) العقد الفريد ٢/ ٢٢.
(٢) الجرثومة: الأصل. وبسقا: طال ارتفاعهما.
(٣) قنواهما، مثنى قنو، وهو حذف النخلة بما فيه من الرّطب.
(٤) أخنى عليه: جار عليه فساءت حاله. وريب الزمان: أحداثه.
(٥) العقد الفريد ٢/ ٢٢.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٢٢.
(٧) المواساة: المشاركة في الأسى والحزن.

فمنْ رآني رأى عبرى مولّهةً ... عجيبةَ الزيِّ تبكي بينَ أموات[١]

❖ ج - جرير[٢]

(ولزرت قبرك والحبيب يزار)

ولجرير مرثاة رائعة في زوجه منها هذه الأبيات الأربعة[٣]:

لولا الحياءُ لَعادني استعبارُ ... ولَزرْتُ قبرَكِ والحبيبُ يُزارُ[٤]

نعمَ الخليلُ وكنتِ عِلْقَ مَضِنّةٍ ... ولديَّ منكِ سكينةٌ ووقار[٥]

لن يلبثَ القرناءُ أنْ يتفرّقوا ... ليلٌ يكرُّ عليهمُ ونهار

صلّى الملائكةُ الذين تُخُيّروا ... والصالحون عليكِ والأبرار

❖ د - يعقوب بن الربيع (ت ١٩٠ هـ/٨٠٥ م)

(أبكيك ما نامت مطوّقة)

ألح يعقوب بن الربيع، وهو شاعر عباسي، أنس به الرشيد، وهو أخو الفضل بن الربيع، ألح في طلب جارية له، وبذل فيها مالاً كثيراً، ولما ملكها أقامت عنده ستة أشهر، وما لبثت أن ماتت، فقال أشعاراً كثيرة تتسم بالتفجع واللوعة، ومنها هذه الأبيات[٦]:

لِلّهِ آنسةٌ فُجعْتُ بها ... ما كانَ أبعدَها منَ الدَّنَس[٧]

آتتِ البِشارةُ والنَّعِيُّ معاً ... يا قُربَ مأتمِها مِنَ العُرُسِ[٨]

يا مَلْكُ نال الدهرُ فرصتَهُ ... فرمى فؤاداً غيرَ محترس

كم مِن دموعٍ لا تجفُّ ومِنْ ... نفسٍ عليكِ طويلةِ النَّفس

أبكيكِ ما نَاحتْ مُطوَّقةٌ ... تحتَ الظلامِ تنوح في الغلس[٩]

يا ملكُ فيكِ وفيَّ معتبرٌ ... ومواعظٌ يوحشْنَ ذا الأُنس

ما بعدَ فُرقةِ بيننا أبداً ... في لذّةٍ دَركٌ لِملتمس

---

(١) العبرى: من تنهمر من عينيها العبرات والدموع. والمولهة: الشديدة الحزن.
(٢) مرت ترجمته.
(٣) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٣٢١.
(٤) الاستعبار: حث الدموع على الانهمال.
(٥) المضنّة: ما يضنّ به ويبخل. والعلق: الشيء النفيس من الجواهر.
(٦) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٣٧٠.
(٧) الآنسة: الفتاة الطيبة النفس، والتي يؤنس بها. والدنس: الوسخ.
(٨) النعيّ: النعي، وهو إذاعة خبر موت الميت. والمأتم: الجماعة من الناس في حزن.
(٩) مطوقة: صفة تطلق على الحمامة، لأن في عنقها ما يشبه الطوق. والغلس: الدجى.

❖ هـ ـ أبو تمام (ت ٢٣١ هـ/٨٤٥ م)

(وكنت أرجي القرب وهي بعيدة)

الشاعر هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي. ولد بجاسم قرب دمشق، ثم قصد مصر فالعراق فمدح الأمراء والخلفاء نخص منهم بالذكر المعتصم إذ كساه الشاعر أجمل قصائده. يعتبر أبو تمام في طليعة الشعراء العباسيين المطبوعين من ذوي الغوص وراء المعنى الدقيق، والإحاطة بالتشبيه الغريب، والجناس اللفظي والمعنوي البديع.

أما الشعر فهو رثاؤه لجارية كان أصيب بموتها فقال[١]:

جفوفُ البِلى أسرعْنَ في الغُصُنِ الرَّطْبِ ... وخطبُ الرّدى والموت أبرحَ من خطبِ[٢]
لقد شرقتْ في الشرقِ بالموتِ غادةٌ ... فبدّلتُ منها غربةَ الدارِ بالقربِ[٣]
وألبسني ثوباً مِن الحزن والأسى ... هلالٌ عليه نسجُ ثوبٍ من الترب
وكنتُ أرجّي القربَ وهي بعيدةٌ ... فقد نُقلتُ بعدي عن البعدِ والقرب
أقولُ وقد قالوا استراحتْ لموتِها ... مِن الكربِ روحُ الموتِ شرٌّ من الكرب[٤]
لها منزلٌ تحت الثرى وعهدتُها ... لها منزلٌ بينَ الجوانح والقلب[٥]

❖ و ـ التطيلي (ت ٥٢٥ هـ)

(ذكرتك ذكر المرء حاجة نفسه)

الشاعر هو أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة التطيلي، نسبة إلى تطيلة من أعمال الأندلس. أصيب بالعمى، وغادر وطنه غضبان أسفاً فقضى أياماً سوداً، وقاسى شغف العيش فكثر في شعره الشكوى وذم الزمان، وهو يعد واحداً من أفضل شعراء الموشحات في الأندلس.

ومن غرر شعره قصيدته في رثاء زوجته، وإنا نقتطف منها هذه الأبيات:

ونُبئتُ ذاك الوجهَ غيّره البلى ... على قرب عهدٍ بالطلاقةِ والبشرِ
بكيتُ عليه بالدموعِ ولو أبتْ ... بكيتُ عليه بالتجلّدِ والصبر
فليتهمُ وارَوْه بين جوانحي ... على فيضِ دمعي واحتدام لظى صدري[٦]
أمُخبرتي كيف استقرّتْ بكِ النوى ... على أنَّ عندي ما يزيدُ على الْخُبْر

---

(١) العقد الفريد ٢/ ٢٣.
(٢) أبرحت: ألحّ عليه بالاذى. والخطب: المصاب.
(٣) الغادة: الشابة من النساء الحسان.
(٤) الكرب: الغم والحزن.
(٥) الجوانح: الأضلاع القصار مما يلي الصدر.
(٦) واروه: دفنوه. والجوانح. عظام الصدر القصيرة. احتدام: اشتداد.

يُهوِّنُ وجدي أنَّ وجهَكِ زهرةٌ ... وأنّ ثراها مِن دموعي على ذكر
دعيني أعلّل فيكِ نفسي بالمنى ... فقد خفتُ أن لا نلتقي آخرَ الدهر
مُنى أتمناها ولا بدَ لي بها ... سوى خطراتٍ لا تَريشُ ولا تبري[1]
وأحلام مذعورِ الكرى كلما اجتلى ... سروراً رآه وهو في صورةِ الذعر[2]
آآمنُ لا واللّهِ ما زلتُ مومِناً ... بِبينكِ لو أني أخذْتُ له حِذري
خذي حدّثيني هل أطقتِ على النوى ... أحدّثكِ أني قد ضعفتُ عن الصبر
مغالطة لولا الأسى ما حملتُها ... على مركبٍ مما وُضعت به وعر
فلا تبعدي إن الصبابةَ خطّةٌ ... لشخصكِ في قلبي وإنْ كان في القبر
ولا تبعدي إني عليك لَواجدٌ ... ولكنْ على قدرِ الهوى لا على قدري
ذكرتكِ ذكرَ المرءِ حاجةَ نفسِه ... وقد قيل إن الميتَ منقطعُ الذكر
ووالّلهِ ما وفّيتُ رُزءكِ حقَّه ... ولكنه شيءٌ أقمتُ به عذري

---

(١) تريش: من ريش اسهم إذا انطلق.
(٢) الكرى: النوم.

٥ ــ رثــاء الآبــاء

❖ الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ)

(أبكيك لو نقع الغليل بكائي)

الشاعر هو السيد الشريف أبو الحسن محمد بن الحسن الموسوي، نسبة إلى الإمام موسى الكاظم، من فحول شعراء العصر العباسي، يتميز شعره بالطلاوة والإبداع وروعة الأسلوب وصفاء الديباجة والسلاسة والرصانة معاً. جمع خطب الإمام علي في كتاب أسماه «نهج البلاغة» وله ديوان شعر مشهور.

من بليغ مراثي الشريف مرثاته في أمه، حيث يقول:

أبكيكِ لو نقع الغليلُ بكائي ... وأقولُ لو ذهبَ المقالُ بدائي[1]

وأعوذُ بالصبرِ الجميل تعزّيا ... لو كان بالصبرِ الجميل عزائي

طوراً تُكاثرني الدموعُ وتارةً ... آوي إلى أكرومتي وحيائي

كم عبرةٍ نهنهتُها بأناملي ... وسترتُها متجمّلاً بردائي[2]

أُبدي التجلّدَ للعدوِّ ولو درى ... بتململي لقد اشتفى أعدائي

ما كنت أذخرُ في فداكِ رغيبةً ... لو كان يرجعُ ميّتٌ بفداء

لو كان يُدفع ذا الحِمامُ بقوةٍ ... لتكدستْ عُصَبٌ وراء لوائي

فارقت فيكِ تماسكي وتجملي ... ونسيتُ فيك تعزّي وإبائي

كم زفرةٍ ضعفتْ فصارت آنّةً ... تمّمتُها بتنفّسِ الصُّعَداء

لهفانَ أنزو في حبائك كربةٍ ... ملكت عليّ جلادتي وغنائي

وجرى الزمانُ على عوائدِ كيدِه ... في قلب آمالي وعكس رجائي

قد كنتُ آملُ أن أكونَ لك الفِدا ... ممّا ألمَّ فكنتِ أنت فدائي

وتفرّقُ البُعداءِ بعدَ مودّةٍ ... صعبٌ فكيف تقرّبُ القرباء

لو كان مثلُكِ كلّ أمِّ بَرَّةٍ ... غنيَ البنونُ بها عن الآباء

كيف السُّلُوُّ وكلّ موقعِ لحظةٍ ... أثرٌ لفضلكِ خالد بإزائي

فبأيِّ كفٍّ أستجنُّ وأتقي ... صرفَ النوائبِ أم بأي دعاء[3]

---

(١) الغليل: حرارة الجوف.

(٢) نهنهتها: كففتها. والعبرة: الدمعة.

(٣) استجن: استتر.

لو كان يبلغكِ الصفيحُ رسائلي ... أو كان يسمعكِ التراب ندائي[1]
لسمعتِ طولَ تأوهي وتفجعي ... وعلمتِ حسن رعايتي ووفائي

(١) الصفيح: حجارة القبر.

الباب الثاني

رثاء غير الأهل

١ ــ رثـــاء الأحـــبـــة
٢ ــ رثـــاء الأصـــدقـــاء
٣ ــ رثـــاء الـــعـــلـــمـــاء
٤ ــ رثاء الأعيان والأعلام
٥ ــ رثـــــاء الأقـــــوام
٦ ــ رثاء المدن والممالك

١ ــ رثاء الأحبة

❖ أ ـ ليلى الأخيلية (ت ٩٠ هـ/٧٠٨ م)

(وكل امرىء يوماً إلى الموت صائر)

هي ليلى بنت عبد الله الأخيلية نسبة إلى الأخيل بن عبادة بن عقيل أحد أجدادها. وليلى إحدى شواعر العرب المشهود لهن بالأقدمية والبلاغة والفصاحة. قيل إنها أنشدت يوماً في مجلس الحجاج بن يوسف الثقفي زمن عبد الملك بن مروان، الأموي، فأعجب الحاضرون بفصاحتها وقالوا: «ما رأينا امرأة أفصح ولا أبلغ منها ولا أحسن إنشاداً». أشهر أشعارها تلك التي هي في الرثاء، قالتها في توبة بن الحميّر، وكان خطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه بها. ومن شعرها الرثائي الجيد في توبة قولها[١]:

لَعَمرُكَ ما بالموتِ عارٌ على الفتى ... إذا لم تُصبْهُ في الحياةِ المعايرُ[٢]

وآليتُ أبكي بعدَ توبةَ هالكاً ... وأحفلَ مَنْ دارتْ عليه الدوائر

فلا يُبعدنْكَ اللّهُ يا توبَ هالكاً ... أخا الحرب إن دارتْ عليك الدوائر

فكلُّ جديدٍ أو شبابٍ إلى بلىً ... وكلُّ امرىءٍ يوماً إلى الموتِ صائر

ما أحدٌ حيٌّ وإنْ عاش سالماً ... بأخلدَ مِمّنْ غيَّبتْه المقابر

فلا الحيُّ ممّا أحدث الدهرُ مُعتبٌ ... ولا الميْتُ إنْ لم يصبرِ الحيُّ ناشر

وكلُّ قرينَيْ أُلفةٍ لِتفرّقٍ ... شتاتاً وإنْ ضنّا وطال التعاشر[٣]

❖ ب ـ كثير (ت ١٠٥ هـ/٧٢٢ م)

(وقد كنت أبكي من فراقك حيّة)

هو كثير بن عبد الرحمٰن بن الأسود، المعروف بكثير عزة، حبيبته التي تعلقها صغيراً، وظل مقيماً على حبها طوال الحياة. شاعر أموي من شعراء الغزل المعدودين، ومن زعماء المدرسة العذرية في شعر الغزل العربي.

أرسل وراءه عبد الملك بن مروان بحجة أنه عازم على تزويجه بعزة، فأقبل كثير، وكان في الكوفة، وفي الطريق شاهد غراباً ينتف ريشه فتطير به وهم بالانصراف، لكنه

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٣٦٧.

(٢) المعاير: المعايب.

(٣) شتاتا: متفرقين. وضنّ: بخل. والتعاشر: التخالط.

عدل عن ذلك، ولدى وصوله إلى دمشق إذا بجنازة فسأل عن الميت فإذا هي عزة فخر مغشياً عليه، ثم قصد القبر فانكب عليه وقال:

سراجُ الدجى صِفْرُ الحشا منتهى المنى ... كشمسِ الضحى نوّامةٌ حينَ تُصبحُ[١]
تعلّقتُ عزًّا وهي رُؤدٌ شبابُها ... علاقةَ حبٍّ كاد بالقلب يرجح[٢]
أقولُ ونِضوي واقفٌ عند رمسِها ... عليكِ سلامُ اللّهِ والعينُ تسفح[٣]
فهذا فراقُ الحقِ لا أنْ تُزيرني ... بلادَكِ فتلاءُ الذِّراعيْنِ صيدح[٤]
وقد كنتُ أبكي مِن فراقِكِ حيّةً ... وأنتِ لعمري اليومَ أنأى وأنزح
فيا عزّ أنتِ البدرُ قد حال دونه ... رجيعُ ترابٍ والصفيحُ المضرّح[٥]
فهلا فداكِ الموتَ مَن أنتِ زينُهُ ... ومن هو أسوا منكِ دَلاً وأقبح
على أمّ بكرٍ رحمةٌ وتحيةٌ ... لها منكِ والنّائي يودُّ وينصح
ألا لا أرى بعدَ ابْنةِ النضرِ لذّةً ... لشيءٍ ولا ملحاً لِمَنْ يتملّح[٦]
فلا زال رمسٌ ضمَّ عزّةَ سائلاً ... به نعمةٌ مِن رحمةِ اللّهِ تسفح
فإنّ التي أحببت قد حالَ دونها ... طوالُ الليالي والضريحُ المصفح
أربَّ بعينيَّ البكا كلَّ ليلةٍ ... فقد كان مجرى الدمع عينيَّ يقرح[٧]
إذا لم يكن ما تسفحُ العينُ لي دماً ... وشرّ البكاء المستعارُ المسيّح[٨]

❖ ج - الفرزدق (١١٢ هـ/٧٣٠ م)

(وكيف بشيء عهده قد تقطعا)

الشاعر هو همام بن غالب بن صعصعة، الملقب بالفرزدق، ولد في البصرة، ونشأ ميالاً إلى اللهو. وعرف بهجائه اللاذع وفاحش الكلام. هاجى جريراً أكثر من خمسين سنة، ويعتبر الفرزدق وجرير والأخطل من أشهر شعراء العصر الأموي. وللفرزدق في الفخر والهجاء القصائد الحسان، والأبيات التي تجري مجرى الأمثال ومنها قوله:

وكنا إذا الجبار صعر خدّه ... ضربناه حتى تستقيم الأخادع

---

(١) صفر الحشا: ضامرة البطن.
(٢) رؤد شبابها: لينة الشباب.
(٣) النضو: الجمل الهزيل.
(٤) صيدح: صيّاحة.
(٥) رجيع التراب: ما أخرج من الحفرة ثم رد إليها. والصفيح: حجارة القبر. والمضرح: المشقوق.
(٦) الملح: الملاحة.
(٧) أرب: أقام.
(٨) المسيح: السائح الجاري.

والذي يهمنا في هذا المقام من شعر الفرزدق رثاؤه للحوراء الشيبانية. يقول الفرزدق فيها[١]:

يقول ابنُ صفوانٍ بقيتَ ولم تكن ... على امرأةٍ عيني إخالُ لتدمعا
يقولون زُرْ حوراءَ والتربُ دونَها ... وكيف بشيءٍ عهدُه قد تقطّعا
ولستُ وإن عزّتْ عليّ بزائرٍ ... ترباً على مرموسةٍ قد تضعضعا[٢]
وأهونُ مفقودٍ إذا الموتُ ناله ... على المرءِ مِن أصحابِه مَن تقنّعا
وما ماتَ عند ابنِ المراغةِ مثلُها ... ولا تبعَثْه ظاعناً يومَ ودّعا[٣]

(١) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٣٢١.
(٢) المرموسة: المدفونة. تضعضع: تبدل حاله.
(٣) ابن المراغة، زوج حدراء. والظاعن: الراحل.

٢ ــ رثــاء الأصــدقــاء

❖ أ ـ مطيع بن إياس (ت ١٦٦ هـ/٧٨٣ م)

(يا خير من يحسن البكاء له)

هو أحد الشعراء المحدثين، من بني الليث، اشتهر بمجونه وزندقته وكان معاصراً لأبي نواس الشاعر العباسي المشهور.

يقول مطيع راثياً يحيى بن زياد الحارثي، وكان صديقاً له، وكانا مرميّيْن جميعاً بالخروج عن الملّة. والأبيات من أرق شعر الرثاء؛ قال الشيباني: لما مات جعفر بن أبي المنصور اشتد عليه الحزن، فلما فرغ من دفنه التفت إلى الربيع فقال له: يا ربيع كيف قال مطيع بن إياس في يحيى بن زياد، فأنشده ما قال فيه، وهو التالي[١]:

يا أهلِ بكُّوا لِقلبيَ القرحِ ... وللدّموعِ الهواملِ السُّفُحِ[٢]

راحوا بيحيى إلى مغيَّبةٍ ... في القبرِ بينَ الترابِ والصُفُحِ[٣]

راحوا بيحيى ولو تطاوعُني الأقدارُ ... لم يبتكرْ ولم يرُحِ[٤]

يا خيرَ مَن يَحسنُ البكاءُ له ... اليومَ وَمَنْ كان أمسِ للمِدَحِ

قد طفرالحزنُ بالسرورِ وقد ... ألمَّ مكروهُه مِنَ الفرحِ

❖ ب ـ أبو العتاهية (ت ٢١١ هـ/٨٢٦ م)

(وأنت اليوم أوعظ منك حيّا)

ومن أروع الرثاء وأكثره حفولاً بالحكمة والخاطرة رثاء أبي العتاهية لصديق له اسمه علي. وأبو العتاهية هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم العنزي، والذي يعرف بأبي العتاهية، من العته، ذلك أن المهدي قال له يوماً، وقد سمع شعره: أنت إنسان متحذلق متعتّه، فغلبت عليه هذه الكنية.

ولد أبو العتاهية بعين النمر، وترعرع في الكوفة ثم قصد بغداد وسكنها، وكان يعتاش ببيع الجرار. شعر أبي العتاهية لطيف المعنى، سهل المأخذ، قليل التكلف، قريب المتناول، وأكثره في الزهد والحكمة والمثل. وهو غزير المادة، فياض لا ينضب، حتى

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٣٦٨. وانظر: العقد الفريد ٢/ ١٤.

(٢) القرح: المصاب بالقروح، وهي الجروح. والهوامل: السائلة ومثلها السفح.

(٣) الصفح، إشارة إلى الحجارة التي توضع فوق قبر الميت.

(٤) يبتكر: يذهب بكرة. ويرح: يذهب مساء.

أنه قيل إن أبا العتاهية لو أراد أن يجعل كلامه كله شعراً لفعل. نظم على أوزان خارجة على بحور الشعر المعروفة فلما طولب في ذلك قال: أنا أكبر من العروض. وهو القائل أيضاً: أكثر الناس يتكلمون بالشعر وهم لا يعلمون، ولو أحسنوا تأليفه كانوا شعراء. والذي يهمنا من شعره، في هذا المقام، هو تلك الأبيات الرثائية الرائعة في صديقه المسمى علياً. يقول أبو العتاهية[١]:

ألا مَن لي بأُنسِكَ يا أُخَيّا ... ومَن لي أنْ أبُثَّكَ ما لديّا
طوتْكَ خطوبُ دهرِكَ بعد نشرٍ ... كذاك خطوبُه نشراً وطيّا
فلو نشرتْ قواك ليَ المنايا ... شكوتُ إليكَ ما صنعتْ إليّا
بكيتُكَ يا عليُّ بدمعِ عيني ... فلم يُغْنِ البكاءُ عليك شيّا
كفى حَزَناً بدفنِكَ ثُم إني ... نفضْتُ ترابَ قبرِكَ عن يديّا
وكانت في حياتِك لي عِظاتٌ ... فأنتَ اليومَ أوعظُ منك حيّا[٢]

❖ ج ـ العتبي[٣]

(بموتك ماتت اللذات مني)

ومن أروع الرثاء رثاء العتبي لعلي بن سهل بن الصباح، وكان صديقاً له[٤]:

دعوتك يا أخيّ فلم تجبني ... فردّت دعوتي حزناً عليّا
بموتك ماتت اللذات مني ... وكانت حيّة إذ كنت حيّا
فيا أسفي عليك وطول شوقي ... إليك لو أنّ ذاك يردُ شيّا

❖ د ـ الشريف الرضي[٥] (ت ٤٠٦ هـ/١٠١٥ م)

(أعلمت من حملوا على الأعواد)

من أشهر مراثي الشريف مرثاته التي يتفجع فيها على صديقه أبي إسحاق الصابىء، وكان شاعراً وأديباً وعالماً. وإننا لتجتزىء من تلك الرائعة هذه الأبيات[٦]:

أعلمتَ مَن حملوا على الأعوادِ ... أرأيتَ كيف خبا ضياءُ النادي[٧]

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ١/ ١٣٨.
(٢) يقال إن أبا العتاهية أخذ المعنى الدقيق من قول بعض الخطباء على رأس الإسكندر لما هلك: «الإسكندر كان أمس أنطق من اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس».
(٣) مرت ترجمته.
(٤) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٣٦٩.
(٥) مرت ترجمته.
(٦) تاريخ الأداب العربية ١/ ٣٠٦.
(٧) الأعواد: أخشاب النعش. والنادي: المحفل.

ما كنتُ أعلمُ قبلَ دفنِكَ في الثرى ... أنّ الثرى يعلو على الأطواد[١]
بُعداً لِيومِكَ في الزمانِ فإنه ... أقذى العيونَ وفتَّ في الأعضاد[٢]
كيف امَّحى ذاك الجنابُ وعُطّلت ... تلك الفجاجُ وضلَّ ذاك الهادي[٣]
هذا أبو إسحاقَ يغلق رهنُه ... هل ذائدٌ أو مانعٌ أو فادي[٤]
لو كنتَ تُفدى لافتدتكَ فوارسٌ ... مُطروا بعارضِ كلِّ يوم طراد[٥]
أعززْ عليَّ بأنْ أراك وقد خلتْ ... مِن جانبيْكَ مجالسُ العوّادِ[٦]
أعززْ عليَّ بأن أراك بمنزلٍ ... متشابهِ الأمجادِ والأوغاد[٧]
قد كنتُ أهوى أنْ أشاطِرَكَ الرّدى ... لكنْ أرادَ اللّهُ غيرَ مرادي
ولقد كبا طِرفُ الرقاد بناظري ... منذُ افتُقدتَ فلا لعاً لرقادي[٨]
ثكلتْكَ أرضٌ لم تلدْ لك ثانياً ... إني ومثلك معوز الميلاد
من للبلاغةِ والفصاحةِ إنْ همى ... ذاك الغمامُ وعبَّ ذاك الوادي
مَن للملوكِ يحزُّ في أعناقِها ... بِظُبىً مِن القول البليغ جداد[٩]
يا ليت أني ما اقتنيتُكَ صاحباً ... كم قنيةٍ جَلبتْ أسىً لفؤاد
لا تطلبي يا نفسُ خِلاً بعده ... فلِمثلهِ أعيا على المعتاد[١٠]
إنْ لم تكن مِن أسرتي وعشيرتي ... فلأنتَ أعلقهم يداً بودادي[١١]
لكَ في الحشا قبرٌ وإنْ لم تأوِهِ ... ومِنَ الدموع روائح وغوادي[١٢]
ما ماتَ مَن جعل الزمانُ لسانَهُ ... يتلو مناقبَ عُوَّد وبوادي[١٣]
فاذهبْ كما ذهب الربيعُ وإثرُه ... باقٍ بكلِّ مهابطٍ ونجاد[١٤]

---

(١) الأطواد: الجبال. والثرى: التراب.
(٢) أي: ضعفه وكسر قوته. وأقذى العين: أصابها بالقذى، وهو الغبار وغيره.
(٣) الجناب: الناحية، والفجاج: الطرق الواسعة.
(٤) يغلق رهنه: أي صار ملكاً لراهنه. والزائد: الحامي والمدافع.
(٥) العارض: السحاب. والطراد: النزال والقتال.
(٦) العواد، جمع عائد، وهو زائر المريض.
(٧) الأوغاد: اللئام من الناس.
(٨) كبا: سقط. والطرف: جيد الخيل. لعاً: بمعنى أنعش.
(٩) الظبى، جمع ظباة، وهي حد السيف. وجداد: قاطعة.
(١٠) الخل: الصديق. واعيا: أعجز.
(١١) أعقلهم بـ: بودادي: أي أقربهم إليّ.
(١٢) الغوادي: أمطار الغداة. والروائح أمطار المساء.
(١٣) العوّد: التي تعود مرة بعد مرة. والبوادي، أصلها البوادىء، وهي التي تبدأ.
(١٤) المهابط: منخفضات الأرض. والنجاد: مرتفعاتها.

❖ هـ ــ البهاء زهير (ت ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م)

(أراك هجرتني هجراً طويلاً)

هو بهاء الدين أبو الفضل زهير بن محمد المهلبي، من متأخري شعراء الدولة العباسية. ولد بمكة وكان فاضلاً مقدماً. اتصل بالملك الصالح الأيوبي، ثم انتقل معه إلى دمشق وأقام في خدمته. ولما اعتقل الملك الصالح بقلعة الكرك أقام زهير بنابلس قريباً من صاحبه حتى أفرج عن الملك فقدم إليه في مصر ولبث عنده حتى وفاته. اجتمع به في القاهرة ابن خلكان وشهد بمكارم أخلاقه وصفاته. أما شعر زهير فهو غاية في الرقة والسهولة والإنسجام. ومن أرق شعره وأروعه شعره الذي يرثي فيه صديقاً له. يقول البهاء[١]:

أراكَ هجرْتني هجراً طويلاً ... وما عوّدْتني من قبلُ ذاكا
فكيف تغيّرتْ تلك السجايا ... ومَن هذا الذي عنّي ثناكا[٢]
فلا واللّهِ ما حاولتُ عذراً ... فكلُّ الناسِ يغدرُ ما خلاكا
وما فارقتني طوعاً ولكنْ ... دهاكَ مِنَ المنيّة ما دهاكا[٣]
يعزُّ عليَّ حين أُديرُ عيني ... أفتشُ في مكانكَ لا أراكا
ختمتُ على ودادِك في ضميري ... وليس يزال مختوماً هناكا
لقد عجلتْ عليك يدُ المنايا ... وما استوفيْتَ حظَّكَ مِن صباكا
فوا أسفي لجسمِك كيف يبلى ... ويذهبْ بعدَ بهجتِه سناكا[٤]
وما لي أدّعي أني وفيٌّ ... ولستُ مشاركاً لكَ في بلاكا
تموتُ وما أموتُ عليك حزناً ... وحقِّ هواك خنتُك في هواكا
ويا خجلي إذا قالوا محبٌّ ... ولم أنفعْكَ في خطبٍ أتاكا[٥]

---

(١) تاريخ الآداب العربية ١/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥.
(٢) السجايا: الأخلاق. وثناك: ردّك وكفّك.
(٣) دهاك: أصابك.
(٤) يبلى: يغنى. والسنا: النور والضياء.
(٥) الخطب: الأمر المكروه.

٣ ــ رثاء العلماء

❖ أ ـ أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ/١٠٥٧ م)

(غير مجدٍ في ملتي واعتقادي)

يقول أبو العلاء[١]:

غيرُ مُجدٍ في مِلّتي واعتقادي ... نوحُ باكٍ ولا ترنّمُ شادِ
وشبيهُ صوتُ النعيّ إذا قيس ... بصوتِ البشيرِ في كل نادِ
أبكتْ تلكمُ الحمامةُ أم غنّتْ ... على فرعِ غصنِها المياد
صاح هذي قبورُنا تملأُ الرُحبَ ... فأينَ القبورُ مِن عهدِ عاد

من جيّد شعر الرثاء، وأبقاه على الدهر، مرثاة أبي العلاء المعري. في أحد الفقهاء الحنفيين، وإنا لنثبت القصيدة برمتها نظراً إلى أهميتها. وقد أثبتنا مطلعها قبل الحديث عن الشاعر:

والشاعر هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد. ولد في المعرة، ونسب إليها، سنة ٣٦٣ هـ/ ٩٧٣ م. في الثالثة من عمره أصيب بداء الجدري فذهبت عينه اليسرى، ثم اليمنى، وما لبث أن فقد البصر تماماً. تتلمذ على أبيه في اللغة والنحو والأدب، قرأ على مشاهيرها العلوم الدينية والعربية. بدأ الشعر متكسباً، ثم أقلع عن هذه العادة لينصرف إلى نظم الشعر الوجداني الصرف راثياً ومتأملاً، يمم وجهه شطر بغداد، وسرعان ما رجع إلى المعرة لينقطع إلى الدرس والتدريس، وما فارقها قط حتى وفاته سنة ٤٤٩ هـ/ ١٠٥٧ م. سمي المعري نفسه رهين المحبسين، المنزل والعمى، وغلب عليه الزهد في الدنيا، وليس غريباً أن يتّسم شعره بالنقمة والمرارة والتشاؤم.

اتهم المعري بالزندقة والإلحاد لأنه ضمن شعره الكثير من الآراء الفلسفية التي تتخذ من الشك طريقاً إلى اليقين. ولا عجب أن يطلق عليه البعض اسم فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة. لأبي العلاء ديوان شعر أسماه «سقط الزند»، وديوان آخر يعرف باسم اللزوميات، أو لزوم ما لا يلزم؛ وله في النثر رسالة مشهورة تعرف برسالة الغفران، وكتاب أسماه الأيك والغصون ويعرف بالهمزة والردف، لم يبق منه سوى مجلد واحد من أصل مائة.

---

(١) ديوان سقط الزند للمعري ص ١١١ شرح نزار رضا دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٥.

خَفِّفِ الوَطْءَ ما أظنُّ أديمَ الأرضِ ... إلاّ مِنْ هذهِ الأجسادِ[١]
وقبيحٌ بنا وإنْ قدُمَ العهدُ ... هوانُ الآباءِ والأجدادِ[٢]
سِرْ إنْ اسْطعتَ في الهواءِ رويداً ... لا اختيالاً على رفاتِ العبادِ
رُبَّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً ... ضاحكٍ من تزاحمِ الأضدادِ[٣]
ودفينٍ على بقايا دفينِ ... في طويلِ الأزمانِ والآبادِ[٤]
فاسألِ الفرقدينِ عَمَّنْ أحسَّا ... مِن قبيلٍ وآنسا مِن بلادِ[٥]
كم أقاما على زوالِ نهارٍ ... وأنارا لِمُدْلجٍ في سوادِ[٦]
تعبٌ كلُّها الحياةُ فما أعجـ ... ـبُ إلاّ مِن راغبٍ في ازديادِ
إنَّ حزناً في ساعةِ الموتِ ... سعافُ سرورٍ في ساعةِ الميلادِ
خُلقَ الناسُ للبقاءِ فضلَّتْ ... أمّةٌ يحسبونهم للنفادِ
إنما يُنقلون مِن دار أعمال ... إلى دار شقوةٍ أو رشادِ[٧]
ضجعةُ الموتِ رقدةٌ يستريحُ الـ ... ـجسمُ فيها والعيشُ مثلُ السُّهادِ[٨]
زُحَلٌ أشرفُ الكواكبِ داراً ... مِن لقاءِ الردى على ميعادِ[٩]
ولنارِ المرّيخِ مِن حدثانِ الدـ ... ـهرِ مُطْفٍ وإنْ علتْ في اتّقادِ[١٠]
والثُّريّا رهينةٌ بافتراقِ الشملِ حتى تُعدَّ في الأفرادِ[١١]
فليكنْ للمحسّنِ الأجلُ الممـ ... ـدودُ رغماً لآنفِ الحسّادِ
وَلْيطِبْ عن أخيه نفساً ... وأبناءِ أخيه جرائحُ الأكبادِ[١٢]
كلُّ بيتٍ لِلهدمِ ما تبتني الورـ ... ـقاءُ والسَّيِّدُ الرفيعُ العمادِ[١٣]
والفتى ظاعنٌ ويكفيه ظلُّ السّدرِ ... ضربِ الأطنابِ والأوتادِ[١٤]

---

(١) الوطء: الدوس. من وطىء الأرض وطئاً، إذا داسها، والأديم: الجلد. وأديم الأرض: وجهها الظاهر منها.
(٢) هوان الآباء: إذلالهم.
(٣) اللحد: الشق في جانب القبر، للميت.
(٤) الدفين: المدفون، أي الموارى في التراب، والآباد، جمع آبد، وهو الدهر.
(٥) الفرقدان: نجمان متقاربان يقعان في مجموعة بنات نعش الصغرى قرب القطب الشمالي من السماء، ويهتدي بهما في السفر.
(٦) المدلج: السائر في أول الليل.
(٧) دار الشقوة والرثاء، هي الآخرة. ودار الأعمال، هي الدنيا، والشقوة كناية عن جهنم، والرشاد، كناية عن الجنة.
(٨) السهاد: الأرق.
(٩) زحل: أحد الكواكب السيارة المعروفة، وأبعدها عن الشمس. والردى: الهلاك والموت.
(١٠) المريخ: أحد الكواكب السيارة المعروفة، ويعرف باحمراره واتقاده وبدلالته على الشرور.
(١١) الثريا: مجموعة من النجوم تشكل مجتمعة ما يعرف بها، وهي تقع قريباً من الجوزاء.
(١٢) جرائح، جمع جارحة، وهي العضو العامل من الجسد، من يد، ورجل وغيرهما.
(١٣) الورقاء: الحمامة.
(١٤) السدر: شجر النبق. والأطناب، جمع طنب، وهو الحبل يشد به الخباء. والظاعن: السائر والمرتحل.

بـانَ أمـرُ الإلٰـهِ واخـتـلـف الـنـاسُ ... فـــداعٍ إلـــى ضـــلالٍ وهـــاد
والـــذي حـــارتِ الـــبـــريَّـــةُ فـــيـــه ... حـيـوانٌ مُـسـتـحـدثٌ مِـن جـمـاد
والـلـبـيـبُ الـلـبـيـبُ مَـن لـيـس يـغـتـرُّ ... بـكـونٍ مـصـيـرُهُ لـلـفـسـاد

٤ ــ رثاء الأعلام

❖ أ ـ أعشى باهلة

(عشنا بذلك دهراً ثم فرقنا)

ومن جيد المراثي مرثاة أعشى باهلة، وكنيته أبو قحافة، يرثي بها المنتشر بن وهب الباهلي، وكان من فرسان العرب وأجوادهم المعدودين.

وكان المنتشر قد أسر صلاءة بن العنبر الحارثي فقال له: أقد نفسك! فأبى صلاءة. فقال المنتشر: لأقطعنك أنملة أنملة، وعضواً عضواً ما لم تفتد نفسك. ولما لم يفعل، قتله المنتشر، ثم وافى ذا الخلصة، وهو بيت كانت قثعم تحجّه، وفيها الصنم الذي يعرف باسمه. فدلت عليه بنو نفيل بن عمرو بن كلاب الحارثيين فقبضوا عليه فقالوا: لنفعلن بك كما فعلت بصلاءة. وهذا ما قاموا به بالفعل. وعلى أثر ذلك التقى أعشى باهلة براكب فقال له: هل من جائبة خبر؟ قال: أسرت بنو الحرث المنتشر، وكانت تسميه المجدّع، فما صار في أيديهم قالوا: لنقطعنك كما فعلت بصلاءة، فقال أعشى باهلة، وهو الشاعر الجاهلي، وغير أعشى قيس، أبي بصير، ميمون، والملقب بالأعشى الأكبر، قال يرثي المنتشر[١]:

إني أتتني لسانٌ لا أُسرُّ بها ... مِن علُ لا عجبٌ منها ولا سَخَرُ[٢]

فبتُّ مرتفقاً للنجم أرقبُه ... حيرانَ ذا حذرٍ لو ينفعُ الحذر[٣]

فجاشتِ النفسُ لما جاء جَمعُهُمُ ... وراكبٌ جاء مِن تثليثَ معتمرُ[٤]

يأتي على الناسِ لا يَلْوي على أحدٍ ... حتى التقينا وكانت دونَنا مُضرُ[٥]

يَنْعَى امرءاً لا تُغِبُّ الحيَّ جفنتُه ... إذا الكواكبُ أخطا نوءَها المطر[٦]

مَن ليس في خيره شرٌّ يُكَدِّرُه ... على الصديقِ ولا في صفوِه كَدَر

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٣٤٩.

(٢) اللسان، الرسالة. وهو مؤنث، والجمع ألسنة.

(٣) النجم، هنا، الثريا، مجموعة الأنجم الصغيرة المتقاربة جداً في كوكبة الجوزاء.

(٤) جاشت النفس، أي تحركت للقيء، واضطربت من الحزن أو الفزع. وتثليث: اسم موضع بعينه. والمعتمر: من أدى العمرة في الحج وغيره.

(٥) مضر، اسم رجل ينتسب إليه عرب الشمال، وهو مضر بن معد بن عدنان. قيل: سمي به لبياض لونه من مضيرة الطبيخ.

(٦) تغب، من الغب، وهو الزيادة في الحين بعد الحين، والجفنة: القصعة. وهنا يتحدث عن جوده وكرمه وضيافته. والنوء: طلوع نجم وسقوط آخر وليس لكل الكواكب نوء، أي مطر.

طاوي المصيرِ على العزّاءِ منصلتٌ ... بالقومِ ليلةَ لا ماءٌ ولا شجر[١]
لا تُنكرُ البازلُ الكوماء ضربتَهُ ... بالمشرفيّ إذا ما اجلوّذ السفر[٢]
وتفزعُ الشَّولُ منه حينَ تُبصره ... حتى تقطَّعُ في أعناقها الجِرَر[٣]
لا يُصعبُ الأمرَ إلاّ ريثَ يركبه ... وكلُّ أمرٍ سوى الفحشاءِ يأتمر
تكفيهِ فِلذةُ كِبْدٍ إنْ ألمَّ بها ... من الشِّواءِ ويكفي شربَه الغُمرُ[٤]
مُهفهفٌ أهضمُ الكشحيْنِ منحرقٌ ... عنه القميصُ لسيرِ الليلِ محتقر[٥]
عشنا بذلك دهراً ثم فرّقنا ... كذلك الرمحُ ذو النّصليْنِ ينكسر[٦]
فإنْ جزعْنا فقد هدَّت مصيبتُنا ... وإنْ صبرْنا فإنّا معشرٌ صُبُر

❖ ب ـ الهدم وحاطب بن قيس

(لبيكك من كانت حياتك عزّه)

(سلام على القبر الذي ضم أعظماً)

قال الشرقي بن القطامي: لما مات عمرو بن حممة الدوسي، وكان أحد من تتحاكم إليه العرب، مر بقبره ثلاثة نفر من أهل المدينة قادمين من الشام، وهم: الهدم، وعتيك ابن قيس، وحاطب بن قيس، فعقروا على قبره رواحلهم. أما الهدم، وهو أبو كلثوم بن الهدم، الشاعر الجاهلي الذي أدرك الاسلام، ويقال إن النبي (ﷺ) نزل عنده، فقال في رثاء عمرو بن حممة[٧]:

لقد ضمّتِ الأثراءُ منكَ مُرزّأً ... عظيمَ رمادِ النارِ مشتركَ القِدرِ[٨]
إذا قلتَ لم تتركْ مقالاً لقائلٍ ... وإنْ صُلْتَ كنتَ الليثَ يحمي حِمى الأجر[٩]
حليماً إذا ما الحلمُ كانَ حَزامةً ... وقوفاً إذا كان الوقوفُ على الحجرِ

---

(١) العزاء: الأمر الشديد. والمتصلت من السيوف: المجرد من غمده.
(٢) البازل من الجمال: من طلع نابها. والكوماء: الناقة العظيمة السنام. والمشرفي، السيف المنسوب إلى المشارق. وهنا يريد الشاعر أن يقول إن المرثي عوّد الإبل أن ينحرها، ومن شأنهم أن يعرقبوها قبل النحر. واجلوّد: امتدّ.
(٣) الشول: كناية عن الإبل التي تشيل بأذنابها. وهنا يبين الشاعر لنا كيف إن الإبل اعتادت أن ينحرها فهي تفزع منه أنها تقطع جرّتها، وهي ما يخرجه البعير من بطنه ثم يمضغه ثانية، ثم يبلعه.
(٤) الغمر، جمع غمرة، وهي الماء الكثير.
(٥) مهفهف: ضامر. ومثله أهضم. والكشح، ما بين الخاصرة والضلوع.
(٦) النصل: حديدة الرمح.
(٧) الحصري: زهر الآداب وثمر الألباب ١٠٥٨/٢. تحقيق علي البجاوي. ط ١، دار احياء الكتب العربية القاهرة ١٩٥٣.
(٨) الأثراء، جمع ثرى، وهو التراب، والمرزأ: الذي وقع عليه الرزء، وهو المصاب وعظيم الرماد، كناية عن الإقراء وإطعام الضيف فناره دائمة.
(٩) صلت: جلت في ساحة المعركة.

لِيبكِكَ مَن كانت حياتُك عزَّهُ ... وأصبحَ لما متَّ يُغضي على الصُّغر[١]
سقى الأرضَ ذاتَ الطولِ والعرضِ مُثْجِمٌ ... أَحَمُّ الذّرى واهي العُرى دائمُ القطر[٢]
وما بيَ سُقيا الأرضِ لكنَّ تربةً ... أضلّكَ في أحشائِها مُلحد القبر

وأما حاطب بن قيس فقال فيه[٣]:

سلامٌ على القبرِ الذي ضمّ أعظماً ... تحومُ المعالي نحوه فتسلّمُ
سلامٌ عليه كلّما ذرَّ شارقٌ ... وما امتدَّ قِطْعٌ مِن دجى الليلِ مظلم[٤]
فيا قبرَ عمروٍ جاد أرضاً تقطّعتْ ... عليكَ مُلِثٌّ دائمُ القطرِ مُرزمُ[٥]
تضمّنتَ جسماً طابَ حيّاً وميّتاً ... فأنتَ بما ضُمّنتَ في الأرضِ معلم[٦]
فلو نطقتْ أرضٌ لقالَ ترابُها ... إلى قبرِ عمروِ الأزدِ حلَّ التكرّم
إلى مرمسٍ قد حلَّ بينَ ترابهِ ... وأحجارِه بدرٌ وأضبطُ ضيغم[٧]
فلا يُبعِدنْكَ اللّهُ حياً وميتاً ... فقد كنتَ نور الخطبِ والخطبُ مظلم
لقد هدم العلياءَ موتُكَ جانباً ... وكان قديماً ركنُها لا يُهدَّم

❖ جـ ــ حسان بن ثابت (ت ٥٤ هـ/٦٧٤ م)

(لا يبعدن ربيعة بن مكدم).

يعتبر حسان بن ثابت الأنصاري من فحول الشعراء الإسلاميين، وكان جاهليا، فلما أظهر النبي ﷺ دعوته لحق به حسان، ومدحه بقصائد غراء في غاية الحسن والإبداع. ترك حسان كثيراً من الشعر في الجاهلية والاسلام، وأكثر شعره في المدح والفخر والهجاء والرثاء.

ومن رائع شعر حسان بن ثابت رثاؤه لربيعة بن مكدم الكناني، وكان هذا قتله أهبان بن غادية الخزاعي. وقيس تقول إن الذي قتله نبيشة بن حبيب السلمي أخو أهبان لأمه. ولقد مرّ حسان في الجاهلية بقبر ربيعة، فانشد[٨]:

---

(١) يغضي على الصغر: يسكت عن الهوان.
(٢) المتجم: الوابل من المطر. والأحم: الأسود.
(٣) زهر الآداب ٢/ ١٠٥٩.
(٤) ذرّ: ظهر. والشارق: المشرق والطالع.
(٥) ملث: مقيم، والمرزم من الرعد: الذي يشتد صوته.
(٦) المعلم: ما يستدل به على الشيء من أثر.
(٧) المرمس، وهذا الرمس والقبر. والأضبط: من يعمل يمينة ويساره معاً، وهنا، صفة للأسد الشديد. والضيغم: صفة للأسد الواسع الشدق.
(٨) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٣٦٦.

لا يبعدنَّ ربيعةُ بنُ مكدّم ... وسقى الغوادي قبرَهُ بذَنوبِ[١]
نفرتْ قلوصي مِن حجارة حرّةٍ ... نُصبتْ على طلْقِ اليدينِ وهوبِ[٢]
لا تنفري يا ناقُ منه فإنه ... شريبُ خمرٍ مسْعَرٌ لحروبِ[٣]
لولا السفارُ وطولُ فقرِ مَتهمِهٍ ... لَتركْتُها تحبو على العرقوبِ[٤]
نِعم الفتى أدّى نبيشةُ رحلَهُ ... يومَ الكَ نبيشةُ بنُ حبيبِ[٥]

❖ د ـ عمران بن حطّان (ت ٨٤ هـ/٧٠٣ م)

(أنكرت بعدك ما قد كنت أعرفه)

كان عمران بن حطان، وهو أحد بني عمرو بن شيبان بن ذهل بن تعلية من بكر وائل، رأس الصفرية، وهي فرقة من فرق الخوارج، وكان خطيب القوم وشاعرهم في زمن الأمويين. ولما فجع بأبي بلال مرداس بن أديّة، وهو أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، قال عمران متفجعاً ورائياً[٦]:

يا عينُ بكّي لمرداسٍ ومصرعِهِ ... يا ربَّ مرداسٍ اجْعلْني كمرداسِ[٧]
تركْتَني هائماً أبكي لمِرزءتي ... في منزلٍ موحشٍ من بعدِ إيناسِ[٨]
أنكرْتُ بعدَكَ ما قد كنتُ أعرفُه ... ما الناسُ بعدَكَ يا مرداسُ بالناسِ
إمّا شربْتَ بكأسٍ دارَ أوّلُها ... على القرونِ فذاقوا جُرعةَ الكاسِ
فكلُّ من لم يذقْها شاربٌ عجلاً ... منها بأنفاسٍ وِرْدٍ بعدَ أنفاسِ[٩]

وقال فيه أيضاً:[١٠]

لقد زاد الحياةَ إليّ بغضاً ... وحبّاً للخروجِ أبو بلالِ
أحاذرُ أنْ أموتَ على فراشي ... وأرجو الموتَ تحتَ ذُرى العوالي[١١]
ولو أني علمتُ بأنّ حتفي ... كَحتفِ أبي بلالٍ لم أبالِ

---

(١) الغوادي، جمع غادية، وهي السحابة الممطرة في الغداة، والذنوب: الدلو العظيمة.
(٢) القلوص: الناقة. والحرّة: الأرض السوداء ذات الحجارة النخرة.
(٣) مسعر: شجاع في الحرب.
(٤) السفار: السفر. والمهمة من الأرض: الفلاة لا أثر للحياة فيها.
(٥) الكديد: يوم الكديد، يوم من أيام العرب في الجاهلية، وهو قريب من مكة.
(٦) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ١٢٥.
(٧) بكي: إبكي.
(٨) المرزءة: الرزيّة والمصيبة.
(٩) الورد: إتيان الماء.
(١٠) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ١٢٥.
(١١) العوالي: جمع عالية وهي كناية عن الرمح.

فَمَنْ يكُ همُّه الدنيا فإني لها واللّه ربُّ البيتِ قالِ[١]

❖ هـ - ابن عبد الأعلى

(إن عشت تفجع بالأحبة كلهم)

ومن جيد شعر الرثاء رثاء ابن عبد الأعلى، وكان من خاصة سليمان عبد الملك، لأيوب ابنه، وكان ولياً للعهد، وأكبر أولاده، يقول ابن عبد الأعلى:[٢]

ولقد أقولُ لذي الشماتةِ إذ رأى جزعي ومَن يذقِ الحوادثَ يجزع
أبشرْ فقد قرعَ الحوادثُ مروتي وافرح بمروتك التي لم تُقرع[٣]
إن عشتَ تفجعْ بالأحبّةِ كلّهم أو يفجعوا بك إنْ بهم لم تفجع
أيوبُ مَن يشمتْ بموتِكَ لم يطقْ عن نفسه دفعاً وهل من مُدفع

❖ و - زياد الأعجم (ت ١٢٧ هـ/٧٤٥ م)

(فلقد يكون أخا دم وصفائح)

هو أبو أمامة زياد بن سليمان، الملقب بالأعجم، للكنة أعجمية كانت فيه. شاعر جزل الشعر، فصيح العبارة والألفاظ على الرغم من لكنته. توفي في أواخر أيام بني أمية. ومن بديع شعره في الرثاء ما قاله في رثاء المهلب بن المغيرة، ومن ذلك قوله:[٤]

قلْ للقوافلِ والقَرِيّ إذا قَرَوْا والباكرينَ ولِلمُجّدِ الرائحِ[٥]
إنَّ المروءةَ والسماحةَ ضُمِّنا قبراً بمروَ على الطريقِ الواضحِ[٦]
فإذا مررتَ بقبرِهِ فاعقرْ له كُومَ الهجانِ وكلَّ طِرفٍ سابحِ[٧]
وانضحْ جوانبَ قبرِهِ بدمائها فلقد يكونُ أخا دمٍ وذبائحِ
مات المغيرةُ بعدَ طولِ تعرّضٍ للموتِ بينَ أسنّةٍ وصَفائحِ[٨]

---

(١) قالٍ: كاره ومبغض.
(٢) العقد الفريد ٢/ ١٤.
(٣) المروة: الصخرة. تقرع: تضرب.
(٤) تاريخ الآداب العربية ١/ ١٩٦.
(٥) القري: الكثير القرى للضيف. والرائح: الذاهب مساء.
(٦) مرو: ثمة مروان هما: مرو الرّوذ، ومرو الشاهجان، بينهما خمسة أيام، في بلاد فارس، والمعروف عن المهلب أنه مات بمرو الروذ، وفيه يقول نهار بن توسعة:

ألا ذهب الغزو المقرّب للغنى وماتَ الندى والعرف بعد المهلب
أقاما بمرو الروذ رهن ثوائه وقد حجبا عن كل شرق ومغرب

(٧) الكوم: ما ارتفع من الضخم السنام. والهجان: الإبل البيض الكرام. والطرف: الفرس.
(٨) الأسنة، جمع سنان، وهو نصل الرمح، والصفائح: السيوف العريضة.

❖ ز ـ ابن مناذر (ت ١٦٩ هـ/٧٨٥ م)

(ما لحيّ مؤمل من خلود)

ومن أجود الرثاء، وأروع التأبين، قصيدة محمد بن مناذر في رثاء عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي الذي مات عن عشرين سنة من غير ما علة. وهذه القصيدة، على سهولة ألفاظها، وحلاوة مخرجها، تتضمن المعنى اللطيف، والعبرة الجليلة. وإنا لنثبت ما أمكن من أبياتها نظراً لما لها من خصائص، ولما تضمنته من عبر واعتبار أما ابن مناذر فهو الشاعر والعالم والخطيب المصقع، تميز أدبه بحلاوة كلام المحدثين، ورمى في شعره بالمثل السائر، واللفظ الجليل، والقول النبيل.

يقول ابن مناذر:(١)

كلُّ حيٍّ لاقي الحمام فجودي ... ما لِحَيٍّ مؤمّلٍ مِنْ خلودِ(٢)

لا تهابُ المنونُ شيئاً ولا تُرعى ... على والدٍ ولا مولود(٣)

يقدحُ الدهرُ في شماريخ رضْوى ... ويحطُّ الصخورَ مِن هَبُّود(٤)

ولقد تترك الحوادثُ والأيامُ ... وهْياً في الصخرةِ الصَّيْخود(٥)

يا فتىً كان للمقاماتِ زَيْناً ... لا أراه في المحفِلِ المشهود

لهف نفسي أما أراك وما عنـ ... ـدكَ لي أنْ دعوتُ مِن مردود

كان عبدُ المجيدِ سُمَّ الأعادي ... ملءَ عينِ الصديق رغم الحسود

عاد عبد المجيد رزءاً وقد كا ... ن رجاءً لِرَيْبِ دهرٍ كنود(٦)

خنتكَ الودَّ لم أمتْ كمداً ... بعدك إني عليك حقُّ جليد(٧)

لو فدى الحيُّ ميتاً لفدتْ نفسـ ... ـك نفسي بطار في وتليدي(٨)

ولئن كنتُ لم أمتْ مِن جوى الحـ ... ـزن عليه لأَبلغنْ مجهودي(٩)

لأُقيمنَّ مأتماً كنجوم اللـ ... ـيل زُهراً يلطمْنَ حُرَّ الخدود(١٠)

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ٢/٣٤٦ ـ ٣٤٧.
(٢) الحمام: الموت. وجودي، أعطي ما عندك من دموع ويخاطب عينه.
(٣) ترعي: تبقي. والمنون: المنايا، وهي الموت.
(٤) رضوى: جبل بالمدينة. والشماريخ، جمع شمروخ، وهو العرجون عليه البُسر، أو موضع في بلاد تميم.
(٥) الوهي: الشق في الشيء. والصيخود: الصلبة.
(٦) الرزء: المصاب. والكنود: الجحود الذي يجحد نعم الله.
(٧) الكمد: الحزن، وتغير اللون والصفات. والجليد: الشديد الجلد والصبر.
(٨) الطارف من المال: المستحدث، والتليد: القديم منه.
(٩) الجوى: شدة الحزن.
(١٠) الحر من الشيء: الخالص من الشوائب. وزهراً: بيضاً.

مـ...ـاتٍ يبكينَ للكبدِ الحرّى ... عليه وللفؤاد العميد[١]
ولعينٍ مطروفةٍ أبدا قال لها ... الدهرُ لا تقرّي وجودي
كلّما عزّك البكاءُ فأنفـ ... ـذتُ لعبد المجيد سُجلاً فعودي[٢]
لفتىً يحسن البكاءُ عليه ... وفتىً كان لإمْتداح القصيد
أينَ ربُّ الحصنِ الحصينِ بسُوراءَ ... وربُّ القصرِ المنيف المشيد[٣]
شاد أركانَه وبَوَّبه ... بابيْ حديدٍ وحفَّه بجنود
كان يُجبى إليه ما بين ... صنعاءَ فمصرٍ إلى قرى بيرود[٤]
وترى خلفه زرافات خيلٍ ... جافلاتٍ تعدو بمثلِ الأسود
فرمى شخصَه فأقصده الدهرُ ... بسهم منَ المْنايا سديد[٥]
ثم لم يُنجهِ منَ المْوتِ حصنٌ ... دونه خَندقٌ وبابٍ حديد
وملوك مِن قبلِ عمروا الأرضَ ... أُعينوا بالنصرِ والتأييد
فلوَ أنّ الأيام أخلدْنَ حيّاً ... لعلاءٍ أخلدْنَ عبدَ المجيد
ما درى نعشُه ولا حاملوه ... ما على النعشِ من عفافٍ وجود
ويحَ أيْدٍ حثتْ عليه وأيدٍ ... دفنتْه ما غيّبتْ في الصعيد[٦]
إنَّ عبدَ المجيد يومَ توالىٰ ... هدَّ ركناً ما كان بالمهدود
وأرانا كالزرع يحصده الدهرْ ... فمِنْ قائمٍ وحصيد[٧]

❖ ح ـ الحسين بن مطير (ت ١٦٩ هـ/٧٨٥ م)

(بلى قد وسعت الجود والجود ميت)

يعد معن بن زائدة بن عبد الله الشيباني، من ألمع الرجال، وأجود الناس، وقد رثاه العديد من الشعراء ومنهم الحسين بن مطير، الشاعر العباسي المولد.

يقول الحسين في رثاء معن:[٨]

أَلِمّا على معنٍ وقولا لقبرِهِ ... سقتْكَ الغوادي مَربعاً ثم مربعا[٩]

---

(١) العميد: الحزين. والحرّى: الشديد العطش.
(٢) السجل: الدلو العظيمة. والعظيم من الشيء. وهنا، صفة للدمع الكثير.
(٣) سوراء: موضع إلى جنب بغداد. وقيل: هو بغداد نفسها. وقيل هو موضع بالجزيرة. سميت بسوار، بنت أردوان بن باطي الذي قتله كسرى أردشير. وهي التي بنت القصر.
(٤) بيرود، والأصل بيروذ: ناحية بين الأهواز ومدينة الطيب؛ وتسمى بالبصرة الصغرى.
(٥) أقصده: أصابه. والسديد: المسدد بدقة.
(٦) حثت: أهالت عليه التراب. والصعيد التراب.
(٧) الزرع القائم: الذي لم يحصد بعد. والحصيد. المحصود.
(٨) زهرة الآداب ٢/ ٧٩٤.
(٩) الغوادي: السحائب الممطرة في الغداة. وألما: إنزلا بقبره.

فيا قبر معنٍ أنتَ أول حفرةٍ ... منَ الأرضِ خُطَّتْ للمساحةِ مضجعا[١]
ويا قبرَ معنٍ كيف واريتَ جودَهُ ... وقد كانَ منه البرُّ والبحر مترعا[٢]
بلى قد وسعْتَ الجودَ والجودُ ميّتٌ ... كما كان بعد السيلِ مجراه مرتعا
ولما مضى معنٌ مضى الجودُ وانقضى ... وأصبحَ عِرنينُ المكارمِ أجدعا[٣]

❖ ط ـ أبو العطاء السندي (ت ١٨٠ هـ/٧٩٦ م)

(بلى كل ما تحت التراب بعيد)

ومن الرثاء الرائع أبيات قالها أبو العطاء السندي، أفلح بن يسار، وكان عبداً أسود مولى بن أسد في ابراهيم بن هبيرة الذي قتل في واسط جنوب بغداد.

يقول أبو العطاء:[٤]

ألا إنّ عيناً لم تجُدْ يومَ واسطٍ ... عليك بباقي دمعِها لَجَحودُ[٥]
عشيّةَ قام النائحاتُ وشُقّقتْ ... جيوبٌ بأيدي مأتم وخدود[٦]
فإنْ تُمسِ مهجورَ الغِناءِ فربّما ... أقامَ به بعدَ الوفودِ وفود
فإنّك لم تبعدْ على متعهّدٍ ... بلى كلُّ ما تحتَ الترابِ بعيد

❖ يـ ـ مروان بن أبي حفصة (ت ١٨١ هـ/٧٩٧ م)

(وقلنا أين ندخل بعد معن)

الشاعر هو مروان بن أبي حفصة، من اليمامة. شاعر عباسي يندرج في عداد الشعراء المحدثين أو المولدّين. يتميز شعره بالرقة والجزالة وحسن الديباجة، وشدة العناية بإحكام النظم. وهو القائل: «إني إذا أردت أن أقول القصيدة رفعتها في حول: أقولها في الأربعة أشهر، وأنتخلها أربعة، وأعرضها في أربعة أشهر». وهو في ذلك ينحو نحو زهير بن أبي سلمى، الشاعر الجاهلي المعروف.

من بديع شعر مروان مرثيته الشهيرة في معن بن زائدة الشيباني، ويقال إن مروان دخل على جعفر بن يحي البرمكي فطلب إليه أن ينشده مرثيته في معن فأنشده إياها حتى

---

(١) مضجع: مكان الاضطجاع والنوم.
(٢) الجود: الكرم والسخاء. ومرتع: مكان الرتع والارتباع.
(٣) العرنين: ما صلب من عظم الأنف. وأجدع: مقطوع.
(٤) زهر الآداب: ٢/ ٧٩٧. والأمالي ١/ ٢٧١.
(٥) واسط: مدينة عراقية اتخذت عاصمة الخلافة العباسية قبل إنشاء بغداد. وسميت واسطاً لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة. وكان بناها الحجاج بن يوسف زمن عبد الملك بن مروان. وفي العقد الفريد ٢/ ٦٢ نجد (بجاري) بدلاً من (بباقي).
( ) في العقد ٢/ ٦٢ نجد (راح الدافنون) بدلاً من (قام النائحات).

فرغ منها، وجعفر يرسل دموعه على خديه فقال: هل أثابك على هذه المرثية أحد من بيت معن وولده؟ قال: لا. قال: فلو كان معن حياً ثم سمعها منك، كم كان يثيبك عليها؟ قال: أربعمائة دينار. وقال: فإنا كنا نظن أنه لا يرضى لك بذلك، وقد أمرنا لك عن معن بالضعف مما ظننته، وزدناك مثل ذلك، والقصيدة هي التالية:

مضى لِسبيلهِ معنٌ وأبقى ... مكارم لن تَبيدَ ولنْ تُنالا[١]
هو الجبلُ الذي كانت نزارٌ ... تهدُّ مِنَ العدّوِ به الجبالا[٢]
فإنْ يعلُ البلادَ له خشوعٌ ... فقد كانت تطولُ به اختيالا[٣]
أصاب الموتُ يومَ أصاب معناً ... مِنَ الأحياء أكرمَهم فِعالا
وكان الناسُ كلُّهمُ لمعنٍ ... إلى أنْ زار حفرتَه عيالا[٤]
ولِم يكُ طالبٌ للعُرْفِ بنوي ... إلى غير ابنِ زائدةَ ارْتحالا[٥]
أقمنا باليمامة إذ يئسْنا ... مقاماً لا نريدُ به زيالا[٦]
وقلنا أين نرحلُ بعد معنٍ ... وقد ذهب النوالُ فلا نوالا[٧]
وما شهدَ الوقائع منك أمضى ... وأكرم مقدماً وأشدَّ بالا
سيذكرُكَ الخليفةُ غيرَ قالٍ ... إذا هو في الأمور بلا الرجالا[٨]
ولا ينسى وقائعك اللواتي ... على أعدائهِ جُعلتْ وبَالا[٩]

❖ ك ـ أبو نواس (ت ١٩٠ هـ/١٨٠ م)

(وكنت عليه أحذر الموت وحده)

الشاعر هو أبو علي الحسن بن هانىء المعروف بأبي نواس، ألمع شعراء العصر العباسي الأول، وأكثرهم إثارة وطرافة. ولد بالأهواز، وتخرج بالبصرة على والبة بن الحباب، وحصل عن الأعراب ثقافة أدبية واسعة في اللغة والشعر والأخبار. غلب على شعره المجون، وفي شعر الخمرة لا يبارى فلا غرو إن عدّ أبو نواس زعيم الشعر الخمري في الأدب العربي، اتصل أبو نواس بالأمين، الخليفة العباسي، وصار نديماً،

---

(١) تبيد: تزول وتنقرض.
(٢) نزار: القبيلة العربية المشهورة التي ينتسب إليها عرب الشمال.
(٣) الخشوع: الذل. والاختيال: الكبر. وتطول: تفخر.
(٤) عيال: من العيلة، وهي الفقر والحاجة. وهنا العيال، أهل البيت الرجل الذين يكفلهم فكأن الناس كلهم كانوا عيالاً لمعن.
(٥) العرف: المعروف وعمل الخير.
(٦) زيالا: زوالاً.
(٧) النوال: العطية.
(٨) قال: كاره ومبغض.
(٩) الوبال: أسوأ العاقبة.

له، ولما توفي الأمين رثاه أبو نواس بقصيدة منها هذه الأبيات الرائعة:[١]

طوى الموتُ ما بيني وبينَ محمدٍ ... وليسَ لما تَطوي المنيّةُ ناشرُ
لئِنْ عمرتْ دورٌ بمنْ لا أُحبُّه ... لقد عمرتْ ممّنْ أُحبُّ المقابر
وكنتُ عليه أحذر الموت وحدَهُ ... فلم يبق لي شيءٌ عليه أحاذر[٢]

❖ لـ ـ أشجع السلمي (ت ١٩٥ هـ/٨١١ م)

(وكانت له حيّاً تضيق الصحاصح)

ومن أروع الرثاء وأرقه رثاء أشجع بن عمرو السلمي أبي الوليد من قيس عيلان، الشاعر العباسي المعاصر لبشار، وصديق البرامكة، رثاؤه للمدعو ابن سعيد، ويبدو أنه من الأعلام المشهورين.

يقول أشجع:[٣]

مضى ابنُ سعيدٍ حينَ لم يبق مشرقٌ ... ولا مغربٌ إلاّ له فيه مادحُ
وما كنتُ أدري ما فواضلُ كفِّهِ ... عن الناسِ حتى غيَّبتْهُ الصفائح[٤]
فأصبح في لحدٍ منَ الأرضِ ميّتا ... وكانت له حيّاً تضيقُ الصحاصح[٥]
كأنْ لم يمتْ ميْتٌ سواكَ ولَم تقمْ ... على أحدٍ إلاّ عليكَ النوائح
فما أنا من رُزءٍ وإنْ جلَّ جازعٌ ... ولا بسرور بعدَ موتِكَ فارح
لئنْ حسنتْ فيك المراثي وذكرُها ... لقد حسنتْ مِن قبلُ فيك المدائح
لأَبكيكَ ما فاضتْ دموعي فإن تغِضْ ... فحسبُكَ عنّي ما تكنُّ الجوانح[٦]

❖ م ـ البحتري (ت ٢٨٤ هـ/٨٩٧ م)

(تغيّر حسن الجعفري وأُنسه)

من الرثاء الجيد مرثية البحتري في المتوكل، وكان قتله ولده المنتصر، وهي قصيدة طويلة، وكان أبو العباس ثعلب يقول فيها: ما قيلت هاشمية أحسن منها، وذلك لأنه صرح فيها تصريح من أذهلته المصائب عن تخوف العواقب.

أما البحتري، فهو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي أحد ألمع شعراء العصر العباسي.

---

(١) زهر الآداب ٢/ ٧٩٨.
(٢) أخذ أبو نواس معنى هذا البيت من أعرابية كان مات ابنها فرثته بأبيات أولها:
من شاء بعدك فليمت ... فعليك كنت أحاذر
(٣) زهر الآداب ٢/ ٧٩٤. وانظر الأمالي ٢/ ٢١.
(٤) الصفائح: جمع صفيحة، والمقصود بها الحجارة التي توضع فوق القبر.
(٥) اللحد: جانب القبر. والصحاصح، جمع صحصح، وهو ما استوى من الأرض.
(٦) تغض: يقل ماؤها. والجوانح، جمع جانحة، وهي الضلع القصيرة مما يلي الصدر.

ولد بمنبج وتخرج بها ثم قصد بغداد واتصل بالخليفة المتوكل فمدحه ونال صلاته. يتميز شعر البحتري بالطلاوة والسلاسة ودقة المعنى وبراعة التصرف والوصف. وأما الأبيات التي يرثي بها المتوكل فهي التالية[١]:

تغيّرَ حُسنُ الجعفريّ وأنسهُ ... وقُوّضَ بادي الجعفريّ وحاضرُهْ[٢]
تحمّلَ ساكنوه فجاءةً ... فآضتْ سواءً دُوره ومقابره[٣]
ولم أر مثلَ القصرِ إذ ريع سربه ... وإذ ذُعرت أطلاؤه وجآذره[٤]
وإذ صيح فيه بالرحيل فهتكتْ ... على عجلٍ أستارُه وستائره
إذا نحن زرناه أجدّ لنا الأسى ... وقد كان قبلَ اليوم يَبهج زائره
فأين عميدُ الناس في كل نوبة ... تنوبُ وناهي الدهر فيهم وآمره[٥]
صريعٌ تقاضاه السيوفُ حُشاشةً ... يجود بها والموتُ جمرٌ أظافره[٦]
حرامٌ عليَّ الراحُ بعدك أو أرى ... دماً بدم يجري على الأرض مائره[٧]

---

(١) زهر الآداب ١/ ٦١٢.
(٢) الجعفري، هو القصر الذي كان يسكن فيه الخليفة المتوكل.
(٣) آضت: صارت. وتحمل عنه: ارتحلوا.
(٤) ريع: خاف. والأطلاء والجآذر: الغزلان والظباء.
(٥) نوبة: مصيبة.
(٦) الحشاشة: بقية النفس في الجسد.
(٧) الراح: الخمرة. مائره: سائلة المندفع بشدة، ويقصد الدم.

٥ ــ رثاء الأقوام

❖ أ ـ الأسود بن يعفر

(فكأنما كانوا على ميعاد)

ومن جيد الرثاء، وأجزله عبارة، وأحفله حكمة قول الأسود بن يعفر النهشلي في رثاء آل المحرق، والأسود من الشعراء القدامى في الجاهلية. ويقال إن عمر بن عبدالعزيز مر بقصر لآل جفنة فتمثل مزاحم مولاه بقول الأسود بن يعفر، فقال عمر: ألا قرأت: كم تركوا «من جنات وعيون. وزروع ومقام كريم. ونعمة كانوا فيها فاكهين. كذلك وأورثناها قوماً آخرين» يقول الأسود[١]:

ماذا أؤمّلُ بعدَ آلِ محرّقٍ ... تركوا منازلهم وبعدَ إيادِ[٢]

أهلُ الخورنقِ والسديرِ وبارقٍ ... والقصرِ ذي الشّرفاتِ من سنداد[٣]

نزلوا بأنقرة يسيلُ عليهمُ ... ماءُ الفراتِ يجيءُ من أطواد

أرضٌ تخيّرها لِطيبِ مقيلها ... كعبُ بنُ مامةَ وابنُ أمِّ دؤاد[٤]

جرتِ الديارُ على محلِّ دياهم ... فكأنّما كانوا على ميعاد

ولقد غُنوا فيها بأنعم عيشةٍ ... في ظلِّ ملكٍ ثابتِ الأوتاد

فإذا النعيمُ وكلُّ ما يُلَهي به ... يوماً يصير إلى بلىً ونفاد

❖ ب ـ دعبل (ت ٢٤٦ هـ/٨٦٠)

(مدارس آيات خلت من تلاوة)

ومن أصدق الرثاء وأرقه رثاء دعبل لأهل بيت رسول الله (ﷺ). وكان دعبل وهو أبو علي بن علي الخزاعي المولود بالكوفة، والمقيم ببغداد، من مجيدي الشعراء، ومن الذين تقدموا فيه، وله في الهجاء شعر مميز عرف بالخبث وسلاطة اللسان فلم يسلم منه أحد من الخلفاء والوزراء مما جعله طريداً خائفاً، وهو القائل: «أنا أحمل خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة ولست أجد أحداً يصلبني عليها». وكان شديد التعصب

---

(١) العقد الفريد ٢/ ٢٧.

(٢) المحرق، في الأصل صنم كان بسلمان لبكر بن وائل وسائر ربيعة. وإياد، هي من معدّ.

(٣) الخورنق، قصر كان بظهر الحيرة، أمر ببنائه النعمان، ملك الحيرة. بناه سنمار وفرغ من بنائه بعد ستين سنة. والسدير قصر قريب من الخورنق. وبارق، ماء بالكوفة. وسنداد: قصر بالعذيب، وقيل، وهذا هو الأفضل، منازل لإياد. وقيل هو قصر لآل جفنة كانت العرب تحج إليه.

(٤) هو كعب بن مامة بن عمرو بن تعلبة الإيادي، وابن أم دؤاد، المقصود به أبو دؤاد الإيادي الشاعر المشهور.

للعلويين، محباً لآل بيت رسول الله (ﷺ) وله فيهم مرثاةٍ كثيرة منها هذه المرثاة التي تعرف بالتائية، نقتطف منها هذه الأبيات الرائعة[١]:

مدارسُ آياتٍ خلتْ مِن تلاوةٍ ... ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العرصاتِ[٢]
لآل رسولِ اللّهِ بالخيْفِ مِن منى ... وبالبيتِ والتّعريفِ والجمرات[٣]
ديارُ عليّ والحسينِ وجعفرٍ ... وحمزةَ والسجّادِ ذي الثّفنات[٤]
قِفا نسألِ الدارَ التي خفَّ أهلُها ... متى عهدُها بالصّومِ والصلوات[٥]
وأين الأولى شطّتْ بهم غربةُ النوى ... أفانينَ في الآفاقِ مفترقات[٦]
أحبُّ قصيَّ الدارِ من أجلِ حبِّهمْ ... وأهجرُ فيهم أسرتي وثقاتي
ألم تر أني من ثلاثينَ حِجّةً ... أروحُ وأغدو دائم الحسرات
أرى فيئَهُم في غيرِهم متقسّماً ... وأيديهمُ من فيئهم صفرات[٧]
إذا وُتروا مدّوا إلى أهلِ وِترِهم ... أكفاً عن الأوتارِ منقبضات[٨]
وآلُ رسولِ اللّهِ نُخفٌ جسومُهم ... وآلُ زيادٍ غلّظ القصرات[٩]
بناتُ زيادٍ في القصورِ مصونةٌ ... وبنتُ رسولِ اللّهِ في الفلوات[١٠]

---

(١) زهر الآداب ١/ ٩٣. وانظر الأبيات في معجم الأدباء ١١/ ١٠٣.
(٢) العرصات، جمع عرصة، وهي وسط الدار.
(٣) الخيف، موضع بمنى، قريب من مكة. والبيت، هو البيت الحرام. والجمرات، ما يرمى به الشيطان من الحجارة في أيام الحج.
(٤) حمزة، عم النبي (ﷺ). والسجاد، هو علي زين العابدين ابن الحسين بن علي. وعرف بالعبادة حتى ظهرت في ركبته وجبهته الثغنات، وهي سمات من آثار السجود وتشبه ثغنات البعير.
(٥) خف أهلها: ارتحلوا.
(٦) شطت: نأت، والنوى: البعد والفراق، وأفانين: أشكال.
(٧) فيئهم: رزقهم، وصفرات: خاليات.
(٨) وتروا: أصيبوا بالوتر، والعدوان عليهم والقتل.
(٩) زياد، إشارة إلى بني أمية، والقصرات، أصول الأعناق.
(١٠) المقصود بزياد، عبيد الله بن زياد قاتل الحسين بن علي. والمقصود ببنت رسول الله، زينب بنت الإمام علي.

٦ ــ رثاء المدن والممالك

❖ أ ـ نجيب الحداد (١٣١٦ هـ/١٨٩٩ م)

(أي رزء أجرى الدموع دماء)

من القلائد النفسية في الرثاء مرثاة الشيخ نجيب الحداد في ضحايا الحريق الذي أصاب سوق المحبة بباريس، وهو سوق خيري، وقد أودى الحريق بحياة الكثير من المحسنين ومن سراة الكاثوليك الفرنسيين.

يقول الشاعر[١]:

أيُّ رُزْءٍ أجرى الدموعَ دماءَ ... وأذاب القلوبَ والأحشاءَ[٢]
وأسال النفوسَ حزناً وأذكى ... الصدرَ ناراً واستنزف العينَ ماء[٣]
أيّ خطب أصاب باريسَ أمَّ ... المُدْنِ بنتَ التمدّنِ الزهراءَ[٤]

والشاعر هو نجيب بن سليمان الحداد ولد ببيروت عام ١٣١٦ هـ/ ١٨٩٩ م. شاعر لبناني من شعراء النهضة. تلقى مبادىء العلم على أيدي خاليه الشيخ إبراهيم اليازجي والشيخ خليل اليازجي، ثم انتقل إلى مصر فأتم تحصيله العلمي في الإسكندرية ثم قفل راجعاً إلى بيروت ليتم دراسته في المدرسة البطريركية. وبعد مدة من الزمن عاد إلى الإسكندرية ليخوض في ميدان السياسة والصحافة والكتابة معبراً عن آرائه وخواطره في مقالات تناقلتها الصحف والمجلات المصرية.

فجعةٌ أكمدتْ ضحاها وقد حضّـ ... ـتْ بنيها وعمّتِ الغرباء[٥]
ليس بدعاً في خطب باريسَ أن تشـ ... ـملَ آثارَ حزنهِ الدنياء[٦]
هي قلبُ الدنيا أُصيبَ بسهم ... فأصابتْ آلامُه الأعضاء
وهي أمُّ الآدابِ أثكلها الدهـ ... ـرُ فأبكتْ بوجدِها الأبناء[٧]
قد دهاها مُصابُ سادمَ لكنْ ... خصّ مِن بينِ قومِها الأبرياء[٨]

---

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/ ٣٣٩ ـ ٣٤١.
(٢) الرزء: المصاب.
(٣) أذكى النار: زاد في ضرامها. واستنزف الماء: استخرجه كله.
(٤) الزهراء، مؤنث أزهر، وهو اللامع المضيء.
(٥) الفجعة والفاجعة: المصيبة المؤلمة. أكمدت: غمّت وغيرت.
(٦) بدعاً: غريباً، الخطب: المصاب. والدنياء: الدنيا، ممدودة.
(٧) أثكلها: أفقدها بنيها. والوجد: شدة الحزن.
(٨) سادوم، هي المدينة القديمة على البحر الميت بفلسطين، حلّ غضب الله عليها لأن أهلها كانوا يتعاطون الفساد.

فهي في الحزنِ مثلُ راحيلَ إذ تبـ ـكي بنيها ولا تريد عزاء[١]

❖ بـ ـ حافظ إبراهيم (ت ١٩٣٢ م)

(نبئاني إن كنتما تعلمان)

هو الشاعر المصري الكبير حافظ إبراهيم. ولد عام ١٨٧١ م. شعره يزخر بالوطنية الصادقة، وهو على درجة رفيعة من الجزالة وجوده الألفاظ وقوة السبك. عاصر شوقي وخليل مطران من الشعراء ومنح لقب «شاعر النيل» له ديوان شعر حافل بمختلف الأغراض توفي في القاهرة عام ١٩٣٢ م.

أما الأبيات الرثائية التي نوردها هنا، فهي مأخوذة من قصيدة رثى فيها حافظ «مسّين» المدينة الإيطالية التي ضربها الزلزال، وروجيو، عام ١٩٠٨ فأودى بحياة الألوف من سكانها. وهذا الرثاء يتميز بالنبرة الصادقة، وبالنزعة الإنسانية المتعالية على العصبية والدين والإقليمية.

يقول حافظ[٢]:

نبّئاني إن كنتما تعلمان ما وهى الكونَ أيُّها الفرقدان[٣]
غضبَ اللّهُ أم تمرّدتِ الأرضُ فأنحت على بني الإنسان[٤]
ليس هذا سبحانَ ربي ولاذاك ولكنْ طبيعةُ الأكوان
غليانٌ في الأرض نُفّسَ عنه ثَوَرانٌ في البحر والبركان
ربّ أينَ المفرُّ والبحرُ والبرّ على الكيد للورى عامَلان[٥]
ما لمِسّينَ عوجلتْ في صباها ودعاها من الردى داعيان
خُسفتْ ثم أُغرقتْ ثم بادتْ قُضيَ الأمرُ كلُّه في ثوان
وأتى أمْرها فأصبحتْ كأنْ لم تكُ بالأمسِ زينةَ البلدان

* * *

أين روجيو وأين ما كان فيها من مغانٍ مأهولةٍ وغواني[٦]
عُوجلتْ مثل أختِها ودهاها ما دهاها منْ ذلك الثوران

---

(١) راحيل، اسم أم يوسف عليه السلام. وكان يوسف قد غاب عن أبويه طويلاً.
(٢) ديوان حافظ ابراهيم، ص ٢٣٠. بدون ذكر مكان الطبع والدار.
(٣) الفرقدان: نجمان متقاربان في نصف الكرة السماوية الشمالي. وهما يقعان في كوكبة بنات نعش الصغرى.
دهى: أصاب.
(٤) أنحت: أناحت.
(٥) الورى: الخلق.
(٦) روجيو، المدينة القريبة من مسّينا. والمغاني: الديار العامرة، والغواني: الحسان من النساء.

رُبَّ طفلٍ قد ساخ في باطنِ الأر ... ض ينادي: أمي، أبي، أدركاني
وفتاةٍ هيفاءَ تُشوى على الجمر ... تعاني من حرِّهِ ما تعاني[١]
وأبٍ ذاهلٍ إلى النار يمشي ... مستميتاً تمتدّ منه اليدان
باحثاً عن بناته وبنيهِ ... مسرعَ الخطوِ مستطيرَ الجنان[٢]
تأكل النارُ منه لا هو ناجٍ ... من لظاها ولا اللظى عنه وان

❖ أبو البقاء الرندي (٦٨٤ هـ)

(لكل شيء إذا ما تم نقصان)

الشاعر هو أبو البقاء الرندي، نسبة إلى رندة من بلاد الأندلس، ولد وترعرع في ظلال عهد ملوك الطوائف الذين قاتل بعضهم بعضاً، مما سمح بسقوط العديد من الدويلات العربية ومنها مملكة غرناطة التي فيها مدينة رندة.

أما القصيدة فهي من أشهر القصائد العربية في رثاء الدول والممالك، ولم تعرف شهرة الشاعر إلا بها، وفي القصيدة تصوير لمحنة العرب في الأندلس، وما كان عليه المسلمون قبل سقوط بلاد الأندلس برمّتها.

يقول أبو البقاء من أبيات له من قصيدته المشهورة[٣]:

لِكلِّ شيءٍ إذا ما تَّم نقصانُ ... فلا يُغرَّ بطيبِ العيشِ إنسانُ
هي الأمورُ كما شاهدتَها دولٌ ... مَن سرّه زمنٌ ساءتْه أزمان
وهذه الدارُ لا تبقي على أحد ... ولا يدوم على حالٍ لها شان
أين الملوكُ ذوو التيجانِ من يمنٍ ... وأين منهم أكاليلٌ وتيجان
وأين ما حازه قارونُ مِن ذهبٍ ... وأين عادٌ وشدّادٌ وقحطان[٤]
دارَ الزمانُ على «دارا» وقاتله ... وأمَّ كسرى فما آواه إيوان[٥]
أتى على الكلِ أمرٌ لا مردَّ له ... حتى قضَوْا فكأنَّ القومَ ما كانوا
وصار ما كان مِن مُلْكٍ ومن مَلِكٍ ... كما حكى عن خيالِ الطيفِ وسنان[٦]
حتى المحاريبُ تبكي وهي جامدةٌ ... حتى المنابرُ ترثي وهي عيدان
يا غافلاً وله في الدهر موعظةٌ ... إنْ كنتَ في سِنةٍ فالدهرُ يقظان[٧]

---

(١) هيفاء: ضامرة الخصر.
(٢) مستطير الجنان: ذاهب القلب والعقل.
(٣) المقري، نفخ الطيب.
(٤) قارون، اسم رجل يضرب به المثل في الغنى. يقال إنه كان في زمن موسى (ع).
(٥) دارا، الملك الفارسي القديم ويعرف بداريوس. وكسرى، اسم يطلق على كل ملك من ملوك فارس.
(٦) الوسنان: النعسان.
(٧) السنة، النوم.

يا راتعين وراءَ البحر في دعةٍ ... لهم بأوطانهم عزٌّ وسلطان
أعندكم نبأٌ مِن أهلِ أندلسٍ ... فقد سرى بحديثِ القوم ركبان
هل أهل هذا الحوت القلب من كمد ... أن كان في القلب الإسلام والإيمان

أروع ما قيل في الهجاء

الباب الأول

الهجاء الفردي

❖ فرعان بن الأعرف

(لوى يده الله الذي هو غالبه)

من غريب الهجاء وجيده، هجاء فرعان بن الأعرف المرّي أحد اللصوص الصعاليك، لابنه منازل، وكان هذا قد عقّ والده، وتغمد حقه، واستهان به، فقال فرعان يهجو ولده ويذمه، متألماً ومستفظعاً ما أقدم عليه من العقوق[١]:

جَزَتْ رحِمٌ بيني وبينَ مُنازلٍ ... جزاءَ كما يستنزلُ الدّينَ طالبُهْ[٢]

لربَّيْتُه حتى إذا آض شَيْظماً ... يكادُ يساوي غاربَ الفحلِ غاربه[٣]

فلمّا رآني أُبصرُ الشخصَ أشخصاً ... قريباً وذا الشخص البعيدَ أُقاربه[٤]

تغمّد حقّي ظالماً ولوى يدي ... لوى يدَهُ اللّهُ الذي هو غالبه[٥]

وكان له عندي إذا جاعَ أو بكى ... مِن الزّاد أحلى زادِنا وأطايبه

وربّيتُه حتى إذا ما تركتُه ... أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه[٦]

وجمّعتها دُهْماً جِلاداً كأنّها ... أشاءُ نخيلٍ لم تُقطَّعْ جوانبه[٧]

فأخرجني منها سليباً كأنني ... حسامُ يمانٍ فارقتْهُ مضاربه[٨]

أأنْ أُرعشَتْ كفّا أبيكَ وأصبحتْ ... يداكَ يديْ ليثٍ فإنّك ضاربه

❖ أعرابي

(وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر)

ومن الهجاء الشائع على الألسنة، ما هجا به ذلك الشيخ الأعرابي امرأته التي كانت تتصنع، وتظهر الزينة، وهي عجوز[٩]:

عجوزٌ تُرجّي أن تكونَ فتيّةً ... وقد لُحبَ الجنبانِ واخْدودبَ الظهرُ[١٠]

تدسُّ إلى العطّار سلعةَ بيتها ... وهل يُصلحُ العطارُ ما أفسدَ الدهر[١١]

---

(١) ديوان الحماسة ٢/ ١٨٣ ـ ١٨٥.

(٢) معنى البيت: جزى الله منازلاً على الرحم، أي القرابة التي بينه وبيني جزاء يستوفى له وعليه.

(٣) لربيته: اللام واقعة جواباً لقسم محذوف دل عليه الكلام بعده. وآض: صار. والشيظم: الطويل. والغارب: أعلى كل شيء.

(٤) أبصر الشخص أشخصاً، كناية عن ضعف بصره.

(٥) تغمد: ستر وأخفى. وهنا بمعنى: هضم.

(٦) استغنى عن المسح شاربه، كناية عن بلوغه سن الرشد والعنفوان.

(٧) جمعتها: أي جمعت الخيل. والدهم: السود. وجلاداً: صلاباً. وأشاء النخيل: صغارها.

(٨) مضارب السيف: حدّه.

(٩) الكامل في اللغة والأدب ١/ ١٨٣.

(١٠) لحب الجنبان: قلّ لحمهما. واحدودب، صار أحدب من الكبر.

(١١) سلعة البيت، المقصود بها ما كان سويقاً ودقيقاً وما أشبه ذلك.

وما غرّني إلاّ خضابٌ بكفِّها ... وكحلٌ بعينيها وأثوابُها الصفر
وجاؤوا بها قبلَ المحاقِ بليلةٍ ... فكان محاقاً كلُّه ذلك الشهر[١]

❖ أعرابي

(ولا يشبّ إذا أمسى له نار)

وأنشد الجاحظ لرجل من الأعراب، ينسب ابن عم له، إلى اللؤم والتوحش، فقال، وهو من الهجاء الموجع:

أحبُّ شيءٍ إليهِ أن يكونَ له ... حلقومُ وادٍ له في جوفهِ غارُ
لا تعرفُ الريحُ مُمساه ومُصبحه ... ولا يشبُّ إذا أمسى له نار
لا يحلبُ الضَّرْعَ لؤماً في الإناءِ ولا ... يُرى له في نواحي الصحنِ آثار[٢]

❖ بعضهن

(إنَّ فيه لداهية)

ومن ألأم الهجاء وأقذعه ما قالته امرأة تهجو قتادة بن مغرب اليشكري، وهو زوجها، وكان أبخر، رائحة فمه من الكراهية والنتن على جانب عظيم. تقول هذه المرأة متأذيّة من بخر فيه[٣]:

حلفتُ ولم أكذبْ وإلاّ فكلُّ ما ... ملكتُ لِبيتِ اللَّهِ أُهديه حافيَهْ
لَوَ أنَّ المنايا أعرضتْ لاقتحمتُها ... مخافةَ فيهِ إنَّ فيهِ لَداهيَهْ[٤]
فما جيفةُ الخنزيرِ عندَ ابن مُغربٍ ... قتادةَ إلاّ ريحُ مسكٍ وغاليَهْ[٥]
فكيفَ اصْطباري يا قتادةُ بعدما ... شمِمْتُ الذي مِن فيكَ أنْأى صِماخيَهْ[٦]

❖ عبد الله بن أوفى

(وإن تأكل الشاة لا تشبع)

ومن غريب الهجاء وأطرفه، ما قاله عبد الله بن أوفى، الشاعر الخزاعي، في امرأته يهجوها ويذمّها ويبين سوءاتها ومخازيها في الكذب والنميمة، والشره، وهياج الشر بين الناس. يقول عبد الله[٧]:

---

(١) المحاق: تناقص جرم القمر وضوئه بعد انتهاء ليالي اكتماله.
(٢) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٣٤٨. والضرع هنا، ضرع الناقة أو الشاة. وعدم حلب الضرع في الإناء، كناية عن اللؤم والشح.
(٣) ديوان الحماسة ٢/ ٢٢٩.
(٤) معنى البيت أنها تختار الموت على العيش مع زوجها الأبخر لأن بخر فمه هو شر الدواهي.
(٥) الغالية: نوع من الطيب. والمعنى أن رائحة الجيفة بالنسبة لرائحة فم الزوج تبدو وكأنها مسك وغالية.
(٦) أنأى: أفسد. والصماخ: الأذن.
(٧) ديوان الحماسة ٢/ ٢٢٩ ـ ٢٣١.

نكحتُ ابنةَ المنتصى نكحةً ... على الكُرْهِ ضرّتْ ولم تنفعِ[١]
ولم تُغنِ مِن فاقةٍ معدماً ... ولم تُجْدِ خيراً ولم تجمعِ[٢]
منجذةً مثلَ كلبِ الهراشِ ... إذا هجعَ الناسُ لم تهجعِ[٣]
مفرّقةً بينَ جيرانِها ... وما تستطعْ بينهم تقطعِ
بقولٍ: رأيتُ لما لا ترى ... وقيلٍ: سمعتُ ولم تسمعِ[٤]
فإنْ تشربِ الزِّقَّ لا يُروِها ... وإنْ تأكلِ الشاةَ لا تشبعِ[٥]
وليستْ بتاركةٍ مَحرَماً ... ولو حُفَّ بالأسلِ الشُّرَّعِ[٦]
ولو صعدتْ في ذُرى شاهقٍ ... تزلُّ بها العُضْمُ لم تصرَعِ[٧]
فبئستْ قعادُ الفتى وحدَها ... وبئستْ موفيّةُ الأربعِ

❖ **الحطيئة (ت ٦٧٩ م)**

(أطوّف ما أطوّف)

ومن أشهر شعراء الهجاء في الجاهلية، والإسلام، هجاء الحطيئة، وهو جرول بن أوس العبسي، وكنيته أبو مليكة، وعرف الحطيئة في الهجاء بإقذاعه ولؤمه، حتى أن أمه لم تنج من هجائه، قال فيها:

أطوّفُ ما أطوّفُ ثم آوي ... إلى بيتٍ قعيدتُه لُكاعِ[٨]

(وموتك قد يسر الصالحينا)

قال الحطيئة يهجو أمه[٩]:

جزاكِ اللّهُ شرّاً من عجوزٍ ... ولقّاكِ العقوقَ منَ البنينا
تنحّي فاجلسي منّا بعيداً ... أراحَ اللّهُ منكِ العالمينا
أغربالاً إذا استُودعتِ سرّاً ... وكانوناً على المتحدثينا[١٠]

---

(١) ابنة المنتصى، زوجة الشاعر. وهنا يندم الشاعر على زواجه منها.
(٢) الفاقة: الفقر والحاجة. ومعنى ذلك أنها لم تغن فقيراً، ولا تنفع بشيء.
(٣) منجذة: مجرّبة. والهراش: تحريض كلب على آخر. وهنا كناية عن السعي بين الناس بالنميمة والكذب. وهجع: رقد.
(٤) معنى البيت أنها تقول الكذب وتبالغ في القول.
(٥) معنى البيت أنها نهمة مسرفة في الأكل والشرب. والزق: وعاء الخمر.
(٦) الأسل: الرماح. والشرّع: المسدّدة. وهنا كناية عن ولعها بالحرام.
(٧) العصم: جمع أعصم، وهو الوعل، وهنا يهجوها بقلة اللحم ويبوسة البدن.
(٨) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٣٥٤.
(٩) ديوان الحطيئة ص ١٢٣. دار صادر بيروت ١٩٦٧.
(١٠) الكانون: المصطلي. وهو موقد النار. والكانون، في البيت أعلاه، هو النمام الثقيل، الذي إذا دخل على قوم كتّوا حديثهم عنه.

ألم أوضحْ لكِ البغضاءَ مني ولكن لا إخالُك تعقلينا
حياتك ما علمتُ حياةُ سوءٍ وموتُك قد يسرُّ الصالحينا

(ولقد رأيتك في النساء)

وقال فيها، أيضاً وفي أبيه:

ولقد أريتُكِ في النساءِ فسُؤتِني وأبا بنيك فساءني في المجلسِ[١]

(وسلّم مرتين)

وفي هجاء ضيف نزل به يقول:

وسلَّم مرَّتَيْنِ فقلتُ مهلاً كفتكَ المرّةُ الأولى السلاما
وَنَقْنَقَ بطنُه ودعا رُؤاساً لما قد نال مِن شبعٍ وناما[٢]

(فقبح من وجه وقبح حامله)

ولما لم يجد الحطيئة من يهجوه، هجا نفسه، فقال، وهو من جيد الهجاء:

أبتْ شفتايَ اليومَ إلاَّ تكلّماً بسوءٍ فما أدري لِمَنْ أنا قائلُهْ
أرى لي وجهاً قبَّح اللّهُ خلْقَه فقُبّحَ مِن وجهٍ وقُبّح حاملُه[٣]

(دع المكارم لا ترحل لبغيتها)

ومن جيد هجاء الحطيئة، وأشهره، هجاؤه الزبرقان بن بدر وقومه. وقد ضمنه بيته المشهور في الهجاء: دع المكارم لا ترحل لبغيتها...

يقول الحطيئة[٤]:

لما بدا لِيَ منكمْ عيبُ أنفسِكُمْ ولم يكنْ لِجراحي منكُمُ آسِ[٥]
أزمعتُ يأساً متيناً مِن نوالِكُمُ ولنْ يرى طِارداً للحَرِّ كاليأسِ[٦]
جارٌ لقومٍ أطالوا هُونَ منزلِهِ وغادروه مقيماً بينَ أرماسِ[٧]
ملُّوا قراه وهرّتْه كلابُهمُ وجرّحوه بأنيابٍ وأضراسِ[٨]
دعِ المكارمَ لا ترحلْ لِبُغْيتِها واحقدْ فإنّكَ أنتَ الطاعمُ الكاسي[٩]

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٣٥٤.
(٢) الديوان ص ٢٢٩. ورؤاس، من بني كلاب.
(٣) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٣٥٤. والشعر والشعراء ١/ ٣٢٢.
(٤) الأغاني ٢/ ٥٧.
(٥) الآسي: المداوي. والمقصود بالجراح فقره وسوء حاله
(٦) أزمعت: عزمت وصممت. والنوال: العطاء.
(٧) الأرماس، جمع رمس، وهو القبر. والهون: المذلّة.
(٨) قراه: ضيافته. وهرته: نبحته.
(٩) الطاعم، هنا، بمعنى المطعوم. والكاسي، بمعنى المكسو.

مَن يفعلِ الخيرَ لم يُعدمْ جوازيَهُ لا يذهب العُرفُ بينَ اللّهِ والناس

(لا أحد ألأم من حطيئة)

ولما حضرت الحطيئة الوفاة قيل إنه أوحى. ومما أوصى به أن يحمل على أتانٍ ويترك راكباً حتى يموت. ففعلوا ذلك حتى مات وهو يقول:

لا أحدٌ ألأمُ مِن حُطَيَّةْ هجا بنيهِ وهجا المريَّةْ
مِنْ لؤمِهِ ماتَ على فُرَيَّة[1]

❖ **عملّس بن عقيل**

(فإنك للقربى ألدّ خصوم)

ومن الهجاء الجيد هجاء بن عقيل بن علّفة، وهو شاعر إسلامي أموي، للمدعو عقيلاً. يقول العملس[2]:

ومن مبلغٌ عنّي عقيلاً رسالةً فإنَّكَ مِن حربٍ عليَّ كريمُ[3]
ألم تعلم الأيام إذا أنتَ واحدٌ وإذ كلُّ ذي قربى إليك مليم[4]
وإذ لا يقيكَ الناسُ شيئاً تَخافُه بأنفسهم إلاَّ الذينَ تَضيم[5]
أترفعُ وَهْيَ الأبعدينَ ولم يقم لِوَهْيِكَ بينَ الأقربين أديم[6]
فأما إذا عضّت بك الحربُ عضَّةً فإنَّك معطوفٌ عليك رحيم[7]
وأمَّا إذا آنستَ أمناً ورخوةً فإنَّك للقربى ألدُّ خَصوم[8]

❖ **خارجة المريّ**

(كمستبضعٍ خمراً إلى أرض خيبرا)

ومن الهجاء الفردي الممضّ هجاء خارجة بن ضرار المرجي المدعو خالداً. يقول خارجة:

---

(١) الأغاني ١/ ٦٠. والفريّة، تصغير فرأة، وهي الأتان. والمرية، تصغير مرأة.
(٢) ديوان الحماسة ٢/ ١٧٥ ـ ١٧٦.
(٣) جاء الكلام بصيغة الاستفهام، لك معناه التمني. وهو يفيد الاستعطاف الذي يسبق التقريع والتعنيف. وحرب، يعني به بني حرب.
(٤) مليم: يأتي بما يلام عليه. ومعنى البيت: ألم تعلم الأيام حالك وقصتك حينما كنت وحيداً لا ناصر لك، وكل قريب لك مليم.
(٥) تضيم: تظلم.
(٦) ترفع: تصلح. والوهي: الضعف. والأديم: الجلد. ومعنى البيت: هل تصلح فساد القوم، ولا تصلح فساد قومك. كناية عن سوء التدبير.
(٧) عضت بك الحرب: اشتدت. ورحيم: مرحوم.
(٨) آنست: أبصرت. والرخوة: الرخاء. والألد: الشديد الخصومة. وهنا يهجوه بلؤم الطبع، وبالذلة والتكبر في آن. والخصوم: الشديد الخصام.

أخالدُ هلاّ إذ سفِهتَ عشيرةً ... كففتَ لسانَ السّوءِ أنْ يتدعّرا
وهل كنتَ إلاّ حَوْتكيّاً ألاقَهُ ... بنو عمّه حتى بغى وتجبّرا
فإنكَ واستبضاعَكَ الشعرَ نحونا ... كمستبضعٍ تمراً إلى أرضِ خيبرا[1]

❖ زميل بن أبير

(فجئت ابن أحلام النيام)

ومن الهجاء الفردي المقذع والفاحش هجاء زميل بن أبير، أحد بني عبد الله بن عبد مناف، وهو شاعر إسلامي كان بينه وبين سالم بن دارة الغطفاني تحاسد وتنافس وتقاطع، وجرى بينهما هجاء مقذع منه هذا الهجاء الجيد السبك والعبارة[2]:

خلقتُ على خلْقِ الرجالِ بأعظُمٍ ... خِفافٍ تَطَوَّى بينهنَّ المفاصلُ[3]
وقلبٍ جلتْ عنه الشؤونُ وإن تشأْ ... يخبِّرْكَ ظهر الغيبِ ما أنت فاعل[4]
ولستُ برَبْلٍ مثلِكَ احْتملتْ بهِ ... عَوانٌ نأتْ عن فحلِها وهي حافل[5]
فجئتَ ابنَ أحلامِ النّيامِ ولم تجدْ ... لِصِهرِكَ إلاّ نفسَها مَنْ تُباعل[6]

❖ ابن عبدل

(فلجحر أنفك يا محمد أنتن)

ومن الهجاء المقذع الفاحش، والذي يروع بسهولته وطلاوته هجاء الحكم بن عبدل، الشاعر الإسلامي الأموي، وكان خبيث اللسان، أعرج أحدب، في رجل أبخر، نتن الريح، يدعى محمداً:

لا تُذنِ فاكَ منَ الأميرِ ونحْهِ ... حتى يداويَ ما بأنفكَ أهرنُ
إنْ كان لِلظّربانِ جحرٌ منتنٌ ... فَلَجحرُ أنفِكَ يا محمدُ أنتن
أشبهْتَ أمَّكَ غيرَ بابٍ واحدٍ ... أنْ قد خُتنْتَ وأنّها لا تُختن[7]

---

(١) ديوان الحماسة ٢/ ١٧٩. وخيبر، بلدة بالحجاز مشهورة بتمرها. والحوتكي: القصير. وألاقه: أمسكه.
(٢) ديوان الحماسة ٢/ ١٧٨.
(٣) تطوّى: تنطوي. وهنا يفتخر الشاعر بأنه قليل اللحم خفيف الحركة.
(٤) يريد أن يقول إنه خلق نشيطاً متيقظاً.
(٥) الربل: السمين الرطب. والعوان: المتوسطة في السن. والحافل: الممتلىء ضرعها باللبن. وهنا يهجو خصمه بأنه من غير أبيه.
(٦) ابن أحلام النيام، كناية عن أن أمه زانية كأن زوجها نام عنها فزنى بها غيره فحملت به وزوجها نائم. والصهر: حرمة الختن. وتباعل: تكون له بعلاً وزوجاً.
(٧) الحيوان ١/ ١٣٦. وأهرن، أحد الأطباء المعروفين. والظربان: دويبة منتنة الريح. والختان: اقتطاع غرلة الذكر وهو صغير.

(قتلت بذاك نفسي غير عمد)

وقال فيه أيضاً هاجياً بخره ونتن ريحه:

وقد أدنيتُ فاه إليَّ حتى ... قتلتُ بذاك نفسي غيرَ عمْدِ
وما يدنو إلى فيهِ ذبابٌ ... ولو طُليتْ مشافرهُ يقندِ[1]

❖ **عبد بني الحسحاس**

(فشبهنني كلباً ولست بفوقه)

ومن أغرب الهجاء هجاء عبد بني الحسحاس نفسه، وكان أسود قبيح الوجه. يقول عبد بني الحسحاس:

أتيتُ نساءَ الحارثيّينَ غُدوةً ... بوجهٍ براهُ اللّهُ غيرَ جميلِ
فشبّهنني كلباً ولستُ بفوقهِ ... ولا دونَهُ إنْ كانَ غيرَ قليلِ[2]

❖ **أبو دلامة (ت ١٦١ هـ/٧٧٧ م)**

(فلا تفرح فقد دنت القيامة)

ومن أغرب الهجاء وأخفّه، وأروعه معاً، هجاء أبي دلامة، زند بن الجون الكوفي الحبشي، الشاعر العباسي العابث، لنفسه.

قيل إن أبا دلامة دخل على المهدي يوماً، وهو خليفة، وعنده جماعة من بني هاشم، فقال له الخليفة: «لئن لم تهج واحداً ممّن في البيت لأقطعنّ لسانك». فحار أبو دلامة في أمره، ولم ير مخرجاً من ورطته إلاّ أن يهجو نفسه، ففعل ذلك، فضحك من في المجلس وأجازوه. والهجاء هو التالي:

ألا أبلغْ إليكَ أبا دلامَةْ ... فليسَ مِنَ الكرام ولا كرامَةْ
إلا لبسَ العِمامَةَ كان قرداً ... وخنزيراً إذا نزع العِمامة
جمعتَ دمامةً وجمعتَ لُؤماً ... كذاك اللّؤمُ تتبعهُ الدّمامة
فإنْ تكُ قد أصبتَ نعيمَ دنيا ... فلا تفرحْ فقد دنتِ القيامة[3]

(كل امرىء يأكل زاده)

ومن هجاء أبي دلامة الساخر والعابث، والذي تغلب عليه روح الدعابة، والمرح ما هجا به علي بن سليمان. نديم الخليفة المهدي، وكان هذا قد خرج إلى الصيد بصحبة علي بن سليمان، فسنح لهما قطيع من ظباء، فأرسلت الكلاب، وأجريت الخيل، فرمى

---

(١) المصدر نفسه ١/ ١٣٧. والقند: العسل والسكر الأبيض. ومشافره: شفتاه.
(٢) الحيوان ١/ ١٤٠. وبراه: خلقه.
(٣) المستطرف من كل فن مستظرف ٢/ ٧. وانظر: الأغاني ٩/ ١٣٣. وانظر: وفيات الأعيان ٥/ ٣٠.

المهدي ظبياً بسهم، فصرعه، ورمى علي، فأصاب بعض الكلاب، فقتله، فقال أبو دلامة:

قد رمى المهديُّ ظبياً ... شكَّ بالسّهمِ فؤادَهْ
وعليُّ بنُ سليمانَ ... رمى كلباً فصادَهْ
فهنيئاً لهما كلُّ ... امْرىءٍ يأكلُ زادَهْ[1]

❖ **أبو الشمقمق**

(ولكن خفت مرزئة الذباب)

ومن نادر الهجاء وأفكهه هجاء أبي الشمقمق، الشاعر العباسي، جعفر بن أبي زهير، يعيب بخله وجشعه. يقول أبو الشمقمق:

رأيتُ الخبزَ عزَّ لديكَ حتى ... حسبتُ الخبزَ في جوِّ السّحابِ
وما روّختنا لِتذبَّ عنّا ... ولكنْ خفتَ مَرزِئةَ الذّبابِ[2]

(لا يطمع الخنزير في سلحه)

وقريب من هذا الهجاء هجاؤه أحدهم، ويتميز بالخبث والإفحاش. يقول أبو الشمقمق:

إنَّ رياحَ اللؤم من شحِّه ... لا يطمعُ الخنزيرُ في سلحِهِ
قفاه قفلٌ ضاع مفتاحه ... قد يئس الحدادُ من فتحهِ[3]

❖ **بعضهم**

(ولا رأت بعد نار القين من نار)

ومن الهجاء الفكه العابث هجاء بعض التميميين ابن حبّار، يهجوه في قدره التي حبست عن النار لشدة بخله. يقول الشاعر:

لو أنَّ قدراً بكتْ مِن طولِ ما حُبِستْ ... من الحفوفِ بكتْ قِدْرُ ابنِ حبّارِ
ما مسَّها دسمٌ مذْ فُضَّ معدنُها ... ولا رأتْ بعدَ نارِ القيْنِ من نارِ[4]

❖ **إسحاق بن خلف**

(ما طول داوودَ إلا طول لحيته)

وصف إسحاق بن خلف رجلاً بالقصر وطول لحيته، وصفاً في غاية الروعة وكان

---

(١) الأغاني ٩/ ١٣٠.
(٢) البخلاء، ص ٧٣.
(٣) الحيوان ١/ ١٩٦. والسلح: الخرء.
(٤) البخلاء: وفضّ معدنها: فتح، ولَم. والقين: الحداد.

اسمه داوود، فقال فيه، وهو من أدق الوصف، وجيد الهجاء البعيد عن الإقذاع، فقال[١]:

ما سرَّني أنني في طولِ داوودِ ... وأنني علمٌ في البأسِ والجودِ
ما شئتُ داوودَ فاستُضحكتُ من عجبٍ ... كأنني والدٌ يمشي بمولود
ما طولُ داوودُ إلا طول لِحيتِه ... يظلُّ داوودُ فيها غيرَ موجود
لكنَّه خصلةٌ منها إذا نفختْ ... ريحُ الشتاءِ وجفَّ الماءُ في العود
كالأتبجانيّ مصقولاً عوارضُها ... سوداءُ في لينِ خدِّ الغادةِ الرّود[٢]
أجزى وأغنى من الخزِّ الصفيقِ ومن ... بيضِ القطائفِ يومَ القرِّ والسّود[٣]
إنْ هبّتِ الريحُ أودتْه إلى عدِنٍ ... إن كان ما لفَّ منها غيرَ معقود

❖ بعضهم

(لا بارك الله في بضع وستّين)

ومن الهجاء الفردي الجيد، وهو لا يخلو من فحش، ما قاله بعضهم في المدعو كعباً، وهو الذي بلغ الستين وما ارعوى من فعل السوء بعد. يقول هذا الشاعر:

أقولُ حينَ أرى كعباً ولِحيتَهُ ... لا بارَكَ اللّهُ في بضعٍ وستّينَ
مِنَ السّنينِ تَملاّها بلا حسبٍ ... ولا حياءٍ ولا قذرٍ ولا دينِ[٤]

❖ ابن الزبرقان

(فبياضه يوم الحساب سواد)

ومن ألطف الهجاء وأروعه، وإن كان لا يخلو من إيذاء، هجاء حماد بن الزبرقان، لحمار الراوية، وكانا، ومعهم حماد عجرد، ويونس بن هارون، ويزيد بن الفيض، وعبادة، وعلي بن الخليل، يتواصلان، بل يتواصلون مستهترين بالخمرة، وكأنهم نفس واحدة، على الشراب خاصةً. يقول الأول في الثاني:

نعمَ الفتى لو كانَ يعرفُ ربَّهُ ... ويقيمُ وقتَ صلاتِهِ حمّادُ
هدلتْ مشافرَه الدّنانُ فأنفُهُ ... مثلَ القُدومِ يسنّها الحدّاد
وابيضّ مِن شُرب المدامةِ وجهُه ... فبياضُه يومَ الحسابِ سواد[٥]

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٣١٧.
(٢) الغادة الرود: الناعمة الحسناء من الفتيات.
(٣) الخز: نوع من الحرير. والصفيق: الغليظ. والقطائف، جمع قطيفة، وهي الثوب الذي يوضع في الثياب. والقر: البرد.
(٤) ديوان الحماسة ٢/ ٢٣٦. تملاها: عاش ملاوتها.
(٥) الحيوان ٤/ ١٥٣. والمدامة: الخمرة. والدنان، جمع دنّ، وهو وعاء الخمر. ومشافره، جمع مشفر، وهو شفة البعير.

❖ حماد عجرد

(تحوّل المسك عليه خرا)

ومن أفحش الهجاء، وأقذعه، وجيّده فنيّاً ما قاله حماد عجرد، وكان من الفسقة العابثين، والمجّان المفسدين، في العصر العباسي الأول، في بشار بن برد العقيلي، الشاعر المعروف، والمتهم بالزندقة والعبث، وكان أعمى مشوّه الخلق. يقول حماد هاجياً بشاراً:

ما صَوَّر اللّهُ شِبْهاً له ... مِن كلِّ مَن مِن خلقِه صوّرا
أشبهَ بالخنزيرِ وجهاً ولا ... بالكلبِ أعراقاً ولا مكسرا
ولا رأينا أحداً مثلَه ... أنجسَ أو أفطسَ أو أقذرا
لو طُليتْ جلدتُه عنبراً ... لنَتَّنَتْ جلدتُه العنبرا
أو طُليتْ مِسكاً ذكيّاً إذاً ... تحوّلَ المسكُ عليه «خرا»[1]

(ما خلق الله شبيهاً له)

وقريب من هذا الهجاء المقذع، هجاؤه الآخر له:

قلْ لِشقيِّ الجدِّ في رمسِهِ ... ومَن يفرُّ الناسُ مِن رجسِهِ
للقردِ بشارِ بنِ بردٍ ولا ... تحفلْ برغمِ القردِ أو نخسِهِ
نهارُه أخبثُ مِن ليلِهِ ... ويومُه أخبثُ مِن أمسِهِ
ما خلقَ اللّهُ شبيهاً له ... من جِنِّه طرّاً ومِن إنسِهِ
واللّهِ ما الخنزيرُ في نتنِه ... مِن ربعِهِ بالعشرِ أو خمسِهِ
بل ريحُه أطيبُ مِن ريحِهِ ... ومسُّه ألينُ مِن مسِّهِ
ووجهُه أحسنُ مِن وجهِهِ ... ونفسُه أنبلُ من نفسِهِ
وعودُه أحسنُ مِن عودِهِ ... وجنسُه أكرمُ مِن جنسِهِ[2]

❖ أبو نواس (ت ١٩٩ هـ)

(وقدر الرقاشيين زهراء كالبدر)

ومن أروع الهجاء وجيّده وأمتعه، هجاء أبي نواس، الحسن بن هانىء، والشاعر العباسي المجدّد، للرقاشي، وكان هذا معروفاً بالبخل. يقول أبو نواس في قدره التي لم تعرف النار، لشدة بخله، فهو لا يستعملها:

رأيتُ قدورَ الناسِ سُوداً على الصِّلى ... وقدرُ الرّقاشيّين زهراءَ كالبدرِ

---

(١) الحيوان ١/ ١٣١.
(٢) المصدر نفسه ١/ ١٣٢.

ولو جئتَها ملأى عبيطاً مجزّلاً ... لأخرجتَ ما فيها على طرفِ الظّفر
يُبيّتُها للمعتفي بفنائِهم ... ثلاثٌ كحظِّ الثّاءِ مِن نقطِ الحبر
تَبيتُ في محراثها أنَّ عودَه ... سليمٌ صحيحٌ لم يُصبْه أذى الجمر[1]

(وما خبزه إلا كعنقاء مغرب)

ومن أطرف الهجاء وأسهله وأخفّه هجاء أبي نواس المدعو إسمٰعيل. يقول أبو نواس هاجياً بخله وشحّه:

على خبزِ إسماعيلَ واقيةُ البخلِ ... وقد حلَّ في دارِ الأمانِ من الأكلِ
وما خبزُه إلاّ كآوى يُرى ابنُها ... ولم تُرَ آوى في الحزونِ ولا السّهل
وما خبزُه إلاّ كعنقاءِ مُغربٍ ... تُصوّرُ في بُسْطِ الملوكِ وفي المثْل
يحدّثُ عنها الناسُ مِن غيرِ رؤيةٍ ... سوى صورةٍ ما أن تُمرّ ولا تحلي[2]

❖ أبو تمام (ت ٢٣١ هـ)

(وذنبي فيك تكفير الذنوب)

ومن جيد الهجاء ورائعة هجاء أبي تمام، الشاعر العباسي المعروف، ليوسف السراج، الشاعر المصري، وكان يدعي المعرفة والأدب ويتباهى بشاعريته. يقول أبو تمام:

أبو يوسفُ جئت بالعجب ... تركتَ الناسَ في أمرٍ مريبِ
سمعتُ بكلِ داهيةٍ نآدٍ ... ولم أسمعْ بسرّاجٍ أديب
أما لو أنّ جهلكَ كان علماً ... إذاً لنفذْتَ في علمِ الغيوب
فما لكَ بالغريبِ يدٌ ولكنْ ... تعاطيك الغريبَ مِن الغريب
فلو نُبشَ المقابرُ عن زهيرٍ ... لصدّحَ بالعويلِ وبالنحيب
متى كانت قوافيهِ عيالاً ... على تفسيرِ بِقراطَ الطبيب
فكيفَ ولم يزلْ للشعرِ ماءٌ ... يرفُّ عليه ريحانُ القلوب
أرى ظلميكَ إنصافاً وعدلاً ... وذنبي فيكَ تكفيرُ الذنوب[3]

(رمى فيه البلاء بزمهرير)

وقال يهجو محمد بن الحسن الشاعر:

نعمنا بالبشاشةِ والسرورِ ... وأيامِ الربيعِ المستنيرِ

---

(١) البخلاء ص ٢٢٨. والصلى: النار. وزهراء: بيضاء. والعبيط: اللحم المشوي. والمعتفي: طالب العفاء، والأكل.
(٢) الحيوان ٣/٤٠٧. والحزون: الأراضي الوعرة. وعنقاء مغرب: طائر أسطوري.
(٣) ديوان أبي تمام. ص ١٧٨ ـ ١٧٩. طبعة محمد بك سعيد. دمشق. والمقصود بزهير: زهير بن أبي سلمى، الشاعر الجاهلي المعروف. وبقراط، اسم علم لأبي الطب عند اليونان.

فقد ضحك النباتُ بكلِ أرضٍ ... وتاه العودُ بالورقِ النضيرِ
فحين مضى الربيعُ وأعقبتنا ... ليالي الصيف فيها بالحرور
أتانا الأخذُ في برد وشعرٍ ... رمى منه البلاء بزمهريرِ[1]

❖ علي بن الجهم (ت ٢٤٩ هـ/٧٤٦ م)

(آذن الحرّ كلّه بانقضاء)

ومن حسن الهجاء هجاء أبي الحسن علي بن الجهم القرشي، الشاعر العباسي المطبوع، لأحد المغنيّن. يقول علي:

كنتُ في مجلسٍ فقال مغنّي القومِ ... كم بيننا وبينَ الشتاءِ
فذرعْتُ البساطَ مني إليهِ ... قلت هذا المقدار قبلَ الغناء
فإذا ما عزمتَ أنْ تتغنّى ... آذنَ الحرُّ كلُّه بانقضاء[2]

(لعائن الله متابعات)

ومن طريف هجائه وأروعه وأسهله هجاؤه لمحمد بن عبد الملك الزيات. يقول راجزاً:

لعائنُ اللّه متابعاتِ ... مصبّحات ومهجّراتِ
على ابنِ عبدِ الملكِ الزياتِ ... عرّضَ شملَ الملْكِ للشتاتِ
وأنفذَ الأحكامَ جائراتِ ... على كتابِ اللّهِ زارياتِ
وعن عقولِ الناسِ خارجاتِ ... يرمي الدواوين بتوقيعاتِ
معقّداتٍ كرُقى الحيّاتِ ... سبحانَ مَن جلَّ عنِ الصفاتِ
بعد ركوبِ الطّوفِ في الفراتِ ... وبعدَ بيعِ الزيتِ بالحبّاتِ
صرتَ وزيراً شامخَ الثباتِ ... هارونُ يا ابْنَ سَيّدِ الساداتِ
أما ترى الأمورَ مهملاتِ ... تشكو إليكَ عدمَ الكُفاةِ
فعاجل العلج بمرهفاتِ ... من بعدِ ألفِ صخْب الأصواتِ
بمثمراتٍ غيرِ مورقاتِ ... تُرى بمتنيْه مرصّفاتِ
ترصُّفَ الأسنانِ في اللّثاتِ[3]

---

(١) الديوان ص ٢٠٢. والزمهرير: البرد الشديد.
(٢) ديوان علي بن الجهم ص ١٠٤. تحقيق خليل مردم بك ط ٢. دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٨٠ م.
وانظر الأبيات في:
الأغاني ١٠/ ٢٣٠. ط دار الكتب المصرية.
(٣) الديوان ص ١١٩. وانظر بعضاً من هذه الأرجوزة في:
- الأغاني ١٠/ ٢٢١.
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، للثعالبي ص ٣٣٨.

❖ ابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ/٨٩٦ م)

(فالمخالي معروفة للحمير)

يعتبر أبو الحسن علي بن العباس الرومي، الشاعر العباسي المشهور، من أفضل ممثلي شعر الهجاء الذي غلب عليه السخرية، والتحقير والتعبير عن قلق النفس، إضافة إلى الاعتماد على الخيال الحسي والنفسي، والمبالغة في إظهار العيوب الخلقية والخلقية معاً، أو ما يعرف بالهجاء الكاريكاتوري.

ولما كان تطويل اللحية مظهراً من مظاهر الاحترام، والتقدير، في عصر ابن الرومي، وهذا، كما نعرف، كان كوسجاً خفيف الشعر، مما أثار في نفسه الشعور بالنقص والنقمة معاً من كل ذي لحية طويلة، فإن أحد أصحاب هاتيك اللحى الطويلة، كان موضع سخرية الشاعر ونقمته معاً.

يقول ابن الرومي هاجياً وساخراً[١]

إنْ تطلْ لحيةٌ عليكَ وتعرضْ ... فالمخالي معروفة لِلحميرِ[٢]
علّقَ اللّهُ في عِذَاريْكَ مخلاةً ... ولكنّها بغيرِ شعيرِ[٣]
لو غدا حكمُها إليَّ لَطارتْ ... في مهبِّ الرّياحِ كلَّ مطيرِ
ألقِها عنكَ يا طويلةُ أولا ... فاحتبسْها شرارةً في السّعيرِ[٤]
أرعِ فيها الموسى فإنكَ منها ... يشهدُ اللّهُ في إثامٍ كبيرِ
أيُّما كوسجٍ يرها فيلقى ... ربَّهُ بعدَها صحيحَ الضّميرِ[٥]
هو أحرى بِأنْ يشكَّ ويُغرى ... باتّهامِ الحكيمِ في التقديرِ
ما تلقّاكَ كوسجٌ قطُّ إلاّ ... جوّرَ اللّهَ أيّما تجويرِ[٦]
لحيةٌ أهملتْ فسالتْ وفاضتْ ... فإليها تشيرُ كفُّ المشيرِ
ما رأتها عينُ امْرِئٍ ما رآها ... قطُّ إلاّ أهلَّ بالتكبيرِ[٧]
روعةٌ تستخفُّه لم يُرَعْها ... مَن رأى وجهَ مُنكَرٍ ونكيرِ[٨]
فاتّقِ اللّهَ ذا الجلالِ وغيِّرْ ... منكراً فيكَ ممكنَ التغييرِ

---

(١) الديوان ص ١٣٠. ط بغداد.
(٢) المخالي، جمع مخلاة، وهي التي تعلق في عنق الدابة، ويوضع فيها طعامها.
(٣) عذاريك: مثنى عذار، وهو جانب الأنف المحاذي للأذن.
(٤) طويلة، صفة للّحية، ويعني بها صاحبها. واحتبسها: اجعلها وقفاً للنار.
(٥) الكوسج: الخفيف شعر اللحية.
(٦) جوّر: اتهمه بالجور، أي الظلم.
(٧) أهل بالتكبير: قال: الله أكبر تعجباً.
(٨) منكر ونكير: الملكان اللذان يحاسبان الميت في قبره.

أو فقصّرْ منها فحسبُكَ منها ... نصفُ شبرٍ علامةُ التذكيرِ
لو رأى مثلَها النبيُّ لأجرى ... في لِحى الناسِ سُنَّةَ التقصيرِ
واستحبَّ الإحفاءَ فيهنَّ والحـ ... ـلقَ مكانَ الإعفاءِ والتوفيرِ[1]

(لو أنَّ إبليساً رآك)

ومن هذا الضرب الهجائي الفني الكاريكاتوري القائم على المبالغة في الوصف والتصوير، والمعبر عن الازدراء والتحقير، ما قاله ابن الرومي في أنف المدعو «دبساً»، وكان أنفاً طويلاً للغاية. يقول ابن الرومي هاجياً[2]:

قُولا لدبسٍ شرِّ مَن ... يطأُ التّرابَ ويرمِسُ[3]
تبّاً لِدهرٍ أنتَ فيـ ... ـه مقدّمٌ ومُرأّسُ[4]
لو أنّ إبليساً رآك ... لكادَ ذعراً يُبلسُ[5]
وإذا جلستَ أذىً ... خشامُك مَن يضمُّ المجلس
وإذا نهضتَ كبا بوجهِكَ ... للجبينِ المعطسُ[6]
فالأنفُ منكَ لِعُظْمِه ... أبداً لِرأسِكَ يعكس
حتى يظنَّ الناسُ أنّك ... في الترابِ تَفَرّس[7]
إنْ كان أنفُكَ هكذا ... فالفيلُ عندكَ أفطس
وإذا جلستَ على الطريقِ ... ولا أرى لك تجلس
قيلَ: السلامُ عليكما ... فتجيبُ أنتَ ويخرس

(مستفعلن فاعلن فعول)

ومن هذا القبيل، أيضاً، هجاء ابن الرومي المدعوّ عمراً، وكان ذا وجه طويل، فأعمل الشاعر فيه ريشته الساخرة فقال فيه هاجياً وجهه وخلقه الغادر:

وجهُكَ يا عمرو فيه طولُ ... وفي وجوهِ الكلابِ طولُ
مقابحُ الكلبِ فيكَ طُرّاً ... يزولُ عنها ولا تزول
وفيه أشياءُ صالحاتٌ ... حماكَها اللّهُ والرسول
فالكلبُ وافٍ وفيكَ غدرٌ ... ففيكَ عن قدرِهِ سفول

---

(١) الإحفاء: المبالغة في قص الشعر. والإعفاء: ترك الشعر يطول.
(٢) الديوان ص ١٨٠.
(٣) يرمس: يدفن في التراب.
(٤) تباً: دعاء للهلاك والخسران.
(٥) يبلس: يخاف، وتتملكه الدهشة.
(٦) الخشام: الأنف العظيم، ومثله المعطس. وكبا: وقع وانكب على الأرض.
(٧) تفرّس: تنظر وتحدق، والأصل: تتفرس.

وقد يُحامي عنِ المواشي ... وما تُحامي ولا تصول
وأنتَ مِن أهلِ بيتِ سوءٍ ... قصّتُهم قصّةٌ تطول
وجوهُهم للورى عِظاتٌ ... لكنَّ أقفاءَهم طبول
نستغفرُ اللّهَ قد فعلْنا ... ما يفعلُ المائقُ الجهول
ما إنْ سألْناك ما سألْنا ... إلاّ كما تُسألُ الطّلول
صَمَّتْ وعَيَّتْ فلا خطابٌ ... ولا كتابٌ ولا رسول
مستفعلُن فاعلنْ فعولنْ ... مستفعلن فاعلن فعول
بيتٌ كمعناكَ ليسَ فيه ... معنىً سِوى أنّه فُضول[1]

(ومكان الحياء فيه خراب)

ولابن الرومي في أعمى هجاء طريف منه قوله:

كيف يرجو الحياء منه صديق ... ومكان الحياء منه خراب[2]

(وأنت نظير يوم الشك فيه)

وله في رجل يعرف بابن رمضان:

رأيتك تدّعي رمضان دعوى ... وأنت نظير يوم الشّكّ فيه[3]

❖ أبو هلال العسكري (ت ٤٠٠ هـ/١٠٠٩ م)

(كأنها أرض على أرض)

هو أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، العسكري، ينتمي إلى قبيلة «عسكر مكرم» في الأهواز، مسقط رأسه. فارسي الأصل. له ديوان المعاني، وشعره سهل، فيه طرافة وجدة، وأكثره في الوصف والعتاب والهجاء.

ومن الهجاء الجيد هجاؤه صاحب لحية طويلة. يقول أبو هلال:

إنّ أبا عمروٍ لهُ لحيةٌ ... بعيدةُ البعضِ مِنَ البعضِ
مضى إلى السوقِ وعثنونُه ... أقامَ في البيتِ فلم يمضِ
وهْو إذا ما مرَّ في سِكّةٍ ... يملؤُها بالطّولِ والعرضِ
يدوسُها الناسُ بأقدامِهم ... كأنها أرضٌ على الأرضِ[4]

---

(١) الديوان ٣٣٥.
(٢) زهر الآداب ٢/٧١٩.
(٣) زهر الآداب ٢/٧١٩.
(٤) ديوان العسكري ص ١٥٠، تحقيق جورج قنازع. المطبعة التعاونية: دمشق ١٩٧٩ م. والعثنون: طرف الأنف.

(زادني أكله على الجوع جوعاً)

وله في هجاء عمرو:

ضفْتُ عمراً فجاءني برغيفِ ... زادني أكلُه على الجوعِ جوعا
ثم ولّى يقولُ وهو كئيبٌ ... لهفَ نفسي على الرغيفِ أُضيعا
كنتُ أنزلْتُه محلاً رفيعاً ... فغدا ذلك الرفيعُ وضيعا
عجباً منه إذْ أُبيحَ حِماهُ ... كيف لم يمتنعْ وكان منيعا[1]

(وهو قدماً للضيف جوع وقرّ)

وله في بخيل:

قفع البردُ ضيفَ عمروٍ فأضحى ... مثلَ مَن فيه يا أُخيَّ زمانَهْ
بات للبرد في ظهارةِ سوءٍ ... ومن الجوع والطوى في بطانهْ
وهو قِدْماً للضيفِ جوعٌ وقرٌّ ... ولِمولاهُ ذلّةٌ ومهانة[2]

(يا عليماً في ادّعاء)

وله في مدّع ثقيل:

يا عليماً في ادعاء ... وجهولاً في امتحان
وفقيراً وهو مثر ... وبعيداً وهو دان
ووضيعاً في فؤاد ... ورفيعاً في عيان
أنت كالمصلوب يعلو ... وهو منحط المكان[3]

❖ أبو العلاء (ت ٤٤٩ هـ)

(وكلّ كلام الحاسدين هراء)

لم يعرف عن أبي العلاء المعري، الشاعر العباسي المتفلسف، سوى القليل من شعر الهجاء، وإن منه هذا الهجاء الرائع في أحد الشعراء، أو قل في أحد من ادّعى الشعر، ولم يكن في مستواه.

يقول أبو العلاء هاجياً ذلك الشويعر الذي تعرّض له بهجر القول[4]:

ورائي أمامٌ والأمامُ وراءُ ... إذا أنا لم تكبرْنيَ الكُبراءُ

---

(١) ديوان العسكري، ص ١٥٦. وانظر: ديوان المعاني ١/ ٢٠١، العسكري طبعة القاهرة ١٣٥٢ هـ. ونهاية الأرب، للنويري ٣/ ٣١٥. حيث تجد: زاد في جوعه على الأكل جوعاً. ط القاهرة ١٩٣٥.
(٢) ديوان العسكري ٢٢٤ ـ ٢٢٥.
(٣) ديوان العسكري ص ٢٢٥. وانظر: جمهرة الأمثال ١/ ٥١٨. للعسكري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة ١٩٦٤ م.
(٤) ديوان سقط الزند ص ٢٥٨.

بأيِّ لسانٍ ذا مني متجاهلٌ ... عليَّ وخفق الرّيحِ فِيَّ ثناء[١]
تكلّمَ بالقولِ المضلّلِ حاسدٌ ... وكلُّ كلامِ الحاسدينِ هُراء
ومَن هو حتى يحملَ النطق عن فمي ... إليه وتمشي بيننا السُّفراء
وإنّي لَمُشترٍ يا ابنَ آخرِ ليلةٍ ... وإنْ عزَّ مالٌ فالقنوعُ ثراء
وقد قال إنّ ابنَ اللئيمةِ شاعرٌ ... ذوو الجهل ماتَ الشعرُ والشعراء
تُساورُ فحلَ الشعرِ أو ليثَ غابهِ ... سِفاهاً وأنتَ الناقةُ العَشراء[٢]
أتمشي القوافي تحتَ غيرِ لوائِنا ... ونحنُ على قوّالِها أمراء
ولسنا بفَقْرى يا طَغام إليكُم ... وأنتم إلى معروفِنا فقراء

❖ **الميكالي (القرن الخامس هـ/الحادي عشر الميلادي)**

(أقبح بها صحيفة قد نشرت)

ومن الهجاء الفني الجيد ما قاله أبو الفضل الميكالي، الشاعر العباسي المتأخر وكان أميراً في رجل قبيح الوجه:

وطلعةٍ بقبحِها قد شهدتْ ... تحكي زوالَ نعمةٍ ما شُكرتْ
كأنّها عن لحمِها قد قشرتْ ... أقبِحْ بها صحيفةً قد نُشرت
عنوانُها إذا الوحوشُ حشرتْ ... يلعنُها ما قَدّمت وأخّرت
صاحبُها ذو عورةٍ لو سترت ... إنْ سارَ يوماً فالجبالُ سُيّرت
أورام أكلاً فالجحيمُ سُعِرّت[٣]

❖ **سبط بن التعاويذي (ت ٥٨٣ هـ)**

(والظلم له حدّ)

هو أبو الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله المعروف بسبط بن التعاويذي. شاعر جمع بين الجزالة والرقة، وكان في غاية الحسن والحلاوة. عاش ببغداد، وعمي في آخر عمره وله في عينيه شعر كثير يرثيهما ويندب حظه.

ومن جيد الهجاء وأخفّه وأسهله وألذعه هجاء سبط رجلاً كان تعرض له، ويكنى بالسيد، وليس بسيّد. يقول سبط[٤]:

---

(١) ذامني: ذمني.
(٢) تساور: تواثب. والناقة العشراء: التي مضى على حملها عشرة أشهر بعد طروق الفحل.
(٣) زهر الآداب ٢/ ٧١٥. وقوله: صحيفة قد نشرت، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وإذا الصحف نشرت﴾. وقوله: ﴿إذا الوحوش نشرت﴾، وقوله الآخر: ﴿ما قدمت وأخرت﴾، وقوله الثالث: ﴿فالجبال سيرت﴾، والرابع: ﴿فالجحيم سعرت﴾، إشارة إلى الآيات القرآنية: ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ و﴿وإذا الجبال سيرت﴾ و﴿وإذا الجحيم سعرت﴾.
(٤) ديوان سبط بن التعاويذي ص ١٥٦. تصحيح مرجليوت. مطبعة المقتطف بمصر القاهرة ١٩٠٣ م.
وتفرق: تخاف.

أيا السّيّدُ ما ساعدُ ... أيمانكَ مشتَدُّ
ولا ماؤكَ مسكوبٌ ... ولا ظلُّكَ ممتدّ
وبابُ الخيرِ والتوفيقِ ... في وجهكَ منسدّ
ولا فيكَ بحمدِ اللّهِ ... لا هزلٌ ولا جدّ
وسيّان لديكَ الذّمُ ... مِن جهلِكَ والحمد
ولما غلب اليأسُ ... على رأسِكَ والبرد
تعرّضْتَ لمن تفرقُ ... من أعراضِه الأُسد
فما عندي على مثلكَ ... لا غيظٌ ولا حقد
ولكنْ أسرفَ الظالمُ ... والظلمُ له حدّ
فعالجتُ بِذبحِ التّيْسِ ... حتى يفزعَ القرد

❖ أحدهم

(أينسى كليب زمان الهزال)

ومن الهجاء الجيد هجاء أحدهم الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان الحجاج وأخوه معلمين بالطائف، وكان لقبه كليباً:

أَيَنسى كليبٌ زمانَ الهزالِ ... وتعليمَه سورةَ الكوثرِ
رغيفٌ له فلكةٌ ما تُرى ... وآخرُ كالقمرِ الأزهرِ[1]

❖ البهاء زهير (ت ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م)

هو أبو الفضل زهير بن محمد بن علي المهلبي، ينتهي نسبه إلى المهلب بن أبي صفرة. ولد بمكة، ثم قصد مصر واتصل بملوك بني أيوب، ثم قصد دمشق، ثم مصر حيث توفي فيها. له ديوان شعر أكثره في الغزل، وأقله في الهجاء الذي اخترنا منه هذه الأبيات الساخرة في هجاء أحمق صاحب لحية، وهي من مجزوء الرجز. يقول البهاء:

وأحمقٍ ذي لحيةٍ ... كبيرةٍ منتشرهْ
طلبتُ فيها وجهَهُ ... بشدّةٍ فلم أرَهْ
معرفةٌ لكنّه ... أصبحَ فيها نكرهْ
ثورٌ غدا أعجوبةً ... بلحيةٍ مدوّرة
تباً لها مِن لحيةٍ ... كبيرةٍ محتقرة
عظيمةٌ لكنها ... ليستْ تُساوي بَعَرة

(١) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٣٠٣. وقوله في البيت الثاني إشارة إلى أن خبز المعلمين كان يأتيهم مختلفاً لأنه من بيوت الصبيان المختلفي الأحوال.

قد نبتتْ في وجههِ ... فوقَ عظامٍ نخرة
باردةٌ ثقيلةٌ ... مظلمةٌ منكدرة
كأنها سحابة ... فوقَ البلادِ ممطرة
ما كان قطُّ ربُّها ... مِن الكرام البَرَرَة
قد تركتْ حاملَها ... منها بحالٍ منكرة
إذا خطت أقدامُه ... كانت بها معثّرة
وإن مشى رأيتَ ... فوقَ الأرضِ منها غبرة
وقد أتت خبيثةً ... منتنةً مستقذرة[1]

(دجلة لا تطهّرُهُ)

وله في أحدهم:

لعنَ اللّهُ مَن ذكرتَ ... وحاشاكَ تذكرُهُ
إنَّ مَن فَاهَ بِاسْمِهِ ... دجلةٌ لا تُطَهّرُهْ
وأرى ألفَ ركعةٍ ... بعدَه لا تكفّرهْ[2]

(١) ديوان بهاء الدين زهير، ص ١٦٢، دار صادر ـ دار بيروت. بيروت ١٩٦٤ م. تبأ: القبح لها والويل. البعر: واحدة البعر، وهو غائط الماشية. النخرة: البالية. منكدرة: مظلمة. البررة: جمع برّ وبارّ، وهو المحسن الكريم.
(٢) نفسه ص ١٥٣.

الباب الثاني

الهجاء الجماعي

❖ قراد بن حنش

(فويل امّها خيلاً بهاءً وشارةً)

ومن الهجاء الجيد ما قاله قراد بن حنش، من بني صادرة الفزاريين، وهو شاعر جاهلي، في قوم الحارث بن ظالم المريّ. يقول قراد هاجياً[١]:

لَقومِيَ أدعى لِلعُلا مِن عصابةٍ ... من الناسِ يا حارِ بن عَمروٍ تسودُها
وأنتم سماءٌ يَعجبُ الناسَ رِزُّها ... بآبرةٍ تُنحي شديدٍ وئيدُها[٢]
تقطّعُ أطنابَ البيوتِ بحاصبٍ ... وأكذبُ شيءٍ برقُها ورعودها[٣]
فويلُ امّها خيلاً بهاءً وشارةً ... إذا لاقت الأعداءَ لولا صدودها[٤]

❖ بشير بن أبيّ

(ولؤم بني قرد بكل مكان)

ومن ألأم الهجاء الجماعي هجاء بشير بن أبيّ بن جذيمة، أحد أحفاد زنباع بن جذيمة، في بني جذيم، وقد ذمّهم بالقصور عن بلوغ مرتبة الأشراف فقال فيهم:

أتخطرُ للأشرافِ يا قردَ جِذيمٍ ... وهل يستعدُّ القردُ للخطرانِ
أبى قِصَرُ الأذنابِ أنْ تخطروا بها ... ولؤمُ بني قردٍ بكلِّ مكانِ
لقد سمنتْ قِعدانُكم آلَ جِذيمٍ ... وأحسابُكم في الحيِّ غيرُ سمانِ[٥]

❖ محرز بن المكعبر

(وبعض الرجال في الحروب غثاء)

كان محرز بن المكعبر الضبّي جاراً لبني عديّ بن جندب، فأغار بنو عمرو بن كلاب على إبله فسلبوه أياها، فجاء محرز بني عدي طالباً منهم أن يسعوا له فوعدوه خيراً، فلما طال ذلك عليه، ولم يفعلوا شيئاً، أتى المخارق والمساحق ابنيْ شهاب المازنيّين، من بني خزاعة فسعيا له، فردّا عليه إبله، فقال هذه الأبيات الهجائية الرائعة، في هجاء بني عديّ[٦]:

---

(١) ديوان الحماسة ٢/ ١٧٤ ـ ١٧٥.
(٢) يريد الشاعر أن يقول إن قوم الحارث كالسحاب المقرون صوته بآفة وداهية. والمراد بالسماء: السحاب. والرزّ: صوت الرعد. والآبدة: الداهية. وتنحي: تعتمد. والوئيد: الصوت اللجب العالي.
(٣) الحاصب: الريح التي تحمل الحصباء. وهذا كناية عن عدم وجود الخير في القوم.
(٤) ويل أمها: ويل لأمها، على سبيل التعجب. والخيل، يراد بها الفرسان. والشارة: الجمال. وهنا يستهزىء الشاعر بهم، ويصفهم بالصدود عن مواجهة الخصوم.
(٥) ديوان الحماسة ٢/ ١٨٢. والقعدان، جمع قعود، وهو ما يقتعد من الإبل ويركب. وجعل الشاعر قعدانهم سمينة لأنهم يؤثرونها باللبن على الضيفان والجيران. والخطران: رفع الفحل ذنبه عن الهياج، استعارة للمفاخرة.
(٦) ديوان الحماسة ٢/ ١٩١ ـ ١٩٣.

أبلغْ عدِّياً حيثُ صارتْ بها النّوى ... وليسَ لِدهرِ الطالبينَ فَناءُ[١]
كُسالى إذا لاقيْتُهم غيرَ منطقٍ ... يُلهّى به المتبولُ وهو عناء[٢]
أُخبّرُ مَن لاقيتُ أنْ قد وفيتُم ... ولو شئتُ قال المنبئَون أساؤوا[٣]
لهم رَيْثةٌ تعلو صريمةَ أمرِهم ... ولِلأمرِ يوماً راحة فقضاء[٤]
وإنّي لراجيكم على بُطْءِ سعيِكم ... كما في بطونِ الحاملاتِ رجاء
فهلاّ سعيْتُم سعيَ عصبةِ مازنٍ ... وهل كُفَلائي في الوفاء سواء[٥]
لهم أذرعٌ بادٍ نواشرُ لحمِها ... وبعضُ الرجالِ في الحروبِ غُثاء[٦]
كأنَّ دنانيراً على قسماتِهم ... وإنْ كان قد شفَّ الوجودِ لقاءِ[٧]

❖ النجاشي

(تعاف الكلاب الضاريات لحومهم)

كان بنو العجلان يفخرون باسمهم إذ كان عبد الله بن كعب، جدهم، إنما سمي العجلان لتعجيله القرى لضيوفه. وكان بعث إلى حي من طي نزلوا به، عبداً له وقال له: أعجل عليهم. ففعل العبد، فأعتقه لعجلته. فقال القوم: ما ينبغي أن يسمى إلا العجلان، فسمي بذلك، فكان هذا شرفاً لهم.

وحدث أن هجا النجاشي، واسمه قيس بن عمرو بن مالك.. بني العجلان، فصار واحدهم إذا سئل عن نسبه قال: الكعبي. أما الأبيات الهجائية فهي التالية، وهي من جيد الهجاء وأروعه وأشده إيلاماً[٨]:

إذا اللّه عادى أهلَ لؤمٍ ورقةٍ ... فعادى بني العجلان رهطَ ابنِ مقبلِ
قُبَيّلةٌ لا يغدرون بذمّةٍ ... ولا يظلمون الناسَ حبّةَ خردل
تعافُ الكلابُ الضارياتُ لحومَهم ... وتأكل مِن عوفِ بنِ كعبِ بنِ نهشل
ولا يردون الماءَ إلاّ عشيّةً ... إذا صدرَ الوُرّادُ عن كلِّ منهل

---

(١) النوى: البعد. والمعنى أنه من طلب الثأر لا تغني طلبته ما دام طالباً إلى أن يدرك ثأره وينال حقه.
(٢) المتبول: من به تبل، أي عداوة وحقد. ويلهي به: يعلّل به. وهنا يصفهم بالكسل وقلة النشاط لأنهم لم ينصروه على أعدائه.
(٣) أي هو يحاول أن يستر عيوب القوم، لكنهم غير جديرين بذلك.
(٤) الريثة: الإبطاء. وتعلو: تغلب. والصريمة: العزم على الشيء. والمعنى أنهم مغلوبون بالكسل والبطالة، وأنه لا بد من يراح منهم ذات يوم.
(٥) عصبة مازن: جماعة مازن قوم المخارق والمساحق ابني شهاب اللذين ردّا إبله.
(٦) نواشر: جمع ناشرة، وهي عصب الذراع. والغثاء: الذي لا طائل تحته، وهو ما يحمله السيل.
(٧) قسماتهم: وجوههم التي هي في الحرب مثل الدنانير في الحسن والإشراق.
(٨) زهر الآداب ١/ ١٩ ـ ٢٠. وانظر الأبيات في: الشعر والشعراء ص ٢٩٠ والبيان والتبيين ٣/ ٢٠٣.

أولئك أخوالُ اللعينِ وأسرةُ الهجينِ ورهطُ الواهنِ المتذلّل
وما سُمِيَّ العجلانُ إلا لِقولِه خُذِ القعبَ واحلبْ أيها العبدُ واعجل[١]

❖ بعضهم

(يا قبّح الله أقواماً)

ومن أروع الرثاء الجماعي وجيده ما قاله بعضهم في هجاء بني عميرة، وهم الغاية في اللؤم والسوء:

يا قبّح اللّهُ أقواماً إذا ذُكروا بني عميرة رهطَ اللّؤم والعار
قومٌ إذا خرجوا مِن سوأةٍ ولجوا في سوأةٍ لم يُجِنُّوها بأستارِ[٢]

❖ بعضهم

(فيا لؤماً لذلك من غلام)

ومن الهجاء الجماعي الفاحش الجيد، ما قاله بعضهم في بني بكر، ونسائهم خاصة، اللائي لا يلدن إلا كل فاجر لئيم. يقول بعضهم:

إذا بكريّةٌ ولدتْ غلاماً فيا لؤماً لذلك مِن غلام
يزاحمُ في المآدبِ كلَّ عبدٍ وليس لدى الحفاظِ بذي زحامِ[٣]

❖ بعضهم

(أناخ اللؤم وسط بني رياح)

ومن الهجاء الجماعي الفاحش الجيد، ما قاله بعضهم في بني رياح الذين لا يفارق اللؤم فناء بيوتهم. يقول بعضهم:

أناخَ اللؤمُ وسْطَ بني رياحٍ مطيّتَه فأقسمَ لا يَريمُ
كذلك كلُّ ذي سفرٍ إذا ما تناهى عندَ غايتِه مقيمُ[٤]

---

(١) قيل إن بني العجلان استعدوا على النجاشي عمر بن الخطاب وقالوا: هجانا. قال: فيكم؟ فأنشدوه البيت الأول، فقال: إن الله لا يعادي مسلماً. قالوا: فقد قال: قبيّلة... البيت الثاني، فقال: وددت أن آل الخطاب كانوا كذلك. قالوا: فقد قال: تعاف الكلاب. البيت الثالث.. فقال: كفى ضياعاً من تأكل الكلاب لحمه. قالوا: فقد قال: ولا يردون الماء. البيت الرابع.. فقال: ذلك أصفى للماء وأقلّ للزحام. قالوا: فقد قال: وما سمي العجلان.. البيت الأخير.. فقال: سيد القوم خادمهم.

(٢) ديوان الحماسة ٢/ ٢٣٩. والمنادى بعد: يا، في البيت الأول محذوف، وتقديره: يا قوم. وبني عميرة، في البيت نفسه، بدل من: أقواماً. ورهط: جماعة. وهي منصوبة على الذم والاختصاص. والسوأة في البيت الثاني: الأمر القبيح. ويجنّوها: يستروها.

(٣) ديوان الحماسة ٢/ ٢٣٨. والمآدب: جمع مأدبة، وهي طعام الوليمة. ومعنى البيت أن هذا البكري يزاحم في الأكل والشرب، ولا يزاحم الشجعان عند الذود عن المحارم.

(٤) ديوان الحماسة ٢/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨. وأناخ: أقام وبرك. ولا يريم: لا يبرح.

❖ أبو الأنواء

(قوم إذا أكلوا أخفوا كلامهم)

ومن الهجاء الجماعي الجيد، وهو لا يخلو من ذمّ وإيذاء، ما قاله أبو الأنواء، وهو لقبه، واسمه عبد الله بن عبد الرحمٰن المهلبي، في قوم أشحّاء شديدي البخل. يقول عبد الله:

قومٌ إذا أكلوا أخفوا كلامَهُمُ ... واستوثقوا مِن رتاجِ البابِ والدّارِ
لا يقبِسُ الجارُ منهمْ فضلَ نارِهِمِ ... ولا تكفُّ يد عن حرمةِ الجارِ[1]

❖ بعضهنّ

(تجلّل خزيها عوف بن كعب)

ومن الهجاء الجماعي الجيد، وطابعه الذم والتحقير، ما قالته امرأة في بني عوف بن كعب، وكان قتل زوجها في جوار الزبرقان فلم يطلب بثأره. تقول هذه الامرأة معيّرة بني عوف بالذل والمهانة والخزي:

متى تردوا عكاظَ تُوافِقوها ... بأسماعٍ مجادعُها قِصارُ
أجيرانَ ابْنِ ميّةَ خبّروني ... أعينٌ لأيْنِ ميّةَ أم ضِمارُ
تجلّلَ خزيَها عوفُ بنُ كعبٍ ... فليس لخلفها منه اعْتذارُ
فإنّكُمُ وما تُخفون منها ... كذاتِ الشّيبِ ليسَ لها خِمارُ[2]

❖ بعضهم

(وحسن القول من حسن الفعال)

وقريب من المعنى الهجائي السابق ما قاله بعضهم في قوم يعجبك حديثهم، لكن لا نصيب لهم من الفعل الحسن لأنهم قوم من البدو، جفاة، مصروفون عن الحق، وكذابون أفّاكون. يقول هذا الشاعر[3]:

أعاريبٌ ذَوُو فخرٍ بإفكٍ ... وألسنةٍ لطافٍ في المقالِ
رضُوا بصفاتِ ما عدِموه جهلاً ... وحسنُ القولِ مِن حُسنِ الفعالِ[4]

---

(١) ديوان الحماسة ٢/ ٢٣١ والرتاج: الباب المغلق وعليه باب صغير. والرتاج أيضاً: ما يغلق به الباب. والمعنى أنهم لؤماء شديدو البخل. ويقبس: يطلب النار.

(٢) ديوان الحماسة ٢/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨. وعكاظ: سوق مشهورة في الجاهلية، كانت تجتمع فيها قبائل العرب للتفاخر بالأحساب والأدب. ومعنى البيت الأول أن بني عوف لو حضروا عكاظ لأظهروا الصمم لكثرة ما يسمعون من عيوبهم. وابن ميّة، اسم زوج المرأة المقتول. والعين: النقد الحاضر. والفجار: الدين الذي لا يرجى قضاؤه. والخلف: أولاد السوء. والخمار: غطاء الرأس.

(٣) ديوان الحماسة ٢/ ٢٣٦. تملاها: عاش ملاوتها.

(٤) ديوان الحماسة ٢/ ٢٣٢. والإفك: الكذب. والأعاريب، جمع أعراب، وهم الذين يسكنون البوادي.

❖ قعنب بن أم صاحب

(لبئست الخلّتان الجهل والجبن)

ومن الهجاء الجماعي الجيد هجاء قعنب بن ضمرة الغطفاني، الشاعر الإسلامي الأموي، لقوم أظهروا العداوة له، وارتاحوا إلى ما يصل إلى آذانهم من الهجو فيه، وهم من الجهل والجبن على جانب عظيم. يقول قعنب هاجياً هؤلاء القوم:

إنْ يسمعوا ريبةً طاروا بها فرحاً ... منّي وما سمعوا مِن صالحٍ دفنوا
صُمٌ إذا سمعوا خيراً ذُكرتُ به ... وإنْ ذكرتُ بشرٍّ عندهم أذِنوا
جهلاً علينا وجبناً عن عدوِّهمِ ... لبئستِ الخلّتانِ الجهلُ والجبُنُ[1]

❖ مساور بن هند

(وقد جاءت بنو أسد وخافوا)

ومن ألطف معاني الهجاء الجماعي، ما قاله مساور بن هند بن قيس، أحد أشراف الشعراء وفرسانهم المخضرمين في الجاهلية والإسلام؛ يقول مساور هاجياً بني أسد الذين لا شيء عندهم يضاهئون به ما عند قريش أصحاب السيادة والشرف:

زعمتمْ أنَّ إخوتَكم قريشٌ ... لهمْ إلفٌ وليسَ لكمْ إلافُ
أولئكَ أُمنوا جوعاً وخوفاً ... وقد جاعتْ بنو أسدٍ وخافوا[2]

ومن ألأم الهجاء وأروعه في آن، هجاء مساور، لبني أسد، يعيب عليهم البخل ولؤم الطبع. يقول مساور:

إذا أسَديّةٌ ولدتْ غلاماً ... فبشِّرْها بلؤمٍ في الغلامِ
تُخرّسُها نساءُ بني دُبَيرٍ ... بأخبثِ ما يجدْنَ مِن الطّعامِ[3]

❖ حسان بن ثابت (ت ٥٠ هـ /٦٧٤ م)

(قوم تواصوا بأكل الجار بينهم)

ومن الهجاء المقذع الجيد، هجاء حسان بن ثابت، الشاعر الجاهلي الإسلامي، لبني هذيل ولحيان، وكانوا يرمون، هم وأسد وباهلة والعنبر يأكل لحوم الناس. يقول حسان:

إنْ سرَّكَ الغدرُ صِرْفاً لا مزاجَ له ... فائتِ الرّجيعَ وسلْ عن دارِ لحيانِ

---

(١) ديوان الحماسة ٢/ ١٨٧ ـ ١٨٨. والخلتان، مثنى خلّة، وهي الخصلة.

(٢) ديوان الحماسة ٢/ ١٨٦ ـ ١٨٧. والإلف، والإيلاف: العهد. وقد ذكرها القرآن بقول الله تعالى: ﴿لإيلاف قريش. إيلافهم رحلة الشتاء والصيف﴾.

(٣) البخلاء ص ٢١٤. وتخرّسها، من الخرس، وهو الطعام الذي يتخذ صبيحة الولادة للرجال والنساء.

قومٌ تواصَوْا بأكلِ الجارِ بينَهُمُ فالشّاةُ والكلبُ والإنسانُ سيّانِ[١]

❖ حريث بن عناب

(كأنكم معزى قواصع جزة)

هوي حريث بن عناب النبهاني، الشاعر الإسلامي الأموي، امرأة يقال لها حبّيّ بنت الأسود، ولما خطبها إلى أهلها وعدوه خيراً، وكذلك فعلت هي. وعلى أثر ذلك خطبها رجل من بني ثعل، وكان موسراً، فمالت إليه واختارته على حريث، فتزوجها الثعلي فقال حريث في قومها وقوم الثعلي هجاء يعد من الهجاء المقذع لكنه على جانب من روعة الأداء، وفصاحة التعبير. يقول حريث[٢]:

بني ثُعَلٍ أهلَ الخنا ما حديثُكم لكم منطقٌ غاوٍ ولِلنّاسِ منطقُ[٣]
كأنّكُمُ مِعزى قواصعُ جِرّةٍ من العيِّ أو طيرٌ بخفّافَ ينعقُ[٤]
ديافيّةٌ قُلْفٌ كأنّ خطيبَهم سراةَ الضحى في سلخِه يتمطّقُ[٥]

(لا يرتجي الجار خيراً في بيوتهم)

وقال عنّاب في صخرة، إحدى نساء العرب، وفي قومها ساخراً ومتهكماً:

قولا لصخرةَ إذ جدَّ الهجاءُ بها عوجي علينا يُحيّيكِ ابنُ عنّابِ
يا شرَّ قومٍ بني حصنٍ مهاجرةً ومَن تعرّبَ منهم شرُّ أعرابِ
لا يرتجي الجارُ خيراً في بيوتهمِ ولا محالةَ مِن شتمٍ وألقابِ[٦]

❖ مدرك الفقعسي

(سواء علينا بخل سلمى وجودها)

ومن الهجاء الجماعي الجيد في بني عبس هجاء مدرك الفقعسي، وقيل مغلس، بن حصن، الشاعر الإسلامي الأموي. يقول مدرك في بني عبس هاجياً، وقد استهل أبياته بالغزل[٧]:

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٣٥. وصرفاً: خالصاً.
(٢) ديوان الحماسة ٢/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥.
(٣) الخنا: الفحش. والغاوي: الشاذ عن المألوف. وهنا يهجوهم بسوء المنطق والكلام.
(٤) الجرّة للحيوان: ما يخرجه من جوفه بعد أكله. وقواصع: من قصع الشيء، إذا ردّه. وخفاف: اسم مكان بعينه. وتنعق: تصوت. وهنا يهجوهم بالعي وقلة البيان.
(٥) ديافية، نسبة إلى دياف، أرض بالشام يسكنها قوم من النبط غير العرب. وقلف: جمع أقلف وهو الذي لم يختن. وسراة الضحى: وسطه. والسلخ: العذرة والخرء. ويتمطق: يضم إحدى شفتيه على الأخرى متذوقاً.
(٦) ديوان الحماسة ٢/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧. وعوجي: انزلي. ومعنى البيت الأخير أنهم جيران سوء.
(٧) ديوان الحماسة ٢/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

لقد كنتُ أرمي الوحشَ وهْي بغِرّةٍ ... ويَسكنُ أحياناً إليَّ شرودُها[١]
فقد أمكنتْني الوحشُ مذْ رثَّ أسهمي ... وما ضرَّ وحشاً قانصٌ لا يصيدها
فأعرضْتُ عن سلمى وقلتُ لصاحبي ... سواءٌ علينا بخلُ سلمى وجودُها
فلا تحسدَنْ عبساً على ما أصابها ... وذُمَّ حياةً قد تولّى زهيدها[٢]
تُشبِّهُ عبسٌ هاشماً أنْ تسربلتْ ... سرابيلَ خَزٍّ أنكرتْها جلودها[٣]
فلا تحسبنَّ الخيرَ ضربةَ لازبٍ ... لِعبسٍ إذا ما مات عنها وليدها[٤]
فسادةُ عبسٍ في الحديثِ نساؤُها ... وقادةُ عبسٍ في القديمِ عبيدُها[٥]

❖ **الأخطل (ت ٩٠ هـ/٧١٠ م)**

(مخلّفون ويقضي الناس أمرهم)

ومن جيد الهجاء هجاء الأخطل بني كليب بن يربوع. يقول الأخطل[٦]:

أما كليبُ بنُ يربوعٍ فليس لها ... عندَ التفاخرِ إيرادٌ ولا صَدَرُ[٧]
مخلّفون ويقضي الناسُ أمرَهُمُ ... وهم بعيبٍ وفي عمياءَ ما شعروا
مثلُ القنافذِ هدّاجون قد بلغتْ ... نجرانُ أو بلغتْ سوآتِهم هجرُ[٨]

(قالوا لأمّهم بولي على النار)

ومن أشهر أبيات الهجاء وأمرّها، وأقذعها، بيت الأخطل يعيّر جريراً بقومه الأشحّاء. ويقال إن جريراً توجع من هذا البيت وقال: جمع بهذه الكلمة ضروباً من الهجاء والشتم: منها البخل الفاحش، ومنها عقوق الأم في ابتذالها دون غيرها؛ ومنها تقذير الفناء؛ ومنها السوءة التي ذكرها من الوالدة. أما البيت فهو التالي:

قومٌ إذا استنبَحَ الأضيافُ كلبَهُمُ ... قالوا لأمِّهِمُ بُولي على النارِ[٩]

---

(١) المقصود بالوحش النساء. والغرة: الغفلة. والشرود: النفور. ومعنى البيت أنه كان يصطاد النساء وهي غافلة فيصيبها بجماله وحسنه. وإن كانت أحبهن إليه الشرود والنفور.

(٢) زهيدها: لئيمها. ومعنى البيت واضح، هو أن لا تحسد عبساً على ما نالته من العز، بل يجب أن تذم حياة يتولاها اللئام.

(٣) الخز: أفخر الثياب من الحرير. وأنكرتها جلودها، كناية عن عدم اعتيادها إياها من قبل. وبنو عبس لا يضارعون هاشماً ولو لبسوا الحرير.

(٤) وليدها، أي الوليد بن عبد الملك، وكانت أمه من بني عبس.

(٥) المراد بالنساء زوجة عبد الملك، وأم الوليد. والمراد بالعبيد، عنترة العبسي. والمعنى أن القوم الذين تسودهم أنثى ويقودهم عبد أسود، هو عنترة، هم قوم لا خلاق لهم ولا شرف.

(٦) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٢١٧.

(٧) الإيراد: ورود الماء. والصدر، الرجوع عنه.

(٨) سوآتهم: عيوبهم: ونجران، بلد باليمن. وهجر: بلد بالبحرين.

(٩) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٣٣٢.

(قوم تناهت إليهم كل مخزية)

ومن أمرّ هجاء الأخطل وجيّده هجاؤه بني كليب بن يربوع حيث قال عبد الملك بن مروان لما سمعه: «إن لكل قوم شاعراً، وشاعر بني أمية الأخطل». والأبيات هي التالية[١]:

بئسَ الصّحابُ وبئسَ الشّربُ شربُهُمُ ... إذا جرى فيهمُ المُزّاء والسُّكُرُ[٢]
قوم تناهتْ إليهم كلُّ مخزيةٍ ... وكلُّ فاحشةٍ سُبّتْ بها مُضَر[٣]
الآكلونَ خبيثَ الزّادِ وحدَهُمُ ... والسّائلونَ بظهرِ الغيبِ ما الخبر

(لئيم العالمين يسود تيماً)

ومن أشهر شعراء الهجاء، بل قل إن الأخطل هو أهجى الشعراء في قوله هاجياً تيماً:

وكنتُ إذا لقيتُ عبيدَ تَيْمٍ ... وَتَيْماً قلتُ أيُّهُمُ العبيدُ
لئيمُ العالمينَ يسودُ تيماً ... وسَيِّدُهُم وإنْ كرهوا مسودُ[٤]

❖ جرير (ت ١١٠ هـ/٧٢٩ م)

(وليس الرأس كالذنب)

ومن أشد الهجاء مرارة، وهو غاية في الغنى والروعة هجاء جرير، الشاعر الأموي المشهور، لقوم من بني العنبر بن عمرو بن تميم، وكان نزل بهم فلم يقروه حتى اشترى منهم القرى فانصرف وهو يقول[٥]:

يا مالكُ بنَ طريفٍ إنَّ بيعَكُمُ ... رِمْز القرى مفسدٌ للدينِ والحسبِ
قالوا نبيعُكَهُ بيعاً فقلتُ لهم ... بيعوا المواليَ واستحيوا من العرب
لولا كرامُ طريفٍ ما غفرتُ لكم ... بيعي قراي ولا أنسأتكم غضبي[٦]
هل أنتُم غيرُ أوشابٍ زعانفةٍ ... ريش الذّنابى وليس الرأس كالذنبِ[٧]

(وبنو الهجيم سخيفة أحلامهم)

ومن الهجاء الجيد هجاء جرير بني الهجيم في شرههم وخسّة همتهم:

وَبنو الهجيم سخيفةٌ أحلامُهم ... ثُطُّ اللّحى متشابهو الألوانِ
لو يسمعونَ بأكلةٍ أو شربةٍ ... بعمانَ أضحى جمعُهم بعمانِ

---

(١) الأغاني ٢/ ١٧٥ ـ ١٧٦.
(٢) المزّاء: الخمرة التي فيها مزازة. وهنا يشير إلى عربدة القوم لدى الشراب. والشرب: جماعة الشاربين.
(٣) المخزية: العيب والسوء. ومضر: إحدى أكبر قبائل العرب.
(٤) الأغاني ٧/ ١٧٧.
(٥) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٢٧٢.
(٦) أنسأتكم، من النسيء، وهو تأخير الشهور.
(٧) الأوشاب، جماعة يدخلون في قوم وليسوا منهم.

متأبّطينَ بنيهمُ وبناتِهمْ صُغر الخدودِ لِريحِ كلِّ دخانِ[١]

(فلا كعباً بلغت ولا كلابا)

ومن أشهر أبيات الهجاء، بل من أبلغها وأشدها إيلاماً بيت جرير يهجو عبيد بن الحصين الراعي، وهو من بني نمير بن عامر بن صعصعة، وهم من جمرات العرب الثلاث: بنو نمير بن عامر، وبنو الحارث بن كعب، وبنو ضبة بن أدّ. وبلغ من شهرة هجاء جرير لبني عامر أن الرجل من هؤلاء إذا قيل له: ممن أنت؟ قال: نميري، كما ترى. إدلالاً بنفسه ونسبه. فلما قال جرير فيهم هذا البيت، صار الرجل منهم إذا قيل له: ممن أنت؟ يقول: عامري. ومرت امرأة بقوم من بني نمير فأحدوا النظر إليها فقال أحدهم: إنها لرشحاء، أي كثيرة العرق. فقالت: يا بني نمير، والله ما امتثلتم فيّ واحدة من اثنتين: لا قول الله عز وجل: **﴿قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم﴾**، ولا قول الشاعر:

فغضّ الطرف...

أما البيت الذي فضّل على غيره في الهجاء فهو التالي[٢]:

فغضَّ الطّرْفَ إنكَ مِن نُمَيْرٍ فلا كعباً بَلَغْتَ ولا كلابا[٣]

وأما البيت الذي يليه فهو لا يقل عن الأول فحشاً واحتقاراً، وهو التالي:

ولو جُعلتْ فِقَاحُ بني نميرٍ على خبثِ الحديدِ إذاً لذابا[٤]

❖ **خنزر بن أرقم**

(إلاّ وأنتم شهودها)

نزل بالراعي الشاعر، قوم من بني كلاب ليلاً في سنة مجدبة وقد غربت عن الراعي إبله فخر لهم ناقة من رواحلهم وأقراهم. فقال خنزر بن أرقم، واسمه الحلال وهو شاعر إسلامي مقل، يهجو الراعي وقومه ويعيرهم بأكل ناقة الضيف، وبأنهم أهل عيوب ونقائض وسوء[٥]:

بني قطنٍ ما بالُ ناقةِ ضيفِكمْ تَعَشَّوْنَ منها وهي ملقىً قتودُها[٦]

عدا ضيفُكم يمشي وناقةُ رحلهِ على طنب الفقماءِ ملقًى قديدُها[٧]

---

(١) الحيوان ١/ ١٤١.

(٢) زهر الآداب ١/ ٢١. وانظر البيت في: الديوان ص ٧٥. والعمدة ١/ ٣٦.

(٣) كعب هو ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وكلاب، أخوه.

(٤) الحيوان ١/ ١٤٢. والفقاح جمع فقحة، وهي حلقه الدّبر.

(٥) ديوان الحماسة ٢/ ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٦) بني قطين، أي: يا بني قطن، وهم قوم الراعي. وقتودها: جمع قتد، وهو خشب الرحل.

(٧) عدا: صار. والطنب: الحبل. والفقماء: لقب امرأة الراعي، وهي التي في فيها فقم. والقديد: اللحم المقطع طولاً، يجفف.

وباتَ الكلابيُّ الذي يبتغي القرى ... بليلةِ نحسٍ غابَ عنها سعودها[١]
أمَنْ ينقصُ الأضيافَ أكرم عادةً ... إذا نزل الأضيافُ أم من يزيدها
كأنكمُ إذا قمتُم تنحرونها ... براذينُ مشدودٌ عليها لبودها[٢]
فما فتحَ الأقوامُ مِن بابِ سوأةٍ ... بني قطنٍ إلا وأنتم شهودها

❖ عويف القوافي

(ألستم أقلّ الناس عند لوائهم)

ومن الهجاء الجماعي الرائع ما قاله عويف القوافي، وهو لقب له، واسمه عويف بن معاوية الفزاري الذبياني، شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية. يقول عويف في هؤلاء القوم المتأخرين عن الحرب لقلة شجاعتهم، وللؤمهم:

وما أمُّكم تحتَ الخوافق والقنا ... بثَكلى ولا زهراءَ مِن نسوةِ زُهْرِ
ألستمْ أقلَّ الناسِ عندَ لوائِهم ... وأكثرَهم عندَ الذّبيحةِ والقِدرِ[٣]

❖ بعضهم

(ولا تبغ من سعد وفاء ولا نصراً)

ومن الهجاء الجماعي الجيد ما قاله بعضهم في بني سعد هجاهم بالخلف وبقلة الوفاء والنجدة، والقصور عن بلوغ المجد وإن كانوا كثراً، وذوي جثث ضخام. يقول هذا الشاعر:

فكاثرْ بسعدٍ إنّ سعداً كثيرةٌ ... ولا تبغ مِن سعدٍ وفاءً ولا نصرا
ولا تدعُ سعداً للقراعِ وخلِّها ... إذا أمنتْ أو نعتَها البلدُ القفرا
يروعُكَ مِن سعدِ بنِ عمرَوٍ جسومُها ... وتزهدُ فيها حينَ تقتُلها خُبْرا[٤]

❖ عبد الرحمٰن بن الحكم

(لحا الله قيساً)

ومن جيد الهجاء الجماعي، وأكثره سيرورة وشهرة ما قاله عبد الرحمٰن بن الحكم بن أبي العاص، أخذ مروان بن الحكم، الشاعر الإسلامي الأموي. يقول عبد الرحمٰن

---

(١) القرى: الضيافة. وليلة النحس التي غاب عنها نحوسها، كناية عن ذهاب الخير عنها.
(٢) براذين: جمع برذون، وهو الفرس التركي، وهو مضرب المثل في الذم. ولبودها: شعرها المتلبد.
(٣) ديوان الحماسة ٢/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧. والخوافق: الرايات. والثكلى: من فقدت ولدها. والزهراء البيضاء، كناية عن الكريمة. ومعنى ذلك أن القوم يتأخرون عن الحرب لقلة شجاعتهم، فلا تفقدهم أمهم، وإن أمهم غير كريمة. كما يبين الشاعر أن القوم من أهل الأكل والشرب، لا من أهل الشجاعة واللقاء.
(٤) ديوان الحماسة ٢/ ٢٣٢. والقراع: المحاربة. ويروعك: يعجبك، ويريد الشاعر: أن يقول إن منظر سعد حسن، لكن مخبرهم قبيح.

هاجياً قيساً الذين أضاعوا ثغور المسلمين ثم أدبروا منهزمين، لأنهم ليسوا من رجال الحرب، بل هم رجال دعة وسكون:

لحا اللّهُ قيساً قيسَ عَيْلانَ إنّها ... أضاعتْ ثغورَ المسلمينَ وولّتِ
فشاولْ بقيسٍ في الطّعانِ ولا تكنْ ... أخاها إذا ما المشرفيّةُ سُلّتِ[1]

❖ رويشد الطائي

(فما فوق ذلّتكم ذلّة)

ومن الهجاء الجماعي الجيد والفاحش والمؤلم ما قاله رويشد بن كثير الطائي. أحد الشعراء المقلّين في العصر الجاهلي، في بني موقع الذين وضعهم في الذلة والمهانة، في أدنى موضع. يقول رويشد:

وَمُوقعُ تنطِقُ غيرَ السّدادِ ... فلا جيدَ جِزعُكِ يا مُوقعُ
فما فوقَ ذلّتِكم ذلّةٌ ... ولا تحتَ موضِعِكم موضعُ[2]

❖ ابن ميادة (ت ١٣٦ هـ/١٤٠ م)

(فسل عن بيوت الخضر خضر محارب)

ومن جيد الهجاء وأمضّه هجاء ابن ميادة، وهو الرماح بن أبرد، الشاعر الأموي، بني خضر المحاربي. يقول ابن ميادة[3]:

إذا سَلْتَ عن أبياتِ لؤمٍ ودقّةٍ ... فَسَلْ عن بيوتِ الخضرِ خضرِ محاربِ
ترى اللؤم في الخضريِّ قد تستبينه ... بمنزلةٍ بينَ اللّحى والحواجب
لقد ركبَ الخضريُّ منّي وتِربُه ... على مركبٍ منِ نابياتِ المراكب[4]

---

(١) ديوان الحماسة ٢/ ٢١٧ ـ ٢١٨. ولحا: لعن، وقبح. والثغور: جمع ثغر، وهو الموقع المتقدم الذي يخاف من العدو عليه. وشاول: مارس. والمشرفية: السيوف. وسلّت: جرّدت من أغمادها.

(٢) ديوان الحماسة ٢/ ٢٠٠. الجزع: الوادي. وجيد: سقي، من الجود، وهو المطر. وهنا يدعو الشاعر عليهم بالجدب وضيق العيش.

(٣) شعر ابن ميادة ص ٨٤ تحقيق حنا جميل حداد. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٢ م.
والأبيات مع اختلاف تجدها في:
ـ الشعر والشعراء، لابن قتيبة ٢/ ٢٧٧. تحقيق أحمد محمد شاكر. دار المعارف ١٩٥٨ م.
ـ أنساب الأشراف، للبلاذري ١٢/ ٤٩. مطبعة القدس ١٩٣٦ م.
ـ والأغاني ٢/ ٧٠٨. طبعة دار الشعب. القاهرة ١٩٦٩ م.

(٤) ومع هذه الأبيات تجد بيت ابن ميادة المشهور وهو:
سقتني سقاة المجد من آل ظالم ... بأرشية أطرافها في الكواكب

❖ ابن دارة

(لا تأمننّ فزار يا خلوت به)

ومن ألأم الهجاء وأفحشه ما هجا به سالم بن دارة، الشاعر الإسلامي بني فزارة، وكانوا يرمون بغشيان الإبل، فقال ابن دارة:

لا تـأمـنَـنَّ فـزاريّـاً خـلـوْتَ بـهِ ... عـلى قـلـوصِكَ واكـتُـبـها بـأسيارِ[١]

❖ عمارة بن عقيل

(لا آمن الله خوفكم)

ومن أشد الهجاء إيلاماً ما قاله عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير، الشاعر العباسي المقدّم في الفصاحة واللغة. يقول عمارة هاجياً بني منقذ، معيباً عليهم ذلتهم وصغارهم:

بـنـي مـنـقـذٍ لا آمـنَ الـلّـهُ خـوفَـكُـمْ ... وزادكـمُ ذلاً ورقّـةَ جـانـبِ

فـمـنْ يـرتـجـيـكـمْ بـعـدَ نـائـلـةَ الـتـي ... دعـتْ ويـلَـهـا لـمّـا رأتْ آثـارَ غـالـب

دعـتْـه وفـي أثـوابـهِ مِـن دمـائِـهـا ... خـلـيـطـا دمٍ مِـن ثـوبـهِ غـيـرِ ذاهـب[٢]

❖ أحدهم

(يمشون خلف عمير صاحب الباب)

ومن الهجاء الجيد الفكه والنادر ما أنشده أبو عثمان الجاحظ لأحدهم في قوم من بني بحر:

أمـا رأيـتَ بـنـي بـحـرٍ وقـد حـفـلـوا ... كـأنّـهـم خـبـزُ بـقّـالٍ وكُـتّـاب

هـذا طـويـلٌ وهـذا حـنـبـلٌ جَـحِـدٌ ... يمشون خلفَ عُميرٍ صاحبِ البابِ[٣]

❖ رجل قيسي

(وأسدكم ككلاب العرب)

ومن الهجاء المقذع الفاحش ما قاله رجل من عبد القيس في هجاء باهلة:

أبـاهـلَ يـنـبـحُـنـي كـلـبُـكُـمْ ... وأُسْـدُكُـمُ كـكـلابِ الـعـربْ

ولـو قـيـلَ لـلـكـلـبِ يـا بـاهـلـيُّ ... عـوى الـكـلـبُ مِـن لَـؤمِ هـذا الـنّـسبْ[٤]

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٦٥. والأسيار: جمع سير، وهو الجلد الذي يشد به الحذاء.

(٢) ديوان الحماسة ٢/ ١٨٠. ونائلة، في البيت الثاني، اسم امرأة من بني منقذ تزوجت بقاتل أخيها فعيّرهم الشاعر بذلك. وغالب في البيت نفسه، هو أخوها القتيل. وخليطا الدم، في البيت الثالث هما: دم أخيها القتيل، ودم عذرتها.

(٣) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٣٠٣.

(٤) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٢٧. والحنبل: القصير الضخم البطن. والجحد: الضيّق القليل الخير.

الباب الثالث

الهجاء المختلف

❖ عارق الطائي

(وبئس الشيمة الغدر بالعهد)

ومن جيد الهجاء هجاء عارق، قيس بن جروة الطائي، وهو شاعر جاهلي، وقيل إن هذا الشعر لشرملة بن شعاث الأجئي، لعمرو بن هند، ملك المناذرة، وكان هذا قد توعده وتهدده، يهجوه عارق بالغدر والنكث بالعهد فيقول[١]:

مَن مبلغٌ عمروَ بنَ هندٍ رسالةً ... إذا استحقبتْها العيسُ تُنضي مِنَ البُعدِ[٢]
أيوعدُني والرملُ بيني وبينَهُ ... تَبيَّنْ رويداً ما أُمامةُ مِن هِند[٣]
ومِن أجإٍ حولي رعانٌ كأنّها ... قنابلُ خيلٍ من كُميْتٍ ومِن وَرد[٤]
غدرتَ بأمرٍ كنتَ أنتَ دعوْتَنا ... إليهِ وبئسَ الشّيمةُ الغدرُ بالعهد[٥]
وقد يتركُ الغدرَ الفتى وطعامُه ... إذا هو أمسى حَلْبةً مِن دمِ الفصد[٦]

(لكسا الوجوه غضاضة وهوانا)

وقريب من هذا الهجاء هجاؤه المناذرة قوم عمرو بن هند؛ ويقارن الشاعر بينهم وبين أولاد جفنة، أي الغساسنة، فإذا هم أشرف وأجلّ وأسمح طبعاً وخلقاً. يقول عارق مخاطباً وهاجياً:

والـلّهِ لو كانَ ابنُ جفنةَ جارَكمْ ... لَكَسا الوجوه غضاضةً وهوانا
وسلاسلاً يثنينَ في أعناقِكم ... وإذاً لقطعَ تلكمُ الأقرانا
ولكانَ عادتُهُ على جاراتِه ... مِسكاً ورَيْطاً رادعاً وجِفانا[٧]

❖ النابغة الذبياني (ت حوالي ٦٠٤ م)

(جمّع محاشك يا زيد)

كان يزيد بن سنان بن أبي حارثة يمحش المحاش، أي الأقوام الذين ينتمون إلى قبائل شتى، على يربوع بن غيظ بن مرة رهط النابغة الذبياني، أحد أبرز شعراء الجاهلية، ثم أخرجهم يزيد إلى بني عذرة بن سعد وكلهم يقول: إن النابغة وأهل بيته

---

(١) ديوان الحماسة ٢/ ١٩٨ ـ ١٩٩.
(٢) استحقبتها: حملتها في الحقائب. والعيس: النياق والإبل. وتنضي: تهزل.
(٣) تبيّن: تحقّق وتمهل. وأمامة: أم الشاعر. وهند، أم الملك.
(٤) أجأ: جبل لطيء. والرعان، جمع رعن، وهو أنف الجبل. والقنابل: الجماعات من الخيل. والكميت، صفة للفرس، وكذلك الورد.
(٥) الشيمة: الطبع.
(٦) الفصد: استخراج الدم من الشريان. وكانوا يفعلون ذلك في سنة الجدب. وهنا يحث الشاعر الملك على ترك الغدر.
(٧) ديوان الحماسة ٢/ ١٨٦. والغضاضة: الذل. ويثنين: يعطفن ويلوين. والأقران: الحبال. كناية عن تبديد الجمع. والريط: الثوب والملاءة. والجفان: قصاع الطعام، والرادع: المتغير لونه بالطيب.

من قضاعة، وكانت قضاعة تحولت إلى اليمن، ثم من عذرة، ثم من ضنّة، وقال يزيد معيراً النابغة:

إني امرؤ من صلب قيس ماجد لا مدّع حسباً ولا مستنكر فقال النابغة هذه الأبيات الهجائية الرائعة رداً عليه:

جمّعْ محاشَكَ يا يزيدُ فإنّني ... أعددْتُ يربوعاً لكمْ وتميما
ولحقت بالنسبِ الذي عيّرْتَني ... وتركت أصلَكَ يا يزيدُ ذميما
عيّرتَني نسبَ الكرام وإنما ... فخرُ المفاخرِ أنْ يُعدَّ كريما
حدبتْ عليَّ بطونُ ضِنَّةَ كلُّها ... إنْ ظالماً فيهم وإنْ مظلوما
لولا بنو عوفِ بنِ بُهثةَ أصبحتْ ... بالنّعفِ أمُّ بني أبيك عقيما[1]

(ثم لاَ يرزأ العدوّ فتيلاً)

وفي هجاء النعمان بن المنذر، ملك المناذرة، يقول النابغة من جيد الهجاء[2]:

حدِّثوني بني الشّقيقةِ ما يمنعُ ... فقْعاً بقرقرٍ أنْ يزولا
قبّح اللّهُ ثم ثنّى بلعنِ ... وارثَ الصائغِ الجبانَ الجهولا
من يضرُّ الأدنى ويعجزُ عن ... ضرِّ الأقاصي ومن يخونُ الخليلا
يجمعُ الجيشَ ذا الألوفِ ويغزو ... ثم لا يرزأُ العدوَّ فتيلا

(ولكن لا أمانة لليمان)[3]

ومن أبيات النابغة الرائعة في الهجاء، قوله يهجو يزيد بن عمرو بن الصعق الكلابي، وكان هذا قد افتخر على الشاعر وعرّض به وتهدده وتوعده. يقول النابغة:

لَعمرُكَ ما خشيتُ على يزيدٍ ... من الفخرِ المضلّلِ ما أتاني
كأنّ التاجَ معصوباً عليه ... لأذوادٍ أصبْن بذي أبانِ
فحسبُكَ أن تهاضَ بمحكماتٍ ... يمرّ بها الرّويُّ على لساني

---

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ١٣٠ ـ ١٣١. ويربوع وتميم: قبيلتان عربيتان، وهما من رهط النابغة. وحدبت: اجتمعت وعطفت. وضنّة، قبيلة من قضاعة ثم من عذرة. وقوله: لولا بنو عوف.. يشير فيه الشاعر إلى يوم قراقر، أذ يعيّر يزيد به.

(٢) الديوان ص ١٣٤ ـ ١٣٥. وبنو الشقيقة: قوم النعمان، ملك المناذرة. والشقيقة واحدة شقائق النعمان، الزهر المعروف المنسوب إلى النعمان. والفقع: الكمأة البيضاء الرخوة. والقرقر: الأرض المنخفضة. ويرزأ: يصيب بضرر. والمعروف عن أم النعمان أنها كانت ابنة صائغ في يثرب. والعرب كانت تعيّر بكل ذي مهنة.

(٣) الديوان ص ١٣٦ ـ ١٣٨. والأذواد، جمع ذود، وهو النوق من ثلاث إلى عشر. وذي أبان: اسم موضع أصاب فيه يزيد عصافير النعمان ونياقه. وتهاض: تكسر. ومحكمات: أبيات الشعر المحكمة السبك. والروي: القافية. وشجاني: أحزنني. ونزر: قلّ. وأثرت: هيّجت. والأزبّ: البعير ذو الشعر الكث، ويتصف بالنفور والهياج. والظعان: حبال الهودج. ونجيع الجوف: الدم الخالص. والآني: الحار الساخن.

فقبلَكَ ما شتمتُ وقاذعوني ... فما نزرَ الكلامُ ولا شجاني
أثرتَ الغيَّ ثم نزعتَ عنه ... كما حادَ الأزبُّ عنِ الظِّعان
وتخضبُ لحيةً غدرتْ وخانتْ ... بأحمرَ مِن نجيعِ الجوفِ آني
وكنتَ أمينه لو لم تخنْهُ ... ولكنْ لا أمانةَ لِليمانِ

❖ الفرزدق (ت ١١٠ هـ/٧٢٩ م)

(إن اللئيم عن المكارم يشغل)

يعد الفرزدق وجرير والأخطل من أشهر شعراء الهجاء في العصر الأموي، بل في عصور الأدب العربي قاطبة. ولقد تميز هجاء الفرزدق خاصة، بغلبة الطابع القبلي عليه، وبالفحش والإقذاع والقوة والاندفاع. وإن منه هذا الهجاء الذي هو من نوع النقائض لجرير، خصمه التقليدي. يقول الفرزدق:

إنَّا لَننضربُ رأسَ كلِّ قبيلةٍ ... وأبوكَ خلفَ أتانِه يتقمّلُ
وشُغلتَ عن حسبِ الكارمِ وما بَنَوْا ... إنَّ اللئيمَ عنِ المكارمِ يُشغلِ
إنّ التي فُقئتْ بها أبصاركُم ... وهي التي دفعتْ أباكَ الفَيصلُ[1]

(لقد آبت وفود بني تميم)

وثمة بيت في الغاية من الروعة، قاله الفرزدق في بني فقيم الذي خرجوا يوماً يطلبون دماً لهم في قوم، فصالحوا منه على دية، فاعتبرها الفرزدق مساومة منهم، وضعةً في الشرف البدوي، فقال فيهم:

لقدْ آبتْ وفودُ بني فُقَيْمٍ ... بآلمِ ما تؤوبُ بهِ الوفودُ[2]

(أتأكل ميراث الحتات ظلامة)

ومن الهجاء الجيد البليغ، والغاية في التحدي والجرأة ما قاله في معاوية، بن أبي سفيان، وكان هذا قد استعاد مالاً للحتّات، عمّ الفرزدق، على غير حق. فبادر الفرزدق إلى تعنيف الخليفة الأموي بأبيات هجائية جريئة منها قوله:

أتأكلُ ميراثَ الحتاتِ ظلامةً ... وميراثُ حربٍ جامدٌ لكَ ذائبُهْ
أبوك وعمّي يا معاويَ أورثا ... تراثاً فيجتازُ التراثَ أقاربُه
فلو كانَ هذا الدينُ في جاهليةٍ ... عرفتَ مَن المولى القليلُ حلايبُه
ولو كان هذا الأمرُ في غيرِ ملكِكم ... لأبديتَه أو غصَّ بالماءِ شاربه

---

(١) الفرزدق. لخليل شرف الدين ص ١٠٢ ـ ١٠٣. ودمغت: أصابت دماغه، وفقئت: ذهب بصرها. والفيصل: الضربة القاطعة، إشارة إلى قصيدته المسّماة بالفيصل.
(٢) المرجع نفسه ص ١٥.

وكم مِن أبٍ لي يا معاويَ لم يكنْ أبوك الذي من عبدِ شمسٍ يُقاربُه[١]

(وشر الشعر ما قال العبيد)

ومن الهجاء المرّ هجاء الفرزدق نصيّباً، وكان أنشد هذا أبياتاً يمدح بها سليمان بن عبد الملك، فأثابه عليها بخمسمائة دينار، مما أغضب الفرزدق الذي لم ينل شيئاً من مدحه سليمان، فقال معيراً نصيباً بالرّق والعبودية، وكان مولى حبشياً لبني كعب:

وخيرُ الشعرِ أكرمُه رجالاً وشرُّ الشّعرِ ما قالَ العبيدُ[٢]

(وعيناً له حولاء باد عيوبها)

ومن الهجاء المقذع هجاء الفرزدق هشام بن عبد الملك وكان أحول. يقول الشاعر:

يقلّبُ رأساً لم يكنْ رأسَ سيّدٍ وعيناً له حولاءَ بادٍ عيوبُها[٣]

❖ الراعي (ت ٩٠ هـ/٧١٠ م)

(لو كنت من أحد يهجى هجوتكم)

ومن أمضّ الهجاء وآلمه وأوجعه، ويعتبر غاية في الروعة قول الراعي، وهو عبيد بن الحصين النميري العامري، وأحد شعراء الهجاء المعدودين في العصر الأموي، يهجو عدي بن الرقاع العاملي[٤]:

يا مَنْ تَوَعَّدَّني جهلاً بكثرتِه متى تهددُني بالعزِّ والعددِ
أنتَ امْرؤٌ نالَ مِن عرضي وغرّتُهُ كغرّةِ العيرِ يرعى تلعةَ الأسدِ[٥]
لو كنتَ مِن أحدٍ يُهجى هجوتُكُمُ يا ابنَ الرقاعِ ولكنْ لستَ مِن أحد
تأبى قضاعةُ أن ترضى بكم نسباً وابْنا نزارٍ فأنتمْ بيضةُ البلدِ[٦]

(وكيف يشاتم الناس الكلابا)

ومن الهجاء المقذع ما قاله الراعي في جرير، وقومه. وقد تنسب هذه الأبيات لغير الراعي، ومنهم أبو حنش النميري. والأبيات هي التالية:

رأيتُ الجحشَ جحشَ بني كُلَيبٍ تيمّمَ حولَ دجلةَ ثم هابا
ولولا أن يقالَ هجا نُميراً ولم تسمعْ لشاعرِها جوابا

---

(١) الفرزدق ص ٢٤. وحرب، في البيت الأول، هو حرب بن أمية بن عبد شمس، جد معاوية. وحلايبة، في البيت الثاني: أنصاره.
(٢) المرجع نفسه ص ٢٧.
(٣) الفرزدق، ص ٣٠.
(٤) زهر الآداب ١/ ٤٧.
(٥) العير: الحمار. والتلعة: الرابية.
(٦) قضاعة، إحدى أشهر قبائل العرب. ونزار مثلها.

رغبْنا عن هجاءِ بني كليبٍ وكيف يُشاتِمُ الناسُ الكلابا[١]

❖ بشّار بن برد (ت ١٦٦ هـ/٣٨٣ م)

(بني أمية هبّوا من رقادكم)

عرف بشار بن برد، الشاعر الأموي العباسي المشهور، ومن أوائل الشعراء المطبوعين، بخبث لسانه، وبإقذاعه في الهجاء، وكان أعمى. قيل إنه حضر يوماً حلقة يونس بن حبيب فقال: هل هنا من يدفع خبراً؟ فقالوا: لا. فأنشدهم:

بني أميّة هبُّوا مِن رقادِكمُ إنّ الخليفة يعقوبُ بن داودِ
ليس الخليفةُ بالموجود فالْتمسوا خليفة اللّهِ بينَ النّاي والعودِ[٢]

(والطين لا يسمو سموّ النار)

وبشّار، هذا، هو صاحب البيتين الهجائيين المشهورين، وفيهما يهجو آدم أبا البشر، ويهجو الناس أجمعين، وكان يرمى بالزندقة، وهما في غاية الجرأة، والصلافة، وإن أرضيانا فنياً.

يقول بشار:

إبليسُ أفضلُ مِن أبيكمْ آدم فتبيّنوا يا معشر الأشرارِ
النارُ عنصرُه وآدمُ طينةٌ والطينُ لا يسمو سُمُوَّ النارِ[٣]

❖ دعبل (ت ٢٤٦ هـ/٨٦٠ م)

(خرق على جلسائه)

من أشهر شعراء الهجاء أبو علي دعبل بن علي الخزاعي، الشاعر العباسي المعروف، الذي لم يسلم من هجائه أحد من الخلفاء ولا من الوزراء.

عرف دعبل بهجائه المقذع والساخر معاً، وهو يتميز بالطرافة والجدة حيناً، وبالتقليد حيناً آخر. كما أن هجاءه يصدر عن نفس ثائرة، وهذا لا يخلو من نزعة أخلاقية واجتماعية. قال يهجو أبا عباد ثابت بن يحيى الكاتب:

أولى الأمور بضيعةٍ وفساد أمرٌ يدبّره أبو عبّادِ
خرقٌ على جلسائهِ فكأنّهم حضروا لِملحمةٍ ويومِ جلاد
يسطو على كُتّابهِ بدواتهِ فمرمّلٌ ومضمّخٌ بمداد
فكأنه مِن دير هزقلَ مُفلتٌ حردٌ يجرُّ سلاسلَ الأقياد

---

(١) زهر الآداب ١/ ٢٢. وانظر: مجلة معهد المخطوطات العربية ص ٤١٥ ـ ٤٢٠. مجلد ٣٠ ج ١ الكويت ١٩٨٦م.
(٢) رسالة الغفران، ص ٢١٥. ويعقوب بن داود، هو وزير الخليفة العباسي، المهدي، تحامل على بشار حتى قتل.
(٣) المصدر نفسه ص ١٠٥.

فاشدَد أمير المؤمنين وَثاقَهُ فأصحُّ منه بقية الحداد[١]

(ضلّ عن المنشود والناشد)

ومن جيد هجائه هجاؤه أبا سعد المخزومي، وهو من أفحش الهجاء:

إنّ أبا سعدٍ فتىً شاعرُ يُعرفُ بالكنية لا الوالدِ
يَنشدُ في حيّ مَعَدٍّ أباً ضلّ عن المنشودِ والناشدِ
فرحمةُ اللّه على مسلم أرشدَ مفقوداً إلى فاقد[٢]

(فقس علىّ الغائب بالشاهد)

ونظيره إقذاعاً وفحشاً هجاء صالح بن عطية الأضجم:

أحسنُ ما في صالح وجههُ فقِسْ على الغائب بالشاهد
تأمّلتْ عيني له خِلقةً تدعو إلى تزنيةِ الوالدِ[٣]

(كأنك قد أكلت بها مضيرة)

ومن جيد هجائه الساخر ذاك الذي قاله في صاحب لحية طويلة:

يُلوّثُ لحيةً عرضتْ وطالتْ ويمرثُها كتمريتِ الخميرةْ
فيا لكِ لحيةً وَضَري وشيباً كأنك قد أكلت بها مضيرةْ[٤]

(وخبز أبي عمران في أحرز الحرز)

ومثله ذاك الذي يهجو به أبا عمران، وكان يعرف بالبخل، وهو من الهجاء المقذع:

رأيتُ أبا عمرانَ يبذلُ عرضَه وخبز أبي عمران في أحرز الحرز
يحن إلى جاراته بعد شبعه وجاراته غرثى تحنّ إلى الخبز[٥]

(فحتى السلح منك عليه بخل)

ونظيره الذي قاله في بخيل آخر:

أتقفلُ مطبخاً لا شيءَ فيه مِن الدنيا يُخافُ عليه أكلُ
فهذا المطبخُ استوثقتَ منه فما بالُ الكنيفِ عليه قفلُ
ولكنْ قد بخلتَ بكل شيء فحتى السلحُ منك عليه بخلُ[٦]

---

(١) شعر دعبل بن علي الخزاعي. تحقيق عبد الكريم الأشتر. مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق. والخرق: الأحمق. ودير هزقل، دير معروف يقع بين البصرة وعسكر مكرم. والحرد من الأتن، العاصي غير المذلّل.
(٢) المصدر نفسه ص ١٠٣ ـ ١٠٤. ومعد: من قبائل العرب الكبرى.
(٣) المصدر نفسه ص ١٠٥.
(٤) ديوان دعبل ص ١٣٠. يمرثها: يعجنها. وضرى: وسخة. والمغيرة، نوع من الطعام يصنع من اللبن الحامض واللحم.
(٥) المصدر نفسه ص ١٣١. غرثى: جائعة.
(٦) المصدر نفسه ١٦٧. الكنيف: المرحاض. والسلح: الغائط.

(والمفاتيح عند ميكائيل)

وهجا بخيلاً ثالثاً، فقال:

إن هذا الفتى يصونُ رغيفاً ... ما إليه لِناظرٍ مِن سبيلِ
هو في سُفْرتيْن من أدمٍ ... الطائفِ في سلّتين في منديلِ
خُتمتْ كلُّ سلّةٍ برصاصٍ ... وسيورٍ قُدذنَ مِن جلدِ فيلِ
في جرابٍ في جوفِ تابوتِ موسى ... والمفاتيحُ عندَ ميكائيل[1]

(ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب)

ومن بليغ هجائه وأروعه هجاؤه الخليفة العباسي المعتصم، حيث يقول:

ملوكُ بني العباسِ في الكتْبِ سبعةٌ ... لم تأتِنا عن ثامنٍ لهمُ كُتُبُ
كذلك أهلُ الكهفِ في الكهفِ سبعةٌ ... خيارٌ إذا عُدُّوا وثامنهُم كلب
وإني لأُعلي كلبَهم عنك رفعةً ... لأنك ذو ذنبٍ وليس له ذنبُ[2]

(خليفة مات لم يحزن له أحد)

ومنه أيضاً هذا الهجاء البليغ في المعتصم والواثق معاً؛ قال هذا لما مات المعتصم، وقام الواثق بعده:

الحمدُ للّهِ لا صبرٌ ولا جلدُ ... ولا عزاءٌ إذا أهلُ البلا رقدوا
خليفةٌ مات لم يحزن له إحدٌ ... وآخرٌ قام لم يفرحْ بهِ أحدُ[3]

(ونبئت كلبا من كلاب يسبني)

وهجا عمرو بن عاصم الكلابي، فقال فيه:

ونُبّئتُ كلباً من كلابٍ يسبُّني ... ومرُّ كلابٍ يقطعُ الصَّلَوَاتِ
فإنْ أنا لم أعلمْ كلاباً بأنّها ... كلابٌ وإني باسلُ النّقماتِ
فكان إذنْ مِن قيسِ عيلانَ والدي ... وكانت إذن أمّي منَ الحبِطاتِ[4]

(عبثاً تمارس بي)

وفي هجاء العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث يقول دعبل:

ما جعفرُ بنُ محمد بنِ الأشعثِ ... عندي بخيرِ أُبُوّةٍ من عشعثِ
عبثاً تمارسُ بي تمارس حيّةً ... سوّارةً إنْ هِجتَها لم تلبثِ

---

(١) المصدر نفسه ص ١٧٤. الأدم: الجلد. وتابوت موسى، هو تابوت السكينة الذي وضعت فيه ألواح التوراة. وميكائيل، اسم ملك من الملائكة.
(٢) الأغاني ١٨/ ٤٠.
(٣) الأغاني ١٨/ ٤١.
(٤) شعر دعبل، ص ٨٢.

لو يعلمُ المغرورُ ماذا حاز مِنْ خزي لوالدِه إذن لم يعبث[١]

(ولكن لا أرى أحداً)

وفي هجاء الناس يقول:

ما أكثرَ الناسِ لا بل ما أقلَّهم اللَّهُ يعلمُ أنّي لم أقلْ فنَدا
إني لأفتحُ عيني حينَ أفتحُها على كثيرٍ ولكنْ لا أرى أحدا[٢]

(صدئت بقربهم العقول)

وفي معشر ثقلاء قال:

إني أجالسُ معشراً نُوكى أخفُّهم ثقيلُ
قومٌ إذا جالستَهم صدئتْ بقربهمِ العقول
لا يُفهمونِي قولَهم ويدقُّ عنهم ما أقول
فهمُ كثيرٌ بي وأعلم أنني بهمُ قليل[٣]

❖ **المتنبي (ت ٣٥٤ هـ/٩٦٥ م)**

(فالحر مستعبد والعبد معبود)

من أبلغ شعر الهجاء، وأشده سخطاً وازدراء واحتقاراً للمهجو، هجاء أبي الطيب المتنبي، الذائع الصيت، وأحد أبرز شعراء العصر العباسي، في كافور الأخشيدي، ولا سيما في قصيدته الدالية المشهورة.

كان المتنبي قد طمع بولاية يوليها إياه كافور الأخشيدي، حاكم مصر، وكان أسود اللون، فظل يماطل الشاعر، ويمنّيه وعوداً كاذبة، حتى آنس فرصة منه فهرب من مصر تاركاً وراءه هذه الأبيات الهجائية المقتطفة من قصيدته الرائعة التي بدأها بمطلع وجداني حزين، والتي تناول فيها بالهجاء كافوراً والمصريين. يقول أبو الطيب[٤]:

إني نزلتُ بكذّابينَ ضيفُهُمُ عنِ القِرى وعنِ التّرحالِ محدودُ[٥]
جودُ الرجالِ من الأيدي وجودُهُم مِن اللسانِ فلا كانوا ولا الجود
ما يقبضُ الموتُ نفساً مِن نفوسهم إلاّ وفي يدهِ من نَتْنِها عود
أكلّما اغتالَ عبدُ السوءِ سيّدَه أو خانه فله في مِصرَ تمهيد[٦]

---

(١) المصدر نفسه ص ٨٣.
(٢) المصدر نفسه ص ٩٧.
(٣) المصدر نفسه ص ٣١٥.
(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي، ص ١٢٣ ـ ١٢٤.
(٥) القرى: الضيافة. ومحدود: ممنوع. إشارة إلى منع الشاعر من مغادرة مصر والتضييق عليه من قبل أعوان كافور.
(٦) إشارة إلى قتل كافور سيّده، واستلام الحكم من بعده.

صار الخصيُّ إمامَ الآبقينَ بها ... فالحرُّ مستعبدٌ والعبدُ معبود[١]
نامتْ نواطيرُ مصرٍ عن ثعالِبها ... فقد بشمْنَ وما تفنى العناقيد[٢]
العبدُ ليسَ لِحُرٍّ صالحٍ بأخٍ ... لو أنه في ثيابِ الحرِّ مولود
لا تشترِ العبدَ إلاّ والعصا معه ... إنّ العبيدَ لأنجاسٌ مناكيد[٣]
ما كنتُ أحسبُني أحيا إلى زمنٍ ... يُسيءُ بي فيه عبدٌ وهْو محمود
ولا توهّمْتُ أنّ الناسَ قد فُقِدوا ... وأنَّ مثلَ أبي البيضاءِ موجود[٤]
وأنّ ذا الأسودَ المثقوبَ مِشفرُهْ ... تُطيعُه ذي العضاريطُ الرعاديد[٥]
جَوْعانُ يأكلُ مِن زادي ويُمسكُني ... حتى يقالَ: عظيمُ القدرِ مقصود
وَيْلُمِّها خطّةً ويْلمِّ قابلِها ... لمثلِها خُلقَ المهريّةُ القُود[٦]
وعندها لذَّ طعمَ الموت شاربه ... إنَّ المنيَّة عندَ الذُّلِ قِنديد[٧]
مَنْ علّم الأسودَ المخصيّ مَكرمةً ... أقَوْمُه البيضُ أم آباؤُه الصِّيد[٨]
أم أُذْنُه في يدِ النخّاسِ دامية ... أم قَدرُه وهْو بالفلسْينِ مردود[٩]
أوْلى اللئامِ كُوَيْفيرٌ بمعذرةٍ ... في كلِّ لؤمٍ وبعضُ العذرِ تفنيد[١٠]
وذاك أنَّ الفحولَ البيضَ عاجزةٌ ... عن الجميلِ فكيفَ الخِصيةُ السّود

❖ ابن المبارك

(والشر دانٍ من جميع جهاتها)

ومن غريب الهجاء هجاء علي بن محمد بن المبارك المعروف بابن الأعمى، لداره التي كان يسكنها حيث يقول:[١١]

دارٌ سكنتُ بها أقلُّ صفاتِها ... أن تكثرَ الحشراتُ في جنباتِها

---

(١) الخصي: العبد المنزوع منه خصيتاه. والآبقين، جمع آبق، وهو العبد الهارب من سيده.
(٢) نواطير مصر، كناية عن سادتها وأشرافها. والثعالب، كناية عن العبيد والأرذال. والعناقيد، كناية عن خيرات مصر. وبشمن: شبعن حتى التخمة.
(٣) مناكيد، جمع منكود، وهو السيء الحظ، القليل الخير.
(٤) أبي البيضاء، كناية عن كافور الأسود اللون، وذلك هزءاً به.
(٥) مشفره: شفته. والمشفر في الإصل للبعير. والعضاريط، جمع عضروط وهو الحقير الذي يخدم بطعامه. والرعاديد: الجبناء، جمع رعديد.
(٦) ويلمها، أي ويل لأمها. والخطة: الطريقة. والمهرية: الإبل المنسوبة، إلى بلاد مهرة. والقود: الطوال الظهور. أي أن الإبل السريعة خلقت لهذه الحالة بقصد الفرار.
(٧) القنديد: العسل، والسكر المستخرج من قصب السكر.
(٨) الصيد، جمع أصيد، وهو السيد الكريم.
(٩) النخاس: بائع العبيد.
(١٠) كويفير: تصغير كافور، للتحقير. والتفنيد: التقريع.
(١١) المستطرف من كل مستظرف ٢/ ٧ ـ ٩. دار الكتب العلمية. ط ١. بيروت ١٩٨٣.

الخيرُ عنها نازحٌ متباعدٌ ... والشرُّ دانٍ مِن جميعِ جهاتها
مِن بعضِ ما فيها البعوضُ عدمْتهُ ... كم أعدم الأجفانَ طيبُ سناتِها
وتبيتُ تسعدُها براغيثٌ متى ... غنّتْ لها رقصتْ على نغماتِها
رقصٌ بتنقيطٍ ولكن قافُه ... قد قُدّمتْ فيه على أخواتها
وبها ذبابٌ كالضّبابِ يسدُّ ... عينَ الشمسِ ما طربي سوى غنّاتها
أين الصوارمُ والقنا من فِتكها ... فينا وأين الأُسْدُ مِن وثباتها
وبها من الخطّافِ ما هو معجزٌ ... أبصارَنا عن وصفِ كيفيّاتها
وبها خفافيشٌ تطيرُ نهارَها ... مع ليلِها ليستْ على عاداتها
وبها من الجرذانِ ما قد قصّرتْ ... عنه العتاقُ الجردْ في حملاتها
وبها خنافسُ كالطنافسِ أفرشت ... في أرضِها وعلتْ على جنباتها
لو شمَّ أهلُ الأرضِ منتنَ فسوِها ... أردى الكماةُ الصيدُ عن صهواتها
وبناتُ وردانٍ وأشكالٌ لها ... ممّا يفوتُ العينَ كنُه ذواتها
أبداً تمصُّ دماءَنا فكأنها ... حجّامةٌ لبدتْ على كاساتها
وبها مِنَ النملِ السليمانيّ ما ... قد قلَّ ذرُّ الشمسِ عن ذرّاتها
ما راعني شيءٌ سوى وزغانِها ... فتعوّذُوا باللّهِ من لدغاتها
سجعتْ على أوكارِها فظننتُها ... وُزِقَ الحمامِ سجعنَ في شجراتها
وبها زنابيرٌ تظنُّ عقاربا ... حرُّ السّمومِ أخفُّ مِن زفراتها
وبها عقاربُ كالأقاربِ رُتَّعٌ ... فينا محاناَ اللّهُ لدغ حماتها
كيف السبيلُ إلى النجاةِ ولا نجاةَ ... ولا حياةَ لمن رأى حيّاتها
منسوجة بالعنكبوتِ سماؤُها ... والأرضُ قد نسجتْ على آفاتها
فضجيجُها كالرّعد في جنباتِها ... وترابُها كالرّمل في خشناتها
والبومَ عاكفةٌ على أرجائِها ... والدودُ يبحث في ثرى عرصاتها
والجنُّ تأتيها إذا جنَّ الدجى ... تحكي الخيولَ الجُرْدَ في حملاتها
والنارُ جزءٌ من تلهّبِ حرِّها ... وجهنّمٌ تُعزى إلى لفحاتها
شاهدْتُ مكتوباً على أرجائِها ... ورأيتُ مسطوراً على جنباتها
لا تقربوا منها وخافوها ولا ... تلقوا بأيديكمْ إلى هلكاتها
أبداً يقولُ الداخلون ببابها ... يا ربِّ نجِّ الناسَ من آفاتها
قالوا إذا ندبَ الغرابُ منازلاً ... يتفرق السكانُ من ساحاتها
وبدارِنا ألفا غرابٍ ناعقٍ ... كذبَ الرواةُ فأينَ صدقُ رواتها
دارٌ تبيتُ الجنُّ تحرسُ نفسها ... فيها وتندبُ باختلافِ لغاتها
كم بتُّ فيها مفرداً والعينُ من ... شوقِ الصباحِ تسحُّ مِن عبراتها

وأقـولُ يـا ربَّ الـسـمـواتِ الـعـلا ... يـا رازقـاً لـلـوحـشِ فـي فـلـواتـهـا
أسـكـنـتَـنِـي بـجـهـنـم الـدنـيـا ففـي ... أخـرايَ هـبْ لـي الـخـلـدَ في جـنـاتـهـا
واجـمـعْ بـمـنْ أهـواه شَـمـلـي عـاجـلاً ... يـا جـامـعَ الأرواحِ بـعـدَ شـتـاتِـهـا

❖ حافظ إبراهيم (ت ١٩١٨ م)

(كأنها أول إبريل)

شاعر مصري مشهور، عاصر شوقي وخليل مطران، وأطلق عليه لقب شاعر النيل؛ شعره يتميز بالجزالة وخصب القريحة. وله ديوان يتضمن مختلف الأغراض الشعرية، ولا سيما المدائح والتهاني.

وفيه حظ من الهجاء الجيد الذي لا يخلو من نكتة وطرافة وسخرية. ومن هذا القبيل هجاؤه الصحافة المصرية. يقول حافظ:[١]

جـرائـدُ مـا خُـطَّ حـرفٌ بـهـا ... لِـغـيـرِ تـفـريـقِ وتـضـلـيـلِ
يـحـلـو بـهـا الـكِـذْبُ لأربـابِـهـا ... كـأنـهـا أولُ إبـريـلِ[٢]

(عطلت فن الكهرباء)

ومن هجائه الطريف هجاؤه رجلاً عظيم البطن ضخم الجثة. يقول حافظ[٣]:

عَـطَّـلْـتَ فـنَّ الـكـهـربـاءِ فـلـم نـجـدْ ... شـيـئـاً يـعـوقُ مـسـيـرَهـا إلاّ كـا
تـسـري عـلـى وجـهِ الـبـسـيـطـةِ لـحـظـةً ... فـتـجـوبُـهـا وتـحـارُ فـي أحـشـاكـا

(ولا يخاف عليها سطوة اللهب)

ومن هجائه الطريف أيضاً، والذي لا يخلو من إثارة، قوله في ثقيل[٤]:

أديـمُ وجـهِـكَ يـا زنـديـقُ لـو جُـعـلـتْ ... مـنـه الـوقـايـةُ والـتـجـلـيـدُ لـلـكُـتُـب[٥]
لـم يـعـلُـهـا عـنـكـبـوتٌ أيـنـمـا تُـركـت ... ولا يُـخـافُ عـلـيـهـا سـطـوة الـلّـهـب

❖ أحمد الصافي النجفي

(ولكن لا أطيق أرى الطغاما)

من أشهر الشعراء المعاصرين. ولد بالنجف في العراق وتلقى علوماً دينية وعصرية. وما لبث أن ترك موطنه ليجول في عدد من الأقطار العربية حتى استقر به المقام في لبنان. عرف بحدة طبعه وبمزاجه الخاص. زهد في الحياة ومال إلى الوحدة والعزلة.

---

(١) ديوان حافظ إبراهيم ١/ ١٥٩. شرح أحمد أمين ـ أحمد الزين ـ إبراهيم الإبياري. بيروت ١٩٦٩ م.
(٢) إشارة إلى ما يطلقه بعضهم من الأكاذيب في أول نيسان اعتقاداً منهم أنه من الكذب الجائز شرعاً.
(٣) ديوان حافظ إبراهيم ١/ ١٦٠.
(٤) المصدر نفسه ص ١/ ١٦١.
(٥) أديم الوجه: صفحة جلده.

وإن أبرز ما في شعره تلك النقمة على الناس اللئام. وهذا ما نتبينه لدى قراءتنا أبياته الهجائية الرائعة التالية[١]:

أُطيقُ بأنْ أرى حتى اللئاما ... ولكنْ لا أطيقُ أرى الطّغاما
فأغضي عنهُمُ إنْ يعرضوا لي ... وإنْ يكُ عُدَّ إغضائي انهزاما
فإنّ عداوتي عِلْقٌ ثمينٌ ... فما أحبو بها إلاّ العظاما
ترفَعَ عنهمُ حُبّي وبغضي ... فلا مدحاً أسوقُ لهم وذاما
أجنّبُ ناظري عنهم كأني ... أرى الأقذاءَ فيهم والهواما
وكم لعداوتي مَن يدّعيها ... لِيلقى الجاهَ فيها والمقاما
إذا قالوا عدُوك ذا فلانٌ ... فلستُ مجيبَهم إلا ابْتساما
متى ما أهجُ شخصاً لا أسمّي ... لأهجوَ فيه أقواماً لئاما
يموتُ بموته هجوي لذي اسْم ... فلستُ أصيغُ فيه سدىً كلاما

(وآسف أن تموت فتستريحا)

ومن أمضّ الهجاء وأمرّه هجاؤه أديباً لئيماً. يقول الصافي[٢]:

ألا يا أثقلَ الأدباءِ ظلاّ ... وأسخفَهم وأدنى الناسِ روحا
رجوتَ بأن تعيش محطَّ هجوي ... وآسفُ أن تموتَ فتستريحا
ومالكَ نائبٌ أحبوه هجوي ... فمثلُكَ لم يجدْ نذلاً صحيحا
لِفقدِ هجاكَ دمّلةٌ بقلبي ... يظلُّ لها الحشا مني قريحا
لقد فجع الهجا بك شرّ ميْتٍ ... فكادَ لرزئه بكَ أنْ ينوحا
فأنتَ العيبُ متَّ فماتَ عيبٌ ... فبعدَك لا نرى شيئاً قبيحا
كأنك كنتَ تخشى مِن هجائي ... لذاك أراك عجّلْتَ النزوحا
فهلا ألتقي بك يومَ حشرٍ ... لتسمعَ فيك لي هجواً مريحا
رحلتَ ولم أكمّل فيك هجوي ... فقفْ أكملْه ثم خذِ المديحا

(وعبد وتمشي شامخ الأنف كالحر)

ومن الهجاء المر الساخر هجاؤه الرائع لأحد الثقلاء واللؤماء الأدعياء يقول الصافي[٣]:

بِلؤمكَ قد ولّدتَ لي أعذبَ الشعرِ ... فحّيرتني ما بينَ ذلكَ والشكرِ
وضيعٌ وتمشي رافعَ الرأسِ للسّما ... وعبدٌ وتمشي شامخَ الأنفِ كالحرّ

---

(١) النجفي، أحمد الصافي: الشلال، ص ٦٩ ـ ٧٠ ط ١. دار العلم للملايين. بيروت ١٩٦٢ م.
(٢) الشلال ص ٨٠ ـ ٨١.
(٣) النجفي، أحمد: اللفحات ١٨٦ ـ ١٨٨. ط ٣. مكتبة المعارف بيروت ١٩٨٣ م.

سمعتُ بأهلِ العبقرياتِ جِنّةً ... فجنَّنتُ منك العقلَ يا ناقصَ الفكر
تحاولَ سترَ العيبِ في حسن مظهرٍ ... وعيبُكَ عيبٌ جلَّ شأناً عن الستر
تعيبُ وأنتَ العيبُ لكنْ مجسّماً ... وتسخرُ يا مَن صرتَ سخرية الدهر
خُلقتَ فقيرَ النفسِ حتى لو امْتلا ... لك الجيبُ ما تنفكُّ تشكو مِن الفقر
تفاخرتَ في أنْ لستَ للعربِ تنتمي ... وذلك فخرُ العُرْبِ يا مخجل الفخر
غدوتَ عظيماً في الورى بحقارةٍ ... بها امْتزت حتى صرتَ تحكي ذوي القدر
جنيتُ نفيسَ الشعرِ منك مغفّلا ... كمن يجتني اللّبّ الثمين مِن القشر
وكم رمْتَ تنزيهاً لشعري في الهجا ... عنِ اسْمك كي لا تفتدي خالد الذكر
ولكنَّ تأنيبَ الضميرِ يسوقُني ... لإثباتِ فضلٍ منكَ لي واجبِ الأجر
إذنْ فسأشدو اليومَ باسْمكَ هاجياً ... وإنْ تكُ قد دنّسْتَ باسمِك لي شعري

أروع ما قيل في الوصف

الباب الأول

الطبيعة الحية

١ ــ الأشخاص

٢ ــ الحيوان

٣ ــ النبات

١ ــ الاشخاص

❖ابن الرومي (ت ٢٨٢ هـ/٨٩٦ م)

(تتغنى كأنها لا تغني)

حضر أبو الحسن علي بن جريج، المعروف بابن الرومي، الشاعر العباسي الأشهر، مجلس طرب غنّت فيه وحيد، المغنية البارعة، فأُعجب الأمير الذي كان في المجلس، مثلما أعجب الشاعر، فطلب إليه أن يصف جمال وحيد، وجمال صوتها المميز، فقال الشاعر، من الوصف الوجداني الرائع:

يا خليليَّ تَيَّمَتْني وحيدُ ... ففؤادي بها مُعَنًّى عميدُ
غادةٌ زانَها مِنَ الغصنِ قَدٌّ ... ومِنَ الظَّبْيِ مقلتانِ وجيدُ
وزهاها مِن فرعِها ومنَ الخدَّيْنِ ... ذاكَ السّوادُ والتّوريد
وغريرٍ بحسنِها قال صِفْها ... قلتُ أمرانِ: بَيِّنٌ وشديد
يسهلُ القولُ إنّها أحسنُ ... الأشياءِ طرّاً ويصعُبُ التحديد
تتجلّى للنّاظرينَ إليها ... فشقيٌّ بحسنِها وسعيد
ظبيةٌ تسكنُ القلوبَ وترعاها ... وقُمْرِيَّةٌ لها تغريد
تَتَغَنّى كأنّها لا تُغَنّي ... مِن سكونِ الأوصالِ وَهيَ تُجيد
لا تراها هناكَ تجحظُ عينٌ ... لكَ منها ولا يدرُّ وريد
مِن هُدُوٍّ وليسَ فيه انقطاعٌ ... وسُجُوٌّ وما بهِ تبليد
مدَّ في شأوِ صوتِها نَفَسٌ كافٍ ... كأنفاسِ عاشقيها مديد
وأرقَّ الدّلالَ والغنجُ منه ... وبراهُ الشّجا فكاد يبيد
فتراه يموتُ طوراً ويحيا ... مُسْتَلَذٌّ بسيطُه والنّشيد
فيه وَشْيٌ وفيه حَلْيٌ مِنَ النَّغْمِ ... مصوغٌ يختالُ فيه القصيد
طابَ فُوها وما تُرَجِّعُ فيه ... كلُّ شيءٍ لها بِذاكَ شهيد[1]

(وحديثها السحر الحلال)

ومن رائع وصف ابن الرومي، وصفه حديث المرأة، إذ يقول:

---

(١) ديوان ابن الرومي: والمعنّى: الشديد العناء. والعميد: المريض من الحب. والقد: القوام. والغادة: الفتاة الناعمة. والمقلة: العين. والجيد: العنق. وزهاها: حسّنها. والفرع: الشعر. والغرير: من أخذ الحب بلبّه. والبيّن: الظاهر: والقمرية: ضرب من الحمام. والأوصال: أجزاء الجسم. وتجحظ: تبرز. والوريد: العرق. والسجو: الرقة والنعومة. والشأو: المدى. وبراه: أضعفه. والشجا: الحنان والحزن.

وحديثُها السِّحْرُ الحلالُ لَوَانَّه ... لم يَجْنِ قتلَ المسلم المتحرِّز
إنْ طالَ لم يُمْلَكْ وإنْ هي أوجزتْ ... ردَّ المحدّثُ أنَّها لَمْ توجزِ[1]

❖بشار بن برد

(وكأنها برد الشراب)

ومن الذين وصفوا حديث المرأة، فأبدع، بشار بن برد الذي يقول:

وكأنَّ لفظَ حديثها ... قِطَعُ الرِّياضِ كُسينَ زَهْرا
تُنسي القويَّ معادَه ... وتكونُ للحكماءِ ذِكْرا
وكأنَّها بردُ الشَّراب صفا ... ورافقَ فيه قطرا
وكأنَّ تحتَ لسانِها ... هاروتَ ينفثُ فيه سِحْرا[2]

❖أبو نواس

(وذات خد مورّد)

ومن أبرع الذين وصفوا محاسن المرأة، فأبدعوا وابتكروا، الحسن بن هانىء، أبو نواس، الذي يقول:

وذاتِ خَدٍّ مُوَرَّدْ ... قُوهيّةِ المتجرَّدْ
تَأمَّلُ العينُ مِنها ... محاسناً ليسَ تنفد
فبعضُها قد تناهى ... وبعضُها يتولَّدْ
والحسنُ في كلِّ عضوٍ ... منها معادٌ مردَّدْ[3]

❖صاحب اليتيمة

(لهفي على دعد)

ومن أروع الوصف، وصف جمال المرأة، ومفاتنها ومحاسنها، الوصف الذي تضمنته قصيدة «اليتيمة»، أما تسمية القصيدة باليتيمة فترجع إلى أن الفتاة المسماة دعداً طلبها الكثيرون فأبى والدها تزويجها إلا لمن يحسن وصف ابنته وجمالها باذّاً جميع الشعراء، ولما أن جاء أحدهم وأنشدها «اليتيمة» تبينت الفتاة أن الشاعر ليس صاحب القصيدة، وإن ناظمها هو فتى تهامي لقيه منشد القصيدة في الطريق، فاغتاله واستلبه إياها. وإنا نقتطف من هذه القصيدة الأبيات الرائعة التالية:

لَهْفِي على دَعْدٍ وما خُلِقَتْ ... إلاّ لِطولِ تَلَهُّفي دَعْدُ

---

(١) زهر الآداب، للحصري (هامش العقد الفريد) ١/ ١٢.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٠. وهاروت، اسم ملك هبط أرض بابل، وكان يعلم الناس السحر.
(٣) البيان والتبيين، للجاحظ ١/ ٨٩. دار صعب. بيروت. ١٩٦٨ م. وقوهية، نسبة إلى قوه، البلدة المشهورة في فارس، وبها تصنع أجمل الثياب المنسوبة إليها.

بيضاءُ قد لبسَ الأديم أديم ... الحسنِ فَهو لِجِلْدِها جِلْد
ويزينُ فَوْدَيْها إذا حَسَرَتْ ... ضافي الغدائرِ فاحمٌ جَعْد
فالوجهُ مثلُ الصُّبْح مُبْيَضّ ... والشَّعْرُ مثلُ اللَّيلِ مسودّ
ضِدّانِ لمّا استُجْمِعَا حَسُنا ... والضِّدُّ يظهرُ حسنَه الضِّدّ
وتُريكَ عِرْنيناً بهِ شَمَمٌ ... أقنى وخدّاً لونُه وَرْد
ولها بنانٌ لو أردتَ له ... عقداً بكفِّكَ أمكنَ العقد
ما شانَها طولٌ ولا قِصَرٌ ... فقيامُها وقعودُها قصد
قد قلتُ لمّا أنْ كلفتُ بها ... وَاقْتَادني مِن حُبّها الجهد
إنْ لم يكنْ وصلٌ لديكِ لنا ... يَشفي الصّبابةَ فَليكنْ وعد
لِلَّهِ أشواقٌ إذا نزحَتْ ... دارٌ بِنا ونبَا بكمْ بُعْد
إنْ تُتْهِمي فتِهامةٌ وطني ... أو تُنْجِدي إنَّ الهوى نَجْدُ[1]

❖السريّ الرّفّاء

(يروح ويغدو بكفّي حليم)

ومن الوصف الذي ينم عن الحذق في الصنعة، ودقة الملاحظة، وصف السري الرفاء، الموصلي، في العصر العباسي، للمزيّن المسمى عبد الكريم. يقول السري:

هل الحِذْقُ إلا لِعبدِ الكريم ... حوى فضلَه حادثاً عنْ قديمِ
لهُ راحةٌ سَيْرُها راحةٌ ... تمرُّ على الرّأسِ مرَّ النّسيمِ
إذا لمعَ البرقُ في كفِّه ... أفاضَ على الرأسِ ماءَ النّعيمِ
جهولُ الحسامِ ولكنّه ... يروحُ ويغدو بِكفَيّ حليمِ[2]

❖بعضهم

(ولم تدر ما معنى نجوم الفراقدِ)

ومن غريب الوصف وأبدعه، وصف أحدهم للأحول. يقول:

ونجمينِ في برجيْنِ هادٍ وحائرٍ ... متى طلعا حلَّ الكسوفُ بواحدِ
لهذا على التقديرِ قوّةُ زُهْرَةٍ ... وفي ذا على التّشبيهِ ظَرْفُ عطارِدِ
إذا أقبلَ الهادي ووافاه برجُهُ ... تراءى لنا المكسوفُ في زِيِّ قاصدِ

---

(١) الأديم: الجلد. وفوديها: جانبي رأسها. وحسرت: كشفت عن رأسها. والغدائر: خصل الشعر، وفاحم: أسود. والعرنين: الأنف. والشمم: ارتفاع قصبة الأنف مع حسنها واستوائها. والبنان: الإصبع، وقصد: من غير إفراط. وكلفت بها: تهت في حبّها. ونبا: ذهب. وتتهمي: تذهبي إلى تهامة، جنوب الحجاز. وتنجدي: تذهبي إلى نجد.

(٢) الإعجاز والإيجاز ص ٢٢٣. والراحة: الكف. والارتياح. والحسام: السيف.

منَ الأنجمِ الّلائي جرتْ في بروجِها ولم تدرِ ما معنى نجومِ الفراقدِ[١]

❖ابن الرومي

(وبين رؤيتها فوراء كالقمر)

ومن أدق الوصف وأبرعه، وصف ابن الرومي للخباز في مهارته وسرعته وحركته: إن أنسى لم أنس خبّازاً مررت به.

ما بينَ رُؤْيتِها في كفّهِ كرةً وبينَ رؤيتِها قوراءَ كَالْقمرِ
إلاّ بمقدارِ ما تنداحُ دائرةٌ في لُجّةِ الماءِ يُرمى فيه بالحَجرِ[٢]

(فكأنه متربص أن يصفعا)

ومن جيد الوصف وأكثره دقة وملاحظة، وصفه الأحدب، يقول ابن الرومي:

قَصُرَتْ أخادعُه وغارَ قذالُه فكأنّه متربّصٌ أنْ يُصْفعا
وكأنّما صُفِعتْ قفاهُ مرّة فأَحسَّ ثانيةً لها فتجمَّعا[٣]

(١) محاضرات الأدباء، للراغب الأصبهاني ٣/ ٢٩١.
(٢) ديوان ابن الرومي ١/ ١٨٠.
(٣) نفسه ٢/ ١٦٥. والقذال: مؤخر الرأس.

٢ ــ الحيوان

❖امرؤ القيس (ت حوالي ٥٤٠ م)

(كجلمود صخر حطّه السيل من عل)

ومن الوصف الفائق الروعة والأداء، للفرس، وصف امرىء القيس الشاعر الجاهلي المعروف له، إذ يقول من أبيات يصف بها هذا الفرس الذي خرج عن إطار الواقع، ليغدو فرساً أسطورياً، مكتمل الصفات والهيئة والحركة:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبلٍ مُدبرٍ معاً ... كَجُلمودِ صخرٍ حَطَّهُ السّيلُ مِن علِ
كُمَيْتٍ يزلُّ اللَّبْدُ عن حالِ متنِه ... كما زلّتِ الصَّفْراءُ بالمتنزَّلِ
على الذَّبْلِ جيّاش كأنَّ اهْتزامَه ... إذا جاشَ فيه حَمْيُه غليُ مِرْجل
مسحٍ إذا ما السّابحاتُ على الونى ... أثرْنَ الغبارَ بالكديدِ المركَّل
يزلُّ الغلامُ الخِفُّ عن صهواتِه ... ويلوي بأثوابِ العنيفِ المثقّل
دريرٍ كَخُذروفِ الوليدِ أمَرَّهُ ... تتابعُ كَفَّيْهِ بِخيطٍ موصّل
له أيطلا ظبيٍ وساقا نعامةٍ ... وإرخاءُ سرحانٍ وتقريبُ تتفل
ضليعٍ إذا استدبرْتَه سدّ فَرْجَه ... بِضافٍ فُوَيْقَ الأرضِ ليسَ بأعزل
كأنَّ على المتنيْنِ منه إذا انْتحى ... مداكَ عروسٍ أو صلايةُ حنظل
كأنّ دماءَ الهاديات بِنَحْرِه ... عصارةُ حنّاءٍ بشَيْبٍ مرجَّل[1]

❖كشاجم

(حاكته من أشكالها الأطيار)

ومن بديع الوصف، وصف أبي الفتح كشاجم، للفرس، يقول الشاعر:

مَن شَكَّ في فضلِ الكُمَيْتِ فبينَه ... فيه وبينَ يقينِه المِضْمارُ
في منظرٍ مستحسنٍ محمورةٍ ... أخبارُه إذْ تُبتلى الأخبار
ماءٌ تدفَّق طاعةً وسلاسةً ... فإذا استدرَّ الحضْرُ فيه فنار

---

(١) المعلقات العشر، لفوزي عطوي. ص ٣٧ ـ ٣٨. دار صعب. بيروت ١٩٨١ م. والمكر: صيغة المبالغة من كرّ، أي هو شديد الكرّ. والمفر: الشديد الغرار. والجلمود: الصخر الصلب. وحطّه: ألقاه. والصفراء: الحجر الصلب. والمتنزل: الذي يزلّ عن الشيء المالس. والذبل: الذبول. والجياش: الشديد الغليان. واهتزامه: تكسّره. وحميه: قيظه. والمرجل: القدر التي يغلي فيها. والمسح: المنصبّ. والسابحات: الخيول. والونى: الفتور. والكديد: الأرض الصلبة. والمركّل: المضغوط بالأرجل. والخف: الخفيف. وصهوات، جمع صهوة، وهي مقعد الفارس على الفرس.

وصفَ الخلوقُ أديمَه فكأنما ... أهدى الخلوقَ لِجلدِه عطّار
قصرتْ قِلادةُ نحرِه وعذاره ... والرُّسغُ وَهْي مَن العِتاق قصار
وكأنّما هاديهِ جزعٌ مشرفٌ ... وكأنما لِلضبعِ فيهِ وِجار
يرد الضّحاضحَ غيرَ ثاني سُنْبُكٍ ... ويرودُ طرفَكَ خلْقُه فتحار
لو لم تكنْ لِلخيلِ نسبةُ خلقِه ... حاكتْه من أشكالِها الأطيار[1]

❖البحتري

(يهوي كما هوت العقاب)

ومن الوصف البالغ الجودة، للفرس، وصف أبي عبادة البحتري إذ يقول:

وأغرَّ في الزمنِ البهيم محجّلِ ... قد رحْتُ منه على أغرَّ محجّلِ
وافي الضلوع بشدِّ عقدِ حزامهِ ... يومَ اللّقاءِ على مُعِمٍّ مُخْوِلِ
يهوي كما هوتِ العقابُ وقد رأتْ ... صيداً وينتصبُ انتصابَ الأجدل
متوحّشٌ بِدقيقتيْنِ كأنّما ... تُريانِ مِن ورقٍ عليه مُوَصَّل
كالرّائحِ النَّشْوانِ أكثرُ مَشْيِهِ ... عرضٍ على السّننِ البعيدِ الأطول
ويظنُّ ريعانَ الشبابِ يروعُه ... مِن نشوةٍ أو جِنَّةٍ أو إِفكل
هزج الصّهيل كأنَّ في نبراتهِ ... نفخاتِ معبدَ في الثقيل الأول
تتوهّمُ الجوزاءَ في أرساغهِ ... والبدرَ غرّةَ وجههِ المتهلّل
صافي الأديم كأنّما عُنيتْ له ... بصفاءِ نُقْبتهِ مداوسِ صيقل
وكأنما كُسِيَ الخدود نواعماً ... مهما تلاحِظْها بلحظٍ يُخجل
ملكَ العيونَ فإن بدا أعطيْتَهُ ... نظرَ المحبِّ إلى الحبيبِ المقبل[2]

❖السعدي (ت ٤٠٥ هـ/١٠١٤ م)

(فكأنما لطم الصباح جبينه)

ومن الوصف الدقيق المتفنن فيه، للفرس، ما قاله أبو نصر عبد العزيز الشاعر العباسي، والمعروف بابن نباتة السعدي، وكان سيف الدولة قد أهداه فرساً أدهم أغرّ محجّلاً فقال يصفه:

---

(١) زهر الآداب، للحصري. هامش العقد الفريد ١/ ٣١٠، دار ومكتبة الهلال بيروت. والكميت: صفة للفرس. والمضمار: ميدان السباق. والحضر: الجري. والخلوق: نوع من الطيب. وهاديه: أعلاه. والوجار: بيت الضبع. والضحاضح: أماكن الماء. جمع ضحضاح. والسنبك: طرف الحافر.

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب، للحصري ١/ ٣٠٩. هامش العقد الفريد. دار ومكتبة الهلال. والمحجل: الذي في قائمته بياض. والأغر: الذي في جبينه غرة، أي بياض. والأجدل: الصقر. والسنن: الطريق الواضح. وريعان الشباب: أوله. ومعبد: اسم مغنٍّ مشهور. والصيقل: من يعالج السيوف.

قد جاءنا الطِّرْفُ الذي أهديته ... هاديهِ يُعقدُ أرضُه بسمائِه
نختال منه على أغرَّ محجّلٍ ... ماءُ الدّياجي قطرةٌ من مائِهِ
فكأنّما لطمَ الصباحُ جبينَه ... فاقتصَّ منه فخاضَ في أحشائِه
متمهّلاً والبرقُ مِن أسمائِه ... متبرقعاً والبدرُ مِن أكفائِهِ
ما كانتِ النّيرانُ يكمنُ حرُّها ... لو كان لِلنيرانِ بعضُ ذكائه
لا تعلق الألحاظُ في أعطافِه ... إلاّ إذا كفكفتَ من غُلوائه
لا يُكملُ الطرفُ المحاسنَ كلَّها ... حتى يكونَ الطرفُ مِن أُسرائِه[1]

❖طرفة (ت حوالي ٥٦٩ م)

(كأنهما باب منيف ممرّد)

من أبرع الذين وصفوا الناقة في سرعتها، وحركتها، وتوثبها، وهيئتها، واعتنوا بكل التفاصيل والجزئيات، معتمدين في ذلك على موهبة تتبع المشهد، وعلى دقة الملاحظة والخيال، طرفة بن العبد، الشاعر الجاهلي المعروف، وأحد أصحاب المعلقات؛ يقول طرفة من أبيات رائعة يصف فيها ناقته التي حملته إلى ديار الحبيبة، والتي يمضي الهم بها كلما أحاطت به الهموم:

وإنّي لأُمضي الهمَّ عندَ اختضارِه ... بِعَوْجاءَ مِرْقالٍ تروحُ وتَغْتَدي
أمون كألواحِ الإرانِ نسأتُها ... على لاحبٍ كأنّه ظهرُ بَرْجَد
جماليّةٍ وجناءَ تَرْدي كأنّها ... سِفِنَّجَةٌ تَبرى لِأزعرَ أربد
تُباري عتاقاً ناجياتٍ وأتبعتْ ... وظيفاً فوقَ مَوْرٍ معبّد
تربَّعَتِ القُفَّيْن في الشّول ترتعي ... حدائقَ مَوْليِّ الأسرَّةِ أغيد
تريعُ إلى صوتِ المهيبِ وتَتّقي ... بذي خُصَلٍ روعاتِ أكلفَ مُلْبد
كأنَّ جناحيْ مضرحيٍّ تكنَّفا ... حِفافَيْهِ شُكّا في العسيبِ بِمِسرد
لها فخِذانِ أُكملَ النّحضُ فيهما ... كأنّهما بابا مُنيفٍ مُمَرَّد
كأنَّ كِناسيْ ضالةٍ يكنِفانِها ... وأُطْرَقِسِيٍّ تحتَ صُلْبٍ مؤيّد
لها مِرْفقانِ أفْتلانِ كأنّهما ... تمرُّ بِسَلْميْ دالجٍ متشدّد
كقنطرةِ الرُّوميِّ أقسمَ ربُّها ... لَتُكْتَنَفَنْ حتى تُشاءَ بقرمد
صهابيّة العثنونِ موجدة القرا ... بعيدة وَخْدِ الرِّجلِ موّارة اليد
وجمجمةٍ مثلِ العلاةِ كأنّما ... وعى الملتقى منها إلى حرف مبرد
وخدٌّ كقِرطاسِ الشّآميّ ومشفرٍ ... كسِبْتِ اليماني قدُّه لم يُجَرّد

---

(١) تاريخ الآداب العربية ١/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤. والغلواء: الحدّة. والأعطاف: الجوانب. وكفكف: كف. ويكمن: يختبىء. والأكفاء: النظراء. والطرف: الحصان الكريم. والأغر: الذي في جبينه غرة. أي بياض.

وعينانِ كالماويَّتَيْنِ اسْتَكَنَّتا ... بِكهفَيْ حِجاجِي صخرةٍ قلتِ مورد
وإنْ شئتَ لم ترقلْ وإنْ شئتَ أرقلتْ ... مخافةَ ملويٍّ مِنَ الْقَدِّ محصد
على مثلِها أمضي إذا قالَ صاحبي ... ألا لَيْتني أفديك منها وأفتدي[1]

❖البحتري (ت ٢٨٤ هـ/٨٩٧ م)

(يقضقض عصلاً في أسرّتها الردى)

ومن روائع الوصف، وصف البحتري، أبي عبادة، للذئب، وكيف كان مصرعه، وفيه نتبين دقة الوصف، وتتبع المشهد، والعناية بالدقائق والتفاصيل، إضافة إلى روعة المشهد، وسموّ الخيال، والمشاركة الوجدانية بين ذات الشاعر والمشهد..

يقول البحتري:

وأطلسَ ملءِ العينِ يحملُ زَوْرَهُ ... وأضلاعُه مِن جانبيْه شوىً نَهْدُ
له ذَنَبٌ مثلُ الرِّشاءِ يجرُّه ... ومتنٌ كمتنِ القوسِ أعوجُ منأدُّ
طواه الطَّوى حتى استمرَّ مريرُه ... فما فيه إلاّ العظمُ والرّوحُ والجلد
يُقَضْقِضُ عُصْلاً في أسرَّتِها الرّدى ... كَقَضْقَضَةِ المقرورِ أرعده البرد
سمالي وبي مِن شدّةِ الجوعِ ما بهِ ... لِبَيْداءَ لم تُحسَسْ بها عيشةٌ رغد
كِلانا بها ذئب يُحدِّثُ نفسَه ... بصاحبهِ والجدُّ يتعسُه الجدّ
عوى ثمّ أقعى فَارْتَجَزْتُ فهجته ... فأقبلَ مثلَ البرقِ يتبعُه الرّعد
فأوجزته خرقاءَ تحسبُ ريشَها ... على كوكبٍ ينقضُّ والليلُ مسودّ
فما ازدادَ إلاّ جرأةً وصرامةً ... وأيقنْتُ أنَّ الأمرَ منه هو الجِدّ
فَأَتْبَعْتُها أخرى فأضللْتُ نصلَها ... بحيثُ يكونُ اللُّبُّ والرُّعْبُ والحقد
فخرَّ وقد أوردْتُه منهلَ الرّدى ... على ظمأٍ لو أنّه عذُبَ الورد
وقمتُ فجمّعتُ الحصى وَاشْتَوَيْتُه ... عليه ولِلرَّمْضاءِ من تحتِه وَقْد

---

(١) المعلقات العشر ص ٤٩ ـ ٥٦. لم يتخدد: لم يتغضن. والعوجاء المرقال: الناقة النشيطة. وأمون: مأمونة العثار. والإران: التابوت. ونصأتها: زجرتها. ولاحب: طريق واضح. وبرجد: ثوب مخطط. وجمالية: تشبه الجمل، ووجناء: مكتنزة اللحم. وتردي: تعدو. والسفنجة: النعامة، والأزعر: القليل الشعر. والأربد: الرمادي. والعتاق: الخيل الكرام. والناجيات: السريعات. والوظيف: ما بين الرسغ والركبة. والمور: الطريق. تربعت: ارتعت الكلأ في الربيع. والقفتين: الرأبيتين. والشول: النوق. والمولي: الذي أصابه مطر الولي. والأغيد: الجميل الخلق. وأكلف: مائل إلى السّواد. والمضرحي: النسر الأبيض. وتكنفا: كانا في كنفه. والعسيب: عظم الذنب. والنحض: اللحم. ومنيف: عالٍ، صفة للقصر. وممرّد: أملس. والرومي: صفة للقصر الرومي. وصهابية: لونها أصهب. والعثنون: شعرات تحت اللحي الأسفل. وموجدة: مقواة. والقرا: الظهر. والوخد: ضرب من السير. ووعى: اجتمع. والسبت: الجلد. والماويتين: المرآتين. والحجاج: منبت الشعر فوق العين. والقلت: النقرة في الجبل. وترقل: تعدو. ومحصد: محكم.

ونلتُ خسيساً منه ثم تركتُه وأقلعتُ عنه وهو منعفرٌ فرد[1]

❖بشر بن أبي عوانة

(أفاطم لو شهدت ببطن خبث)

ومن الأوصاف الرائعة، وصف بشر بن أبي عوانة، الشاعر الجاهلي، للأسد، وهو في الغاية القصوى، وفي النمط العالي من الأداء والفن، قلدته فيه الشعراء كابراً عن كابر. يقول بشر في وصف الأسد، وكيف تغلب عليه، وجندله على الأرض مضرجاً بدمه:

أَفاطمَ لو شهدْتِ ببطنِ خبتٍ وقد لاقى الهزبرُ أخاكِ بِشْرا
إذاً لَرأيْتِ ليثاً أَمَّ ليثاً هِزَبراً أَغْلباً لاقى هزبرا
تَبَهْنَسَ إذ تقاعسَ منه مُهري محاذرةً فقلتُ عقدتَ مهرا
أنل قدميَّ ظهرَ الأرضِ إنّي رأيتُ الأرضَ أثبتَ منكَ ظهرا
فحينَ نزلتُ مدَّ إليَّ طرفاً يُخالُ الموتُ يلمعُ منه شَزْرا
فقلتُ له وقد أبدى نصالاً محدّدةً ووجهاً مُكْفَهِرّا
يُدِلُّ بمخلبٍ وبحدِّ نابٍ وباللّحظاتِ تحسبُهُنَّ حُمْرا
وفي يُمنايَ ماضي الحدِّ أبقى بمضربهِ قراعُ الدّهرِ أُثْرا
ألمْ يبلغْكَ ما فعلتْ ظُباه بكاظمةٍ غداةَ قتلتُ عَمْرا
خرجْتَ ترومُ لِلأشبالِ قوتاً ورمتُ لِبِنْتِ عميّ اليومَ مَهْرا
وقلبي مثلُ قلبِكَ ليسَ يَخشى مصاولةً فكيفَ يخافُ ذعرا
ففيمَ ترومُ مثلي أنْ يُوَلّي ويجعل في يديْكَ النّفسَ قسرا
نصحتُكَ فَالْتَمِسْ يا ليثُ غيري طعاماً إنَّ لحمي كان مُرّا
فلمّا ظنَّ أنَّ النّصحَ غِشٌّ فخالفني كأنّي قلتُ هُجْرا
خطا وخطوْتُ مِن أسديْنِ راما مراماً كان إذْ طلباه وعرا
يُكَفْكِفُ غيلةً إحدى يديْهِ ويبسطُ لِلوثوبِ عليَّ أخرى
هززْتُ له الحسامَ فخلتُ أني شققْتُ بهِ منَ الظَّلْماءِ فجرا
وأطلقْتُ المهنَّدَ مِن يميني فَقَدَّ له مِنَ الأَضلاعِ عشرا
فخرَّ مضرَّجاً بدمٍ كأنّي هدمْتُ به بناءً مُشْمَخِرّا

---

(١) البحتري، لخليل شرف الدين ص ١٢٧ ـ ١٢٨. دار ومكتبة الهلال بيروت١٩٨٢ م. والأطلس: صفة للذئب، وهو الذي لونه أطلس، أي أغبر. والزور: ما ارتفع من الصدر إلى الكتفين. والشوى: أطراف الجسم. ونهد: مرتفع. والرشاء: الجبل. والطوى: الجوع. وعصلاً: صفة للأنياب الحادة. والردي: الهلاك. والمقرور: البردان. ويقضقض: يكسر ويدق. وأقعى: جلس على مؤخرته. وأوجرته: أصبته في وجاره. وخرقاء: صفة لرمية السهم. والرمضاء: شدة الحر. ومنعفر: فيه عفر وهو التراب.

فقلتُ له يعزُّ عليَّ أني ... قتلتُ مماثلي جلداً وقهرا
ولكنْ رُمْتَ أمراً لم يرمْه ... سواكَ فلم أُطِقْ يا ليثُ صبرا[١]

❖جحدر

(من ظن خالهما شعاع سراج)

ومن الوصف الجيد والحيّ للأسد، وصف جحدر بن مالك، من بني حنيفة، وكان هذا قد أحضر مغلولاً إلى الحجاج بن يوسف، ثم أطلقوا له أسداً من إساره، فهجم الأسد على جحدر، فصرعه هذا بضربة من سيفه، ففلق هامته. ثم أنشأ يقول، وهو من جيد الوصف:

يا جُمْلُ إنّكِ لو رأيتِ بسالتي ... في يوم هَيْجٍ مردفٍ وعجاج
وتقدّمي لِلَّيثِ أرسفُ نحوَه ... حتى أكابدَه على الأحراجِ
جَهْمٌ كأنَّ جبينَه لمّا بدا ... طبقُ الرَّحى متفجِّرُ الأثباجِ
يرنو بناظرتيْنِ تَحسبُ فيهما ... مَن ظنَّ خالهما شعاعَ سراج
شثْنٌ براثنُه كأنَّ نيوبَه ... زُرْقُ المعاولِ أو شذاةُ زجاج
وكأنّما خِيطت عليه عباءةٌ ... برقاءُ أو خَلَقٌ منَ الدِّيباج
قرنانِ محتضرانِ قد ربَّتْهما ... أمُّ المنيَّةِ غير ذاتِ نتاج
ففلقتُ هامتَه فخرَّ مكانَه ... أُطُمٌ تقوَّضَ مائلُ الأبراجِ[٢]

❖ذو الرمة (ت ٧٣٦ م)

(كأنه كوكب في إثر عفرية)

ومن روائع الوصف، وصف ذي الرمة، أبي الحارث غيلان بن عقبة، الشاعر الأموي، لثور الوحش وقتاله كلاب الصيد التي هاجته. يقول ذو الرمة، ويغلب على قوله جزالة اللفظ وغريبه[٣]:

ضمَّ الظلامُ على الوحشيِّ شملتَه ... ورائحٌ مِن نِشاصِ الدلوِ منسكب[٤]
يغشَى الكِناسَ بِرَوْقَيْهِ ويهدمُه ... مِن هائلِ الرملِ منقاضٌ ومنكثب[٥]

---

(١) تاريخ الآداب العربية ١/ ١٠٥ ـ ١٠٧. ومشمخراً: عالياً. وغيلة: احتيالاً واغتيالاً. والهجر: الهذيان. والغِرّ: الجاهل. وقسراً: غصباً. والأشبال: أولاد الأسد. وظباة السيف: حدّه. وكاظمة: اسم موضع. والطرف: البصر. وشزراً: غضباً. وتبهنس: تبختر. والهزبر: الأسد. والأغلب: الأسد الضخم الرقبة. والخبت: المطمئن من الأرض.

(٢) المحاسن والأضداد، للجاحظ. ص ٦٠. وجمل، تصغير جميلة، والعجاج: الغبار في الحرب. وجهم: ضخم. والأثباج: جمع ثبج، وهو وسط الصدر والظهر. وشثن: غليظ.

(٣) الشعر والشعراء ١/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥.

(٤) الوحشي: صفة الثور. والشملة: الكساء. والنشاص: السحاب.

(٥) الكناس: بيت الثور. والروق: القرن. ومنقاض: منهدم. ومنكثب: مجتمع.

إذا أراد انكراساً فيه عَنَّ له ... دونَ الأرومةِ من أطنابِها طُنُبُ[١]
حتى إذا ما انجلى عن وجههِ فرق ... هاديهِ في أخريات الليلِ منتصب[٢]
أغباشُ ليلٍ تمام كان طارقَه ... تَطَخْطَخُ الغيبِ حتى حاله جُوَب[٣]
ولاحَ أزهرُ معروفٌ بُنُقبتِهِ ... كأنه حينَ يعلو عاقراً لهب[٤]
هاجتْ به عُوجٌ زرقٌ مخصّرةٌ ... شوازبٌ لاحها التقريبُ والخبب[٥]
جُرْدٌ مُهَرتةُ الأشداقِ ضاربةٌ ... مثلُ السراحينِ في أعناقِها العذب[٦]
ومطعم الصيد هبّاشٌ لِبُغيتِهِ ... ألفى أباه لِذاكَ الكسبِ يكتسب[٧]
مقزّعٌ أطلسُ الأطمارِ ليس له ... إلاّ الضِّراءُ وإلاّ صيدُها نشب[٨]
فانصاع جانبهُ الوحشيُّ وانكدرتْ ... يلحبْنَ لا يأتلي المطلوبُ والطلب[٩]
حتى إذا دوّمتْ في الأرضِ راجعةً ... كبر ولو شاءَ نجّى نفسَه الهرب
فكفَّ عن غَرْبِهِ والغضفُ تسمعُها ... خلفَ السبيبِ من الإجهادِ تنتحب[١٠]
فكَرَّ يمشق طعناً في جواشنِها ... كأنه الأجرُ في الإقتالِ يحتسب[١١]
بَلَّتْ به غيرَ طيّاشٍ ولا رعشٍ ... إذْ جلْنَ في معركٍ يخشى به العطب[١٢]
فتارةً يخِضُ الأعناقَ عن عرضٍ ... وَخْضاً وتنتظمُ الأسحارُ والحجب[١٣]
حتى إذا كرَّ مجحوراً بنافذةٍ ... وراءَها وكلا رَوْقَيْه مختضب[١٤]
ولّى يهذُّ انهزاماً وسطَها زغلاً ... جذلانَ قد أفرختْ عن روعهِ الكرب[١٥]
كأنّه كوكبٌ في إثْرِ عِفْريةٍ ... مسوّمٌ في سوادِ اللّيلِ منقضب[١٦]

---

(١) انكراساً: دخولاً. وعنّ: عرض، والأطناب: الحبال وأعراق الأشجار.
(٢) الفرق: الصبح. وهاديه: أوله.
(٣) الأغباش: الظلم في الليل. وتطخطخ: ظلام. والجوب: ما انكشف من السحاب.
(٤) الأزهر: الأبيض. والنقبة: اللون. والعاقر: الرملة.
(٥) مخصرة: ضامرة من الجوع. ومثلها الشواذب. ولاحها: غيّر لونها. والتقريب والخبب: ضربان من السير.
(٦) جرد: قصيدة الشعر. ومهرّتة: واسعة. والسراحين: الذئاب. والعذب: جلدة واسعة.
(٧) الهبّاش: الكثير الكسب. وهو صفة للصياد.
(٨) مقزع: قليل الشعر. وأطلس: أغبر. والأطمار: الثياب البالية. والنشب: المال. والضراء: الكلاب الضارية.
(٩) انصاع: انحرف. وانكدرت: أسرعت. ويأتلي: يقصّر. والمطلوب: الثور.
(١٠) غربه: جريه. والغضف من الكلاب: المثنية الآذان. والسبيب: الذنب.
(١١) كرّ: رجع. ويمشق: يسرع. والجواشن: الصدور. والأقتال: الأعداء.
(١٢) بلّت: ظفرت. والطيّاش: القليل التثبت. والرعش: الجبان. والعطب: الهلاك.
(١٣) يخض: يطعن. والأسحار: الرئات. والحجب: حجب القلب.
(١٤) المجحور: الملجأ إلى حجره. والروق: القرن.
(١٥) يهذ: يسرع. والزغل: النشط.
(١٦) العفرية: الجني.

❖عدي بن الرقاع

(وسنان أقصده النعاس)

ولا يعرف لأحد مثل قول عدي بن الرقاع، الشاعر الأموي، في وصف الجؤذر، إذ يقول من رائع الوصف:

لولا الحياءُ وأنَّ رَأْسي قد عسا ... فيه المشيبُ لزرْتُ أمَّ القاسمِ
وكأنَّها بينَ النساءِ أعارَها ... عينيْهِ أحورٌ مِن جآذِرِ جاسمِ
وَسْنان أقصَدهُ النعاسُ فرنَّقَتْ ... في عينهِ سِنَةٌ وليسَ بنائمِ[1]

(قلم أصاب من الدواة مدادها)

ولا يعرف لأحد أيضاً، مثل قوله الآخر في وصف الظبية والغزال، روقه خاصةً، من قصيدة له، إذ يقول مستخدماً تشبيهاً من أروع التشابيه:

تُزْجي أغنَّ كأنَّ إبرةَ رَوْقِه ... قلمٌ أصابَ مِن الدَّواةِ مِدادَها[2]

❖عنترة بن الأخرس

(لعلك تمنى من أراقم أرضنا)

ومن نادر الوصف، وصف عنترة بن الأخرس للأرقم، أي الحية، وهو ينساب فوق الأرض، يقول عنترة:

لَعَلَّكَ تُمنى مِن أراقمِ أرضِنا ... بأرقمَ يُسْقَى السُّمَّ مِن كلِّ مَنْطَفِ
تراهُ بأجوازِ الهشيمِ كأنَّما ... على متنهِ أخلاقُ بُرْدٍ مُفَوَّفِ
كأنَّ بِضاحي جلدِهِ وسَراتِه ... ومجمعِ لِيَتيْهِ تهاويلَ زُخْرُفِ
كأنَّ مُثَنَّى نِسْعَةٍ تحتَ حلقِه ... بما قد طَوى مِن جلدِه المتغضِّفِ
إذا أنْسَلَ الحيّاتُ بالصَّيفِ لم يزلْ ... يُشاعرُ باقي جُلْبَةٍ لم تُقَرَّفِ[3]

---

(١) الإعجاز والإيجاز، للثعالبي. ص ١٥٣. والأحور: الذي في عينيه حور وهو شدة بياض العين وسوادها. والجؤذر: ولد البقرة الوحشية وجاسم: اسم موضع تكثر فيه الجآذر.

(٢) طبقات الشعراء، لابن سلام، ص ١٢١٣. وتزجي: تسوق وتستحث. والأغن: الغزال الذي يخرج صوته من خياشيمه. وروقه: قرنه. والمداد. الحبر.

(٣) ديوان الحماسة ٢/ ٣٨١ ـ ٣٨٢. وأنسل الحيات: نزعت جلدها. ويشاعر: يباشره من الشعار، وهو الثوب. والجلبة: القسرة. وتقرف: تقشر. والنسعة: القطعة من الجلد. والمتغضف: المتثني والمتكسر. وضاحي الجلد: ما ظهر منه. والسراة: أعلى شيء. والليث: العرق في صفحة العنق. والأجواز: جمع جوز، وهو وسط الشيء. والهشيم: ما يبس من النبات. والأخلاق الأثواب البالية. والمفوف: المنقوش. والمنطف: فيه نطق من السم.

❖النابغة الذبياني (ت حوالي ٦٠٤ م)

(تغترّ عن عوج حداد كالإبر)

ومن الوصف الجيد للحية، وصف أبي أمامة، زياد بن معاوية بن ضباب، المعروف بالنابغة الذبياني، أحد أشهر شعراء الجاهلية. يقول النابغة في وصف الحية، ويتميز بالسهولة والوضوح:

صِلٌّ صَفَاً لا تنطوي مِنَ القِصَرْ
طويلةُ الأطرافِ مِن غيرِ خَضَرْ
داهيةٌ قد صغُرَتْ مِنَ الكِبَرْ
كأنّما قد ذهبَتْ بها الفِكَرْ
مهروتةُ الشِّدْقَيْنِ حولاءُ النَّظَرْ
تَفْتَرّ عن عُوجٍ حِدادٍ كالإبَرْ[1]

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ٢٠٣. شرح فوزي عطوي. دار صعب. بيروت ١٩٨٠ م. والصل: الحية الصفراء الرقيقة. والصفا: الحجر العريض الأملس. والخفر: الحياء. ومهروتة: واسعة. وعوج: جمع عوجاء، مائلة.

٣ ــ النبات

❖ابن الرومي

(ريحها ريح طيّب الأولاد)

ومن جيد الوصف الوجداني، وصف ابن الرومي للرياض، حيث نلمح دقة الوصف وبراعته، والعناية بالجزئيات والتفاصيل، إضافة إلى الخيال والواقعية والتفسير، وتفاعل الشاعر مع الطبيعة، يقول الشاعر:

وريـاضٍ تَـخـايَـلُ الأرضُ فـيـهـا ... خُـيَـلاءَ الـفـتـاةِ فـي الأَبـرادِ
ذاتِ وَشْـيٍ تـنـاسـجَـتْـهُ سَـوارٍ ... لَـبِـقـاتٌ بِـحَـوْكِـهِ وغَـوادِ
شكرتْ نعمةَ الوليِّ على الوسميِّ ... ثـمّ الـعـهـادِ بـعَـد الـعـهـاد
فَـهْـي تُـثْـنـي عـلـى الـسّـمـاءِ ثـنـاءً ... طـيّـبَ الـنَّـشْـرِ شـائـعـاً فـي الـبـلاد
مِـن نـسـيـم كـأنَّ مَـسْـراهُ فـي الأرواحِ ... مـسـرى الأرواحِ فـي الأجـسـاد
حـمـلـتْ شَـكـرَهـا الـرّيـاحُ فـأدَّتْ ... مـا تُـؤدّيـهِ أَلْـسُـنُ الـعُـوّاد
مـنـظـرٌ مـعـجـبٌ تـحـيّـةُ أنـفٍ ... ريـحُـهـا ريـحُ طـيِّـبِ الأولاد
تـتـنـاغـى بـهـا حـمـائـمُ شـتّـى ... كـالـبـواكـي وكـالـقِـيـانِ الـشّـوادي
مِـن مَـثـانٍ مـمـتَّـعـاتٍ قِـرانٍ ... وفِـرادٍ مُـفَـجَّـعـاتٍ وِحـاد
تـتـغـنّـى الـقـرانُ مـنـهـنَّ فـي الأيْـكِ ... وتـبـكـي الـفـرادُ شَـجْـوَ الـفـرادِ[1]

(ووذعت الدنيا لتقضي نحبها)

ولا يقل هذا الوصف الأخاذ الآخر لروضة الربيع، روعة وبهاء عن الوصف السابق، فها هو ابن الرومي يصف هذا المشهد عند الأصيل فيقول:

وقـد رَنَّـقـتْ شـمـسُ الأصـيـلِ ونَـفّـضَـتْ ... عـلـى الأُفُـقِ الـغـربـيِّ وَرْسـاً مُـزَعْـزعـا
ووَدّعـتِ الـدُّنـيـا لِـتـقـضـيَ نـحـبَـهـا ... وشَـوَّلَ بـاقـي عـمـرِهـا فَـتَـشَـعْـشـعـا
ولاحـظـتِ الـنَّـوّارَ وهـي مـريـضـةٌ ... وقـد وضعتْ خدّاً إلى الأرضِ أضرعا
كـمـا لاحـظـتْ عُـوّادَه عـيـنُ مُـدْنَـفٍ ... تـوجَّـعَ مِـن أوصـابِـه مـا تـوجّـعـا
وظـلّـتْ عـيـونُ الـنَّـوْرِ تَـخْـضَـلُّ بِـالـنَّـدى ... كـمـا اغْـرَوْرَقَـتْ عـيـنُ الـشَّـجِـيِّ لِـتَـدْمـعـا
يُـرا عـيـنَـهـا صُـوراً إلـيـهـا روانـيـاً ... ويـلـحـظْـنَ ألـحـاظـاً مِـنَ الـشَّـجْـوِ خُـشَّـعـا

---

(١) ديوان ابن الرومي ١/ ١٦٠. دار صادر. والسواري: الأمطار عند المساء. والغوادي: المطر عند الصباح. والوسمي والولي، من أسماء المطر في الربيع. والقيان: المغنيات.

وبَـيَّـنَ إغـضـاءُ الـفـراقِ عـلـيـهـمـا كـأنّـهـمـا خِـلاّ صـفـاءٍ تَـوَدّعـا
وقـد ضـربـتْ فـي خـضـرةِ الـرّوضِ صـفـرةً مِنَ الشّمسِ فَاخْضرَّ اخْضراراً مشعشعا[1]

❖ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ/١٠٨ م)

(مداهن درّ حشوهن عقيق)

عرف أبو العباس عبد الله بن المعتز، الشاعر العباسي ببراعته في فن الوصف، وبأنه من أطبع الشعراء العباسيين في هذا المضمار. ولقد كان للبيئة الغنية المترفة التي عاش فيها ابن المعتز، وهو ابن خليفة، تأثير بارز في توجيه شاعريته وجهة فنية خالصة عمادها التفنن في أنواع البديع المختلفة، والبراعة في وصف الأزهار والرياحين، والرياض، والثمار والمياه والأنجم، خاصة.

ومن بديع وصفه للأزهار، وصفه النرجس، وعليه قطرات الطّل، فيقول:

كـأنَّ عـيـونَ الـنّـرْجـسِ الـغـضّ حـولَـهـا مـداهـنُ دُرٍّ حَـشْـوُهُـنَّ عـقـيـقُ
إذا بـلَّـهُـنَّ الـقـطـرُ خـلـت دمـوعَـهـا بـكـاءَ عـيـونٍ كُـحْـلُـهـنَّ خَـلـوقُ[2]

❖عمر أبو ريشة

(وقطفتها لهفي لمن أهديها)

ومن أروع ما قيل في الزنبق، ما قاله الشاعر السوري المعاصر عمر أبو ريشة، ويبدو على شعره الوصفي أثر المدرسة الرومنطيقية، أو الابتداعية. يقول عمر في الزنبقة التي قطفها للتو من الجنينة:

أَلـفـيْـتُـهـا مـخـضـلّـةً فـي روضِـهـا والـفـجـرُ بـيـنَ ذيـولِـه يَـطْـويـهـا
حـتـى إذا انـتـفـضَـتْ عـلـيـه تـجـمّـعَـتْ أنـفـاسُـه وتـجـمّـدت فـي فـيـهـا
وتـمـايـلـتْ تـيـهـاً بـعـرسِ فـتـونِـهـا وزهَـتْ وعـرسُ فـتـونـهـا يـبـكـيـهـا
والـطّـيـبُ مـسـفـوحٌ عـلـى جـنـبـاتِـهـا يَـهـمـي عـلـى روحـي بـمـا يُـشـجـيـهـا
فـلـويْـتُ فـي شـبـهِ الـذُّهـولِ أنـامـلـي وقـطـفْـتُـهـا لَـهْـفـي لِـمَـنْ أُهـديـهـا

❖أبو هلال العسكري

(فتحسبه عقيقاً في زبرجد)

ولم يفت النارنج، والأترج، وهو يزين أشجار الروض، أبا هلال العسكري، فقال من أحسن الوصف فيه:

---

(١) نفسه. ورنقت: ثبتت. والورس: ورد أصفر اللون. وشوّل: نقص. والنوار: الزهر. والأضرع: الخاشع. والمدنف: المتعب.

(٢) تاريخ الآداب العربية ١/ ٢٦٩. والخلوق: نوع من الطيب يؤخذ من الزعفران.

تـرى الـنّـارَنْـجَ فـي ورقٍ نـضـيـرٍ ... فـتـحـسـبُـه عـقـيـقـاً فـي زَبَـرْجَـدْ
وأتـرجٌّ عـلـى الأغـصـانِ يَـزْهـى ... كـمـا رفـعَ الـفـتـى قـنـديـلَ عَـسْـجَـدْ[1]

❖البحتري

(أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً)

ومن روائع شعر الوصف عند البحتري، وصفه للربيع، وقد اكتست الطبيعة بأبهى الحلل، وبدت في أجمل وشاح. يقول البحتري:

أتـاكَ الـرّبـيـعُ الـطَّـلْـقُ يـخـتـالُ ضـاحـكـاً ... مِـنَ الـحُـسْـنِ حـتـى كـادَ أنْ يـتـكـلّـمـا
وقـد نَـبَّـهَ الـنّـيـروزُ فـي غَـلَـسِ الـدُّجـى ... أوائـلَ وَرْدٍ كُـنَّ بـالأمـسِ نُـوَّمـا
يُـفَـتِّـقُـهـا بـردُ الـنـدى فـكـأنّـه ... يـبـثُّ حـديـثـاً كـانَ أمـسِ مُـكَـتَّـمـا
فـمِـنْ شـجـرٍ ردَّ الـربـيـعُ لـبـاسَـه ... عـلـيـهِ كـمـا نَـشَّـرْتَ وَشْـيـاً مُـنَـمْـنَـمـا
أحـلَّ فـأبـدى لِـلـعـيـونِ بـشـاشـةً ... وكـانَ قـذىً لِـلْـعَـيْـنِ إذْ كـان مُـحـرِمـا
ورقَّ نـسـيـمُ الـرَّوْضِ حـتـى كـأنّـه ... يـجـيءُ بـأنـفـاسِ الأحـبّـةِ نُـعَّـمـا
فـمـا يـحـبسُ الـراحَ الـتـي أنـتَ خِـلُّـهـا ... ومـا يـمـنـعُ الأوتـارَ أنْ تَـتَـرَنَّـمـا[2]

❖القاضي التنوخي

(وكان الربيع يجلي عروساً)

ومن الذين وصفوا الربيع فأبدعوا، القاضي أبو القاسم التنوخي، الشاعر العباسي، يقول القاضي:

مـا تـرى نِـعـمـةَ الـسّـمـاءِ عـلـى الأرضِ ... وشُـكْـرَ الـرّيـاضِ لِـلأَمـطـارِ
وغـنـاءَ الـطّـيـورِ كـلَّ صـبـاحٍ ... وَازْدِيـانَ الأشـجـارِ بـالأنـوارِ
وكـأنّ الـربـيـعَ يـجـلـي عـروسـاً ... وكـأنّـا مِـن قـطـرِه فـي نـثـارِ[3]

❖المتنبي (ت ٣٥٤ هـ/٩٦٥ م)

(مغاني الشعب طيباً في المغاني)

ومن الوصف الجيد، البديع الصورة، والعبارة، وصف أبي الطيب المتنبي، أشهر شعراء العرب في العصر العباسي، لشعب بوّان، وهو موضع يقع بالقرب من شيراز ببلاد فارس، وهو كثير الشجر والمياه، ويعد من جنان الدنيا. يقول أبو الطيب:

---

(١) ديوان المعاني ص ٩٣. والعقيق: حجر كريم. والزبرجد، مثله.
(٢) الديوان ٢/ ٢٩٠. والطلق: المستبشر. والنيروز: عيد رأس السنة عند الفرس، وهو في أول الربيع. والغلس: الظلمة التي تسبق الفجر. ويبث: يهمس بوحاً. وأحل: لبس ثياب الإحلال بعد انتهاء الحج. والقذى: ما يدخل العين من تراب أو قش أو غيره. والمحرم: من لبس ثوب الإحرام، وهو أبيض اللون.
(٣) الإعجاز والإيجاز، للثعالبي. ص ٢٥١. والأنوار: الأزهار، جمع نوْر. وقطره: مطره. والنثار: التفريق.

مغاني الشِّعْبِ طيباً في الْمغاني ... بِمنزلةِ الرّبيعِ منَ الزّمانِ
ولكنَّ الفتى العربيَّ فيها ... غريبُ الوجهِ واليدِ واللّسانِ
ملاعبُ جِنَّةٍ لو سارَ فيها ... سليمانٌ لَسارَ بترجمانِ
طَبَتْ فرسانَنا والخيلَ حتى ... خشيت وإنْ كرمْنَ مِنَ الحِران
غدونا تنفضُ الأغصانَ فيها ... على أعرافِها مثل الجُمان
فسرْتُ وقد حجبْنَ الحرَّ عنّي ... وجئْنَ منَ الضِّياءِ بما كفاني
وألقى الشّرقُ منها في ثيابي ... دنانيراً تفرُّ مِنَ البنان
لها ثمرٌ تشيرُ إليكَ منه ... بأشربةٍ وقفْنَ بلا أوان
وأمواه تصلُّ بها حصاها ... صليلَ الحلْيِ في أيدي الغواني
يقولُ بشِعبِ بوّانٍ حِصاني ... أعَنْ هذا يُسارُ إلى الطّعان
أبوكمْ آدمٌ سنَّ المعاصي ... وعلّمكم مفارقةَ الجِنان[1]

❖الصنوبري

(وغدا الأقحوان يضحك عجباً)

ومن الشعر الوصفي البديع، وصف أبي بكر أحمد بن محمد، المعروف بالصنوبري، وهذا من أبرز الشعراء المطبوعين في العصر العباسي. خصص معظم شعره لوصف الرياض، حتى ضرب المثل بروضياته، وهو القائل:

لو كنت أملك للرياض صيانة ... يوماً لما وطىء اللئام ترابها

ونحن، هنا، اخترنا هذا الوصف الرائع لروضة من الرياض، وفيها تتجلى مقدرة الصنوبري على بعث الحياة والحركة في النبات، فإذا الأزهار على اختلافها، كائنات حية تتحرك وتتنفس، وتتحاسد وتتباغض، ويغار كل منها من الآخر. يقول الصنوبري:

خجل الوردُ حينَ لاحظَهُ النَّرْجِسُ ... مِن حسنِه وغارَ البهارُ
فعلتْ ذاكَ حمرةٌ وعلتْ ذا ... صفرةٌ وَاعْترى البهارَ اصْفرار
وغدا الأقحوانُ يضحكُ عجباً ... عن ثنايا لثامُهُنَّ نُضار
ثُمَّ نمَّ النَّمَّامُ وَاسْتمعَ السَّوْسَنُ ... لمّا أُذيعتِ الأسرار
عندها أبرزَ الشّقيقُ خدوداً ... صار فيها مِن لطمةٍ آثار
سُكِبَتْ فوقها دموعٌ مِنَ الطَّلِّ ... كما تُسكبُ الدموعُ الغِزار

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي ١/ ٥٨٩ ـ ٥٩٢. شرح ناصيف اليازجي. وتصلّ: تصوّت. والغواني: الحسان، جمع غانية، والأواني: جمع آنية، جمع إناء. والبنان: أطراف الأصابع. والأعراف: جمع عرف، وهو شعر عنق الفرس، والجمان: اللؤلؤ والفضّة. وطبت: دعت. والمغاني: جمع مغنى، وهو المبنى الجميل. والشعب: المنفرج بين جبلين.

فَاكْتَسى البَنفسجَ الغَضُّ أثوابَ حدادٍ دخانُها الاصطبار
وأضرَّ السَّقامُ بالياسمين الغضِّ حتى آذى به الإضرار
ثمّ نادى الخِيريّ في سائرِ الزّهرِ فوافاه جحفلٌ جرّار
فاستجاشوا على محاربةِ النّرجسِ بالجحفل الذي لا يُبار
وبدَوْا في جواشنٍ سابغاتٍ تحت سجْفٍ من العجاجِ يُثار
ثمّ لمّا رأيتُ ذا النرجسَ الغضَّ ضعيفاً ما إنْ لديه انتصار
لم أزلْ أُعملُ التّلطّفَ لِلوردِ حذاراً أن يغلبَ النَّوّار
وجمعناهم لدى مجلسٍ فيه تُغنّي الأوتارُ والأطيارُ[1]

❖أبو هلال العسكري (ت ٤٠٠ هـ/١٠٠٩ م)

(وترى الطير فوقها خطباء)

يعتبر أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، من أبرع الشعراء الذين وصفوا الطبيعة سماءها وأرضها، نجومها ورياضها، ثمارها والغياض، ومن أدق الوصف وأبرعه، وصفه للروض، إذ يقول:

لبسَ الماءُ والهواءُ سناءً وَاكْتسى الرَّوْضُ بهجةً وبهاءَ
وكأنَّ الهواءَ صارَ رحيقاً وكأنَّ الرّحيقَ صارَ هواءَ
وتخالُ السّماءَ باللّيلِ أرضاً وترى الأرضَ بالنّهارِ سماءَ
جَلَّلَتْها الأنواءُ زُهْراً وصُفْراً يومَ ظلّتْ تنادمُ الأنواءَ
وترى السَّرْوَ كالمنابرِ تزهى وترى الطّيرَ فوقَها خُطَباءَ[2]

(وفيها لين أعطاف الغلام)

ومن أدق وصفه وأبرعه، وصفه للريحان. يقول أبو هلال:

وخضرٍ يجمعُ الأعجازَ منها مناطقُ مثلُ أطواقِ الحمام
لها حسنُ العوارضِ حينَ تبدو وفيها لينُ أعطافِ الغلامِ[3]

---

(١) تاريخ الآداب العربية ١/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠. والنوار: الزهر. والجواشن: الدروع. وسابغات: واسعات. والسجف: الستر. والعجاج: الغبار. واستجاشوا: تجمعوا. ويبار: يهلك. والخيري: المنثور، وهو أحد أنواع النبات. والجحفل: العسكر. والجرار: الكثير العدد. والطل: الندى. والنمام: نوع من النبات العطري. والسوسن: نوع من الرياحين؛ ومثله الأقحوان.

(٢) ديوان أبي هلال العسكري ص ٤٣. تحقيق جورج قنازع. المطبعة التعاونية دمشق ١٤٠٠ هـ/ ١٩٧٩ م. والرحيق: ضرب من الطيب. وهنا: ما تفرزه الأشجار فتجتذب به الفراشات والنحل.

(٣) نفسه ص ٢٠٨. والعوارض، جمع عارضة، وهي صفحة الخد، والثنية من الأسنان.

❖ابن خفاجة (ت ٥٣٢ هـ/١١٣٨ م)

(حسناء شدّ بخصرها زنّار)

تفنن أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن خفاجة، الشاعر الأندلسي، في وصف الرياض، والغياض، والبساتين، والرياحين، فترك في هذه الموضوعات وصفاً رائعاً دقيقاً. وإن من هذا الشعر الوصفي البديع، وصفه لتلك الروضة التي حفت بالأشجار وجرت خلالها الأنهار. يقول ابن خفاجة:

وأراكةٍ ضربَتْ سماءَ فوقَنا ... تَندى أصيلاً والكؤوسُ تُدارُ
حفَّتْ بدوحتِها مَجَرَّةُ جدولٍ ... نثرتْ عليه نجومَها الأزهار
فكأنّها وكأنَّ جدولَ مائِها ... حسناءُ شُدَّ بِخصرِها زنّار
زفّ الزّجاجُ بها عروسَ مدامةٍ ... تُجلى ونوّارُ الغصونِ نثار
في روضةٍ جِنْحُ الدُّجى ظلٌّ لها ... وتجسّمتْ نوراً بها الأنوار
غنّاء ينشرُ وشيَه البزّازُ لي ... فيه ويفتقُ مسكَه العطّار
قام الغناءُ به وقد نَضَحَ النّدى ... وجه الثّرى واستيقظَ النّوّار
والماءُ في حلي الحياء مقلّدٌ ... زَرَّتْ عليه جيوبَها الأشجار[1]

(باكرتْه والغيم قطعة عنبر)

وله أيضاً:

وَمَجرٌ ذيلِ عِمامةٍ لبستْ بهِ ... وشيَ الحَبابِ معاطفُ الأنهار
خفقتْ ظلالُ الأيكِ فيه ذوائباً ... وَارْتَجَّ رِدفا مائلِ التّيّار
ولوى القضيبُ هناك جيداً أتلعاً ... قد قَبَّلَتْه مباسمُ النُّوّار
باكرْتُه والغَيْمُ قطعةُ عنبرٍ ... مشبوبة والبرقُ لفحةُ نار
والرّيحُ تطلعُ فيه أرداف الرّبى ... لعباً وتلثمُ أوْجُهَ الأزهارِ
ومنابرُ الأشجارِ قد قامتْ بها ... خطباءُ مفصِحةٌ مِنَ الأطيار[2]

❖ابن زيلاق (ت ٦٦١ هـ/١٢٦٢ م)

(أو ما ترى فصل الربيع وحسنه)

ومن الشعر الوصفي البديع، وصف يوسف بن زيلاق الموصلي، للرياض وما تضم

---

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/١٤٨ ـ ١٤٩. والأراكة: واحدة الأراك، وهو شجر طيب الرائحة تتخذ منه المساويك. والدوحة: الشجرة العظيمة. والمجرّة: منطقة في السماء فيها عددلا يحصى من النجوم. والنثار: ما ينثر. والنوار: الزهر. والبزاز: بائع البزّ والثياب. والعطار: بائع العطور وصانعها، وفتق: خلط. والحياء: المطر والخصب. والمدامة: الخمرة.

(٢) نفسه ٢/١٤٩. والحباب: فقاقيع الماء. والأيك: الشجر الملتف. والذوائب: أعالي كل شيء. وأتلع: طويل.

الرياض من ورود ورياحين، وأشجار وأزهار وأثمار وأطيار وأنهار. يقول ابن زيلاق، وشعره يمتاز بعذوبة اللفظ وسلاسة المعنى:

قُمْ لا عدِمْتُكَ فالرّياحُ تُغَرْبِلُ ... والرّعدُ يطحنُ والغمائمُ تنخلُ
والمسكُ قد عجنَ الثّرى بسحيقهِ ... والعودُ يحرقُ والحُمَيّا تشعل
والدَّنُّ تنّورٌ توقّدَ جمره الصَّهْباءُ ... باطنُه وفارَ المنزل
واللّونُ تبرٌ والحقيقةُ جوهرٌ ... والرّيحُ مسكٌ والمذاقةُ فوفل
والبردُ قد دلّى فمالكَ راقداً ... متدثّراً يا أيُّها المُزَّمِّل
أَوَ ما ترى فصلَ الربيعِ وحُسْنَه ... والرّوضُ يضحكُ والحيا يتهلّل
والغيم كالكافورِ ينثرُ لؤلؤاً ... والجوُّ مسكٌ والغديرُ مُصَنْدل
أَبْدَتْ بدائعَ زهرِ هالكَ جَنَّةٌ ... قد زُخرِفَتْ فنعيمُها متعجّل
نسجتْ يدُ الإبداعِ وَشْيَ قومِها ... فلأجلِ ذاك النّسج عيني تغزل
فَمُصَفَّرٌ ومُبَيَّضٌ ومطوَّسٌ ... ومُرَيَّشٌ ومُرقّش ومكلَّل
ومدبَّجٌ ومكتّبٌ ومذهّبٌ ... ومفضّضٌ باللازَوَرْدِ مُكَحَّل
جلَّ المكوِّنُ أعيناً ما زانَها ... كحلٌ ومبدع صبغةٍ لا تنصل
فإذا اجتليتَ فكلُّ شبرِ نزهةٌ ... وإذا ظمِئْتَ فكلُ باعٍ منهل
وهزارُها شحرورُها وَرَشانُها ... سُمّانُها دَرّاجُها والبلبل
هذا يحادثُ ذا بأحسنِ منطقٍ ... وإذا شدا الثاني أعاد الأوّل
ويضمُّ مأثمَها الفواختُ سَحْرةً ... فكأنّهنَّ مفجّعاتٌ ثُكَّل
وعلى الغديرِ شباكُ تبرٍ حاكها ... شمسُ الضحى وسنا دروعٍ تُصْقَل[1]

❖ابن النقيب (ت ١٠٨١ هـ)

(وكأنّ الشقيق خدّ لطيم)

ومن بديع وصف الرياض، المتفنن في تشابيهه، وصف عبد الرحمٰن بن محمد، الملقب بابن النقيب، الشاعر الشامي، يقول ابن النقيب:

ما رياضٌ مطلولةُ الزّهرِ قد ... خلتْ كسُحْبٍ تدلّها العزّالا
فَزَها زهرُها وأخصبَ ريّاها ... وماستْ بها الغصونُ اختيالا
فَانسيابُ الأصيلِ فيها كأَيْمِ ... فاجأته أيدي الخطوبِ اغتيالا

---

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣. والسحيق: المسحوق. والعود: نوع من الخشب يتبخر به. والحميا: سورة الخمرة. والصهباء: الخمرة. والتبر: الذهب. فوفل: ضرب من النخل. والمزمّل: المتدثر بالدثار. والحيا: المطر. ومصندل: مطيّب بالصندل، وهو شجر هندي طيب الرائحة. والوشي: النقش. والمطوس: المزين كالطاووس. والمدبج: المنقش. واللازورد: معدن أزرق شفاف. والفواخت: ضرب من الحمام. والورشان والهزار والسمان والدراج: ضرب من الطير.

وكأنّ الأقاحَ منها شِفاه ... أودعَتْها مُزْنُ الربيعِ الزّلالا
وكأنّ الشقيقَ خدُّ لطيم ... كوّنَتْ فيه بهجةُ الحسنِ خالا
وكأنّ الأطيارَ حين تغنّتْ ... غادرَتْ بينها الغناءَ سِجالا[1]

❖العلا السّروي

(فلم نر شيئاً كان أحسن منظراً)

ومن مليح الوصف، وأطرفه، وصف العلا السروي، الشاعر العباسي، للروض، وقد اكتست أشجاره بنور الزهر، يقول العلا:

قَرَنّا على الرَّوْضِ الذي قد تبسَّمَتْ ... ذُراهُ وأرواحُ الأباريقِ تُسْفَكُ
فلم نرَ شيئاً كانَ أحسنَ منظراً ... مِنَ الرَّوضِ يجري دمعُه وَهْو يَضْحَكُ[2]

❖الرصافي

(ناح الحمام وغرّد الشحرور)

ومن أبدع الوصف المحدث للروض، ما قاله الشاعر العراقي المعاصر معروف الرصافي، وتظهر في شعره نزعة تمثل القديم. يقول الرصافي، من جيد الشعر وأرقّه وأسلسه:

ناحَ الحمامُ وغرّدَ الشحرورُ ... هذا به شَجَنٌ وذا مسرورُ
في روضةٍ يشجي المشوقَ ترقرقٌ ... لِلماءِ في جنباتِها وخرير
ماءٌ قد انْعكسَ الصفاءُ بوجهِهِ ... وصفا فلاحَ كأنّه بلُّور
وتسلسلَتْ في الرّوضِ منه جداولٌ ... بينَ الزّهورِ كأنّهنّ سطور
حيثُ الغصونُ معَ النسيمِ موائلٌ ... فكأنّهنّ معاطفٌ وخصور
عُنِيَ الرّبيعُ بِوَشْيِها فتنوَّعَتْ ... لِلعينِ أنوارٌ بها وزهور
متعطِّرٌ فيها النسيمُ كأنّما ... جَيْبُ النسيمِ على الشّذا مزرور
لِلنّرجسِ المطلولِ ترنو أعينٌ ... فيها وتبسَمُ لِلأقاحِ ثغور
وتروقُ من بعدٍ بها فوّارةٌ ... في الجوّ يدفقُ ماؤُها ويغور
يحكي عمودُ الماءِ فيها آخذاً ... صُعُداً عمودَ الصّبحِ حينَ يُنير

---

(١) تاريخ الآداب العربية ١/٣٦١. وريّاها: ريحها الطيّبة. وماست: تبخترت واختالت. والأيم: الثعبان. والأقاحي: نوع من الرياحين. والمزن: المطر. والزلال: العذب الرائق. والشقيق، واحد شقائق النعمان. والخال: نكتة سوداء في الوجه. وسجالا: جمع سجل، وهو الدلو، والنصيب من الشيء. والسجال، هنا، المداولة بين الشيئين.

(٢) الإعجاز والإيجاز، للثعالبي ص ٢٢٨.

ناديتُ لما أنْ رأيتُ صفاءَه ... والنورُ فيه مغلغلٌ مكسور
هل ذاكَ ذَوْبُ الماسِ يجمدُ صاعداً ... أم قد تجسَّمَ في الهواءِ النور
تتناثرُ القطراتُ في أطرافِها ... فكأنّما هي لُؤْلؤٌ منثور
فأجلْتُ في الأزهارِ لحظَ تعجُّبي ... ولِفكرتي بصفائِهنَّ مرور
فنظرْتُهُنَّ تحيُّراً ونظرْنَني ... حتى كِلانا ناظرٌ منظور[1]

❖ابن صارة (ت ٥١٧ هـ)

(رفعت لواء الحسن للنّظّار)

ومن أدق الوصف وأجمله، ما قاله أبو محمد عبد الله بن صارة الشنتريني، الأديب والكاتب والشاعر الأندلسي، في وصف روض رصعته أنوار النرجس والبهار:

وحديقةٍ في نرجسٍ وبهارِ ... رفعت لواءَ الحسنِ لِلنُّظّارِ
فكأنّما هذا ضحىً متهلّلٌ ... وكأنما هذا أصيلُ نَهارِ
أخوانِ أمُّهما معاً شمسُ الضّحى ... وأبوهما قمرُ السّماءِ السّاري
شربا سلاف القطرِ حتى عربدا ... وتراجما بكواكبِ الأزهارِ[2]

---

(١) ديوان الرصافي ص ٦٢٦. دار العودة. بيروت ١٩٧٢ م. والشجن: الحزن. ويشجي: يحزن. والوشي: الزينة. والأنوار، جمع نوز، وهو الزهر. والشذا: الرائحة الطيبة. والنرجس والأقاحي، من الزهور والرياحين. وفوارة، صفة للنافورة.

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لابن بسام ٢/ ٧٩٥. دار الثقافة. بيروت ١٩٧٩ م. والسلاف: الخمرة.

الباب الثاني

الطبيعة الجامدة

١ ــ السماء والنجوم

٢ ــ الدور والقصور

١ ــ السماء والنجوم

❖المهلهل

(فقد أبكي من الليل القصير)

ومن أبدع الوصف، وصف مهلهل بن ربيعة، واسمه عدي، الشاعر الجاهلي المعروف، للّيل والنجوم، وذلك في معرض رثائه لأخيه كليب، وقد ذكر فيه كواكب الجوزاء، والجدي، والثريا، وتعرف باسم النجم؛ يقول مهلهل:

فإنْ يكُ بالذَّنائبِ طالَ ليلي ... فقد أبكي مِنَ اللّيلِ القصيرِ
كأنَّ كواكبَ الجوزاءِ عُودٌ ... معطّفةٌ على ربعٍ كسيرِ
كأنَّ الجديَ في مثناه ربقٌ ... أسيرٌ أو بمنزلةِ الأسيرِ
كأنَّ النَّجمَ إذْ ولّى سُحَيْراً ... فِصالٌ جُلْنَ في يومٍ مطيرِ
كواكبُها زواحفُ لاغباتٌ ... كأنَّ سماءَها بِيديَّ مديرِ
كواكب ليلةٍ طالتْ وغُمَّتْ ... فهذا الصّبحُ راغمةً فغوري[1]

❖ابن سليمان الحلبي

(طيور على نهر المجرّة حوّم)

ومن الوصف الدقيق البارع، وصف شهاب الدين محمود بن سليمان الحلبي الكاتب، للنجوم، يقول:

ولاحتْ نجومُ اللّيلِ زُهْراً كأنّها ... عقودٌ على خَوْدٍ مِنَ الزنجِ تُنظمُ
محلّقةٌ في الجوِّ تحسبُ أنّها ... طيورٌ على نهرِ المجرّةِ حُوَّمُ
إذا لاحَ بازي الصُّبْحِ ولّتْ يَؤُمُّها ... إلى الغربِ خوفاً منه نسرٌ ومِرْزَمُ[2]

❖ظافر الحداد

(توقد جمر في خلال رماد)

ومن الوصف الجيد للنجوم، وصف الشاعر ظافر الحداد:

---

(١) الأمالي، لأبي علي القالي ٢/ ١٧٢. مطبعة السعادة. القاهرة ١٩٥٣ م. والربع: ولد الناقة. والربق: الحبل. والفصال: أولاد الناقة.

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري. ص ١٠/ ٣٣٠. ط دار الكتب. القاهرة. والخود: الفتاة الحسناء. والمجرّة: مجتمع النجوم. ويؤمها: يقصدها. والنسر، اسم كوكب. والمرزم، واحد المرزمين، النجمين المعروفين.

كأنَّ نجومَ الليلِ لمّا تبلَّجَتْ ... تَوَقُّدُ جَمْرٍ في خِلال رمادِ
حكى فوقَ ممتدِّ المجرّةِ شكلُها ... فواقعَ تطفو فوقَ لُجَّةِ وادي[1]

❖ابن المعتز

(تفتّح بينها نور الأقاحي)

ومن رائع الوصف لفظاً وسبكاً، وإصابة للمعنى، قول ابن المعتز في النجوم والسماء:

كأنّ سماءها لما تجلّت ... خلال نجومها عند الصباح
رياض بنفسج خضل نداه ... تفتّح بينها نور الأقاحي[2]

❖امرؤ القيس (ت حوالي ٥٤٠ م)

(ألا أيها الليل الطويل ألا انجلِ)

من أدق الوصف وأبرعه، وأكثره جودة وإصابة للمعنى، وتعبيراً عن الذات، ذات الشاعر في همومها وقلقها، وصف امرىء القيس، الشاعر الجاهلي المعروف، للّيل ونجومه، وكان بالنسبة إليه، أو هكذا خيلّ له، ليلاً طويلاً، لأنه يعبر عن معاناته. يقول امرؤ القيس:

وليلٍ كموجِ البحرِ أرخى سُدولَهُ ... عليَّ بأنواعِ الهمومِ لِيَبْتَلي
فقلتُ له لمّا تمطّى بصلبهِ ... وأردفَ أعجازاً وناءَ بكلكلِ
ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا انجلِ ... بصبحٍ وما الإصباحُ منكَ بأمثلِ
فيا لكَ مِن ليلٍ كأنَّ نجومَهُ ... بكلِّ مُغارِ الفتلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ
كأنَّ الثُّريّا عُلِّقَتْ في مصامِها ... بأمراسِ كتّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ[3]

ومن أحسن ما قيل في وصف النجوم أيضاً، قول امرىء القيس:

نظرت إليها والنجوم كأنها ... مصابيح رهبان تشبّ لقفّال[4]

❖أبو العلاء (ت ٤٤٩ هـ/١٠٥٧ م)

(ليلتي هذه عروس من الزنج)

ومن أبدع أوصاف الليل والنجوم؛ وصف أبي العلاء المعري الذي وفق في تشبيهاته

---

(١) نفسه ١١/ ٣٣، واللجة معظم الماء.
(٢) محاضرات الأدباء: ١/ ٣٣٢. والنور: الزهر. والأقاحي: نوع من الرياحين.
(٣) المعلقات العشر، ص ٣٤ ـ ٣٥. دار صعب. بيروت ١٩٨١ م. والسدول: الستور. وتمطى: تمدد. وأردف: أتبع. والأعجاز: المآخذ. وناء: بعد. وكلكل: صدر.
(٤) ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري ١/ ٣٣٢. وتشب: توقد. والقفال: الراجعون من السفر. مكتبة القدسي. القاهرة ١٣٥٢ هـ.

إلى حد بعيد، وذكر عدداً من النجوم فأجاد وصفها، منها الثريا وسهيل والشعريان، وإنا لنقتطف من هذا الوصف الرائع قوله:

رُبَّ ليلٍ كأنَّهُ الصبحُ في الحسْنِ ... وإنْ كانَ أسودَ الطَّيلسانِ
قد ركضْنا فيه إلى اللَّهوِ لمّا ... وقفَ النجمُ وقفةَ الحيرانِ
ليلتي هذهِ عروسٌ من الزَّنْجِ ... عليها قلائدٌ من جُمانِ
وكأنَّ الهلالَ يَهْوى الثُّريا ... منهما لِلوداعِ معتنقانِ
وسهيلٌ كوجنةِ الحِبِّ في اللونِ ... وقلبِ المحبِّ في الخفقانِ
مستبدّاً كأنه الفَارسُ المعلمُ ... يبدو معارضَ الفرسانِ
يُسرعُ اللمحَ في احْمرارٍ كما تُسرعُ ... في اللمحِ مقلةُ الغضبانِ
ضرّجَتْهُ دماً سيوفُ الأعادي ... فبكتْ رحمةً له الشّعريانِ
وعلى الدهرِ من دماءِ الشهيدَيْنِ ... عليٌّ ونجلِه شاهدانِ
فهما في أواخرِ الليلِ فجرانِ ... وفي أولياته شفقانِ[1]

❖المنصور المصري

(كما احتجبت مقل بالدموع)

ومن أجمل الوصف في النجوم، وصف المنصور الفقيه المصري. يقول:

وليلٍ كأنَّ نجومَ السَّما ... بهِ مُقَلٌ رَنَّقَتْ لِلهجوعْ
ترى الغَيمَ من دونِها حاجباً ... كما احْتجبتْ مُقَلٌ بِالدُّموعْ[2]

❖المتنبي

(كأن نجومه حلي عليه)

ومن أدق الوصف للنجوم، وأبلغه، وصف أبي الطيب المتنبي، إذ يقول:

كأنَّ الفجرَ حِبٌّ مستزارٌ ... يُراعي مِن دُجُنَّتِه رقيبا
كأن نجومَه حليٌ عليه ... وقد حُذِيَتْ قوائمُه الجَيوبا[3]

❖ابن شهيد

(تخال بها زهر الكواكب نرجساً)

ومن الذين وصفوا الليل والنجوم، وذكروا عدداً منها، أبو عامر أحمد بن عبد الملك ابن شهيد، الوزير والكاتب والشاعر الأندلسي، فقال من أجمل الوصف:

---

(١) ديوان سقط الذند ص ٤٥ ـ ٤٦. والحب: الحبيب. والجمان: الفضة. والطيلسان: الثوب الطويل.
(٢) الإعجاز والإيجاز، للثعالبي. ص ٢٥٧. والمقل: العيون. ورنقت: خالطها النعاس. والهجوع: النوم.
(٣) ديوان أبي الطيب ١/ ٢٠١. شرح اليازجي.

سهرْتُ بها أرعى النجومَ وأنجماً ... طوالعَ لِلرّاعين غيرَ أوافلِ
وقد فغرَتْ فاهاً بها كلُّ زهرةٍ ... إلى كلِّ ضرعٍ للغمامةِ حافلِ
تخالُ بها زُهْرُ الكواكبِ نرجساً ... على شِطِّ وادٍ للمجرّةِ سائلِ
وتلمعُ مِن جوازئِها في غروبها ... تساقُط عرشٍ واهنِ الدّعمِ مائلِ
وتحسبُ صقراً واقعاً دبرانَها ... بعشِّ الثُّريّا فوقَ حُمْرِ الحواصلِ
وبدرَ الدُّجى فيها عذيراً وحولَه ... نجومٌ كطلعاتِ الحمامِ النّواهلِ[1]

❖الشريف الرضي

(وليل ترى الفجر في عطفه)

ومن بارع الوصف، وجيد التصوير، وصف الشريف الرضي، الشاعر العباسي المشهور، للشتاء بسمائه، وبروقه، وليله، ورياضه، وغيومه.. يقول الشريف الرضي:

سمائي مُذَهَّبَةٌ بالبروقِ ... وأرضي مُفَضَّضَةٌ بالحبابِ
ورَوْضي مطارفُه غَضَّةٌ ... تطرّزُ أطرافها بالذّهابِ
وليلٍ ترى الفجرَ في عِطفهِ ... كما شابَ بعضُ جناحِ الغرابِ
يغارُ الظلامُ على شمسِه ... إلى أنْ يُواريَها بالحجابِ
وتُصفلُ أنجمُه العاصفاتُ ... إذا صدئَتْ مِن عمودِ السّحابِ
وبرقٍ ينفضُ أطرافَه ... كما رمحَتْ بُلْقُ خيلٍ عِرابِ[2]

(وليل كجلباب الشباب)

ومن أبرع الوصف وصف الشريف الرضي للّيل، وفيه نتبين لطافة المعنى، وروعة الأداء، يقول الشريف:

وليلٍ كجلبابِ الشّبابِ رقعْتُه ... بِصبحٍ كجلبابِ المشيبِ طلائعُهْ
كأنّ سماءَ اليومِ ماءٌ أثارَهُ ... مِنَ اللّيلِ سيلٌ فالنجومُ فواقعُهْ[3]

❖ابن طباطبا

(فلا كوكب جارٍ ولا فلك سار)

ومن أروع الوصف المبتكر للنجوم، وصف ابن طباطبا الشاعر العباسي المطبوع. يقول ابن طباطبا في وصف النجوم الرواكد ليلاً:

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ١/ ٢٦٦. والصقر والدبران والزهرة والثريا والجوزاء، من أسماء النجوم والكواكب.

(٢) الشريف الرضي، لأديب التقي البغدادي ص ٢٣١ ـ ٢٣٢. مطبعة كرم دمشق ١٩٦١ م. والحباب: فقاقيع الماء. والمطارف: الثياب. وغضة: ناعمة وطرية. والذهاب: المطر. والعطف: الجانب. والبلق: التي فيها بلق، أي ألوان مختلفة. والعراب من الخيل: الأصيلة.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٣٢.

كأنَّ نجومَ الليلِ سارتْ نهارَها فعادتْ عِشاءً وَهْي أنضاءُ أَسْفارِ
فخيَّمنَ حتى يستريحَ ركابُها فلا كوكبٌ جارٍ ولا فَلَكٌ سارِ[1]

(وفيه لآلٍ لم تشن بثقوب)

وقال فيها، في ليلة مقمرة:

كأنَّ اخْضِرارَ الجوِّ صرحٌ مُمَرَّدٌ وفيه لآلٍ لم تُشَنْ بِثقوبِ[2]

❖يحيى بن علي المهلب

(كقبة ياقوت بتبر مدثراً)

وقال في وصف النجوم والسماء، يحيى بن علي المهلب، الشاعر العباسي، وهو من جيد الوصف:

تَرى الفلكَ الدوَّارَ زُهْراً نجومُه كَقُبَّةِ ياقوتٍ بِتِبْرٍ مدثّرا[3]

❖رجاء بن الوليد

(وكأنما المرّيخ مقلة ناعس)

وفي المريخ، الكوكب المعروف، وهو كوكب نحس، في زعم المنجمين، ويتميز باحمراره الشديد، يقول الشاعر العباسي رجاء بن الوليد:

وكأنما المرّيخُ مُقلةُ ناعسٍ حمراءُ نُبِّهَ مِنَ لذيذِ نِعاسِهِ[4]

❖ابن طباطبا

(وديعة سرّ في ضمير مذيع)

وفي المشتري، الكوكب المشهور، وقد تدثر بالسحاب لحين، يقول ابن طباطبا، وهو من جيد الوصف والتشبيه، وينم عن ابتكار خلاّق:

كأنَّ اكْتتامَ المشتري في سحابهِ وديعةُ سرٍّ في ضميرِ مذيعِ[5]

❖أحد الخالديين

(كملت محاسنها ولم تتزوج)

ومن أدق الوصف وأبرعه ما قاله أحد الخالديين، هاشم أو محمد، وكلاهما من الشعراء العباسيين المطبوعين، في المشتري، وكان نازلاً في كوكبة الجوزاء:

---

(١) محاضرات الأدباء، للراغب الأصبهاني، ٣/ ٩٥.
(٢) المصدر نفسه ٤/ ٥٤٢. والصرح: القصر. والممرد: المصقول.
(٣) محاضرات الأدباء ٤/ ٥٤٢. والتبر: الذهب. ومدثراً: مغطّى بالدثار، وهو الثوب.
(٤) نفسه ٤/ ٥٤٥. والمقلة: العين.
(٥) محاضرات الأدباء ٤/ ٥٤٤.

أرعى النجومَ كأنها في أفقِها ... زهرُ الأقاحي في رياضٍ بنفسجِ
والمشتري وسْطَ السماءِ تخالُه ... وسَناهُ مثلُ الزِّئبقِ المترجرجِ
مسمارَ تبرٍ أصفرٍ رَكَّبْتَه ... في فصّ خاتمِ فِضَّةٍ فيروزجِ
وتمايلُ الجوزاءِ يحكي في الدُّجى ... مَيَلان شَاربِ قَهوةٍ لم تُمْزجِ
وتنقّبتْ بخفيفِ غيمٍ أبيضٍ ... هي فيه بينَ تخفُّرٍ وتبرُّجِ
كتنفّسِ الحسناءِ في المرآةِ إذْ ... كَمُلتْ محاسنُها ولم تتزوَّجِ[1]

❖القاضي التنوخي

(وكأن الجوزاء فيها شراع)

وقريب من المعنى السابق، ما قاله أبو القاسم علي بن محمد، المعروف بالقاضي التنوخي، في وصف الليل والنجوم، وقد ذكر الجوزاء:

رُبَّ ليلٍ قطعْتُه بصدودٍ ... وفراقٍ ما كانَ فيه وداعُ
وكأنَّ النجومَ بين دجاهُ ... سَنَنٌ لاحَ بينهنَّ ابْتداعُ
مشرقاتٌ كأنَّهنَّ حجاجٌ ... تقطعُ الخصمَ والظلامُ انقطاعُ
وكأن السماءَ خيمةُ وشْيٍ ... وكأنَّ الجوزاءَ فيها شِراعُ[2]

❖ابن الرومي

(يرنق فيها النوم ثم يغمض)

ومن بديع وصف ابن الرومي لغروب الشمس، قوله:

كأنَّ حُنُوّ الشمسِ ثم غروبَها ... وقد جعلتْ في مجنحِ الليلِ تمرضُ
تخاوُصُ عينٍ ملء أجفانِها الكرى ... يرنّقُ فيها النومُ ثم تغمّضُ[3]

❖الزهاوي

(فتكاد القلوب منه تذوب)

ومن رائع الوصف، وصف الشمس عند المغيب، ما قاله الشاعر العراقي المعاصر، جميل صدقي الزهاوي، ونلمح في شعره ظلالاً من التأمل في خلق الله وإبداعه. يقول الزهاوي:

أَتُرى أفزعَ الغزالةَ ذيبُ ... فَهيَ تَسْعى شريدةً وتغيبُ
وقدِ اصْفرَّ وجهُها كفتاةٍ ... قلبُها مِنْ وشْكِ الفراقِ كئيبُ

---

(١) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، للثعالبي ٢/١٥٨. والقهوة: الخمرة. والتبر: الذهب. والفيروزج: حجر كريم.
(٢) المصدر نفسه ٢/٣٣٦. والسنن: الطريق الواضح.
(٣) محاضرات الأدباء، للراغب الأصبهاني ٤/٥٣٨.

وعلاها السحابُ فَاحْمَرَّ منه ... لِدواعٍ ذوائبٌ وجيوب
صاحِ ما هذهِ الدّماءُ أراها ... بِعيوني أفي السحابِ حروب
أم تُرى أبدتِ الطَّبيعةُ لوحاً ... نظرُ الروحِ نحوه مجلوب
وَانْظرِ البَرَّ في مقابلةِ الشمسِ ... تجدْ ما تذوبُ منه القلوب
منظرٌ لِلغروبِ في البَرِّ مُشْجٍ ... فتكادُ القلوبُ منه تذوب
منظرٌ يعجزُ المصوِّرُ والشاعرُ ... عن رسمهِ ويعيا الخطيب[1]

❖ابن الأعرابي

(تموت وتحيا كل يوم وتنشر)

ومن أحسن ما قيل في وصف الشمس، وهو من أتم ما قالته العرب، قول ابن الأعرابي:

مُخَبَّأةٌ أمّا إذا اللّيلُ جَنَّها ... فتَخْفى وأمّا بالنّهارِ فتظهرُ
إذا انْشقَّ عنها ساطعُ الفجرِ فَانْجلى ... دُجى الليلِ وانجابَ الحجابُ المستَّر
وأُلبسَ عرضُ الأرضِ لوناً كأنّه ... على الأُفقِ الشرقيِّ ثوبٌ معصفر
ولون كدرعِ الزَّعْفرانِ مشبّه ... شعاعٌ يلوحُ فهو أزهرُ أصفر
إلى أنْ علتْ وابْيضَّ عنها اصفرارُها ... وجالتْ كما جالَ المليحُ المشهّر
ترى الظّلَّ يُطوى حين تعلو وتارةً ... تراهُ إذا مالتْ إلى الأرضِ يُنْشَر
وتدنف حتى ما يكادُ شعاعُها ... يَبِينُ إذا ولَّتْ لِمَنْ يتبصَّر
وأخفتْ قروناً وَهْي في ذاك لم تزلْ ... تموتُ وتحيا كلَّ يومٍ وتُنْشَر[2]

❖أبو هلال العسكري

(ولكن وجه الأرض منها مذهّب)

وفي وصف الشمس، وهي تشرق وتغرب، يقول أبو هلال العسكري، من الشعر الوصفي الجيد:

فيا بهجةَ الدُّنْيا إذا الشمسُ أشرقَتْ ... كما أشرقَتْ فوقَ البريَّةِ زينبُ
يفضّض منها الجوُّ عندَ طلوعِها ... ولكنَّ وجهَ الأرضِ منها مُذَهَّب
وتحسبُ عينَ الشمسِ إذْ هي رنّقتْ ... على الأُفقِ الغربيِّ تبراً يذوّبُ[3]

---

(١) ديوان الزهاوي ١/ ١٣٠. المطبعة العربية بمصر. ١٩٢٤ م. والغزالة: الشمس. والذوائب: أطراف الأشياء وذراها. ومشج: محزن. ويعيا: يعجز.

(٢) ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري ص ٣٥٩. وجنها: سترها. وانجاب: زال. ومعصفر: فيه ألوان العصفر، وهو أصفر. وتدنف: تضعف.

(٣) ديوان المعاني. ص ٥٥. والتبر: الذهب.

(كأنها عقرب مقطوعة الذنب)

ولأبي هلال في الشمس الغاربة وقد اقترن الهلال بالثريا، قوله، وهو من بديع الوصف:

شمسٌ هوَتْ وهلالُ الشَّهرِ يتبعُها ... كأنّه سافرٌ قدّامَ منتقبِ
تبدو الثُّريّا وأمرُ الليلِ مجتمعٌ ... كأنّها عقربٌ مقطوعةُ الذَّنَبِ[1]

❖رجل من بني سعد

(أرى قمر الليل المعذّب كالفتى)

ولئن وجد الناس في القمر ما يبعث على النشوة والارتياح، فإن رجلاً من بني سعد، لم يجد فيه سوى ما يدل على أجل الإنسان وموته، بعد أن يكون فتى ثم يصير رجلاً، ثم يشيخ ليواجه الفناء. يقول هذا الشاعر، وهو من رائع الوصف التأملي:

ومهما يكنْ رَيْبُ المنونِ فإنّني ... أرى قمرَ الليلِ المعذّبَ كالفتى
يهلّ صغيراً ثم يعظمُ قدرُه ... وصورتُه حتى إذا هو ما استوى
يقاربُ يخبو ضوؤهُ وشعاعهُ ... ويمصحُ حتّى يستسرَّ فلا يُرى
كذلك زَيْدُ المرءِ ثم انتقاصُه ... وتكرارُه في إثْرِه بعدَ ما مضى[2]

❖الصنوبري

(وبعض نجوم الليل يقفو سنا بعض)

ومن بديع الوصف للقمر والنجوم، وصف الصنوبري، أبي بكر أحمد بن محمد الحلبي، وهو شاعر عباسي مطبوع؛ يقول الصنوبري:

ولمّا تعالى البدرُ وامتدَّ ضوؤه ... بدجلة في تشرينَ في الطّولِ والعرضِ
وقد قابلَ البدرَ المفضّضَ لونُه ... وبعضُ نجوم الليلِ يقفو سنا بعضِ
توهّمَ ذو العينِ البصيرةِ أنه ... يرى باطنَ الأفلاكِ مِن ظاهرِ الأرضِ[3]

❖الحجّام

(والبدر كالمرآة)

ومن غريب الوصف والتشبيه، ما قاله أبو حفص بن برد، وهو شاعر أندلسي، في كلف القمر، أي بثوره، وهو من نادر الوصف والتشبيه:

والبدرُ كالمرآةِ غيَّرَ صقلَها ... عَبَثُ العذارى فيهِ بالأنفاسِ[4]

---

(١) المصدر نفسه ص ٧٣.
(٢) الأزمنة والأمكنة، للمرزوقي ٢/ ١٢١. ط ١٩٦٨ م.
(٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لابن بسام، ص ٨٢٨.
(٤) نفسه، ص ٨٧٤.

❖القاضي التنوخي

(انظر إليه كزورق من فضّة)

ومن رائع الوصف، وصف القاضي أبي القاسم التنوخي، الشاعر العباسي، للهلال. يقول القاضي:

أهلاً بِـفـطـر قـد أنـارَ هـلالُـه فَـالآنَ فَـاغْـذُ عـلـى الـشّـرابِ وبَـكِّـر
أُنـظـرْ إلـيـهِ كـزورقٍ مـن فِـضَّـةٍ قـد أثـقـلـتْـه حـمـولـةٌ مِـنْ عـنـبـر[١]

❖ابن المعتز

(مثل القلامة قد قدّت عن الظّفر)

وما أبدع تشبيه ابن المعتز في وصفه للهلال، وهو ابن ليلة أو ليلتين:

ولاحَ ضـوءُ هـلالٍ كـادَ يـفـضـحُـنـا مثلَ القُلامةِ قد قُدَّتْ عنِ الظُّفُرِ[٢]

ومن بديع قوله الآخر، فيه، وهو ابن ليلتي، في ظلام الليل الدامس:

إذ الـهـلالُ فـارقـتْـهُ لـيـلـتُـهْ بَـدا لِـمَـنْ يُـبـصـرهُ ويـنـعـتُـهْ
كـهـامـةِ الأسـودِ شـابـتْ هـامـتُـهْ[٣]

❖السري الرفاء

(ولاح لنا الهلال كشطر طوق)

أما السري الرفاء فيقول في الهلال، لأول الشهر، وهو من بديع الوصف:

ولاحَ لـنـا الـهـلالُ كـشـطـرِ طـوْقٍ عـلـى لـبّـاتِ زرقـاءِ الـلّـبـاسِ[٤]

❖ابن حمديس (ت ٥٢٧ هـ)

(يحصد من زهر الربى نرجساً)

وأما الشاعر الأندلسي عبد الجبار بن حمديس فقال في وصف الهلال، وهو من أدق الوصف:

انـظـرْ إلـى حـسـنِ هـلالٍ بـدا يـهـتـكُ مِـن أنـوارِهِ الـحِـنْـدِسـا
كـمـنـجـلٍ قـد صِـيـغَ مِـن عـسـجـدٍ يـحـصـدُ مِـن زهـرِ الـرُّبـى نـرجِـسـا[٥]

---

(١) الإعجاز والإيجاز، للثعالبي. ص ٢٥٠.
(٢) محاضرات الأدباء، للراغب الأصبهاني ٣/ ١١٢. دار مكتبة الحياة. بيروت ١٩٦١ م. وقلامة الظفر: ما ينزع منه لدى تقليمه.
(٣) ديوان المعاني، للعسكري. ص ٣٤٠. والهامة: الرأس.
(٤) محاضرات الأدباء ٤/ ٥٣٩. واللبّات، جمع لبّة، وهي موضع القلادة من العنق.
(٥) ديوان ابن حمديس ص ٥٥٣، دار صادر. بيروت ١٩٦٠ م والحندس: الظلام. والعسجد: الذهب.

❖ذو الرمة

(فلا هو مسبوق ولا هو يلحق)

ومن حسن الوصف، بل من جيده للثريا، هذه الكواكب المجتمعة معاً، والتي تشبه الثريا حقاً، أو القرط الذي يعلّق بالأذن، يقول ذو الرمة، الشاعر الأموي، وقد لاحظ أن الدبران، وهو كوكب أحمر، لا يفارقها:

ورذْتُ اغتساقاً والثريّا كأنّها ... على قمّةِ الرّأسِ ابنُ ماءٍ محلّقِ
يدفُّ على آثارِها دَبَرانُها ... فلا هو مسبوقٌ ولا هو يلحق
بعشرينَ مِن صغرى النجومِ كأنها ... وإياه في الخضراءِ لو كان ينطق
قلاصٌ حداها راكبٌ متعمّمٌ ... هجائنُ قد كادتْ عليه تَفَرَّق
قراني وأشتاتاً وحادٍ يسوقُها ... إلى الماءِ من جوزِ التّنوفةِ مطلق[1]

❖عبد الله الأسدي

(وقد لاح في الغور الثريا)

ومن الوصف البديع للثريا في آخر الليل، وصف عبد الله بن الزبير الأسدي. يقول:

وقد لاحَ في الغَوْرِ الثُّرَيّا كأنّما ... به رايةٌ بيضاءُ تخفقُ لِلطَّعْنِ[2]

❖ابن الأسلت (ت ١ هـ/٦٢٢ م)

(كعنقود ملاّحية حين نوّراً)

وقريب من الوصف الأول للثريا، بل هو أجمل وأكثر طرافة، وصف أبي القيس بن الأسلت، الشاعر الجاهلي الحكيم، إذ شبهها بعنقود العنب الملاّحي. يقول أبو قيس:

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى ... كعنقود ملاّحيه حين نوّرا[3]

❖ابن الطثرية (ت ١٢٦ هـ/٧٤٤ م)

(إذا ما الثريا في السماء كأنها)

وما أبدع وصف أبي المكشوح يزيد بن سلمة، المعروف بابن الطثرية؛ يقول في وصف الثريا:

إذا ما الثريا في السماء كأنها ... جمان وهي من سلكه فتبدّدا[4]

---

(١) ديوان ذي الرمة ص ٤٠١ ـ ٤٠٢. مطبعة كمبردج ١٣٣٧ هـ/١٩١٩ م. والقلاص: الغنم الصغير. والجوز: الوسط. والتنوفة: الأرض المنبسطة. ويدف: يسرع. والمطلق: الذي يرسل الإبل إلى الماء في يوم الطلق.

(٢) ديوان عبد الله بن الزبير الأسدي ص ١٣٧. تحقيق يحيى الجبوري. منشورات وزارة الإعلام. بغداد ١٩٧٤ م. والغور: الأرض المنخفضة.

(٣) الأغاني ١٥/١٦٦. دار الفكر الجميع. بيروت ١٩٧٠ م.

(٤) ديوان المعاني، للعسكري ١/ ٣٣٤. مكتبة القدسي. القاهرة ١٣٥٢ هـ. والجمان: الفضة.

❖السلامي

(يتهادى تهادي الأقداح)

ومن أجمل ما قيل في الثريا، والنجوم وهو وصف يعتمد التشبيه الحسيّ المتعدد الأوجه، قول السلامي، الشاعر العباسي:

فَسَمَوْنا والفجرُ يضحكُ في الشَّرقِ ... إلينا مبشّراً بالصَّباحِ
والثُّريّا كرايةٍ أو لجامٍ ... أو بنانٍ أو طائرٍ أو وشاحِ
وكأنّ النجومَ في يدِ ساقٍ ... يتهادى تهاديَ الأقداحِ[1]

❖ابن المعتز

(ولاحت لساريها الثريا)

وما أبدع وصف ابن المعتز للثريا، وتشبيهه إياها بالقرط الذي يزيّن أذن الغادة الحسناء:

ولاحتْ لِساريها الثُّريّا كأنّها ... على الأُفقِ الغربيِّ قرطٌ مُسَلْسَلُ[2]

❖ابن سكرة

(ترى الثريا والغرب يجذبها)

ولا يقل وصف ابن سكرة الهاشمي للثريا عن الوصف السابق قيمة وجمالاً. يقول ابن سكرة:

ترى الثُّريّا والغربُ يجذبُها ... والبدرُ يَهوي والفجرُ ينفجرُ
كفٌّ عروسٍ لاحتْ خواتمُها ... أو عقدَ دُرٍّ في البحرِ ينتثرُ[3]

❖الحاتمي

(مختمة بالدر منها الأنامل)

وأدق من الوصف السابق وأبرع وأكثر تفصيلاً، وصف محمد بن الحسن الحاتمي الذي يقول:

وخلتُ الثُّريّا كفَّ عذراءَ طَفْلَةٍ ... مختّمةٍ بالدُّرِّ منها الأناملُ
تخيَّلْتُها في الجوِّ طرَّةَ جعبةٍ ... ملوكيّةٍ لم تعتلِقْها حمائلُ
كأنَّ نبالاً ستّةً مِن لآلِئٍ ... يُوافي بها في قبّةِ الأفقِ نابلُ[4]

---

(١) نهاية الأرب ١/ ٦٨.
(٢) نفسه ١/ ٦٨.
(٣) نهاية الأرب ١/ ٦٨.
(٤) نفسه ١/ ٦٨. وطفلة: رخصة ناعمة. والنابل: الضارب النّبل.

❖أبو هلال العسكري

(تبلج ثغر تحت خضرة شارب)

وفي النجم الطالع من المشرق، والمقصود به الثريا، يقول أبو هلال العسكري، وهو من بديع الوصف، وأشده غرابة:

كأنَّ نهوضَ النجمِ والأُفْقُ أخضرٌ تبلُّجُ ثغرٍ تحتَ خضرةِ شاربِ[١]

❖بعضهم

(ولاح سهيل من بعيد)

ومن أحسن ما قيل في سهيل وبعده من الكواكب، في السماء الجنوبية، قول بعضهم:

ولاحَ سهيلٌ من بعيدٍ كأنّه شهابٌ يُنَحيّه عن الرمّحِ قابسُ[٢]

❖ابن المعتز

(وقد لاح للساري سهيل)

وفي المعنى ذاته تقريباً، يقول ابن المعتز في وصف سهيل:

وقد لاحَ لِلسّاري سهيلٌ كأنّه على كلِّ نجمٍ في السّماءِ رقيبُ[٣]

❖جران العود

(أراقب لمحاً من سهيل)

أما جران العود، الشاعر الجاهلي، فقد استوقفه من سهيل خفقانه واضطرابه، فقال من جيد شعر الوصف:

أراقب لَمْحاً مِن سهيلٍ كأنّه إذا ما بدا مِن آخرِ الليّلِ مطرفُ[٤]

❖ابن طباطبا

(يعارضها راعٍ أمام قطيع)

وفي نأي سهيل عن النجوم، قال ابن طباطبا، الشاعر العباسي، وهو من جيد الوصف والتشبيه:

كأنَّ سهيلاً والنجومُ أمامَه يعارضُها راعٍ أمامَ قطيعِ[٥]

---

(١) ديوان المعاني، للعسكري. ص ٦٩.
(٢) ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري. ص ٣٣٨. والقابس: طالب النار.
(٣) المصدر نفسه ص ٣٣٨.
(٤) ديوان المعاني ص ٣٣٨. والمطرف: الرداء.
(٥) نفسه ص ٣٣٩.

(فاجأته بالخوف عين الرقيب)

وقال فيه أيضاً، وهو من أجود الوصف:

وسهيل كأنه قلبُ صَبٍّ فاجأَتْه بِالخوفِ عينُ الرَّقيبِ[١]

❖ابن الحجاج (ت ٣٩١ هـ/١٠٠٠ م)

(نهر تدفق في حديقة نرجس)

ومن أبدع الوصف للهجرة، وهي منطقة في السماء قوامها نجوم كثيرة، لا يحصى عددها، وترى كبقعة بيضاء، في الليل، أبو عبد الله بن الحسن بن أحمد بن الحجاج، الشاعر العباسي المطبوع. يقول ابن الحجاج:

يا صاحبيَّ استيقظا من رقدةٍ تُزري على عقلِ اللَّبيبِ الأكيسِ
هذي المجرّةُ والنجومُ كأنها نهرٌ تدفقَ في حديقةِ نرجسِ[٢]

❖ابن طباطبا

(مجرّة كالماء)

ومن وصف المجرة، يقول ابن طباطبا، وهو من الوصف المبتكر:

مجرّةٌ كالماءِ إذْ تَرقْرَقَا شَقَّتْ بها الظّلماءُ برداً أزرقا
لباسَ ثَكْلى وشيهَا المشقَّقا[٣]

❖العسكري

(مثل الظباء كوارعاً في جدول)

وأروع من الوصف الأول، وصف أبي هلال العسكري، إذ يقول:

ليلٌ كما نفضَ الغرابُ جناحَه متبقِّعُ الأعلى بهيمُ الأسفلِ
تبدو الكواكبُ مِن فنونِ ظلامِه لمعَ الأسنَّةِ من فتونِ القَسطلِ
وترعى الكواكبَ في المجرَّةِ شرَّعا مثلَ الظِباء كوارعاً في جدول[٤]

(كالماء ينساح أو كالأيم ينساب)

وله في المجرة، وقد ظهر البدر المنير، ومعه الزهرة، قوله، وهو من أحسن القول:

تبدو المجرّةُ منجراً ذوائبُها كالماءِ ينساحُ أو كَالأَيمِ ينسابُ
وزهرةٌ بإزاءِ البدرِ واقفةٌ كأنّه غرضةٌ ينحوه نَشّابُ[٥]

---

(١) نهاية الأرب ١/ ٦٩. والصب: العاشق، من فيه صبابة.
(٢) تاريخ الآداب العربية ١/ ٣٧٣. وتزري: تعيب. واللبيب: العاقل. والأكيس: الظريف الفطن.
(٣) ديوان المعاني، للعسكري. ص ٣٣٩.
(٤) نفسه ص ٣٣٩. وشرعاً: واردة الشريعة للشرب. وكوارعاً: شواراباً. والقسطل: الوغى.
(٥) ديوان المعاني ص ٣٣٩. والذوائب: الأطراف والذرى. والأيم: الحية.

❖كشاجم (ت ٣٥٠ هـ/٩٦١ م)

(كالدر في قضب الزبرجد يسلك)

أطلق على أبي الفتح محمود بن الحسين، الشاعر العباسي المطبوع، لقب كشاجم، وهو لقب مركب من أوائل الكلمات التي كان يوصف بها كونه كاتباً وشاعراً، وأديباً، وجميلاً ومغنّياً. عرف كشاجم بصفاء شاعريته، ونباهة معانيه، وحسن تشبيهاته، وبتصرفه المونق في النظم والوصف. ومن أبدع أوصافه، وصفه الثلج في الشتاء، يقول كشاجم:

الثّلجُ يسقطُ أم لُجَيْنٌ يُسْبَكُ ... أم ذا حصى الكافورِ ظَلَّ يفرَّكُ
راحتْ به أرضُ الفضاءِ كأنّها ... في كلِّ ناحيةٍ بِثغرٍ يضحكُ
شابتْ مفارقُها فبيّنَ ضِحْكُها ... طور وعهدي بالمشيبِ ينسّك
أربى على خُضرِ الغضونِ فأصبحتْ ... كالدُّرِّ في قضبِ الزّبرجدِ يسلك
وتردَّتِ الأشجارُ منه ملاءةً ... عمّا قليلٍ بالرّياحِ تهتّك
كانتْ كعودِ الهندِ طُرِّي فَانْكفا ... في لونِ أبيضَ وهو أسودُ أحلك
والجوُّ مِن داجي الهواءِ كأنّه ... خِلَعٌ تُعَنْبَرُ تارةً وتُمَسَّكُ[1]

❖الصاحب بن عباد

(وتهادى بلؤلؤ منثور)

ومن أبدع الوصف للثلج، وصف الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد، له. يقول الصاحب:

أقبلَ الجوُّ في غلائلِ نورٍ ... وَتَهادى بِلُؤلُؤ مَنْثور
فكأن السّماءَ صاهرتِ الأرضَ ... وصارَ النّثارُ مِنْ كافورِ[2]

❖السري الرفاء

(وضحكت فيه إلى الصبا)

ومن بديع الوصف الوجداني، وصف السري الرفاء، للبرد، وحبات الثلج، وفيه كل جديد ومبتكر:

يوم خلعت به عذاري ... فعريت من حلل الوقار

---

(١) تاريخ الآداب العربية ١/ ٢٨٦. والداجي: المظلم. والخلع: الأثواب. وتعنبر: تطيّب بالعنبر. وتمسّك: تطيّب بالمسك. وعود الهند: خشب يتبخر به. وطريّ: جعل طرياً. وانكفا: عاد وصار. والملاءة: الملحفة. وتهتك: تخرق. وأربى: زاد. والزبرجد: حجر كريم يشبه الزمرد، وهو أخضر اللون إجمالاً. واللجين: الفضة. والكافور: نبت طيب زهره كزهر الاقحوان.

٢) الإعجاز والإيجاز، للثعالبي. ص ٢٢٩ . والكافور: نبت طيب نوره كنور الاقحوان.

وضحكت فيه إلى الصبا ... والشيب يضحك في عذاري
متلوّن يبدي لنا ... ظرفاً بأطراف النهار
يبكي فيجمد دمعه ... والبرق يكحله بناري[١]

❖ملحة الجرمي

(شماريخ من لبنان بالطول والعرض)

ومن بديع الوصف، وأجزله عبارة، وأدقه معنى، وصف ملحة الجرمي للسحاب المنعقد في السماء. يقول ملحة:

أرِقْتُ وطالَ اللّيلُ لِلبارقِ الوَمْضِ ... حَبِيّاً سرى مُجتابَ أرضٍ إلى أرضِ
نشاوى مِنَ الإدلاجِ كُدْرِيُّ حُزْنِهِ ... يُقَضّي بِجَدْبِ الأرْضِ ما لم يكد يَقْضي
تحِنُّ بأجوازِ الفَلا قطراتُه ... كما حنَّ نِيبٌ بعضُهُنَّ إلى بعضِ
كأنَّ الشَّماريخَ العُلا مِن صبيرِهِ ... شماريخُ مِنْ لبنانَ بالطُّولِ والعرضِ
يُباري الرِّياحَ الحَضَرَمِيّاتِ مُزْنُهُ ... بِمُنْهمرِ الأرواقِ ذي قَزَعٍ رَفْضِ
يُغادرُ محضَ الماءِ ذو هو مَحْضُهُ ... على إثْرِهِ أنْ كانَ لِلماءِ مِن محضِ
يُرَوّي العروقَ الهامداتِ مِنَ الْبِلى ... مِنَ الْعَرْفَجِ النَّجْدِيِّ ذو بادَ والحمضِ
وباتَ الحبِيُّ الجونُ ينهضُ مقدماً ... كنهضِ الْمُدانَى قيدَ الموعثِ النَّقْضِ[٢]

❖محمد بن هاشم الخالدي

(وسحاب يجرّ في الأرض ذيلاً)

ومن رائع الوصف للسحاب، وصف محمد بن هاشم الخالدي، الأكبر، إذ يقول:

وسحابٍ يجرُّ في الأرضِ ذيلاً ... مطرف زرّه على الأرضِ زَرّا
كخليلٍ موافقٍ للّذي يَهْوى ... ويبكي جَهْراً ويضحكُ سِرّا[٣]

(كلمات محاسنها ولم تتزوج)

وله من مليح الوصف في الغيم الرقيق:

---

(١) نفسه. ص ٢٢٢.

(٢) ديوان الحماسة ٢/ ٣٨٢ ـ ٣٨٤. والحبي: السحاب بعضه فوق بعض. والجون: الأسود. والمداني. الضيّق. والموعث: ما فيه وعث، أي رمل ليّن. والنقض: المهزول الضعيف. والعرفج: نبات. والحمض: نبات مر. وذو، في البيت قبل الأخير: بمعنى الذي. والمحض: الخالص. والمزن: السحاب. والمنهمر: المنسكب. والأرواق: جمع روق، وهو الماء الصافي. والقزع: قطع السحاب. والرفض: الإبل المتروكة في المرعى. وشماريخ الجبل: أعاليه وهنا كناية عن السحاب. والقطرات: النواحي. والأجواز: الأوساط. والنيب: جمع ناب وهي الناقة المسنّة، والنشاوى: السكارى وهنا كناية عن السحاب. والإدلاج: السير أول الليل. والكدري: المزن.

(٣) الإعجاز والإيجاز ص ٢٢٤ . والذيل: الطرف. والمطرف: الرداء. وزرّه: جمعه وشدّه.

والبدرُ منتقباً نعيمٌ أبيضٌ هُوَ فيهِ بينَ تخفُّرٍ وتبرُّجِ
كتنفّسِ الحسناءِ في المرآةِ إذْ كملَتْ محاسنُها ولم تتزوَّجِ[1]

(١) المصدر نفسه ص ٢٢٤. وتنفس: تنهد.

٢ ــ الدور والقصور

❖البحتري (ت ٢٨٤ هـ/٨٩٧ م)

(ليس يدرى أصنع إنسٍ لجنّ)

ومن أروع الوصف الوجداني، وأدقه، وأفخمه، وأشده أسراً، وأصفاه ديباجة، وأسلسه وأعذبه، وأجزله، وصف أبي عبادة الوليد بن عبد الله البحتري لإيوان كسرى وكان الشاعر قد قصد إليه في إحدى رحلاته التي قام بها بعد مقتل الخليفة المتوكل، أحد أبرز الخلفاء العباسيين، فكان لهذه الحادثة أثر عميق في نفس الشاعر، فقال أبياته الوصفية الوجدانية التالية[١]:

حَضَرَتْ رَحْلِيَ الهمومُ فوجّهْتُ إلى ... أبيضِ المدائنِ عَنْسي[٢]

أتسلّى عنِ الحظوظِ وآسى ... لِمَحَلٍّ مِنْ آلِ ساسانَ دَرْسِ[٣]

ذَكَّرَتْنيهمُ الخطوبُ التوالي ... ولقد تُذكِرُ الخطوبُ وتُنْسي[٤]

وهمُ خافضونَ في ظِلِّ عالٍ ... مُشرفٍ يُحسِرُ العيونَ ويُخْسي[٥]

مُغْلَقٍ بابُه على جبلِ القَبْقِ ... إلى دارتَيْ خِلاطٍ ومَكْسِ[٦]

حِلَلٌ لم تكنْ كأطلالِ سُعْدى ... في قِفارٍ منَ البسابسِ مُلْسِ[٧]

نقلَ الدهرُ عهدَهُنَّ عنِ الجِدَّةِ ... حتى غدوْنَ أنضاءَ لُبْسِ[٨]

فكأنَّ الجِرمازَ مِن عدمِ الأُنْسِ ... وأَخلاقِه بَنِيَّةُ رَمْسِ[٩]

لو تراهُ علمتَ أنَّ الليالي ... جعلتْ فيه مأتماً بعدَ عرسِ

وَهْو يُنْبيكَ عن عجائبِ قومٍ ... لا يُشابُ البيانُ فيهمُ بِلَبْسِ[١٠]

فإذا ما رأيتَ صورةَ أنطاكيَّةَ ... ارْتَعْتَ بينَ رومٍ وفُرْسِ[١١]

---

(١) الديوان ١/ ٢٧١. دار صادر.

(٢) أبيض المدائن: المقصود به إيوان كسرى المبني قرب المحلة المعروفة بالمدائن جنوب شرق بغداد. والعنس: الناقة.

(٣) آسى: أحزن. وآل ساسان: ملوك فارس. والدرس: المتهدم.

(٤) الخطوب: المصائب.

(٥) خفض العيش: طيبه ونعومته. ويحسر العيون: يردها كليلة. ويخسي: يضعف.

(٦) القبق: القوقاز. وخلاط ومكس: اسما موضعين. وهنا يشير إلى تنوع العناصر التي حكمها الفرس.

(٧) الحلل: الأمكنة. وآثار سعدى؛ إشارة إلى ديار العرب وأطلالها. والبسابس، جمع بسبس، وهي الصحراء.

(٨) أنضاء، جمع نضو، وهو الضعيف المهزول. واللبس: عدم الوضوح.

(٩) الجرماز: البهو في الإيوان. والأخلاق: البلى. والرمس: القبر.

(١٠) يشاب: يخلط.

(١١) صورة إنطاكية: لوحة مرسومة على جدران الإيوان، وهي تظهر عراك الفرس والروم.

والمنايا مواثلٌ وأنوشروانَ يُزجي الصّفوفَ تحتَ الدِّرَفْس[١]
في اخضرارٍ مِنَ اللّباسِ على أصفرَ يختالُ في صبيغةِ وَرْس
وعراكُ الرّجالِ بينَ يديهِ في خفوتٍ منهمُ وإغماضِ جَرْس
مِنْ مُشيحٍ يُهوي بِعاملِ رمحٍ ومُليحٍ منَ السِّنانِ بتُرْسِ[٢]
تصفُ العينُ أنّهم جِدُّ أحياءٍ لهمُ بينَهم إشارةُ خُرْس
يَغتلي فيهمُ ارْتيابيَ حتّى تتقرّاهمُ يدايَ بِلَمْس[٣]
وكأنَّ الإيوانَ مِن عَجَبِ الصّنعةِ جَوْبٌ في جَنْبِ أرعنَ جَلْس[٤]
يُتَظَنّى منَ الكآبةِ أنْ يبدوِ لِعَيْنَيْ مُصَبِّحٍ ومُمَسّي[٥]
مزعَجاً بالفراقِ عن أنسِ إلْفٍ عزَّ أو مرهقاً بتطليقِ عرس
عكستْ حظَّهُ الليالي وباتَ المشتري فيه وهو كوكبُ نَحْس[٦]
فهو يُبدي تجلّداً وعليه كَلْكَلٌ مِن كلاكلِ الدهرِ مُرْسي[٧]
ليس يُدرى أصنعُ إنسٍ لِجِنٍّ سكنوه أم صنعُ جِنٍّ لإنس
غيرَ أنّي أراه يشهدُ أنْ لمْ يكُ بانيهِ في الملوكِ بِنِكْس[٨]
فكأنّي أرى المراتبَ والقومَ إذا ما بلغتُ آخرَ حِسّي[٩]
وكأنَّ الوفودَ ضاحينَ حَسْرى مِن وقوفٍ خلفَ الزِّحامِ وخُنْس[١٠]
وكأنّ اللقاءَ أوّلَ مِن أمسِ ووَشْكَ الفراقِ أولُ أمس
عمرتْ لِلسّرورِ دهراً فصارتْ لِلتَّعَزّي رباعُهمْ والتَّأَسّي[١١]

(يا من رأى البركة الحسناء)

ومن رائع الوصف وبديعه، وصف أبي عبادة الوليد بن عبيد البحتري، البركة التي اصطنعها الخليفة المتوكل في فناء قصره، وكانت آية في الفن والإبداع. يقول البحتري واصفاً تلك البركة:

---

(١) الدرفس: العلم، الفارسية.
(٢) المشيخ: المقبل بعنف. والمليح: المتقي للضربة. ويهوي: يوجه الضربة بقوة. وعامل الرمح: صدره.
(٣) يغتلي: يتضاعف: ويتقرى: يتلمس.
(٤) الجوب: الفجوة الكبيرة. والأرعن: الجبل الضخم. والجلس: المرتفع بانحدار قوي.
(٥) يتظنى: يتوهم. والإلف: الرفيق والحبيب.
(٦) المشتري: أحد الكواكب السيارة وكانوا يتفاءلون به سعداً وخيراً.
(٧) الكلكل: الصدر. والمرسي. المنيخ بكل ثقله.
(٨) النكس: الضعيف والجبان.
(٩) المراتب: أماكن الجلوس.
(١٠) ضاحين: ظاهرين للشمس. وحسرى: مكشوفي الرؤوس. والخنس، جمع أخنس، وهو المتأخر عن الآخرين.
(١١) التأسي: التعزي.

يا مَنْ رأى البركةَ الحسناءَ رؤيتَها ... والآنساتِ إذا لاحتْ مغانيها
تنصبُّ فيها وفودُ الماءِ معجلةً ... كالخيلِ جاريةً مِن حبلِ مُجْريها
كأنّما الفِضَّةُ البيضاءُ سائلةً ... مِنَ السّبائكِ تَجري في مجاريها
إذا عَلتْها الصَّبا أبدتْ لها حُبُكاً ... مثلَ الجواشنِ مصقولاً حواشيها
فحاجبُ الشمسِ أحياناً يغازلُها ... ورَيِّقُ الغيْثِ أحياناً يُباكيها
إذا النجومُ تراءتْ في جوانبِها ... ليلاً حسبْتَ سماءً رُكِّبَتْ فيها
لا يبلغُ السَّمكُ المحصورُ غايتَها ... لِبُعْدِ ما بينَ قاصيها ودانيها
يَعُمْنَ فيها بأوساطٍ مجنَّحةٍ ... كالطيرِ تنقضُ في جوٍّ خوافيها
لهنَّ صحنٌ رحيبٌ في أسافِلها ... إذا انْحَطَطْنَ وبهوٌ في أعاليها
صُورٌ إلى صورةِ الدِّلْفينِ يُؤْنِسُها ... منه انزواءٌ بِعينيْهِ يؤازيها[1]

(وزهت عجائب حسنه المتخايل)

ومن بديع وصفه، وصفه قصر المعتز بالله، الخليفة العباسي، يقول البحتري:

ذُعِرَ الحمامُ وقد ترنَّمَ فوقَهُ ... مِن منظرِ خطرِ المزلَّةِ هائلِ
رُفعَتْ لِمُخْتَرقِ الرّياحِ سموكُه ... وزهَتْ عجائبُ حُسنهِ المتخايل
وكأنَّ حيطانَ الزّجاجِ بِجوّهِ ... لُجَجٌ يَمُجْنَ على جنوبِ سواحل
لبستْ مِنَ الذَّهبِ الصّقيلِ سقوفَهُ ... نوراً يُضيءُ على الظلامِ الحافل
فترى العيونَ يجلْنَ في ذي رونقٍ ... متلهّبِ العالي أنيقِ السّافل
أَغْنَتْهُ دِجْلَةُ إذ تلاحقَ فيضُها ... عن فيضِ منهمرِ الرَّبابِ الهاطل
وتنفّسَتْ فيه الصَّبا فتعطّفتْ ... أشجارُه من حُوَّلٍ وحوامل[2]

❖الإربلي

من الشعراء الأقدمين الذين لم يبق من أخبارهم إلا أنهم نظموا قصيدة فذاعت شهرتها في الآفاق، الشاعر المعروف بالإربلي. وقصيدته تلك تصف الديار، ديار الحبيبة التي سرعان ما فارقتها بعد أن أقامت فيها إلى حين. يقول الإربلي واصفاً ومتحسراً ومتأملاً:

رُبَّ دارٍ بالغضا طالَ بلاها ... عكفَ الرّكبُ عليها فَبَكاها[3]
درستْ إلاّ بقايا أسطرٍ ... سمحَ الدهرُ بها ثمّ محاها[4]

---

(١) الديوان ٢/ ٢٤٣. والدلفين: نوع من الحيتان: وصور: مائلة، جمع أصور. ويوازيها: يحاذيها. الخوافي: ريش الجناح الداخلي. وحاجب الشمس: شعاعها. وريّق الغيث: أول المطر وأفضله.
(٢) الديوان ٢/ ١٩٧. وتعطفت: أحالت. وحوّل، جمع حائل، أي لا تحمل. والرباب، جمع ربب، وهو الماء الكثير. ومخترق الرياح: مهبّها. وسموكه: سقوفه. والصبا: ريح الشمال الباردة. وقيل: ريح الشرق.
(٣) الغضا: شجر صلب. وعكف: مال. والركب: ركبان الإبل أو الخيل.
(٤) درست: امّحت.

وقفَتْ فيها الغواني وقفةً ... ألصقتْ حرّى حشاها بِثراها[١]
وبكتْ أجفانُها نائبةً ... عن جفوني أحسنَ اللّهُ جزاها
قُلْ لِجيرانِ مواثيقُهُمُ ... كلّما أُحكمُها رَثَّتْ قواها
كنتُ مشغوفاً بكم إذْ كنتمُ ... شجراً لا تبلغُ الطيرُ ذُراها
لا تباتُ الليلَ إلاّ حولَها ... حرسٌ ترشحُ بالموتِ ظُباها[٢]
وإذا مدّتْ إلى أغصانِها ... يدُجانٍ قُطِعَتْ دونَ جناها
فتراخى الأمرُ حتى أصبحَتْ ... هَمَلاً يطمعُ فيها مَن يراها[٣]
تخصُبُ الأرضُ فلا أقربُها ... رائداً إلاّ وقد عزَّ حِماها[٤]
لا أراني اللّهُ أرعى روضةً ... سهلةَ الأكنافِ مَن شاءَ رعاها[٥]

❖ابن حمديس (ت حمديس (ت ٥٢٨ هـ/١١٣٢ م)

(أشد كان سكونها متحركْ)

ومن أروع الوصف، وصف أبي محمد عبد الجبار بن حمديس الصقلي، للبركة التي كانت قائمة في فناء قصر المنصور ابن أعلى الناس، في بجاية، بالأندلس، وقد حفت البركة بأشجار من ذهب وفضة، ترمي فروعها المياه، وعلى حافاتها أسود تقذف من أفواهها المياه. يقول ابن حمديس:

وضراغم سكنَتْ عرينَ رئاسةٍ ... تركتْ خريرَ الماءِ فيه زئيرا
فكأنّما غشّى النُّضارُ جسومَها ... وأذابَ في أفواهِها البلّورا
أُسْدٌ كأنَّ سكونَها متحرّكٌ ... في النّفسِ لو وجدتْ هناك مثيرا
وتذكّرتْ فتكاتِها فكأنّما ... أقعتْ على أدبارِها لِتَثورا
وتخالُها والشمسُ تجلو لونَها ... ناراً وألسنتَها اللّواحسَ نورا
فكأنّما سلّتْ سيوفَ جداولٍ ... ذابتْ بِلا نارٍ فعُذْنَ غديرا
وكأنّما نَسَجَ النسيمِ لِمائهِ ... درعاً فقدّرَ سردَها تقديرا
وبديعة النّمراتِ تعبرُ نحوها ... عيناي بحر عجائبٍ مسجورا
شجريّةٌ ذهبيَّةٌ نزعتْ إلى ... سجرٍ يُؤَثِّرُ في النُّهى تأثيرا
قد صُوحبَتْ أغصانُها فكأنّما ... قبضتْ بهنَّ من الفضاءِ طيورا
وكأنّما تأبى لِوُقّعِ طيرِها ... أنْ تستقلَّ بنهضِها وتطيرا

---

(١) الغواني: جمع غانية وهي المرأة الجميلة، وهنا استعارها للظباء.
(٢) ترشح: تقطر. وتبات: تبيت. وظباها: جمع ظبة، وهي حد السيف.
(٣) هملاً: متروكاً ليل نهار بلا راع.
(٤) عز: صعب.
(٥) الأكناف: الجوانب.

مِن كلِّ واقعةٍ ترى منقارَها ... ماءً كسلسالِ اللُّجَيْنِ نميرا
خُرْسٌ تُعدُّ مِنَ الفِصاحِ فإنْ شدَتْ ... جعلتْ تغرّدُ بالمياهِ صفيرا
وكأنّما في كلِّ غصنٍ فضّةٌ ... لانتْ فأرسلَ خيطها مجرورا
وتُريكَ في الصّهريجِ موقعَ قطرِها ... فوقَ الزَّبَرْجدِ لُؤْلُؤاً منثورا
ضحِكَتْ محاسنهُ إليكَ كأنّما ... جُعلتْ لها زُهْرُ النُّجومِ ثُغورا[1]

❖ شكيب أرسلان

(تأمّل خليلي كم هنا من مهلّل)

ومن الوصف الجيد البارع، ذي النزعة التأملية الوجدانية، وهو يماثل وصف البحتري لإيوان كسرى، ما قاله الشاعر اللبناني المعاصر، الأمير شكيب أرسلان، وقد وقف أمام مسجد قرطبة بالأندلس فراح يصف، ويتخيل المجد الغابر، وقد أخنت عليه أحداث الدهر. يقول شكيب أرسلان:

تَخَيَّلْتُه والذِّكْرُ يُتْلى خلالَه ... نظيرَ دَوِيِّ النَّحْلِ مِن كلِّ مصدرِ
تأمّلْ خليلي كم هنا مِن مهلِّلٍ ... إلى ربِّهِ صلّى وكم مِن مُكَبِّر
وكم أزهرتْ فيه ألوفُ مصابيحٍ ... وكم أُوقدتْ أرطالُ عودٍ وعنبر
وكم قارىءٍ بالسَّبعِ في وسْطِ حلقةٍ ... وكم خاطبٍ بالسّجعِ من فوقِ منبر
وكم عالمٍ يُلقي على الجمعِ درسَه ... وكم واعظٍ يمري مدامعَ محجر
وكم ملكٍ ضخمٍ وكم من خليفةٍ ... هنا كان يجثو عن جبينٍ معفّر
خليلي تأمّلْ كالعرائسِ تنجلي ... أساطينَ قد تُحصى بألفٍ وأكثر
أساطينُ مِن صُمِّ الجمادِ مواثلٌ ... يذوبُ لها قلبُ الحنيفِ المفكّر
تراها صفوفاً قائماتٍ كأنها ... حدائقُ نصَّتْ من جمادٍ مشجَّر
وأشعرُ أني في بلادي كأنما ... تخاطبُني الأرواحُ مِن كلِ مقبر
وأني أرى في العينِ ما لم أكنْ أرى ... حقيقتَه في وصفِ طِرْسٍ مزبرِ[2]

---

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/ ١٤٦ ـ ١٤٧. والضراغم: الأسود، جمع ضرغام. والعرين: مأوى الأسد. والزئير: صوته. والنضار: الذهب. والبلّور: الجوهر الأبيض الشّفاف. وأقعت: جلست على مؤخرها. وسرد الدرع: نسجها. والسجر: الملء. والنهى: جمع نهاة، وهي العقل. واللجين: الفضة. والسلسال: الماء العذب. والنمير: الماء الزاكي.

(٢) ديوان الأمير شكيب أرسلان. ص ١٢٦. ضبط محمد رشيد رضا. مصر ١٩٣٥ م. والذكر: أي الذكر الحكيم. والعود والعنبر: من الأشجار العطرية. والسبع: السبع المثاني من القرآن الكريم؛ وقيل هي سورة الفاتحة. ومعفّر: ملتصق بالتراب. والطرس: القلم: والمزبر: المكتوب والأساطين؛ جمع أسطوانة، وهي العمود.

الباب الثالث

موضوعات ونماذج

وصفية مختلفة

❖أبو نواس

(ثم قضت قصة الأمم)

من رائع شعر الوصف، وصف الحسن بن هانىء، زعيم الخمرة في الأدب العربي، للخمرة الصافية المعتقة التي تقص قصة الأمم. وفي وصفه روعة أداء المعنى، ورشاقة اللفظ وفصاحته. والجراءة على معصية الله تعالى؛ يقول أبو نواس:

فَاسْقِني الخمرَ التي اخْتَمَرَتْ ... بخمارِ الشَّيْبِ في الرَّحِمِ
فهْي لِليومِ الّذِي بُزِلَتْ ... وهي تِرْبُ الدهرِ في القِدَمِ
عُتِّقَتْ حتى لو اتَّصَلَتْ ... بِلسانٍ ناطقٍ وَفَمِ
لاَحْتَبَتْ في القومِ مائلةً ... ثم قصَّتْ قِصّةَ الأُمَمِ
قَرَعَتْها بِالمزاجِ يدٌ ... خُلِقَتْ لِلكأسِ والقلمِ
في ندامى سادةٍ نُجُبٍ ... أخذوا اللّذّاتِ مِن أَمَمِ
فتمشَّتْ في مفاصلِهم ... كتمشّي البُرْءِ في السَّقَمِ
فعلتْ في البيتِ إذ مُزِجَتْ ... مثل فَعلِ الصُّبْحِ في الظُّلَمِ
فَاهْتدى ساري الظّلامِ بها ... كَاهْتداءِ السَّفْرِ بالعلمِ[1]

(حبتها بأنواع التصاوير فارس)

ومن أبدع الوصف ما قاله أبو نواس، وكان مر بالمدائن فعدل إلى ساباط فقال بعض أصحابه ندخل إيوان كسرى. فدخلوه فرأوا آثاراً تدل على اجتماع كان لقوم قبلهم، فأقاموا خمسة أيام، شربوا هنالك، ثم سألوا أبا نواس صفة الحال، فقال:

ودارِ نِدامى عطَّلوها وأدلجوا ... بها أثرٌ منهم جديدٌ ودارسُ
مساحبُ مِن جرِّ الزّقاقِ على الثّرى ... وأضغاثُ ريحانٍ جنيٌّ ويابسُ
ولم أرَ منهم غيرَ ما شهدتْ بهِ ... بشرقيِّ ساباطَ الديارُ البسابس
حبسْتُ بها صحبي فجمّعْتُ شملَهُم ... وإنّي على أمثالِ تلكَ لَحابس
أقمْنا بها يوماً ويوماً وثالثاً ... ويوماً له يومُ التَّرحّلِ خامس
تُدارُ علينا الرّاحُ في عسجديّةٍ ... حبَتْها بأنواعِ التصاويرِ فارس
قرارتُها كِسرى وفي جنباتِها ... مهىً تَدَّريها بالقِسيِّ الفوارس
فَلِلرّاحِ ما زرّتْ عليها جيوبها ... وللماءِ ما دارتْ عليه القلانسُ[2]

---

(١) الديوان ص ٣٦٧ دار صادر. وبزلت: سالت بعد أن ثقب زقّها. والترب: المثيل. واحتبت: جلست على حبوتها. وأمم: قرب. والسفر: جماعة المسافرين.

(٢) زهر الآداب (هامش العقد الفريد) ٣/ ٣٥. وأدلجوا: ساروا في الليل. والزقاق: أوعية الخمر. وأضغاث: أشياء متفرقة. والبسابس: الأراضي المقفرة. والراح: الخمرة. وعسجدية: لونها لون العسجد، وهو الذهب، والمهى: بقر الوحش.

❖ابن الفارض (ت ٦٣٢ هـ/١٢٣٤ م)

(شربنا على ذكر الحبيب مدامة)

من رائع شعر أبي حفص عمر بن علي المعروف بابن الفارض، الشاعر العباسي المتأخر، وأحد أقطاب التصوف والحب الإلٰهي، شعره الذي قاله في الخمرة، وهي الخمرة الإلٰهية، وكلها رموز صوفية، تتجلى فيها روعة الوصف، ومنها قوله:

شربْنا على ذِكرِ الحبيبِ مدامةً ... سكرْنا بها مِن قبلِ أنْ يُخلقَ الكَرْمُ
لها البدرُ كأسٌ وهي شمسٌ يُديرُها ... هلالٌ وكم يبدو إذا مُزجتْ نجم
ولولا شذاها ما اهتديْتُ لِحانِها ... ولولا سناها ما تَصوَّرَها الوهم
ولم يُبْقِ منها الدهرُ غيرَ حشاشةٍ ... كأنّ خفاها في صدورِ النُّهى كتم
يقولون لي صِفْها فأنتَ بِوصفِها ... خبيرٌ أجلْ عندي بأوصافِها علم
صفاءٌ ولا ماءٌ ولُطفٌ ولا هَوا ... ونورٌ ولا نارٌ وروحٌ ولا جسم
تَقَدَّم كلَّ الكائناتِ حديثُها ... قديماً ولا شكلٌ هناكَ ولا رسم[1]

❖الأعشى

(مثل ريح المسك ذاكٍ ريحها)

ومن قديم وصف الخمرة، وصف الأعشى لها، وهو من جيد الوصف ورائعه، وعلى أثره سار شعراء الخمرة ناهجين نهجه، سالكين سبيله في الكثير من أوصافه. يقول الأعشى من جيد الوصف:

وشَمولٍ تحسبُ العينُ إذا ... صَفَّقَتْ جندعُها نَوْرُ الذَّبَحْ
مثلُ ريحِ المِسكِ ذاكٍ ريحُها ... صبَّها الساقي إذا قيلَ: تَوَحْ
مِن رفاقِ التَّجْرِ في باطيةٍ ... جَوْنةٍ حاريةٍ ذاتِ رَوَحْ
ذاتِ غَوْرٍ ما تبالي يومَها ... غرف الإبريقُ منها والقَدَح
وإذا ما الرّاحُ فيها أزْبَدَتْ ... أفل الإزبادُ عنها فمَصَحْ
وإذا مُكُوكُها صادمه ... جانباها كرَّ فيها فسبح
فترامت بزجاجٍ معملٍ ... يخلفُ النازحُ منها ما نزح
وإذا غاضت رفعْنا زِقَّنا ... طلق الأوداج فيها فانفسح[2]

---

(١) تاريخ الآداب العربية ١/ ٣٤٧ـ٣٤٨. والمدامة: الخمرة. وربما عنى بها المعرفة الإلٰهية. والحشاشة: بقية الروح. والنهى: العقل.

(٢) رسالة الغفران، للمصري ص ٧٣ ـ ٧٤. دار صعب. بيروت ١٩٦٨ م. والروح: الواسعة. والراح: الخمرة. ومثلها الشمول، لأنها تشتمل على العقل. ومصح: سال. والزق: وعاء الخمر.

❖عدي بن زيد

(لذ طعمها من يذوق)

ومن رائع وصف عدي بن زيد العبادي التميمي، الشاعر الجاهلي الفصيح العبارة، قوله في وصف الخمرة:

وَدَعَوْا بِالصَّبوحِ يوماً فجاءَتْ ... قينةٌ في يمينِها إبْريقُ
قَدَّمَتْهُ على عقارٍ كعينِ الدّيكِ ... صَفَّى سُلافَها الرّاووق
مرّةٌ قبلَ مزجِها فإذا ما ... مُزِجتْ لذَّ طعمُها مَن يذوق
وطفا فوقَها فقاقيعُ كَالْياقوتِ ... حُمْرٌ يزينُها التَّصْفيق
ثم كان المزاجُ ماءَ سحابٍ ... لا صَرى آجنٌ ولا مطروق[1]

❖حسان بن ثابت (ت ٦٧٤ م)

(صهباء صافية كطعم الفلفل)

ومن بديع الوصف للخمرة، وصف حسان بن ثابت الأنصاري، وكان لا يزال في الجاهلية، قبل الإسلام، يقول حسان:

ولقد شربْتُ الخمر في حانوتِها ... صهباءَ صافيةً كَطَعْمِ الفُلْفُلِ
إنَّ التي عاطيتَني فرذدتُها ... قُتلتْ قتلْتَ فهاتِها لَم تُقْتل
كلتاهما حلب العصير فعاطِني ... بزجاجةٍ أرخاهما لِلْمفصل
بزجاجةٍ رقصتْ بما في قعرِها ... رقصَ القَلوصِ براكبٍ مستعجلِ[2]

❖ابن الحجّاج (ت ٣٩١ هـ/١٠٠٠ م)

(فعلام شرب الراح غير مغلّس)

ومن الذين وصفوا الخمرة وتأثيرها، فأبدعوا أيما إبداع، الحسن بن أحمد بن الحجاج، الشاعر العباسي المطبوع، يقول ابن الحجاج:

وأرى الصَّبا قد غسّلتْ بنسيمِها ... فعلامَ شربُ الراحِ غيرَ مغلّسِ
قوما اسقياني قهوةً روميّةً ... مِن عهدِ قيصرَ دَنُّها لم يُمْسس
صِرْفاً تضيفُ إذا تسلّطَ حكمُها ... موتَ العقولِ إلى حياةِ الأنفسِ[3]

---

(١) تاريخ الآداب العربية ١/١٠٣. والعقار: الخمرة، ومثلها السلاف. والراووق: المصفاة.
(٢) الديوان ص ١٧٩ ـ ١٨٠.
(٣) تاريخ الآداب العربية ١/٢٧٣. والصبا: ريح ناعمة تهب من المشرق. والراح: الخمر. ومغلس: مشروبة في الغلس قبل الفجر.

❖الصاحب (ت ٣٨٥ هـ/٩٩٥ م)

(رق الزجاج ورقت الخمر)

ومن أبدع الوصف وجيده، وصف الصاحب بن عباد، الأديب العباسي، للخمرة، وبخاصة رقّتها. يقول:

رقَّ الـزّجـاجُ ورقَّـتِ الـخـمـرُ ... وتـشـابـهـا فـتـشـاكـلَ الأمـرُ
فـكـأنّـمـا خـمـرٌ ولا قـدحٌ ... وكـأنـمـا قـدحٌ ولا خـمـرُ[1]

❖ابن المعتز

(وقد عدت بعد النسك والعود أحمد)

ومن جيد وصف عبد الله بن المعتز، الشاعر العباسي، قوله في وصف الخمرة إذ يقول غير متحرّج من خلق أو دين:

خـلـيـلـيَّ قـد طـابَ الشَّـرابُ الـمـورَّدُ ... وقد عدْتُ بعد النُّسْكِ والعَوْدُ أَحْمَدُ
فـهـاتـا عـقـاراً فـي قـمـيـصِ زجـاجـةٍ ... كـيـاقـوتـةٍ فـي دُرَّةٍ تَـتَـوقَّـدُ
يـصـوغُ عـلـيـهـا الـمـاءُ شـبّـاكَ فِـضَّـةٍ ... لـه حَـلَـقٌ بِـيـضٌ تُـحَـلُّ وتُـعْـقَـدُ
وقـتـنِـيَ مِـن نـارِ الـجـحـيـمِ بـنـفـسِـهـا ... وذلك من إحسانِها ليسَ يُجْحَدُ[2]

❖سعيد الخالدي

(والكف قطب والإناء سماء)

ومن الوصف البديع، وصف سعيد بن هشام الخالدي، الأصغر، للخمرة، يقول:

ومُـدامـةٍ حـمـراءَ فـي قـارورةٍ ... زرقـاءَ تـحـمـلُـهـا يـدٌ بـيـضـاءُ
فـالـرّاحُ شـمـسٌ والـحـبـابُ كـواكـبٌ ... والـكـفُّ قـطـبٌ والإنـاءُ سـمـاءُ[3]

❖عبد الغفّار الأخرس (ت ١٢٩٠ هـ/١٨٧٣ م)

(ما وجدناه في قديم الزمان)

ومن الوصف المحدث، المعبر عن معطيات الحضارة الجديدة، وصف عبد الغفار بن عبد الواحد، الملقب بالأخرس، لحبسة في لسانه، وهو من العراق، للسفينة التجارية، وكان عبر عليها فوق مياه دجلة من البصرة إلى بغداد. يقول عبد الغفار:

قـد ركْـبـنـا بـمـركـبِ الـدّخـانِ ... وبـلـغْـنـا بـهِ أقـاصـي الأمـانـي
ثـم سِـرْنـا والـطـيـرُ تـحـسـدُنـا ... بـالأمـسِ لإسـراعِـنـا عـلـى الـطّـيـران

---

(١) نفسه ١/ ٣٢٢.
(٢) الإعجاز والإيجاز، للثعالبي ص ٩٠. دار صعب. بيروت.
(٣) المصدر نفسه ص ٢٢٤. والراح: الخمر. والحباب: الفقاقيع.

يخفقُ البحرُ رهبةً حينَ يجري ... والذي فيه كائنٌ في أمانِ
كلّما أبعد البخارُ بمسرى ... قرّبَ السَّيْرُ بعدُ كلَّ مكان
أتقنتْ صُنْعَهُ فطانةُ قومٍ ... وصفوهم بدقّةِ الأذهان
أبرزوا بالعقولِ كلَّ عجيبٍ ... ما وجدْناه في قديم الزمان
وبَنَوْا لِلْعلى مباني علاءٍ ... عاجزٌ عنها صاحبُ الإيوان
فلهمْ في الزمانِ علمٌ وفخرٌ ... ومقامٌ يعلو على كَيْوانِ[1]

❖عبد الله نديم (ت ١٣١٤ هـ/١٨٩٦ م)

(نظر الحكيم صفاته فتحيرا)

أما القطار البخاري، هذا الاختراع الذي قرب الأبعاد، واختصر المسافات فلم يفت وصفه عبد الله نديم، الشاعر المصري، فقال فيه واصفاً:

نظرَ الحكيمُ صفاتِه فتحيَّرا ... شكلاً كَطَوْدٍ بالبخارِ مسيَّرا
دوماً يحنُّ إلى ديارِ أصولِه ... بحديدِ قلبٍ باللُّهيبِ تسعَّرا
ويظلُّ يبكي والدموعُ تزيدُه ... وجداً فيجري في القضاءِ تستُّرا
تلقاهُ حالَ السّيرِ أفعى تلْتوي ... أو فارسَ الهيْجا أثار العِثْيرَا
أو سبعَ غابٍ قد أحسَّ بصائدٍ ... في غابهِ فعدا عليه وزمجرا
أو أنها شهبٌ هوَتْ مِن أفقِها ... أو قبّةُ المنطادِ تُنبذُ بالعرا[2]

❖ابن المعتز

(مزنّرين على الأوساط)

ومن الوصف الجيد الرائع لرهبان دير عبدون، بالمطيرة، قرب سامراء، وكانت منتزهاً، ومكاناً للّهو والشراب يقصده الشعراء، وصف ابن المعتز لهم، إذ يقول:

سقى المطيرةَ ذاتَ الظّلِّ والشّجرِ ... وديرَ عبدونَ هطّالٌ مِنَ المطرِ
فطالما نَبَّهَتني لِلصّبوحِ بها ... في غُرّةِ الفجرِ والعصفورُ لم يطرِ
أصواتُ رهبانِ ديرٍ في صلاتِهمُ ... سودِ المدارعِ نعّارين في السَّحَرِ
مُزَنّرين على الأوساطِ قد جعلوا ... على الرّؤوسِ أكاليلاً مِنَ الشَّعرِ[3]

---

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/ ٣٢٥. وكيوان: زحل، الكوكب السيار المعروف، ويضرب به المثل في الارتفاع، وصاحب الإيوان، هو كسرى أنو شروان، وإيوان كسرى يضرب به المثل في فخامة البناء.

(٢) نفسه ٢/ ٣٨١. والهيجا: الحرب. والطود: الجبل. والعثير: الغبار.

(٣) تاريخ الآداب العربية ١/ ٢٧٠. وغرة الفجر: أول طلوعه. والمدارع، جمع مدرعة، وهي جبّة مشقوقة من الأمام. ونعّارين: صياحين والصبوح: الخمرة في الصباح.

❖ابن عبد ربه

(شهاب بدا في ظلمة الليل ساطع)

ومن أجمل الوصف للرمح والسيف، وصف ابن عبد ربه، صاحب العقد الفريد، والأديب والكاتب والشاعر الأندلسي، يقول ابن عبد ربه:

بِكُلِّ رُدَيْنِيٍّ كأنَّ سِنانَه ... شهابٌ بدا في ظلمةِ اللَّيل ساطعُ
تقاصرتِ الآجالُ في طولِ متنِه ... وعادتْ به الآمالُ وَهي فجائع
وساءتْ ظنونُ الحربِ في حسنِ ظنِّهِ ... فهُنَّ لِحبَّاتِ القلوبِ قوارع
وذي شُطَبٍ تقضي المنايا لِحكمِه ... وليسَ لما تَقضي المنيّةُ دافع
فِرِنْدٌ إذا ما اعتنَّ للعينِ راكدٌ ... وبرقٌ إذا ما اهتزَّ بالكفِّ لامع
يسلّلُ أرواحَ الكماةِ انسلالَه ... ويرتاعُ منه الموتُ والموتُ رائع
إذا ما التقتْ أمثالُه في وقيعةٍ ... هنالِكَ ظنُّ النفس بالنفسِ واقع(١)

❖كشاجم (ت ٣٥٠ هـ/٩٦١ م)

(ومستدير كجرم البدر مسطوح)

ومن الوصف الدقيق البارع الصنعة، وصف كشاجم، محمود بن الحسين، للاسطرلاب، وهو الآلة التي يعرف بها مواقع النجوم وأبعادها في السماء، وعليه يعوّل المنجمون في أحكامهم النجومية. يقول كشاجم:

ومستديرٍ كجرمِ البدرِ مسطوحِ ... عن كلِّ رابعةِ الأشكالِ مصفوحِ
صلبٌ يُدارُ على قطبٍ يُلَيِّنُه ... تمثال طرفٍ بشكمِ الحذقِ مشبوحِ
مثل البنانِ وقد أوفتْ صفائحُه ... على الأقاليمِ في أقطارِها الفيحِ
كأنما السبعةُ الأفلاكُ محدقةٌ ... بالماءِ والنارِ والأرضينَ والريحِ
تُنبيكَ عن طالعِ الأبراجِ هيئتُه ... بالشمسِ طوراً وطوراً بالمصابيحِ
وإنْ مضتْ ساعةٌ أو بعضُ ثانيةٍ ... عرفتَ ذاكَ بِعلمٍ منه مشروحِ
له على الظَّهرِ عينا حكمةٍ بهما ... يحوي الضّياءَ ويجْنيه من اللّوحِ
وفي الدوائرِ من أشكالِه حكمٌ ... تُلقّحُ الفهمَ منّا أيَّ تلقيحِ
لا يستقلُّ لما فيها بمعرفةٍ ... إلاّ الحصيفُ اللطيفُ الحِسِّ والروحِ
حتى ترى الغيبَ عنه وهو منغلقٌ ... الأبْواب عمّنْ سواه جِدَّ مفتوحِ
نتيجةَ الدهرِ والتفكيرِ صوّره ... ذَوُو العقولِ الصحيحاتِ المراجيحِ(٢)

---

(١) العقد الفريد: ١/ ٥٥. والرديني، صفة للرمح. وقوارع: ضوارب. وذي شطب، صفة للسيف ومثله فرند. والكماة: الفرسان.

(٢) العمدة، لابن رشيق ٢/ ٢٩٩. ط ٤ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الجيل. بيروت ١٩٧٢ م.

(فكانني متختم بعطارد)

ومن بديع الوصف في شعر كشاجم، وصفه فصّ خاتم، يقول:

ساجلْ بِفَصِّكَ مَنْ أرذتَ وباهِهِ ... فكفى بهِ كَمَداً لِقلبِ الحاسدِ
متألِّقٌ فيه الفرندُ كأنّه ... وجهي غداةَ ندىً وصيفٍ قاصد
لو أنَّ ظَمْأى منه علَّتْ لارْتَوَتْ ... مِن ماءِ جوهرِه المعينِ الباردِ
بهرَ العيونَ إضاءةً في رِقّةٍ ... فكأنني متختِّمٌ بعطاردِ[1]

❖ابن الرومي

(كالكيمياء التي قالوا ولم تصب)

ومن جيد الوصف، وأشده ملاحظة، وصف ابن الرومي للزلابية:

رأيتُه سَحَراً يقلي زلابيةً ... في رقّةِ القشرِ والتَّجويفِ كالقصبِ
يُلقي العجينَ رويداً مِن أناملِه ... فتستحيلُ شبابيكاً من الذهب
كأنّما زيتُه المقليُّ حين بدا ... كالكيمياءِ التي قالوا ولم تُصبِ[2]

❖الخوارزمي

(هل تنظرون)

ومن الوصف البارع والنادر، وصف أبي بكر الخوارزمي للهريسة، وقد وضعت في الآنية:

هل تَنظرونَ لِتنّوريّةٍ خُنِقَتْ ... مِن أوّلِ الليلِ حتى قلبُها يجفُ
كأنّها وَهْي فوق الجامِ قد غرقتْ ... في دفنِها قمرٌ بالشّمسِ ملتحفُ
أودرهمٌ فوقَه الدّينارُ منطبقٌ ... أو لوحُ عاجٍ على الزّريابِ مكتنفُ[3]

❖أبو تمام

(لعاب الأفاعي القاتلات لعابه)

ومن أحسن ما قيل في القلم، ما قاله أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي:

لكَ القلمُ الأعلى الذي بِسنانه ... يُصابُ مِنَ الأمرِ الكِلى والمفاصلُ
لُعابُ الأفاعي القاتلاتِ لعابُه ... وَأَرْيُ الْجَنى اشْتارَتْهُ أيدٍ عواسل
له ريقةٌ طلٌّ ولكنَّ وقعَها ... بآثارِه في الشرقِ والغربِ وابل
فصيحٌ إذا اسْتَنْطَقْتَهُ وهو راكبٌ ... وأعجمُ إنْ خاطبْتَهُ وهو راجل

---

(١) زهر الآداب، للحصري (هامش العقد الفريد) ٢/ ٢٩٧. وعطارد: الكوكب السيّار والمعروف.
(٢) الديوان ١/ ٦٧.
(٣) محاضرات الأدباء ٢/ ٦١٠. ويجف: يخفق. والجام: الإناء. والزرياب: ماء الذهب الأصفر.

إذا ما امتطى الخمسَ اللّطافَ وأُفرغتْ ... عليه شعابُ الفكرِ وهي حوافل
أطاعتْهُ أطرافُ القنا وتقوَّضَتْ ... لِنجواهُ تقويضَ الخيامِ الجحافل
إذا استغزرَ الدّهنَ الجليَّ وأقبلتْ ... أعاليه في القرطاسِ وهي أسافل
وقد رفدته الخنصرانِ وسدّدتْ ... ثلاثَ نواحيه الثلاثُ الأنامل
رأيتَ جليلاً شأنُه وهو مرهفٌ ... ضناً وسميناً خطبُه وهو ناحل[1]

❖محمود غنيم

(يا صاحب اللحن أين العود والوتر)

ومن أدق الوصف للمذياع، وصف الشاعر المعاصر محمد غنيم الذي يقول:

شادٍ ترنّمَ لا طيرٌ ولا شجرُ ... يا صاحبَ اللّحنِ أينَ العودُ والوتَرُ
إني سمعتُ لساناً قُدَّ من خشبٍ ... فهل ترى بعد هذا ينطقُ الحجر
صوتٌ برٍ وما صداهُ رنَّ في أُذني ... كأنه مِن جدارِ البيتِ ينحدر
وآلةٍ جَعلتْ مِن حجرتي أفقاً ... يرتدُّ منحدراً عن حدِّه البصر
لها فمٌ ليسَ يستعصي على لغةٍ ... على الرّطانةِ والإفصاحِ مقتدر
عوراءُ لا تخرجُ الأصواتُ من فمِها ... إلا إذا ما بدا مِن عينها الشَّرر
صماءُ لكنْ تعي ما لا تعي أُذنٌ ... بكماءُ مِن فمِها الأخبارُ تنتشر[2]

❖أبو الفرج الببّغا

(لقد طال ما استشفت بها مقل رمد)

ومن غرر أوصاف أبي الفرج الببغا، أحد الشعراء المطبوعين، في العصر العباسي، والذين تفننوا في أوصافهم، قوله في رمد الحبيب، وهو المرض الذي يصيب العين:

بِنفسيَ ما يشكوه مِن راحِ طرفهِ ... ونرجسِه ممّا دهى حسنَه الوردُ
أراقتْ دمي ظلماً محاسنُ وجههِ ... فأضحى وفي عينيهِ آثارُه تبدو
غدتْ عينُه كالخدِّ حتى كأنّما ... سقى عينَه مِن ماءِ توريدِه الخدُّ
لئِنْ أصبحتْ رمداءَ مقلةُ مالكي ... لقد طالَ ما اسْتشفَتْ بها مقلٌ رُمْدُ[3]

---

(١) العقد الفريد ٢/ ١٧٩. واللعاب: الرّيق. والسنان: رأس الرمح. والأري: الشهد والرحيق. واشتارته: استخرجته. وتقوضت: تهدمت. والجحافل: الجيوش. والقرطاس: الورق.

(٢) صرخة في واد، لمحمود غنيم. ط القاهرة. ١٩٥٧ م. والحد: منتهى الشيء. والرطانة: التحدث بالأعجمية. والإفصاح: التكلم بالفصحى. وبكماء: خرساء.

(٣) الإعجاز والإيجاز، للثعالبي ص ٢١٨، دار صعب. بيروت. وطرفه: نظره. ودهى: أصاب. ورمداء: فيها رمد. ومقلة: عين. واستشفت: طلبت الشفاء.

❖أبو الفرج الواو الدمشقي

(نالت على يدها ما لم تنله يدي)

ومن غريب الوصف ورائعه، ما قاله أبو الفرج الواو الدمشقي، وقيل: يزيد بن معاوية، في الوشم الذي يبدو في يد الحبيبة. يقول الشاعر:

نالتْ على يدِها لمْ تَنَلْهُ يدي ... نَقْشاً على مِعْصمٍ أوهتْ به جَلَدي
كأنّه طُرْقُ نملٍ في أنامِلها ... أو روضةٌ رَصَّعَتْها السُّحْبُ بالبَرَد
خافتْ على يدِها من نبلِ مقلتِها ... فألبستْ زندَها درعاً من الزَّرَد[1]

❖الميداني (ت ٥١٨ هـ/١١٢٤ م)

(تنفس صبح الشيب)

من بديع الشعر في وصف الشيب، وصف أبي الفصل أحمد بن محمد الميداني، صاحب المصنف المعروف باسمه مجمع الأمثال، يقول الميداني:

تنفّسَ صُبْحُ الشَّيْبِ في ليلِ عارضي ... فقلتُ عساهُ يكتفي بِعِذاري
فلمّا فشا عاتبْتُهُ فأجابَني ... أيا هلْ ترى صبحاً بغيرِ نهارِ[2]

❖أبو تمام

(ولكنه في القلب أسود أسفع)

ومن أجمل وصف الشيب، وأبرعه، وأكثره عمقاً ونفاذاً، وتفنّناً، وصف أبي تمام له. يقول:

غدا الشّيبُ مختطّاً بِفَوْدَيَّ خطّةً ... طريقُ الرَّدى منها إلى النّفسِ مِهْيَعُ
هو الزُّورُ يَخفى والمُعاشرُ ينزوي ... وذو الإلفِ يبلى والجديد يرقَّعُ
له منظرٌ في العينِ أبيضُ ناصعٌ ... ولكنَّهُ في القلبِ أسودُ أسفعُ[3]

❖محمود الورّاق

(فالشيب إحدى الميتتين)

ومن جيد ما قيل في وصف الشيب، قول محمود الورّاق، وهو من الجديد المبتكر والسائغ العذب:

---

(١) المصدر نفسه ص ٢١٩. وجلدي: صبري. وأوهت: أضعفت. والأنامل: الأصابع. والسحب: الغيوم الماطرة. والمقلة: العين.

(٢) تاريخ الآداب العربية ١/ ٤٢٢. والعارض: صفحة الخد. والعذار: جانب اللحية.

(٣) الإعجاز والإيجاز، للثعالبي. ص ١٨٦. دار صعب. بيروت. والفود: معظم شعر الرأس مما يلي الأذن. والخطة: الطريقة. والردى: الموت. والمهيع: الطريق الواسع الواضح. والزور: العقل والرأي. والمعاشر: المؤالف. ويقلى: يكره. وأسفع: أسود.

لا تطلبَنْ أثراً بعينْ ... فالشَّيْبُ إحدى الميتتينْ
أبدى مقابحَ كلِّ شينِ ... ومحا محاسنَ كلِّ زينْ
فإذا رأتْكَ الغانياتُ ... رأينَ منكَ غرابَ بينْ
ولربّما نافسْنَ فيكَ ... وكنَّ طوعاً لليدينْ
أيامَ عَمَّمَكَ الشبابُ ... وأنتَ سهلُ العارضينْ
حتى إذ نزلَ المشيبُ ... وصرتَ بينَ عمامتينْ
سوداءَ مالكةٍ ... وبيضاء المناشرِ كاللجينْ
مزج الصّدودُ وصالَهُنَّ ... فكُنَّ أمراً بينَ بينْ
وصبرتَ ما صبرَ السوادُ ... على مصانعةٍ ودينِ
حتى إذا شملَ المشيبُ ... فجازَ قطرَ الحاجبينْ
فتقين شرَّ تقيّةٍ ... وأخذتَ منكَ الأطيبينْ[1]

❖أبو العلاء (ت ٤٤٩ هـ/١٠٥٧ م)

(فقد تدمع الأحداق من كثرة الضحك)

ومن الوصف الوجداني التأملي الرائع وصف أبي العلاء المعري للشمعة. يقول في الشمعة، وكأنه يصف نفسه:

وصفراءَ لون التّبرِ مثلي جليدةٌ ... على نُوَبِ الأيّامِ والعيشةُ الضَّنْكِ
تُريكَ ابْتساماً دائماً وتجلُّداً ... وصبراً على ما نابَها وَهْي في الهُلْك
ولو نطقَتْ يوماً لقالتْ أظنُّكم ... تخالون أني من حِذارِ الرّدى أبكي
فلا تحسبوا دمعي لِوَجْدٍ وجدْتُه ... فقد تدمعُ الأحداقُ مِن كثرةِ الضّحكِ[2]

❖الميكالي

(فيختال في ثوب جديد من العمر)

ومن الذين وصفوا الشمعة فأبدعوا، أبو الفضل الميكالي الذي يقول:

وليلٍ كلونِ الهجرِ أو ظلمةِ الحبرِ ... نصبْنا لِراعيهِ عموداً منَ التِّبرِ
يشقُّ جلابيبَ الدُّجى فكأنما ... بدا بينَ أيدينا عموداً من الفجر
يُحاكي رُواءَ العاشقينَ بلونهِ ... وذوبِ حشاهُ والدّموع التي تجري
تبدَّى لنا كالغصنِ قدّاً وفوقه ... شعاعٌ كأنّا فيه في ليلة القدر
تحمل نوراً حتفهُ فيه كامنٌ ... وفيه حياةُ الأنسِ واللّهوِ لو يدري

---

(١) العقد الفريد ١/٢٥٩. والشين: القبح. والبين: الفراق. واللجين: الفضة.
(٢) ديوان سقط الزند ص ١٩١.

إذا ما علتْهُ علّةٌ خرَّ رأسه ... فيختالُ في ثوبٍ جديدٍ من العمر[١]

❖نزار قباني (ولد سنة ١٩٢٣ م)

(أتريد أن لا يعرفا)

ومن الوصف الرائع المحدث، وصف نزار قباني، الشاعر السوري المعاصر، للبيت الريفي. يقول نزار:

في حُرْجِنا المدروزِ شُوحاً ... سقفُ منزِلنا اختفى
حرستْهُ خمسُ صَنَوْبراتٍ ... فَاتْزوى وتصوَّفا[٢]
نسجَ الثلوجَ عباءةً ... لبسَ الزوابعَ مِعْطفا[٣]
الطّيبُ بعضُ حدودِه ... أتريدُ أنْ لا يُعرفا
وحدودُ بيتي غيمةٌ عبرتْ ... وجِنْحُ رَفْرَفا
حملتْهُ ألفُ فراشةٍ ... بيتي فلاماتَ الوفا
قرميدُه حضنَ المواويلَ ... الجريحةَ وَاكْتفى
قِطَعُ الحصى في أرضِهِ ... ضوءٌ تجمَّد أحرفا
كم مرّةٍ مرَّ الصَّباحُ ... بِبابِه وتوقَّفا
يا مجدَهُ ملكَ المفارقَ ... والمُطَلَّ المشرفا
سقفاً ومدخنةً وباباً ... ضارعاً متفلسفا[٤]
كم نجمةٍ دخلتْ عليَّ ... تظنُّ عندي مُتْحفا
تركَتْ بسورِ حديقتي ... شالَ الحريرِ منتَّفا

❖إيليا أبو ماضي (ت ١٩٥٧ م)

في وصف إيليا أبو ماضي، الشاعر اللبناني المهجري، للطبيعة يمتزج الإبداع بالغنى وبالسحر. وخير مثال على ذلك وصفه الرائع لشهر أيلول، شهر وداع الصيف واستقبال الخريف حيث الطبيعة تبدأ بخلع ثوبها القديم تمهيداً لارتداء حلة جديدة. يقول إيليا أبو ماضي:

الحسنُ حولَكَ في الوهادِ وفي الذُّرى ... فانظرْ ألستَ ترى الجمالَ كما أَرى[٥]
أيلولُ يمشي في الحقولِ وفي الرُّبى ... والأرضُ وفي أيلول أحسنُ منظرا

---

(١) زهر الآداب، للحصري (هامش العقد الفريد) ٢/٣٠٧.
(٢) تصوف: تعب.
(٣) المعطف: الثوب.
(٤) ضارعاً: خاضعاً.
(٥) الوهاد: الأراضي المنخفضة.

شهرٌ يوزّعُ في الطبيعةِ فنّه ... شجراً يُصفّقُ أو سناً متفجّرا
فالنورُ سحرٌ دافقٌ والماءُ شعرٌ رائقٌ ... والعطرُ أنفاسُ الثرى[1]
لا تحسبِ الأنهارَ ماءً راقصاً ... هذي أغانيهِ استحالت أنهرا
وانظرْ إلى الأشجارِ تخلعُ أخضراً ... عنها وتلبسُ أحمراً أو أصفرا
تعرى وتُكسى في أوانٍ واحدٍ ... والفنُّ في ما ترتديهِ وفي العَرا[2]
فكأنما نارٌ هناكَ خفيّةٌ ... تنحلّ حينَ تهمُّ أنْ تستشعرا
وتذوبُ أصباغاً كألوانِ الضحى ... وتموجُ ألحاناً وتسري عنبرا
صورٌ وأطيافٌ تلوحُ خفيفةً ... وكأنها صورٌ نراها في الكرى
لِلّهِ من أيلولَ شهرٌ ساحرٌ ... سبقَ الشهورَ وإنْ أتى متأخرا
مَن ذا يدبّجُ أو يحوكُ كوشيهِ ... أو منْ يصوّرُ مثلما قد صوّرا
لمستْ أصابعُه السماءَ فوجهُها ... ضاحٍ ومرَّ على الترابِ فنوّرا[3]

❖أمين نخلة (ولد سنة ١٩٠١ م)

وللشاعر المبدع أمين نخلة وصف رائع لشهر نيسان، شهر الورود والرياحين. يقول أمين نخلة، وهو من جيد الشعر وأسلسه وأرقه:

نيسانُ حلوٌ غريرُ ... على الشهورِ أميرُ[4]
في الأرضِ زفّةُ بُشرى ... وفي الفضاءِ حبورُ[5]
وكلُّ شمٍّ أريجُ ... وكلُّ لمسٍ مريرُ[6]
كأنَّ دفقَ حياةٍ ... في الكونِ أو ذا نشورُ[7]
فالشوقُ نِعمَ التّثنّي ... والصخرُ نعمَ الشعورُ[8]
والغصنُ يلبسُ ثوباً ... يا حبّذا لو يُعيرُ
ولِلنّسيمِ كلامٌ ... عنِ الحنانِ كثيرُ
والطيرُ حطّتْ ولولا ... أحبابُها لا تطيرُ
نيسانُ زار فأهلاً ... فضلٌ علينا وخيرُ
أمرّةً كلَّ عامٍ ... لو كلَّ يومٍ يَزورُ

(١) الثرى: التراب.
(٢) العرا: العري.
(٣) ضاح: بارز للشمس.
(٤) غرير: حسن الخلق.
(٥) زف البشرى: حمل الخبر المفرح. والحبور: السرور.
(٦) الأريج: الرائحة الطيبة.
(٧) النشور: القيامة بعد الموت.
(٨) التثني: التمايل.

❖أحمد شوقي

(وكان أيام الشباب ربوعه)

من بديع الوصف، وصف أمير الشعراء أحمد شوقي للبنان، وقد كان الشاعر يتردد إليه، في فصل الصيف خاصة، فينتشي بجماله، ويؤخذ بروعته، ومما قاله في لبنان واصفاً طبيعته الفاتنة الساحرة:

لبنانُ والخلدُ اختراعُ اللّهِ لمْ ... يُوسَمْ بأزينَ منهما مَلَكُوتُهُ
هو ذروةٌ في الحسنِ غيرُ مرومةٍ ... وذَرا البراعةِ والحجى بيروتُه
ملِكُ الهضابِ الشُّمِّ سلطانُ الرُّبى ... هامُ السّحابِ عُروشُه وتخوته
سيناءُ شاطرَهُ الجلالَ فلا يُرى ... إلاّ له سُبُحاتُه وسُموته
والأبلقُ الفردُ انتهتْ أوصافه ... في السُّؤدَدِ العالي له ونعوته
جبلٌ على آذارَ يُزري صيفُه ... وشتاؤه يئِدُ القرى جَبَرُوته
يَغْشى روابيَهُ على كافورِها ... مسكُ الوهادِ: فتيقهُ وفتيتُه
وكأنَّ أيّامَ الشّبابِ ربوعُه ... وكأنّ أحلامَ الكَعابِ بيوته
وكأنَّ رَيْعانَ الصِّبا رَيْحانُه ... سرُّ السّرورِ يجوده ويقوته
وكأنَّ همسَ القاعِ في أذنِ الصَّفا ... صوتُ العتابِ ظهورُه وخفوتُه[1]

(يا جارة الوادي)

ومن رائع شعر الوصف، وصف شوقي لمدينة زحلة، عروس البقاع، السهل اللبناني المشهور، ولقد اعتاد الشاعر أن يقضي الصيف في ربوع تلك البلدة الجميلة، فقال فيها شعراً وصفياً، هو من أجود الوصف، وإنا لنقتطف منه هذه الأبيات:

يا جارةَ الوادي طربْتُ وعادني ... ما يُشبِهُ الأحلامَ مِن ذكراكِ
مثّلْتُ في الذِّكرى هواكِ وفي الْكَرى ... والذّكرياتُ صدى السِّنينَ الحاكي
لم أدرِ ما طيبُ العناقِ على الهوى ... حتى ترفَّقَ ساعدي فَطَواكِ
ولقد مرزْتُ على الرِّياضِ بربوةٍ ... غنّاءَ كنْتُ حيالَها ألقاك
ودخلْتُ في ليلينِ فرعِكِ والدُجى ... ولثمتُ كالصُّبحِ المنوَّرِ فاك
لا أمسِ مِن عمرِ الزمانِ ولا غدٌ ... جُمعَ الزمانُ فكانَ يَومُ لقاكِ[2]

---

(١) ديوان شوقي ٢/ ٣٧٢. المطبعة الأميرية. والقاع والصفا: اسما نبعين في لبنان قرب البارك. والكعاب: الفتاة البالغة. والفتيق والفتيت: ما استخرج منه وما فتّ. ويئد القرى: يدفنها بثلوجه وأمطاره. والأبلق الفرد: اسم حصن للسموأل، الشاعر الجاهلي. وسيناء: اسم جبل تجلّى فيه الله تعالى لموسى النبي. وهام السحاب: أعاليه. والذرا: الكنف.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ١٤٠. وجارة الوادي: زحلة. والكرى: النوم. والفرع: الشعر.

❖الأخطل الصغير (ت ١٩٦٨ م)

(يا أخت زهراء الرّبى)

ومن جيد الوصف للطبيعة، طبيعة ظهور الشوير، القرية اللبنانية الساحرة، وصف بشارة الخوري، الملقب بالأخطل الصغير. يقول الأخطل، من شعر جيد السبك، صافي الديباجة، رقيق وجزل معاً:

يا أخت زاهرةِ الرُّبى كمْ قبلةٍ ... مِن عاشقٍ وتحيّةٍ مِن شَيِّقِ
لم أنسَ حينَ دخلتُ روضَكِ غُدْوةً ... والزّهرُ بينَ مَزَرِّرٍ ومشقَّقِ
فقطفْتُ أولَ قبلةٍ مِن وردةٍ ... ورشفْتُ أولَ مبسمٍ من زنبقِ
حسُنَتْ محاسنُكِ الرُّبى فتأوَّهَتْ ... غدرانُها في جفنِها المغرورقِ
صلَّى لكِ الوادي برهبةِ ناسكٍ ... وضبابِ مبخرةٍ وهامةِ مُطْرِقِ
وأبو الرُّبى «صِنّينُ» قامَ كشمعةٍ ... بيضاءَ تُمعنُ في السحابِ وترتقي
يتوقّدُ النّجمُ السّنِيُّ برأسِها ... فترى بوادرَ دمعِها المترقرقِ[1]

❖حافظ إبراهيم (ت ١٩٣٢ م)

(خلت أني على المرايا أسير)

ومن رائع الوصف، وصف حافظ إبراهيم، الشاعر المصري المعاصر لإيطاليا، ولعاصمتها روما، خاصةً، فهو يقول واصفاً مرابعها وربوعها وتماثيلها:

إيهِ إيطاليا عَدَتْكِ العوادي ... وتَنَحَّى عن ساكنيكِ الثُّبورُ
فيكِ يا مهبطَ الجمالِ فنونٌ ... ليسَ فيها عن الكمالِ قصور
ودمىً جمَّع المحاسنَ فيها ... صَنَعُ الكفِّ عبقريٌّ شهير
قد أقيمتْ من الجمادِ ولكن ... من معاني الحياةِ فيها سطور
فهي تبدو من الملائكِ يكسوها ... جمالٌ على حفافيهِ نور
كلُّ شبرٍ فيها عليه بناءٌ ... مشمخرٌّ أو روضةٌ أو غدير
قسموا الوقتَ بينَ لهوٍ وجِدٍّ ... في مدى اليومِ قِسْمة لاَ تجور
كُلُّهم كادحٌ بكورٌ إلى الرّزقِ ... ولاهٍ إذا دعاهُ السرور
ولعَ القومُ بالنّظافةِ حتى ... جُنَّ فيها غَنِيُّهم والفقير
فإذا سرتُ في الطريقِ نهاراً ... خلْتُ أنّي على المرايا أسيرُ[2]

---

(١) شعر الأخطل ص ١٨٣ ـ ١٨٥.

(٢) ديوان حافظ إبراهيم ١/ ١٨٢. ط القاهرة. والثبور: الويل. والدمى: التماثيل. والصنع: المتقن صنعته. ومشمخر: مرتفع. وحفافيه: جوانبه. والبكور: الذي يغدو باكراً.

أروع ما قيل في الفخر

الباب الأول

الفخر الذاتي

❖ باعث بن صريم

(فلفقتها بكتيبة أمثالها)

من الشعر الفخري الجيد، وفيه الاعتداد بالنفس، والتغني بالبطولة والإقدام، قول باعث بن صريم، الشاعر الجاهلي، وهو الذي ثأر لمقتل أخيه وائل، قتله بنو تميم، وكان مبعوثاً من قبل عمرو بن هند، ملك اللخميين، فحلف باعث أن يقتل منهم مقتلة عظيمة حتى يملأ دلواً من دمائهم. وهذا ما فعله. يقول باعث[١]:

سائلْ أُسَيِّدَ هل ثأرتُ بوائلٍ ... أم هل شفيتُ النفسَ مِنَ بَلْبالِها[٢]
إنّي وَمَنْ سمكَ السماءَ مكانَها ... والبدرَ ليلةَ نصفِها وهلالها[٣]
آليتُ أثقفُ منهمُ ذا لحيةٍ ... أبداً فتنظرُ عينُه في مالها[٤]
وخمارِ غانيةٍ عقدتُ برأسِها ... أُصُلاً وكانَ منشّراً بِشمالها[٥]
وعقيلةٍ يسعى عليهم قيّمٌ ... متغطرسٌ أبدَيْتُ عن خلخالها[٦]
وكتيبةٍ سُفْعِ الوجوهِ بواسلٍ ... كالأُسْدِ حين تذبُّ عن أشبالها[٧]
قد قدتُ أوّلَ عنفوانِ رعيلها ... فلفقْتُها لكتيبةٍ أمثالِها[٨]

❖ المنخل اليشكري

(إن كنت عاذلتي فسيري)

ومن رائع الفخر فخر المنخل بن مسعود اليشكري، الشاعر الجاهلي الذي نادم النعمان بن المنذر، وهو يفخر بشجاعته وجوده. يقول المنخل[٩]:

إنْ كنتِ عاذلتي فسيري ... نحوَ العراقِ ولا تحوري[١٠]
لا تسألي عنْ جُلِّ مالي ... وانظري كرمي وخيري[١١]
وفوارسٍ كأُوارِ حرِّ النارِ ... أحلاسِ الذكور[١٢]

---

(١) ديوان الحماسة ١/ ٢٠٧ - ٢٠٨.
(٢) أسيّد، اسم قبيلة. وبلبالها: اهتمامها بطلب الثأر.
(٣) سمك السماء: رفعها.
(٤) آليت: حلفت. وأثقف: أظفر. أي هو أقسم أن لا يدع ذا لحية من القوم، أي سيّداً كريماً منهم، إلاّ قتله.
(٥) الغانية: الفتاة الحسناء. وهنا يبين أنه كم من فتاة سباها أول النهار وقد عقدت خمارها برأسها بعدما كان منشراً بشمالها لحيرتها وخوفها.
(٦) العقيلة: الكريمة من النساء. وهنا يبين كم من عقيلة أغار على حيها فشمرت ساقها هرباً فظهر خلخالها.
(٧) سفع الوجوه: سودها.
(٨) العنفوان: أول الشيء. والرعيل: الخيل. والكتيبة: الجيش.
(٩) ديوان الحماسة ١/ ٢٠٢ - ٢٠٦.
(١٠) تحوري: ترجعي. وعاذلتي: لائمتي.
(١١) جل الشيء: معظمه. والخير: الكرم.
(١٢) وفوارس، أي ربّ فوارس. والأوار: اللظى. وأحلاس الذكور: ملازمون لظهور الخيل.

شـدّوا دوابـرَ بَـيْـضـهـم ... فـي كـلّ مـحـكـمـةِ الـقـتـيـر[١]
واسـتـلأمـوا وتـلـبّـبـوا ... إنَّ الـتّـلـبُّـب لـلـمـغـيـر[٢]
وعـلـى الـجـيـادِ الـمـضـمـرَاتِ ... فـوارسٌ مـثـلِ الـصّـقـور
أقـررتُ عـيـنـي مِـن أولـئـك ... والـفـوائـحِ بـالـعـبـيـر[٣]
وإذا الـريـاحُ تـنـاوحـت ... بـجـوانـبِ الـبـيـتِ الـكـسـيـر[٤]
ألـفـيـتـنـي هـشَّ الـيـديْـنِ بـمْـرِي ... قِـدحـي أو شـجـيـري[٥]
ولـقـد شـربـتُ مِـن الـمـدامـةِ ... بـالـصّـغـيـرِ وبـالـكـبـيـر[٦]
فـإذا انـتـشـيـتُ فـإنـنـي ... ربُّ الـخـورنـقِ والـسّـديـر[٧]
وإذا صـحـوْتُ فـإنـنـي ... ربُّ الـشُّـوَيْـهـةِ والـبـعـيـر

❖ حسيل الضبيّ

(جعلت لبان الجون للقوم غاية)

انتجع بنو ضبة أرض بني عامر بالشريف فطلبهم بنو عامر، فسار حسيل بن سجيح الضبي، الشاعر الجاهلي، في أخريات بني ضبة مانعاً بني عامر من النيل منهم وقال مفتخراً، وقد ذكر كل صنوف السلاح[٨].

لـقـد عـلـمَ الـحـيُّ الـمـصـبِّـح أنـنـي ... غـداةَ لـقـينـا بـالـشُّـرَيْـفِ الأحـامـسـا[٩]
جـعـلـتُ لـبـانَ الـجـونِ لـلـقـومِ غـايـةً ... مِـنَ الـطّـعـنِ حـتـى آض أحـمـرَ وارسـا[١٠]
وأرهـبـتُ أولـى الـقـومِ حـتـى تـنـهـنـهـوا ... كـمـا ذدتُ يـومَ الـوردِ هِـيـماً خـوامـسـا[١١]
بِـمـطَّـردٍ لـدْنٍ صـحـاحٍ كـعـوبُـه ... وذي رونـقٍ عـضْـبٍ يـقـدُّ الـقـوانـسـا[١٢]
وبـيـضـاءَ مِـن نـسـجِ ابـنِ داودَ نـثـرةٍ ... تـخـيّـرتُـهـا يـومَ الـلـقـاءِ الـمـلابـسـا[١٣]

---

(١) الدوابر: الأواخر. والبيض، جمع بيضة، وهي ما يوضع على الرأس، وتكون من حديد. والقتير: مسامير الدروع.
(٢) استلأموا: لبسوا اللأمات، أي الدروع. وتلببوا: لبسوا اللبب، أي الدروع.
(٣) الفوائح بالعبير: كناية عن النساء.
(٤) تناوحت: هبّت من كل ناحية. وهنا، كناية عن الجدب. والكسير: المكسور.
(٥) هش: خفيف. ومري: إجالة. والقدح: ما يضرب به عند الأصنام. وهنا كناية عن الجود.
(٦) المدامة: الخمرة.
(٧) الخورنق: قصر للنعمان بن المنذر. والسرير: اسم نهر ناحية الحيرة.
(٨) ديوان الحماسة ١/ ٢٢١ - ٢٢٣.
(٩) الشريف: اسم ماء لبني نمير بنجد. والأحامس: المتحمسون في الدين، ويطلق على قريش خاصة، وأحلافها.
(١٠) الجون: الفرس الأسود أو الأبيض. واللبان: الصدر. والورس: نبت أحمر، وآض: صار.
(١١) تنهنهوا: كفّوا ورجعوا. والهيم من الدواب: ما أصابها الهوام، وهو داء يصحبه العطش. والخوامس: العطاش.
(١٢) المطرد: الرمح. واللدن: اللين. والكعاب والكعوب: ما يفصل بين عقدتي الرمح. ورونق السيف: ماؤه وحسنه. والقوانس: أعلى بيض الحديد. ويقد: يقطع. والعضب: صفة للسيف.
(١٣) البيضاء، صفة للدرع. وابن داود، يراد به داود نفسه، النبي، وكان يصنع الدروع. والنثرة: المحكمة النسج.

وجِرميّةٍ منسوبةٍ وسلاجم ... خفافٍ ترى عن حِدّها السُّمَّ قالسا[١]
فما زلتُ حتى جنّني الليلُ عنهمُ ... أطرّفُ عنّي فارساً ثم فارسا[٢]
ولا يحمدُ القومُ الكرامُ أخاهم العتيدَ ... السلاحِ عنهمُ أنْ يمارسا[٣]

❖ عروة بن الورد (ت حوالي ٥٩٦ م)

(يعين نساء الحي ما يستعنّه)

ومن أروع الفخر، شعر عروة بن الورد بن زيد بن عمرو العبسي، وهو الشاعر الجاهلي المتقدم، وأحد أبرز الشعراء الفرسان من الصعاليك الأجواد، وكان يلقب بعروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم.

يقول عروة فاخراً بنجدته وشجاعته وخلقه[٤]:

لحا اللّهُ صعلوكاً إذا جنَّ ليلُه ... مُصافي المشاشِ آلفاً كلَّ مَجْزَر[٥]
يعدُّ الغِنى من نفسِه كلَّ ليلةٍ ... أصابَ قِراها مِن صديقٍ ميسَّر[٦]
ينامُ عشاءً ثم يصبحُ ناعساً ... يحتُّ الحصا عن جنبِهِ المتعفّر[٧]
يُعينُ نساءَ الحيِّ ما يستعنَّهُ ... ويُمسي طليحاً كالبعير المحسّر[٨]
ولكنَّ صعلوكاً صفيحةُ وجهِهِ ... كضوْءِ شهابِ القابسِ المتنوّر[٩]
مُطلاً على أعدائِهِ يزجرونه ... بساحتِهم زجرَ المنيحِ المشهّر[١٠]
إذا بعدوا لا يأمنون اقترابَه ... تشوُّفَ أهلِ الغائبِ المتنظّر[١١]
لذلك إنْ يلقَ المنيّة يلقَها ... حميداً وإنْ يستغنِ يوماً فأجدر

---

(١) الحرمية، صفة للقوس المتخذة من شجر الحرم. والسلاجم: الطوال من السهام.
(٢) أطرف: أدفع. وجنني الليل: حال بينهم وبيني.
(٣) العتيد: المعد السلاح.
(٤) ديوان الحماسة ١/ ١٥٩ - ١٦١.
(٥) لحا: لعن. والصعلوك: الفقير. والمصافي: المختار الملازم. والمشاش: العظم الذي يمضغ. والمجزر: موضع نحر الإبل.
(٦) قراها: ضيافتها.
(٧) يحت: يفرك.
(٨) المحسر: المعيي، ومثله الطليح.
(٩) القابس: طالب النار. والمتنور: طالب النار من بعيد.
(١٠) المنيح: قدح من قداح الميسر، ولا حظ له من الربح.
(١١) تشوف: تطلع. أي أن أعداء الصعلوك يخافونه حتى إذا بعدوا لا يأمنون عودته تماماً كما يفعل أهل الغائب المترقب رجوعه.

❖ سلمى بن ربيعة

(وكفيت جانيها اللّتيا والتي)

لسلمى بن ربيعة، من بني السيد بن ضبة، الشاعر الجاهلي، والذي فارقته زوجته واسمها تماضر، عاتبة عليه في استهلاكه المال وتعريضه النفس للمعاطب، له أبيات فخرية رائعة يشيد فيها بمحله في الفضل، والعطاء في اليسر والعسر، وفي رأب صدع العشيرة وإصلاح ذات البين. يقول سلمى[١]:

زعمتْ تماضرُ أنني إمّا أمتْ ... يسدذ أُبَيْنوها الأصاغرُ خلّتي[٢]
تربتْ يداكِ وهل رأيتِ لِقومِهِ ... مثلي على يسري وحينَ تعلّتي[٣]
رجلاً إذا ما النائباتُ غشينه ... أكفى لمعضلةٍ وإنْ هي جلّتِ[٤]
ومناخَ نازلةٍ كفيتُ وفارسٍ ... نهلتْ قناتي مِن مطاهُ وعلّت[٥]
وإذا العذارى بالدّخان تقنّعتْ ... واستعجلتْ نصبَ القدورِ فملّت[٦]
دارتْ بأرزاقِ العفاةِ مغالقٌ ... بيديَّ مِن قمعِ العشارِ الجلّة[٧]
ولقد رأيتُ ثأى العَشيرةِ بينَها ... وكفيتُ جانيهَا اللّتيّا والتي[٨]
وصفحتُ عن ذي جهلِها ورفدتُها ... نُصحي ولم تصبِ العشيرةَ زلّتي
وكفيتُ مولايَ الأحمَّ جريرتي ... وحبستُ سائمتي على ذي الخلّة[٩]

❖ السليك بن السلكة

(ولكن كل صعلوك ضروب)

ومن جيد الفخر الذاتي ما قاله أحد أشهر صعاليك العرب، وهو السليك بن السلكة، والسلكة أمّه، وكانت سوداء حبشية. أما السليك فيعد من أغربة العرب، واسم أبيه عمير السعدي. يقول السليك مفتخراً بنفسه، مشيداً ببطولته، وبإبائه الضيم[١٠].

---

(١) ديوان الحماسة ١/ ٢١٢ - ٢١٤.
(٢) أمّا أمت: أصلها: إن أمت. وما: زائدة. والأبنيون: تصغير الإبناء. والخلة: الحاجة.
(٣) تربت: أي صار فيها التراب. للتوبيخ. والتعلة: العسر.
(٤) جلّت: عظمت.
(٥) مناخ مصدر أناخ. والنازلة: الداهية. والنهل: الريّ والامتلاء. والمطا: الظهر.
(٦) ملّت: عملت الملّة، وأدخلت الشيء في الملة: وهي الجمر.
(٧) العفاة: جمع عاف وهو السائل الرزق. والمغالق: جمع مغلق، وهو سهم الميسر. والقمع: جمع قمعة وهي رأس السنام. والعشار: جمع عشراء، وهي الناقة الحامل لعشرة أشهر.
(٨) الرأب: الإصلاح. والثأى: الفساد، واللتيا، تصغير التي، وهما اسمان لما صغر وكبر من الدواهي.
(٩) المولى: ابن العم. والأحمّ: القريب. والجريرة: الجناية. والسائمة: المال الراعي. والخلة: الحاجة.
(١٠) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٣١٠.

ألا عتبتْ عليَّ فصارمتني ... وأعجبَها ذَوُو اللّمم الطّوالِ[١]
فإني يا ابْنةَ الأقوام أربى ... على فعلِ الوضيِّ منَ الرجال[٢]
فلا تصلي بصعلوكٍ نؤومٍ ... إذا أمسى يُعدُّ مِنَ العبال[٣]
ولكنْ كلّ صعلوكٍ ضروبٍ ... بنصلِ السيفِ هاماتِ الرجال[٤]
أشاب الرأسَ أنّي كلَّ يومٍ ... أرى لي خالةً وسْطَ الرحال[٥]
يشقُّ عليَّ أن يلقينَ ضَيْماً ... ويعجزُ عن تخلصِهنَّ مالي

❖ عبيد العنبري

(وللجن منه شكله وشمائله)

ومن رائع شعر الفخر الذاتي، وألصقه بالوجدان، ذاك الشعر المنسوب إلى عبيد بن أيوب العنبري، وقيل هو لأحد لصوص بني سعد، وفي كلا الحالين فإن هذا الشعر ليدخل في صميم الشعر المنسوب إلى الصعاليك، لجهة الحديث عن الذات المتوحدة المتوحشة، والتغني بالبطولة الفائقة. يقول الشاعر[٦]:

فإني وتركي الإنسَ مِن بعدِ حِبِّهم ... وصبريَ عمّنْ كنتُ ما إنْ أزايلُهْ[٧]
لكَالصّقْرِ جلّى بعدَ ما صادَ فتيةً ... قَديراً ومشوّياً عبيطاً خرادله[٨]
أهابوا به فازدادَ بعداً وصدَّهُ ... عنِ القرب منهمْ ضوءُ برقٍ ووابله[٩]
ألم ترني صاحبْتُ صفراءَ نبعةً ... لها ربذيٌّ لم تُفلّلْ معابله[١٠]
وطاتل اختضاني السيفَ حتى كأنّما ... يُلاطُ بكشحي جفنُه وحمائله[١١]
أخو فلواتٍ صاحَبَ الجنَّ وانتحى ... عن الإنسِ حتى قد تقضّتْ وسائله
له نسبُ الإنسيّ يُعرف نجرُهُ ... ولِلجنِّ منه شكلهُ وشمائله[١٢]

---

(١) صارمتني: هجرتني. وذوو اللمم، أي الجمم: وهي مقدم شعر الرأس.
(٢) الوضيّ: الجميل.
(٣) لا تصلي: أي لا تتصلي. والصعلوك: الذي لا مال له. ونؤوم: كناية عن البلادة والكسل. والعبال، جمع عبل، وهو الضخم من كل شيء.
(٤) هامات الرجال: رؤوسهم.
(٥) الخالة وسط الرحال: إشارة منه إلى أنه كان يتوجع لخالاته لأنهن كنّ إماءً.
(٦) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٢٠٠.
(٧) أزايله: أفارقه، وإن، زائدة للتأكيد.
(٨) خرادله: جمع خردل، وهي القِطع. وعبيطاً: كأن به بلهاً وجنوناً.
(٩) أهابوا به: دعوه.
(١٠) النبعة: نوع من الشجر الصلب تتخذ منه القسيّ. والمعابل: جمع معبلة، وهي السهم الخفيف. والربذي: نسبة إلى ربذ، وهو وتر القوس الشديد الحركة عند الاندفاع.
(١١) الكشح: ما بين الخاصرة والضلوع. يلاط: يلصق. وجفن السيف: بيته الذي يوضع فيه. وحمائل السيف: ما يعلق به.
(١٢) نجره: أصله وحسبه، والشمائل: الصفات.

❖ تأبّط شرّا

(إذا سدّ منه منخر جاش منخر)

هو أحد أبرز الشعراء الصعاليك المشهورين في الجاهلية، عرف بفتكه وشجاعته، واسمه في الأصل، ثابت، وكنيته أبو زهير، ولقبه تأبط شرا، لقبته أمه يوم أن تأبط سكيناً وخرج، فلما سئلت عنه قالت: لا أدري، إنه تأبط شراً. والمهم أن الشاعر له في الفخر والحماسة والاعتداد بالنفس شعر يروق وهو من أروع الفخر في الشعر العربي. ومن هذا الشعر ما قاله يوم أن حاول قوم من بني لحيان، من هذيل، أن يأسروه فما استطاعوا إليه سبيلاً، فقال[١]:

إذا المرءُ لم يحتلْ وقد جدَّ جِدُّهُ ... أضاعَ وقاسى أمرَه وهُو مدبرُ[٢]
ولكنْ أخو الحزمِ الذي ليس نازلاً ... بهِ الخطبُ إلاّ وهْو لِلقصدِ مبصر[٣]
فذاكَ قريعُ الدهرِ ما عاشَ حُوَّلٌ ... إذا سُدَّ منه منخر جاشَ منخر[٤]
أقولُ لِلحيانِ وقد صفرتْ لهم ... وِطابي ويومي ضيّقُ الحجرِ معور[٥]
هما خطّتا إما إسارٌ ومِنَّةٌ ... وإمّا دمٌ والقتلُ بالحرِّ أجدر[٦]
وأخرى أصادي النفسَ عنها وإنها ... لَموردُ حزمٍ إنْ فعلتُ ومصدر[٧]
فرشتُ لها صدري فزلّ عن الضفا ... به جؤجؤٌ عَبلٌ ومتنٌ مخصَّر[٨]
فخالط سهلَ الأرضِ لم يكدحِ الصفا ... به كدحةً والموتُ خِزيانُ ينظر
فأبْتُ إلى فهمٍ ولم أكُ آيباً ... وكم مثلِها فارقتُها وهْي تصفر[٩]

(يرى الوحشة الأنس الأنيس)

ومن أروع فخر تأبط شرا، وهو يعتبر من عيون شعر الصعلكة والفتك، قوله[١٠]:

وإني لَمُهدٍ مِن ثنائي فقاصدٌ ... بهِ لابْنِ عمِّ الصّدق شمس بنِ مالكِ[١١]

---

(١) ديوان الحماسة ١/ ١٧ - ١٨.
(٢) يريد أن يقول إنه إذا نزل به مكروه ولم يجد ناصراً له فسبيله أن يحتال له.
(٣) الخطب: الأمر الشديد. وصاحب الحزم هو الذي يستعد للخطب قبل نزوله.
(٤) القريع: المجرب للأمور. والحوّل: البصير بها. وقوله: إذا سدّ منه منخر جاش منخر، كناية عن قدرته على الخلاص من الشدّة.
(٥) لحيان: بطن من هذيل. وصفرت: خلت. والوطاب: أسقيه اللبن، ومفردها وطب. وهنا إشارة إلى وطب العسل الذي صبّه على الصخر ووضع نفسه عليه، فنجا من القوم.
(٦) الإسار: الأسر. ومعنى ذلك أن ثمة أمرين إما الأسر والتزام المنة، وإما القتل، وهو المراد.
(٧) أصادي: أداري.
(٨) الجؤجؤ: الصدر. والعبل: الضخم. والمخصّر: الدقيق. والمتن: الظهر
(٩) فهم: اسم قبيلة. وتصفر: كناية عن الأسف.
(١٠) ديوان الحماسة ١/ ٢٢ - ٢٣.
(١١) شمس بن مالك: ابن عم الشاعر.

أهـزُّ بـه فـي نـدوةِ الـحـيّ عِـطـفَـه ... كـمـا هـزَّ عـطـفـي بـالـهـجـانِ الأوارك[١]
قـلـيـلُ الـتـشـكّـي لِـلـمُـهِـمّ يُـصِـيـبـهُ ... كـثـيرُ الـهـوى شـتّـى الـنّـوى والـمـسـالـك
يـظـلُّ بِـمَـومـاةٍ ويُـمـسـي بـغـيـرهـا ... جـحـيشاً ويَـعْـرُوري ظـهـورَ الـمـهـالـك[٢]
ويـسـبـقُ وفـدَ الـريـحِ مِـن حـيـثُ يـنـتـحـي ... بـمـنـخـرقٍ مـن شـدِّه الـمـتـدارك[٣]
إذا خـاصَ عـيـنـيـه كـرى الـنّـوم لـم يـزل ... لـه كـالـئٌ مـن قـلـبِ شـيـحـان فـاتـك[٤]
ويـجـعـلُ عـيـنـيـه ربـيـئـةَ قـلـبـهِ ... إلـى سـلَـةٍ مِـن حـدِّ أخـلـقَ صـائـك[٥]
إذا هـزّه فـي عـظـم قِـرْنٍ تـهـلّـلـتْ ... نـواجـذُ أفـواهِ الـمـنـايـا الـضّـواحـك[٦]
يـرى الـوحـشـةَ الأنـسَ الأنـيـسَ ويـهـتـدي ... بـحـيـثُ اهـتـدتْ أُمُّ الـنـجـومِ الـشـوابـك[٧]

❖ عنترة (ت حوالي ٦١٥ م)

(ولقد أبيت على الطوى)

ومن جيد الفخر وأشهره فخر عنترة العبسي، الشاعر الجاهلي، وأحد أصحاب المعلقات، المعروف بشجاعته وخلقه، ونجدته وسرعة إقدامه. فلقد انهزمت بنو عبس أمام بني تميم، وسيدهم يومئذ قيس بن زهير، فانبرى عنترة يحامي عن الناس فلم يصب منهم مدبر. فقال قيس: والله ما حمى الناس إلا ابن السوداء - أي عنترة - ولقد أشار عنترة إلى هذه الواقعة فقال مفتخراً[٨]:

إنـي امـرءٌ مِـن خـيـر عـبـسٍ مـنـصـبـاً ... شـطـري وأحـمـي سـائـري بـالـمُـنْـصُـل[٩]
ولـقـد أبـيـتُ عـلـى الـطّـوى وأظـلّـه ... حـتـى أنـالَ بـه كـريـمَ الـمـأكـل[١٠]
وإذا الـكـتـيـبـةُ أحـجـمـتْ وتـلاحـظـتْ ... ألـفـيـتُ خـيـراً مِـن مُـعِـمٍّ مُـخْـولِ[١١]
والـخـيـلُ تـعـلـمُ والـفـوارسُ أنـنـي ... فـرّقْـتُ جـمـعـهُـمُ فـيـصـلِ[١٢]

---

(١) العطف: الجانب. وندوة الحي: مجتمعه. والهجان: الإبل الكريمة. والأوارك، التي ترعى الأراك، الشجر المعروف الذي يتخذ منه السّواك.
(٢) المومأة: الأرض الخالية من الماء والشجر. والجحيش: المتوحش المنفرد. ويعروري: يرتكب المهالك. وهنا يصور الشاعر تفرده وكثرة تجواله في الآفاق، بحماسة وجراءة.
(٣) وفد الريح: أولها. وينتحي: يقصد. والمنخرق: الواسع والمتسارع.
(٤) حاص: خاط. والكرى: النوم الخفيف. والشيحان: الحازم والفاتك: الذي يفتك بالآخرين فجأة.
(٥) الربيئة: الرقيب. والسلة، الواحدة من سلّ السيف، أي تجريده. والأخلق: الأملس. والصائك: القاطع.
(٦) القرن: البطل الشجاع. والنواجذ: الأسنان.
(٧) أم النجوم، كناية عن الشمس، أو المجرّة. ومعنى ذلك أنّه يأنس بالوحدة ويهتدي إلى مقصده كما النجوم.
(٨) ديوان عنترة ص: ٥٧ - ٥٨ دار بيروت - دار صادر بيروت ١٩٦٦ م.
(٩) المنصل: السيف.
(١٠) الطوى: الجوع.
(١١) المعم: المنسوب إلى العم. والمخول: من يتباهى بخاله. والكتيبة: القطعة من العسكر.
(١٢) الفيصل: السيف.

بكرتْ تخوّفُني الحتوفَ كأنني ... أصبحتُ عن غرضِ الحتوفِ بمعزلِ[١]
فأجبتها: إنَّ المنيّةُ منهلٌ ... لا بدَّ أنْ أُسقى بكأسِ المنهلِ
فاقْني حياءَكِ لا أباً لكِ واعلمي ... أني امرؤٌ سأموتُ إنْ لم أُقتلِ[٢]
إن المنيةَ لو تمثّلُ مُثّلت ... مثلي إذا نزلوا بضنكِ المنزلِ[٣]
والخيلُ ساهمةُ الوجوهِ كأنما ... تُسقى فوارسُها نقيعَ الحنظلِ[٤]
وإذا حُملتُ على الكريهةِ لم أقلْ ... بعدَ الكريهةِ ليتني لم أفعلِ[٥]

(ليس الكريم على القنا بمحرّم)

ومن جيد فخر عنترة وأروعه، ذلك الفخر البطولي الذي تضمنته معلقته المشهورة، وهو زاخر بالفروسية والبطولة والشجاعة وأسمى الأخلاق والمناقب والفضائل. يقول عنترة مخاطباً عبلة، حبيبته[٦]:

أثني عليّ بما علمت فإنني ... سمح مخالطتي إذا لم أظلم[٧]
فإذا ظلمت فإن ظلمي باسل ... مرّ مذاقته كطعم العلقم
فإذا شربت فإنني مستهلك ... مالي وعرضي وافر لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصّر عن ندى ... وكما علمت شمائلي وتكرّمي
وحليل غانية تركت مجدّلاً ... تمكو فريسته كشدق الأعلم[٨]
سبقت يداي له بعاجل طعنه ... ورشاش نافذة كلون العندم[٩]
هلاّ سألت الخيل يا ابنة مالك ... إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
يخبرك من شهد الوقيعة أنني ... أغشى الوغى وأعفّ عند المغنم
ومدجّج كره الكماة نزاله ... لا ممعن هرباً ولا مستسلم
جادت له كفيّ بعاجل طعنة ... بمثقّف صدق الكعوب مقوّم[١٠]
فشككت بالرمح الأصمّ ثيابه ... ليس الكريم على القنا بمحرّم
لما رأيت القوم أقبل جمعهم ... يتذامرون كررت غير مذمّم[١١]

---

(١) الحتوف: المنايا، جمع حتف.
(٢) أقني: وفري.
(٣) ضنك المنزل: شدته، كناية عن العسر والهول.
(٤) الحنظل: نبات شديد المرورة.
(٥) الكريهة: صفة للحرب.
(٦) المعلقات العشر ص: ١٤٦ - ١٥٧.
(٧) المخالطة: المعاشرة.
(٨) الحليل: الزوج. والغانية: المرأة الشابة الجميلة. وتمكو: تصفر. والأعلم: صفة للجمل المشقوق الشفة العليا.
(٩) العندم: نبت أحمر اللون.
(١٠) المثقف: صفة للرمح. والمقوم: المستقيم.
(١١) يتذامرون: يدعون بعضهم بعضاً للقتال.

يدعون عنتر والرماح كأنها ... أشطان بئر في لبان الأدهم[١]
ما زلت أرميهم بثغرة نحره ... ولبانه حتى تسربل بالدّم
ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها ... قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

❖ أبو كبير الهذلي

(فأتت به حوش الفؤاد مبطناً)

أبو كبير الهذلي، واسمه عامر بن حليس، شاعر من شعراء الجاهلية، أدرك الإسلام فأسلم، وله في الفخر قطع رائعة منها هذه الأبيات التي يفتخر فيها بشجاعته ومروءته ونجدته.

ويقال إن سبب هذه الأبيات أنه كان تزوج أم تأبط شرا، الشاعر الصعلوك المشهور، وكان هذا لا يزال صغيراً، فتنكر لأبي كبير لما رآه يكثر الدخول على أمه، فارتاب أبو كبير للأمر، ولم يأمن الولد على نفسه فاحتال عليه، بأمر من أمه حتى يقتله فوجهه للغزو، فقصد ناراً وعليها رجلان من لصوص العرب، فقتلهما تأبط شرا، وأخذ خبزهما، فخاف أبو كبير منه، فحلف أن لا يقرب أم هذا الغلام الصعلوك، فقال هذه الأبيات، وهي التالية[٢]:

ولقد سريت على الظلام بمِغْشم ... جلدٍ مِنَ الْفتيانِ غيرِ مثقّلِ[٣]
مِمَّنْ حملْنَ به وهنَّ عواقدٌ ... حُبُك النطاق فشبَّ غيرَ مهبّلِ[٤]
ومبرّءٍ من كلِّ غبرّ حيضةٍ ... وفسادِ مرضعةٍ وداءٍ مُغْيلِ[٥]
حملتْ به في ليلةٍ مرؤودةٍ ... كَرْهاً وعقدُ نطاقِها لم يحلل[٦]
فأتتْ به حوشَ الفؤادِ مبطّناً ... سَهُداً إذا ما نام ليلُ الهوجل[٧]
ما إنْ يحسُّ الأرضَ إلا منكبٌ ... منه وحرفُ الساقِ طيَّ المحمل
وإذا رميتَ به الفجاجَ رأيته ... يهوي مخارمها هُوِيَّ الأجدل[٨]
وإذا نظرتَ إلى أسرّةِ وجهِهِ ... برقتْ كبرقِ العارضِ المتهلّل[٩]

---

(١) الأشطان: الحبال. والأدهم: صفة للفرس الأسود. واللبان: الصدر.
(٢) ديوان الحماسة ١/ ١٩ - ٢١.
(٣) المغشم: الذي يمضي في الأمر على غير نظر. والجلد: الصبور.
(٤) حبك النطاق: طرائق النساء وملابسهن. والمهبّل: من الهبل وهو فقد الأم لولدها.
(٥) معنى ذلك أن أمه حملت به وهي طاهرة من الفساد والحيض.
(٦) معنى ذلك أن الولد جاء نجيباً. والمرؤودة: من الرأد، وهو الفزع.
(٧) حوش الفؤاد: ذكي الفؤاد. مبطناً: خميص البطن. والسهد: النائم. والهوجل: الثقيل.
(٨) الأجدل: الصقر. والمخارم: منقطعات الجبال. ومعنى ذلك أنّه صاحب همة في الأمور الصعبة.
(٩) أسرة وجهه: خطوطه.

صعبُ الكريهةِ لا يُرامُ جنابُه ... ماضي العزيمةِ كالحسام المقصل
يحمِي الصعابَ إذا تكونُ عظيمةٌ ... وإذا همُ نزلوا فمأوى العُيَّل[1]

❖ جابر الطائي

(ومن يفتقر في قومه يحمد الغنى)

ومن أروع الفخر وجيده فخر جابر بن الثعلب الطائي. وشعره يقرب من شعر الصعاليك، وهو لا يخلو من رنّة ألم، وخلقٍ، وحكمة، ومن نزوع إلى المثال. يقول جابر[2]:

وقامَ إليَّ العاذلاتُ يَلُمْنني ... يقلْنَ ألا تنفكُّ ترحلُ مَرْحلا[3]
فإنّ الفتى ذا الحزمِ رام بنفسهِ ... جواشنَ هذا الليلِ كي يتموّلا[4]
ومنْ يفتقر في قومِهِ يحمدِ الْغنى ... وإنْ كان فيهم واسطَ العمِّ مُخْولا[5]
ويُزري بعقلِ المرءِ قلّةُ مالهِ ... وإنْ كان أسرى مِن رجالٍ وأحولا[6]
كأنّ الفتى لم يعرِ يوماً إذا اكتسى ... ولم يكُ صُعلوكاً إذا ما تموّلا
ولم يكُ في بؤسٍ إذا باتَ ليلةً ... يناغي غزالاً فاترَ الطّرفِ أكحلا
إذا جانبٌ أعياكَ فاغمدْ لجانبٍ ... فإنّك لاقٍ في بلادٍ معوّلا[7]

❖ عمرو بن معد يكرب (ت حوالي ٢٠ هـ/ ٦٤٣ م)

(ظللت كأني للرماح دريئة)

ومن أروع الفخر ما قاله عمرو بن معد يكرب الزبيدي، الشاعر الجاهلي والإسلامي، من المخضرمين، والمقدمين في الشدة والسؤدد والفروسية. ولقد دافع عن المسلمين، وشهد الكثير من الوقائع والحروب، يقول عمرو مفتخراً[8]:

ولمّا رأيتُ الخيلَ زُوراً كأنّها ... جداولُ زرعٍ أُرسلتْ فاسْبطرَّتِ[9]
فجاشتْ إليَّ النفسُ أولَ مرّةٍ ... فرُدَّتْ علىَّ مكروهِها فاستقرّتِ[10]
علامَ تقولُ الرمحُ يُثقلُ عاتقي ... إذا أنا لم أطعنْ إذا الخيلُ كرّت

---

(١) العيل: جمع عائل، وهو الفقير. وهنا يصفه بالشجاعة.
(٢) ديوان الحماسة ١/ ١٠٩ - ١١٠.
(٣) أي إنهنَّ ينكرن عليه كثرة ارتحاله وتجواله في البلاد.
(٤) جواشن: جمع جوشن، وهو الصدر والأول من الشيء.
(٥) واسط العم: كريمه. ومثله المخول، فهو كريم الخال.
(٦) أسرى: أشرف. والأحول: الأكثر حيلة.
(٧) المعول: ما يعوّل عليه ويوكل الأمر إليه.
(٨) ديوان الحماسة ١/ ٤٤ - ٤٥.
(٩) اسبطرت: امتدت. والزور، جمع زوراء، وهي المائلة.
(١٠) جاشت: اضطربت من الفزع.

لحا اللّهُ جرماً كلّما ذرّ شارقٌ ... وجوه كلابٍ هارشتْ فازبأرّت[١]
فلم تُغنِ جرمٌ نهدَها إذْ تلاقتا ... ولكنَّ جرماً في القاءِ ابْذعرّت[٢]
ظلِلْتُ كأنّي للرماحِ دريئةٌ ... أقاتلُ عن أبناءِ جرمٍ وفرّت[٣]
فلو أنَّ قومي أنطقتْني رماحُهم ... نطقْتُ ولكنَّ الرماحَ أجرّتِ[٤]

(وبقيت مثل السيف بردا)

ومن جيد فخر عمرو، أيضاً، ما قاله في اليوم الذي جرى بين قومه وأحلافهم من جرم، من جهة، وبين بني الحرث بن كعب وحليفتها نهد، من جهة ثانية، يقول عمرو مفتخراً بمناقبه وشجاعته، وبنفسه العاشقة البطلة[٥]:

ليس الجمالُ بمئزرٍ فاعْلمْ وإنْ رُدّيتَ بُردا
إنْ الجمالَ معادنٌ ومناقبٌ أورثْن مجدا
أعددتُ للحدثانِ سابغةً وعدّاءً عَلَنْدى[٦]
نهداً وذا شطبٍ يقدُّ البيضَ والأبدانَ قدّا[٧]
وعلمتُ أني يومَ ذاك مُنازلٌ كعباً ونهدا[٨]
قومٌ إذا لبسوا الحديدَ تنمّروا حلقاً وقدّا[٩]
لما رأيتُ نساءَنا يفحصْنَ بالمعزاءِ شدّا[١٠]
وبدتْ لميسُ كأنها بدرُ السماءِ إذا تبدّى
نازلْتُ كبشَهُم ولم أر مِن نزالِ الكبش بدّا[١١]
هم ينذرون دمي وأنذرُ إنْ لقيتُ بأنْ أشدّا
كم مِن أخٍ لي صالحٍ بوّأته بيديَّ لحدا[١٢]

---

(١) لحا: قبح ولعن. وذرّ: طلع. والشارق: الشمس. وجرم: اسم قبيلة.
وازبأرت: تهيأت للقتال.
(٢) نهدها، أي قبيلة نهد. وابذعرت: تفرقت.
(٣) دريئة: عرضة.
(٤) أجرت: شقت لسان الفيصل لئلا يرضع ثدي أمه الناقة. ومعنى البيت أنهم لو أبلوا في الحرب بلاء حسناً لمدحهم وذكر بلاءهم.
(٥) ديوان الحماسة ١/ ٥٠ - ٥٢.
(٦) الحدثان: حوادث الدهر. والسابغة: الدرع الواسعة. والعداء: الفرس السريع. والعلندى: الشديد.
(٧) نهد: ضخم. والشطب: طرائق السيف. والقد: القطع طولاً. والبيض: ما يوضع على الرأس من الحديد.
(٨) كعب ونهد: قبيلتان.
(٩) تنمّروا: صاروا كالنمور. والحلق: الدروع. والقد: الدرع. وهنا يعظم من شأن الخصم تعظيماً لشأنه.
(١٠) المعزاة: الأرض الصلبة.
(١١) الكبش: السيد والرئيس.
(١٢) بوأته: أنزلته. واللحد: جانب القبر.

ما إنْ جزعتُ ولا هلِعْتُ ولا يردُّ بكاي زندا[١]
ألبستُهُ أثوابَه وخُلقتُ يوم خلقت جَلْدا[٢]
أغني غَناءَ الذاهبين أعدُّ للأعداءِ عدّا[٣]
ذهبَ الذين أُحبُّهم وبقيتُ مثلَ السيفِ فردا

ومن جيد فخر عمرو بن معد يكرب، أيضاً، قوله:

ولقد أجمعُ رجليَّ بها ... حذرَ الموتِ وإني لفرور
ولقد أعطفُها كارهةً ... حينَ للنفسِ من الموتِ هرير
كلُّ ما ذلك مني خُلُقٌ ... وبكلٌ أنا في الرّوْعِ جدير[٤]

❖ ربيعة بن مقروم

(فدعوا نزالِ فكنت أول نازل)

عمّر ربيعة بن مقروم، وهو الشاعر الجاهلي، حتى أدرك الإسلام فشهد جلولاء أيام عمر ابن الخطاب، ويعد ربيعة من الشعراء والفرسان المشار إليهم في مضر، وكانت عبد القيس قد أسرته، ثم أطلقت سراحه ومنّت عليه بعد ذلك، فقال من جيد الفخر وأروعه[٥]:

ولقد شهدْتُ الخيلَ يومَ طِرادِها ... بسليم أوظفةِ القوائم هيكلِ[٦]
فدعَوْا نزالِ فكنتُ أولَ نازلٍ ... وعلامَ أركبُه إذا لَم أنزلَ[٧]
وألدَّ ذي حنقٍ عليَّ كأنّما ... تَغلي عداوةُ صدرِهِ في مِرجل[٨]
أرجيْتُه عنّي فأبصرَ قصدَه ... وكويتُه فوقَ النواظِرِ من عل[٩]

(بمثلي فاشهد النجوى)

ولربيعة من الفخر الجيد، أيضاً، قوله[١٠]:

وكنتُ إذا قريني جاذبتْهُ ... حبالي ماتَ أو تبعَ الجِذابا[١١]

---

(١) هلعت: جزعت كثيراً.
(٢) جلداً: قوياً شديداً.
(٣) الغناء: النفع.
(٤) ديوان الحماسة ١/ ٥٢. والروع: اللقاء في الحرب. والهرير: الصوت القوي. وأعطفها: أميلها. والفرور: الذي يغرّ ثم يكرّ على الأعداء.
(٥) ديوان الحماسة ١/ ١٤.
(٦) هيكل: كبير ضخم، وهو صفة للفرس. والأوظفة: جمع وظيف، وهو مستدق الذراع والساق من الخيل وغيرها. وهنا يصور لنا كيف أن فرسه سليم معافى من العيوب.
(٧) نزال: اسم فعل، ومعناه: إنزلْ.
(٨) المرجل: القدر الكبيرة. والألد: الشديد الخصومة. والحنق: الغيظ.
(٩) أرجيته: أخرته وصرفته.
(١٠) ديوان الحماسة ١/ ٢١٠ - ٢١١.
(١١) أي أن حباله محكمة القوى يجاذب بها خصمه فيموت قبل الوصول إليه.

فإنْ أهلكْ فذي حنقٍ لظاهُ ... عليَّ تكادُ تلتهبُ التهابا[١]
مخضْت بدلوهِ حتى تحسّى ... ذَنوبَ الشَرِّ ملأى أو قُرابا[٢]
بِمثلي فاشْهد النّجوى وعالنْ ... بيَ الأعداءَ والقومَ الغضابا
فإنّ المُوعِديَّ يرونَ دوني ... أسودَ خفيّةَ الغُلبَ الرّقابا
كأنَّ على سواعدِهنَّ وَرْساً ... علا لونَ الأشاجعِ أو خضابا[٣]

❖ حَطّان بن المعلّى

(فليس لي مال سوى عرضي)

ومن جيد الفخر، وأصدقه، وآلمه معاً، فخر حطان بن المعلّى الشاعر الإسلامي بالحفاظ على خلقه وعرضه، رغم الفقر والإملاق. يقول حطان[٤]:

أنزلني الدهرُ على حكمه ... من شامخٍ عالٍ إلى خَفْضِ[٥]
وغالني الدهرُ بوفرِ الغنى ... فليس لي مالٌ سوى عرضي[٦]
أبكاني الدهرُ ويا ربّما ... أضحكني الدهرُ بما يُرضي
لولا بنيّاتٌ كزُغبِ القطا ... رُددْنَ مِن بعضٍ إلى بعض[٧]
لكان لي مضطربٌ واسع ... في الأرض ذاتِ الطولِ والعرض[٨]
وإنما أولادُنا بيننا ... أكبادُنا تمشي على الأرض
لو هبّتِ الريحُ على بعضِهمْ ... لامْتنعتْ عيني مِنَ الْغمض

❖ حاتم الطائي (ت ٤٦ هـ/ ٦٦٨ م)

(جواد إذا ما النفس شحّ ضميرها)

عرف حاتم بن عبد الله الطائي القحطاني، الشاعر الجاهلي الذي أدرك الإسلام، وأحد فرسان العرب وأجوادهم المعدودين الذين ذكروا بالكرم ومدحوا بالسخاء والجود، وبه يضرب المثل. حاتم هذا قال من جيد الفخر بالكرم والندى والسخاء[٩]:

إذا ما بخيلُ الناسِ هرّتْ كلابُه ... وشقَّ على الضّيفِ الغريبِ عقورُها[١٠]

---

(١) الحنق: الغضب. وذي حنق، أي: رُبّ ذي حنق.
(٢) مخضت: حركت. والتحسي: الشرب شيئاً فشيئاً. والذنوب: الدلو. والمعنى أن خصمه أراد به الشر فسقاه منه.
(٣) خفية، اسم مكان تكثر فيه الأسود. والغلب: الغلاظ الرقاب. والأشاجع: عروق ظاهر الكف.
(٤) ديوان الحماسة ١/ ١٠٠ - ١٠٢.
(٥) الخفض: خلاف العالي، كناية عن الضعف.
(٦) غالني: أصابني وأهلكني.
(٧) بنيّات: تصغير بنات. والزغب: لين الشعر وأصغره، كناية عن صغر سنّهن.
(٨) المضطرب: الاضطراب والتنقل.
(٩) الحيوان ١/ ٢١١.
(١٠) هرّت: نبحت. وشقّ: عسر وصعب. وعقورها: المؤذي منها.

فإنّي جبانُ الكلبِ بيتي موطّأٌ جوادٌ إذا ما النفس شحَّ ضميرها[١]
ولكنْ كلابي قد أقرّتْ وعُوِّدتْ قليلٌ على من يعتريها هريرها

❖ عوف بن الأبرص

(إذا خمد النيران لاح بشيرها)

وقريب من المعنى السابق، وفي جودته وروعته ما قاله عوف بن الأبرص مفتخراً بكرمه وبناره التي لا تطفأ يشبّها للضيفان[٢]:

ومستنبح يخشى العداةَ ودونه من الليل بابا ظلمة وستورُها[٣]
رفعتُ له ناراً فلما اهتدى بها زجرتُ كلابي أنْ يهرَّ عقورها[٤]
فلا تسأليني واسألي عن خليقتي إذا ردَّ ما في القدرِ مَن يستعيرها[٥]
تريْ أنّ قِدري لا تزالُ كأنها لِذي الغرثِ المقرورِ أمّ يزورها[٦]
مبرّزة لا يُجعل الستر دونَها إذا خمدَ النيرانُ لاحَ بشيرها
إذا الشولُ راحت ثم لم يفدْ لحمها بألبانِها ذاقَ السّنانَ عقيرها[٧]

❖ ابن زرارة الكلبي

(بضرب الطلا والهام حق عليم)

ومن الفخر الرائع ما قاله عبد العزيز بن زرارة الكلبي، الشاعر الإسلامي، وهو يفخر بنفسه وكرمه وشجاعته، وفخره لا يخلو من نصفة وواقعية. يقول ابن زرارة[٨]:

وإلاّ أكنْ مما علمتِ فإنني إلى نسبٍ مما جهلتِ كريم
وإلا أكنْ كلَّ الجوادِ فإنني على الزادِ في الظلماءِ غيرُ شتيم[٩]
وإلاّ أكنْ كلَّ الشجاعِ فإنني بضربِ الطُّلا والهامِ حقُّ عليم[١٠]

---

(١) موطأ: مرتاد. وشح: قلّ.
(٢) الحيوان ٥/ ٢١٥.
(٣) المستنبح: من يحرض الكلاب على النباح ليعرف منازل القوم.
(٤) زجرت: دفعت. والعقور: أشدها بأساً.
(٥) الخليقة: الطبع.
(٦) الغرث: الجائع. والمقرور: البردان.
(٧) الشول: النوق.
(٨) ديوان الحماسة ١/ ٩٩.
(٩) شتيم، أي مشتوم ويبين هنا أنه يهش للضيف فهو لا يسب ولا يشتم والظلماء، كناية عن الجدب والفقر والحاجة.
(١٠) الهام: الرؤوس، جمع هامة. والطلا: الأعناق.

❖ أبو النشناش

(ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه)

ومن أروع الفخر، وأغناه بالحكمة، وأزخره بالعاطفة الصادقة فخر أبي النشناش، وهو شاعر إسلامي، ولصّ صعلوك من صعاليك بني تميم، في زمن الأمويين، يقول أبو النشناش مفتخراً[١]:

إذا المرءُ لم يسرحْ سواماً ولم يُرِحْ ... سواماً ولم تعطفْ عليه أقاربُهْ[٢]
فَللموتُ خيرٌ للفتى مِن قعودهِ ... عديماً ومِن مولى تدبُّ عقاربه[٣]
ونائيةِ الأرجاءِ طامسةِ الصُّوى ... خَدَتْ بأبي النشناشِ فيها ركائبه[٤]
ليكسبَ مجداً أو ليدركَ مغنماً ... جزيلاً وهذا الدهرُ جمٌّ عجائبه
وسائلةٍ بالغيبِ عني وسائلٍ ... ومَنْ يسألُ الصعلوكَ أين مذاهبه
فلم أرَ مثلَ الفقرِ ضاجعه الفتى ... ولا كسوادِ الليلِ أخفقَ طالبه
فعِشْ معدماً أو متْ كريماً فإنني ... أرى الموتَ لا ينجو من الموتِ هاربه
ولو كان حيٌّ ناجياً من منيّةٍ ... لكان أثيراً حينَ جَدَّتْ ركائبه[٥]

❖ سعد بن ناشب

(ولم يرضَ إلا قائم السيف صاحبا)

ومن أروع الفخر وأشده حماسة، ما قاله سعد بن ناشب التميمي، الشاعر الإسلامي، وكان أصاب دماً فهدم بلال بن أبي بردة داره بالبصرة ثم أحرقها، فقال هذه الأبيات الحماسية الرائعة[٦]:

سأغسلُ عني العارَ بالسيفِ جالباً ... عليَّ قضاءَ اللّهِ ما كانَ جالبا[٧]
وأذهلُ عن داري وأجعلُ هدمَها ... لِعرضيَ من باقي المذَمَّةِ حاجبا[٨]
ويصغرُ في عيني تِلادي إذا انْثنتْ ... يميني بإدراك الذي كنتُ طالبا[٩]
فإن تهدموا بالغدرِ داري فإنَّها ... تراثُ كريمٍ لا يُبالي العواقبا

---

(١) ديوان الحماسة ١/ ١١٥ - ١١٧.
(٢) يسرح: يذهب صباحاً. والسؤام: الماشية. ويرح: يعد مساء.
(٣) تدب عقاربه: كناية عن السعي في الأذى. والعديم: الفقير.
(٤) الصوى: الأعلام. وخدت: أسرعت. والركائب: الرواحل، وما يركب. والنائية: صفة للمفازة القفر.
(٥) جدت ركائبه: أسرعت. والمعنى واضح في أن الصعلوك الذي يطلب المجد، ويسعى إليه في الليل هو أجدر بذلك.
(٦) ديوان الحماسة ١/ ١٥ - ١٦. وانظر: زهر الآداب ١/ ٢١٣.
(٧) العار: العيب والسوء.
(٨) أذهل عن داري: أتركها. والمذلة: الذم والعيب.
(٩) التلاد: المال القديم المتوارث.

أخي غمراتٍ لا يريدُ على الذي ... يهمُّ به من مفظعِ الأمرِ صاحبا[١]
إذا همَّ لم تُردعْ عزيمةُ همّهِ ... ولم يأتِ ما يأتي من الأمرِ هائبا[٢]
فيا لَرِزام رشّحوا بي مقدّماً ... إلى الموتِ خوّاضاً إليه الكتائبا[٣]
إذا همَّ ألقى بينَ عينيْهِ عزمه ... ونكّبَ عن ذكرِ العواقبِ جانبا[٤]
ولم يستشرْ في رأيهِ غيرَ نفسهِ ... ولم يرضَ إلاّ قائمَ السيفِ صاحبا

❖ الطرمّاح (ت ١٢٥ هـ/ ٧٤٣ م)

(بفيض إلى كل امرىء غير طائل)

يعتبر الطرماح من ألمع شعراء الخوارج وأفصحهم في العصر الإسلامي، وهو الطرماح بن حكيم، والذي ينتهي نسبه إلى طيء، القبيلة العربية المعروفة، ومن جيد فخر الطرماح قوله[٥]:

لقد زادني حبّاً لِنفسيَ أنني ... بغيضٌ إلى كلِّ امرىءٍ غير طائل
وأني شقيٌّ باللئام ولا ترى ... شقيّاً بهم إلاّ كريمَ الشمائل[٦]
إذا ما رآني قطّعَ الطّرفَ بينَه ... وبينيَ فعلَ العارفِ المتجاهل
ملأتُ عليه الأرضَ حتى كأنّها ... مِن الضّيقِ في عينيْهِ كفةُ حابل[٧]
أكلُّ امْرىءٍ ألفى أباه مقصّراً ... معادٍ لأهلِ المكرمات الأوائل
إذا ذُكرتْ مسعاةُ والدِهِ اضطنى ... ولا يضطني مِن شتم أهل الفضائل[٨]
وما مُنعتْ دارٌ ولا عزَّ أهلُها ... مِن الناس إلاّ بالقَنا والقنابل[٩]

❖ ابن حبناء

(ولا تعجلي باللوم يا أم عاصم)

ومن أروع الفخر، وأجزله عبارة، وأصدقه عاطفة ما قاله ابن حبناء، وهو من غلاة الخوارج، وأحد أتباع نافع بن الأزرق؛ يقول مخاطباً أم عاصم، ومفتخراً بشجاعته وثباته واندفاعه المفرط في سبيل ما يؤمن به ويعتقده[١٠]:

---

(١) الغمرات: الشدائد.
(٢) تردع: تزدجر. وهائباً: خائفاً.
(٣) رزام: حي من تميم، نسبوا إلى جدهم رزام بن مالك بن حنظلة. واللام في «رزام» للاستغاثة.
(٤) نكب: انحرف.
(٥) ديوان الحماسة ١/ ٧٦ - ٧٧.
(٦) الشمائل: الطبائع والصفات الحميدة.
(٧) كفة الحابل: الحفرة التي تنصب فيها الحبالة، فهي كالطوق. والحابل: صاحب الحبالة.
(٨) المسعاة: السعي. واضطنى: تعب وضعف.
(٩) القنابل: جماعات الخيل، والواحدة قنبلة.
(١٠) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٢٩٩.

دعي اللومَ إنّ العيشَ ليسَ بدائمِ ... ولا تعجلي باللومِ يا أمَّ عاصمِ
فإنْ عجلتْ منكِ الملامةُ فاسمعيّ ... مقالةَ معنيّ بحقّكِ عالمِ
ولا تعذليني في الهديّةِ إنّما ... تكونُ الهدايا مِن فُضولِ المغانمِ
فليسَ بمُهدٍ من يكونُ نهارهُ ... جِلاداً ويُمسي ليلُه غيرَ نائمِ[1]
يريدُ ثوابَ اللّهِ يوماً بطعنةٍ ... غموسٍ كشدق العنبريّ بنِ سالمِ[2]
أبيتُ وسربالي دِلاصٌ حصينةٌ ... ومِغفَرُها والسيفُ فوقَ الحيازمِ[3]
حلفتُ بربِّ الواقفينَ عشيّةً ... لدى عرفاتٍ حلفةً غيرَ آثمِ
لقد كان في القومِ الذين لقيتُهم ... بسابورَ شغلٌ عن بروزِ اللطائمِ[4]
توقَّدُ في أيديهم زاعبيّةٌ ... ومرهفةٌ تفري شؤونَ الجماجمِ[5]

❖ المتنبي (ت، ٣٥٤ هـ/ ٩٦٥ م)

(الخيل والليل والبيداء تعرفني)

أبو الطيب المتنبي، شاعر الحكمة والمدح والفخر بلا منازع في العصر العباسي، بل في كل عصر. ولقد تعرض المتنبي في بلاط سيف الدولة الحمداني للحسد والدسائس، مما أغاظه وكدر عليه صفو عيشه، وهو الشاعر الكبير المتعالي، فقال هذه الأبيات التي تعتبر من أروع شعر الفخر قاطبة، ومن أشهره على الإطلاق[6]:

سيعلمُ الجمعُ ممّنْ ضمَّ مجلسُنا ... بأنّني خيرُ من تسعى به قدمُ
أنا الذي نظرَ الأعمى إلى أدبي ... وأسمعتْ كلماتي من بهِ صممِ
أنامُ ملءَ جفوني عن شوارِدها ... ويسهرُ الخلقُ جرّاها ويختصمِ[7]
وجاهلٍ مدَّه في جهلهِ ضحكي ... حتى أتتْه يدٌ فرّاسةٌ وفمِ
ومهجةٍ مهجتي مِن هَمِّ صاحبِها ... أدركتُها بجوادٍ ظهرُه حرمِ
رجلاه في الركضِ رجلٌ واليدان يدٌ ... وفعلهُ ما تريدُ الكفُّ والقدمِ
ومرهفٍ سرْتُ بينَ الجحفليْنِ به ... حتى ضربتُ وموجُ الموتِ يلتطمِ
الخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفُني ... والسيفُ والرمحُ والقرطاسُ والقلمِ

---

(١) أي أن يقول إنه يمسي هو في ليله، ويكون هو في نهاره، لكنه جعل الفعل للّيل والنهار، على السّعة والمجاز.
(٢) الغموس: الواسعة. والشدق: الفم. والعنبري بن سالم: رجل من القوم كان يقال له الأشدق.
(٣) الدلاص: الدرع. والمغفر، أيضاً، الدرع. والحيازم: جمع حيزوم، وهو الصدر.
(٤) سابور: اسم مدينة بفارس، قريبة من اصطخر. وسابور، أيضاً، اسم موضع بالبحرين. واللطائم، جمع لطيمة، وهي الإبل التي تحمل البزّ والعطر.
(٥) زاعبية: نسبة إلى زاعب، اسم رجل من الخزرج كان يعمل الرماح. وتفري: تقدّ.
(٦) ديوان أبي الطيب ص: ٣٣٠، طبعة دمشق ١٩٦٠ م.
(٧) شواردها، أي شوارد القوافي.

صحبتُ في الفلواتِ الوحشَ منفرداً ... حتى تعجّبَ مني الغُورُ والأكم[١]
كم تطلبونَ لنا عيباً فيعجزكم ... ويكرهُ اللّهُ ما تأتون والكرم
ما أبعدَ العيب والنقصانَ عن شرفي ... أنا الثريّا وذانِ الشيبُ والهرمُ[٢]

(فلا تقنع بما دون النجوم)

ومن جيد فخر أبي الطيّب قوله[٣]:

إذا غامرتَ في شرفٍ مروم ... فلا تقنع بما دونَ النجوم
فطعمُ الموتِ في أمرٍ حقيرٍ ... كطعمِ الموتِ في أمرٍ عظيم

(فما المجد إلا السيف والفتكة البكر)

ومنه أيضاً[٤]:

ولا تحسبَنَّ زقًّا وقينةً ... فما المجدُ إلا السيفُ والفتكةُ البكرُ
وتقطيعُ أعناقِ الملوكِ وأنْ تُرى ... لك الهبواتُ السودُ والعسكرُ المجر

ومنه أيضاً[٥]:

وإني لمنْ قومٍ كأنَّ نفوسَهم ... بها أنفٌ أنْ تسكنَ اللمَمَ والعظما

ومنه أيضاً[٦]:

وآنفُ مِن أخي لأبي وأمي ... إذا ما لم أجدْه من الكرامِ

(كشعرة في مفرقي)

ومنه، ما قاله في الصغر[٧]:

أيَّ محلٍّ أرتقي ... أيَّ عظيمٍ أتقي
وكلّ ما قد خلقَ اللّهُ ... وما لم يُخلقِ
محتقرٌ في همّتي ... كشعرةٍ في مفرقي

ومنه كذلك[٨]:

إن أكنْ معجباً فعجبُ عجيبٍ ... لم يجدْ فوقَ نفسهِ مِن مزيدِ

---

(١) الغور: الأراضي الواطئة المنخفضة. والأكم: ما ارتفع منها.
(٢) الثريا: نجم معروف وهو مجموعة من الكواكب الصغار.
(٣) المصدر نفسه ص: ٢٣٠.
(٤) نفسه ص: ١١٤، والزق: وعاء الخمر: والمجر: الكثير العدد.
(٥) نفسه ص: ٢١٠.
(٦) نفسه ص: ٢١٧.
(٧) نفسه ص: ١٩٠.
(٨) نفسه ص: ٨٩.

(تركنا لأطراف القنا كل شهوة)

ومنه[١]:

وغيرُ فؤادي للغواني رميّةٌ ... وغيرُ بناني للزجاجِ ركابُ
تركْنا لأطرافِ القنا كلَّ شهوةٍ ... فليس لنا إلا بهنَّ لعاب

(غريب كصالح في ثمود)

ومنه[٢]:

مفرشي صهوةُ الحصانِ ولكنَّ ... قميصي مسرودةٌ من حديدِ
ما مقامي بأرضِ نخلةَ إلا ... كمقامِ المسيحِ بينَ اليهود
أنا في أمّةٍ تداركها اللّـ ... ـهُ غريبٌ كصالحٍ في ثمود

❖ أبو فراس الحمداني (ت ٣٥٧ هـ/ ٩٦٨ م)

(صبور ولو لم تبقَ مني بقية)

الشاعر هو أبو فراس الحارث بن سعيد الحمداني، الأمير والقائد، وأحد أبرز شعراء العصر العباسي، عرف بوجدانياته و «روملياته» وهي القصائد التي كان يبعث بها إلى ابن عمه سيف الدولة، من مكان أسره في بلاد الروم، وهي تفيض رقة وعاطفة، ولا تخلو من مواقف فخرية كان يعدد فيها الشاعر مناقبه ومآتيه وفضائله. ومن هذا الشعر الفخري الرائع الممزوج بالألم والعتاب، قوله[٣]:

إذا الخِلُّ لم يهجرْكَ إلاّ ملالةً ... فليسَ له إلاّ الفراقُ عتابُ
إذا لم أجدْ في بلدةٍ ما أريدُهُ ... فعندي لأخرى عَزْمةٌ وركاب[٤]
وليس فراقٌ ما استطعتُ فإنْ يكنْ ... فراقٌ على حالٍ فليس إياب[٥]
صبورٌ ولو لم تبقَ مني بقيةٌ ... قؤولٌ ولو أنَّ السيوفَ جواب
وقورٌ وأحداثُ الزمانِ تنوشُني ... وللموتِ حولي جيئةٌ وذهاب[٦]
بِمنْ يثقُ الإنسانُ في ما ينوبُه ... ومِن أينَ للحرّ الكريمِ صحاب[٧]
تغابيْتُ عن قومي فظنّوا غباوتي ... بمفرقِ أغبانا حصىً وتراب[٨]

---

(١) نفسه ص: ٣٧. والغواني: الحسان.
(٢) نفسه ص: ٧٠. ونخلة، قرية في بلاد الشام.
(٣) ديوان أبي فراس الحمداني ص: ٢٥. طبعة دار البيان. دمشق.
(٤) الركاب: ما يركب من الدواب. والعزامة: القوة والصبر والجد.
(٥) الإياب: الرجوع والنكوص.
(٦) وقور: ذو وقار وحزم. وتنوشني: تطلبني.
(٧) ينوبه: يصيبه بمكارهه.
(٨) تغابيت: تغافلت.

ولو عرفوني بعضَ معرفتي بهمْ إذاً علموا أنّي شهذْتُ وغابوا
أنا الجارُ لا زادي بطيءٌ عليهمُ ولا دونَ مالي في الحوادث باب[1]
ولا أطلبُ العوراءَ منهم أصيبُها ولا عَوْرتي للطالبين تُصاب[2]

❖ **أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ/ ١٠٥٨ م)**

(ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل)

ومن عيون شعر الفخر وأجوده وأروعه قصيدة أبي العلاء المعري اللامية. أما أبو العلاء فهو الشاعر العباسي المشهور، شاعر الفلاسفة، وفيلسوف الشعراء، صاحب **«رسالة الغفران»** و **«لزوم ما لا يلزم»** و **«سقط الزّند»**. ولد بالمعرة، وما لبث أن فقد نعمة البصر، فنقم على الناس، واتسم شعره بالمرارة والثورة والتشاؤم. ومع ذلك فلا نعدم أن نجد في شعره لمعاً من الشعر الفخري الحافل بضروب المعاني الفريدة، حيث النفس الضخمة الشريفة المتطلعة إلى الدنيا من عل، لما فيها من فضائل، ولما في الناس من قبح وصغار. يقول أبو العلاء مفتخراً[3]:

ألا في سبيلِ المجدِ ما أنا فاعلُ عفافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونائل[4]
أعِندي وقد مارستُ كلَّ خفيَّةٍ يُصدّقُ واشٍ أو يُخيّبُ سائل
تُعدُّ ذنوبي عندَ قومٍ كثيرةً ولا ذنبَ لي إلاّ العلى والفواضل[5]
وقد سارَ ذكري في البلاد فَمنْ لهم بإخفاءِ شمسٍ ضوؤُها متكامل
يهمُّ الليالي بعضُ ما أنا مضمرٌ ويثقلُ رَضْوى دونَ ما أنا حامل[6]
وإني وإنْ كنتُ الأخيرَ زمانُه لآتٍ بما لم تستطعْه الأوائل
وأغدو ولو أنَّ الصباحَ صوارمٌ وأسري ولو أنَّ الظلامَ جحافل[7]
وإني جوادٌ لم يحلَّ لجامهُ ونِضْوُ يمانٍ أغفلتْه الصياقل[8]
وإنْ كان في لبس الفتى شرفٌ له فما السيفُ إلاّ غمدُه والحمائل
ولي منطق لم يرض لي كُنْهَ منزلي على أنني بينَ السّماكيْنِ نازل[9]
ولما رأيتُ الجهلَ في الناسِ فاشياً تجاهلتُ حتى ظُنَّ أنّيَ جاهل

---

(١) أي أنا الجار الكريم الذي لا يضع حداً للبذل والعطاء، ولم يوصد بابه في وجه قومه في الشدائد.
(٢) العوراء: العيب، ويريد أن يقول إنه يرى عيوبهم من غير أن يطلبها، وهم عاجزون عن التقاط عيب فيه.
(٣) سقط الزند ص: ٥٧ - ٥٩.
(٤) النائل: العطاء.
(٥) الفواضل: جمع فاضلة، وهي الدرجة الرفيعة من الفضل.
(٦) رضوى: اسم جبل.
(٧) جحافل، جمع جحفل، وهو الجيش الكثير العدد. والصوارم، جمع صارم، وهو السيف.
(٨) النضو: السهم الذي رمي به حتى بلي وفسد. والصياقل، جمع صيقل. وهو الذي يشحذ السيوف ويجلوها.
(٩) السماكان: نجمان معروفان في السماء.

فواعجباً كم يدّعي الفضلَ ناقصٌ ... ووا أسفاً كم يُظهر النقصَ فاضل
ينافسُ يومي فِيَّ أمسي تشرّفاً ... وتحسدُ أسحاري عليَّ الأصائل[1]
وطال اعترافي بالزمانِ وصرفِه ... فلستُ أبالي مَن تغولُ الغوائل[2]
فلو بانَ عَضْدي ما تأسّف منكبي ... ولو مات زندي ما بكتْه الأنامل
فإنْ كنتَ تبغي العِزَّ فَابْغِ توسّطاً ... فعندَ التناهي يقصرُ المتطاول
تُوقّى البدورُ النّقصَ وهْيَ أهِلّةٌ ... ويدركُها النقصانُ وهي كوامل

(هي الأيام لا تعطي قياداً)

ومن جيد فخر أبي العلاء قوله[3]:

أرى العنقاءَ تكبرُ أنْ تُصادا ... فعانذْ من تطيقُ له عنادا[4]
وما نهنهْتُ عن طلبٍ ولكنْ ... هي الأيامُ لا تُعطي قيادا[5]
ليَ الشّرفُ الذي يطأُ الثُّريَا ... مع الفضلِ الذي بهرَ العبادا
وكم عينٍ تُؤمّلُ أنْ تراني ... وتفقدُ عندَ رؤيتي السوادا
أفلُّ نوائبَ الأيامِ وحدي ... إذا جمعتْ كتائبُها احتشادا[6]
ولي نفسٌ تحلُّ بيَ الرّوابي ... وتأبى أنْ تحلَّ بيَ الوهادا
تُمدُّ لتقبضَ القمرينِ كفّاً ... وتحملَ كي تبذَّ النجمَ زادا[7]
ولو أني حُبيتُ الخلدَ فرداً ... لما أحببتُ بالخلد انفرادا
فلا هطلتْ عليَّ ولا بأرضي ... سحائبُ ليس تنتظمُ البلادا

---

(١) الأصائل: جمع أصيل، وهو الوقت الذي يسبق غروب الشمس.
(٢) تغول: تهلك. والغوائل: جمع غائلة، وهي المهلكة.
(٣) ديوان سقط الزند ص: ٦٠ - ٦٤.
(٤) العنقاء: طائر ضخم أسطوري.
(٥) نهنهت: منعت وكفيت.
(٦) أفل: أبدر وأقطع. ونوائب الأيام: صروفها وأحداثها.
(٧) تبذ: تنافس.

الباب الثاني

الفخر الجماعي

❖ الفند الزّماني

(صفحنا عن بني ذهل)

ومن جيد شعر الفخر ما قاله الفند، واسمه شهل بن شيبان بن ربيعة بن زمان الحنفي، الشاعر الجاهلي، والفارس الذي شهد حرب بكر وتغلب، وهي التي تعرف بحرب البسوس. يقول الفند مفتخراً بقومه الأشداء، بني حنيفة[١]:

صَفَحْنا عَنْ بَني ذُهْلٍ ... وقُلْنا القَومُ إخوانُ[٢]
عَسى الأيامُ أنْ يَرجِعْنَ ... قَوماً كالذي كانوا
فَلَمّا صَرَّحَ الشَّرُ ... فأمسى وهو عُريانُ[٣]
ولَم يَبقَ سوى العُدوان ... دِنّاهُمْ كَما دانوا[٤]
مَشَيْنا مِشيَةَ اللَّيثِ ... غَدَوْا واللَّيثُ غضبانُ[٥]
بِضَربٍ فيهِ تَوهينٌ ... وتَخضيعٌ وإقرانُ[٦]
وطَعنٍ كَفَمِ الزِّقِ ... غَذا والزِّقُّ مَلآنُ[٧]
وبَعضُ الحِلمِ عِندَ الجَهلِ ... لِلذّاتِ إذعانُ[٨]
وفي الشَرِّ نَجاةٌ حينَ ... لا يُنجيكَ إحسانُ

❖ حيّان بن ربيعة الطائي

(ذوو جدّ إذا لبس الحديد)

وممن افتخر بقومه، بلاغتهم وشجاعتهم، حيان بن ربيعة الطائي، الشاعر الجاهلي المتقدم. يقول حيان:

لَقَد عَلِمَ القَبائِلُ أنَّ قَومي ... ذَوُو جِدٍّ إذ لُبسَ الحَديدُ
وأنا نِعمَ أحلاسُ القَوافي ... إذا استَعَرَ التَنافُرُ والنَشيدُ
وأنا نَضرِبُ المَلحاءَ حَتى ... تُولّي والسيوفُ لَنا شُهودُ[٩]

---

(١) ديوان الحماسة ١/ ٦ - ٧.
(٢) بنو ذهل: قوم من العرب، وفي رواية (عن بني هند) وهي هند بنت مرّ، أخت تميم.
(٣) صرح: انكشف. وعريان، كناية عن ظهور الشر ووضوحه.
(٤) دنّاهم: الزمناهم بدينهم، وقهرناهم.
(٥) غدوا: بكروا. وغضبان، كناية عن الجوع. والليث أشد ما يكون عند الجوع.
(٦) التوهين: التضعيف والتذليل. والإقران: الاسترخاء والتتابع.
(٧) الزق: وعاء الخمر.
(٨) الإذعان: الإنقياد. والحلم: خلاف الجهل، وهو العقل والصفح.
(٩) ديوان الحماسة ١/ ١٠٣. والملحاء: الكتيبة العظيمة. وأحلاس: ملازمون. وقوله: إذا لبس الحديد، كناية عن الاستعداد للحرب.

❖ ودّاك المازني

(ليوث طعان عند كل طعان)

ومن جيد الفخر ورائعه ما قاله وداك بن سنان بن ثميل المازني، وهو شاعر جاهلي إفتخر بقومه بني مازن لما أراد بنو شيبان صرفهم عن الماء الذي يقال له: سفوان. وفي هذا الفخر نجد الشعر الرائق، الجيد السبك، وعليه من بهاء النظم والحماسة مما يغري بالإعجاب. يقول ودّاك[١]:

رُوَيْدَ بني شيبانَ بعضَ وعيدكم ... تُلاقوا غداً خيلي على سَفَوانِ[٢]
تلاقوا جياداً لا تحيدُ عن الوغى ... إذا ما غدتْ في المأزقِ المتداني[٣]
عليها الكماةُ الغُرُّ من آلِ مازنٍ ... ليوثُ طعانٍ عندَ كلِّ طعانِ[٤]
تلاقوهمُ إذا تعرفوا كيفَ صبرهُم ... على ما جنتْ فيهم يدُ الحدثانِ[٥]
مقاديمُ وصّالون في الرَّوْعِ خطوَهم ... بكلِّ رقيقِ الشّفرتينِ يمانِ[٦]
إذا استنْجدوا لم يسألوا مَن دعاهُم ... لأيّةِ حربٍ أم بأيِّ مكانِ

❖ السموأل (ت حوالي ٥٦٠ م)

(إن الكرام قليل)

هو أبو شريح السموأل بن عادياء الشاعر الجاهلي، من يهود المدينة، وكان جواداً عالي الهمة، وهو صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء وهو الذي فضل أن يُقتل ابنه، ولم يخفر ذمته مع امرىء القيس، الذي أودعه دروعه، فضرب المثل بوفائه. ومن جيد شعر السموأل وأروعه في الفخر بكرم الأخلاق والشهامة والشجاعة قوله[٧]:

إذا المرءُ لم يدنسْ منِ اللؤمِ عِرضُه ... فكلُّ رداءٍ يرتديهِ جميلُ
تُعَيّرنا أنّا قليلٌ عديدُنا ... فقلتُ لها إنّ الكرامَ قليل
وما ضرَّنا أنّا قليلٌ وجارُنا ... عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليل
لنا جبلٌ يحتلُّه من نجيرُه ... منيعٌ يردُّ الطّرفَ وهْو كليل[٨]

---

(١) ديوان الحماسة ١/ ٣٢ - ٣٣.
(٢) رويد: مهلاً ورفقاً. وسفوان، اسم ماء قريب من البصرة.
(٣) الوغى: الحرب. والمأزق: المضيق.
(٤) الكماة: جمع كمي، وهو الفارس. والغر: البيض الوجوه.
(٥) الحدثان: صروف الدهر وأحواله.
(٦) مقاديم: جمع مقدام، وهو الكثير الإقدام في الحرب. والروع: الحرب واللقاء. ورقيق الشفرتين: إشارة إلى السيف. واليمان: المنسوب إلى اليمن.
(٧) تاريخ الآداب العربية ١/ ٩٢ - ٩٣.
(٨) المقصود بالجبل، الحصن الذي كان للمسوأل. وكليل: ضعيف.

وإنّا لقومٌ لا نرى القتل سُبّةً ... إذا ما رأتْه عامرٌ وسلول[١]
يُقرّبُ حبُّ الموتِ آجالَنا لنا ... وتكرهُه أجيالُهم فتطول
تسيلُ على حدِّ الظُّباتِ نفوسنا ... وليستْ على غيرِ الظباتِ تسيل[٢]
ونُنكرُ إنْ شئْنا على الناسِ قولَهم ... ولا يُنكرون القولَ حين نقول
إذا سيّدٌ منّا خلا قامَ سيدٌ ... قؤولٌ لما قال الكرامُ فعول
وما أُخمدت نارٌ لنا دونَ طارقٍ ... ولا ذَمّنا في النازلين نزيل[٣]
وأيامُنا مشهورةٌ في عدوِّنا ... لها غُرَرٌ معلومةٌ وحجول[٤]
وأسيافُنا في كلِّ شرقٍ وغربٍ ... بها مِن قِراع الدارعين فلول
سلي إنْ جهلتِ الناسَ عنّا وعنهُمُ ... فليسَ سواءً عالمٌ وجهول

❖ **عمرو بن كلثوم (ت حوالي ٥٧٠ م)**

(ألا لا يجهلن أحد علينا)

ومن وحي حرب البسوس بين بكر وتغلب، وعلى أثر نكث العهد الذي جرى بين القبيلتين بوساطة عمرو بن هند، ملك المناذرة، ارتجل عمرو بن كلثوم التغلبي، وكان أعز الناس نفساً، وأشدهم امتناعاً وهمة، ارتجل في حضرة ملك الحيرة أبياتاً طويلة، من الفخر بقومه، وقد تضمنتها معلقته المشهورة، وإنا لننتقي منها هذه الأبيات، وهي تتميز بالسهولة والمبالغة والسرعة والاندفاع والحماس[٥]:

أبا هندٍ فلا تعجلْ علينا ... وأنظرنا فنخبرْكَ اليقينا
بأنّا نوردُ الراياتِ بيضاً ... ونصدرُهنّ حمراً قد روينا
وقد هرّتْ كلابُ الحيّ مِنّا ... وشذّبْنا قتادَةَ منْ يلينا[٦]
متى ننقلْ إلى قومٍ رَحانا ... يكونوا في اللقاءِ لها طحينا
نطاعنُ ما تراخى الناسُ عنا ... ونضربُ بالسيوفِ إذا غشينا
بسمرٍ من قنا الخطيِّ لُدْنٍ ... ذوابلَ أو بيضٍ يختلينا[٧]
نشقُّ بها رؤوس القومِ شَقّا ... ونُخليها الرقابَ فتختلينا
ورثْنا المجدَ قد علمتْ معَدٌّ ... نطاعنُ دونَه حتى يبينا

---

(١) عامر وسلول: قبيلتان من قيس عيلان.
(٢) الظبات: جمع ظبة وهي حد السيف.
(٣) الطارق: النازل ليلاً.
(٤) الأيام: الوقائع والحروب. والغرر، جمع غرة، وهي البياض في الجبين. والحجول: البياض في قائمة الفرس.
(٥) المعلقات العشر ١١٦ - ١٣١.
(٦) القتادة: الشوكة.
(٧) السمر: صفة للرماح. واللدن: اللينة، ومثلها الذوابل.

ونحنُ إذا عمادُ الحيِّ خرَّتْ ... عنِ الأحفاصِ نمنعُ من يلينا[1]
بشبّانٍ يرون القتلَ مجداً ... وشيبٍ في الحروبِ مجرّبينا
ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا ... فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا
ونحن الحاكمونَ إذا أطعْنا ... ونحن العازمون إذا عصينا
ونحن التاركون لما سخطنا ... ونحن الآخذون لما رضينا
وقد علمَ القبائلُ مِن مَعَدٍّ ... إذا قُبب بأبطحِها بنينا
بأنا المطعمونَ إذا قدرْنا ... وإنا المهلكون إذا ابتلينا
وأنا المانعون لما أردْنا ... وإنا النازلون بحيث شينا
ونشربُ إن وردْنا الماءَ صفواً ... ويشربُ غيرُنا كدراً وطينا
ملأنا البرَّ حتى ضاق عنا ... ونحن البحرَ نَملَؤهُ سفينا[2]
إذا بلغَ الرضيعُ لنا فطاماً ... تخرُّ له الجبابرُ ساجدينا

❖ الأسلع الطهوي

(هم أفحموا الخصم الذي يستفيدني)

ومن جيد الفخر ما قاله الأسلع بن قطاف الطهوي، وهو يفتخر بقومه في كل منقبة كريمة، يقول الأسلع[3]:

فداءٌ لِقومي كلَّ معشرٍ جارمٍ ... طريدٍ ومخذولٍ بما جرَّ مسلمِ
همُ أفحموا الخصمَ الذي يستفيدُني ... وهم قصموا حجلي وهم حقنوا دمي[4]
بأيدٍ يفرّجْنَ المضيقَ وألسنٍ ... سلاطٍ وجمعٍ ذي زهاءٍ عرمرمِ[5]
إذا شئتَ لم تعدمْ لدى البابِ منهمُ ... جميلَ المحيّا واضحاً غيرَ توأمِ

❖❖❖

❖ الربيع النضيري

(والعلم قد يلغى لدى السائل)

ومن جيد الفخر وأصوبه معنى قول الربيع بن أبي الحقيق، من بني النضير، وهم من اليهود، وكان قتل في خيبر[6]:

---

(١) الأحفاص: الخيام وأمتعتها.
(٢) ورد هذا الشطر في لسان العرب في مادة (سفن): وموجُ البحر نملؤه سفينا.
(٣) البيان والتبيين ١/ ١٠٥.
(٤) أفحموا: أسكتوا. وقصموا: قطعوا.
(٥) سلاط: شداد. وعروم: كثير العدد.
(٦) البيان والتبيين ١/ ١٢١ .

سائلْ بنا خابرَ أكفائِنا ... والعلمُ قد يُلغى لدى السائلِ[١]
إنّا إذا مالتْ دواعي الهوى ... وأنصتَ السامعُ للقائلِ
واضطرعَ الناسُ بألبابهم ... نقضي بحكمٍ عادلٍ فاصلِ[٢]
لا نجعلُ الباطلَ حقّاً ولا ... نلطُ دونَ الحقِّ بالباطلِ[٣]
نكرهُ أنْ تسفهَ أحلامُنا ... فنحملُ الدهرَ مع الخَاملِ[٤]

❖ **بشامة بن حزن**

(تلقَ السوابق منّا والمصلّينا)

ومن أروع الفخر وجيده ما قاله بعض بني قيس بن ثعلبة، وهو بشامة بن حزن، وأغلب الظن أنه من الشعراء الإسلاميين. والشاعر هنا يفتخر لقومه بني نهشل، السابقين لكل مكرمة، والمرخصين نفوسهم في سبيل حياة العزّة والشرف والسؤدد. يقول بشامة[٥]:

إنّا بني نهشلٍ لا ندّعي لأبٍ ... عنه ولا هو بالأبناء يَشْرينا
إنْ تُبتدرْ غايةٌ يوماً لِمكرمةٍ ... تلقَ السّوابقَ منّا والمصلّينا[٦]
وليسَ يهلكُ منّا سيدٌ أبداً ... إلاّ افْتلينا غلاماً سيّداً فينا[٧]
إنّا لَنُرخصُ يومَ الرّوْعِ أنفسَنا ... ولو نُسام بها في الأمنِ أغلينا[٨]
بيضٌ مفارقُنا تغلي مراجلُنا ... نأسوا بأموالِنا آثارَ أيدينا[٩]
إني لمنْ معشرٍ أفني أوائلَهم ... قيلُ الكُماةِ ألا أينَ المحامونا[١٠]
لو كانَ في الألفِ منّا واحدٌ فدعَوْا ... مَن فارسٌ خالَهم إيّاه يعنونا
إذا الكماةِ تنحّوْا أنْ يصيبهُم ... حدُّ الظُباةِ وصلْناها بأيدينا[١١]
ولا تراهم وإنْ جلّتْ مصيبتُهم ... معَ البكاةِ على مَن ماتَ يبكونا
ونركبُ الكُرْهَ أحياناً فيفرجُه ... عنّا الحفاظُ وأسيافٌ تواتينا[١٢]

---

(١) أكفائنا: نظرائنا.
(٢) الألباب: العقول. وفاصل: يفصل بين الحق والباطل.
(٣) نلطّ: نضرب ونلزق.
(٤) تسفه: تسوء. والأحلام: العقول.
(٥) ديوان الحماسة ١/ ٢٥ - ٢٧.
(٦) تبتدر: تستبق. والمصلين: السابقين.
(٧) إفتلينا: افتطمنا واخذنا عن الأم.
(٨) نرخص: نجعلها رخيصة. ويم الروع: يوم الكريهة واللقاء.
(٩) بيض مفارقنا: كناية عن الصفاء والنقاوة من الذم والعيب. ونأسو: نداوي، وهنا كناية عن الغنى والسطوة.
(١٠) الكماة: الفرسان، جمع كميّ. وهنا يشير إلى أنّهم أصحاب نجدة وإقدام.
(١١) الظباة: مع ظبة، وهي حد السيف.
(١٢) الكره: الشدة والمكروه. وركوب الكره، كناية عن الوقوع فيه والقصد إليه. وتواتينا: توافقنا.

❖ حسّان بن نشبة

(تركنا لهم شقّ الشمال)

ومن جيد الفخر الجماعي بالقوم والقبيلة ما قاله حسان بن نشبة العدوي التيمي[١]:

نحنُ أجرْنا الحيَّ كلباً وقد أتتْ ... لها حِمْيرٌ تُزْجي الوشيجَ المقوَّما[٢]
تركْنا لهم شِقَّ الشمالِ فأصبحوا ... جميعاً يزجّونَ المطيَّ المخزَّما[٣]
فلما دَنَوْا صُلْنا ففرّق جمعَهم ... سحابتُنا تندى أسرّتُها دما[٤]
فغادَرْنَ قَيْلاً مِن مقاولِ حميرٍ ... كأنَّ نِجدَّيْهِ مِن الدّم عندما[٥]
أمرَّ على أفواهِ من ذاق طعمَها ... مطاعمنا يمججْنَ صاباً وعلقما[٦]

❖ أبو الطمحان القيني

(إذا مات منهم سيد قام سيد)

ومن جيد الفخر وأروعه قاله أبو الطمحان القيني، واسمه حنظلة بن الشرقي. يقول أبو الطمحان مفتخراً بقومه[٧]:

وإني مِنَ القومِ الذين همُ همُ ... إذا ماتَ منهم سيدٌ قامَ صاحبُهْ
نجومُ سماءٍ كلّما غارَ كوكبٌ ... بدا كوكبٌ تأوي إليه كواكبُهْ
أضاءَتْ لهم أحسابُهم ووجوهُهم ... دجى الليل حتى نظّمَ الجزعَ ثاقبُه
وما زال منهم حيثُ كانوا مسوَّدٌ ... تسيرُ المنايا حيث سارتْ ركائبُه

❖ جزء بن ضرار

(كرام إذا ما الناشبات تنوب)

لجزء بن ضرار بن سنان الغطفاني، أخي الشماخ، الشاعر الجاهلي الإسلامي، أبيات من الفخر بأخلاق قومه، تعد من أروع ما قيل في الفخر، وهي التالية[٨]:

أتاني فلم أسرْ بهِ حينَ جاءني ... حديثٌ بأعلى القُنَّتيْن عجيبُ[٩]

---

(١) ديوان الحماسة ١/ ١٢٤.
(٢) أجرنا: أدخلناهم في جوارنا وأنجدناهم. وكلب: حي من العرب. وتزجي: تسوق. والوشيج: الرمح. والمقوّما: المثقّفا. وحمير: من عرب الجنوب.
(٣) شق الشمال: جانبه. والخزم: الشد والقطع. ويزجون: يسوقون. والمطي: الركائب.
(٤) صلنا عليهم: أوقعنا بهم. والسحابة: الجيش. وتندى: ترشح. وأسرتها: بطونها.
(٥) القيل: الملك. والعندم: نوع من النبت أحمر.
(٦) الصاب والعلقم: نوعان من الشجر شديدا الإمرار.
(٧) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٣١.
(٨) ديوان الحماسة ١/ ١٢٧ - ١٢٨.
(٩) القنتين: اسم جبل.

تصامَمْتَه لمَّا أتاني يقينُه ... وأفرعَ منه مخطئٌ ومصيب[١]
وحُدّثتُ قومي أحدثَ الدهرُ فيهم ... وعهدُهمُ بالحادثاتِ قريب
فإنْ يكُ حقّاً ما أتاني فإنّهم ... كرامٌ إذا ما النائباتُ تنوب
فقيرهُم مُبدي الغنى وغنيُّهم ... له ورقَ للسائلينَ رطيب[٢]
ذلولُهمُ صعبُ القيادِ وصعبُهم ... ذلولٌ بحقِّ الراكبينَ ركوب[٣]
إذا رنّقتْ أخلاقَ قومٍ مصيبةٌ ... تَصفّى لها أخلاقهمُ وتطيب[٤]
ومن يغمروا منهم بفضلٍ فإنهم ... إذا ما انتمى في آخرينَ نجيب[٥]

❖ إبراهيم بن كنيف

(وليس على ريب الزمان معوّل)

ومن أروع الفخر ما قاله إبراهيم بن كنيف، في نبهان، وهو شاعر إسلامي يفخر بقوة جلده واحتماله الشدائد والمكاره، ولا يخلو فخره من الحكمة والمثل، فيقول[٦]:

تَعَزَّ فإنَّ الصبرَ بالحرّ أجملُ ... وليس على رَيْبِ الزمانِ معوَّلُ[٧]
فلو كان يُغني أنْ يُرى المرءَ جازعاً ... لَحادثةٍ أو كانَ يُغني التذلّل[٨]
لكان التعزّي عندَ كلِّ مصيبةٍ ... ونائبةٍ بالحرِّ أولى وأجمل
فإنْ تكنِ الأيامُ فينا تبدّلتْ ... ببؤسي ونُعمى والحوادثُ تفعل[٩]
فما ليّنتْ منّا قناةً صليبةً ... ولا ذلّلتْنا لِلتي ليسَ تجمل[١٠]
ولكنْ رحلْناها نفوساً كريمةً ... تُحمّلُ ما لا يُستطاعُ فتحملُ[١١]
وقَيْنا بحسنِ الصبرِ منّا نفوسَنا ... فصحّتْ لنا الأغراضُ والناسُ هُزّل

❖ أبو حية النمري

(لنا جمرات ليس في الناس مثلها)

ومن الفخر الجيد بالأقوام فخر أبي حية النمري، وهو شاعر أموي عباسي، ذكر

---

(١) تصامته: أي تصامت عنه، وأظهرت الصمم.
(٢) لهم ورق رطيب: كناية عن الندى والغنى.
(٣) الذلول: السهل الركوب والجانب، كناية عن حسن الخلق. والصعب: خلافه.
(٤) رنقت: كدرت.
(٥) النجيب: الفاضل.
(٦) ديوان الحماسة ١/ ٨٨ - ٨٩.
(٧) المعول: ما يعتمد عليه. وريب الزمان: صرفه.
(٨) يغني: ينفع. وجازعاً: غير صابر.
(٩) البؤسى: اسم للبؤس، وشدة الحاجة، والإختلاف. وضدها النعمى.
(١٠) أي هم أعزاء أشداء.
(١١) أي حملناها ما لا تطيق من الأعباء فحملته.

مناقب قومه فأثنى عليهم قائلاً[١]:

وهم جمرة ما يصطلي الناس نارهم ... توقَّد لا تُطفأ بزيتِ الرواهبِ
لنا جمراتٌ ليس في الناس مثلها ... ثلاثٌ فقد جُرِّبْنَ كلَّ التجارب
نميرٌ وعبسٌ تتقى صقراتها ... وضبّةُ قومٌ بأسُهم غير كاذب
إلى كلِ قومٍ قد دلفْنا بجمرةٍ ... لها عارضٌ جَونٌ قويٌّ المناكب

❖ حسّان بن ثابت (ت ٦٧٤ م)

(كل قوم عندهم علم الخبر)

لحسان بن ثابت الأنصاري، الشاعر الجاهلي الإسلامي، شعر رائق وجيد في المدح والرثاء والوصف والهجاء والفخر، ومن هذا الشعر الأخير قوله مفتخراً بقومه[٢]:

ولقد يعلمُ من حاربَنا ... أنّنا نفحُ قِدْماً ونضُرُّ
صُبُرٌ للموتِ إنْ حلَّ بنا ... صادقو البأسِ غطاريفٌ فُخُر[٣]
وأقامَ العزُّ فينا والغنى ... فلنا فيه على الناسِ الكبر
نحن أهلُ العزِّ والمجدِ معاً ... غيرُ أنكاسٍ ولا ميلِ عُسُر[٤]
فاسألوا عنا وعن أفعالِنا ... كلُّ قوم عندَهم علمُ الخبر

(كل دار فيها أب لي عظيم)

ولا يقل هذا الفخر الآخر عن الأول روعة وأداء. يقول حسان مفتخراً بخاله وأبيه:

إنّ خالي خطيبُ جابيةِ الجولانِ ... عندَ النعمانِ حينَ يقومُ
وهو الصقرُ عند باب ابن سلمي ... يومَ نعمانُ في الكبولِ سقيم
وسطت نسبتي الذوائبَ منهم ... كلُّ دارٍ فيها أبٌ لي عظيم
وأبي في سميحة القائلُ الفاصلُ ... يوم التفّتْ عليه الخصوم
يفصلُ القولَ بالبيان وذو الرأيِ ... مِن القومِ ظالعٌ مكعوم[٥]

---

(١) الحيوان ٥/ ٢١١. وجمرات العرب: عبس وضبة ونمير. وهنا ذكر الشاعر هذه القبائل وكلها مضرية. والعارض: السحاب المعترض في السماء. والجون: الأسود والأبيض.
(٢) ديوان حسان بن ثابت ص ١١٧ - ١١٨.
(٣) الغطاريف: الأسياد الأشراف، جمع غطريف.
(٤) الأنكاس: الضعاف، جمع نكس. والميل: جمع أميل، وهو الذي بلا سيف. والعسر: جمع أعسر، وهو الذي يعمل بيسراه.
(٥) البيان والتبيين ٣/ ٣٧٤. والمكعوم: الذي في فمه الكعامة، فهو لا يستطيع النطق. وظالع: مائل ومنحرف يعرج في مشيه.

❖ أبو النجم (١٣٠ هـ/ ٧٤٨ م)

(فلئن فخرت بوائل)

أبو النجم، واسمه الفضل بن قدامة العجلي، أحد رجال الطبقة التاسعة من الرجاز في العصر الأموي. وربما قصّد أبو النجم، أي قال القصيد، لا الرجز، فأجاد، ومن هذا القبيل هذه الأبيات المقتطفة من قصيدة له، وهي تعتبر من أروع الفخر بالآباء ومناقبهم. يقول أبو النجم[١]:

فلئن فخرتُ بوائلٍ فقد ابْتنتْ ... يومَ المكارمِ فوقَ كلِّ بناءِ[٢]
ولئنْ خصصْتُ بني لجيم إنني ... لأخصُّ مكرمةً وأهل غناء[٣]
قومٌ إذا نزلَ الفظيعُ تحمّلوا ... حسنَ الثّناء وأعظمَ الأعباء[٤]
ليستْ مجالسُنا تقرُّ لقائلٍ ... زيغَ الحديثِ ولا نثا الفحشاء[٥]

❖ القطامي (١٣٠ هـ/ ٧٤٨ م)

(فأيّ رجال بادية ترانا)

ومن الفخر الجيد والرائع، فخر القطامي بقومه في الشدة والرخاء، والسراء والضراء. يقول القطامي، الشاعر الإسلامي وهو لقب له، واسمه عمير بن شييم[٦]:

ومَنْ تكنِ الحضارةُ أعجبتْهُ ... فأيَّ رجالِ باديةٍ ترانا[٧]
ومَن ربط الجحاشَ فإنَّ فينا ... قناً سُلباً وأخراساً حِسانا[٨]
وكنَّ إذا أغرْنَ على جنابٍ ... وأعوزهنّ نهبٌ حيثُ كانا[٩]
أغرْنَ مِنَ الضّبابِ على حلولٍ ... وضبّةَ إنّه مَنْ حان حانا[١٠]
وأحياناً على بكرٍ أخينا ... إذا ما لم نجدْ إلاّ سوانا

---

(١) طبقات الشعراء، ص: ٢٢٠.
(٢) وائل: إحدى أشهر قبائل العرب، ومنها بكر وتغلب.
(٣) الغناء: الفضل والخير.
(٤) الفظيع: صفة للأمر الفظيع والهائل.
(٥) زيغ الحديث: باطله ولغوه. والنثا: البث والإشاعة. والفحشاء: السوء.
(٦) ديوان الحماسة ١/ ١٢٩.
(٧) الحضارة: خلاف البداوة. وهنا يفخر بقومه متحضرين وبداةً.
(٨) قناً سلباً: قناً تسلب النفوس، جمع سلوب. وهنا يفخر ببطولة قومه ودفاعهم عن الحرم، والإغارة على الأعداء.
(٩) كنّ: أي الأفراس والخيل.
(١٠) الضباب: وتضم ضبة وضبياً وحسلاً وحسيلاً... والحلول، من يكونون في موضع واحد. وهنا يبين الشاعر أن قومه لا يصبرون عن الإغارة حتى على الأقارب. ويثبت ذلك البيت اللاحق.

❖ صفي الدين الحلي (ت ٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩ م)

(بيض صنائعنا سود وقائعنا)

عرف أبو البركات صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلّي، نسبة إلى الحلة بالعراق، بالمدح والفخر الذي يصور الإباء العربي، في عصور الانحطاط، ويتصف بفخامة الأسلوب وقوة أسر الكلام. وإن هذه الأبيات الفخرية التالية لتذكرنا بماضي الفخر العربي التالد أيام الجاهلية والإسلام. ومنها قوله[١]:

سلي الرماحَ العوالي عنْ معالينا ... واستشهدي البيضَ هل خابَ الرّجافينا

وسائلي العربَ والأتراك ما فعلتْ ... في أرض قبر عبيد اللّهِ أيدينا

لمَّا سعَينا فما دقّتْ عزائمُنا ... عمّا نرومُ ولا خابتْ مساعينا

إذا ادَّعوا جاءتِ الدنيا مصدّقةً ... وإنْ دعوا قالت الأيامُ آمينا

وللدماءِ على أثوابِنا علقٌ ... بنشرِهِ عن عبيرِ المسكِ يغنينا[٢]

فيا لها دعوةً في الأرضِ سائرةً ... قد أصبحتْ في فم الأيامِ تلقينا

إنّ لقومٌ أبتْ أخلاقُنا شرفاً ... أنْ نبتدي بالأذى من ليس يؤذينا

بيضٌ صنائعُنا سودٌ وقائعُنا ... خضرٌ مرابعُنا حمرٌ مواضينا[٣]

❀❀❀

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/ ٢١٠.
(٢) النشر: الرائحة. والعلق: الدم والنشر.
(٣) الصنائع: الفضائل المعروفة. والوقائع: الأيام والحروب.

الباب الثالث

الفخر المشترك

❖ طرفة (ت حوالي ٥٥٢ م)

(إذا القوم قالوا من فتى)

طرفة من الشعراء الجاهليين المتقدمين، وأحد أصحاب المعلقات المعدودين؛ ولقد تضمنت معلقته العديد من الأغراض الشعرية، وإن منها هذا الفخر الرائع بالجرأة والشجاعة والنجدة والجود والمنعة والمضاء[١]:

إذا القومُ قالوا مَن فتىً خِلتُ أنني ... عُنيتُ فلم أكسلْ ولم أتبلّدِ
ولستُ بحلاّلِ التلاعِ مخافةً ... ولكنْ متى يسترفدِ القومُ أرفد[٢]
فإنْ تبغنِي في حلقةِ القومِ تلقني ... وإنْ تلتمسْني في الحوانيتِ تصطدِ[٣]
وإنْ يلتقِ الحيُّ الجميعُ تُلاقني ... إلى ذُروةِ البيتِ الشريفِ المصمّد[٤]
وما زال تشرابي الخمورَ ولذّتي ... وبيعي وإنْفاقي طريفي ومتلدي[٥]
ألا أيُّهذا اللائمي أحضرَ الوغى ... وأنْ أشهدَ اللّذاتِ هل أنت مخلدي
فإنْ كنتَ لا تستطيعُ دفعَ منيّتي ... فدعْني أبادرْها بما ملكت يدي
أنا الرجلُ الضّربُ الذي تعرفونه ... خَشاشٌ كرأسِ الحيّةِ المتوقّدِ[٦]
فآليتُ لا ينفكُّ كشحي بطانةً ... لِعضْبٍ رقيقِ الشّفرتيْنِ مهنّدِ[٧]
أخي ثقةٍ لا ينثنِي عن ضريبةٍ ... إذا قيلَ مهلاً قال حاجزُه قدي[٨]
إذا ابتدرَ القومُ السلاحَ وجدتني ... منيعاً إذا بلّتْ بقائمه يدي[٩]
فلو كنتُ وغلاً في الرجالِ لضرّني ... عداوةُ ذي الأصحاب والمتوحّد[١٠]
ولكنْ نفى عني الرجال جراءتي ... عليهمْ وإقدامي وصدقي ومحتدي[١١]

(نزع الجاهل في مجلسنا)

ومن جيد الفخر فخر طرفة بقومه في يوم تحلاق اللمم، وهو يوم من أيام حرب البسوس إذ أمر الحارث بن عباد قومه بني بكر بحلق شعور رؤوسهم بغية أن يعرف

---

(١) ديوان طرفة بن العبد ص ٢٤-٢٨.
(٢) التلاع: مرتفعات الأرض الكثيرة الماء. يسترفد: يطلب الرفد والعون. وأرفد: أعين وأناصر.
(٣) حلقة القوم: مكان إجتماعهم. والحوانيت: بيوت الخمّارين.
(٤) المصمد: المقصود.
(٥) الطريف: المال المكتسب حديثاً. والتليد: القديم.
(٦) الضرب: الخفيف اللحم، وهو أقدر على القتال. والخشاش: الذكي المتيقظ.
(٧) الكشح: الخصر. والعضب: السيف، ومثله المهند.
(٨) يثني: ينصرف. والضريبة: ما يضرب بالسيف. وقدي: إسم فعل، بمعنى حسبي.
(٩) ابتدر السلاح: سارع إليه. وبلت يدي بقائمه: أمسكت به.
(١٠) وغلاً: ضعيفاً.
(١١) المحتد: الأصل.

بعضهم بعضاً. يقول طرفة مفتخراً بمناقب قومه[١]:

سائلوا عنّا الذي يعرفُنا ... بقوانا يومَ تحلاقِ اللّمم
يومَ تُبدي البيضُ عن أسوُقِها ... وتلقُّ الخيلَ أعراجُ النّعم[٢]
أجدرُ الناسِ برأسٍ صلدم ... حازمِ الأمرِ شجاعٍ في الوغم[٣]
خيرِ حيٍّ مِن مَعَدٍّ علّموا ... لِكَفيٍّ ولجارٍ وابنِ عمّ[٤]
نُقلٌ لِلشحمِ في مشتاتنا ... نُحُرٌ للثّيبِ طرّادُ القرم[٥]
نزعُ الجاهلَ في مجلِسنا ... فترى المجلسَ فينا كالحرم[٦]
وتفرّغنا من ابنيْ وائلٍ ... هامةَ العزِّ وخرطومَ الكرم[٧]
حين يحمي الناسُ نحمي سربَنا ... واضحي الأوجهِ معروفي الكرم
نُمسكُ الخيلَ على مكروهِها ... حين لا يمسكُ إلاّ ذو كرم
نذرُ الأبطالَ صرعى بينها ... تعكفُ العقبانُ فيها والرُّخم[٨]

❖ **الحصين المرّي**

(صبرنا وكان الصبر منا سجيّة)

هو الحصين بن الحمام بن ربيعة المريّ، شاعر جاهلي مقدم مقلّ في شعره، ومن الفرسان المعدودين. قيل إن أشعر المقليّن ثلاثة: المسيب بن علس والحصين بن الحمام المري، والمتلمس.

ولقد حفظت الكتب للحصين أبياتاً فخرية هي من أجود الفخر وأروعه، قالها في الحرب التي دارت بين بني سهم، رهط الشاعر، وبين بني جوشن من غطفان. يقول الحصين مفتخراً بنفسه وبقومه[٩]:

تأخّرتُ أستبقي الحياةَ فلم أجدْ ... لِنفسي حياةً مثلَ أنْ أتقدّما[١٠]

---

(١) ديوان طرفة ص ٧٥-٧٧.
(٢) الأسوق، جمع ساق، ما بين الكعب والركبة. والأعراج: قطعان الإبل. والنعم: الماشية.
(٣) الصلدم: الشديد البأس. والوغم: الحرب الضروس.
(٤) الكفي: الرغيد العيش. ومعد: أحد أجداد العرب الشماليين.
(٥) نقل للشحم، كناية عن الكرم وإطعام الضيف. والمشتاة: محل الإقامة في الشتاء. والنحر: جمع ناحر، وهو ذابح الناقة. والثيب: النياق المسنّة. والقرم: الشوق إلى اللحم.
(٦) نزع: نردع.
(٧) إبنا وائل: بكر وتغلب. وطرفة من بكر، وكانت أمه تغلبية. والخرطوم: الأنف.
(٨) تعكف: تستدير. والعقبان والرخم، من جوارح الطير.
(٩) ديوان الحماسة ١/ ٦٠ - ٦١ و ١/ ١٤٧.
(١٠) أي أن العدو طمع فيه لما تأخر ظناً منه أنه جبان.

فلسْنا على الأعقابِ تدمى كلومُنا ... ولكنْ على أقدامِنا تقطرُ الدّما[١]
نفلّقُ هاماً مِن رجالٍ أعزّةٍ ... علينا وهمْ كانوا أعقَّ وأظلما[٢]
ولما رأينا الصبرَ قد حِيلَ دونَه ... وإن كان يوماً ذا كواكبَ مظلما[٣]
صبرْنا وكان الصبرُ منّا سجيّةً ... بأسيافِنا يقطعْن كفّاً ومِعْصما[٤]
ولمّا رأيتُ الودَّ ليسَ بنافعي ... عمدتُ إلى الأمرِ الذي كان أحزما
فلستُ بمبتاعِ الحياةِ بذلّةٍ ... ولا مرتقٍ مِن خشيةِ الموتِ سلّما

❖ **عبد الشارق الجهني**

(ألا حيّيت عنا يا ردينا)

ومن جيد الفخر المتقدم في الفروسية والحماسة والشجاعة ما قاله عبد الشارق بن عبد العزى، الشاعر الجاهلي، ويعتبر شعره من المنصفات. يقول عبد الشارق[٥]:

ألا حُيّيتِ عنّا يا رُدَيْنَا ... نُحيّيها وإن كرمتْ علينا[٦]
ردينةُ، لو رأيتِ غداة جئنا ... على أضماتنا وقد اختوينا[٧]
فجاؤوا عارضاً برِداً وجئنا ... كمثلِ السّيلِ نركبُ وازعينا[٨]
تنادَوا يا لَبهثةَ إذا رأونا ... فقلنا أحسني ضرباً جُهَيْنَا[٩]
سمعنا دعوة عن ظهرِ غيبٍ ... فجلنا جولة ثم ارعوينا
فلمّا أن تواقفْنَا قليلاً ... أنخنا للكلاكل فارتمينا[١٠]
فلمّا لم ندع قوساً وسهماً ... مشينا نحوهم ومشوا إلينا
شددنا شدّةً فقتلتُ منهم ... ثلاثةُ فتيةٍ وقتلتُ قَيْنا[١١]
فآبوا بالرماحِ مكسّراتٍ ... وأُبنا بالسيوف قد انحنينا[١٢]

---

(١) الأعقاب: جمع عقب، وهو مؤخر القدم. والكلوم: الجراح. أي إن قوم الشاعر لا يولّون الأدبار في الحرب، لكن يستقبلون السيوف بوجوههم وصدورهم.
(٢) الهام: جمع هامة، وهي الرأس. وأعق: من العقوق، وهو نكران الجميل.
(٣) وإن كان يوماً ذا كواكب مظلماً: كناية عن إشتداد الخطب والأمر.
(٤) السجية: الطبع. والمعصم: موضع السوار من الساعد.
(٥) ديوان الحماسة ١/ ١٦٩-١٧٢.
(٦) ردين: تصغير ردينة، اسم المرأة. نحييها، أي نحييها تحية وداع وفراق.
(٧) الأضمات: جمع أضمة، وهي شدة الحقد. واختوينا: كنا على خواء، لم نطعم شيئاً، وكان العرب يكرهون الطعام عند الحرب مخافة أن يخرج الطعام من البطن إذا ما طعن واحدهم في بطنه، فيكون ذلك عاراً.
(٨) عارضاً: سحاباً معترضاً في الأفق. والبرد: ما فيه برد. والوازع: من يرتب الجيش ويصلحه.
(٩) تنادوا: نادى بعضهم بعضاً. وبهثة وجهينة: بطنان من العرب.
(١٠) تواقفنا: وقف كل منا للاستراحة من الحرب. والكلاكل: الصدور.
(١١) القين: اسم للفارس.
(١٢) آبوا: رجعوا.

فباتوا بالصعيدِ لهم أحاحٌ ولو خفَّتْ لنا الكلمى سَرَيْنا[١]

❖ قيس بن الخطيم

(فأبت بنفس قد أصبت دواءها)

هو أبو يزيد قيس بن الخطيم، ينتمي إلى بني ظفر من الأوس. من شعراء المدينة، عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام ولم يسلم. قتله الخزرج.

وكان رجل من بني حارثة بن الحارث يقال له: مالك، قد قتل الخطيم، والد الشاعر، وهو صغير، فلما بلغ عُيّر بذلك، ثم أقدم على قتل مالك. وفي الأبيات التالية إشارة إلى ذلك وهي تعتبر من رائع الفخر. يقول قيس[٢]:

وكنتُ امْرءاً لا أسمعُ الدهرَ سُبَّةً أسبُّ بها إلا كشفْتُ غطاءَها[٣]
وإنّي في الحربِ الضروس موكَّلٌ بإقدامِ نفسٍ ما أريدُ بقاءها[٤]
إذا سقمتْ نفسي إلى ذي عداوةٍ فإني بنصلِ السيفِ باغٍ دواءها[٥]
متى يأتِ هذا الموتُ لا تبقَ حاجةٌ لنفسيَ إلاّ قد قضَيْتُ قضاءَها
وكانت شبحاً في الحلقِ لمَّا أبُؤْ بها فأُبْتُ بنفسٍ قد أصبْتُ دواءها[٦]

(ومجدي لمجد الصالحين معين)

ومن جيد الفخر وأروعه، وأشده أسراً وجزالة ورقةً، فخره الآخر إذ يقول[٧]:

سلي مَنْ نديمي في النّدامى ومألفي ومَنْ هُوَلي عندَ الصفاءِ خدينُ[٨]
وأيَّ أخي حربٍ إذا هي شمّرتْ ومِدْرهَ خصمٍ بعدَ ذاك أكونُ[٩]
وهل يحذرُ الجارُ الغريبُ فجيعتي وخوْني وبعضُ المقرفين خؤونُ[١٠]
وما لمعتْ عيني لغِرّةِ جارةٍ ولا ودّعتْ بالذّمِّ حين تبينُ[١١]
أبى الذّمَّ آباءٌ نمتْني جدودُهم ومجدي لِمجد الصالحين معين

---

(١) الصعيد: الظاهر من الأرض. والأحاح: الصوت والأنين. وكلمى: أصابتهم الجراح. وسرينا: سرنا ليلاً.
(٢) الديوان ص ٤٩-٥٠. ط ٢. تحقيق ناصر الدين الأسد. دار صادر. بيروت ١٩٦٧م.
(٣) أي هو لا يقبل الطعن على نفسه.
(٤) الضروس: الشديدة.
(٥) نصل السيف: حدّه.
(٦) الشجا: ما يدخل الفم من الأشياء التي تسد مدخل الطعام. وباء بالشيء: أثم به. وأبت: رجعت.
(٧) الديوان ١٦٤-١٦٦.
(٨) الخدين: العشير والزوج.
(٩) المدره من الأبطال: الشديد القوي.
(١٠) المقرف: العشير والمخالط.
(١١) الغرة: الغفلة.

فذلك ما قد تعلمينَ وإنني ... لَجَلْدٌ على رَيْبِ الخطوبِ متين[١]
أُمِرُّ على الباغِي ويغلظُ جانبي ... وذو القصدِ أحلَوْلي له وألين
وإني لأعتامُ الرجالُ بخلّتي ... أولي الرأيِ في الأحداثِ حين تحين[٢]

❖ الأعشى (ت ٧ هـ/ ٦٢٩ م)

(الواطئين على صدور نعالهم)

ومن جيد المدح في الجاهلية، ما قاله الأعشى، الشاعر الجاهلي المعروف، وأحد أصحاب المعلقات، واسمه ميمون بن قيس، يفتخر بقومه الذي ضربوا المثل في السؤدد والسيادة والشجاعة وإقراء الضيف. يقول الأعشى[٣]:

إني امرؤٌ مِن عصبةٍ قيسيّةٍ ... شمّ الأنوفِ غرانقٍ أحشادِ[٤]
الواطئين على صدورِ نعالهم ... يمشون في الدفنيّ والأبراد[٥]
والشاربين إذا الذوارعُ غُوليتْ ... صفوَ الفضالِ بطارفٍ وتِلاد[٦]
والضامنين بقومِهم يوم الوغى ... للحمدِ يومَ تنازلٍ وطِراد
كم فيهُم مِن فارسٍ يومَ الوغى ... ثِقفِ اليدَيْنِ يهلُّ بالإقصاد[٧]
وإذا اللقاحُ تروَّحَتْ بأصيلةٍ ... رَتَكَ النعامِ عشيّة الصراد[٨]
حجروا على أضيافهم وشَوَوْا لهم ... مِن شطّ مُنقيةٍ ومن أكباد[٩]

(ولا نلعن الأضياف إن نزلوا بنا)

ومن جيد الفخر بالكرم والضيافة، والحلم والوقار، ما قاله أيضاً[١٠]:

فلا تضرميني واسألي ما خليقتي ... إذا ردّ عافي القدرَ مَن يستعيرُها
إذا احمرَّ آفاق أسماءِ وأعصفتْ ... رياحُ الشتاءِ واستهلّت شهورُها
تَرَيْ أنَّ قِدري لا تزالُ كأنها ... لِذي الفروةِ المقرورِ أمٌّ يزورها
مبرّزةٌ لا يُجعلُ الستْرُ دونها ... إذا أُخمدَ النيران لاحَ بشيرُها

---

(١) جلد: قوي وصبور.
(٢) أعتام: أختار. والخلة: الصداقة.
(٣) ديوان الأعشى ص ٥١-٥٢. دار صادر. بيروت.
(٤) الغرانق: جمع غرنيق، وهو الشاب الناعم. وشم الأنوف: كناية عن الرفعة. والأحشاد: المجتمعون.
(٥) الدفني: الثوب المخطط. والأبراد: الأثواب، جمع برد. وهنا يتحدث الشاعر عن النعمة التي فيها قومه.
(٦) الذوارع: جمع ذروع، وهو البعير. وغوليت: أهلكت. والطارف: الجديد من المال، والتلاد: قديمه.
(٧) يهل بالإقصاء: أي يصيب بالسهام.
(٨) اللقاح: الإبل الفتية. وتروحت: عادت إلى المراح. والرتك: ضرب من السير. والصراد: الغيم الرقيق.
(٩) حجروا عليهم: ضيقوا عليهم وأبقوهم عندهم. والشط: السنام. والمنقية: السمينة من الإبل.
(١٠) الديوان ص ٦٧-٦٨.

ولا نلعنُ الأضيافَ إنْ نزلوا بنا ... ولا يمنعُ الكوماء منّا نصيرها
وإنّي لَتراكُ الضغينةِ قد أرى ... قذاها من المولى فلا أستثيرها
وقورٌ إذا ما الجهلُ أعجبَ أهله ... ومِن خيرِ أخلاقِ الرجالِ وُقورها

❖ (عامر بن الطفيل (ت. ١٠ هـ/ ٦٣١م).

(فما سوّدتني عامر عن وراثة)

ومن جيد الفخر وأروعه فخر عامر بن الطفيل، وهو من بني عامر بن قيس عيلان، وأحد فرسان قومه، بل سيّدهم غير المنازع. عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام، وكان ممن وفد على النبي ﷺ ومعه أربد أخو لبيد، لكنه لم يسلم، وذهب مغاضباً.

ويقول عامر مفتخراً بنفسه البطلة[١]:

تقولُ ابنةُ العُمْريِّ مالكَ بعدما ... أراك صحيحاً، كالسليم المعذّبِ[٢]
فقلتُ لها همّي الذي تعرفينه ... من الثأرِ في حيَّيْ زبيدٍ وأرحب[٣]
إن اغزُ زبيداً أغزُ قوماً أعزّة ... ومركبُهم في الحيِّ مِن خيرِ مركب
وإنْ أغزُ حيَّيْ خثعم فدماؤُهم ... شفاءٌ وخيرُ الثأرِ للمتأوّب[٤]
فما أدرَكَ الأوتارَ مثلُ محقّقٍ ... بأجردَ طاوٍ كالعسيبِ المشذّب[٥]
وأسمرَ خطّيٍّ وأبيضَ باترٍ ... وزغفٍ دلاصٍ كالغدير المثوّب[٦]
وإني وإنْ كنتُ ابنَ سَيِّدِ عامرٍ ... وفي السّرّ منها والصّريح المهذّب
فما سَوّدتْني عامرٌ عن وراثةٍ ... أبى اللّهُ أن أسمو بأمٍّ ولا أب
ولكنّني أحمي حِماها وأتّقي ... أذاها وأرمي مَن رماها بمنكب

(أكرّ عليهم دعلجاً)

ولعامر، مخاطباً زوجته، بيتان من جيد شعر الفخر، قالهما يوم فيف الريح، وقد تجمع بنو الحارث بن كعب على بني عامر وهما:

طلقت إن لم تسألي أيّ فارس ... حليلك إذ لاقى صداء وخثعما

---

(١) زهر الآداب ١/ ٨٦و والكامل، ١/ ٩٥، والشعر والشعراء، ص ٢٩٥.
(٢) السليم: الملدوغ.
(٣) زبيد وأرحب، حيّان من أحياء اليمن.
(٤) المتأوب: الذي يأتي لطلب الثأر.
(٥) الأوتار: جمع وتر، وهو الحقد، والأخذ بالثأر. والأجرد: صفة للفرس المنحسر الشعر. والعسيب: السعفة من النخل.
(٦) الأسمر، صفة للرمح. والخطي: الرمح المنسوب إلى الخط، وهو البلد، الذي تصنع فيه الرماح. والأبيض الباتر: صفة للسيف. والزغف: الدرع الدقيقة النسج. والدلاص: الدرع اللينة الملساء. والمثوب: الذاهب والآتي.

أكرّ عليهم دعلجاً ولبانه إذا ما اشتكى وقع الرماح تحمحما[١]

(وعندك من أيامنا قبلها غير)

ومن جيد ما قاله عامر بن الطفيل، يرد على زياد، أي النابغة الذبياني ويفتخر بقومه[٢]:

تُعيِّرنا يومَ المَزوراة سادراً وعندك من أيامنا قبلها غِيَرْ[٣]
فمَنْ مُبلغٌ ذبيانَ عنّي رسالةً مغلغلةً مني وما تنفعُ العِذَرْ[٤]
وقد علمتْ عُليا هوازنَ أننا بنو الحربِ لا نعيا بوردٍ ولا صَدَرْ[٥]
نشدُّ عصابَ الحربِ حتى ندرّها إذا ما نفوسُ القوم طالعت الثُغَر[٦]
ترى رائداتِ الخيلِ حولَ بيوتنا أبابيلَ تردي بالعشي وبالبُكَرْ[٧]

❀ ❀ ❀

❖ **حريث المازني**

(وإن يغضب على القوم يغضبوا)

من جيد الشعر في الفخر، شعر حريث بن مخفض المازني، وهو من الشعراء المخضرمين في الجاهلية والإسلام. يقول حريث مفتخراً بقومه[٨]:

ألَمْ تَرَ قَومي إنْ دعاهم أخوهُم أجابوا وإنْ يغضبْ على القوم يغضبوا
همُ حفظوا غيبي كما كنتُ حافظاً لقومي أخرى مثلها إنْ تَغيّبوا
بنو المجدِ لم تقعدْ بهم أمهاتُهم وآباؤهم آباءُ صدقٍ فأنجبوا[٩]

(فما ذاكم عليّ بعار)

ومن جيد فخره بنفسه وبقومه قوله أيضاً[١٠]:

وإنْ تكُ درعي يومَ صحراء كلبَةٍ أُصيبتْ فما ذاكمْ عليَّ بعارِ

---

(١) ديوان الحماسة ١/ ٤٣. دعلج: اسم فرس الشاعر. وصداء وخثعم: إسما قبيلتين عربيتين. واللبان: الصدر. والحمحمة: الصهيل.
(٢) ديوان عامر بن الطفيل ٧٢ دار صادر بيروت ١٩٦٣.
(٣) يوم مروراة، يوم مشهور سمي بالموضع الذي كان ظفر فيه بنو ذبيان ببني عامر. وسادراً: لاهياً. والغير: صروف الزمان وحوادثه.
(٤) ذبيان، إسم قبيلة عربية. والورد: إتيان الماء. والصدر: الذهاب عنه.
(٥) هوازن: أسم قبيلة عربية. والرد: إتيان الماء. والصدر: الذهاب عنه.
(٦) الثغر: جمع ثغرة، وهي نقرة النحر.
(٧) أبابيل: متفرقة جماعات جماعات.
(٨) طبقات الشعراء ص ٧٤.
(٩) أنجبوا: أي صاروا نجباء، وأولدوا أولاداً نجباء خيّرين.
(١٠) الحيوان ٣/ ٣٨٩.

ألَمْ تكُ مِن أسلابكم قبلَ ذاكمُ ... على وَقبى يوماً ويومِ سفارِ[١]
ونحن طردْنا الحيَّ بكرَ بنَ وائلٍ ... إلى سنةٍ مثلِ الشهابِ ونارِ

❖ قيس بن عاصم

(وإني لعبد الضيف ما دام ثاوياً)

ومن رائع الفخر ما قاله قيس بن عاصم بن سنان بن خالد المنقري، وهو من الشعراء المخضرمين المتقدمين، وكان النبي ﷺ استعمله على صدقات بني سعد. يقول مفتخراً بجوده وكرمه وإقرائه الضيف، وهو من فريد المعاني[٢]:

أيا ابنةَ عبدِاللّهِ وابنةَ مالكٍ ... ويا ابنةَ ذي البردَيْنِ والفرسِ الوَرْدِ[٣]
إذا ما أصبتِ الزّادَ فالتمسي له ... أكيلاً فإني لستُ آكله وحدي
قصيّاً كريماً أو قريباً فإنني ... أخافُ مذمّاتِ الأحاديثِ مِن بعدي
وإني لعبدُ الضّيفِ ما دامَ ثاوياً ... وما منِ خلالي غيرَها شِيمة العبد[٤]

(خطباء حين يقوم قائلهم)

ومن جيد فخره يذكر مناقب قومه في الخطابة والبلاغة[٥]:

إنّي امرؤٌ لا يعتري خُلُقي ... دنسٌ يفنّدهُ ولا أفنُ[٦]
مِن منقرٍ في بيتِ مكرمةٍ ... والأصلُ ينبتُ حولَهُ الغصنُ[٧]
خطباءُ حينَ يقومُ قائلهمُ ... بيضُ الوجوهِ مصاقعٌ لُسنُ[٨]
لا يفطنون لِعيبِ جارِهِمِ ... وهمُ لِحسنِ جوارِهم فطنُ

❖ لبيد (ت ٤١ هـ)

(ضمن له قراه من الشحوم)

ومن الفخر الجيد الرائع ما قاله لبيد في قومه، ولبيد، كما هو معروف من فحول الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية، وأدركوا الإسلام، وهو من أصحاب المعلقات المشهورين، ويعتبر أحد المعمّرين.

---

(١) وقبى وسفار: يومان من أيام العرب.
(٢) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٣٤٥.
(٣) البردين: مثنى برد، وهو الثوب. والفرس الورد، الذي له لون الورد.
(٤) غيرها، هنا، إستثناء مقدم. والشيمة: الصفة.
(٥) البيان والتبيين ١/ ١٢٤-١٢٥.
(٦) يعتري: يصيب. والأفن: نقص العقل، والخُرق. ويفنده. يظهره.
(٧) منقر: قوم الشاعر.
(٨) مصاقع: جمع مصقع، وهو الحاد اللسان. ومثله اللسن.

يقول لبيد[١]:

فلا وأبيك ما حيٌّ كحيٍّ ... لجارٍ حلَّ فيهم أو عديم
ولا للضيفِ إن طرقتْ بليلٌ ... بأفنانِ العِضاهِ وبالهشيم[٢]
ورُوّمت اللقاحُ بغير دَرٍّ ... إلى الحجرات تعجلُ بالرسيم[٣]
إذا ما درّها لم يَقْرِ ضيفاً ... ضمِنَّ له قِراهُ منَ الشحوم
فلا نتجاوزُ العطلاتِ منها ... إلى البَكْرِ المقاربِ والكزوم[٤]
ولكنا نعضّ السيف منها ... بأسوُقِ عافياتِ اللحم كُوم[٥]
وكم فينا إذا ما المحلّ أبدى ... نحاسَ القومِ مِن سمْحٍ هضوم[٦]
يباري الريحَ ليسَ بجانبي ... ولا دفنٍ مروءتَه لئيم
إذا عُدَّ القديمُ وجدْتَ فينا ... كرائمَ ما يُعدُّ من القديم
وجدتَ الجاهَ والآكالَ فينا ... وعاديَّ الممآثِرِ والأروم[٧]

(ولكل قوم في النوائب خيم)

وله في قومه[٨]:

قومي أولئك إنْ سألتِ بخيمِهم ... ولكلِّ قومٍ في النوائبِ خِيمُ[٩]
وإذا شتَوا عادت على جيرانهم ... رُجُحٌ توفّيها مرابعُ كوم
ولهم حلومٌ كالجبال وسادةٌ ... نُجبٌ وفرعٌ ماجدٌ وأروم
وإذا تواكلت المقانبُ لم يزل ... بالثغر منا منسرٌ وعظيم[١٠]
نسمو به ونفلُ حدَّ عدوّنا ... حتى نؤوبَ وفي الوجوه سهوم

(ولكلّ قوم سنّة وإمامها)

ومن جيد فخر لبيد، ذلك الفخر الذي ضمّنه معلقته المشهورة، وهو يدور حول الشجاعة والسخاء والتمسك بالخلق القويم. يقول لبيد مخاطباً نواراً، حبيبته[١١]:

---

(١) ديوان لبيد بن ربيعة، ص ١٠٣ - ١٠٦. تحقيق إحسان عباس. وزارة الإرشاد والأنباء. الكويت ١٩٦٢م.
(٢) البليل: الريح الباردة فيها بلل. والعضاة: الشجر العظام ذات الشوك. والهشيم: ما يبس من النبت.
(٣) الدر: اللبن. والرسيم: ضرب من السير. واللقاح: الإبل. واللقاح: الحمل.
(٤) العطلات: الطوال الأعناق. المقارب: الدنيء. الكزوم: الناقة المسنة الهرمة.
(٥) العافيات: كثيرات اللحم. نعض السيف: نضرب به. الكوم: عظام الأسنمة. والأسواق: القوائم.
(٦) نحاس القوم: طبيعتهم. والهضوم: السخي.
(٧) الآكال: جمع آكل، وهي الأموال. والعادي: القديم. والأروم: الأصل.
(٨) الديوان ص ١٣٦ - ١٣٧.
(٩) الخيم: الخلق.
(١٠) المقانب: الكتائب. والمنسر: الكتيبة من ثلاثين إلى أربعين رجلاً.
والسهوم: الضمور. والثغر: موضع المخافة.
(١١) المعلقات العشر ص: ١٠٢ - ١٠٧.

أو لـمْ تـكـنْ تـدري نـوارُ بـأنـنـي ... وصّـالُ عـقـدِ حـبـائـلٍ جـذّامُـهـا[١]
تـرّاكُ أمـكـنـةٍ إذا لـم أرضَـهـا ... أو يـعـتـلـقْ بـعـضَ النـفـوسِ حِـمامُـهـا
بـل أنـتِ لا تـدريـن كـم مِـن لـيـلـةٍ ... طـلـقٍ لـذيـذٍ لـهـوُهـا ونـدامـهـا[٢]
قـد بـتُّ سـامـرَهـا وغـايـةَ تـاجـرٍ ... وافـيـتُ إذ رفـعـتْ وعـزَّ مُـدامـهـا[٣]
ولـقـد حـمـيـتُ الـحـيَّ تـحـمـلُ شـكّـتـي ... فـرطٌ وشـاحـي، إذ غـدوتُ لـجـامُـهـا
فـعـلـوتُ مـرتـقـيـاً عـلـى ذي هـبـوةٍ ... حـرجٍ إلـى أعـلامـهـنَّ قـتـامـهـا[٤]
حـتـى إذا ألـقـتْ يـداً فـي كـافـرٍ ... وأجـنّ عـوراتِ الـثـغـورِ ظـلامـهـا[٥]
أسـهـلـتُ وانـتـصـبـتْ كـجـذعِ مـنـيـفـةٍ ... جـرداء يـحـصـرُ دونـهـا جُـرّامـهـا[٦]
إنّـا إذا الـتـقـتِ الـمـجـامـعُ لـم يـزلْ ... مـنّـا لِـزازُ عـظـيـمـة جـشّـامـهـا[٧]
مـن مـعـشـرٍ سـنّـت لـهـم آبـاؤهـم ... ولـكـلّ قـومٍ سـنّـةٌ وإمـامـهـا
إنْ يـفـزعـوا تـلـق الـمـغـافـرَ عـنـدهـم ... والـسّـنّ يـلـمـعُ كـالـكـواكـبِ لامـهـا[٨]
لا يـطـبـعـون ولا يـبـورُ فـعـالـهـم ... إذْ لا يـمـيـلُ مـع الـهـوى أحـلامـهـا

❖ العجير السلولي

(إذا ناء منهم كوكب غار كوكب)

من الشعراء الإسلاميين المجيدين، العجير بن عبد الله السلولي، وهو في الطبقة الخامسة منهم. له من الفخر الجيد السهل والجزل معاً، قوله مفتخراً بنفسه وبقومه[٩]:

خـلـقـتُ جـواداً والـجـوادُ مـثـابـرٌ ... عـلـى جـريـهِ ذو عـلّـةٍ ويـسـيـرُ
فـلا تـوزعـيـنـي إنـمـا يـوزعُ الـذي ... بـه ضَـعَـفٌ أو فـي الـقـيـام فـتـور[١٠]
ولا تـزدريـنـي وانـظـري مـا خـلـيـقـتـي ... إذا ضـاقَ أمـرٌ أو أنـاخَ أمـيـر[١١]
فـإنَّ بـنـي كـعـبٍ رجـالٌ كـأنّـهـم ... نـجـومُ الـسُّـرى سُـدّتْ بـهـنّ ثـغـور[١٢]

---

(١) جذام: قطاع. ويريد بقوله؛ وصال عقد، أنه لا ينقض العهد، بل يصله.
(٢) طلق: ساكنة لا فيها حرّ ولا برد. وندام: رفاق الشراب.
(٣) المدام: الخمرة، وهنا يفتخر بشربه وماله.
(٤) ذي هبوة، يريد به فرسه. والقتام: الغبار.
(٥) الكافر: الليل. وأجنّ: ستر. والثغور: المواضع التي يدافع عنها.
(٦) جرداء: خالية من السعف والليف، والجرّام: من يجرم النخل ويقطع أحماله.
(٧) لزاز: شديد.
(٨) اللام، جمع لامة، وهي الدرع. والمغافر: الدروع، جمع مغفر.
(٩) طبقات الشعراء ص ١٩٩ - ٢٠٠.
(١٠) توزعيني: تمنعينني وتكفّيني.
(١١) الخليقة: الطبيعة.
(١٢) السرى: السير ليلاً. والثغور: المواضع المتقدمة التي يدافع عنها.

تحلّبُ أيديهم نجيعاً ونائلاً ... إذا البزلُ لم يصبخ بهنَّ درور[١]
مرَوْها بأطرافِ العوالي فأسبلتْ ... نجيعاً له تحتَ اللّبانِ خرير[٢]
مقيمين لا تعتادُ إلا وجدتهم ... كما بالرّحَا مِن صامتين صخور
إذا ناء منهم كوكبٌ غار كوكبٌ ... لأنَّ النّدى جمُّ القراعِ مطير[٣]

❖ قطري بن الفجاءة

(رأت فتية باعوا الإله نفوسهم)

ومن أروع الفخر ما قاله قطري بن الفجاءة، أحد أشهر شعراء الخوارج وخطبائهم المصقعين؛ قال هذا الشعر يوم دولاب، بين الخوارج والأحنف بن قيس، وهو يعتبر من أصدق الشعر لجهة توقد العاطفة، وفيض النفس العاشقة البطلة. يقول قطري مخاطباً أم حكيم[٤]:

لَعَمرُكَ إني في الحياةِ لَزاهدٌ ... وفي العيشِ ما لم ألقَ أمَّ حكيم
مِنَ الخفراتِ البيضِ لم يُر مثلُها ... شفاءَ لِذي بثٍّ ولا لِسقيم[٥]
لَعَمرُكَ إني يومَ ألطمُ وجهَها ... على نائباتِ الدهر جِدُّ لئيم
ولو شهدتْني يومَ دولابَ أبصرتْ ... طعانَ فتىً في الحربِ غيرِ ذميم[٦]
غداةَ طغتْ عَلْماءِ بكرُ بنُ وائلٍ ... وعجنا صدورَ الخيلِ نحو تميم[٧]
وكان لِعبدِ القيسِ أول جَدّها ... وأحلافِها من يَحْصُبٍ وسليم[٨]
وظلّتْ جيوشُ الأزدِ في حَوْمةِ الوغى ... تقومُ وظِلْنا في الجلادِ نعوم[٩]
فلم أرَ يوماً كان أكثرَ مُقْعصاً ... يحجُّ دماً مِن فائظٍ وكليم[١٠]
وضاربةٍ خدّاً كريماً على فتىً ... أغرَّ نجيبِ الأمهاتِ كريم
أُصيبَ بدولابٍ ولم تكُ موطناً ... له أرضُ دولابٍ وديرُ حميم

---

(١) تحلّب، الأصل: تتحلب، أي تعطي حليباً. والنجيع: الدم. والنائل: العطاء. والبزل: جمع بازل، وهي الناقة الشابة.
(٢) مروها: حلبوها. والعوالي: الرماح. واللبان الصدر.
(٣) ناء: نزل وهبط وغرب. وجم: كثير.
(٤) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٢١٧ - ٢١٨.
(٥) البث: الحزن.
(٦) دولاب: اسم أعجمي غير منصرف، وينصرف للضرورة الشعرية. وذميم: مذموم.
(٧) علماء: الأصل، على الماء. وهذا جائز، لالتقاء لامين، فتحذف إحداهما استثقالاً للتضعيف، وما بقي يدل على المحذوف.
(٨) عبد القيس، ويحصب وسليم: أسماء قبائل عربية.
(٩) الأزد: اسم قبيلة عربية. والوغى: الحرب.
(١٠) مقعصاً، من القعص، وهو الطعن. والفائظ: الميت. والكليم: المجروح.

فلو شهدتنا يومَ ذاك وخيلُنا ... تبيحُ مِن الكفّارِ كلَّ حريم
رأتْ فتيةً باعوا الإلٰه نفوسَهم ... بجنّاتِ عدْنٍ عندَه ونعيم

(فصبراً في مجال الموت صبراً)

ومن رائع فخر قطري، وجيده، قوله[١]:

أقولُ لها وقد طارتْ شَعاعاً ... مِنَ الأبطالِ، ويْحَكِ لنْ تُراعي[٢]
فإنكِ لو سألتِ بقاءَ يومٍ ... على الأجلِ الذي لكِ لن تُطاعي
فصبراً في مجالِ الموتِ صبراً ... فما نَيْلِ الخلودِ بمستطاع
ولا ثوبُ البقاءِ بثوبِ عزٍّ ... فيُطوى عن أخي الخنعِ اليراع[٣]
سبيلُ الموتِ غايةُ كلِّ حيٍّ ... فداعيه لأهلِ الأرضِ داعي
ومنْ لا يعتبطْ يسأمْ ويهرمْ ... وتسلمُه المنونُ إلى انقطاع[٤]
وما للمرءِ خيرٌ في حياةٍ ... إذا ما عُدَّ من سقطِ المتاعَ[٥]

(لا يركنن أحد إلى الإحجام)

ومن جيد فخر قطري الحماسي قوله[٦]:

لا يركننْ أحدُ إلى الإحجامِ ... يومَ الوغى متهيباً لِحمامِ[٧]
فلقد أراني للرماحِ دريئةً ... مِنْ عنْ يميني تارةً وأمامي
حتى خضبتُ بما تحدَّرَ مِن دمِي ... أكنافَ سرجي أو عنانَ لجامي[٨]

(مخرتها بمطايا غارة تخد)

وحدث أبو حاتم قال: أتيت أبا عبيدة ومعي شعر عروة بن الورد. فقال لي: ما معك؟ قلت: شعر عروة. قال: شعر فقير، يحمله فقير، ليقرأه فقير. قلت: ما معي شعر غيره، فأنشدني؟ فأنشده شعر قطري بن الفجاءة، ثم عقب بالقول: هذا والله هو الشعر، لا ما يتعلل به من أشعار المخانيث.

والشعر الفخري هذا وهو من جيد الفخر وأروعه، هو التالي[٩]:

---

(١) ديوان الحماسة ١/ ٢٤ - ٢٥.
(٢) أقول لها: أي للنفس. وشعاعاً: متفرقاً. تراعي: تفزعي.
(٣) الخنع: الذل. واليراع: الجبان.
(٤) يعتبط: يموت من غير علّة.
(٥) سقط المتاع: الشيء الذي لا قيمة له.
(٦) زهر الآداب ٢/ ١٠٢٨.
(٧) الحمام: الموت. والإحجام: التردد والتقهقر إلى الوراء.
(٨) العنان: الرسن. واللجام: ما يلجم به فم الدابة.
(٩) زهر الآداب ٢/ ١٠٢٧ - ١٠٢٨.

يـا رُبَّ ظـلِّ عـقـابٍ قـد وقـيـتُ بـهِ ... مهري من الشمسِ والأبطالُ تجتلدُ[١]
وربَّ يـومٍ حـمـىً أرعـيـت عـقـوتَـه ... خيلي انتشاراً وأطرافُ القنا قُصُد
ويـوم لـهـوٍ لأهـلِ الـخـفـضِ ظـلَّ بـهِ ... لـهـوي اصطلاءَ الوغى والنارُ تتقدّ
مـشـهّـراً مـوقـفـي والـحـربُ كـاشـفـةٌ ... عـنـهـا الـقـنـاعَ وبـحـرُ الـمـوتِ يطّرد
وربَّ هـاجـرةٍ تـغـلـي مـراجـلُـهـا ... مـخـرْتُـهـا بـمـطـايـا غـارةٍ تَـخِـدُ[٢]
فـإنْ أمـتْ حـتـفَ أنـفـي لا أمـتْ كـمـداً ... على الطعانِ وقصرُ العاجزِ الكمدُ[٣]
ولـم أقـل لـم أسـاق الـمـوتَ شـاربـه ... فـي كـأسِـهِ والـمـنـايـا شُـرَّعٌ وُرُد

❖ **الفرزدق (ت ١١٠ هـ/ ٧٣٢ م)**

(وأحيا الوئيد فلم يوأد)

أشهر ما ميّز الفرزدق هجاؤه، ثم فخره الذي اخترنا منه هذه الأبيات والمقطعات التي تعتبر من أروع الفخر وجيده.

يقول الفرزدق مفتخراً بجده صعصعة الذي لقب بمحيي المؤودات، اللائي كنّ يدفنّ أحياء[٤]:

وجدّي الذي منَع الوائداتِ وأحيا الوئيدَ فلم يَوْأدِ

(أبي أحد الغوثين)

ويقول مفتخراً في المعنى نفسه:

أبـي أحـدُ الـغـوثـيْـن صـعـصـعـةُ الـذي ... متى تخلف الجوزاءُ والنجمُ يُمطر
أجـارَ بـنـاتِ الـوائـديـن ومَـن يُـجـرْ ... على القبرِ يعلمْ أنه غيرُ محفرِ[٥]

(أروني من يقوم لكم مقامي)

ويقول مفتخراً بلوعة متحدّية وهو على فراش الموت:

أرونـي مـن يـقـوم لـكـم مـقـامـي ... إذا مـا الأمـر جـلّ عـن الـخـطـاب
إلـى مـن تـفـزعـون إذا حـثـوتـم ... بـأيـديـكـم عـلـيّ مـن الـتـراب[٦]

* * *

(١) العقاب: الجبل. وتجتلد. يجلد بعضها بعضاً.
(٢) تخد: تسرع.
(٣) مات حتف أنفه: إذا مات على فراشه.
(٤) الفرزدق، ص ٨.
(٥) المصدر نفسه ص ٩.
(٦) نفسه ص ٥٦.

(يجزون هدّاب اليماني)

ومن رائع فخره قوله في بني قومه بني دارم:

بنو دارم قومي ترى حُجزاتِهم ... عتاقاً حواشيها رقاقاً نعالُها
يجرّون هدّاب اليماني كأنّهم ... سيوفٌ جلا الأطباعَ عنها صقالُها[1]

(أولئك آبائي)

ومن رائع فخره ونادره وأجزله قوله متحدياً جريراً:

أولئك آبائي فجئني بمثلِهم ... إذا جمعتنا يا جريرُ المجامعُ[2]

(وتخالنا جنّا إذا ما نجهل)

ومن أشهر فخر الفرزدق وأروعه قوله مفتخراً بقومه، وبنفسه وشاعريته[3]:

إن الذي سمكَ السماءَ بنى لنا ... بيتاً دعائمُه أعزُّ وأطولُ[4]
بيتاً بناه لنا المليكُ وما بنى ... حكمُ السماءِ فإنّه لا ينقل
بيتاً زرارةُ محتبٍ بفنائه ... ومجاشعٌ وأبو الفوارسِ نهشل[5]
يلجون بيتَ مجاشعٍ وإذا احتبوا ... برزوا كأنّهم الجبالُ المُثَّل
الأكثرون إذا يُعدُّ حصاهمُ ... والأكرمون إذا يُعدّ الأول
حللُ الملوكِ لباسُنا في أهلنا ... والسابغاتُ إلى الوغى نتسربل
أحلامُنا تزنُ الجبالَ رزانةً ... وتخالُنا جِنّا إذا ما نجهل
وهب القصائدَ لي النوابغُ إذا مضَوْا ... وأبو يزيدَ وذو القروحِ وجرول[6]
والفحلُ علقمةُ الذي كانت له ... حللُ الملوكِ كلامه لا ينحل
وأخو بني قيسٍ وهنّ قتلنه ... ومهلهلُ الشعراءِ ذاك الأول

❖ **بشّار بن برد (ت ١٦٦ هـ/ ٧٨٣ م)**

(إنّا ردى من نحاربه)

يعد بشار بن برد، الشاعر العباسي المميز، أول المولدين، وآخر المتقدمين من الإسلاميين. ومع أن أصله فارسي، وهو من الموالي، إلا أنه انتسب إلى قيس عيلان

---

(١) نفسه ص ٧٧. والأطباع: جمع طبع، وهو الصدأ. وأنظر: العقد الفريد، ٢/ ١٩٣ - ١٩٤. ط دار الكتاب العربي.
(٢) الفرزدق، ص ٧٩.
(٣) الفرزدق، ١٠١ - ١٠٤.
(٤) سمك: رفع.
(٥) زرارة، ابن عدس: من مشاهير بني دارم قوم الفرزدق. ونهشل ومجاشع: ابنا دارم.
(٦) النوابغ: الذبياني، والجعدي، والشيباني. وأبو يزيد هو المخبل. وذو القروح: هو امرؤ القيس. وجرول: الحطيئة.

التي افتخر بها، مدخلاً نفسه فيها، ويدل على ذلك هذه الأبيات الفخرية الرائعة[١]:

لعلّكَ تستدْنِي بسيرِكَ في الدُّجا ... أخا ثقةٍ تُجدي عليك مناقبُهْ[٢]
من الحيِّ قيسٍ قيسِ عيلانَ إنَّهم ... عيونُ النّدى منهم تُروَّى محالبه
وسام لمروانٍ ومِن دونه الشجا ... وهول كلجِّ البحرِ جاشتْ غواربه[٣]
أحلّتْ به أمُّ المنايا بناتِها ... بأسيافنا إنّا ردى من نحاربه
وما زال منا ممسكٌ بمدينةٍ ... يراقبُ أو ثغرٍ تُخافُ مرازبه[٤]
إذا الملكُ الجبارُ صعّر خدَّه ... مشينا إليه بالسيوفِ نعاتبه
وكنّا إذا دبَّ العدوُّ لسخطِنا ... وراقبنا في ظاهرٍ لا نراقبه
ركبنا له جهراً بكلِّ مثقفٍ ... وأبيضَ تستسقي الدماءَ مضاربه
وجيشٍ كجنح الليلِ يرجفُ بالحصى ... وبالشّولِ والخطّيِّ حمرٍ ثعالبه[٥]
غدونا له والشمس في خدرِ أمّها ... تطالعُنا والظّلُّ لم يجر ذائبه
بضربٍ يذوق الموتَ من ذاق طعمه ... وتدركُ من نجّى الغرار مثالبه
كأنَّ مثارَ النقعِ فوق رؤوسهم ... وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه

❖ مهيار

(أين في الناس أب مثل أبي)

ومن جيد فخر مهيار الديليمي، الشاعر العباسي المحدث، وهو من أصل فارسي، قوله:

أُعجبتْ بي عندَ نادي قومِها ... أُمُّ سُعدى فمضتْ تسألُ بي[٦]
سرَّها ما علمتْ عن خلقي ... فأرادتْ علمَها ما حسبي
لا تخالي حسباً يخفضُني ... أنا مَن يُغنيكِ عندَ النسب
قوميَ استولوا على الدهر فتىً ... ومضوا فوقَ رؤوسِ الحقب
وأبي كسرى على إيوانِه ... أينَ في الناسِ أبٌ مثلُ أبي[٧]
قد ورثتُ المجدَ عن خيرِ أبٍ ... وورثتُ الدّينَ عن خيرِ نبي
فضممتُ المجدَ مِن أطرافه ... سُؤدَدَ الفرسِ ودينَ العرب[٨]

---

(١) ديوان بشار، ص ٣٥. طبعة القاهرة.
(٢) الدجا: الظلام. والمناقب: الفضائل والشمائل.
(٣) غواربه: أمواجه. وجاشت: اضطربت.
(٤) الثغر: الموضع المتقدم الذي يدافع عنه. والمرازب: جمع مرزبان، وهو سيد القوم.
(٥) الثعالب: جمع ثعلب، وهو طرف الرمح الداخل في السنان.
(٦) أم سعدى: اسم المرأة التي يحبها.
(٧) الإيوان: القصر الملكي، وكسرى، واحد الأكاسرة ملوك فارس في القديم.
(٨) السؤدد: الرفعة والمجد.

أروع ما قيل في المدح

الباب الأول

في الجاهلية

❖ طرفة(ت حوالي ٥٥٢ هـ)

(سادة الشّيب مخاريق المرد)

من جيد المدح مدح طرفة بني المنذر بالجود والسماحة والشجاعة والحلم والعقل.

وطرفة هو ابن العبد بن سفيان.. بن بكر وائل، من ألمع شعراء العصر الجاهلي، وفي الطبقة الرابعة، ولد في البحرين، وظلم صغيراً، فثار على القبيلة والمجتمع، وترك معلقة من الشعر مشهورة، فضلاً عن العديد من القصائد والأبيات الشعرية ذات الأغراض المتعددة والتي منها هذا الشعر المدحي في بني المنذر[١]:

نبلاءُ السّعيِ من جرثومةٍ ... تتركُ الدنيا وتَنْمي لِلعَبْد[٢]
يزعون الجهلَ في مجلِسهم ... وهمُ أنصارُ ذي الحلم الصَّمَد[٣]
حُبُسٌ في المحلِ حتى يُفسحوا ... لابتغاءِ المجدِ أو تَرْكِ الفَنَد[٤]
سمحاءُ الفقرِ أجوادُ الغنى ... سادةُ الشّيبِ مخاريقُ المُرُد[٥]

(فلم تر عيني مثل سعد بن مالك)

ومن جيد مدح طرفة ما قاله في سعد بن مالك[٦]:

رأيتُ سعوداً منْ شعوبٍ كثيرةٍ ... فلم تر عيني مثلَ سعد بن مالكِ[٧]
أبرَّ وأوفى ذمّةً يعقدونها ... وخيراً إذا ساوى الذُّرى بالحوارك[٨]
وأنمى إلى مجدٍ تليدٍ وسُورةٍ ... تكونُ تراثاً عندَ حيٍّ لهالك[٩]

❖ النابغة الذبياني (ت حوالي ٦٠٣م)

(لهم شيمة لم يعطها اللّه غيرهم)

هو أبو أمامة زياد بن معاوية بن ضباب، الملقب بالنابغة لنبوغه في الشعر بعد أن كبر وطعن في السن، على أرجح الأقوال. يعد النابغة من فحول الشعراء الجاهليين، وفي الطبقة الأولى من طبقاتهم.

نظم في مختلف الأغراض الشعرية، وكان في المدح والإعتذار مجلياً. ومن جيد

---

(١) ديوان طرفة بن العبد، ص: ٣٠ - ٣١.
(٢) الجرثومة: الأصل. وتنمي: ترتفع. ويقصد بالدنيا: الأشياء الصغيرة.
(٣) يزعون: يمنعون. الصمد: الرفيع العماد، ذو المروءة.
(٤) الفند: الكذب واللؤم. والمحل: الجدب.
(٥) سمحاء: أجواد، ومثلها مخاريق. والمرد: جمع أمرد، وهو الشاب الذي لم يلتح بعد.
(٦) الديوان ص: ٦٠.
(٧) السعود، هنا، جمع سعد، اسم العلم.
(٨) الذرى: الأعالي، ويقصد بها سنام الإبل، والحوارك، جمع حارك، وهو أعلى الكاهل.
(٩) أنمى: أكثر انتساباً. والتليد: القديم المتوارث. والسورة: الشرف والمرتبة.

مدحه وأروعه مدحه عمرو بن الحارث الأصغر، وقومه الغساسنة. يقول النابغة[١]:

وثقتُ له بالنصرِ إذْ قيلَ قد غزتْ ... كتائبُ مِن غسّان غيرُ أشائبِ[٢]
إذا ما غَزَوْا بالجيشِ حلّق فوقَهم ... عصائبُ طيرٍ تهتدي بعصائب
تراهنَّ خلف القوم خُزراً عيونُها ... جلوسَ الشيوخِ في ثيابِ المرانب[٣]
جوانح قد أيقنَّ أنَّ قبيله ... إذا ما الْتقى الجمعانِ أوّلُ غالب
ولا عيبَ فيهم غير أنَّ سيوفهم ... بهنَّ فلولٌ مِن قراعِ الكتائب[٤]
تُوُرِّثْنَ مِن أيامِ يومِ حليمةٍ ... إلى اليوم قد جُرِّبْنَ كلَّ التجارب[٥]
لهم شيمةٌ لم يعطِها اللّهُ غيرَهم ... مِن الجودِ والأحلامُ غيرُ عوازب[٦]
محلّتُهم ذاتُ الإلهِ ودينُهم ... قويمٌ فما يرجون غيرَ العواقب
رقاقُ النعالِ طيّبٌ حُجزاتُهم ... يُحَيَّوْنَ بالرّيحانِ يومَ السباسب[٧]
تُحييهُم بيضُ الولائِد بينهم ... وأكسيةُ الإضريج فوقَ المشاجب[٨]
يصونون أجساداً قديماً نعيمُها ... بخالصةِ الأردانِ خضرِ المناكب
ولا يحسبونَ الخيرَ لا شرَّ بعده ... ولا يحسبون الشَّرَّ ضربةَ لازب

❖ زهير (ت حوالي ٦٢٧م)

(يلق السماحة منه والندى خلقا)

الشاعر هو زهير بن أبي سلمى المزني، أحد أشهر شعراء الجاهلية، وفي الطبقة الأولى من طبقاتهم. أخذ الشعر عن خاله بشامة بن الغدير، وعرف بمطولاته أو حولياته المنقحة الجيدة، وبمعلقته الميمية الذائعة الصيت، وبأنه أمدح القوم وأشدهم أسر شعر، ولعل أروع شعره المدحي وأجوده إطلاقاً ذلك الشعر الذي قاله في هرم بن سنان أحد الذين سعوا في إنهاء حرب داحس والغبراء، وفي عقد الصلح بين بني عبس وبني ذبيان؛ يقول زهير[٩]:

بلِ اذْكُرَنْ خيرَ قيسٍ كلِّها حسباً ... وخيرَها نائلاً وخيرَها خُلُقا

---

(١) ديوان النابغة الذبياني ص: ٤٩ - ٥٣.
(٢) غير أشائب: لا يمازجها من ليس من غسان.
(٣) خزراً عيونها: ناظرة بأطراف العيون. والمرانب: الفراء.
(٤) فلول: ثلوم. وقراع الكتائب: طعان الجيوش بعضها بعضاً.
(٥) يوم حليمة: أحد أيام العرب المجيدة التي انتصروا فيها.
(٦) الشيمة: الصفة الحسنة والمنقبة. غير عوازب: لا تتغير. والأحلام: العقول.
(٧) طيب حجزاتهم: كناية عن العفة. ويوم السباسب: يوم الشعانين ويكون نهار الأحد.
(٨) الولائد: الإماء والجواري. والإضريج: الخز والحرير. والمشاجب: أمكنة تعليق الثياب.
(٩) ديوان زهير بن أبي سلمى ص: ٤٨ - ٥٥.

وذاك أحـزمُـهـم رأيـاً إذا نـبـأٌ ... مـن الـحـوادثِ آب الـنـاسَ أو طَـرقـا
فضلُ الجوادِ على الخيلِ البطاءِ فلا ... يعطي بذلك ممنوناً ولا نزِقا[1]
قد جعل المبتغون الخير في هرم ... والسائلون إلى أبوابه طرقا
القائدُ الخيلَ منكوباً دوابرُها ... قد أحكمت حَكَماتِ القِدِّ والأبقا[2]
يطعنهم ما ارتموا حتى إذا اطّعنوا ... ضارب حتى إذا ما ضَاربوا اعتنقا[3]
أغرُّ أبيضُ فيّاضٌ يُفكّكُ عن ... أيدي العناةِ وعن أعناقِها الرّبقا[4]
مَن يلق يوماً على علاّتِهِ هرماً ... يلق السماحةَ منه والندى خلقا[5]
لو نال حيٌّ من الدنيا بمكرمةٍ ... أفْقَ السماءِ لنالت كفُّه الأفقا

(وعند المقلّين السماحة والبذل)

ومن بديع المدح وجيده ورائعه أيضاً، مدح زهير هرماً، المار ذكره، والحارث بن عوف، وهذا الأخير أسهم بدوره في وضع حد لحرب داحس والغبراء. وفي قوم هذين السيدين الكريمين يقول زهير[6]:

إذا السَّنةُ الشهباءُ بالناس أجحفتْ ... ونال كرامَ المالِ في السنةِ الأكلُ[7]
رأيتَ ذوي الحاجاتِ حولَ بيوتِهم ... قطيناً لهم حتى إذا أنبت السهل[8]
وفيهم مقاماتٌ حسانٌ وجوهُها ... وأندية ينتابُها القولُ والفعل
وإنْ جئتهم ألفيتِ حولَ بيوتهم ... مجالسَ قد يَشفى بأحلامها الجهل
وإنْ قام منهم قائمٌ قال قاعدٌ ... رشدْتَ فلا غُرمٌ عليك ولا خَذل
على مكثريهم حقُّ مَن يعتريهمُ ... وعند المقلّين السماحةُ والبذل
فما كان مِن خيرٍ أتَوْه فإنما ... توارثَه آباءُ آبائِهم قبلُ[9]

---

(١) أي أن فضل هرم على الرجال كفضل الجواد على الخيل البطاء. والنزق: الأشر والبطر.
(٢) الحكمات: جمع حكمة، وتوضع على أنف الدابة. والأبق: شبه الكتان أو القنّب. ودوابر الدابة: مآخير حوافرها. والقد: الجلد.
(٣) أي هو يغشاهم بالرمح إذا رموا من مكان بعيد، فإذا اطّعنوا دخل تحت السيف فاعتنق. وهذا المعنى مما استحسنته الشعراء كثيراً. انظر: الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ص: ٧٩.
(٤) أغر: في جبينه غرة، وهي البياض فيه. والعناة: جمع عانٍ، وهو الأسير المكبّل.
(٥) علا علاته، أي في أسوأ أحواله. وهذا البيت من الشعر أعجب كثيراً قدامة بن موسى الجمحي، وهو أحد علماء المدينة، وبه قدم زهيراً على غيره من الشعراء. أنظر: طبقات فحول الشعراء، لابن سلام ص: ٦٤.
(٦) الديوان: ١٠٩ - ١١٠.
(٧) الشهباء: البيضاء، وهنا، كناية عن السنة المجدبة.
(٨) القطين: أهل الرجل وحشمه. والقاطنون في دياره.
(٩) وبهذا البيت الرائع فضل الأحنف بن قيس زهيراً على سائر الشعراء، وقال: ألقى عن المادحين فضول الكلام. أنظر: الأغاني ٩/ ١٤٧.

(محسّدون على ما كان نِعم)

ونظير هذا المدح الجيد، مدح آخر قاله زهير في سنان، والد هرم، وقومه، وهو من أروع المدح. وتقول الرواية إن عمر بن الخطاب لما سمعه جثا على ركبتيه ثم قال: ما لهذا الشاعر، قاتله الله؟! لقد قال كلاماً ما ينبغي أن يقال إلا في أهل رسول الله لما خصّهم به من النبوة والكرامة. ومن هذا المدح قوله[١]:

لو كان يخلدُ أقوامٌ بمجدهم ... أو ما تقدّم مِن أيامهم خلدوا
أو كان يقعدُ فوقَ الشمسِ مِن كرمٍ ... قومٌ بأوّلهم أو مجدهم قعدوا
قومٌ أبوهم سنانٌ حين تنسبهم ... طابوا وطابَ مِن الأولاد ما ولدوا
إنسٌ إذا أمنوا جِنّ إذا غضبوا ... مرزّؤون بهاليلٌ إذا جُهدوا[٢]
محسّدون على ما كان من نِعم ... لا ينزعُ اللّهُ منهم مالَه حُسدوا
لو يوزنون عِياراً أو مكايلةً ... مالوا برَضْوى ولم يعدلْهمُ أحد[٣]

❖ الأعشى (ت ٧ هـ/ ٦٢٩ م)

(فأبت بخير منك يا هوذ حامدا)

ومن أروع المدح وجيده مدح الأعشى لهوذة بن علي الحنفي، وذلك في معرض ذمه الحارث بن وعلة بن مجالد الرقاشي. والأعشى، كما هو معلوم، شاعر جاهلي، واسمه ميمون بن قيس بن جندل، من فحول شعراء الجاهلية، وكان يلقب بصناجة العرب لشهرة شعره وذيوع صيته.

يقول الأعشى في مدح هوذة[٤]:

فتىً لو ينادي الشمسَ ألقتْ قناعَها ... أو القمر الساري لألقى المقالدا
ويصبحُ كالسيفِ الصقيل إذا غدا ... على ظهرِ أنماطٍ له ووسائدا[٥]
يرى البخلَ مرّاً والعطاءَ كأنما ... يلذُّ به عذباً مِنَ الماءِ باردا
تضيّفتُه يوماً فقرّب مقعدي ... وأصفدني على الزمانةِ قائدا[٦]
وأمتعني على العِشا بوليدةٍ ... فأُبْتُ بخير منكَ يا هوذَ حامدا[٧]

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣/ ١٠٧.
(٢) جهدوا: من الجهد، وهو العناء والمشقة. والبهاليل: الأسياد الفرسان.
(٣) رضوى: جبل في نجد.
(٤) ديوان الأعشى، ص: ٤٤.
(٥) الأنماط: جمع نمط، وهو ما يوضع على الهودج من صوف ملون، والوسائد، جمع وسادة، وهي ما يتكأ عليه ويسند إليه.
(٦) أصفدني: أعطاني. والزمانة: الضعف. وقائداً: أي يقوده بسبب ضعف بصره.
(٧) أبت: رجعت. والوليدة: الجارية.

(لو صارع الناس عن أحلامهم صرعا)

وقال فيه أيضاً، ويعد من أروع المدح[١]:

يا هوذَ إنك من قوم ذوي حسبٍ ... لا يفشلون إذا ما آنسوا فَزَعا
همُ الخضارمُ إنْ غابوا وإن شهدوا ... ولا يُرَوْن إلى جاراتهم خنعا[٢]
قومٌ بيوتهمُ أمنٌ لجارهم ... يوماً إذا ضمّتِ المحضورة الفزِعا[٣]
وهم إذا الحربُ أبدتْ عن نواجذِها ... مثلُ الليوثِ وسمٌّ عاتِقٌ نقعا[٤]
مَنْ يلقَ هوذَةَ يسجدْ غيرَ مثئب ... إذا تعصَّب فوقَ التاجِ أو وضعا[٥]
أغرُّ أبلجُ يستسقى الغمامُ بهِ ... لو صارع الناسَ عن أحلامِهم صرعا[٦]

(وأبيّون لا يسامون ضيماً)

ومن جيد ما قاله الأعشى في مدح بني قيس وكانوا نداماه[٧]:

فعَلى مِثلِها أزورُ بني قيسٍ ... إذا شطَّ بالحبيبِ الفراقُ[٨]
المُهينينَ مالَهم في زمانِ السّـ ... ـوءِ حتى إذا أفاقَ أفاقوا[٩]
وإذا ذو الفضولِ ضنَّ على المـ ... ـولى وصارت لِخيمِها الأخلاق[١٠]
أخذوا فضلَهم هناكَ وقد تجـ ... ـري على عرقِها الكرامُ العتاق
إذا الغيثُ صوبُه وضعَ ... القِدحَ وجُنَّ التّلاعُ والآفاق[١١]
لم يزدْهم سفاهةً شُرْبُ ... الخمرِ ولا اللّهو فيهم والسّباق
ونداميَ بيضُ الوجوهِ كأنَّ ... الشَّربَ منهم مصاعبٌ أفناق[١٢]
فيهمُ الخصب والسماحة والنّجـ ... ـدةُ جمعاً والخاطبُ المسلاقُ[١٣]
وأبيّون لا يُسامون ضيماً ... ومكيثون والحلومُ وثاق[١٤]

---

(١) ديوان الأعشى، ص: ١٠٨ - ١٠٩.
(٢) الخضارم: الأسياد. والخنع: جمع خانع وهو الذليل الفاجر.
(٣) المحضورة: القوم الحاضرون.
(٤) نواجذها: أضراسها.
(٥) المثئب: المستحي.
(٦) أغر أبلج: فيه غرة، أي بياض في الجبين.
(٧) الحيوان ٣/ ٥٢٧.
(٨) شط: نأى.
(٩) المهينين: المنفقين والباذلين.
(١٠) الخيم: الأخلاق الحسنة. وضنّ: بخل.
(١١) الصوب: المطر بقدر ما ينفع ولا يؤذي. والقدح: خشبة صغيرة يضرب بها في الميسر والقمار.
(١٢) الشرب: جماعة الشاربين. والمصاعب: جمع مصعب، وهو الفحل من الإبل، ومثله الفنيق، واحد الأنفاق.
(١٣) المسلاق: الشديد العارضة في الكلام.
(١٤) مكيثون: وقورون. والحلوم: العقول.

وترى مجلساً يغصُّ بهِ المحـ ـرابُ بالقومِ والثيابُ رقاق

❖ طخيم الأسدي

(وإني وإن كانوا نصارى أحبهم)

ومن جيد المدح وسهله وأسلسه ما قاله طخيم بن أبي الطمحاء الأسدي في قوم من أهل الحيرة، من بني امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم، وهم رهط الشاعر الجاهلي المعروف عدي بن زيد العبادي، وكانوا من النصارى، يقول طخيم مادحاً[١]:

كأنْ لم يكنْ يومٌ بزورةَ صالحٌ وبالقصر ظلٌّ دائمٌ وصديقُ[٢]
ولم أردِ البطحاءَ يمزجُ ماءَها شرابٌ منَ البَرُّ وقتينِ عتيقُ[٣]
معي كلُّ فضفاضِ القميصِ كأنه إذا ما سَرَتْ فيه المدامُ فنيقُ[٤]
بنو السَّمطِ والحذّاءِ كلُّ سُميدعٍ له في العروقِ الصالحاتِ عروقُ[٥]
وإني وإنْ كانوا نصارى أُحبُّهُم ويرتاحُ قلبي نحوهم ويتوق

❖ الشماخ بن ضرار

(تلقاها عرابة باليمين)

ومن جيد المدح وأروعه مدح الشماخ بن ضرار بن مرة الغطفاني، الشاعر الجاهلي والذي أدرك الإسلام، عرابة بن أوس بن قيظي الأنصاري. وهذا المدح عدّ أحد الأصوات الخمسة التي تغنى بها معبد، وفضلها على المدائن الخمس التي فتحها قتيبة بن مسلم الباهلي. والمعروف عن معبد أنه لم يتغنّ في مدح قط إلا في ثلاثة أشعار هي:

مدح عبدالله بن قيس الرقيات في عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، ومدح موسى شهوات في حمزة ابن عبدالله بن الزبير، والثالث مدح الشماخ في عرابة بن أوس الأنصاري. وهو التالي[٦]:

رأيتُ عَرابةَ الأوسيَّ يسخو إلى الخيراتِ منقطعَ القرينِ
إذا ما رايةٌ رُفعتْ لِمجدٍ تلقّاها عرابةُ باليمين
إذا بلغتني وحملتِ رَحلي عرابةَ فاشرقي بدمِ الوتين[٧]

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٢٦. وأنظر الأبيات كاملةً في: معجم البلدان، لياقوت ٣/ ١٥٧.
(٢) زورة: موضع بين الكوفة والشام.
(٣) البروقتان: موضع قريب من زورة.
(٤) الفضفاض: الواسع، كناية عن الفضل والخيلاء. والمدام: الخمرة والفنيق: الفحل من الإبل.
(٥) السميدع: صفة للأسد.
(٦) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٣٩٨.
(٧) الرحل: ما يوضع على ظهر الدابة. والوتين: الشريان الذي يغذي الجسم بالدم الصادر عن القلب.

❖ حجر بن خالد

(متى تنع ينع الجود والبأس والتقى)

ومن جيد المدح القديم في الجاهلية مدح حجر بن خالد، من بني ثعلبة، للنعمان بن المنذر، المكنّى بأبي قابوس، وكان ملك المناذرة في جنوب العراق. وفي هذه الأبيات التالية نتبين روعة الأسلوب وجودة السبك، وصفاء الديباجة. يقول حجر[١]:

سمعتُ بفعلِ الفاعلينَ فلم أجدْ ... كمثلِ أبي قابوسَ حزماً ونائلا
فساقَ الإلهُ مِن كلِ بلدةٍ ... إليكَ فأضحى حولَ بيتِكَ نازلا
فأصبحَ منه كلُّ وادٍ حللْتَهُ ... مِنَ الأرضِ مسفوحَ المذانبِ سائلا[٢]
متى تُنعَ يُنعَ الجودُ والبأسُ والتقى ... وتصبحْ قلوصُ الحربِ جزباء حائلا[٣]
فلا ملكٌ ما يُدركنَّكَ سعيه ... ولا سُوقةٌ ما يمدحنّك باطلا[٤]

(له بفناء البيت سوداء فخمة)

وله في مدح النعمان وقومه الغساسنة، وهو من جيد المدح[٥]:

تَرى الراغبينَ العاكفينَ ببابه ... على كلِّ شِيزى أُترعَتْ بالعُراعرِ[٦]
لهُ بفناءِ البيتِ سوداءُ فخمةٌ ... تُلقَّمُ أوصالَ الجزورِ العَراعرِ[٧]
بقيةُ قدرٍ مِن قدورٍ تُوُرّثتْ ... لآلِ الجلاحِ كابراً بعدَ كابرِ[٨]
تظلُّ الإماءُ يبتدرْنَ قديمَها ... كما ابتدرتْ سعدٌ مياهَ فراقرِ[٩]

(فانت لغيث الحمد أول رائد)

وله في المدح الرائع قوله في النعمان بن وائل الغساني[١٠]:

وكنتُ امرءاً لا أمدحُ الدهرَ سُوقةً ... فلستُ على خير أتاكَ بحاسدِ[١١]

---

(١) ديوان الحماسة ٢/ ٢٩٤.
(٢) المسفوح: المنصب. والمذانب: مسايل الماء.
(٣) القلوص: الناقة. وقلوص الحرب: كناية عن الضعف. والجرباء: التي أصابها الجرب. والحائل من النوق: التي ضربها الفحل ولم تحمل.
(٤) يريد أن يظهر أن ممدوحه فوق المدح، وهو فوق كل ملك، و «ما» قبل: يدركنك، زائدة.
(٥) الديوان، ص: ٦٧ - ٦٨.
(٦) الشيزى: قدر تصنع من الخشب الأسود الصلب. والعراعر: الجمل السمين.
(٧) السوداء، صفة للقدر. والجزور: الناقة. وعراعر، بفتح العين: جمع عراعر، بضم العين.
(٨) الكابر: الكبير. وآل الجلاح: قوم ابن الجلاح القائد في جيش الغساسنة.
(٩) قراقر: اسم ماء. ويبتدرن: يتسابقن. وسعد: اسم قبيلة عربية.
(١٠) الديوان، ص: ٦٤ - ٦٥.
(١١) السوقة: أوساط الناس. والدهر: أصلها مدى الدهر.

سبقتَ الرجالَ الباهشين إلى العلى كسبقِ الجوادِ اضْطادَ قبلَ الطوارد[١]
علوتَ معدّاً نائلاً ونكاية فأنتَ لِغيثِ الحمدِ أولُ رائد[٢]

❖ ابن حمار

(لا يعلم الجار فيهم أنه الجار)

ومما مدح به بنو شيبان، شعر لعدي بن زيد بن حمار، وهو شاعر جاهلي من بني السكون، وكان نزل في بني شيبان يوم ذي قار الذي انتصر فيه الشيبانيون والعرب على الفرس. وهذا الشعر من جيد المدح ورائعه. يقول ابن حمار[٣]:

إني حمدتُ بني شيبان إذْ خمدتْ نيرانُ قومي وفيهم شُبَّتِ النارُ
ومن تكرّمهم في المحلِ أنّهمُ لا يعلمُ الجارُ فيهم أنه الجار[٤]
حتى يكون عزيزاً مِن نفوسهم أو أنْ يبينَ جميعاً وهو مختار[٥]
كأنّه صَدعٌ في رأسِ شاهقةٍ مِن دونه لِعتاقَ الطير أوكار[٦]

❖ بعضهم

(حتى حسبتهم أهلي)

وفي بني المهلّب، وإقرائهم الضيف، يقول بعضهم مادحاً، ويعد من أروع المدح[٧]:

نزلتُ على آلِ المهلبِ شاتياً غريباً عن الأوطانِ في زمنٍ مَحْلِ
فما زال بي إكرامهمُ وافتقاؤهم وإلطافهم حتى حسبتهم أهلي[٨]

❖ العرندس

(من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم)

ومن أروع المدح وأجوده أبيات العرندس، وهو أحد بني بكر بن كلاب، يمدح بها بني غنيّ، وكان أبو عبيدة يقول متعجباً: كلابي يمدح غنوياً؟ والأبيات هي التالية[٩]:

هَيْنونَ لَيْنونَ أيسارٌ ذوُو كرمٍ سُوّاسُ مكرمةٍ أبناءُ أيسارِ[١٠]

---

(١) الباهشين: المتطلعين.
(٢) معدّ: إحدى أكبر قبائل العرب. والنائل: العطاء. والرائد: المثال الذي يحتذى.
(٣) ديوان الحماسة ١/ ١٠٨.
(٤) المحل: الجدب. وهنا يشيد الشاعر بكرم بني شيبان وبإشعارهم الضيف إنه واحد منهم.
(٥) يبين: يبعد.
(٦) الصدع: صفة للوعل. وعتاق الطير. أشدّها وأقواها. وهنا كناية عن المنعة.
(٧) ديوان الحماسة ١/ ١٠٩.
(٨) اقتفاؤهم: أي اقتفاء أثر ما يحتاج إليه.
(٩) ديوان الحماسة ٢/ ٢٦٩ - ٢٧٠. وأنظر: الأمالي ١/ ٢٣٩. والكامل، للمبرد ١/ ٤٧.
(١٠) الأيسار: القداح التي كان يضرب بها عند الأصنام. وسوّاس: قُوّاد.

إنْ يُسألوا الحقَّ يعطوه وإن خُبروا ... في الجَهْدِ أُدرك منهم طِيبُ أخبار[١]
وإنْ تودَّدْتَهم لانوا وإنْ شُهموا ... كشفتَ أذمارَ شرٍّ غيرَ أشرار[٢]
فيهم ومنهم يُعدُّ المجدُ متَّلداً ... ولا يُعدُّ نثاخِزي ولا عار[٣]
لا ينطقونَ عنِ الفحْشاءِ إن نَطقوا ... ولا يُمارون إنْ مارَوْا بإكثار[٤]
مَن تلقَ منهم تقلْ لاقيتُ سيّدهم ... مثل النجومِ التي يَسري بها السّاري[٥]

❖ المعذّل

(ولا يحسنون السر إلا تناديا)

عرف المعذل بن عبدالله الليثي الشاعر الإسلامي باجترامه على الناس واقترافه الجنايات مما كان يلزمه ديات كثيرة يكفلها عنه النهس بن ربيعة، العتكي. وذات يوم قبض على المعذل في جناية فأدركه النهس وحمله على النجاة بنفسه فخيره المعذل بين أن يمدحه أو يمدح قومه فاختار النهس مدح القوم فقال المعذّل هذه الأبيات. وهي من جيد المدح[٦]:

جزى اللّهُ فتيانَ العتيكِ وإنْ نأتْ ... بي الدارُ عنهم خيرَ ما كانَ جازيا[٧]
همُ خلطوني بالنفوسِ وأكرموا الصّحابةَ ... لما هُمَّ ما كنتُ لاقيا[٨]
هم يفرشونَ اللَّبدَ كلَّ طِمَرّةٍ ... وأجردَ سبّاحٍ يبذُّ المغاليا[٩]
طعامهمُ فُوض فضاً في رحالِهم ... ولا يُحسنونَ السّرَ إلا تناديا[١٠]
كأنَّ دنانيراً على قسماتِهم ... إذا الموتُ للأبطالِ كان تحاسيا[١١]

❖ أبو البرج

(بناة مكارم وأساة كلم)

ومن المدح الجيد مدح أبي البرج القاسم بن حنبل المريّ لزفر بن أبي هاشم بن مسعود بن سنان. يقول أبو البرج[١٢]:

---

(١) الجهد: الشدّة.
(٢) شهموا: وقع فيهم الخوف. وأذمار الشر: شجعان الحرب.
(٣) متلداً: قديماً. ونثا الخزي: ما يخبر به عن الرجل من المعايب.
(٤) يمارون: يجادلون.
(٥) الساري: السائر ليلاً، والذي يهتدي بالنجوم في سيره.
(٦) ديوان الحماسة ٢/ ٣٥٧ - ٣٥٨.
(٧) العتيك، أي بني عتك عشيرة النهس بن ربيعة.
(٨) خلطوني بالنفوس: أي جعلوه واحداً منهم. حمّ ما كنت لاقياً: أي اشتدّ وصعب.
(٩) الطمرة: الفرس السريع. واللبد: الفراش عليها. والأجرد من الخيل: القليل الشعر لسرعته. والباح من الخيل: السريع. وينيد: يغلب. والمغالي: السهم النافذ.
(١٠) فوضى: أي على رسلهم. فضاً، أي واسعاً. والرحال: ما يوضع على الدابة من الزاد وغيره. ولا يحسنون السر، كناية عن ظهور أفعالهم وعدم استتارها.
(١١) التحاسي: الشرب شيئاً فشيئاً.
(١٢) ديوان الحماسة ٢/ ٣٠٤ - ٣٠٥.

أرى الخِلاّنَ بعدَ أبي حبيبٍ ... وحجرٍ في جِنابهمُ جَفاءُ[١]
مِنَ البيضِ الوجوهِ بني سنانٍ ... لَوَ أنّك تستضيءُ بهم أضاؤوا
لهم شمسُ النهارِ إذا استقلّتْ ... ونورٌ ما يُغيّبُه العَماءُ[٢]
هُمُ حلّوا مِنَ الشّرفِ المعلّى ... ومِن شرفِ العشيرةِ حيثُ شاؤوا[٣]
بُناةُ مكارمٍ وأُساةُ كَلْمٍ ... دماؤهمُ مِنَ الكَلَبِ الشفاءُ[٤]
فأمّا بيتُكُم إنْ عُدَّ بيتٌ ... فطال السَّمْكُ واتّسع الفناءُ[٥]
وأمّا أُسُّه فعلى قديمٍ ... منَ العاديِّ إنْ ذُكر البناءُ[٦]
فلو أنّ السماءَ دنتْ لِمجدٍ ... ومكرمةٍ دنتْ لكمُ السّماءُ

❖ أمية بن أبي الصلت (ت حوالي ٩ هـ / ٦٣١ م)

(لك الحسب المهذّب والسناء)

أمية بن أبي الصلت، واسمه الآخر عبدالله بن ربيعة الثقفي، من الشعراء المجيدين الذين عاشوا في الجاهلية، وأدركوا الإسلام.

وكان في الجاهلية من الأحناف الذين قرأوا الكتب القديمة وعبدوا الله على ملة إبراهيم الخليل. وقيل إنّه أراد أن يتبع النبي محمداً ﷺ، ولما علم بمقتل شيبة وربيعة وغيرهما من رجالات قريش والمشركين، جدع أنف ناقته، وعاد إلى الطائف ليموت بها في السنة التاسعة من الهجرة. ولأمية أبيات مدحية رائعة في أحد بني تميم، وهي التالية[٧]:

أأذكرُ حاجتي أمْ قد كفاني ... حياؤُكَ إنّ شيمتَك الحياءُ[٨]
وعلمُكَ بالحقوقِ وأنتَ فرعٌ ... لك الحسب المهذّبُ والسّناءُ[٩]
خليلٌ لا يُغيّره صباحٌ ... عن الخُلُقِ الجميلِ ولا مساءُ
وأرضُكَ كلُّ مكرمةٍ بنتْها ... بنو تيمٍ وأنتَ لها سماءُ
إذا أثنى عليك المرءُ يوماً ... كفاه مِن تعرّضهِ الثناءُ[١٠]

---

(١) الخلان: الأصحاب. والجناب: الناحية.
(٢) العماء: السحاب.
(٣) المعلّى: اسم يطلق على أحد القداح التي كان يرمى بها في الجاهلية، وهو أشرف القداح لأنه أكثرها نصيباً.
(٤) أساة: جمع آسٍ، وهو الطبيب. والكلم: الجرح. والكلب: الداء الذي يصيب الكلاب، ويندر الشفاء منه.
(٥) سمك البيت: أعلاه.
(٦) الأس: الأساس. والعادي: القديم العهد.
(٧) ديوان الحماسة ٢/ ٣٧٢ - ٣٧٣.
(٨) الشيمة: الخلق.
(٩) السناء: العلو والرفعة.
(١٠) التعرض: القصد.

تُبـاري الـريـحَ مـكـرمـةً ومـجـداً إذا مـا الـكـلـبُ أجـحـرهُ الـشـتـاء[١]

❖ الحطيئة (ت حوالي ٦٧٩ م)

(وما قلت إلاّ بالذي علمت سعد)

ومن جيد المدح ورائعه مدح الحطيئة، وهو الشاعر الجاهلي المعروف، والذي وضعه ابن سلام في الطبقة الثانية من الشعراء.

يمدح الحطيئة أولئك القوم بالسياسة والحلم والقوة والوفاء والإحسان فيقول[٢]:

يـسـوسـون أحـلامـاً بـعـيـداً أنـاتُـهـا وإنْ غـضـبـوا جاءَ الحفيظةُ والجِدُّ[٣]
أقِـلّـوا عـلـيـهـم لا أبـاً لأبـيـكـمُ منَ اللّوم أو سُدّوا المكانَ الذي سدُّوا
أولـئـكَ قـومٌ إن بَـنَـوْا أحـسـنـوا الـبِـنـا وإنْ وعـدَوا أوفَـوْا وإن عـقـدوا شـدّوا
وإنْ كـانـتِ الـنّـعـمـاءُ فـيـهـم جـزَوْا بـهـا وإنْ أنـعـمـوا لا كـدّروهـا ولا كـدّوا
وإن قـال مـولاهـم عـلـى جـلّ حـادثٍ من الدهرِ ردّوا فضلَ أحلامِكم رَدّوا[٤]

ويـعـذلُـنـي أبـنـاء سـعـدٍ عـلـيـهـمُ
ومـا قـلـتُ إلاّ بـالـذي عـلـمـتْ سـعـد

(قوم هم الأنف والأذناب غيرهم)

ومن جيد المدح وأشهره مدح الحطيئة بني أنف الناقة[٥]. وللدلالة على شهرة أبيات الحطيئة فيهم، قالوا إنّه كان إذا ذكر أحد عند أحد فيهم أنف الناقة اشتد غضبهم عليه، فلما مدحهم الحطيئة صار أحدهم إذا سئل عن انتسابه لم يبدأ إلاّ به، يقول الحطيئة[٦]:

سـيـري أمـامَ فـإنّ الأكـثـريـنَ حـصـىً والأطـيـبـيـنَ إذا مـا يُـنـسـبـون أبـا
قـومٌ إذا عـقـدوا عـقـداً لـجـارهـم شـدّوا العِناجَ وشدّوا فوقَه الكَرَبا[٧]
قـومٌ هـم الأنـفُ والأذنـابُ غـيـرهُـمُ ومـن يـسـوّي بـأنـفِ الـنـاقـةِ الـذّنـبـا

(يعيش الندى ما عاش عمرو بن عامر)

ومن جيد شعر الحطيئة مدحه عمرو بن عامر الثقفي[٨]:

يعيشُ النّدى ما عاشَ عمرو بنُ عامرٍ وولّى الندى إنْ نفسُ عمروٍ تَولّتْ

---

(١) تباري: تسابق. وأجحر الكلب الشتاء: كناية عن شدة البرد، والقحط.
(٢) زهر الآداب، ٢/ ١٠١٧.
(٣) الحفيظة: الحزم.
(٤) الأحلام: العقول. والحادث الجلل: العظيم.
(٥) أنف الناقة: هو جعفر بن قريع بن عوف بن زيد مناة بن تميم.
(٦) زهر الآداب ١/ ١٩. وأنظر: العمدة ١/ ٣٥. ومختارات ابن الشجري ٣/ ١٨. والبيان والتبيين ٣/ ٢٠٣.
(٧) العناج: الحبل. والسبر يشد في أسفل الدلو، في عروتها. والكرب: من حبال الدلو.
(٨) ديوان الحطيئة، ص: ١٦٨. دار صادر. بيروت ١٩٦٧.

حليفُ الندى لما تولّى خلا الندى ... فماتتْ عطايا المكثرينَ وقلّتِ
توارى الندى لما توارتْ عِظامُهُ ... فأعظِمْ بها في المعتفين وجلّت[1]
فلولا بقايا مِن بنيهِ ورهطِهِ ... لهانتْ وجوهٌ من ثقيف وذلّت

(لنعم الحيّ حيّ بني كليب)

ونظيره مدحه لبني زياد وبني كليب من بني يربوع[2]:

لَنِعْمَ الحيُّ حيُّ بني كُلَيبٍ ... إذا ما أوقدوا فوقَ اليفاعِ[3]
ونعم الحيُّ حيُّ بني كُليبٍ ... إذا اختلطَ الدّواعي بالدواعي
ألم ترَ أنَّ جارَ بني زهيرٍ ... قصيرُ الباعِ ليسَ بذي امتناع
وليسَ الجارُ جارَ بني كليب ... بمقص في المحلِّ ولا مُضاع
همُ صنعوا لِجارِهم وليستْ ... يدُ الخرقاءِ مثلَ يدِ الصّناع[4]

(إذا ما دعوا لم يسألوا من دعاهم)

ومن جيد مدحه وبليغه قوله في بني عدي:

وفتيان صدق من عديّ عليهم ... صفائح بصرى علّقت بالعوانق[5]
إذا ما دعوا لم يسألوا من دعاهم ... ولم يمسكوا فوق القلوب الخوافق[6]
وطاروا إلى الجرد العتاق فألجموا ... وشدّوا على أوساطهم بالمناطق[7]
أحلّوا حياض المجد فوق جباههم ... مكان النواحي من وجه السوابق[8]

❖ أبو الغول الطهوي

(وداووا بالجنون من الجنون)

ومن رائع المدح وجيده، ما قاله أبو الغول الطهوي، من بني طهية، وكان يكنى أبا الميلاد، ولم يعرف إن كان شاعراً جاهلياً أو إسلامياً.

قال أبو الغول في ممدوحيه مادحاً شجاعتهم ونجدتهم وحماستهم[9]:

فدتْ نفسي وما ملكتْ يميني ... معاشرَ صدّقتْ فيهم ظنوني

---

(١) المعتفون: طالبو الفضل والزاد.
(٢) ديوان الحطيئة، ص: ٢٠١.
(٣) اليفاع: ما ارتفع من الأرض.
(٤) الخرقاء: التي بها خرق، أي حمق.
(٥) الصفائح: السيوف. والعاتق: ما بين المنكب والعنق.
(٦) لم يمسكوا: لم يجزعوا.
(٧) العتاق: الخيل السابقة.
(٨) النواصي، جمع ناصية وهي مقدم شعر الرأس.
(٩) الحيوان ٣/ ٣٩٩ - ٤٠٠.

معاشرَ لا يملّونَ المنايا ... إذا دارتْ رحى الحربِ الطّحونِ
ولا يُجزون من خيرٍ بشرٌ ... ولا يُجْزون مِن غِلظٍ بلين
ولا تبلى بسالتُهم وإنْ هم ... صلوا بالحربِ حيناً بعدَ حين[1]
هم أحمَوْا حِمى الوَقْبَى بضربٍ ... يؤلّفُ بينَ أشتاتِ المنون[2]
فنكّبَ عنهمُ درء الأعادي ... وداوَوْا بالجنونِ مِنَ الجنون[3]

* * *

(١) صلوا بالحرب: عانوا شدّتها وتعبها.
(٢) الوقبى: اسم ماء لبني مازن.
(٣) نكّب عنه: عدل وتنحّى. والدرء: الدفاع.

الباب الثاني

في العصر الإسلامي والأموي

❖ الأخطل (ت ٩٢ هـ/ ٧١٨ م)

(وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا)

من ألمع شعراء المدح في العصر الأموي غياث بن غوث التغلبي، أبو مالك، الملقب بالأخطل، والذي مدح بشعره خلفاء بني أمية خاصة، وكان أموي الهوى، وطالب مال.

ومن أروع قصائد الشاعر المدحية قصيدته الرائية التي يغلب عليها الطابع السياسي والتي يمدح بها عبد الملك بن مروان ويشيد فيها بالأمويين، ويندد بخصومهم، وخصوم قوم الشاعر، بني تغلب. وإنا لنقتطف منها هذه الأبيات[١]:

الخائضُ الغمرَ والميمونُ طائرهُ ... خليفةُ اللَّهِ يستسقى به المطرُ[٢]
وما الفراتُ إذا جاشت حوالبه ... في حافتَيْهِ وفي أوساطه العُشَر[٣]
يوماً بأجود منه حينَ تسألُه ... ولا بأجهرَ منه حين يُجتهر
مقدَّم مائتي ألفٍ لمنزلةٍ ... ما إنْ رأى مثلها جنٌّ ولا بشر
يغشى القناطر يبنيها ويهدمُها ... مسوَّمٌ فوقه الراياتُ والقتر[٤]
في نبعةٍ من قريشٍ يعصبون بها ... ما إنْ يوازي بأعلى مِتنها الشجر[٥]
تعلو الهضاب وحلّوا في أرومتها ... أهلُ الرّباءِ وأهلُ الفخرِ إنْ فخروا[٦]
حُشْدٌ، على الحقّ عيّافوا الخنا أُنُفٌ ... إذا ألمّتْ بهم مكروهةٌ صبروا[٧]
أعطاهمُ اللَّهُ جدّاً يُنصرون به ... لا جدّ إلاّ صغيرٌ بعدُ محتقر
شُمسُ العداوةِ حتى يُستقاد لهم ... وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قدروا[٨]
هم الذين يبارون الرياح إذا ... قلَّ الطعامُ على العافين أو قتروا
بني أميّة نُعماكم مجلّلةٌ ... تمّتْ فلا مِنّةٌ فيها ولا كدر

❖ الفرزدق (ت ٧٣٢ م)

(والبيت يعرفه والحل والحرم)

من أشهر المدح وأصدقه وأروعه وأرقه مدح الفرزدق لعلي بن الحسين بن عليّ،

---

(١) ديوان الأخطل، ص: ١٥٧.
(٢) الغمر: الماء الكثير الجارف. والميمون طائره: كناية عن محالفة الخير له.
(٣) حوالبه: أمواجه. والعشر: نوع من الشجر.
(٤) مسوّم: فيه سمة وعلامة. والقتر: الغبار.
(٥) النبعة: شجرة صلبة. يعصبون بها. يلتفّون حولها. وهنا يتحدث عن مناقب بني أمية.
(٦) الأرومة: الأصل. والرباء: العظمة.
(٧) عيافو الخنا: كارهون للذل. أنف: أصحاب رفعة.
(٨) شمس العداوة: أشداء على أعدائهم. يستقاد لهم: يخضع لهم.

الملقب بـ «زين العابدين». أما الشاعر فهو همام بن غالب بن صعصعة، ويلقب بالفرزدق. من ألمع شعراء الدولة الأموية، وأكثرهم شهرة، عرف بهجائه لعدد كبير من الشعراء أبرزهم جرير والأخطل، غلب على نظمه الصعوبة والتعقيد، وغريب اللفظ. وله ديوان شعر مطبوع.

وأما المناسبة لهذا الشعر المدحي، وكما ذكرت كتب الرواية، فإن هشام بن عبد الملك حج البيت أيام خلافة والده فلم يستطع الوصول إلى الحجر الأسود في الكعبة لشدة الإزدحام، فنصب له مجلس راح يرقب منه الحجاج بانتظار أن يخف الزحام. وأثناء ذلك أقبل عليّ زين العابدين على الحجر الأسود فأفسح له الحجاج إجلالاً ومهابة، فتجاهل هشام هذا السيد الجليل وسأل: من هذا؟ وكان الفرزدق حاضراً، فأدرك قصده، وما عتم أن ارتجل هذه الأبيات المدحية الرائعة[١]:

هـذا الـذي تـعـرفُ الـبـطـحـاءُ وطـأتَـهُ ... والـبـيـتُ يـعـرفُـهُ والـحـلُّ والـحـرمُ[٢]

هـذا ابـنُ خـيـرِ عـبـادِ الـلّـهِ كـلِّـهـم ... هـذا الـتـقـيُّ الـنـقـيُّ الـطـاهـرُ الـعـلـمُ

إذا رأتـهُ قـريـشٌ قـالَ قـائـلُـهـا ... إلـى مـكـارمِ هـذا يـنـتـهـي الـكـرمُ

يـكـادُ يُـمـسـكُـه عـرفـانَ راحـتِـه ... ركـنُ الـحـطـيـمِ إذا مـا جـاءَ يـسـتـلِـمُ[٣]

فـي كـفِّـهِ خـيـزرانٌ ريـحُـه عـبـقٌ ... فـي كـفِّ أروعَ فـي عِـرنـيـنِـه شَـمَـمُ[٤]

يُـغـضـي حـيـاءً ويُـغـضَـى مـن مـهـابَـتِـهِ ... فـمـا يُـكـلَّـم إلاّ حـيـنَ يـبـتـسـمُ[٥]

مـسـتـقـبـلَ مِـن رسـولِ الـلّـهِ نـبـعـتُـهُ ... طـابـتْ عـنـاصـرُهُ والـخِـيـم والـشِّـيَـمُ[٦]

يُـنـمـى إلـى ذُروةِ الـديـنِ الـتـي قـصـرتْ ... عـن نـيـلـهـا عـربُ الإسـلام والـعـجـمُ

يـنـجـابُ نـورُ الـهـدى عـن نـورِ غـرّتِـه ... كـالـشـمسِ ينجابُ عن إشراقِها القتمُ[٧]

حـمّـالُ أثـقـالِ أقـوامٍ إذا افـتـدحـوا ... حـلـو الـشـمـائـلِ تـحـلـو عـنـده نـعـمُ[٨]

هـذا ابـن فـاطـمـةٍ إنْ كُـنـتَ جـاهـلَـه ... بـجـدِّهِ أنـبـيـاءُ الـلّـهِ قـد خُـتـمـوا

الـلّـهُ فـضّـلـهُ قِـدْمـاً وشـرّفـه ... جـرى بـذاك لـه فـي لـوحـه الـقـلـم

---

(١) زهر الآداب ١/ ٦٥ - ٦٧.

(٢) البطحاء: مكان مسيل الماء، وهنا المقصود أرض مكة. والوطأة: موضع القدم. والبيت: الكعبة. والحل: مكان إحلال الحاج. والحرم: مكان الإحرام.

(٣) عرفان راحته: أي من عرفان راحته، وكفّه. والحطيم: ما بين باب الكعبة ومصلّى إبراهيم.

(٤) عبق: ذكي. الأروع: الأكثر روعة وجمالاً. والعرنين: أعلى الأنف. والشمم: الارتفاع.

(٥) يغضي حياء: أي يغض بصره.

(٦) النبعة: واحدة النبع، وهو من أصلب الأشجار. والخيم: الخلق والطبا.

(٧) ينجاب: ينزاح. وغرته: جبينه. والقتم: الغبار والسواد.

(٨) افتدحوا: أصابهم فادحة وقحط ومجاعة. والشمائل: الصفات الحسنة.

مـن جـدُّه دان فـضـلُ الأنـبـيـاء لـه ... وفـضـلُ أمّـتـهِ دانـتْ لـه الأمـم
عـمَّ الـبـريّـةِ بـالإحـسـانِ فـانـقـشـعـتْ ... عـنـهـا الـغـيـابـةُ والإمـلاقُ والـظـلـم[١]
كـلـتـا يـديْـهِ غـيـاثٌ عـمَّ نـفـعـهُـمـا ... تُـسـتـو كـفـانِ ولا يـعـروهـمـا عـدم[٢]
سـهـل الـخـلـيـقـةِ لا تـخـشـى بـوادرهُ ... يـزينهُ اثـنـانِ: حسنُ الخُلْق والشيم[٣]
يُـخـلـفُ الـوعـدَ مـيـمـونٌ بـغـرّتـهِ ... رحبُ الـفـنـاءِ أريـبٌ حـيـنَ يـعـتـزم[٤]
مـا قـال: لا قـطُّ إلاّ فـي تـشـهُّـدِهِ ... لـولا الـتـشـهُـدُ كـانـتْ لاءه نَـعَـم[٥]
مِـن مـعـشـرٍ حـبُّـهـم ديـنٌ وبـغـضـهـمُ ... كـفـرٌ وقـربـهـمُ مـنـجـى ومـعـتـصـمُ
يُـسـتـدفـعُ الـسـوءُ والـبـلـوى بـحـبّـهـم ... ويُـسـتـربُّ بـهِ الإحـسـانُ والـنـعـم[٦]
مـقـدَّمٌ بـعـدَ ذكـرِ الـلّـهِ ذكـرهُـمَ ... فـي كـلِّ بـدءٍ ومـخـتـومٌ بـه الـكَـلِـمُ
إنْ عُـدَّ أهـلُ الـتـقـى كـانـوا أئـمّـتـهـم ... أو قِـيلَ مَـن خـيرُ أهـلِ الأرضِ قيلَ هُمُ
لا يـسـتـطـيـعُ جـوادٌ بُـعـدَ غـايـتـهـم ... ولا يُـدانـيـهـمُ قـومٌ وإن كـرمـوا
هـم الـغـيـوثُ إذا مـا أزمـةٌ أزمـتْ ... والأُسْـدُ الـشّـرى والـبـأسُ مـحـتـدِمُ[٧]
يـأبـى لـهـم أن يـحـلَّ الـذّمُ سـاحـتَـهـم ... خِـيـم كـريـمٌ وأيـدٍ بـالـنّـدى هُـضُـم
لا يُـنـقـص الـعـسـرُ بـسـطـاً مِـن أكـفّـهـم ... سـيّـان ذلـك إنْ أثـروا وإن عـدِمـوا
أيُّ الـخـلائـقِ لـيـسـتْ فـي رقـابـهـم ... لأولـيّـةِ هـذا أولـه نـعـمُ
مَـن يـعـرفِ الـلّـهَ يـعـرفْ أوّلـيـتُـهُ ... فـالـديـنُ مِـن بـيـتِ هـذا نـالـه الأمـم
ولـيـس قـولُـكَ مـن هـذا بـضـائـرِهِ ... الـعُـرْبُ تـعـرفُ مَـن أنـكـرتَ والـعـجـمُ[٨]

❖ ليلى الأخيلية

(قوم رباط الخيل وسط بيوتهم)

ومن جيد المدح ما قالته ليلى الأخيلية في بني مطرّف، أولئك القوم الذين يضرب المثل بهم في النجدة والمنعة والشجاعة، ولا سيما سيدهم وقائدهم عمرو بن الخليع. وليلى الأخيلية هي صاحبة توبة بن الحميّر، الشاعر العذري المعروف، وهي بنت عبدالله

---

(١) الإملاق: الفقر.
(٢) الغيث: المطر المستمر. وتستوكفان: تدعيان إلى الوكف. وهو نزول المطر.
(٣) الخليقة: الطبع. والبوادر: نزوات الغضب المفاجئة.
(٤) أريب: وافر العقل.
(٥) إشارة إلى قوله: أشهدُ أن لا إله إلاّ الله.
(٦) يستربّ: يصلح.
(٧) الأزمة: الشدة. والشرى: مكان تكثر فيه الأسود.
(٨) يقال إن الفرزدق لما أنشد هذه القصيدة، كان جزاءه السجن من قبل هشام. فهجاه، ثم اعتذر إليه ومدحه بقصيدة عارض فيها أبياته في هجائه.

ابن الرحال، من بني الأخيل. وهي والخنساء من ألمع شواعر العرب في العهد الإسلامي.

تقول ليلى في مدح آل مطرف، وتتوجه بالكلام محذّرة من أراد أن ينال من عمرو بن الخليع سيد آل مطرف[١]:

أتريدُ عمروَ بنَ الخليعِ ودونَهُ ... كعبٌ إذاً لوجدتَهُ مرؤوما[٢]
إنّ الخليعَ ورهطَهُ في عامرٍ ... كالقلبِ أُلبس جُؤجؤاً وحزيما[٣]
لا تغزونَّ الدهرَ آلَ مَطَرِّفٍ ... لا ظالماً أبداً ولا مظلوما
قومٌ رباطُ الخيلِ وسطَ بيوتِهم ... وأسنّةٌ زرقٌ تُخالُ نجوما[٤]
ومخرَّقٌ عنه القميص تخالُهُ ... وسطَ البيوتِ مِنَ الْحَياءِ سقيما[٥]
حتى إذا رُفِعَ اللواءَ رأيتَهُ ... تحتَ اللواءِ على الخميسِ زعيما

❖ **أبو عمرو بن المطرّز**

(وليس بهم إلاّ اتّقاء المعاير)

وقريب من المعنى السابق، وهو من أروع المدح، وينم عن ابتكار، ما أنشده أبو عمرو بن المطرز، وكان غلاماً لثعلب، يقول[٦]:

تخالُهُم لِلحلم صُمّاً عن الخنا ... وخرساً عن الفحشاء عند التهاتر
ومرضى إذا لاقوا حياء وعفّةً ... وعند الحروب كاللّيوث الخوادر
لهم عز إنصاف وعز تواضع ... بهم ولهم ذلّت رقاب العشائر
كأنَّ بهم وصماً يخافون عاره ... وليس بهم إلاّ اتّقاء المعاير[٧]

❖ **بعض غني**

(ولا يأكلون اللحم إلاّ تخذّما)

ومن جيد المدح إصابة معنى بكلام موجز، ما أنشده أبو قطن لبعض غنيّ في مدح قضاعة[٨]:

---

(١) ديوان الحماسة ٢/ ٢٧٦ - ٢٧٧. وهذه الأبيات تنسب أيضاً، كلها أو بعضها إلى الخنساء. أنظر: زهر الآداب ١/ ١٨٠.
(٢) كعب هذا، هو كعب بن ربيعة بن عامر. مرؤوم: من الرأم أي العطف والإشفاق.
(٣) رهط الرجل: خاصته. والجؤجؤ: الصدر. والحزيم: موضع الحزام، كناية عن العفة والمنعة.
(٤) رباط الخيل: موضع ربط الخيل، كناية عن القوة والمنعة.
(٥) سقيم: عليل. ومزق عنه القميص: كناية عن الإهتمام بالأمور العظام.
(٦) زهر الآداب ١/ ١٨١.
(٧) المعاير: العيوب. والوصم: السمة من العيب. والخنا: العيب.
(٨) الجاحظ: البيان والتبيين ١/ ٧٢.

فلو كنت مولى قيس عيلان لم تجد ... عليّ لمخلوق من الناس درهما[١]
ولكنني مولى قضاعة كلّها ... فلست أبالي أن أدين وتغرما[٢]
أولئك قوم بارك اللّه فيهم ... على كلّ حال ما أعفّ وأكرما
جفاة المحزّ لا يصيبون مفصلا ... ولا يأكلون اللحم إلاّ تخذّما[٣]

❖ كعب الغنوي

(جميل المحيّا شبّ وهو أديب)

ومن أرقّ المدح وأجزله وأكثره إيجازاً قول كعب بن سعيد الغنوي[٤]:

حبيب إلى الزوّار غشيان بيته ... جميل المحيّا شبّ وهو أديب[٥]
إذا ما تراءاه الجال تخفّظوا ... فلم تنطق العوراء وهو قريب[٦]
فتى لا يبالي أن يكون بجسمه ... إذا نال خلاّت الكرام سحوب[٧]
حليمٌ إذا ما الحلمُ زَيَّنَ أهلَه ... مع الحلم في عين العدوّ نجيب
حليفُ النّدى يدعو الندى فيجيبُه ... قريباً ويدعوه الندى فيجيب
يبيتُ الندى يا أم عمروٍ ضجيعَه ... إذا لم يكن في المنقياتِ حلوب

❖ امرأة إيادية

(وإن ألمّت فهو كافيها)

ومن جيد المدح ما قالته امرأة من إياد في شجاعة ابن عمرو، وسماحته ونجدته وعفّته. تقول[٨]:

الخيلُ تعلمُ يومَ الرَّوع إنْ هُزمتْ ... أنَّ ابنَ عمروٍ لدى الهيجاء يحميها[٩]
لم يُبدِ فحشاً ولم يُهددْ لمعظمةٍ ... وكلُّ مكرمةٍ يُلقى يساميها[١٠]
المستشارُ لأمرِ القومِ يحزنُهم ... إذا الهناتُ أهمَّ القومَ ما فيها[١١]

---

(١) قيس عيلان: إحدى أكبر قبائل العرب.
(٢) تغرم: تلزم بالغرم، وهو دفع الدين.
(٣) المحزّ: موضع الحز، وهو القطع وأثره فيه. والتخذم: المصدر من خذم الشيء، إذا قطعة. كناية عن الكرم وشبع النفس.
(٤) البيان والتبيين ١/ ١٠١ و٣/ ٥٤٠.
(٥) غشيان: إتيان. والمحيا: الطلعة.
(٦) تراآه: رأوه. والعوراء: صفة للكلمة القبيحة.
(٧) الخلات: جمع خلة، وهي الصفة، والحاجة.
(٨) ديوان الحماسة ٢/ ٣٧٩.
(٩) الروع: الفزع. والهيجاء: الحرب.
(١٠) يهدد: يبادر والمعظمة: الشيء العظيم والهائل. يساميها: يباريها.
(١١) الهنات: الأمور المخزية. ويحزنهم: يضيق عليهم.

لا يـرهـبُ الـجـارُ مـنـه غـدرةً أبـداً وإنْ ألـمّـتْ أمـورٌ فـهـو كـافـيـهـا

❖ ابن دارة

(وأنت جواد ليس تغدر بالعذل)

ومن جيد المدح، وأعجب سخاء الممدوح ما قاله ابن دارة لما دخل على عدي بن حاتم الطائي، في حياة الرسول ﷺ فقال: إني مدحتك. قال عدي: أمسك حتى آتيك بمالي، ثم أمدحني على حسبه، فإني أكره أن لا أعطيك ثمن ما تقول لي ألف شاة، وألف درهم، وثلاثة أعبد، وثلاث إماء، وفرسي هذا حبس في سبيل الله، فامدحني على حسب ما أخبرتك.

ولما قال ابن دارة أبياته الأربعة قال عدي: أمسك. لا يبلغ مالي أكثر من هذا. والأبيات هي التالي[١]:

تـحـنُّ قـلـوصـي فـي مـعـدٍّ وإنَّـمـا تـلاقي الـربـيـعَ فـي ديـارِ بـنـي ثُـعـلْ[٢]
وأبـقـى الـلـيـالـي مـن عـديّ بـن حـاتـم حساماً كنصلِ السيفِ سُلَّ من الخللْ
أبـوك جـوادٌ لا يُـشـقُّ غـبـارُهُ وأنـت جـوادٌ لـيـس تـغـدر بـالـعَـذلْ
فـإن تـفـعـلـوا شـراً فـمـثـلـكـمُ اتـقـى وإنْ تـفـعـلـوا خـيـراً فـمـثـلـكُـم فـعـلْ

❖ قُريط بن أنيف

(ليسوا من الشرفي شيء وإن هانا)

ومن أروع المدح ما قاله قريط بن أنيف العنبري في بني مازن من تميم، وكان مازن ابن مالك التميمي قد أنجد الشاعر وانتقم له من بني شيبان لما سلبوه ثلاثين بعيراً، فدفع له مازن وقومه مائة بعير من بعران بني شيبان. يقول قريط مادحاً حمية هؤلاء القوم وسرعة نجدتهم[٣]:

قـومٌ إذا الـشّـرُ أبـدي نـاجـذيْـهِ لـهـم طـاروا إلـيـه زرافـاتٍ ووحـدانـا[٤]
لا يـسـألـونَ أخـاهـم حـيـنَ يـنـدبُـهـم في النـائباتِ على ما قال برهانا[٥]
لـو كـنـتُ مـن مـازنٍ لـم تـستـبح إبـلـي بنـو الـشقيقةِ من ذهلِ بنِ شيبانا[٦]
إذاً لـقـامَ بـنـصـري مـعـشـرٌ خُـشُـنٌ عـنـدَ الـحـفـيـظـةِ إنْ ذو لُـوثـةٍ لانـا[٧]

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣/ ١٠٨.
(٢) القلوص: الناقة. ومعدّ، أم قبائل العرب.
(٣) ديوان الحماسة ١/ ٤ - ٥.
(٤) الناجذان: مثنى ناجذ، وهو الضرس. وإبداء النواجذ، كناية عن الشدة والصعوبة. والزرافات: الجماعات.
(٥) النائبات: الشدائد. يندبهم: يدعوهم.
(٦) تستبح: تصير مباحة للسلب. والشقيقة: هي بنت عباد بن يزيد الشيبانية. وذهل، هو ذهل بن شيبان.
(٧) الحفيظة: الغضب والإثارة. واللوثة: الضعف والخُرق.

لكنّ قومي وإن كانوا ذوي عددٍ ... ليسوا مِن الشرِ في شيء وإن هانا
فليتَ لي بهمُ قوماً إذا ركبوا ... شدّوا الإغارة فرساناً وركبانا

❖ القلاح المنقري

(إذا قال بذّ القائلين مقالة)

ومن جيد المدح وأبلغه ما قاله القلاح بن حزن المنقري في مثجور بن غيلان بن خرشة، المقدم في المنطق، زمن الحجاج[١]:

مثالُ متجور قليلٌ ومثلُه ... فتى الصدق إنْ صفّقْتَه كلَّ مصفقِ
وما كنتُ أشريه بدنيا عريضةٍ ... ولا بابنِ خال بين غرب ومشرق
إذا قال بذَّ القائلين مقالة ... ويأخذ من أكفائِه بالمخنق

❖ أبو الطمحان القيني

(كأني منهم ونسيت أهلي)

الشاعر هو أبو الطحمان حنظلة بن الشرقي، أحد بني القين من قضاعة. شاعر وفارس من فرسان الجاهلية، أدرك الإسلام فأسلم.

ولأبي الطمحان في مالك بن حمار الشمخي مدح جيد نقتطف منه هذه الأبيات[٢]:

سأمدحُ مالكاً في كلّ ركبٍ ... لقيتُهمُ وأترُكُ كلَّ رذْلِ
فما أنا والبكارة مِن مخاضٍ ... عظامِ جِلّةٍ سدسٍ وبُزلِ[٣]
وقد عرفتْ كلابُهمُ ثيابي ... كأنّي منهمُ ونسيتُ أهلي
نَمتْ بكَ من بني شُمَخٍ زنادٌ ... لها ما شئتَ من فرعٍ وأصل[٤]

(وكم فيهم من سيّد وابن سيّد)

ومن جيد مدح أبي الطمحان:

وكمْ فيهم من سيّدٍ وابنِ سيّدٍ ... وفيّ بعقدِ الجارِحينَ يُفارقُهْ
يكادُ الغمامُ الغرُّ يرعدُ إنْ رأى ... وجوهَ بني لأم وينهلُّ بارقه[٥]

---

(١) البيان والتبيين ١/ ١٨٠.
(٢) الجاحظ: الحيوان ١/ ٢١٠.
(٣) المخاض من الإبل: ما دخل في السنة الثانية من عمره. والجلة، العظام والبزل من الإبل، التي طلعت أنيابها.
(٤) الزناد: ما يقدح به النار. وشمخ، اسم قبيلة الممدوح.
(٥) الحيوان ٣/ ٣٩٥.

❖ كعب بن زهير (ت ٦٦٢ م)

(إن الرسول لسيف يستضاء به)

ومن أروع شعر المدح وأخلده على الدهر مدح كعب بن زهير بن أبي سلمى، للنبي ﷺ. وكان كعب، وهو الشاعر الجاهلي الذي أدرك الإسلام، قد أنشد قصيدته بين يدي النبي ﷺ بعد أن قبل توبته وإسلامه، فألقى عليه النبي بردته، وإنا لنقتطف منها هذه الأبيات التي بدأها بالغزل[١]:

بانتْ سعاد فقلبي اليومَ متبولُ ... متيّمٌ إثرَها لم يُفدْ مكبول[٢]

وما سعادُ غداةَ البينِ إذ رحلوا ... إلاّ أغنُّ غضيضُ الطّرفِ مكحول[٣]

إنَّ الرسولَ لَسيفٌ يستضاءُ بهِ ... مهنَّدٌ مِن سيوفِ اللَّهِ مسلول[٤]

في عصبةٍ منْ قريشٍ قال قائلُهم ... ببطنِ مكّةَ لمَّا أسلموا: زولوا[٥]

زالوا فما زالَ أنكاسٌ ولا كُشُفٌ ... عندَ اللقاءِ ولا مِيلٌ معازيلُ[٦]

شمُّ العرانينَ أبطالٌ لَبوسُهُمُ ... مِن نسجِ داوودَ في الهيجا سرابيل[٧]

لا يفرحون إذا نالتْ رماحُهمُ ... قوماً ولَيسوا مجازيعاً إذا نيلوا[٨]

لا يقعُ الطعنُ إلاّ في نحورِهِم ... وما لهمْ عن حياضِ الموتِ تهليل[٩]

❖ حسان بن ثابت (ت ٦٧٤ م)

(شمّ الأنوف من الطراز الأول)

هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصاري، أشعر أهل المدر في الجاهلية والإسلام. مدح النبي ﷺ بقصائد غراء، وهجا خصوم الدعوة الإسلامية فأسكتهم. ولحسان في الجاهلية والإسلام شعر في المدح الجيد، منه هذا الذي قاله في مدح عمرو بن الحارث وقومه الغساسنة[١٠]:

لِلَّهِ درُّ عصابةٍ نادمْتُهُمْ ... يوماً بجلّقَ في الزمانِ الأولِ

---

(١) ديوان كعب بن زهير بن أبي سلمى، ص: ٦ - ٧.

(٢) سعاد: حبيبة الشاعر. مبتول: ذاهب العقل من الحب. ومثله المتيّم. والمكبول: المكبل بالأصفاد.

(٣) الأغن: صفة للظبي، وهو الذي في صوته غنّة. غضيض الطرف: ناعم الطرف، رقيق النظر.

(٤) المهند: صفة للسيف المصنوع في الهند. مسلول: مشهور من غمده.

(٥) العصبة: الجماعة. زولوا: هاجروا.

(٦) أنكاس: جبناء، جمع نكس. وميل: جمع أميل، وهو من لا سلاح له ولا خيل في الحرب. ومثلها المعازيل.

(٧) شم العرانين: مرتفعو الأنوف. كناية عن الأنفة والكبرياء. واللبوس، كناية عن الدروع. وداود، هنا، النبيّ الذي كان يصنع الدروع. والهيجا: الحرب.

(٨) مجازيع: جمع مجزاع، وهو الكثير الخوف والجزع.

(٩) هنا كناية عن مواجهة الموت بالصدور، وعدم الهرب. والتهليل: الهرب.

(١٠) ديوان حسان بن ثابت، ص: ٣٠٩. وأنظر: الحيوان ١/ ٢١٠.

أولادُ جفنةَ حولَ قبرِ أبيهم ... قبرِ ابن ماريةَ الكريمِ المفضل[١]
بيضُ الوجوهِ نقيَّةٌ حُجُزاتُهم ... شُمُّ الأنوفِ مِن الطِّرازِ الأولِ[٢]
يُغْشونَ حتى ما تهرّ كلابُهم ... لا يَسألون عنِ السوادِ المقبل[٣]
يسقونَ من وردَ البريصَ عليهمُ ... كأساً تصفَّقُ بالرحيقِ السّلسل[٤]

(فكل سبق لأدنى سبقهم تبع)

ومن بديع شعر المدح ما قاله حسان في الأنصار، وهم الذين نصروا النبي ﷺ وأبلوا بلاء حسناً في الذود عن حياض الدين. يقول حسان[٥]:

قوم إذا حاربوا ضرّوا عدوّهم ... أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجيّة تلك منهم غير محدثة ... إن الخلائق فاعلم شرّها البدع[٦]
لا يرقع الناس ما أوهت أكفّهم ... عند الرقاعِ ولا يوهون ما رقعوا
إن كان في الناس سبّاقون بعدهم ... فكلّ سبقٍ لأدنى سبقهم تبع
يسمون للحرب تبدو وهي كالحة ... إذا الزعانف من أظفارها خشعوا[٧]
لا يفرحون إذا نالوا عدوّهم ... وإن أصيبوا فلا خور ولا جزع
كأنّهم في الوغى والموت مكتنع ... أسود بيشة في أرساغها فدع[٨]

❖ النابغة الجعدي (ت حوالي ٦٨٠ م)

(حتى خفت أن اتنصّرا)

الشاعر هو أبو ليلى حسان بن قيس الجعدي، الملقب بالنابغة وهو غير النابغة الذبياني، الشاعر الذائع الصيت في الجاهلية. عمّر الجعدي طويلاً، فأدرك الإسلام ولحق بعض خلفاء بني أمية. وكان في الجاهلية ممن أنكر عبادة الأوثان.

وللنابغة مع المنذر بن النعمان أيام الجاهلية ذكريات عذاب. ولقد مدحه بعدة قصائد نقتطف من إحداها هذه الأبيات المدحية الرائعة[٩]:

---

(١) أولاد جفنة: هم الغساسنة، وجفنة أحد ملوكهم.
(٢) نقية حجزاتهم، كناية عن العفّة. وشم الأنوف، كناية عن الكبرياء.
(٣) يغشون: يزارون. ما تهر كلابهم، كناية عن تعودهم غشيان الناس لهم.
(٤) البريص: اسم موضع. تصفق: تملأ. والرحيق: أطيب الخمر. والسلسل: البارد.
(٥) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ص: ٢٤٨. تحقيق سيّد حنفي. ط دار الكتب المصرية. القاهرة ١٩٧٤ م.
(٦) السجية: الخلق. والبدع: ما كان مخترعاً على غير مثال سابق.
(٧) كالحة: عابسة، والزعانف: جمع زعنفة وهو من الرجال القصير الرذل.
وخشعوا: فزعوا.
(٨) بيشة: مكان تكثر فيه الأسود. ومكتنع: حاضر. والوغى: الحرب. والفدع: الإعوجاج.
(٩) عطاالله رشيد يوسف، تاريخ الأداب العربية ١/ ١٥٤.

نـدامـايَ عـنـدَ الـمـنـذرِ بـنِ مـحـرّقٍ أرى اليومَ منهم ظاهرَ الأرضِ مقفرا[١]
كـهـولاً وشـبّـانـاً كـأنَّ وجـوهَـهـم دنانيرُ ممّا شيفَ في أرضِ قيصرا[٢]
ومـا زلـتُ أسـعـى بـيـنَ بـابٍ وداره بـنـجـرانَ حـتـى خـفـتُ أن أتـنـصّـرا
لـدى مـلـكٍ مـن آلِ جـفـنـةَ خـالُـه وجـدّاهُ مـن آلِ امـرىءِ الـقـيـسِ أزهـرا
يُـديـرُ عـلـيـنـا كـأسَـه وشـواءه مـناصـفـةً والـحـضـرميّ الـمـحـبّـرا[٣]
رحـيـقـاً عـراقـيّـاً وَرَيْـطـاً شـآمـيّـاً ومـعـتـبـطـاً مِـن مـسـكِ دارينَ أذفـرا[٤]

❖ خلف بن خليفة

(وإن غضبوا في موطن رخص القتل)

ومن جيد المدح وأروعه مدح خلف بن خليفة لبني شيبان. وخلف بن خليفة كان مولى لقيس بن ثعلبة، وهو شاعر إسلامي أموي عاصر الفرزدق وجريراً، وعرف بالأقطع لسرقة قام بها فقطعت يده، يقول خلف مادحاً بني شيبان بالمجد والشجاعة والمنعة والنجدة والنقاء والإحسان والحلم وقوة الشكيمة[٥]:

عـدلـتُ إلـى فـخـرِ الـعـشـيـرةِ والـهـوى إلـيـهـمْ وفـي تـعـدادِ مـجـدهـمُ شـغـلُ
إلـى هـضـبـةٍ مـن آلِ شـيـبـانَ أشـرفـتْ لـها الـذروةُ الـعـلـيـاءُ والـكـاهـلُ الـعـبـل[٦]
إلـى الـنَّـفَـرِ الـبـيـضِ الألاءِ كـأنّـهـم صـفـائـحُ يـوم الـرَّوْعِ أخـلـصـهـا الـصّـقـل[٧]
إلـى مـعـدنِ الـعـزِّ الـمـؤيّـدِ والـنـدى هـنـاك هـنـاكَ الـفـضـلُ والـخـلـقُ الـجـزل
أحـبُّ بـقـاءَ الـقـومِ لـلـنـاس أنـهـم متى يَظعنوا مِن مصرهم ساعةً يخلو[٨]
عِـذابٌ عـلـى الأفـواهِ مـا لـم يـذقْـهـمُ عـدوٌّ وبـالأفـواهِ أسـمـاؤُهـم تـحـلـو
عـلـيـهـم وقـارُ الـحِـلـم حـتـى كـأنّـمـا ولـيـدُهُـم مِـن أجـلِ هـيـبـتـهِ كـهـل
هـم الـجـبـل الأعـلـى إذا مـا تـنـاكـرت مـلـوكُ الـرجـالِ أو تـخـاطـرتْ الْـبُـزُل[٩]
ألـم تـرَ أنَّ الـقـتـلَ غـالٍ إذا رضُـوا وإنْ غـضـبـوا فـي مـوطـنٍ رخـص الـقـتـل

---

(١) المحرق، هو جفنة بن المنذر الأكبر، والندامى: رفاق الشراب.
(٢) شيف: جُلي وصقل.
(٣) الحضرمي: المنسوب إلى حضرموت، شرقي عدن. والمحبر: الحسن الجميل.
(٤) الرحيق: الخمرة. والريط: جمع ريطة، وهي الملاءة. ودارين: اسم بلدة بالبحرين كان المسك يحمل فيها من الهند. وأذفر: ذو رائحة نافذة.
(٥) ديوان الحماسة ٢/ ٣٦١ - ٣٦٤.
(٦) الكاهل: ما بين الكتفين. والعبل: الضخم.
(٧) الصفائح: السيوف. والروع: الفزع.
(٨) يظعنوا: يرحلوا. والمصر: البلد الذي يقيمون فيه.
(٩) البزل: جمع بازل، وهي الناقة المسنّة.

لنا فيهم حصنٌ حصينٌ ومعقلٌ ... إذا حرّك الناسَ المخاوفَ والأزل[١]
لعمري لنعم الحيُّ يدعو صريخهم ... إذا الجارُ والمأكول أرهقه الأكل
سُعاةُ على أفناءِ بكرِ بنِ وائلٍ ... وقَبلُ أقاصِي قومِهم لهمُ تبل[٢]
إذا طلبوا ذحلاً فلا الذحلُ فائتٌ ... وإن ظلموا أكفاءهم بطلَ الذحل[٣]
مواعيدُهم فعلٌ إذا ما تكلموا ... بتلك التي إنْ سُمّيَتْ وجبَ الفعل
بحورٌ تلاقيها بحورٌ غزيرةٌ ... إذا زفرتْ قيسٌ وإخوتُها ذُهل[٤]

❖ **الأحوص (ت ١٠٨ هـ)**

(وأراك تفعل ما تقول)

الأحوص لقب الشاعر، وكنيته أبو محمد، واسمه عبدالله بن محمد الأنصاري، من شعراء الدولة الأموية. عرف بخبث لسانه ولم ينجُ من هجائه أحد، ومع ذلك فهو شاعر مجيد فصيح، ولشعره رونق وصفاء وعذوبة. ومن أروع مدحه ما قاله في الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، قبل أن يصير خليفة، وهي تبدأ بمطلع غزلي استهله بالقول:

يا بيتَ عاتكةَ الذي أتغزّلُ ... حذِرَ العِدى وبهِ الفؤادُ موكّلُ

أما الأبيات المدحية فنقتطف منها ما يلي[٥]:

ماضٍ على حدثِ الأمورِ كأنّه ... ذو رونقٍ غضبٌ جلاهُ الصَّيْقَلُ[٦]
تُبدِي الرجالُ إذا بدا إعظامَه ... حذَرَ البُغاثِ هوى لهنَّ الأجدل[٧]
فيرَوْنَ أنَّ له عليهمْ سورةً ... وفضيلةً سبقتْ له لا تُجهل[٨]
متحمِّلٌ ثقلَ الأمورِ هوى له ... سبقَ المكارم سابقٌ متمهّل
وله إذا نُسبتْ قريشٌ منهمُ ... مجدُ الأرومةِ والفعالُ الأفضل[٩]
ولقد بدأت أريدُ ودَّ معاشرٍ ... وعدوا مواعدَ أخلفتْ أنْ حصّلوا
حتى إذا رجعَ اليقينُ مطامعي ... بأساً وأخلفني الذين أؤمّل
زايلتُ ما صنعوا إليكَ برحلةٍ ... عجلى وعندك عنهمُ متحوّل
ووعدتَني في حاجة فصدقْتني ... ووفيتَ إذْ كذبوا الحديثَ وبدّلوا

---

(١) الأزل: الشدّة والضيق.
(٢) التبل: الثأر. وأفناء بكر: قبائلها.
(٣) الذحل: الثأر.
(٤) قيس: من قبائل العرب الكبيرة. وذهل: اسم قبيلة من بني شيبان.
(٥) تاريخ الآداب العربية ١/ ٢٠١ -٢٠٢.
(٦) الصيقل: الذي يجلو السيوف. والعضب: السيف.
(٧) الأجدل: الصقر. والبغاث: صغار الطير.
(٨) السورة: السطوة والبأس.
(٩) الأرومة: الأصل.

وأراكَ تفعلُ ما تقولُ وبعضُهم مذِقُ الحديثِ يقولُ ما لا يفعل[١]

❖ الجهضميّة

(بصير بعورات الكلام)

ومن جيد المدح ما قالته الجهضميّة في مدح حماس بن ثامل، وهي تشيد ببلاغته وفصاحته خاصة:

وذو خُطبٍ يوماً إذا القومُ أفحموا تُصيبُ مرادي قوله ما يحاولُ
بصيرٌ بعوْراتِ الكلامِ إذا التقى شريجانِ بين القوم: حقٌّ وباطل
أتِيٌّ لمَّا يأتي الكريمُ بسيفِهِ وإنْ أسلمتْهُ جندُه والقبائل
وليس بمعطاءِ الظلامةِ عن يدٍ ولا دونَ أعلى سورةِ المجدِ قابل[٢]

❖ أحدهم

(ولا خالط حقاً مصيباً بباطل)

وقال أحدهم مادحاً خلق الممدوح وأدبه وعفافه وكفاف عيشه[٣]:

فتىً مثلُ صَفْوِ الماءِ ليسَ بباخلٍ عليكَ ولا مُهد ملاماً لباخل
ولا قائل عوراءَ تؤذي رفيقه ولا رافع رأساً بعوراءِ قائل[٤]
ولا مسلم مولىً لأمرٍ يصيبُه ولا خالِطٍ حقاً مصيباً بباطل
ولا رافع أحدوثةَ السّوءِ معجباً بها بينَ أيدي المجلسِ المتقابلِ[٥]
ترى أهله في نعمةٍ وهو شاحبٌ طوى البطن مخماص الضحى والأصائل[٦]

❖ أخت يزيد بن الطثرية

(يسزك مظلوماً ويرضيك ظالماً)

وقريب من هذا المدح الجيد أخت يزيد بن الطثرية في أخيها يزيد[٧]:

فتىً قُدَّ قدَّ السيفِ لا متضائلٌ ولا رهِلٌ لبَّاتُه وبآدلُه[٨]
فتىً لا يُرى خرقَ القميصِ بخصرِهِ ولكنَّما توهي القميصَ كواهله

---

(١) مذق الحديث: كاذبه.
(٢) البيان والتبيين ١/ ١٢٢. والسورة: الوثبة.
(٣) البيان والتبيين ١/ ١٢٣.
(٤) العوراء من القول: القول البذيء والفاحش.
(٥) الأحدوثة: ما يتحدث به.
(٦) طوى البطن: ضامره. والمخماص: من المخمصة. وهي الجوع.
(٧) البيان والتبيين ١/ ١٢٣.
(٨) رهل: مسترخي اللحم. واللبات، جمع لبّة، وهي موضع القلادة من العنق. والبآدل، جمع بأدلة، وهي اللحمة الناتئة بين العنق والترقوة.

إذا نـزلَ الأضـيـافُ كـان عَـذَوَّراً ... على الحيِّ حتى تستقلَّ مراجله[١]
يسرُّكَ مظلوماً ويُرضيكَ ظالماً ... وكلُّ الذي حمّلْتَه فهو حامله
أخو الجدّ إنْ جدَّ الرجالُ وشمَّروا ... وذو باطلٍ إنْ شئتَ ألهاكَ باطله

❖ عمرو بن كميل

(ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلّت)

ومن جيد شعر المدح ما قاله عمرو بن كميل في عمرو بن ذكوان، وكان هذا، أي الممدوح قد نظر إلى الشاعر فوجد أن عليه جبة بلا قميص فسعى له وتشفع حتى ولي البصرة، فقال الشاعر يمدحه[٢]:

سأشكُر عَمراً إنْ تراختْ منيّتي ... أياديَ لم تُمنن وإنْ هيَ جلَّتِ[٣]
فتىً غيرُ محجوبِ الغنى عن صديقه ... ولا مظهرُ الشكوى إذا النّعْلُ زلَّتِ[٤]
رأى خلّتي من حيثُ يخفى مكانُها ... فكانتْ قذى عينيْهِ حتى تجلّت[٥]

❖ أبو زياد الأعرابي

(ولكن كان أرحبهم ذراعاً)

ومن جيد المدح بيتان من الشعر لشاعر إسلامي عاش حتى زمن بني العباس وهو أبو زياد الأعرابي، قالها في أحد الممدوحين، وهما التاليان[٦]:

لـه نـارٌ تُـشـبُّ عـلـى يـفـاعٍ ... إذا الـنـيـرانُ أُلـبـستِ الْـقِـنـاعـا[٧]
ولـم يـكُ أكـثـرَ الـفـتـيـانِ مـالاً ... ولـكـنْ كـانَ أحـبَـهـم ذراعـا[٨]

❖ بعضهم

(إذا قلت عودوا عاد كل شمردل)

ومن أروع المدح وجيده هذه الأبيات قالها بعضهم وهي في مدح غالب، العشيرة، حيث النجدة والشجاعة والثبات في الشدائد. والأبيات هي التالية[٩]:

---

(١) العذوّر: السيء الخلق. وهنا جعلته عذوراً لشدة تهمّمه بأمر الأضياف. والمراجل، جمع مرجل، وهو القِدر.
(٢) ديوان الحماسة ٢/ ٢٦٦. وفي الكامل ١/ ٢١٤. والأغاني ١٤/ ٢١٢-٢١٣ الأبيات تنسب إلى عبد الله بن الزبير الأسدي. وفي الأغاني أن الممدوح هو عمرو بن عثمان بن عفان.
(٣) لم تمنن: لم يلحقها منّة، وهي التي لا يلحقها أذى. جلّت: عظمت.
(٤) ذلك النعل: كناية عن الفقر والحاجة.
(٥) الخلّة: الحاجة. وقذى العين: ما يدخل إليها من غبار وغيره.
(٦) ديوان الحماسة ٢/ ٢٦٩.
(٧) تشب: توقد. واليفاع: المكان المرتفع. وألبست النيران القناع، كناية عن خمودها.
(٨) أرحبهم ذراعا، كناية عن النجدة والسخاء.
(٩) ديوان الحماسة ٢/ ٣٠٨-٣٠٩.

جزى اللّهُ خيراً غالباً مِن عشيرةٍ إذا حدثانُ الدهرِ نابتْ نوائبُهْ[١]
فكم دافعوا مِن كربةٍ قد تلاحمت عليَّ وموجٍ قد علتْني غواربه[٢]
إذا قلتُ عودوا عاد كلُّ شمردلٍ أشمّ مِن الْفِتيانِ جزلٍ مواهبه[٣]
إذا أخذتْ بزل المخاض سلاحَها تجرّد فيها متلفُ المال كاسبه[٤]

❖ بعضهم

(آل المهلب قوم خوّلوا شرفا)

ومن الشعر المدحي الجيد ما قاله بعضهم في آل المهلّب بن أبي صفرة[٥]:

آلُ المهلّبِ قومٌ خُوِّلُوا شرفاً ما ناله عربيٌّ لا ولا كادا[٦]
لو قيل للمجدِ جِدْ عنهمْ وخالِهِم بمَا اختكمتَ من الدنيا لما حادا[٧]
إنَّ المكارمَ أرواحٌ يكونُ لها آلُ المهلبِ دونَ الناس أجسادا

❖ طريح بن إسماعيل

(فقصّرت مغلوباً وإني شاكر)

ومن جيد المدح ما قاله طريح بن إسماعيل في خالد بن عبدالله القسري، وفيه يشكر الشاعر خالداً لصنيعه، ويرى نفسه أنه مقصر في حق الممدوح الذي يعطي الكثير ويراه حقيراً، لا لشيء إلاّ لعلو همته واعتياده الجود والسخاء. وطريح هذا، هو أبو الصلت ابن إسماعيل الثقفي، شاعر أموي مدح الوليد بن يزيد فأدناه منه وقربه إليه وصار من نداماه. توفي طريح في أيام الخليفة العباسي المهدي.

يقول طريح[٨]:

طلبتُ ابتغاءَ الشّكرِ في ما صنعتَ بي فقصّرتُ مغلوباً وإنّي شاكرُ
وقد كنتَ تُعطيني الجزيلَ بديهةً وأنتَ لما استكثرتُ مِن ذاك حاقر[٩]
فأرجعُ مغبوطاً وترجعُ بالتي لها أوّلٌ في المكرماتِ وآخر[١٠]

---

(١) حدثان الدهر: نوائبه.
(٢) الكربة: الهم. وتلاحمت: اشتدت. وغوارب الموج: أعلاه.
(٣) الشمردل: الطويل. والأشم: من به شمم وارتفاع. وجزل: كثير.
(٤) البزل من النوق: القوية، جمع بازل. والمخاض منها: الحوامل.
(٥) ديوان الحماسة ٢/ ٣٧٥.
(٦) خوّلوا: ملّكوا.
(٧) خالهم: تخلّ عنهم.
(٨) أبو تمام: ديوان الحماسة ٢/ ٢٦٥.
(٩) بديهة: من غير سؤال. والجزيل: الكثير.
(١٠) مغبوطاً: مسروراً.

فقلتُ له خيراً وأثنيتُ فعلَهُ وأوفاكَ ما أسدَيْتَ مَن ذمَّ شاكر

❖ المساور بن هند

(والضيف غير مهان)

الشاعر هو أبو الصمعاء مساور بن هند بن قيس بن زهير، من شعراء الجاهلية والإسلام، فهو من المخضرمين. والأبيات التالية في مدح بني هند وبني سعد الذين يهرعون للنصرة، ويدافعون عن الجار، والذين يحفظون العهد ولا ينقضونه، والأبيات من الشعر المدحي المجيد، يقول المساور[١]:

فداً لِبني هندٍ غداةَ دعوتُهم بجوٍّ وبالَ النفسُ والأبوانِ
إذا جارةُ شُلَّتِ لِسعدِ بنِ مالكٍ لها إبلٌ شلَّتْ لها إبلان[٢]
إذا عُقدتْ أفناءُ سعدِ بنِ مالكٍ لها ذمَّةٌ عزَّتْ بكلّ مكان[٣]
إذا سُئِلُوا ما ليسَ بالحقِّ فيهمُ أبى كلُّ مجنيٍّ عليه وجاني
ودارِ حفاظٍ قد حللْتم مهانةٍ بها نيبُكم والضّيفُ غيرُ مهان[٤]

❖ نصيب

(وإذا خليليك السماحة والندى)

يعتبر نصيب، ابن رياح، وكان مولى لعبد العزيز بن مروان إبان العهد الأموي، من المقدمين في النسيب والمديح، ومن الشعراء المفلقين فصاحة وسلاسة. وله في عمر بن عبيدالله بن معمر التيمي قصيدة مدحية رائعة نقتطف منها هذه الأبيات[٥]:

فَوَاللّهِ ما يدري امرءٌ ذو جنابةٍ ولا جارُ بيتٍ أيُّ يومَيكَ أجْوَدُ[٦]
أيومٌ إذا ألفيْتَهُ ذا يسارةٍ فأعطيتَ عفواً منكَ أمْ يومَ تُجهد[٧]
وإنّ خليلَيْكَ السماحةُ والندى مقيمانِ بالمعروفِ ما دمتَ توجد
مقيمانِ ليسا تاركيْكَ لَخِلَّةٍ منَ الدّهرِ حتى يُفقدا حين تُفقد[٨]

---

(١) ديوان الحماسة ٢/ ٣٠٨.
(٢) ويال: اسم ماء لبني عبس. والجو: مطمئن الأرض. شلّت: طردت. ومعنى البيت أن كل إبل تطرد لجارتهم، يطردون من أجلها إبلين.
(٣) المقصود بأفناء سعد، هنا: قبائلهم.
(٤) النيب: جمع ناب، وهي الناقة المسنّة. والنيب المهانة، كناية عن ذبحها ونحرها للضيوف.
(٥) ديوان الحماسة ٢/ ٣٧٢-٣٧٣.
(٦) الجناية: الغربة.
(٧) اليسار: اليسر والغنى. وتجهد: تعيا وتفسر.
(٨) الخلة: الحاجة والفقر.

ولنصيب من رائع المدح بيتان مشهوران قال فيهما كثيّر: لوددت أني سبقت الأسود، أو العبد - أي نصيباً - إليهما، وهما:

مِنَ النَّفر البيضِ الذين إذا انْتَجوْا ... أقرّتْ لنجواهم لُؤَيُّ بنُ غالب
يُحَيّوْنَ بسّامين طوراً وتارة ... يُحيَّوْنَ عبّاسين شُوسَ الحواجب[1]

❖ **زياد الأعجم (ت ٧٢٥ م)**

(ليس خلّته بمذق)

ومن الذين مدحوا عمر بن عبيدالله التيمي، زياد الأعجم، سمي بذلك للكنة أعجمية في لسانه، وذلك على الرغم من فصاحته وبيانه. يقول زياد مادحاً عمر[2]:

أخٌ لَكَ ليسَ خلّتُه بمَذْقٍ ... إذا ما عادَ فقرُ أخيه عادا[3]
أخٌ لكَ لا تراه الدهرَ إلاّ ... على العِلاّتِ بسّاماً جوادا[4]

(يا خير من صعد المنابر)

وله في مدح عبدالله بن الحشرج، وكان جواداً ميسوراً:

إنَّ السماحةَ والمروءة والندى ... في قُبّةٍ ضُربتْ على ابْنِ الحشرجِ
ملكٌ أغرٌ متوّجٌ ذو نائلٍ ... للمعتقين يمينُه لم تشنج
يا خير مَن صعدَ المنابرَ بالتقى ... بعد النبيّ المصطفى المتحرّج
لما أتيتك راجياً لنوالِكم ... ألفيتُ بابَ نوالِكم لم يُرتج[5]

❖ **ابن عبدل**

(بعيد مراد العين)

ومن جيد المدح وأقربه تناولاً ما قاله الحكم بن عبدل في المدعو بشر. والحكم بن عبدل شاعر إسلامي عاش في الدولة الأموية. قضى معظم أيامه مادحاً ثم ترك هذا الشعر في أواخر أيامه. يقول الحكم في بشر وقد أخذ بسماحته وطلاقته[6]:

ولو شاءَ بِشرٌ كان مِن دونِ بابِهِ ... طماطمٌ سودٌ أو صقالبةٌ حُمْرُ[7]

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ١/ ١٠٥. والنجوى: إسرار الحديث، وهم القوم المتناجون. والشوس: المتكبرون.
(٢) ديوان الحماسة ٢/ ٣٧٧.
(٣) الخلة: المودة والصحبة. والمذق: السيئة، والتي يشوبها شيء من الكدر.
(٤) العلات: الأحوال.
(٥) الأغاني ١٥/ ٣٠٧. ويرتج: يغلق. والمتحرج: المجانب للإثم. والمعتفون: الطالبون للفضل. وتشنج: تتقبض. والنائل: العطية.
(٦) البيان والتبيين ٣/ ٥٣٢.
(٧) طماطم: أي فيهم طمطمانية وعجمة فهم لا يحسنون إخراج الكلام مخرجه الصحيح. والمقصود بهم الخدم السود. والصقالبة: المنسوبون إلى صقلية، وهم الخدم البيض والحمر.

ولكنَّ بشراً سهّل البابَ للتي ... يكون لِبشرٍ عندها الحمد والأجر
بعيدُ مرادِ العينِ ما ردَّ طرفَه ... حذارَ الغواشي بابَ دارٍ ولا ستر[١]

❖ **الراعي (ت ٩٠ هـ)**

(رجاؤك أنساني تذكر إخوتي)

ومن جيد المدح ما قاله عبيد بن حصين بن معاوية النمري، الملقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل، وهو من فحول شعراء الدولة الأموية[٢]:

وقد قادني الجيرانُ حيناً وقدْتُهم ... وفارقتُ حتى ما تحنُّ جماليا
رجاؤُكَ أنساني تذكّر إخوتي ... ومالُكَ أنساني بِوَهْبَينَ ماليا[٣]

❖ **ذو الرّمة (ت ١١٧ هـ/ ٧٣٦ م)**

(أزور فتى نجداً كريماً يمانياً)

ومن جيد المدح ما قاله أبو الحارث غيلان بن عقبة، الملقب بذي الرّمة أحد عشاق العرب المشهورين، وألمع الشعراء الأمويين، في بلال بن أبي بردة، وكان أميراً على البصرة، وقاضياً، يقول ذو الرّمة مادحاً بلالاً[٤]:

وما كنتُ مذْ أبصرتِني في خصومةٍ ... أراجعُ فيها يا ابنةَ الخيرِ قاضيا
ولكنّني أقبلتُ مِن جانبيْ قسا ... أزورُ فتىً نجداً كريماً يمانيا[٥]
مِن آلِ أبي موسى ترى القومَ حولَه ... كأنَّهمُ الكِرْوانُ أبصرْنَ بازيا[٦]
مُرمّين مِن ليثٍ عليه مهابةٌ ... تفادي أسودُ الغابِ منه تفاديا
وما الخُرْقُ منه يرهبون ولا الخنا ... عليهمْ ولكنْ هيبةٌ هي ما هيا[٧]

(رفعت مجد تميم)

ومن جيد مدح ذي الرمة مدحه هلال بن أحوز المازني.

يقول ذو الرّمة[٨]:

رفعتَ مجد تميمٍ يا هلالُ لها ... رفعَ الطّرافِ على العلياءِ بالعمدِ[٩]

---

(١) الغواشي: جمع غاشية، وهي الطامة والداهية.
(٢) ديوان الحماسة ١/ ٩٧.
(٣) وهبين: اسم موضع معين.
(٤) الكامل في اللغة ١/ ٢٧٠.
(٥) قسا: اسم موضع في بلاد تميم.
(٦) الكِروان: ومفرده كُروان، هو طائر معروف. والبازي: معروف أيضاً، من الطيور الكاسرة.
(٧) الخرق: الحمق والجهل.
(٨) الكامل في اللغة ١/ ٣٢.
(٩) الطراف: جمع طرف، وهو جانب كل شيء ومنتهاه.

حتى نساءُ تميم وهي نازحةٌ ... بقُلّةِ الحَزْنِ فالصّمّانِ فالعَقَدِ[١]
لو يستطعْن إذا ضافَتكَ مُجحفةٌ ... وقينك الموت بالآباءِ والولدِ[٢]

(تناخي عند خير فتى يمانٍ)

ومن جيد المدح إصابة للمعنى قول ذي الرّمة في مدح بلال بن أبي بردة[٣]:

تناخي عندَ خيرِ فتىً يمانٍ ... إذا النّكباءِ عارضتِ الشّمالا[٤]
وخيرِهِم مآثر أهلِ بيتٍ ... وأكرمِهم وإنْ كرموا فعالا
وأبعدِهم مسافةَ غورِ عقلٍ ... إذا ما الأمرُ في الشُّبهاتِ عالا[٥]
فصلتَ بحكمةٍ فأصبْت منها ... فصوصَ الحقِّ فانفصل انفصالا

❖ ابن ميادة (ت ١٤٠ هـ)

(نصر الحجاز بغيث عبد الواحد)

ومن روائع شعر المدح، ما قاله ابن ميادة في عبد الواحد بن سليمان. وابن ميادة، نسبة إلى أمه الفارسية، هو الرماح بن أبرد الذبياني، الشاعر الأموي والعباسي أيضاً، والذي عرف بمهاجاته الشعراء ومدح الخلفاء والأمراء الذين كان منهم عبد الواحد بن سليمان. يقول ابن ميادة[٦]:

مَن كان أخطأه الربيعُ فإنّه ... نُصرَ الحجازُ بِغيثِ عبدِ الواحدِ
سبقتْ أوائلُه أواخرَ نوئِه ... بمشرَّعٍ عذبٍ ونبتٍ واعدِ[٧]
لانتْ وغرَّقها النعيمُ وشُرّبتْ ... طيبَ العراقِ فنعمَ عصنُ العاضد[٨]
إنّ المدينةَ أصبحتْ معمورةً ... بمتوَّجٍ حلوِ الشمائلِ ماجدِ[٩]
كالغيثِ مِن عرضِ الفراتِ تهافتتْ ... سبلٌ إليه بصادرٍ أو واردِ[١٠]

* * *

(١) القلعة: رأس الجبل. والصمان: الأرض الغليظة دون الجبل. والعقد: اسم موضع.
(٢) المجحفة: الضائقة والشدة.
(٣) ديوان ذي الرمة ٣/ ١٥٣٤. الدار العربية بدمشق، وانظر أيضاً: الجاحظ: البيان والتبيين ١/ ٩٣.
(٤) النكباء: ريح بين الصّبا والشمال. والشمال: الريح المعروفة التي تهب من الشمال.
(٥) عال: مال عن الحق.
(٦) شعر ابن ميادة ص ١١٢.
(٧) النوء: المطر المتسبب في زعم العرب عن طلوع نجم في الصباح وغروب آخر في المساء. والمشرّع: شريعة الماء. ونصر: أمصر.
(٨) العاضد: المساعد والناصر.
(٩) الشمائل: الصفات الحسنة.
(١٠) الوارد: الذي يرد الماء. والصادر: الذي يصدر عنه ويذهب.

الباب الثالث

في العصر العباسي

❖ **عمارة بن عقيل**

(والعود أحمد)

ومن جيد المدح وأوضحه وأعذبه قول أبي عقيل عمارة بن عقيل بن جرير بن عطية الخطفي، الشاعر العباسي المقدم في الفصاحة واللغة وفي مدح الخلفاء والقواد.

يقول عمارة في مدح بني دارم:

بني دارم إنْ يفنَ عمري فقد مضى ... حياتي لكم مني ثناءٌ مخلَّدُ
بدأتُم فأحسنتُم فأثنيتُ جاهداً ... وإنْ عدتُم أثنيْتُ والْعَوْد أحمد[1]

❖ **بكر بن النطاح**

(وكأن سيفك سلّ من فرصاد)

ومن المدح الجيد المبتكر والمتفنّن فيه قول بكر بن النطاح وهو شاعر عباسي، كان فارساً وصعلوكاً يصيب الطريق ثم أقلع عن ذلك. يقول بكر في مدح أبي دلف العجلي[2]:

بطلٌ بصدرِ حسامِه وسنانِه ... أجلانِ مِن صدرٍ ومن أبرارِ
ورثَ الكارمَ وابْتناها قاسِمٌ ... بصفائحٍ وأسنّةٍ وجيادِ[3]
يا عصمةَ العربِ التي لو لم تكنْ ... حيّاً إذا كانتْ بغيرِ عمادِ
إنَّ العيونَ إذا رأتْك بعزمِهِ ... فَتحتْ منه مواضعَ الأسدادِ
وكأنَّ رمحكَ منقعٌ في عُصْفُرٍ ... وكأنَ سيفكَ سُلَّ مِن فرصادِ[4]
لو صال من غضبٍ أبو دُلَفٍ على ... بيضِ السيوفِ لَذُبْنَ في الأغمادِ[5]
أورى ونوَّر للعداوة والهوى ... نارَيْنِ: نارَ دمٍ ونارَ زنادِ[6]

❖ **ابن المولى**

(فسواك بائعها وأنت المشتري)

ومن جيد المدح ما قاله محمد بن عبدالله بن مسلم، والمكنّى بابن المولى، وهو أحد مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وأحد من مدح الخليفة العباسي، المهدي،

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ١/ ١٩.
(٢) الجاحظ: المحاسن والأضداد. ص ٤٩.
(٣) الصفائح: كناية عن السيوف، والجياد: كرام الخيل.
(٤) منقع: مغموس. والعصفر: نبات صيفي يستخرج منه صبغ أحمر يصبغ به الحرير وغيره. والفرصاد: التوت، ويعرف بلونه الأحمر.
(٥) الأغماد: جمع غمد، وهو قراب السيف والخنجر.
(٦) أورى الزّند: أخرج ناره، وقدحه وأشعله. والزند: الحجر الذي يقدح فتخرج النار منه.

وغيره من أشراف العباسيين. يقول ابن المولى في مدح يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب، والي مصر من قبل أبي جعفر المنصور[١]:

وإذا تبـاعُ كـريـمـةٌ أو تُـشـتـرى ... فسواكَ بائعُها وأنتَ المشتري[٢]
وإذا تـوعّـرتِ الـمـسـالـكُ لـم يـكـنْ ... منـهـا الـسـبـيـلُ إلـى نـداكَ بِأوعرِ[٣]
وإذا صـنـعـتَ صـنـيـعـةً أتـمـمْـتَـهـا ... بـيـديْـنِ لـيـس نـداهـمـا بـمـكـدَّرِ[٤]
وإذا هـمـمْـتَ لِـمـعـتـفـيـكَ بـنـائـلٍ ... قـال الـنـدى فـأطـعـتَـهُ لـك أكـثـرِ[٥]
يـا واحـدَ الـعـربِ الـذي مـا إنْ لـهـم ... مـن مـذهـبٍ عـنـه ولا مِـن مـقـصـر

❖ ابن مناذر

(فما خلقت إلاّ لجود أكفّهم)

ومن جيد المدح وأفخمه ما قاله أبو جعفر محمد بن مناذر، الشاعر العباسي في مدح البرامكة، الأسرة الفارسية العريقة في الشرف والسؤدد والمجد، والتي تسنم أبناؤها سدّة الوزارة والحكم إبان عهد الرشيد. وكان يحيى والفضل وجعفر من آل برمك، قد أدّوا مناسك الحج والعمرة مع الرشيد. يقول ابن مناذر بهذه المناسبة مادحاً[٦]:

أتـانـا أبـو الأمـلاكِ مِـنْ آلِ بـرمـكِ ... فيا طيبَ أخبارٍ ويا حُسنَ منظرِ[٧]
لـهـم رحـلـةٌ فـي كـلِّ عـامٍ إلـى الـعِـدا ... وأخرى إلى البيتِ العتيقِ المشهَّرِ[٨]
فـتـظـلـمُ بـغـدادٌ ويـجـلـو لـنـا الـدُّجـى ... بـمـكّـة مـا حـجُّـوا ثـلاثـة أقـمـر
إذا نـزلـوا بـطـحـاء مـكّـة أشـرقـتْ ... بيحيى وبالفضل بنِ يحيى وجعفر[٩]
فـمـا خُـلـقـتْ إلاّ لـجـودِ أكـفُّـهـمْ ... وأقـدامُـهـم إلاّ لأعـوادِ مـنـبـر
إذا راضَ يـحـيـى الأمـرَ ذلَّـتْ صـعـابُـه ... وحـسـبُـك مِـن راعٍ لـه ومـدبِّـر[١٠]
تـرى الـنـاسَ إجـلالاً لـه وكـأنـهـم ... غـرانـيـقُ ماءٍ تـحـتَ بـازٍ مـصـرصـر[١١]

---

(١) ديوان الحماسة ٢/ ٣٥٧-٣٥٨.
(٢) الكريمة: كل فعل يمتدح به.
(٣) المسالك: الطرق. توعرت: صارت وعرة صعبه المسلك. والندى: الكرم.
(٤) الصنيعة: كل صنيع يمتدح به. ومكدر: فيه كدر ومنّة.
(٥) المعتفون: طالبو الندى. والنائل: الأعطية.
(٦) الحصري: زهر الآداب ١/ ٣٦٩.
(٧) أبو الأملاك: هو يحيى البرمكي أبو الفضل وجعفر، وكلهم كان وزيراً.
(٨) البيت العتيق: هو البيت الحرام حيث الكعبة المشرفة.
(٩) بطحاء مكة: كل ما أحاط بالبيت الحرام.
(١٠) راض الأمر: روّضه ومارسه.
(١١) الغرانيق: جمع غرنوق، وهو طائر مائي أسود وأبيض. ومصرصر: صائح صياحاً شديداً.

❖ مروان بن أبي حفصة (ت ١٨١ هـ/ ٧٩٧ م)

(ولا يستطيع الفاعلون فعالهم)

ومن جيد الرثاء وأجزله وأكثره بعداً عن التعقيد، مدح مروان بن أبي حفصة لبني مطر، وهم قوم معنى بن زائدة، الرجل الذائع الصيت في السؤدد والرياسة والجود.

قيل إن الرشيد حج ومعه القاضي، أبو يوسف، إذ عرض له أعرابي من بني أسد فأنشده شعراً مدحه فيه، وعرضه، فقال له الرشيد ألم أنهك عن مثل هذا الشعر يا أخا بني أسد؟ إذا أنت قلت فقل كما قال مروان بن أبي حفصة في أبي هذا، وأشار إلى شراحيل بن زائدة، والأبيات هي التالية[١]:

بنو مطرٍ يومَ اللقاءِ كأنهم ... أسودٌ لها في غَيْلِ خفَّانَ أشبلُ[٢]
همُ يمنعون الجارَ حتى كأنما ... لجارِهمُ بينَ السماكيْنِ منزل[٣]
ولا يستطيع الفاعلون فعالهم ... وإنْ أحسنوا في النائبات وأجملوا
بهاليلُ في الإسلام سادوا ولم يكنْ ... كأوّلِهم في الجاهلية أول[٤]
همُ القومُ إنْ قالوا أصابوا وإنْ دعُوا ... أجابوا وإن أُعطوا أطابوا وأجزلوا

(تشابه يوماه علينا فأشكلا)

وله فيه أيضاً، وهو من جيد المدح:

تجنَّب «لا» في القول حتى كأنَّهُ ... حرامٌ عليه قولُ «لا» حينَ يُسألُ
تشابَهَ يوماهُ علينا فأشكلا ... فلا نحنُ ندري أيّ يوميْهِ أفضل
أيومُ نداهُ الغمرِ أم يومُ بأسِهِ ... وما منهما إلاّ أغرُّ محجّل[٥]

❖ أبو تمام (ت ٢٣٢ هـ/ ٨٤٦ م)

(السيف أصدق إنباء من الكتب)

تعتبر قصيدة أبي تمام في مدح الخليفة العباسي، المعتصم، من أروع ما قيل في هذا الفن لجهة كونها تمثل أرقى ما وصل إليه شعر المدح بناء وأسلوباً ومعنى وخيالاً وتصويراً، ويكفي أنها بدأت بالحكمة، وذلك خلافاً لما كانت عليه مطالع المدائح، وقوفاً على الطلل، أو غزلاً ونسيباً. ونظراً إلى أهمية هذه القصيدة فإننا نثبت معظم

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣/ ١٠٦. وانظر أيضاً: الحصري: زهر الآداب ٢/ ٨٤٣.
(٢) غيل خفان: اسم موضع تكثر فيه الأسود. والأشبل: أولاد الأسود.
(٣) السماكان: نجمان معروفان، أحدهما السماك الرامح، والآخر السماك الأعزل.
(٤) بهاليل: أسياد، جمع بهلول.
(٥) تاريخ الآداب العربية ١/ ٢٣٧. والغمر: معظم الماء. والأغر: صفة للفرس، وهو الذي في جبهته بياض. والمجمل: صفة للفرس، وهو الذي في قوائمه بياض.

أبياتها، وكان الدافع إلى نظمها إصرار المعتصم على فتح عمورية، وتخليصها من أيدي الروم، وهذا ما تم له على الرغم من تخويف المنجمين وإرجاف المرجفين.

وأبو تمام هو حبيب بن أوس الطائي، المولود في جاسم من حوران، والذي اتصل بالخليفة العباسي المأمون، ثم بأخيه المعتصم الذي قال فيه بائيته المشهورة وأهم ما فيها قول[١]:

السيفُ أصدقُ إنباءً من الكتبِ ... في حدِّهِ الحدُّ بينَ الجِدِّ واللّعبِ[٢]
بيضُ الصّفائحِ لا سودُ الصحائفِ في ... متونِهنَّ جلاء الشك والرِّيبِ[٣]
والعلمُ في شُهُبِ الأرماحِ لامعةً ... بينَ الخميسيْنِ لا في السبعةِ الشُّهُبِ[٤]
أينَ الروايةُ بل أينَ النجومُ وما ... صاغوه مِن زخرف فيها ومن كذب
تخرّصاً وأحاديثاً ملفّقةً ... ليستْ بنبعٍ إذا عُدَّتْ ولا غَرَبِ[٥]
يا يومَ وقعةِ عمّوريةَ انْصرفتْ ... عنكِ المنى حُفَّلا معسولةَ الحلبِ[٦]
لقد تركتَ أميرَ المؤمنينَ بها ... للنارِ يوماً ذليلَ الصخرِ والخشب
غادرْتَ فيها بهيمَ الليلِ وهو ضحى ... يقلُّه وسطَها صبحٌ من اللهب[٧]
حتى كأنَّ جلابيبَ الدجى رغبتْ ... عن لونِها أو كأنَّ الشمسَ لم تَغِبِ[٨]
فالشمسُ طالعةٌ مِن ذا وقد أفلتْ ... والشمسُ واجبةٌ من ذا ولم تجبِ[٩]
تدبيرُ معتصمٍ باللّهِ منتقمٍ ... للّهِ مرتقبٍ في اللّهِ مرتهبِ
لم يغزُ قوماً ولمْ ينهضْ إلى بلدٍ ... إلاّ تقدّمه جيشٌ مِنَ الرُّعُبِ
لو لمْ يقدْ جحفلاً يومَ الوغى لغدا ... مِن نفسِهِ وحدَها في جحفلٍ لجبِ[١٠]
لبيْتَ صوتاً زِبُطرياً هرقْتَ له ... كأسَ الكرى ورُضابَ الخُرَّدِ العُرُبِ[١١]

---

(١) ديوان أبي تمام، ص ٧-٨.
(٢) السيف: كناية عن القوة والحرب. والكتب: يقصد بها كتب المنجمين الذين لم ينصحوا الخليفة بالمسير إلى قتال الروم فخالفهم وكان أن انتصر عليهم إنتصاراً مؤزراً.
(٣) المعنى نفسه الوارد في البيت قبله. والصفائح: شفار السيوف. والصحائف: الورق. والريب: الشك.
(٤) السبعة الشهب، يقصد بها الكواكب السبعة التي يعتمد عليها المنجمون في إخبارهم بالغيب. وهي عطارد، والزهرة، والقمر، والشمس، والمريخ، والمشتري، وزحل.
(٥) تخرصاً: تنبؤاً كاذباً. ملفقة: مختلقة. والنبع، شجر صلب. والغرب: شجرهش.
(٦) المنى: الأماني. حفلاً: ممتلئة باللبن. معسولة الحلب: حليبها كالعسل في طعمه.
(٧) يقله: يحمله.
(٨) جلابيب: أثواب فضفاضة، جمع جلباب.
(٩) أفلت: غابت.
(١٠) الجحفل: الجيش الجرار.
(١١) زبطري: نسبة إلى زبطرة، اسم البلدة التي كان يحتلها الروم.

أجبْته معلناً بالسيفِ منصلتاً ... ولو أجبتَ بغيرِ السيفِ لم تجب
بصُرَتْ بالراحة الكبرى فلم ترها ... تُنالُ إلاَّ على جسرٍ من التعب
إنْ كان بينَ صروفِ الدهرِ من رحم ... موصولةٍ أو ذِمام غير منقضب
فبينَ أيامكَ اللائي نُصرتَ بها ... وبينَ أيامِ بدرٍ أقربُ النسب[1]
أبقتْ بني الأصفرِ المصفرّ كاسْمِهِم ... صُفْرَ الوجوهِ وجلَّت أوجهَ العرب[2]

(فليثق الله سائله)

ومن المدح الرائع المتفنن فيه معنى وبلاغة وتصويراً، قول أبي تمام في كرم ممدوحه، وهو الخليفة العباسي[3]:

هو البحرُ من أيّ النواحي أتيْتَهُ ... فلجّتُهُ المعروفُ والجودُ ساحلُهْ[4]
كريمٌ إذا ما جئتَ للعرفِ طالباً ... حباك بما تحوي عليه أناملُه[5]
فلو لم يكنْ في كفِّهِ غيرُ نفسِه ... لجاد بها لَيَتّقِ اللَّهَ سائلُه

(وأعجم إن خاطبته وهو راجل)

ومن جيد المدح ومبتكره أيضاً، قول أبي تمام يمدح محمد بن عبد الملك الزيات، الوزير[6]:

لكَ الخلواتُ اللاءِ لولا نجيُّها ... لما احْتَفلتْ للمَلْكِ تلك المحافلُ
لعابُ الأفاعي القاتلاتِ لعابُه ... وأزْيُ الجنا اشْتَارَتْهُ أيدٍ عواسل[7]
له ريقةٌ طلٌّ ولكنّ وقْعها ... بآثارها في الشرقِ والغرب وابل
فصيحٌ إذا اسْتنطقْته وهو راكبٌ ... وأعجمُ إنْ خاطبته وهو راجل
إذا ما امتطى الخمسَ اللطافَ وأفرغتْ ... عليه شِعابُ الفكرِ وهي حوافل
أطاعتْه أطرافُ القنا وتقوّضتْ ... لِنجواه تقويضَ الخيام الجحافل

والصوت الزبطري: هو المرأة المسلمة، التي استغاثت بالمعتصم فقالت: وامعتصماه! والكرى: النوم. والرضاب: الرّيق. والخرد: جمع خريدة، وهي الفتاة الناعمة الحسناء. والعرب، جمع عروب، وهي الفتاة الحسناء.

(١) أيام بدر: هي أيام موقعة بدر التي انتصر فيها المسلمون على المشركين.

(٢) بنو الأصفر: اسم يطلق على الروم.

(٣) الجاحظ: المحاسن والأضداد، ص: ٤٨.

(٤) اللّجة: معظم الماء. والمعروف: الصنيعة التي تسدى إلى الغير.

(٥) العرف: المعروف، وهو خلاف النكر.

(٦) ديوان أبي تمام ٢٥١.

(٧) الآري: الشهد. اشتارته: استخرجته من قفرانه.

❖ البحتري (ت ٢٨٤ هـ/ ٨٩٧ م)

(ذكروا بطلعتك النبي فهلّلوا)

ومن رائع المدح وجيده مدح البحتري الخليفة العباسي المتوكل. والبحتري هو أبو عبادة الوليد بن عبيدالله... بن بحتر، من طيء. ولد في منبج، وحصل ثقافة واسعة عن طريق حضوره حلقات العلماء. التقى أبا تمام، فكان هذا الأخير أستاذه في الشعر فتأثر به حتى غدا أستاذه في اللغة والنحو، والشعر خاصة. ويعد البحتري وأستاذه أبو تمام من ألمع شعراء العصر العباسي وأكثرهم شهرة قبل أن يخرج أبو الطيب المتنبي إلى حيز الوجود.

ولقد افتتح البحتري قصيدته المدحية في المتوكل بالغزل، ثم انبرى يمدحه، وإن من هذا المدح ما ارتفع إرتفاعاً ملحمياً يحاكي به الشاعر أبا تمام في مدحه للخليفة المعتصم، قوله مخاطباً المتوكل[١]:

أظهرتَ عزَّ المُلْكِ فيه بجحفلٍ ... لجبٍ يُحاطُ الدينُ فيه ويُنصرُ[٢]
خِلْنَا الجبالَ تسيرُ فيه وقد غدتْ ... عدداً يسيرُ بها العديدُ الأكثر
فالخيلُ تصهلُ والفوارسُ تدّعي ... والسيفُ يلمعُ والأسنّة تُزهر
والشمسُ مانعة تَوَقَّدُ في الضّحى ... طوراً ويُطْفئُها العجاجُ الأكدر[٣]
حتى طلعتَ بضوءِ وجهكِ فانجلتْ ... تلك الدجى وانجاب ذاك العِثْير[٤]
وافتنَّ فيكَ الناظرون فإصبعٌ ... يوماً إليك بها وعينٌ تنظر
يجدون رؤيتَك التي فازوا بها ... من أنعُمِ اللّهِ التي لا تُكفر
ذكروا بطلعتك النبيَّ فهلّلوا ... لما طلعتَ من الصفوفِ وكبّروا
حتى انتهيتَ إلى المصلّى لابساً ... نور الهدى يبدو عليك ويظهر
ومشيتَ مِشية خاشع متواضع ... للّهِ لا يزهو ولا يتكبر
فلو أنَّ مشتاقاً تكلَّفَ غيرَ ما ... في وسعِهِ لسعى إليك المنبر
أيّدتَ مِن فصل الخِطابِ بحكمةٍ ... تُبني عن الحقِ المبينِ وتخبر
ووقفتَ في بردِ النبي مذكّراً ... باللّهِ تُنذر تارةً وتبشّر[٥]

---

(١) شرف الدين، خليل: البحتري، ص: ٦٨ - ٧٠.
(٢) الجحفل: الجيش الجرار. ولجب: لا يحصى عدده.
(٣) العجاج: الغبار. والأكدر: الذي فيه كدرة وسواد.
(٤) العثير: العجاج.
(٥) البرد: الثوب.

❖ المتنبي (ت ٣٥٤ هـ/ ٩٦٥ م)

(على قدر أهل العزم تأتي العزائم)

لعل من أروع المدح وأشهره وأبلغه مدح أبي الطيب المتنبي سيف الدولة الحمداني. أما أبو الطيب فهو أشهر من أن يعرّف به، فهو مالىء الدنيا وشاغل الناس. وأما سيف الدولة، ولا يقل هو بدوره شهرة، فهو صاحب حلب، وأمير الدولة الحمدانية، الفارس المقدام والبطل المغوار الذي حمل بغلمانه على جيش الروم الذين كانوا غلبوا على الحدث، ذلك الثغر المتقدم من ثغور العرب والمسلمين في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشري الميلادي.

ولقد انجلت المعركة عن انتصار الأمير الحمداني وتفرق جنود الروم، وقد قتل منهم وأسر خلق كثير فقال المتنبي بهذه المناسبة قصيدته الميمية الخالدة مادحاً سيف الدولة، وإنّا لنقتطف منها هذه الأبيات[١]:

على قدرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائم ... وتأتي على قدرِ الكرامِ المكارمُ
وتعظمُ في عينِ الصغيرِ صغارُها ... وتصغرُ في عينِ العظيمِ العظائم
يكلّفُ سيفُ الدولةِ الجيشَ همَّهُ ... وقد عجزتْ عنه الجيوشُ الخضارم[٢]
ويطلبُ عند الناسِ ما عندَ نفسِهِ ... وذلك ما لا تدَّعيهِ الضراغم[٣]
هل الحدثُ الحمراءُ تعرفُ لونَها ... وتعلمُ أيُّ الساقيْنِ الغمائم[٤]
سقتْها والغمامُ الغُرُّ قبلَ نزوله ... فلما دنا سقتْها الجماجم
وكان لها مثلُ الجنونِ فأصبحتْ ... ومن جثثِ القتلى عليها تمائم[٥]
طريدةُ دهرٍ ساقَها فردَدْتَها ... على الدينِ بالخطّي والدهرُ راغم[٦]
تُفيت الليالي كلَّ شيءٍ أخذْتَه ... وهنَّ لما يأخذنَ منك غوارم[٧]

وبعد أن يصف زحف الجيش الرومي يتوجه الشاعر إلى الممدوح فيقول:

وقفتَ وما في الموتِ شكٌ لواقفٍ ... كأنّكَ في جفنِ الرّدَى وهو نائم
تمرُّ بكَ الأبطالُ كلمى هزيمةً ... ووجهُكَ وضّاحٌ وثغرُكَ باسم[٨]

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي ٢/ ٣٨١.
(٢) الخضارم: جمع خضرم، وهو الكثير.
(٣) الضراغم: الأسود.
(٤) الحدث: هي القلعة التي بناها سيف الدولة على حدود الروم.
(٥) إشارة إلى جثث القتلى من الروم والمعلقة على القلعة كالتمائم، أي التعاويذ التي تعلق على المجنون فيهدأ جنونه.
(٦) الخطي: الرماح. راغم: ذليل. والقلعة هي طريدة الدهر التي ردّها سيف الدولة إلى حظيرة الدين.
(٧) تفيت: تترك. وغوارم: تؤدي ما عليها من دين مستحق.
(٨) كلمى: جرحى.

تجاوزتَ مقدارَ الشجاعةِ والنُّهى ... إلى قولِ قومٍ أنتَ بالغيبِ عالم[١]
ضممْتَ جناحيْهم على القلبِ ضمّةً ... تموتُ الخوافي تحتَها والقوادم[٢]
بضربٍ أتى الهاماتِ والنصرُ غائبٌ ... وصارَ إلى اللَّباتِ والنصرُ قادم[٣]
حقرْتَ الرَّدَيْنَيّاتِ حتى طرحْتَها ... وحتى كأنَّ السيفَ للرمحِ شاتم[٤]
ومَن طلبَ الفتحَ الجليلَ فإنّما ... مفاتيحهُ البيضُ الخفافُ الصوارم[٥]
نثرتهمُ فوقَ الأحيْدبِ كلِّهِ ... كما نُثرتْ فوقَ العروسِ الدراهم[٦]
تدوسُ بك الخيلُ الوكورَ على الذّرى ... وقد كثرتْ حولَ الوكورِ المطاعم[٧]
إذا زلقتْ مَشَّيْتَها ببطونِها ... كما تتمشَّى في الصعيدِ الأراقم[٨]
ألا أيُّها السيفُ الذي ليس مغمداً ... ولا فيه مرتابٌ ولا منه عاصم
هنيئاً لِضربِ الهامِ والمجدِ والعلى ... وراجيكَ والإسلامِ إنَّك سالم
ولمْ لا يقي الرحمٰنُ حَدّيْكَ ما وقى ... وتفليقُه هامَ العِدى بكَ دائم

❖ ابن هانىء (ت ٣٦٢ هـ/ ٩٧٢ م)

(ولا سيّد منه أعزّ وأمنع)

من جيد المدح ورائعه الذي يحاكي مدح أبي الطيب المتنبي، ويغلب عليه طابع المبالغة والتهويل ما قاله أبو القاسم محمد بن هانىء الأندلسي، والمولود بإشبيلية الأندلس، في مدح المعزّ لدين الله الفاطمي[٩]:

رأيتُ بعيني فوقَ ما كنتُ أسمعُ ... وقد راعني يومٌ مِن الحشر أروعُ[١٠]
غداةَ كأنَّ الأفقَ سُدَّ بمثلِهِ ... مفاد غروبُ الشمسِ من حيث تطلَع
لقد جلَّ من يقتادُ ذا الخلقَ كلَّه ... وكلٌّ له من قائم السيف أطوع
تحفُّ به القوّادُ والأمرُ أمرُه ... ويقدمُه رأيُ الخلافةِ أجمع
ويسحبُ أذيالَ الخلافةِ رادعاً ... به المسك مِن نشرِ الهدى يتضوّع[١١]

---

(١) النهى العقل.
(٢) الخوافي: ريش صغير تحت القوادم، وهذه هي ريش مقدم جناح الطائر.
(٣) الهامات: الرؤوس. واللبات: النحور
(٤) الرديْنيات: الرماح. وهنا إشارة إلى تلاحم الفرسان في القتال.
(٥) البيض الخفاف الصوارم: صفات للسيف.
(٦) الأحيدب: تصغير أحدب، وهو الجبل.
(٧) الوكور: جمع وكر، وهو مبيت الطائر.
(٨) الأراقم: الحيات. والصعيد: وجه الأرض.
(٩) تاريخ الآداب العربية ٢/ ١٣٧.
(١٠) أروع: فيه خوف كثير، والحشر: يوم البعث.
(١١) يتضوع: ينتشر.

مـلـيـكٌ تـرى الأفـلاك دونَ بـسـاطِـهِ وأعناقُهم مِيلٌ إلى الأرضِ خُضَّعُ[١]
قـيـاماً عـلـى أقـدامِـهـا قـد تـنـكّـبـتْ صـوارمُـهـا كـلٌّ يـطـيـعُ ويـخـضـعُ[٢]
تـحـلُّ بـيـوتُ الـمـالِ حـيـثُ مـحـلّـه وجـمّ الـعـطـايـا والـرواق الـمـرفّـع
وتـعـنـو لـه الـسـاداتُ مِـن كـل مـعـشـرٍ ولا سـيّـدٌ مـنـه أعـزُّ وأمـنـع

❖ الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ/ ١٠١٥ م)

(لقلّت بعنقي من نداك قلائد)

اتفق تراجمة الشعراء على أن الشريف الرضي، الشاعر العباسي الذائع الصيت كان أحد الشعراء القلائل الذين لم يقبلوا في مدحهم الصلات من أحد، حتى أنّه رد صلات أبيه. ولعل الشريف الرضي أول شاعر شريف ترفع عن الاستجداء بالشعر، ويؤيد ذلك هذه النتف الرائعة من مدحه. يقول من قصيدة يمدح بها الوزير سابور[٣]:

عـلـيَّ رداءٌ مـن جـمـالـكَ واسـعُ وعـنـديَ عـزٌّ مـن جـلالِـك خـالـدُ
ولـو كـنـتُ مـمّـنْ يـمـلـك الـمـالُ رقَّـهُ لـقـلّـتْ بـعـنـقـي مِـن نـداك قـلائـد

(وود الفتى كالبرّ يعطي ويجتدى)

ويقول من قصيدة يمدح بها الصاحب بن عباد[٤]:

لـئـنْ كـنـتُ فـي مـدحِ الـعـلـى فـاغـراً فـمـاً فـإنـي إلـى غـيـر الـنـدى بـاسـطٌ يـداً
خـطـبـتُ إلـيـك الـودَّ لا شـيءَ غـيـره وودُّ الـفـتـى كـالـبرِّ يُـعـطـى ويـجـتـدى

(أريد الكرامة لا المكرمات)[٥]

ويقول من قصيدة يمدح بها الخليفة العباسي، الطائع:

وكـنـتُ زمـانـاً أذودُ الـمـلـوكَ عـن الـسّـلـكِ رقـرقـتُ فـيـه الـنـظـامـا
أريـدُ الـكـرامـة لا الـمـكـرمـات ونَـيْـلَ الـعـلـى لا الـعـطـايـا الـجـسـامـا

(وما أنا ممن يجعل الشعر سلما)

ويقول من قصيدة يمدح بها الوزير ابن صالحان[٦]:

ومـا أنـا مـمّـن يـجـعـلُ الـشـعـر سـلّـمـاً إلـى الأمـرِ إنْ أغـنـى غـنـاه خـطـاب
ولـيـس مـديـحٌ مـا قـدرت فـإنْ يـكـنْ مـديـحٌ عـلـى رغـمـي فـلـيـس ثـواب

---

(١) ميل: مائلة.
(٢) تنكبت صوارمها: جعلت سيوفها على مناكبها.
(٣) ديوان الشريف الرضي، ص: ٢٢٧.
(٤) الديوان، ص: ٢١٩.
(٥) الديوان، ص: ٧٦٥.
(٦) الديوان، ص: ٥٢.

(ولا مرحبا بالمال إن لم أكرّم)

ويقول من قصيدة يمدح بها الخليفة الطائع[١]:

مدحتُ أميرَ المؤمنين وإنّه ... لأشرفُ مأمولٍ وأعلى مأمّم
فأوسعني قبل العطاء كرامةً ... ولا مرحباً بالمالِ إنْ لم أُكَرَّمِ

(رأيتُ لباس الذل بالمال غاليا)

ويقول فيه[٢]:

تركتُ إليك الناسَ طرًّا وكلُّهم ... يتوقُ إلى قربي ويهوى مقاميا
وفارقتُ أقواماً كراماً أكفّهم ... وما ضقتُ عنهم في البلاد ملاقيا
ويمنعني من عادة الشعر أنني ... رأيتُ لباسَ الذّلّ بالمال غاليا
فإن كنتُ لا أعلو على عود منبر ... فلستُ ألاقي غير مجديَ عاليا

❖ ابن مطروح (ت ٦٤٩ هـ/ ١٢٥١ م)

(تحلّى به الدهر الذي كان عاطلاً)

ومن شعر المدح المتأخر ما قاله أبو الحسن يحيى بن عيسى المعروف بابن مطروح، الشاعر الذي عاش في ظل دولة الأيوبيين. وشعر ابن مطروح يتميز بلطف المعنى وصفاء الديباجة وسهولة المأخذ، ومنه هذا المدح الجيد في أحد وزراء بني أيوب[٣]:

على مَهَلٍ يا مَنْ يحاولُ مجدَه ... فبينَ الثريّا والسّماكِ منازلُهْ[٤]
كريمٌ له بيتٌ كريمٌ تقاسمتْ ... أواخرُه إرثَ العلى وأوائلُه
له شيمٌ لو أنَّ في الدهرِ بعضَها ... لما غالتِ الْحرَّ عوائلُه[٥]
بليغٌ إذا ما أوردَ اللفظَ خِلْتَه ... عنِ الوحيِ يحلينا الذي هو قائله
تحلّى به الدهرُ الذي كان عاطلاً ... فأضحى حريّاً بالنباهةِ خامله[٦]
وأثنى عليه ليلهُ ونهارُه ... وطابتْ به أسحارُه وأصائله
وإني وإنْ أتحفتُه بمدائحٍ ... هي السّحر إلاّ أنَّ فكري بابِله[٧]
فما تعبتْ لي فكرةٌ في مديحِهِ ... لأنّي راوي الفضلِ عنه وناقله

---

(١) الديوان، ص: ٨٣٣.
(٢) الديوان ص: ٩٨٥.
(٣) تاريخ الآداب العربية ١/ ٣٥١.
(٤) الثريا: مجموعة أنجم متقاربة جداً. والسماك: أحد النجمين المعورفين بالسماك الأعزل والسماك الرامح.
(٥) الغوائل: الدواهي، جمع غائلة.
(٦) العاطل: الخالي من الحلي.
(٧) بابله: نسبة إلى بابل، المدينة القديمة بالعراق.

الباب الرابع

في عصر الانحطاط والنهضة

❖ صفي الدين الحلّي (ت ٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩ م)

(إن التأنّي فيهم يعقب الظفرا)

الشاعر هو أبو البركات، صفي الدين عبد العزيز الحلي، نسبة إلى الحلة بالعراق. وقف شعره تقريباً على مدائح أرباب نعمته ملوك آل «أرتق» أصحاب ماردين بالجزيرة العربية، من ملوك بني أيوب. ومن جيد شعره المدحي في الملك الصالح يحثّه على الإحتراز من المغول، ومنافرتهم اللقاء[١]:

ولا ينالُ العلى إلاّ فتىً شرُفتْ ... خلالهُ فأطاعَ الدهرُ ما أمرا[٢]
كالصالحِ الملكِ المرهوبِ سطوتُه ... فلو توعّد قلب الدهرِ لانفطرا
يكادُ يقرأُ مِن عنوان همّتِهِ ... ما في صحائفِ ظهرِ الغيبِ قد سطرا
كالبحر والدهر في يوميْ ندىً وردىً ... والليث والغيث في يوميْ وغىً وقِرى[٣]
ما جادَ للناسِ إلاّ قبلما سألوا ... ولا عفا قطُّ إلاّ بعد ما قدرا
إذا غدا الغصنُ غضّاً من منابتِهِ ... من شَاءَ فَلْيَجنِ مِن أفنائه الثمرا[٤]
لم يرحلوا عن حمى أرضٍ إذا نزلوا ... إلاّ وأبْقوا بها مِن جودِهم أثرا
تبقى صنائعُهم في الأرضِ بعدَهُمُ ... والغيثُ إنْ سارَ أبقى بعده الزهرا[٥]
يا أيُّها الملكُ الباني لِدولتِهِ ... ذكراً طوى ذكرَ أهلِ الأرضِ وانتشرا
كانت عِداك لها دستٌ فقد صدعت ... حصاةُ جِدّكَ ذاك الدستَ فانكسرا
ظنّوا تأنّيك عن عجزٍ وما علموا ... أنَّ التّأنّي فيهم يُعقبُ الظفرا
أحسنتُم فبَغوا جهلاً وما اعترفوا ... لكم ومَن كفَر النُّعمى فقد كفرا

❖ أحمد شوقي (ت ١٩٣٢ م)

(ولد الهدى فالكائنات ضياء)

يعد أحمد شوقي من ألمع شعراء القرن العشرين للميلاد، بل هو أمير الشعراء، ولقد تناول شوقي في شعره موضوعات متنوعة أجاد فيها وأبدع. وللمديح، خاصة، في شعر شوقي مكانة رفيعة. وأروع مدحه ذلك الذي خصّ به النبي العربي ﷺ، فها هو يقول من أبيات فيه:

وُلِدَ الهدى فالكائناتُ ضياءُ ... وفمُ الزمانِ تبسّم وثناءُ

---

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/ ٢٠٩ - ٢١٠.
(٢) خلاله: خصاله وصفاته، جمع خلة.
(٣) الندى: الجود. والردى: الهلاك. والوغى: القتال. والقرى: إطعام الضيف.
(٤) غضاً: طرياً وناضراً.
(٥) الصنائع: جمع صنيعة، وهي المعروف.

يا مَن له عزُّ الشفاعةِ وحدَهُ ... وهو المنزّهُ مالَهُ شُفعاء[١]
عرشُ القيامةِ أنتَ تحتَ لوائِهِ ... والحوضُ أنتَ حيالَه السَّقّاء[٢]
ظلموا شريعتَك التي نلْنا بها ... ما لم ينلْ في روحِهِ الفقهاء[٣]
مشتِ الْحضارةُ في سناها واهْتدى ... في الدّينِ والدّنْيا بها السُّعَداء

(غبار حضارتيه لا يشقّ)

ومن جيد مدحه ما قاله في دمشق بمناسبة ضربها بالمدفعية من قبل الفرنسيين[٤]:

ألستِ دمشقُ للإسلامِ ظئراً ... ومرضعةُ الأبُوّةِ لا تُعَقُّ[٥]
وكلُّ حضارةٍ في الأرضِ طالتْ ... لها مِن سرحِكِ العُلْويّ عِرق[٦]
سماؤُكَ مِن حلى الماضِي كتابٌ ... وأرضُكِ من حلى التاريخ رَقّ[٧]
بنيْتِ الدولة الكبرى وملكاً ... غبارُ حضارتيْه لا يُشَق
له بالشامِ أعلامٌ وعرسٌ ... بشائرُه بأندلسٍ تدقّ

❖ **حافظ إبراهيم (ت ١٩٣٢ م)**

(يهنيك العيدين شرق ومغرب)

ومن جيد المدح ورائعه مدح حافظ إبراهيم السلطان عبد الحميد الذي ولي ملك الدولة العثمانية عام ١٩٧٦، قال هذا بمناسبة عيد جلوسه على العرش. وحافظ إبراهيم شاعر مصري مشهور، أطلق عليه لقب شاعر النيل نظراً إلى شاعريته وقريحته الخصبة، وكان معاصراً لكل من أحمد شوقي وخليل مطران. يقول حافظ في مدح السلطان عبد الحميد[٨]:

لمحتُ جلالَ العيدِ والقومُ هُيَّبٌ ... فعلّمني أيَّ العلا كيفَ تُكتبُ
ومثّل لي عرشَ الخلافةِ خاطري ... فأرهب قلبي والجلالةُ تُرهب
سلوا الفلك الدوّار هل لاح كوكبٌ ... على مثلِ هذا العرشِ أو راح كوكب
وهل أشرقتْ شمسٌ على مثلِ ساحةٍ ... إلى ذلك البيتِ الحميديّ تُنْسب

---

(١) الشفاعة: هي ما اختصّ به النبيّ ﷺ من إكرام المولى له، إذ هو يشفع لمحبّيه وتابعيه.
(٢) أشارة إلى الحوض الذي يسقي به الماء محبّيه وتابعيه والعاملين بعمله ونهجه.
(٣) روحه: نيله وابتغائه.
(٤) الديوان، ص: ٢٣٠.
(٥) الظئر: الأم المرضعة.
(٦) السرح: نوع من الشجر العالي.
(٧) الرق: الجلد الذي يكتب عليه.
(٨) ديوان حافظ إبراهيم ١/ ١٥ - ١٦. شرح أحمد أمين - أحمد الزين - إبراهيم الأبياري. نشر محمد أمين دمج. بيروت ١٩٦٩ م.

وهل قرَّ في برج السّعودِ مُتَوَّجٌ ... كما قرَّ في يلديزَ ذاك المعصَّبُ[١]
تجلّى على عرشِ الجلالِ وتاجُه ... يهشُّ وأعوادُ السرير ترهّب
سما فوقَه والشرقُ جذلانُ شيقٌ ... لِطلعتِهِ والغربُ خذلانُ يرقب
فقامَ بأمر اللّهِ حتى ترعرعتْ ... به دوحةُ الإسلامِ والشركُ مجدب
وكم حاولوا في الأرضِ إطفاءَ نورِهِ ... وإطفاءُ نورِ الشمسِ من ذاك أقرب
فراعهمُ منه بجيشٍ مدجّجٍ ... له في سبيل اللّهِ والحقُّ مذهب
فيا صاحب العيديْنِ ولا زلتَ سالماً ... يهنّيكَ بالعيديْن شرقٌ ومغرب

❖ **أحمد زكي أبو شادي (ت ١٩٥٥ م)**

(فإنك أنت ملهم كل عيد)

شاعر معاصر من شعراء الكنانة، يتميز بأسلوبه الفذ الرشيق ومذهبه الشعري المتجدد ونزعته الرومنتيكية الحزينة. وصف الطبيعة، ودعا إلى الإصلاح الاجتماعي، ومدح عدداً من شخصيات العصر.

ومن رائع المدح وجيده رائعته التي ألقاها في مدح فاروق، صاحب السمو الملكي، بمناسبة تسلمه إمارة الصعيد عام ١٩٣٣ م.

يقول الشاعر[٢]:

أميرَ النيلِ والوطنِ المجيدِ ... لتهنأْ بانتسابكَ للصّعيدِ[٣]
وقد ولّتْ بها أحلامُ مينا ... فأسّس دولةَ المجدِ التليد[٤]
كما عرفتْ قِنا هاتور رَمزاً ... لِمعنى الصدق والنبلِ الأكيد[٥]
وتاهت للخلود بأخنتونٍ ... إمام الحبّ للربّ الوحيد[٦]
كما أوحى تحوتُ لها حياةً ... مِن العرفانِ والنورِ السديد[٧]
معابدُ للفخار بكلّ ركنٍ ... ودُورٌ أهلُها أهلُ الخلود
فإنْ نُسبتْ إليكَ فأنتَ منها ... بنسبتكَ الفريدُ إلى الفريد
فتيهي يا ربوعاً توّجتها ... أيادي الشمسِ بالثّغرِ النضيد
وعيشي للإمارةِ ذخرِ مِصْرٍ ... فإنّك أنتَ ملهمُ كلّ عيد

---

(١) قصر يلديز: هو قصر يلدز المشهور مقر إقامة سلاطين بني عثمان المتأخرين بإسطمبول. والمعصب: الذي على رأسه العصابة، أي التاج.

(٢) أبي شادي أحمد زكي: الينبوع، ص: ١٢٧. ط ١. القاهرة ١٩٣٤ م.

(٣) المقصود بالصعيد: صعيد مصر، وهو ريفها الجنوبي الذي يصل إلى حدود السودان.

(٤) مينا: اسم أحد فراعنة مصر العظام، وله هرم يعرف باسمه.

(٥) قنا: اسم مدينة في الصعيد.

(٦) أخنتون: اسم أحد ملوك مصر الذين اتخذوا آلهة.

(٧) تحوت: هو تحوتمس الملك المصري الإله.

د. يحيى شامي

أروع ما قيل في الشعر العربي

الجزء الثاني

دار الفكر العربي
بيروت

القسم الأول

الشعر الوطني الآسيوي

❖ خليل مطران (ت ١٩٤٩)

(إلى أرواح الشهداء)

لشاعر القطرين خليل مطران قصيدة وطنية رائعة أنشدها في حفل أقيم لتحية أرواح الشهداء المصريين في الحركة الوطنية، ولتحية من أفرج عنهم من السجون بعد عناء طويل. وهي تنم عن شاعرية فذّة، ووطنية صادقة، وإحساس عميق. يقول خليل مطران:

تحيّة أيها القتلى وتسليما ... بلغتم الشأو تخليداً وتعظيما
لا يعبد المرء ربّاً ولا وطناً ... بمثل إغلائه القربان تقديما
قلتم وصدّق ما قلتم تحمّلكم ... أذىً يردّ فِرند الصبر مثلوما[1]
ما الموتَ إن كان إنقاذ البلاد به ... من غاصب وانتصاف الشعب مظلوما
يحطّم العظم منكم دون بغيتكم ... فتصبرون ويأبى العزم تحطيما
برّاً بمصر وخوفاً أن يسلّمها ... إلى العِدا واهنو الإيمان تسليما
ليس الشهادة إلاّ من يموت على ... حقّ ومن لا يبالي فيه ما سيما
إمضوا رفاقاً كراماً حسبكم عوضاً ... مجد عزيز على الخُطّابِ إن ريما
للمشتري بصباه عزّ أمّته ... ذكر يديم اسمه بالتّبر مرقوما
وللتي استبدلت بالقبر مرتعها ... قسط من الفخر فوق العمر تقويما
لا تحسبوا مصر تنساكم فكلّكم ... يبقى على الدهر مرؤوماً ومرحوما[2]
وفي المرابع من أرواحكم نسم ... تظلُّ تأتي بها الأرواح تنسيما

(كلمة وطنية)

وما أرقّ وأبلغ هذه الأبيات الوطنية لخليل مطران! يقول الخليل:

داعي الولاء إذا دعاني ... سمعاً له في كل آنِ
ومسّرة بأشقّ ما ... يرضي البلاد وإن شجاني
يأبى الهوان دمي وفي ... عزّ الحمى أهوى هواني

❖ إيليا أبو ماضي

(ديار السلام)[3]

ومن الشعراء المهجريين اللبنانيين الذين تطرقوا في شعرهم للوطنيات، إيليا أبو ماضي

---

(١) ديوان الخليل ٣/ ٨٥.
(٢) المصدر نفسه ٣/ ٣٢٤.
(٣) ديوان الخمائل ص: ٩٤ - ٩٥.

المولود في المحيدثة سنة ١٨٩٠، والذي قضى معظم حياته في الولايات المتحدة الأميركية.

شارك في تحرير «**المجلة العربية**» بنيويورك سنة ١٩١٦، وهي مجلة تعنى بالشؤون القومية والعربية، وإنّا لنقتطف بعضاً من شعره الوطني العربي، ونخص بالذكر قصيدته المعنونة باسم «**ديار السلام**» وفيها يقول معرباً عن مشاعر الحزن والأسى للنكبة التي ظنّ صادقاً أن سوف تحلّ بها ومنذّداً بوعد بلفور:

ديار السلام وأرض الهنا ... يشقّ على الكلّ أن تحزنا
فخطب فلسطين خطب العلى ... وما كان رزء العلى هيّنا
سهرنا له فكأنّ السيو ... ف تحزّ بأكبادنا هُهنا
وكيف يزور الكرى أعيناً ... ترى حولها للرّدى أعينا
وكيف تطيب الحياة لقوم ... تسدّ عليهم دروب المنى
بلادهم عرضة للضّياع ... وأمّتهمُ عرضة للفنا

* * *

بنفسي أردّنها السلسبيل ... ومن جاوروا ذلك الأردنا
لقد دافعوا أمس دون الحمى ... فكانت حروبهم حربنا
وجادوا بكلّ الذي عندهم ... ونحن سنبذل ما عندنا

* * *

فليست فلسطين أرضاً مشاعاً ... فتعطى لمن شاء أن يسكنا
فإن تطلبوها بسمر القنا ... نردُّكمُ بطوال القنا
ففي العربيّ صفات الأنام ... سوى أن يخاف وأن يجبنا
وإن تحجلوا بيننا بالخداع ... فلن تخدعوا رجلاً مؤمنا
وإن تهجروها فذلك أو ... لى فإن فلسطين ملك لنا
وكانت لأجدادنا قبلنا ... وتبقى لأحفادنا بعدنا

❖ جورج صيدح

(أم النسور)[1]

في طليعة شعراء المهجر الوطنيين الشاعر جورج صيدح المولود في دمشق سنة ١٨٩٣، الذي تنقل بين دمشق وبيروت والقاهرة وباريس وفنزويلا والأرجنتين. شارك في الكثير من المؤتمرات الوطنية، وتغنّى بالعروبة، ودعا إلى نبذ التعصب والأخذ بروح

(١) ديوان نبضات، ص: ٣١.

التسامح. ومن أشهر قصائده الوطنية، قصيدته الموسومة بـ «أم النسور» وفيها يعرب الشاعر عن شوقه إلى بلاده، والتوق إلى معانقة أمجاد أجداده العرب الذين حملوا مشعل الحضارة، وساهموا في بناء صرح العلوم والفنون.

يقول مخاطباً دمشق، قلعة العروبة، ولؤلؤة الأمجاد والتاريخ، بعد غياب في المهجر طويل:

أمّ النسور تفرّسي وتأمّلي ... أعرفت وجه القادم المتهلّل
هذا فتاك إلى متى نكرانه ... أوليس في لُبد سمات الأجدل
ما عابه الجسم المهيض تبدّلت ... قسماته والقلب لم يتبدّل
هو من بُزاة العرب جشّمه السّرى ... وأحاله صرف الزمان الحوّل
شرع القوادم للجهاد أسنّة ... عشراً فإن يُجهل عليه يجهل[1]
ولوى الجناح على الخوافي علّه ... يخفي ضآلة ريشه المتهدّل[2]
اللّهُ يا مهد الصّبا أين الصّدى ... يحكي متى أعيت لهاة البلبل

* * *

عاد الزّمام إلى يديك بعودتي ... حاشاك يا وطني تردّ السهم لي
وأنا الذي قرّبت روحي للحمى ... وسجدت في محرابه والهيكل
بدم الشباب خضبت ورد رياضه ... ورجعت أغسلها بدمعي المسبل
ما زلت أستجديه حتى رقّ لي ... بردي ومدّ ذراعه في الجدول

* * *

لولاك يا نادي العروبة لم أقم ... من عثرة الآمال جدّ مؤمّل
حيّيت فيك أحبّتي فأجازني ... نثر المقفّع بعد شعر الأخطل
طبع التغرّب في اللسان غرابة ... فإذا رطنت فعادة في المقول
بقيت وقد زال الفراق فوارق ... بيني وبين الناطقين المثل
فإذا أردت الشعر يجمع بيننا ... أرسلته عيّاً ولم أسترسل

(القطيعة)[3]

ومن شعره الوطني ذي النزعة العربية الصادقة نقتطف هذه الأبيات، من وحي تأثره البالغ، وأساه العميق لما حلّ في ديار العرب من فرقة وتعصّب وجفاء. يقول جورج صيدح:

---

(١) القوادم: ما ظهر من ريش الطائر، وكان كبيراً.
(٢) الخوافي: ما خفي من ريش الطائر وكان صغيراً، وهو وراء القوادم.
(٣) ديوان نبضات ص ٣٣.

حلّل الحبّ ما التعصّب حرّمْ ... فاتحدنا وما خُلقْنا لنُقْسمْ
واعتنقنا دين العروبة ديناً ... واطّرحنا لزوم ما ليس يلزم
شَرَعٌ مجدنا سواء نُسبنا ... أرز صنّين أو نخيل المقطّم
بين لبنان والشآم لبانٌ ... رضعاه ولم يزل يتوخّم
حدّثونا عن انفصال فلذنا ... باتّصال من العواطف محكم
ربّ سور على الحدود منيع ... إن لمسناه بالشعور تهدّم
ما بناه علوج عهد انتداب ... كيف تبنيه دولة الخال والعم[1]
يا ولاة الأمور سمعاً لشكوانا ... وسعياً إنّ المهمّ المقدّم
أوثقوا عروة العروبة فينا ... ذهبت ريح أمّة تتقسّم
علّلونا بوحدة الروح تأتي ... بعدها وحدة التخوم فتسلم
أرشدونا إلى السبيل المؤدّي ... لأمان القطيع في غاب ضيغم
وانصرونا على غُلاة أساؤوا ... فهم طٰه وفهم عيسى بن مريم
شهد اللّهُ ما أردنا وليّاً ... غير من حرّر البلاد ونظم
والزعيم الذي يقود السّرايا ... يوم ثأرٍ هو النبيّ المعظّم

❖ **إلياس فرحات**

(العرب واقفة)[2]

ومن أجمل الشعر الوطني، الصادق العبارة، الخافق النبرة، والجياش العاطفة، شعر إلياس فرحات (ت ١٩٧٦)، الشاعر اللبناني المهجري، والعربي الذي كاد أن يدفع حياته ثمناً لمواقفه الوطنية العربية، ولإيمانه الراسخ بتحرير الوطن العربي من نير الاستعمار والاستعباد، شعره يتميز بالرقة والجزالة معاً، وينم عن فطرة وسليقة مطبوعتين. ومن تلك القصائد الوطنية التي ترنّم بها إلياس حبيب فرحات هذه القصيدة الرائعة التي يناجي فيها أرض العروبة، ومهد الحضارة والديانات السماوية، بعنوان «**العرب واقفة**». يقول الشاعر، وهو في بلاد الإغتراب متشوقاً إلى بلاد العرب:

دار العروبة دار الحب والغزلِ ... هاجرت منك وقلبي فيك لم يزلِ
هلاّ مننت بلقيا أسترد بها ... فجر الشباب فشمس العمر في الطّفل[3]
هذي الغريبة ما زالت تقبّلني ... والسّمّ يقطر من أنيابها العُصُل[4]

---

(١) العلوج: جمع علج، وفي الأصل هو الضخم من حمر الوحش. وتطلق على كفّار العجم. وهنا يراد بهم المُستعمرون.

(٢) ديوان فرحات ص ٢٧٤.

(٣) الطفل: الغروب.

(٤) العصل: جمع أعصل، وهو الملتوي والمشتدر من الأنياب.

واللّهُ يشهدُ أني كلما رجعت ... مني إليك الصّبا حملتها قُبلي
أنت الحبيبة لا هٰذي التي زرعت ... فيّ المشيب فلاح اليبس في السّبل
الحسن فيها جديد وهو مبتذل ... والحسن فيك قديم غير متبذل

* * *

لا تخد عنّك أصوات يكبّرها ... بوق الغريب لغدر بالوفاء طلي
إنَّ العروبة في لبنان سائدة ... من أخمص البحر حتى مفرق الجبل
إن كان يسمع فيه همس فَرنْجةٍ ... بيض الصوارم لا تخلو من الفلل
لسنا نجادل عُمياً يطلبون على ... ضوء النهار دليلاً والنهار جلي
أو يلصقون بأنساب تباعدهم ... عن أقرب الناس إرضاءً لذي دخل
أو يجعلون من الإسلام داهية ... دهماء تبتر مارونا بسيف علي
أو ينحتون كهوفاً من تعصّبهم ... للعقل يقبع فيها غير منتقل
بل نرفعِ الحقّ مشعالاً ليقصدَه ... عشّاق غرّته من أقوم السّبل
فلينظرِ الناس هل من أمّة فعلت ... للمجد فعل رعاة الشّاء والإبل
العابدين إلٰه المجد من قِدم ... والسابقين إليه أقدم الملل
والناقشين على الأسياف آيتهَ ... والشارحين معانيها على القُلل[1]
من يلقهم ونيوب الحرب دامية ... يلقَ الضراغم في غاب من الأسل[2]
ومن يلذ بحماهم حين يطلبه ... ريب المنون ينل عهداً من الأجل
العُرْبُ واقفة يا شمس فانطفئي ... والعرب زاحفة يا أرض فاشتعلي
في مسمع الدهر أصداء محدّثة ... عن عاصف بصهيل الخيل متّصل
نار المحارق في إسبانيا أكلت ... باسم الصليب نتاج العلم والعمل[3]
كأنّما لهب النّيران ألسنة ... تشكو إلى اللّهِ جند الغيّ والخطل[4]
فالتاركون لنا مجد الظّبى تركوا ... مجد اليراع فتمّ الإرث للبدلَ[5]

* * *

أوطاننا وطن فرد ونحن له ... مهما يكن سعف للباسق العبل[6]

---

(١) القلل: جمع قلّة، وهي قمة الجبل.
(٢) الأسل: جمع أسلة، وهي طرف اللسان. وهنا الأسل: الرماح. والضراغم: الأسود.
(٣) إشارة إلى محاكم التفتيش التي كانوا يحرقون فيها العلماء. وكان يفعل ذلك بعض رجال الكنيسة.
(٤) الفيّ: الضلال. ومثله الخطل.
(٥) الظبي: جمع ظباة، وهي حدّ السيف.
(٦) العبل: البدين. وسعف النخل: أطراف أوراقه.

إنّا لأحوج أهل الخافقين إلى توحيد آمالنا والسّعي والقبل[١]
ما قطرة الماءِ من شيء بمفردها والكلّ يعلم شأن العارض الهطل

❖ **الأخطل الصغير**

ومن عيون الشعر الوطني الصادر عن قريحة الشاعر الذي أحبّ وطنه كل الحب، ووضع نفسه بين يديه، دفاعاً عن قضاياه، وإعلاءً لشأنه، وذوداً عن حريته وكرامته، نقتبس هذه الأبيات الوطنية الصادقة الصادرة عن شاعر الهوى والشباب بشارة الخوري المتوفى سنة ١٩٦٨، والمعروف باسم «**الأخطل الصغير**»، قالها بمناسبة عيد الإستقلال الوطني اللبناني، فهو يحيي ذكر الشهداء الذين ضحّوا من أجل الوطن وجاهدوا في سبيله حق الجهاد، وصنعوا حريته وأمجاده فيقول:

(ثغر الجهاد)

قم نقبّل ثغر الجهاد وجيدَهْ أشرقَ الكون يوم جدّد عيدَهْ
قل لمن حدّد القيود رويداً يعرف الحقّ أن يفكّ قيودَهْ
نحن والموت صاحبان على الد هرِ حشدنا أرواحنا وبنودَهْ
نحن لا نحسب الحياة حياة أو نفدّي أوطاننا المعبودهْ
لن نراها إن لم نمت في هواها أمّة حرّة ودنيا جديدهْ[٢]

(نشيء لبنان)

ومن شعر الأخطل الوطني والحماسي، نقتطف هذه الأبيات التي تذكي روح العزيمة في الشباب اللبناني، وتثير حماسة الوطني داعياً إياه إلى النهوض بالوطن والعمل من أجله، واطّراح الكسل والخمول، يقول الأخطل الصغير:

نشيء لبنان هذه راية الأر ز فإما الفداء بالنفس أولا
قم نخشّن منا اليدين فلا نحصد حقلاً إلاّ ونزرع حقلا
الأكفّ اللّدان من شغف الغيد فحدّد منهنّ للحقّ نصلا
شقيت أمة إذا الجدّ ناداها تلوّث على الأسرّة كسلى[٣]

(يخضب الشوك)

وبمناسبة عيد استقلال لبنان الواقع في تشرين الثاني، وإكباراً لهذا اليوم العظيم الحافل بالذكريات العظام، والعبق بروح الجهاد والفداء والتضحية يقول الأخطل الصغير:

يخضّب الشوك من كفّي ومن كبدي دم عليه جنيّ الورد قد نفحا

---

(١) الخفقان: المشرق والمغرب.
(٢) شعر الأخطل ص ١٤٢.
(٣) المصدر نفسه ص ١٠٤.

ألبست تشرين منه يوم مولده ... ألا تراه بلون الورد متّشحا
لكنه وطنه فدّيت مهجته ... بمهجتي نبذ الأحرار واطّرحا
سقيت ريحانه من مدمعي ودمي ... هذا إذا انهلّ أو هذا إذا انسفحا
شطران قلبي شطر للمقيم به ... على الوفاء وشطر للذي نزحا[1]

(يا جهاداً)

ومن عيون شعر الأخطل الوطني هذا الشعر الذي يحيي فيه الأخطل الصغير نضال الأمة العربية لما هبّت تدفع العدوان الغاشم على أرض فلسطين. يقول الشاعر:

يا جهاداً صفّق المجد له ... لبس الغار عليه الأرجوانا
شرف باهت فلسطين به ... وبناء للمعالي لا يدانى
إنّ جرحاً سال من جبهتها ... لثمته بخشوع شفتانا
وأنيناً باحت النجوى به ... عربياً رشفته مقلتانا
قم إلى الأبطال نلمس جرحهم ... لمسة تمسح بالطيّب يدانا
إنّما الحق الذي ماتوا له ... حقّنا نمشي إليه أين كانا[2]

❖ فؤاد الخشن

(بحّ صوت الموج)

ومن رائع شعر فؤاد الخشن، ذلك الشعر الذي يؤكد على حق الفلسطينيين في العودة إلى أرضهم؛ إنّها تناديهم هاتفة باستعجال اللقاء، ولكي تكحل بدماء الشهداء ترابها المشتاق.

يقول الشاعر:

... وفلسطين التي أعطيتها
يوم إطلاق الهتافات فمكْ
أعطها الآن دمكْ
بُحّ صوت الموج في حيفا لوجه أسمرِ
يتجلّى صارماً كالقدرِ
ويد تحرق في شاطئها الملتاع كلّ السّفنِ
تحمل الإصرار خيطاً
من سنا الفجر لمجد الكفن
أو رجوع لجنان الوطنِ[3].

---

(١) شعر الأخطل ص ٣٢١.
(٢) شعر الأخطل ص ١٨٢.
(٣) سنابل حزيران ص ١٦٦.

❖ الشاعر القروي

(صياماً إلى أن يفطر السيف)[١]

ومن أشهر الشعر الوطني، شعر الشاعر اللبناني المهجري رشيد سليم الخوري المتوفى سنة ١٩٨٤، وهو من مشاهير شعراء العروبة، لقّب بالشاعر القروي، وله عدة دواوين شعرية منها: الرشيديات، والقرويات، والأعاصير.

وفي سنة ١٩٣٣ أقامت الجمعية الخيرية الإسلامية في سان باولو بالبرازيل حفلة كبرى، فانبرى الشاعر القروي فألقى هذه القصيدة بمناسبة حلول عيد الفطر السعيد. يقول الشاعر:

صياماً إلى أن يفطر السيف بالدم ... وصمتاً إلى أن يصدح الحق يا فمي
أفِطر وأحرار الحمى في مجاعةَ ... وعيد وأبطال الجهاد بمأتم
بلادك قدّمها على كلّ ملّة ... ومن أجلها أفطر ومن أجلها صُم
فما مسّ هذا الصوم أكباد ظُلَّم ... ولا هزّ هذا الفطر أرواح نُوَّم
لقد صام هندي فجوّع دولةً ... فهل ضار علجاً صوم مليون مسلم[٢]

* * *

أكرّم هذا العيد تكريم شاعر ... يتيه بأبيات النبيّ المعظّم
ولكنني أصبو إلى عيد أمّة ... محرّرة الأعناق من رقّ أعجمي
إلى علم من نسج عيسى وأحمد ... وآمنة في ظلّه أخت مريم
هبوني عيداً يجعل العرب أمّةً ... وسيروا بجثماني على دين برهم[٣]
فقد مزّقت هذي المذاهب شملنا ... وقد حطّمتنا بين نابٍ ومنسم[٤]
سلام على كفر يوحّد بيننا ... وأهلاً وسهلاً بعده بجهنّم

(خير المطالع)[٥]

ومن جيد شعر القروي، قصيدته التي يحيي فيها ذكرى الشهداء الذين سقطوا دفاعاً عن الحرية والكرامة والإستقلال، ويقصد بهم تحديداً شهداء سورية ولبنان الذين قضوا على أعواد مشانق السفاح جمال باشا التركي سنة ١٩١٦. يقول الشاعر:

---

(١) ديوان القروي ص ٣٥٥ - ٣٥٦.
(٢) ضار: أخر به. والعلج: المراد به المستعمر. والهندي، هنا: يريد به غاندي، زعيم الهند الذي حرّم على نفسه الطيبات من الطعام حتى يخرج المستعمر من بلاده.
(٣) برهم: هو الإله الهندي، براهما، والذي يؤلف مع فشنو وسيفا الثالوث الهندوسي المقدس.
(٤) المنسم: هو كالظفر للإنسان، وهو طرف خفّ البعير و النعامة.
(٥) الديوان ص ٣٢١ - ٣٢٢.

خير المطالع تسليم على الشهدا ... أذكى الصلاة على أرواحهم أبدا
فلتنحنِ الهام إجلالاً وتكرمة ... لكلّ حرّ عن الأوطان مات فدى
يا أنجم الوطن الزُّهرَ التي سطعت ... في جوّ لبنان للشعب الضليل هدى
قد علقتكم يد الجاني ملطخة ... فقدست بكم الأعواد والمسدا[1]
حتى غدا كل حرّ لو نصبت له ... حبل المنون على هدّابه سجدا
بل علّقتكم يد الجاني ملطخة ... منها الثريا تلظّى صدرها حسدا
أكرم بحبل غداً للعُرب رابطة ... وعقدة وحّدت للعرب معتقدا
يا زائر الأرز خبّر زائر البلد الحـ ... ـرام أنا جمعنا الأرز والبلدا
عوجا على حرش بيروت معاً وقفا ... حيث النّبيّان في قبر معاً رقدا
المحمصاني للتسليم مدّ يداً ... تحت الرمال ومدّ الخازني يدا
لو شقّ صدر الثرى عمّا به انجليا ... قلباً يعانق في صدر الثرى كبدا

* * *

يا من يروم كؤوس العزّ صافية ... جفّت ينابيع لبنان فرِدْ بردى
دم الشهادة يجري في مناهله ... حراً طهوراً يبلّ الروح والجسدا
لا سِلم إن لم نُعد للأرز نضرته ... والعيش في الأرز مخضلاً كما عهدا
ولا معاد بغير الحق منتصراً ... ولا انتصار بغير الشعب متحدا[2]

(قحط الرجال)[3]

ومن جيد شعر الشاعر القروي الوطني. قصيدته المعنونة باسم: «قحط الرجال» يقول الشاعر:

سل الساحبين ذيول النّعمْ
بما سلخوا من جلود الغنم
ألم تبقَ فيكم بقيّة دم؟
ألا تشعرون بجمر الندم؟
ألا تبصرون شقاء الوطن؟

* * *

(١) المسد: الحبال من ليف وغيره.
(٢) المحمصاني والخازن: شهيدان من شهداء لبنان.
(٣) ديوان القروي ص ٣٣٧ - ٣٣٨.

ويا ناعمين بذل القيود
ويا سادة في هوان العبيد
أمن أجل تقبيل رجل العميد
وبري الذقون لفرط السجود
غدرتم بشعب وبعتم وطن؟

* * *

بلادي ضللت سبيل الرشادْ
وهمت من الدين في كل واد
فيا أم كلّ نبيّ وهاد
بربك هلاّ عرفت الجهاد
ولو مرة في سبيل الوطن؟

* * *

ألا زأرة مثل قصب الرعودْ
يضجّ بها الأرز غيل الأسود
وتهتزّ منها عظام الجدود
مردّدة من وراء اللحود
ليحيا، ليحيا، ليحيا الوطن

* * *

ألبنان أين أسود الدحالْ[1]
ألا بطل واحد للنّزال
ألا «كرم» آخر في الشمال[2]
إلٰهي بلينا بقحط الرجال
أما من فتاة لهذا الوطن؟

❖ **يوسف الخال**

(هذه الأرض)[3]

ومن جيّد الشعر الوطني حيث التشبث بالأرض والتعلق بالتراب المقدس، وحيث

(١) الدحال: جمع دحل، وهو النقب في الأرض.
(٢) إشارة إلى يوسف بك كرم الزعيم اللبناني والثائر والمستبسل في مقاومة الحكم العثماني. مات سنة ١٨٨٩ بإهدن.
(٣) البئر المهجور ص ١٧.

الإشادة بالتاريخ والذكريات والتضحيات والجهاد في سبيل الأوطان نقتطف هذه الأبيات الوطنية للشاعر اللبناني المعاصر يوسف الخال المتوفى سنة ١٩٨٧، وصاحب الديوانين الشعريين المسمّيين بـ **«البئر المهجورة»** و**«قصائد في الأربعين»**. يقول يوسف الخال:

هذه الأرض لي وهذا الفضاء ... ما تراني ملكت ما لا أشاءُ
ثروة يا نِعمّها كم تفادى ... وقضى في ادّخارها الآباء
سمّروا كلّ مطرح بالضحايا ... والضحايا على المدى أحياء

* * *

هذه الأرض لي لدى كلّ ظلّ ... في حماها خميلة وسماء
حفنة من ترابها كانت الدنـ ... ـيا وكان الهدى وكان الضّياء

* * *

هذه الأرض لي درجت عليها ... وعليها سيدرج الأبناء
ما أنا إن هجرتها غير طيف ... أنكرته في وصفه الأسماء
وسؤال ضاع الجواب عليه ... مثلما ضاع في الدجى إيماء
رُبّ يوم بها على نكد العيـ ... ـشِ نعيم أقلّ منه الرّجاء

* * *

هذه الأرض لي وكانت شراعاً ... وستبقى فما لحقّ فناء
ترد النّور حيثما يورد النو ... رِ سخيّاً فتشرق الصحراء
وغداً شأنها يعود فتعطي ... إنّما الحرّ شأنه الإعطاء
فإذا كلّ فكرة قبس منـ ... ـها وكل اختلاجة إيحاء
هذه الأرض لي ومن كان مثلي ... هل له غيرها منىً ودعاء
أنا منها وطالما هي منّي ... فلتكن ما أشاء لا ما يُشاء

❖ **نسيب عريضة**

(نشيد المهاجر)

ومن الشعر الوطني المؤثر، شعر نسيب عريضة الشاعر المهجري السوري والمتوفى سنة ١٩٤٦، قضى ردحاً من حياته في بلاد الإغتراب لكنّ روحه وقلبه وعواطفه وأحاسيسه ظلت جميعها في بلده الذي هاجر منه ونزح عنه، إنه الحنين، الحنين إلى الأوطان، مهما طال الزمن، وامتد العمر... يقول نسيب عريضة من قصيدة بعنوان: «نشيد المهاجر[1]»:

---

(١) الأرواح الحائرة ص ١٢٠.

أنا المهاجر ذو نفسين واحدة ... تسير سيري وأخرى رهن أوطاني
أنا المهاجر لا أنسى الوداع وما ... جرى من الدمع في أجفان غزلان
ولوعة في حشا الأحباب ما بردت ... علّلتها بلقاء رهن أزمان

* * *

مرّت ثلاثون لم أنسَ العهود وهل ... تُنسى مواثيق أرحام وإيمان
الأهل أهلي وأطلال الحمى وطني ... وساكنو الربع أترابي وأقراني
قد كنت اشتاقهم والعين تنظرهم ... يا عظم شوقي على بعد وهجران

* * *

إن أنكرونا فما واللّهِ ننكرهم ... وإن جفوا لا نقابلهم بنسيان
نحبّهم كيفما كانوا وإن ركبوا ... مراكب الهجر من آن إلى آن
أنا الذي إن تناسى الناس قومهم ... هيهات أنسى وما الكفران من شاني

❖ نقولا فياض

(يوم تشرين)[1]

ومن الشعر الوطني الذي يتغنّى فيه صاحبه بالاستقلال والتحرر، ويندّد بالعدوان والتسلط والانتداب والطغيان، شعر نقولا فياض الشاعر اللبناني المهجري والمتوفى سنة ١٩٥٨ قاله بمناسبة إحياء ذكرى عيد الإستقلال، إستقلال لبنان وتحرّره من نير الاستعمار والإنتداب الفرنسي، وهي ذكرى تصادف يوم الثاني والعشرين من شهر تشرين الثاني من كل عام. يقول نقولا فياض:

إنّ لبنان أصبح حرّاً ... نازعاً من قيوده أشياءَ
يزرع الجوّ والبطاح جمالاً ... ويغذّي بطيبه ما شاء[2]
إنّ صرح الطاغوت مهما تناهى ... فحطاماً يغدو ويغدو هباء
هجم البغي في سكون الدياجي ... فاستباح الحمى وسدّ الجواء
ورمى بالرئيس في ظلمة النفي ... وألقى من حوله الزعماء[3]

* * *

(١) ديوان رفيف الأقحوان ص ١٠.
(٢) البطاح: الأراضي المنخفضة.
(٣) إشارة إلى سوق رئيس جمهورية لبنان يومذاك، ومعه رئيس الحكومة، وشلة من الزعماء الوطنيين، إلى سجن القلعة في راشيا.

يا لها ساعة تألّق فيها ... وجه لبنان عزّة، وإباء
غضبت أمّه سقاها لنان المـ ... ـجد تأريخها فعزّت مضاء[1]
وانبرى الشعب صاخباً يتلظّى ... وتنادى فزلزل الأرجاء

* * *

يا لذكرى تشرين منّا يميناً ... أن يكون استقلالنا استعلاء
جلّ ما تطلب الكرامة منّا ... أن ترانا لرعيه أكفاء

(لم يموتوا)[2]

وثمة يوم آخر تغنّى به الشاعر، وحيّا فيه أنبل المعاني وأسماها، وأرق العواطف وأسناها، هو يوم السادس من أيار، يوم شهداء لبنان وسوريا الذين قضوا على أعواد المشانق نصبت في ساحة الشهداء، دفاعاً عن حرية الأوطان يوم كان لبنان وسائر البلاد العربية تحت قبضة الأتراك. يقول نقولا فياض:

لم يموتوا لكنّهم أحياء ... تنشد الأرض ذكرهم والسماءُ
ساحة البرج أين أعوا ... دك السّود وأين المشانق الحمراء
تحجب الظلمة الوجوه فتمضي ... وتظلّ الأرواح وهي ضياء

* * *

شهر أيار أنت ذا اليوم رمز ... فيك كان الأسى وفيك العزاء
كل عام ترودنا منك ذكرى ... يلتقي المجد عندها والوفاء
فنزور الأحرار والقبر ناءٍ ... ورفات الأحرار فيه هباء
ونغذّي استقلالنا بلبانٍ ... صُبّ فيه إيمانهم والرجاء
أولا تسمعون شبه حفيف ... من وراء القبور وهو نداء
أيها العائشون نحن سكبنا ... من دمانا لتستفيق دماء
أيها العائشون نحن وضعنا ... أسساً للعلى فأين البناء
نحن كنّا للحقّ نعم الضحايا ... أفكنتم للحقّ نعم الوفاء؟

❖ بدوي الجبل

(يا سامر الحي)[3]

ومن أجود الشعر الوطني وأعذبه وأكثره سيرورة وانتشاراً في الأوساط الأدبية، شعر

---

(١) اللبان: الحليب.
(٢) رفيف الأقحوان ص ١١.
(٣) ديوان بدوي الجبل ص ٨٠ - ٨٥.

محمد سليمان الأحمد، الملقب ببدوي الجبل، وهو في طليعة الشعراء العرب المعاصرين في القطر السوري. هذا الشعر الذي قيل سنة ١٩٤٠، ببغداد احتفاءً بذكر ثورة الحسين بن علي التي أطلق رصاصتها الأولى سنة ١٩٢٠، وكان الألمان قد احتلوا باريس في خريف سنة ١٩٤٠، واستغلها الشاعر مناسبة للتعبير عن مشاعره إزاء قومه، وللتنفيس عن نشوة انتصار الألمان على الفرنسيين الذين نكّلوا بالسوريين، وبدمشق خاصة فرموها بالحديد والنار. يقول الشاعر من قصيدته الخالدة:

يا سامر الحيّ هل تغنيك شكوانا ... رقّ الحديد وما رقّوا لبلوانا
خلّ العتاب دموعاً لا غناء بها ... وعاتب القوم أشلاء ونيرانا
آمنت بالحقد يذكي من عزائمنا ... وأعبد اللّهَ إشفاقاً وتحنانا
ويل الشعوب التي لم تسقَ من دمها ... ثاراتها الحمر أحقاداً وأضغانا

* * *

ثارات يعرب ظمأى في مراقدها ... تجاوزتها سقاة الحيّ نسيانا
ألا دم يتنزّى في سلافتها ... أستغفر الثأر إن جفّت حُميّانا[1]
لا خالد الفتح يغزو الروم منتصراً ... ولا المثنى على رايات شيبانا[2]
أما الشآم فلم تبق الخطوب بها ... روحاً أحبّ من النعمى وريحانا

* * *

قد هان من عهدها ما كنت أحسبه ... هوى الأحبّة في بغداد لاهانا
فمن رأى بنت مروان انحنت تعباً ... من السلاسل يرحم بنت مروانا
أحنو على جرحها الدامي وأمسحه ... عطراً تطيب به الدنيا وإيمانا
أزكى من الطيب ريحاناً وغالية ... ما سال من دم قتلانا وجرحانا
هل في الشآم وهل في القدس والدة ... لا تشتكي الثكل إعوالاً وإرنانا
تلك القبور فلو أني ألمّ بها ... لم تعد عيناي أحباباً وإخوانا
يعطي الشهيد فلا والله ما شهدت ... عيني كإحسانه في القوم إحسانا
وغاية الجود أن يسقي الثرى دمه ... عند الكفاح ويلقي الله ظمآنا
والحق والسيف من طبع ومن نسب ... كلاهما يتلقى الخطب عريانا

* * *

(١) السلافة: الخمرة المعتقة.
(٢) المثنى: أحد أبطال الفتوحات الإسلامية في بلاد فارس. وخالد، هو خالد بن الوليد.

قل للألى استبعدوا الدنيا لسيفهمُ ... من قسّم الناس أحراراً وعبدانا
إني لأشمت بالجبار يصرعه ... طاغٍ ويرهقه ظلماً وطغيانا

* * *

سمعت باريس تشكو زهو فاتحها ... هلاّ تذكرت يا باريس شكوانا
والخيل في المسجد المحزون جائلة ... على المصلّين أشياخاً وفتيانا
والأمنيين أفاقوا والقصور لظىً ... تهوي بها النار بنياناً فبنيانا
رمى بها الظالم الطاغي مجلجلة ... كالعارض الجوّن تهداراً وتهتانا[1]
أفدي المخدّرة الحسناء روّعها ... من الكرى قدر يشتد عجلانا
تدور في القصر عجلى وهي باكية ... وتسحب الطيب أذيالاً وأردانا
تجيل والنوم ظلّ في محاجرها ... طرفاً تهدهده الأحلام وسنانا
فلا ترى غير أنقاض مبعثرةٍ ... هوين فناً وتاريخاً وأزمانا
تلك الفضائح قد سمّيتها ظفراً ... هلاّ تكافأ يوم الرّوع سيفانا
نجابه الظلم سكران الظّبي أشراً ... ولا سلاح لنا إلاّ سجايانا
إذا انفجرتِ من العدوان باكية ... لطالما سُمتنا بغياً وعدوانا
عشرين عاماً شربنا الكأس مترعة ... من الأذى فتملّيْ صرفها الآنا
ما للطواغيت في باريس قد مسخوا ... على الأرائك خدّاماً وأعوانا
اللّه أكبر هذا الكون أجمعه ... للّهِ لا لكِ تدبيراً وسلطانا
ضغينة تتنزّى في جوانحنا ... ما كان أغناكم عنها وأغنانا

* * *

شدّ الحسين على الطغيان مقتحماً ... فزلزل اللّهُ للطغيان بنيانا
نور النبوة في ميمون غرّته ... تكاد ترشفه الأجفان فرقانا
لاث العمامة للجلّى ولست أرى ... إلاّ العمائم في الإسلام تيجانا

❖ **أسمى طوبى**

(حبي الكبير)

وإن محبة الشاعر لوطنه، وتعلقه بالأرض، وتشبثه بالحرية، لهي جميعاً أحاسيس نابضة بالوطنية، وبحب الأرض المسلوبة؛ إنّه الإصرار على الحبّ، حبّ الأرض والوطن...

تقول الشاعرة أسمى طوبى من شعر في غاية الرّقة والحلاوة، فكأنّه نشيد الأناشيد:

---

(١) العارض الجون: الغيم الممطر الأسود.

وقالوا تحبّ
فقلت غرام الرياضى بماء النمير
تموت ويفنى شذاها
إذا ما تلظّى ألسعير
وتبقى بلادي
إلٰهي بعد
وبعد إلٰهي
وتبقى بلادي
على الدهر أغنيتي
وحبّي الكبير[١]

❖ **أدونيس**

(كل ماء وجه يافا)

وما أجمل هذا الشعر الوطني الذي ينبعث من أسلة الشاعر المحدث والمجدد علي أحمد سعيد، المعروف باسم أدونيس، وما أجمل معناه الوطني، وأرق ديباجته، وأصفى خياله وتعبيره. يقول أدونيس:

غير أن النَّهرَ المذبوح
يجري
كل ماء وجه يافا
كل جرح وجه يافا
والملايين التي تصرخ كلاّ
وجه يافا
والأحبّاء على الشرفة أو في القيد أو في القبر يافا
والدم النازف من خاصرة العالم يافا
سمّني قيساً وسمّ الأرض ليلى
باسم يافا
باسم شعب شرّدته البشرية
سمّني قنبلة أو بندقيّة[٢]

---

(١) حبي الكبير ص ٨٧.
(٢) ديوان أدونيس ٢/ ٦٠٢.

❖ **محمود درويش**

(ما قيمة الإنسان؟)

ومن وحي المناسبة عينها، مناسبة معاناة الشعب الفلسطيني للألم والتشريد، وانطلاقاً من هول المأساة، ومن الجراحات التي لا تندمل، كانت أحاسيس الشاعر الفلسطيني محمود درويش، وهي تنزّى عذاباً وغربة وحسرة وضياعاً. يقول الشاعر:

ماذا جنينا نحن يا أمّاه
حتى نموت مرتّين
فمرة نموت في الحياة
ومرة نموت عند الموت
يا غابة الصفصاف هل ستذكرين
أن الذي رموه تحت ظلّك الحزين
كأي شيء ميت، إنسان
وتحفظين جثتي من سطوة الغربان
وأنت يا أماه
ووالدي وإخوتي والأهل والرفاقْ
لعلّكم أحياء
لعلكم أموات
مثلي بلا عنوان
ما قيمة الإنسان
بلا وطن
بلا علم
ودونما عنوان
ما قيمة الإنسان؟[١]

(يا دامع العينين)[٢]

وما أبدع هذا الإصرار على التمسك بالأرض والاعتزاز بالكرامة، والعزم الذي لا يلين، يقول محمود درويش مخاطباً الذين هم وراء قضبان السجون يعانون وطأة الألم والغربة والوحشة والعذاب، ويبشّرهم بالنصر وبأن يوم الحرية آت لا ريب فيه:

---

(١) أوراق الزيتون ص ٧٢ - ٧٤.
(٢) أوراق الزيتون ص ٢٦.

يا دامي العينين والكفّين
إن الليل زائلْ
لا غرفة التوقيف باقية ولا
زرد السلاسلْ
نيرون مات ولم تمت روما
بعينيها تقاتلْ
وحبوب سنبلة تجفّ
ستملأ الوادي
سنابلْ

❖ **معين بسيسو**

(لن أهرب)[1]

أما معين بسيسو الشاعر الفلسطيني المعاصر فهو يحض على التمسك بالحرية، والتمرس بإرادة النضال، فيقول من شعر وطني عذب سلس له:

لن أهرب من دربي
لن أهرب من كأس الخلّ
وإكليل الشوك
وسأنحت من عظمي
مسمار صليبي
وسأمضي
أبذر قطرات دمائي
في الأرض
إن لم أتمزّق
كيف ستولد من قلبي

❖ **عصام ترشحاني**

(الطعنة القوية)

ومن جرح المعاناة، معاناة الشعب الفلسطيني، ونزوعه إلى الحرية، وبحثه عن هوية، ومن وحي يوم الأرض والعودة إلى الأرض، الوطن الأم، نقتطف هذه الأبيات الشعرية المحدثة، للشاعر عصام ترشحاني:

---

(١) فلسطين في القلب ص ١١.

عربيّ . .
وجه هذا الجرح
قد جاء إلينا . .
عربيّ . .
أنجبته الطعنة الأولى
وأعطته الهوية . .
فتنامى . . مطرقاً في الحزن
يكويه ابتهال الأرض
والأرض . . كتاب الموتِ
سحر الموت
قدّاس صلاة البندقية

* * *

أيها الجرح الذي
ينهض في الصين نزفناك طويلا
ومراراً مت فينا
نحن شيّعناك بالصمت
وودّعناك طفلاً . .
كنت طفلاً
حينما الخوف ارتدانا
وحبيباً كنت لمّا
خلع النار علينا
أيها الجرح الذي
يوغل في القلب . . تمهّل
نحن لن نهمل وصاياك
أغانيك
هتاف الدم في الشريان . . لكن
وحده الذبح احتوانا
وحصار الأبجدية
فاجعل البرق نزيفاً
واحمل النار رغيفاً للأغاني

ولترتّل غيمة الثأر على الشعب
ومن جذوته
أملأ الغبراء يا جرح القضية
أطلق النرجس نوراً
أطلق النرجس في
قوس شظيّه. . .[١]

❖ **إبراهيم طوقان**

(موطني)[٢]

ومن أجمل الشعر الوطني وأرّقه، وأطوعه للغناء، شعر الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان المتوفى سنة ١٩٤١ - وفي هذه القصيدة التي هي أقرب ما يكون إلى فن الموشحات يتغنّى الشاعر بوطنه، ويزجيه أروع تحياته وتمنياته، يدغدغ خياله مجد تالد، وعزّ شامخ؛ يقول إبراهيم:

موطني
الجلالُ والجمالُ والسّناء والبهاءُ في رباكْ
والحياة والنجاةُ والهناء والرّجاءُ في هواكْ
هل أراكْ
سالماً منعّماً وغانماً مكرّماً
هل أراكْ في علاكْ
تبلغ السّماكْ
موطني
موطني
الشباب لن يكلّ همّه أن تستقلّ أو يبيدْ
نستقي من الرّدى ولن نكون للعدى كالعبيدْ
لا نريدْ
ذلّنا المؤبدا وعيشنا المنكّدا
لا نريدْ بل نعيدْ
مجدنا التليدْ
موطني

---

(١) مجلة العربي ص ١٣٦، العدد ٣١٦ ٦ آذار ١٩٨٥.
(٢) إبراهيم طوقان، ص ١٥٩ - ١٦٠.

مـــوطـــنـــي
الـحـســامُ والـيـراعُ لا الـكـلام والـنـزاع رمـــــزنـــــا
مـجـدنـا وعـهـدنـا وواجـب إلـى الـوفـا يـــهـــزنـــا
عـــزّنـــا
غـايـــة تـشـرّفُ ورايـــة تـــرفـــرفُ
يـــا هـــنـــاكْ فـــي عـــلاكْ
قـاهـراً عـداكْ
مـــوطـــنـــي

❖ **فدوى طوقان**

(حريتي)[1]

ومن وحي المناسبة نفسها، ومن الحرية، والإصرار على نيلها، ومعانقتها على الرغم من الأسر والإحتلال والطغيان، يرتفع صوت الشاعرة الفلسطينية المعاصرة فدوى طوقان معبّراً عن هذه الحرية، فتقول:

حريّتي، حريّتي، حريّتي
سأظل أحفر إسمها وأنا أناضلْ
في الأرض، في الجدران، في الأبواب
في شُرف المنازلْ
في هيكل العذراء، في المحراب في طرق المزارعْ
في كل مرتفع ومنحدر ومنعطف
وشارعْ
في السجن، في زنزانة التعذيب في عود المشانقْ
رغم السلاسل، رغم نسف الدّور، رغم لظى
الحرائقْ
سأظلّ أحفر إسمها حتى أراهْ
يمتدّ في وطني ويكبرْ
ويظلّ يكبرْ
حتى يغطّي كل شبر في ثراه
حتى أرى الحرية الحمراء تفتح كل باب

---

(١) الليل والفرسان ص ١٠٤ - ١٠٧.

والليل يهرب والضّياء
يدكّ أعمدة الضّباب
حريتي!
حريتي!
حريتي!
صوت أردده بملء فم الغضبْ
تحت الرصاص وفي اللهب
وأظل رغم القيد أعدو خلفها
وأظل رغم الليل أقفو خطوها
وأظل محمولاً على مدّ الغضب
وأنا أناضل داعياً حريتي!
حريتي!
حريتي!
ويردد النهر المقدس والجسور
حريتي!
والضفتان ترددان: حريتي!
ومعابر الريح الغضوب
والرعد والإعصار والأمطار في وطني
ترددها معي:
حريتي! حريتي! حريتي!

(كفاني)[1]

ومن جيد شعر فدوى طوقان شعرها الذي تقول فيه:

كفاني أموت على أرضها
وأدفن فيها
وتحت ثراها أدوب وأفنى
وأبعث عشباً على أرضها
وأبعث زهرة
تعيش بها كفّ طفل نمته بلادي

---

(١) الليل والفرسان ص٧.

كفاني أظلّ بحضن بلادي
تراباً
وعشباً
وزهره

(يا وطني الحبيب)[١]

ومنه أيضاً:

يا وطني الحبيب لا، مهما تدرْ
عليك في متاهة الظلم
طاحونة العذاب والألم
لن يستطيعوا يا حبيبنا
أن يفقأوا عينيك، لن

* * *

ليقتلوا الأحلام والأمل
وليصلبوا حرية البناء والعمل
ليسرقوا الضحكات من أطفالنا
ليهدموا، ليحرقوا، فمن شقائنا
من حزننا الكبير، من لزوجة الدماءِ
في جدراننا
من اختلاج الموت والحياة
ستبعث الحياة فيك من جديد
يا جرحنا العميق أنت يا عذابنا
يا حبنا الوحيد

❖ **أبو سلمى**

(زرعت الشوك)[٢]

في طليعة الشعراء العرب المناضلين، الشاعر الفلسطيني أبو سلمى. وهنا هو في هذه الأبيات الوطنية يتغنّى بأرض فلسطين، ويحنّ إلى ربوع بلاده، وفي قلبه ووجدانه صرخة ألم، وتوق إلى عناق الحرية، والعودة إلى أرض الأجداد.

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٠ - ٢١.
(٢) حرب وبطولة ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

يقول الشاعر من قصيده له بعنوان «**أطياف الوطن**»:

زرعت الشوق في دربكِ والأشواك في دربي
وأطيافك في شعري وأنداؤك في هُدبي
ونجمك، يا لهذا النجم كم يخفق في قلبي
يقلّبني هوى عينيكِ من جنب إلى جنب
وإمّا التقت العينان لا ألقى سوى العَتْبِ

❊ ❊ ❊

تقولين أرى أطياف غيري اليوم في شعرِكْ
وطيفك وحده وشّاه بالألوان في زهرِكْ
فهلاّ تقرئين اسْمكِ خلف الصامت المدركْ
سلي الحرف فقد حافظ كالقلب على سرّكْ
وعينكِ ليس في شعري من السحر سوى سحرِكْ

❊ ❊ ❊

أطلّ الفجر من عينيكِ ما أروعها طَلّهْ
أرى فيها خيال اللّدّ والكرمل والرملهْ
وموج الشاطىء الغربي في عكا أرى ظلّهْ
أرى في أفقها وطني فأطبعه على قبلهْ
لقد حملت لي العينان ما لم أستطع حملهْ

على سفينتك يا سمراء ... أخبار وأسرارُ
وكيف ونحن في العالم ... يا سمراء أشعار
عليها من لظى التشريد ... والأدمع آثار
وقد كانت لنا دنيا ... وكان المجد والغار
ونحن اليوم لا وطن ... ولا أهل ولا دار

❖ **الرصافي**

(يا قوم لا تتكلموا)[1]

ومن بديع الشعر الوطني مسوقاً في أسلوب كلامي ساخر، قصيدة الشاعر العراقي المشهور معروف الرصافي المتوفى سنة ١٩٤٥. يقول الشاعر متحدثاً عن الحرية في سياسة المستعمرين.

---

(١) ديوان الرصافي ٢/٤٤٨ - ٤٤٩.

يا قوم لا تتكلموا ... إنَّ الكلام محرّمُ
ناموا ولا تستيقظوا ... ما فاز إلاَّ النُّوّم
وتأخّروا عن كلّ ما ... يقضي بأن تتقدموا
ودعوا التفهم جانباً ... فالخير أن لا تتقدموا
وتثبتوا في جهلكم ... فالشر أن تتعلموا
أما السياسة فاتركوا ... أبداً وإلاّ تندموا
إن السياسة سرّها ... لو تعلمون مطلسم[1]
وإذا أفضتم في المباح ... من الحديث فجمجموا
والعدل لا تتوسموا ... والظلم لا تتجهموا
من شاء منكم أن يعيـ ... ـش اليوم وهو مكرّم
فليُمسِ لا سمع ولا ... بصر لديه ولا فم
لا يستحق كرامة ... إلاّ الأصمّ الأبكم
ودعوا السعادة إنما ... هي في الحياة توهم
فالعيش وهو منعّم ... كالعيش وهو مذمم
فارضوا بحكم الدهر مـ ... ـهما كان فيه تحكّم
وإذا ظلمتم فاضحكوا ... طرباً ولا تتظلموا
وإذا أُهنتم فاشكروا ... وإذا لُطمتم فابسموا
إن قيل هذا شهدكم ... مرّ فقولوا: علقم
أو قيل إن نهاركم ... ليل فقولوا: مظلم
أو قيل إن ثمادكم ... سيل فقولوا: مفعم[2]
أو قيل إن بلادكم ... يا قوم سوف تقسم
فتحمّدوا وتشكّروا ... وترنّموا وترنّموا

(في سبيل الوطن)[3]

ومن عيون شعر الرصافي الوطني قصيدته التي يدعو فيها إلى الوحدة والتآخي بين المواطنين، وإلى نبذ روح التعصب والجهل والعداء، وفيها يحنّ إلى موطنه الذي نزح عنه، وهو بلاد الرافدين، العراق الحبيب، يقول الرصافي من قصيدته:

أما آن أن تُنسى من القوم أضغان ... فيُبنى على أُسّ المؤاخاة بنيانُ

---

(١) مطلسم: مكتوم.
(٢) الثماد: المياه القليلة.
(٣) ديوان الرصافي ١/ ١٣١ - ١٣٤.

أما آن أن يُرمى التخاذل جانباً ... فتكسب عزاً بالتناصر أوطان
علام التعادي لاختلاف ديانة ... وإن التعادي في الديانة عدوان
وما ضرّ لو كان التعاون ديننا ... فتعمر بلدان وتأمن قطّان[1]
إذا جمعتنا وحدة وطنية ... فماذا علينا أن تعدّد أديان
إذا القوم عمّتهم أمور ثلاثة ... لسان وأوطان وبالله إيمان
فأي اعتقاد مانع من أخوّة ... بها قال إنجيل كما قال قرآن
كتابان لم ينزلهما الله ربنّا ... على رسله إلاّ ليسعد إنسان
فمن قام باسم الدين يدعو مفرّقاً ... فدعواه في أصل الديانة بهتان
أنشقى بأمر الدين وهو سعادة ... إذن فاتباع الدين يا قوم خسران
ولكنّ جهل الجاهلين طحا بهم ... إلى كل قول لم يؤيده برهان[2]

❊ ❊ ❊

مواطنكم يا قوم أمّ كريمة ... تدرّ لكم منها مدى العمر ألبان
ففي حضنها مهد لكم ومباءة ... وفي قلبها عطف عليكم وتحنان[3]
فما بالكم لا تحسنون وواجب ... على الإبن للأم الكريمة إحسان
أصبراً وقد أمسى العدوّ يهينها ... أما فيكم شهم على الأم غيران

❊ ❊ ❊

ألا فانهضا نحو العدا وكلاكما ... لصاحبه في المأزق الضّنك معوان[4]
وقولا لمن قد لام صَهْ ويك إننا ... على كل حال في المواطن إخوان

❊ ❊ ❊

بنفسي أفدي في العراق منابتاً ... يفوح بها شيح ويعبق حوذان
رياض رعتها النائبات بأذؤب ... من الجور فارتاعت ظباء وغزلان

❊ ❊ ❊

سأبكي عليها كلما هبّت الصَّبا ... فمالت بها من حول دجلة أغصان

---

(١) القطان: القاطنون ساكنو الديار.
(٢) طحا بهم: ذهب بهم.
(٣) المباءة: المنزل والملجأ.
(٤) ضمير الإثنين في قوله(فانهضا) يعود إلى المسيحيين والمسلمين.

❖ الزهاوي

(يا أمة الشرق)[1]

ومن الشعر الوطني ذي النزعة الوجدانية الهادئة البعيدة عن الصخب والثورة، شعر جميل صدقي الزهاوي، الشاعر العراقي المتوفى سنة ١٩٣٦، وهو يتمثل بقصيدته«يا أمة الشرق» وفيها يخاطب قومه وبني جلدته ووطنه في الشرق مستنهضاً الهمم، محرّكاً النخوة والعزيمة، للأخذ بأسباب العلم والرقي والتحضر، والدعوة إلى التحرر، كما أن فيها يعاني الشاعر من ألم الفراق والبعد عن موطنه العراق، وإنا لنقتطف منها هذه الأبيات:

يا أمة الشرق أنشطي وأفيقي ... من طول نوم في الغداة عميق
يا شرق أهلك والجهالة ضلّة ... لا يهتدون لمنهج مطروق
يا شرق إن الناس ليس يضرّهم ... شيء كمثل سياسة التفريق
يا شرق إن الغرب بعد هجوعه ... دهراً أفاق وأنت غير مفيق
يا شرق أنت على العقول مضيق ... والغرب مبقيها بلا تضييق
الغرب سباق وأنت مقصر ... يا شرق نحو مدى يرام سحيق

❋ ❋ ❋

وطني العراق وربّ ليل ساكت ... ما كنت تسمع فيه غير شهيقي
قد طال حتى خلت أن نجومه ... مربوطة في جوفه بعروقي

❋ ❋ ❋

غربت في سيري إليه وشرّقوا ... شتان بين طريقهم وطريقي
إني يئست من الضياء فلا أرى ... إلاّ بجانب مصر بعض بريق
العلم يا بلداً نشأت بأرضه ... ضاعت لديك حقوقه وحقوقي
يا نفس قد سبوك حين نصحتهم ... هذا جزاء الصادقين فذوقي
حجر رموه يطلبون برميه ... كسراً لقلب كالزجاج رقيق
قلب يطيق عظيم كل رزيّة ... لكنّه للذل غير مطيق

❖ الجواهري

(يا دجلة الخير)

ومن أروع الشعر الوطني الحافل بالعاطفة والحنين إلى الأوطان شعر محمد مهدي

---

(١) ديوان الزهاوي ص ٢٨٨.

الجواهري، وهو من أعظم الشعراء العراقيين المعاصرين. وإن من هذا الشعر قصيدته المسماة بـ «**يا دجلة الخير**» والتي نظمها إثر نزوحه إلى مغتربه بتشيكوسلوفاكيا، وفيها يحيي الشاعر نهر دجلة العظيم أحد أبرز معالم العراق، وشريان حياته الرئيسي، كما ينحي باللائمة، بل هو يغلي بالثورة والغضب على حكام العراق آنذاك، ويستجيش عواطف العراقيين ويحركها لتثور على الطغاة والمستبدين. يقول الجواهري من تلك القصيدة الرائعة[١]:

حيّيت سفحكِ عن بعدٍ فحيّيني ... يا دجلة الخير يا أمّ البساتينِ
حييت سفحك ظمآناً ألوذ به ... لوذ الحمائم بين الماء والطين
يا دجلة الخير يا نبعاً أفارقه ... على الكراهة بين الحين والحين
إني وردت عيون الماء صافية ... نبعاً فنبعاً فما كانت لترويني

* * *

يا دجلة الخير يا أطياف ساحرة ... يا خمر خابية في ظل عرجون
يا سكتة الموت يا إعصار زوبعة ... يا خنجر الغدر يا أغصان زيتون
يا أمّ تلك التي من ألف ليلتها ... للآن يعبق عطر في التلاحين
يا مستجمّ النواسيّ الذي لبست ... به الحضارة ثوباً وشي هارون
الغاسل الهمّ في ثغر وفي حَبَبٍ ... والملبس العقل أزياء المجانين
والساحب الزّقّ يأباه ويكرهه ... والمنفق اليوم يُفدى بالثلاثين
والمسمع الدهر والدنيا وساكنها ... قرع النواقيس في عيد الشعانين

* * *

يا دجلة الخير ما يغليك من حنقٍ ... يغلي فؤادي وما يشجيك يشجيني[٢]
ما إن تزال سياط البغي ناقعة ... في مائك الطهر بين الحين والحين
ووالغات خيول البغي مصبحةً ... على القرى آمنات والدهاقين[٣]
يا دجلة الخير أدري بالذي طفحت ... به مجاريك من فوق إلى دون
أدري على أيّ ثيتار قد انفجرت ... أنغامك السمر على أنّات محزون
أدري بأنكِ من ألفٍ مضت هَدَراً ... للآن تهْزين من حكم السلاطين
تهزين أن لم تزل في الشرق شاردة ... من النواويس أرواح الفراعين

---

(١) المجموعة الشعرية الكاملة ١/ ٧ - ١١.
(٢) الوجون: أصل عذق النخلة اليابس.
(٣) الوالغات: الشاربات.

تهزين من خصب جنّات منشّرة ... على الضفاف ومن بؤس الملايين
تهزين من عتقاء يوم ملحمة ... أضفوا دروع مطاعيم مطاعين
الضارعين لأقدار تحلّ بهم ... كما تلوّى ببطن الحوت ذو النّون
يَرَون سود الرزايا في حقيقتها ... ويفزعون إلى حدس وتخمين

* * *

يا دجلة الخير والدنيا مفارقة ... وأيّ شرّ بخير غير مقرون
وأي خير بلا شرّ يلقّحه ... طهر الملائك من رجس الشياطين
يا دجلة الخير كم من كنز موهبة ... لديك في القمقم المسحور مخزون
لعلّ يوماً عصوفاً جارفاً عرهاً ... آتٍ فترضيك عقباه وترضيني
يا دجلة الخير كان الشعر قد رسمت ... كفّ الطبيعة لوحاً سفر تكوين
مزمار داود أقوى من نبوّته ... فحوىً وأبلغ منها في التضامين
يا دجلة الخير لم نُصحب لمسكنة ... لكن لنلمس أوجاع المساكين
هذي الخلائق أسفار مجسّدة ... الملهمون عليها كالعناوين
إذا دجا الخطب شعّت في ضمائرهم ... أضواء حرف بليل البؤس مرهون
دين لزام ومحسود بنعمته ... من راح منهم خليصاً غير مديون

* * *

يا دجلة الخير هلاّ بعض عارفة ... تُسدي إليّ بعد فتجزوني
يا دجلة الخير منيّتي بعاطفة ... وألهميني سلواناً يسلّيني
يا دجلة الخير خلّي الموج مرتفعاً ... طيفاً يمرّ ولو بعض الأحايين
وحمّليه بحيث الموج يغمرني ... دفء الكوانين أو عطر التشارين

(حلّفت غاشية الخنوع)[1]

ومن أروع الشعر الوطني قصيدة الجواهري التي نظمها في رثاء عدنان المالكي بدمشق، وهي آية في الإبداع والتصوير والتعبير، تحفل بالقيم والمعاني الوطنية، وتحيّي دم الشهادة في سبيل الأوطان. وفي القصيدة إشادة بحكام سورية وإزراء بحكام العراق آنذاك منبت الشاعر والبلد الذي رضع من لبانه وارتوى من مائه، يقول الجواهري:

حلّفت غاشية الخنوع ورائي ... وأتيت أقبس جمرة الشهداءِ
ودرجت في درب على عَنَت السّرى ... ألقٍ بنور خطاهُم وضّاء
خلّفتها وأتيت يعتصر الأسى ... قلبي وينتصب الكفاح إزائي

(١) المجموعة الشعرية الكاملة ١/ ٤٣ - ٤٩.

وحمدت نفساً حرّة لم تنتقص ... شهد الوفاء بعلقم الإغراء
صبغان يأتلقان ما عصف الدجى ... بالناس لون سناً ولون دماء
من عهد قابيل وكلّ ضحيّة ... رمز اصطِراع الحق والإهواء
ومرارة الثّكل المقدّس إرثة ... من آدم جاءت ومن حوّاء

* * *

أنا لا أرى العصماء غير عقيدة ... منسابة في فكرة عصماء
هذا أنا عظم الضحيّة ريشتي ... أبداً ولفح دمائها أضوائي
أستلهم النغَم الخفيّ يموج في ... جرح الشهيد بثورة خرساء
وأحسّ أن يد الشهيد تجرّني ... لتلقّني وضميره برداء
هاتيك أبياتي يصوغ خيالها ... دون العناصر عنصر الأرزاء
وأولاء أزهاري يرعرع نشأها ... نبع الأسى وخميلة الضّرّاء
كسبيكة الإبريز تعدل قوة الـ ... شهداء فيها رقّة البؤساء
قالوا قرابين فقلت أرادها ... للأرض من وصّى بها لسماء
عُني الإله بها فصيّر أمرها ... للناس في أخذ لهم وعطاء
واختار للفدي المفضّل صفوة ... من ناهضين بثقلة أكفاء
يهبون أرواحاً فتنهض أمة ... شمّاء مرساة على الأشلاء
وأنابهم عنها الخلود فها همو ... نُصُب شخوص في عيون الرائي

* * *

عدنان إنّ دماً وهبتَ رسالةٌ ... أنا من صميم دعاتها الأمناء
آمنت بالحمر النواضح في الثرى ... يبساً أريجَ الواحة الخضراء
المهديات العُمي أيّة رؤية ... والمسمعات الصّمُ أيّ دعاء
والمنزلات على المدى سُورَ الهدى ... ورسالة الآباء للأبناء
والجاعلات الجيل جسر رديفه ... وبنيه للآتين رمز فداء
آمنت لا وحي العقيدة وحدها ... لتكن بما أسلفت من خلصائي
آمنت إيمان الحجيج بقصده ... فهناك لي جدثٌ على البطحاء[1]
آمنت إيمان النهار بشمسه ... فلقد غمرت بنورها الوضّاء
آمنت إيمان الدماء بنفسها ... فأنا الصبيغ بها صباح مساء

* * *

(١) إشارة إلى النجف الأشرف حيث قبر أخيه جعفر الذي استشهد دفاعاً عن الوطن.

عوّذت جلّق بالضحايا جمّة ... من كيد همّاز بها مشّاء
من سائرين القهقرى لم يعرفوا ... بين الجهات السّتّ غير وراء
عوّذتها بالمالكيّ ورهطه ... من صفوة العقداء والزعماء
من ناذرين نفوسهم لم يعرفوا ... فيهنّ غير فريضة وأداء
بشراة موت يزحفون إلى الوغى ... زحف الحبيب لموعد ولقاء
وبراقد في ميسلون وطيفه ... متنقل ينهى عن الإغفاء[1]
يا شام يا لمح الكواكب في دجى ... يا موكب الأعراس في صحراء
يا موئل الذكرى يغطّي أرضها ... وسماءها حشد من الأصداء
للّهِ أنت أكلّ يومك حاشد ... برجولة ومروءة وفتاء
اليوم عيد الواهبين وفي غد ... عيد الفتوح وأمس عيد جلاء

❖ **بدر شاكر السياب**

(عربد الثار)[2]

ومن أروع الشعر الوطني وأرقه، وأشده حرارة ووجداناً، شعر الشاعر العراقي المجدّد، بدر شاكر السياب صاحب الدواوين الشعرية التي شاع ذكرها في جميع أوساط المثقفين ومنها: أساطير، وأنشودة المطر، والمعبد الغريق، ومنزل الأقنان، والمومس العمياء، والأسلحة والأطفال، وشناشيل ابنة الجلبي وإقبال، وفي القصيدة الوطنية التالية، يرثي الشاعر جعفر الجواهري، أخاه محمد مهدي الجواهري، والذي قتل سنة ١٩٤٨ أثناء الوثبة العراقية.

يقول السياب:

بسمة النور في ثغور الجراحِ ... أنتِ قبل الصباح نجم الصباحِ
كلما لُحتِ في خيال الطواغيتِ ... وألهبتِ مرقد السّفاحِ
ذاب قيد على اللظى وتراخت ... قبضات على حطام السلاح
واختفت كالظلال تنحلّ في النار ... وجوه تحفّ بالأقداح

* * *

كلما لحتِ هلّل الشعب أسو ... ان يبثّ ابتهاجه في النواح
وتحدّى الطغاة بالساعد ... المفتول من عامل ومن فلاح
كان في غفوة فلما ملأتِ ... النوم في مقلتيه بالأشباحِ

---

(١) إشارة إلى البطل القومي يوسف العظمة، أحد أبطال وقعة ميسلون قرب دمشق.
(٢) ديوان بدر شاكر السياب ص ٤٢٩ - ٤٣٣ - المجلد الأول.

هبّ غضبان يهمز الثأر ... بالثأر ويمشي على لهيب الكفاح
يا عيون الجراح لولاك ما ... امتدت عيون إلى الستار المزاح
تبصر الظلم عارياً والطوا ... غيت كأوراق دومة في الرياح

* * *

جرّد البغي خنجراً في دجى ... الليل وأهوى على الحمى المستباح
فاهتدت أمة، على لمعة ... النّصل وقد عبّ من دماء الأضاحي
واستضاءت ببسمة من شهيد ... ومشت فوق معبر من جراح
عربد الثأر فانهضي يا ضحايا ... واطرحي عنك باردات الصفاح
كلما ألهب الدجى حزن بغداد ... فغصّت بدمعها النضّاح
وانظري هل ترين إلاّ ثكالى ... وأيامى يضربن راحاً براح
وانظري ما يزال جلاّدك ... السكران فوق الثرى طليق الجناح
واسألي قبر جعفر البارد ... المخزون ما ذنب هذه الأرواح
جعفر الحق يا نشيد البطولات ... تغنّيه تحت ظلّ الصفاح
مدّ من قبرك المدمى بيمناك ... فما زلت حامل المصباح
أنت مزّقت ظلمة الليل ... بالنور فلا تهنْ مقلة السّفّاح

(حنين)[1]

ومن قصيدة لبدر شاكر السياب قالها وهو يحتضر سنة ١٩٦٣ :

أنا قد أموت غداً فإن الداء يقرض غيرَ وانِ
حبلاً يشدّ إلى الحياة حطام جسم مثل دارِ
نخرت جوانبها الرياح وسقفها سيل القطارِ
يا إخوتي المتناثرين من الجنوب إلى الشمالِ
بين المعابر والسهول وبين عالية الجبالِ
أبناء شعبي في قراه وفي مدائنه الحبيبة. . . .
لا تكفروا نعمَ العراقِ. . .
خير البلاد سكنتموها بين خضراء وماءِ
الشمس، نور اللّهِ، تغمرها بصيف أو شتاء
لا تبتغوا عنها سواها
هي جنّة فحذار من أفعى تدبّ على ثراها

(١) ديوان بدر شاكر السياب ص ٢٨٢ - ٣٨٣ - المجلد الأول.

أنا ميّت، لا يكذب الموتى، وأكفر بالمعاني
إن كان غير القلب منبعها
فيا ألق النهارِ
أغمر بعسجدك العراق، فإنَّ
من طين العراقِ
جسدي، ومن ماء العراق..

(بور سعيد)[1]

وثمة قصيدة وطنية رائعة قالها الشاعر إثر العدوان الثلاثي على مدينة بورسعيد المصرية سنة ١٩٥٦.

يقول الشاعر:

يا حاصد النار من أشلاء قتلانا ... منك الضحايا وإن كانوا ضحايانا
كم من ردىً في حياة وانخذال ردىً ... في ميتة وانتصارٍ جاء خذلانا
إنَّ العيون التي أطفأت أنجمها ... عجّلن بالشمس أن تختار دنيانا
وامتدّ كالنور في أعمقا تربتنا ... غرس لنا من دم واخضلّ موتانا
فزلزلي يا بقايا كاد أوّلنا ... يُبقي عليها من الأصنام لولانا
نحن الذين اقتلعنا من أسافلها ... لاةَ وعُزّى وأعليناه إنسانا
حُيّيتِ بورتَ سعيدٍ من مسيل دم ... لولا افتداء لما يُغليه ماهانا
حييت من قلعة صمّاء ناطحها ... عادٍ من الوحش يزجيهنّ قطعانا
عاناك في الليل داجٍ من جحافلها ... نوراً من اللّهِ أعماها ونيرانا
ما عاد ليل قد استخفى بأقنعة ... من أوجه الناس لولا أنتِ عريانا
ليل تُعيذ الكهوف السّود آنيةً ... فيها وفكّاً لموتاها وصوّانا
من بعض ما فيه من ظلماء ما عُرفت ... باسم لها فهي قبل اسم إذا كانا
حييت من قلعة ما آد كاهلها ... عبءُ السمواتِ إلاّ خفَّ إيمانا
أمسكتها أن يميد الظالمون بها ... ديناً لنا وانتصارتٍ وعنوانا
يا مرفأ ما أرجعتِ وادعة ... من غير زاد ولا آويتِ قرصانا
ولا تلفظت من مرسالكِ معتدياً ... إلاّ مدمّى ذليل الهام خزيانا
جمّعتِ من شطّ صورٍ لمح أحرفها ... واخترت من بابلٍ واحتزتِ مروانا
والنيل ساق العذارى من عرائسه ... للخصب في موكب الغادين قربانا
فالويل لو كان للعادين ما قدَروا ... لا نهدّ من حاضر ماضٍ فأخزانا

---

(١) ديوان بدرشاكر السياب ص ٤٩٢ - ٤٩٥ - المجلد الأول.

فلا ابتنى هرماً بانٍ ولا لبست ... تيجانها في انتظار الروح موتانا
ولا تفجّر في ذي قار فتيتها ... ولا تنفّست الصحراء قرآنا
حييت موتى وأحياء وأبنية ... مستشهدات أو استعصين أركانا
والنار والباذرون النار كم زرعوا ... من كل ثكلى لعزرائيل بستانا
من كل وجه لطفلٍ فيه زنبقة ... تدمى وتلتم فيه الريح غربانا
الجوّ مما يلزون الحديد به ... قاع الجحيم التظى وانصبّ طوفانا
سقاكِ من كل غيم فيه أحرزه ... جوف الثرى واشتهته النار أزمانا
كأسَ الرصاص التي غنّى بتوأمها ... سقراط وابتلّ منها جرح وهرانا

❖ **عبد الوهاب البياتي**

(أغنية خضراء)[1]

ومن أروع الشعر الوطني ذي النزعة التجديدية، والصياغة المحدثة قصيدة عبد الوهاب، البياتي، الشاعر العراقي المعاصر، تلك القصيدة التي أهداها إلى سوريا في سنة ١٩٥٥، وفيها يحيي بطولة شعبها، ويؤكد على معنى الحرية والفداء والاستشهاد، كما يتغنّى بالعروبة والجهاد، يقول الشاعر:

عيناي في عينكَ يا وطن العقيدة والكفاحْ
والنار في قلبي، وفي يديَ السلاحْ
أحمي حدودك من صغار النحلِ
يا وطن الأقاحْ
وأنا أغنيّ، والجراحْ
صبغت سماء مدينتي
طلع الصباحْ
يا إخوتي
طلع الصباحْ
وعلى نوافذ بيتنا كان الربيعْ
طفلاً يغنّي، والسماءْ
حمراء مثل سماء روما، يوم أحرقها عذابْ
نيرون، مثل الحب يأبى أن يبوحْ
مثل المسيح على الصليبْ

---

(١) ديوان المجد للأطفال والزيتون ص ٩٧.

وأنا أغني، والسحابْ
يخفي ذرى حرمون عن عيني
وفي يديَ السلاحْ
والنار في قلبي، فهبّي يا رياحْ
وليمعن الجلاد في قتلي، فحبي لن يموتْ
ما دام لي كوخ على بردى، ولي أبداً رفاق

* * *

الكادح العربي في عينيك،
تاريخ طويل، للنضال
أقوى من الأوغاد
يا وطن الرجال...

(الملجأ العشرون)[1]

ومن جيّد شعر البياتي قصيدته المهداة إلى يافا، بعنوان: «**الملجأ العشرون**». وهي من ديوان: «**الأباريق المهشمة**». يقول البياتي:

كفراغ أيام الجنود العائدين من القتالْ
وكوحشة المصدور في ليل السّعالْ
كانت أغانينا، وكنا هائمين بلا ظلالْ
مترقبين الليل، أنباء البريدْ
«الملجأ العشرون» ما زلنا بخير والعيالْ
والقمل والموتى، يخصّون الأقارب
بالسلامْ».
والذكريات الضجّة الشوهاء تعبر، والخيامْ
والريح، والغد، والظلامْ
كوجوهنا غبّ الرحيل:
«أماه، ما زلنا بخير» والذئابْ
تعوي وتعوي عبر صحراء السهادْ:
«يا إخوتي من أين نبدأ؟ من هنا!» ليل السعالْ
وبريدنا الباكي المعادْ:

---

(١) حب وبطولة ص ٢١٣ - ٢١٥.

لا شيء يذكر، لم تزل يافا، وما زال الرفاقْ
تحت الجسور، وفوق أعمدة الضِياء
يتأرجحون بلا رؤوس في الهواء
ولم يزل دمنا المراقُ
على حوائطها القديمة، واللصوصْ
وحقولنا الجرداء يغزوها الجراد
«من ها هنا أماه! أعواد المشانق والحريقْ
من ها هنا بدأوا ونبدأ، والطريقْ
وعر طويلْ
لا عاش رعديد ذليلْ»
يافا نعود غداً إليك مع الحصادْ
ومع السنونو والربيعْ
ومع الرفاق العائدين من المنافي والسجونْ
ومع الضّحى والقبّراتْ
والأمهاتْ. .
«الملجأ العشرون
ما زلنا بخيرٍ، والعيالْ
والإخوة المتشردون
من قبونا النائي يخصّون الأقارب بالسلامْ»

❖ **كاظم جواد**

(من مذكرات مسافر)[1]

وبتأثير واضح من هول العدوان الثلاثي على بور سعيد، وانسجاماً مع روح الثورة العربية ورياحها التي أخذت في التصاعد إثر ذلك العدوان، ولما كان كاظم جواد، الشاعر العراقي، أحد أولئك الذين عانوا ما عانوا من الظلم والاستبعاد والقهر والغربة في بلاد الغرب، بعيداً عن الأهل والأوطان. من وحي هذا كله كانت مذكرات كاظم جواد الوطنية الثورية، وإنا لنكتفي بشيء من مذكراته التي كتبها في لندن سنة ١٩٥٨.

يقول الشاعر:

ماذا سأكتب عن شوارعك المضاءة من دماءْ

---

(١) أغاني الحرية، ص ١٣٥.

ودموع شعبي الكادح المحزون في ليل العراقْ
ماذا سأكتب يا مدينهْ
فعلى ملامحك الصجاف تجوب أخيلة الضغينهْ
سأقول إنك توقدين
مصباح عارك من دم الموتى وجوع الآخرين
مهلاً، وإنك تشربين
مائي وبترولي، وأنك تبصقين
آلاف آلاف الرجال، وتقتلين الطيبينْ
بالأمس في رمل السويس، وفي روابي بورسعيدْ
والآن في عمان حيث الموت والدمُ والحديدْ
(يا أيها الخلجان)[1]

وعلى النسق ذاته، ومن وحي المناسبة نفسها، كتب الشاعر مذكراته من استوكهولم سنة ١٩٥٨، يقول الشاعر مخاطباً وطنه العراق:

يا أيها الخلجان، يا أفقاً ترشحه السكينهْ
يا زهرة في البحر هائمة على جرف المدينهْ
الآن ألمح ضوء نجمهْ
عبرت على الأفق البعيد كأنها خفقات نغمهْ
والآن أسمع في ضفافك صوت أغنية خفيّهْ
تحبو على الأمواج قادمة مع الريح الرّخيّهْ
من أين؟ من وطني البعيد؟ أيا عراقُ
أيا عراقْ!
لو أنَّ لي في الفجر أجنحة لجئتك بالعناقْ
متلألئاً مثل السهول، مصفّقاً كمياه دجلهْ
مترنّماً كظلال نخلهْ
من فورة الفرح العميق، من الربيع، من انتصاري
وهبوب أضواء النهارِ
خضراء تغمر بالصفاء حديقتي وسياج داري
لو أنّ لي، أوّاه، أجنحة لغنّيت الرحيلْ

---

(١) أغاني الحرية، ص ١٩٧.

يحدونيَ الأمل الوليد إليك، يا وطن النخيلْ
أوّاه يا وطني البعيدْ!
أوّاه يا وطني البعيدْ!

❖ **أحمد محمد الشامي**

(الحنين إلى الوطن)[1]

ومن جيد الشعر الوطني شعر الشاعر اليمني أحمد محمد الشامي، وفيه يتغنى الشاعر بوطنه، ويحيي بطولة أبنائه. يقول الشاعر:

لولا هواي البكر في عرصاتها
ما فاض دمعي عند ذكر صفاتها
بلد شبابي ماد بين غصونها
وطفولتي رفعت على همساتها
بلد دمي من عطرها ومشاعري
من نسجها وحُشاشتي من ذاتها

❊ ❊ ❊

ما خانني ألم وقد فارقتها
كُرها ولا شوق إلى نسماتها
أبداً أحنّ إلى مخايل أوبة
تشفي بها نفسي صدى صبواتها
وأعلل القلب الجريح بذكر ما
أرويه عن أشيائها وسماتها
وبكل ما عانيته من أجلها
وبكل ما قاسيته من نكباتها
بين الحتوف خائفاً ومشرّدا
ومكبّلاً في ليل زنزاناتها
وبما به جاهدت بطش طغاتها
وبما به جاهدت ضد غزاتها
لولا الحنين وما أعاقر من منى
ذابت حياتي في لظى حسراتها

(١) مصادر العمر ص ١٣٥ - ١٣٨، دار العودة بيروت.

وطني! وقاك اللّهُ كم لك من يد
عندي أعيش على حساب هباتها
إن كان لي خير فمن أفضالها
أو كان لي مجد فمن حسناتها
وطني بإسمك قد رقيت منازلاً
في العزّ لا يُعلى على درجاتها
قامرت ضد الكون باسمك في العلى
فقمّرت من يسعى إلى قصباتها
تاريخك استعلى على نظرائه
كجبالك استعلت على أخواتها
ما الكون إلاّ نفحة قدسية
الألحان أنت أحب مقطوعاتها
والدهر إن غنّى فأنت نشيده
وإذا انتشى فالراح أنت بذاتها

* * *

وطني حياتي دون أية منة
لك قد وهبت الكل من ساعاتها
فإذا طمحت إلى مجالي لذّة
وسرى خيالك ملتُّ عن شهواتها

* * *

وإذا رمتني محنة في مهمهٍ
فتشت عن ذكراك في فلواتها
غزلي ومدحي أنت ما أطريتُ من
أسمائها وعشقت من غاداتها
حبي وتمجيدي وكل مشاعري
لك بل وأشعاري على علاّتها . .

القسم الثاني

الشعر الوطني الأفريقي

❖ محمود سامي البارودي

(يا حبذا مصر)[١]

ومن أرق الشعر الوطني المتمثل بالحنين إلى الأوطان، والبكاء على الأيام السالفة، وهو من الشعر الوجداني في الصميم، شعر محمود سامي البارودي الشاعر المصري المجدّد، والمتوفى سنة ١٩٤٠. يقول الشاعر من قصيدة، وهو في منفاه بجزيرة سرنديب متشوقاً إلى الوطن، ومطلع القصيدة هو:

أعائذ بك يا ريحانة الزمنُ ... فيلتقي الجفن بعد البين والوسنُ[٢]
أشتاق رجعة أيامي لكاظمة ... وما بي الدار لولا الأهل والسّكن[٣]

يقول الشاعر من تلك القصيدة متلهفاً لعناق الوطن والأهل والأحباب، ومضمناً شعره بعض الأمثال والمواعظ والحكم:

يا حبّذا مصر لو دامت مودّتها ... وهل يدوم لحيّ في الورى سكنُ
تاللّهِ ما فارقتها النفس عن ملل ... وإنّما هي أيام لها إحن[٤]
فلا يسرّ عداتي ما بليت به ... فسوف تفنى ويبقى ذكري الحسن
ظنّوا ابتعادي إغفالاً لمنقبتي ... وذاك عزّ لها لو أنّهم فطنوا
فإن أكن سرت عن أهلي وعن وطني ... فالناس أهلي وكلّ الأرض لي وطن

* * *

قد يرفع العلم أقواماً وإن تربوا ... ويخفض الجهل أقواماً وإن خزنوا[٥]
فربّ ميت له من فضله نَسَم ... وربّ حيّ له من جهله كفن

* * *

لو كان للمرء حكم في تصرّفه ... لعاش حرّاً ولم تعلق به المحن
كل امرىء غرض للدهر يرشقه ... بأسهم لا تقي أمثالها الجُنَن[٦]

* * *

لعل مزنة خير تستهلّ على ... روض الأماني فيحيا الأصل والفنن

---

(١) ديوان البارودي ٤/ ٢٥ - ٤٢.
(٢) الوسن: النعاس. وريحانة، كناية عن مصر أو الحبيبة.
(٣) كاظمة: إسم مكان بعينه، وهو هنا كناية عن بلد الشاعر مصر.
(٤) الإحن: الأحقاد والضغائن.
(٥) تربوا: إفتقروا.
(٦) الجنن: جمع جنة، وهي الدرع، وما يتقي به.

وكـــلّ شـــيء لـــه بـــدء وعـــاقـــبـــة وكيف يبقى على حدثانه الزمن

❖ أحمد شوقي

(نكبة دمشق)[1]

من أجود الشعر الوطني وأشهره، وأكثره سيرورة، وانتشاراً، شعر أمير الشعراء أحمد شوقي، ذلك الشعر الذي تمثل بقصيدته التي يحيي فيها دمشق والعروبة، ويعزّي أهلها في نكبتهم بالشهداء الذين قضوا في سبيل الواجب الوطني، دفاعاً عن الوطن، وقتالاً للمستعمرين الفرنسيين الذين لم يتورعوا عن ضرب دمشق، بالحديد. والنار. فنهض شوقي من ديار الكنانة ثائراً وصوته الهادر يقول من قصيدة طويلة اخترنا منها هذه الأبيات الوطنية:

دم الـثـوّار تـعـرفـه فـرنـسـا وتـعـلـم أنّـه نـور وحـقّ
جـرى فـي أرضـهـا فـيـه حـيـاة كـمـنـهـلّ الـسـمـاء وفـيـه رزق
بـلاد مـات فـتـيـتـهـا لـتـحـيـا وزالـوا دون قـومـهـم لـيـبـقـوا
وحُـرّرت الـشـعـوب عـلـى قـنـاهـا فـكـيـف عـلـى قـنـاهـا تـسـترقّ
بـنـي سـوريـة أطّـرحـوا الأمـانـي وألـقـوا عـنـكـم الأحـلام ألـقـوا

❋ ❋ ❋

نـصـحـت ونـحـن مـخـتـلـفـون داراً ولـكـن كـلّـنـا فـي الـهـم شـرق
وقـفـتـم بـيـن مـوت أو حـيـاة فـإن رمـتـم نـعـيـم الـدهـر فـاشـقـوا
ولـلأوطـان فـي دم كـلّ حـرّ يـد سـلـفـت ودين مـسـتـحـقّ
ومـن يـسـقـي ويـشـرب بـالـمـنـايـا إذا الأحـرار لـم يُـسـقـوا ويـسـقـوا
ولا يـبـنـي الـمـمـالـك كـالـضـحـايـا ولا يـدنـي الـحـقـوق ولا يـحـقّ
فـفـي الـقـتـلـى لأجـيـال حـيـاة وفـي الأسـرى فـدىً لـهـم وعـتـق
ولـلـحـريـة الـحـمـراء بـاب بـكـلّ يـد مـضـرّجـة يُـدقّ...

(خطونا في الجهاد)[2]

ومن جيد شعر شوقي الوطني قصيدته التي قالها في الاحتفال بعيد الجهاد الوطني في ١٣ تشرين الثاني سنة ١٩٢٦.

يقول شوقي من أبيات مختارة من القصيدة عينها:

خـطـونـا فـي الـجـهـاد خُـطـىً فـسـاحـا وهـادنّـا ولـم نُـلـق الـسّـلاحـا

---

(١) الشوقيات ١/ ٧٦ - ٧٧.
(٢) الشوقيات ٢/ ٢٩ - ٣٠.

رضينا في هوىٰ الوطن المفدّى ... دم الشهداء والمال المطاحا
ولمّا سُلّت البيض المواضي ... تقلّدنا لها الحقّ الصُّراحا
فحطّمنا الشكيم سوى بقايا ... إذا عضّت أريناها الجماحا
وقمنا في شراع الحق نلقى ... وندفع عن جوانبه الرياحا
نعالج شدّة ونروض أخرى ... ونسعى السعي مشروعاً مباحا

* * *

ومن يصبر يجد طول التمنّي ... على الأيام قد صار اقتراحا
وأيام كأجواف الليالي ... فقدن النجم والقمر اللّياحا
قضيناها حيال الحرب نخشى ... بقاء الرّقّ أو نرجو السّراحا
تركن الناس بالوادي قعوداً ... من الإعياء كالإبل الرّزاحى
جنود السلم لا ظفر جزاهم ... بما صبروا ولا موت أراحا
ولا تلقى سوى حيّ كميت ... ومنزوف وإن لم يُسق راحا
ترى أسرى وما شهدوا قتالاً ... ولا اعتقلوا الأسنّة والصّفاحا
وجرحى السّوط لا جرحى المواضي ... بما عمل الجواسيس اجتراحا
صباحك كان إقبالاً وسعداً ... فيا يوم الرسالة عِمْ صباحا...

❖ **حافظ إبراهيم**

(مصر تتحدث عن نفسها)[1]

ومن بديع الشعر الوطني، قصيدة شاعر النيل، حافظ إبراهيم المتوفى سنة ١٩٣٢، أنشدها في الحفل الذي أقيم بفندق الكونتيننتال لتكريم عدلي يكن باشا إثر عودته من أوروبا قاطعاً المفاوضات مع الإنكليز، ومستقيلاً من الوزارة.

والقصيدة جاءت على لسان مصر تتحدث عن نفسها. يقول حافظ إبراهيم:

وقف الخلق ينظرون جميعاً ... كي أبني قواعد المجد وحدي
وبناة الأهرام في سالف الد ... هر كفوني الكلام عند التحدّي
أنا تاج العلاء في مفرق الـ ... ـشرق ودرّاته فرائد عِقدي
أيّ شيء في الغرب قد بهر النـ ... ـاس جمالاً ولم يكن منه عندي؟
فترابي تبر ونهري فرات ... وسمائي مصقولة كالفِرند[2]
أينما سرت جدول عند كرم ... عند زهر مدنر عند رند[3]

---

(١) ديوان حافظ إبراهيم ٢/ ٨٩ - ٩٤.
(٢) الفرند: السيف.
(٣) الرند: شجر طيب الرائحة، وهو الغار. ومدنّر: مختلف الألوان.

ورجالي لو أنصفوهم لسادوا ... من كهول ملء العيون ومُرد
لو أصابوا لهم مجالاً لأبدوا ... معجزات الذكاء في كلّ قصد
إنّهم كالظُّبا ألحّ عليها ... صدأ الدهر من ثواء وغِمد[1]
فإذا صيقل القضاء جلاها ... كنّ كالموت ماله من مردّ[2]

* * *

كم بغت دولة عليّ وجارت ... ثم زالت وتلك عقبى التعدّي
إنّني حرّة كسرت قيودي ... رغم رُقبى العِدا وقطّعت قِدّي[3]
قل لمن أنكروا مفاخر قومي ... مثلما أنكروا مآثر وُلْدي
هل وقفتم بقمّة الهرم الأكبـ ... ـر يوماً مذ يتم بعض جهدي
هل رأيتم تلك النقوش اللواتي ... أعجزت طوق صنعة المتحدّي
حال لون النهار من قدم العـ ... ـهد وما مسّ لونها طول عهد
هل فهمتم أسرار ما كان عندي ... من علوم مخبوءة طيّ بَردي[4]
ذاك فنّ التحنيط قد غلب الد ... هر وأبلى البلى وأعجز لِدّي
قد عقدت العهود من عهد فر ... عون ففي مصر كان أول عقد
إن مجدي في الأوليات عريق ... من له مثل أولياتي ومجدي
أنا أمّ التشريع قد أخذ الرو ... مان عني الأصول في كلّ حدّ
ورصدت النجوم منذ أضاءت ... في سماء الدّجى فأحكمت رصدي
وقديماً بنى الأساطيل قومي ... ففرقن البحار يحملن بندي[5]
فسلوا البحر عن بلاء سفيني ... وسلوا البرّ عن مواقع جُرْدي
أتراني وقد طويت حياتي ... في مراس لم ابلغ اليوم رشدي
أيّ شعب أحقّ مني بعيش ... وارف الظلّ أخضر اللون رغد
أمن العدل أنّهم يردون الماء ... صفواً وأن يكدّر وِردي
أمن الحقّ أنّهم يطلقون الأُ ... سْد منهم وأن تقيّد أُسْدي
نصف قرن إلاّ قليلاً أعاني ... ما يعاني هوانه كلّ عبد
نظر اللّهُ لي فأرشد أبنائي فـ ... ـشدّوا إلى العُلا أيّ شدّ
إنّما الحقّ قوّة من قوى الدّيا ... ن أمضى من كل أبيض هندي

---

(١) الظّبا: جمع ظُبة، وهي حدّ السيف. والثواء: المكث.
(٢) الصيقل: من يجلو السيوف ويحدّها.
(٣) القِد: القيد. والرقبى: الرقابة.
(٤) البردي: نبات كان يصنع منه الورق في القديم، وعُرفت به مصر.
(٥) البند: الراية الكبيرة. وفرقن: شققن.

قد وعدت العُلا بكل أبيّ ... من رجال فأنجزوا اليوم وعدي

(رموني بعقم)[١]

ومن عيون الشعر الوطني حيث العاطفة الجياشة، والفكرة السامية، واللفظة المعبرة، وحيث الغيرة على العروبة ولغتها، والوقوف في وجه المستعجمين والداعين إلى اللغات الأجنبية، المروّجين لفكرة أن اللغة العربية تقصر اليوم عن استيعاب روح العصر، وأنّها باتت في حالة احتضار، ينهض حافظ إبراهيم، شاعر النيل، في وجه هؤلاء جميعاً، فيقول من شعر وطني صادق، وهو يعرب عن أساه وثورته، وينطق باسم لغة الضاد:

رموني بعقم في الشباب وليتني ... عقمت فلم أجزع لقول عداتي
ولدت ولمّا لم أجد لعرائسي ... رجالاً وأكفاء وأدت بناتي
وسعت كتاب اللّه لفظاً وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلةٍ ... وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدّرّ كامن ... فهل سألوا الغوّاص عن صدفاتي
فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني ... ومنكم وإن عزّ الدواءَ أساتي
فلا تكلوني للزمان فإنّني ... أخاف عليكم أن تحين وفاتي
أرى لرجال الغرب عزّاً ومنعة ... وكم عزّ أقوام بغير لغات

❖ **أحمد رامي**

(طال شوقي)[٢]

ومن الشعر الوطني ذي النزعة الوجدانية، وفيه من الحنين والشوق والتوق إلى الطبيعة، والتغني بجمال مصر الشيء الكثير، شعر أحمد رامي المتوفى سنة ١٩٧٨، وهو من أشهر شعراء مصر، وزعيم الفنانين، والملقب بشاعر الشباب. له: أغاني رامي، وديوان رامي.

يقول الشاعر:

طال شوقي إلى ربوع الديار ... واستيافي ذاك النسيم الساري[٣]
واكتحالي بمنظر النيل يجري ... بين ظل النخيل والأشجار
وسماعي الكروان ينضح روحي ... بأغانيه من خفيّ المطار
يتغنّى وقد سجا الليل والبدر ... نثا ضوءه كذوب النضار[٤]

---

(١) ديوان حافظ إبراهيم ١/٢٥٣ - ٢٥٤.
(٢) الديوان، ص: ٤٧ - ٤٨.
(٣) الإستئناف: الإشتمام.
(٤) نثا: حدث، وأشاع. والنضار: الذهب.

واستقرت له الطبيعة حتى ... لتراءت كصورة في إطار

* * *

أين تلك السماء باهرة اللألاء ... تعشى شواخص الأبصار[١]
قد صفا وجهها كأن كتاب ... الغيب يبدو منها إلى الأنظار
أو كأن العيون تخترق ... الحجب وتعنو لطلعة القهار[٢]
تلك مصر فكيف ينساك ... يا مصر فؤاد معلق الأوطار
أينما كنتُ أنتِ كعبة آمالـ ... ـي ووقف عليك طول ادّكاري
وشبابي ضحية لك يا مصر ... وعزّت ضحيّة الأعمار
إنني في رباك فتّحت عينيّ ... فأبصرت أول الأنوار
وسقاني النمير من نيلك العذب ... فروّى تعطشي وأواري[٣]
وغذاني ثراك فاشتدّ غرسي ... وصفا موردي وطاب قراري

* * *

غاب عن ناظري منضّر واديك ... وأبقى نوافح الأزهار
وانطوت عني السماء وفي ... سمعي منها ملاحن الأطيار
أنت وكري الذي أحنّ إليه ... بعد طول الطواف والأسفار
في سوى أرضك الكريمة لا ... يحلو رواحي ولا يطيب ابتكاري
وإذا طال في البلاد اغترابي ... في سبيل العلا فأنتِ قُصاري

(مصر التي في خاطري)[٤]

ومن أشهر شعره الوطني الغنائي، قصيدته التي يتغنى فيها بمصر وهي على جانب من الرقة والتأثر والجمال:

مصر التي في خاطري وفي فمي ... أحبها من كلّ روحي ودمي
يا ليت كل مؤمن بعزّها ... يحبها حبي لها
بني الحمى والوطن ... من منكم يحبها مثلي أنا
نحبها من روحنا
ونفتديها بالعزيز الأكرم
من عمرنا وجهدنا

---

(١) تعشى: تعمي.
(٢) تعنو: تخرّ وتسجد.
(٣) الأوار: العطش الشديد.
(٤) الديوان ص ٢٧٤ - ٢٧٦.

عيشوا كراماً تحت ظل العلم تحيا لنا عزيزة في الأمم
أحبها لظلها الظليل بين المروج الخضر والنخيل
نباتها ما أينعه مفضضاً مذهبا
ونيلها ما أبدعه يختال ما بين الربى
بين الحمى والوطن
من منكم يحبها مثلي أنا
نحبها من روحنا
ونفتديها بالعزيز الأكرم
من قوتنا ورزقنا
لا تبخلوا بمائها على ظمي وأطعموا من خيرها كل فم
أحبها للموقف الجليل من شعبها وجيشها النبيل
دعا إلى حق الحياة لكل من في أرضها
وثار في وجه الطغاة منادياً بحقها
وقال في تاريخه المجيد يا دولة الظلم انمحي وبيدي
صونوا حماها وانصروا من يحتمي ودافعوا عنها تعش وتسلم
يا مصر يا مهد الرخاء يا منزل الروح الأمين
إنّي على عهد الوفاء في نصرة الحق المبين[1]

(يا شهيد العلا)

ومن رائع شعر أحمد رامي الوطني شعره الذي يمجد فيه شهداء مصر، بل كل الشهداء والأحرار، قاله لما كان بباريس، فمرّ بقبر الجندي المجهول، فقال:

يا شهيد العلا ورمز الفداء لك مني تحية البلاء
أنزلوك التراب من غير ما اسم ولك اليوم أشرف الأسماء
يا مثالاً يضم كل الضحايا في سبيل الفخار والعلياء
كل ما في الأنام من شرف النف س وحسن البلاء في الهيجاء
ماثل فيك ناطق بلسان الصـ ـمت بادٍ وأنت طيّ الخفاء

* * *

قد أقاموا قوساً تخلّد ذكر النصر للفاتحين والعظماء
مرّ من تحتها الغزاة ولكنـ ـك في ظلها طويل الثواء
والأكاليل ناديات على قبرك في كل ضحوة ومساء

(١) الديوان ص ٢١٦ - ٢١٧.

حاملات إليك دمع المآقي ... مازجته مدامع الأنداء
كم يزور اليتيم قبرك ظناً ... أن تكون الأبرّ في الآباء
وتطوف الثكلى بمثواك زعماً ... أن تكون الأعزّ في الأبناء
ويلوب الأخ الحزين رجاء ... أن تكون الأخ الحبيب النائي
كلهم فاقد وأنت فقيد ... وحدّ الحزن في اختلاف الشقاء
جمعتهم بك الأماني فأصبـ ... ـحت لهم مبعث الأسى والعزاء
أيهذا المجهول هل تنكر الأ ... جيال ما قد حملت من أعباء
بذلك النفس طائعاً ور ... ضاك الموت في دار غربة وثناء
والتحاف الجواد قرّاً وحرّاً ... وافتراش القتاد والغبراء
قد تجردت من مناعم دنيا ... ك وما في ظلالها من رخاء
وأبيت الظهور حيّاً وميتاً ... يا فخار الأموات والأحياء
قد نضوت الحياة وهي زوال ... فكساك الممات ثوب البقاء

❖ **عبد الرحمٰن الخميسي**

(هتاف إلى الحرية)[1]

ومن الشعراء المعاصرين الذين صوروا توق الإنسان إلى الحرية، حرية الإنسان، وتحرير الأوطان، الشاعر عبد الرحمٰن الخميسي، وإنّا لنقتطف من ديوانه «**دموع ونيران**» هذه الأبيات الوطنية ذات النزعة الإنسانية، وهي عبارة عن هتاف لحرية من وراء قضبان السجون، وفي قيود الأسر والعبودية. يقول الشاعر:

هتفت يا حريتي ضمّيني
هم في ظلام العيش قيّدوني
لكنهم لن يطفئوا يقيني
فرفر في سناك في عيوني
إني وراء هذه القضبان
أرنو إلى رحابة الأكوانِ
أسألها عنك وعن هواني

* * *

القيد يا حريتي يدميني
قد طال يا حريتي اشتياقي

---

(١) دموع ونيران ص ٤٨.

إلـــى عـــبـــوري مـــســـبـــح الآفـــاق
يـــمـــلـــؤنـــي الـــحـــبـــور فـــي انـــطـــلاقـــي
حـــتـــى إلـــى مـــجـــاهـــل الـــمـــنـــون
لـــولاك لـــم يـــنـــطـــلـــق الـــهـــواءُ
ولـــم يـــطـــف حـــول الـــدّنـــى الـــضـــيـــاء
ولـــم يـــك الـــوجـــود والأحـــيـــاء
ســـوى طـــلـــول عـــالـــم ســـجـــيـــن

❖ **الفيتوري**

(من أجل عيون الحرية)[1]

وبدافع من هذه الحرية، وعلى الرغم من قيود الذلّ والقهر، ومعاناة النفي والتعذيب فإن محمد الفيتوري الشاعر السوداني المعاصر المجدّد من قصيدة له بعنوان «**من أجل عيون الحرية**».

أكتبْ يا جبار الأحزان
أكتب باسم جلال الإنسان
باسم وجود خلف القضبان
ووجوه لم تعرفها بعد
باسم القتلى في كل مكان
المصلوبين على الجدران، بلا أكفان
بعيداً عن ضوضاء المجد
المشنوقين المنفيين المهزومين
المقهورين...
من أجل عيون الحرية..

(يقظة العملاق)[2]

ومن جيّد الشعر الوطني، وأسماه فكرة وصورة وعاطفة، ونفساً ثورياً سامقاً، شعر محمد الفيتوري المتمثل في قصيدته «**يقظة العملاق**» والمقصود بالعملاق في هذا المقام القارة الإفريقية السوداء حيث الفقر والجهل والتخلّف، وحيث الاستعمار والاستعباد، ونهب الثروات، يقول الفيتوري من تلك القصيدة الرائعة مخاطباً كل إفريقي بل كل عربي ومستعمر ومستعبد:

---

(١) عاشق في أفريقيا ص ٣٣.
(٢) حب وبطولة، لسليمان العيسي ص ٢١٠.

الـمـلايـيـن أفـاقـت مـن كـراهـا ... مـا تـراهـا تـمـلأ الأفـق صـداهـا
خـرجـت تـبـحـث عـن تـاريـخـهـا ... بـعـد أن تـاهـت عـلـى الأرض وتـاهـا
حـمـلـت أفـؤسـهـا وانـحـدرت ... مـن روابـيـهـا وأغـوار قـراهـا
فـانـظـرْ الإصـرار فـي أعـيـنـهـا ... وصـبـاح الـبـعـث يـجـتـاح الـجـبـاهـا
يـا أخـي فـي كـل أرض عـريـت ... مـن ضـيـاهـا وتـغـطّـت بـدجـاهـا
يـا أخـي فـي كـل أرض وجـمـت ... شـفـتـاهـا واكـفـهـرت مـقـلـتـاهـا
قـم تـحـرّر مـن تـوابـيـت الأس ... لـسـت أعـجـوبـتـهـا أو مـومـيـاهـا
إنـطـلـق فـوق ضـحـاهـا ومـسـاهـا ... يـا أخـي قـد أصـبـح الـشـعـب إلـهـا

(لن تسمع الجيران)[1]

ومن جيد شعر الفيتوري الوطني شعره في بطلة الجزائر جميلة بو حيرد، وهي البطلة القومية التي شاع اسمها في كل مكان، وأعطت المثل في البطولة والجهاد والصبر على مكائد العدوان والاحتلال.

لن تسمع الجيران يا جميلة
فالسجن مثل جبهة السجان
من حجر صخر، ومن صوان
وما الذي تصنع راحتان
نحيلتان مستطيلتان
لا مرآة صغيرة... نحيلة
السجن لا يسمع يا جميلة
إلا انقضاض المعاول
إلا دويّ الزلازل
إلا انفجار الزلازل
السجن سكران، قاتل
وأنت، لا فأس، ولا معولُ
ولا خنجر ماضٍ، ولا منجل
أنت هنا حمامةٌ تحجل
في قدميها السلاسل

* * *

(١) أذكريني يا أفريقيا ص ٨٠ - ٨٨.

ما أجمل الحياة يا جميلة
لولا جنون الطغاة
وقهقهات السجون
لأن ظالماً يحب الحياة
ويكره الآخرين
لأن سيداً يحب العبيد
ويكره الثائرين
لأنَّ سجّانك يا جميلة
أيتها النار الجزائرية
على جنود الامبراطورية

* * *

لا تطرقي رأسك يا جميلة
لا تخفضي جبهتك النبيلة
خوف جنود الأمبراطورية
قفي بوجه العذاب
شامخة بالعذاب
لا تدعي نقمتهم تقتلك
لا تدعي رحمتهم تغسلك
إنك قبر الأمبراطورية
إنك تسقين بآلامك
أشعة الشمس الجزائرية
إنك تمشين بأقدامك
فوق جلال الإمبراطورية
فوق عروش قَتَله
ما زال في أعينهم جوع الملوك
ما زال في دمائهم صراخ القتلة
ما زال فيهم رعشة القراصنة
تمتد مليون سنة
ما زال صوت تجار الرقيق
ما زال صوت المقصلة

يبعث فيهم الحنين والوله.

* * *

أأضرب الأمثال يا جميلة
أأملأ العروق بالثارات
أأملأ الوجوه بالوجوم!
أأملأ السماء بالغيوم
إذن هبيني ساعة من حياة
حياة روح داخل السجن
حياتك الساعة يا جميلة
في ليل زنزانتك الطويلة
حين تدور ساعة الحزن
ثلاث دورات فجائية
وحين لا ينفذ للأذن
إلا خطى الجند الحديدية
وهي تجوب ساحة السجن
في رعشة شبه جنونية
إذن... هبيني قوة الحديد والوجود
قوة إنسانية البشرْ
قوة ألف ثائر في القيود
يفجرون طاقة القدر
قوة شعبك العظيم
غضبان فرحان ثائر
قوة روحك المشع
فوق سماء الجزائر

(مقتل السلطان تاج الدين)[1]

ومن شعر الفيتوري الذي نظمه سنة ١٩٦٤، شعره الذي قاله في السلطان تاج الدين البطل الشعبي السوداني الذي قاد نضال القبائل الماليت في غرب السودان ضد القوات الفرنسية، فسقط شهيداً في معركة النصر سنة ١٩١٠.

---

(١) أذكريني يا أفريقيا ص ٨٩ - ١٠٤.

يقول الفيتوري من شعره الوطني هذا:

فوق الأفق الغربي سحاب أحمر لم يمطرْ
والشمس هناك مسجونة
تتنزّى شوقاً منذ سنين
والريح تدور كطاحونة
حول خيامك يا تاج الدين

* * *

يا فارس
سراج جوادك ليس يلامس ظهر الأرض
وحسامك مثل البيرق يخترق الظلمات
يا فارس
مثل الصقر إذا ما انقضّ
بيتك عالي الشرفان
نارك لا تخبو. . . لا تسودُّ
وجارك موفور العرض
يا فارس. .
حتى مات!

* * *

يا مولاي السلطان
سلام اللّهِ عليك
قتلى أعداؤك مطروحون
لدى قدميك
أسرى مغلولون وخُدام بين يديك
أكلت نيران مدافعهم نيرانُك أنت
بالسيف وبالحرية
وبإيمانك قاتلت
يا فارس تسحق أعداءك
أنى أقبلت
حين استبقوا نحوك

باسم بلادك ناديت
«لن يحجبني عن حبك شيء»
«إنَّك ملء دماي وعيني»
«يا دار مساليت أنا حيّ»

* * *

وهجمت فأجفل قائدهم
وانشقّ ستار
كان ستار رصاص
كان ستاراً من نارٍ
نصبوه في وجهك صفّين
كي لا ترى قائدهم بالعين
لكنك يا فارس أقدمت
فوق المدفع بالسيف مشيت
ولحقت بقائدهم فانهار
القائد ذو الجبروت انهارْ
ذو المركبة النارية والخوذات انهارْ
أحنى رأساً ماتت في عينيه الرغبات
مدّ يديه يبكي في حشرجة الأموات
عرّى صدراً دموياً أعشب فيه العار
هذا الصدر العاري المنهار
من قبل لقائك زانته يناشين الإكبار
لكنك يا فارس آليتَ
أن لا تهب الكافر صفحك
أن تسقي من دمه رمحكْ
أن تصلبهم عبر الفلوات
أن تجعل موتاهم مثلاً
لزمان عبر زمانك آت

❖ محيي الدين فارس

(يا جزائر)[1]

ومن جيّد الشعر الوطني المحدث، شعر الشاعر السوداني محيي الدين فارس، وإنّا لنقتطف منه هذه الباقة الرائعة، وهي عبارة عن أغنية وطنية، ونشيد ثوري خالد، خلّد فيه بطولة الجزائر وشعب الجزائر. يقول الشاعر:

يا جزائرْ
إجدلي الليل ضفائرْ
واغسلي بالمطر الورديّ أعراف المنائرْ
فخطى الفجر نبات يتسلّقْ
شقّ قلب الليل عبر النور والروض المنمّقْ
مثلما ينفذ من قلب الثرى الداكن زنبق
لم يزل في حنجرات العالم الآمن صوت يتمزّق
مثلما الرّعدة تسري بين ضلعيّ منجم الأرض المخيفْ
مثلما نفّضت الريح بقيّات الخريفْ

* * *

كلما أعملت الفأس يداً حول الجبالِ
أورقت زيتونة خضراء عذراء الظلالِ
وشدت فيها القُمارى بتواشيح طوالِ
وصحا قلب الحياة البكر يمشي في نضالِ...

* * *

جرح وهران عميقُ
كاد يبكي حوله الليل الصديقُ
والطريقُ!
أعين زرق، وأشواك، دوام، ومضيقُ
العيون الزرق ما زالت علىّ جنح مساري
سرقت كلّ كنوزي
أكلت كلّ ثماري

---

(١) حب وبطولة، ص ٢٣٨ - ٢٤٠.

غير أني سأغني للملايين انتصاري
للربيع البكر يندى على صحت القفارِ
صامد مثل انطلاق السيل من بعد إسارِ
مثلما تدوي بحار سمعت صمت بحارِ

* * *

يا جزائرْ!
إجدلي الليل ضفائرْ
واغسلي بالشفق الورديّ أعرف المنائرْ
هوذا الفجر على سُلّمة الليل الأخيرةْ
عاد من قلب لياليه الضريرةْ
فارقبي في مقلع الغيم جناحهْ
وقفي عند حوافيه، وغنّيه أغانيك النضيرة

* * *

يا جزائرْ
صدف البحر الذي ما عاد في الأعماق غائرْ
عامك السادس يا أختاه بالأمجاد زاخرْ
والبطولات النوادرْ
فخطى الفجر نبات يتسلّقْ
شقّ قلب الليل عبر النور والروض المنمّق
مثلما ينفذ من قلب الثرى الداكن زنبقْ
لم يزل في حنجرات العالم الآمن صوت يتمزّقْ...

❖ **أبو القاسم الشابي**

(إرادة الحياة)[1]

ومن عيون الشعر الوطني رائية الشاعر التونسي أبي القاسم الشابي المتوفى سنة ١٩٣٤، والمستقاة من ديوانه الذائع الصيت «**أغاني الحياة**». وفي هذه القصيدة يؤكد الشاعر على مبدأ ثابت هو أن الشعب هو الذي يصنع قدره، وأن الحياة والحرية هما لمن يريدهما ويتوق إلى عناقهما، كما أن فيها دعوة إلى الطموح، والتمسك بالحياة

(١) ديوان أغاني الحياة ص ١٢٠.

والعلم، والتأمل في الكون والحياة، وهذه الدعوة ممزوجة بمشاهد الطبيعة وبنفسية الشاعر وهي تعبر عن تجربته الشعورية الحادة. ونظراً إلى أهمية هذه القصيدة التي نظمت على البحر المتقارب، والتي نالت من الشهرة ما لم تنله قصيدة وطنية ثانية، فإنّا لنثبت معظم أبياتها وهي التالية:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة ... فلا بدّ أن يستجيبَ القدرْ
ولا بدّ للّيل أن ينجلي ... ولا بدّ للقيد أن ينكسرّ
ومن لم يعانقه شوق الحيا ... ة تبخّر من جوّها واندثر
فويل لمن لم تشقه الحياة ... من صفعة العدم المنتصر

* * *

ودمدمت الرّيح بين الفجاج ... وفوق الجبال وتحت الشجر
«إذا ما طمحت إلى غاية ... ركبت المنى ونسيت الحذر
ولم أتجنّب وعور الشباب ... ولا كبّة اللهب المستعر
ومن يتهيّب صعود الجبال ... يعش أبد الدهر بين الحفر
فعجّت بقلبي دماء الشباب ... وضجّت بصدري رياح أُخر
وأطرقت أصغي لقصف الرعود ... وعزف الرياح ووقع المطر»

* * *

وقالت لي الأرض لما سألت ... «أيا أمّ هل تكرهين البشر»
«أبارك في الناس أهل الطموح ... ومن يستلذّ ركوب الخطر
وألعن من لا يماشي الزمان ... ويقنع بالعيش عيش الحجر
هو الكون حيّ يحبّ الحياة ... ويحتقر الميت مهما كبر
فلا الأفق يحضن ميت الطيور ... ولا النحل يلثم ميت الزّهَر
ولولا أمومة قلبي الرّؤوم ... لما ضمّت الميت تلك الحفر
فويل لمن لم تشقه الحياة ... من لعنة العدم المنتصر»

* * *

وفي ليلة من ليالي الخريف ... مثقّلة بالأسى والضّجر
سكرت بها من ضياء النجوم ... وغنّيت للحزن حتى سكر
سألت الدجى: «هل تعيد الحياة ... لِمن أذبلته ربيع العمر»
فلم تتكلّم شفاه الظلام ... ولم تترنّم عذارى السمر
وقال لي الغاب في رقّة ... محبّبة مثل خفق الوتر:

«يجيء الشتاء شتاء الضباب شتاء الثلوج شتاء المطر
فينطفىء السحر سحر الغصون وسحر الزهور وسحر الثمر
وسحر السماء الشّجيّ الوديع وسحر المروج الشهي العطر
وتهوي الغصون وأوراقها وأزهار عهد حبيب نضر
وتلهو بها الريح في كل وادٍ ويدفنها السيل أنّى عبر
ويفنى الجميع كحلم بديع تألّق في مهجة واندثر
وتبقى البذور التي حُمّلت ذخيرة عمر جميل عبر
وذكر فصول ورؤيا حياة وأشباح دنيا تلاشت زمر
معانقة وهي تحت الضباب وتحت الثلوج وتحت المدر
لطيف الحياة الذي لا يُملّ وقلب الربيع الشّذيّ الخضِر
وحالمة بأغاني الطيور وعطر الزهور وطعم الثمر

* * *

ويمشي الزمان فتنمو صروف وتذوي صروف وتحيا أُخَر
وتصبح أحلامها يقظة موشحة بغموض السّمر
تسائل: أين ضباب الصباح وسحر المساء وضوء القمر
وأسراب ذاك الفراش الأنيق ونحل يغنّي وغيم يمر
وأين الأشعة والكائنات وأين الحياة التي أنتظر
ظمئت إلى النور فوق الغصون ظمئت إلى الظل تحت الشجر
ظمئت إلى النبع بين المروج يغنّي ويرقص فوق الزهر
ظمئت إلى نغمات الطيور وهمس النسيم ولحن المطر
ظمئت إلى الكون أين الوجود وأين أرى العالم المنتظر
هو الكون خلف سبات الجمود وفي أفق اليقظات الكُبَر

* * *

وما هو إلاّ كخفق الجناح حتى نما شوقها وانتصر
فصدّعت الأرض من فوقها وأبصرت الكون عذب الصّور
وجاء الربيع بأنغامه وأحلامه وصباه العطر
وقال لها: قد مُنحتِ الحياة وخُلّدت في نسلك المدّخر
وباركك النور فاستقبلي شباب الحياة وخصب العمر
وشفّ الدجى عن جمال عميق يشبّ الخيال ويذكي الفكر
ومُدّ على الكون سحر غريب يصرّفه ساحر مقتدر

وضاءت شموع النجوم الوضاء ... وضاع البخور بخور الزهر
ورفرف روح غريب الجمال ... بأجنحة من ضياء القمر
ورنّ نشيد الحياة المقدّس ... في هيكل حالم قد سُحر
وأُعلن في الكون أنّ الطموح ... لهيب الحياة وروح الظفر

* * *

إذا طمحت للحياة النفوس ... فلا بدّ أن يستجيب القدر

❖ ابن سعيد

(هذه مصر)[1]

لم يكن الشعر الوطني، بما لكلمة الوطن من معنىً محدث اليوم، معروفاً في الأعصر الأدبية القديمة؛ ومع ذلك فلا يفوتنا الإشارة إلى لمعات من شعر الحنين إلى الأوطان، وهو يدخل في صميم الشعر الوطني إذ الحنين إلى الوطن جزء من مقوّمات الشعور الوطني، ولنا في قصيدة نور الدين أبي الحسن علي بن موسى المعروف بابن سعيد الأندلسي، ما يدلّ على توافر مثل هذا الإحساس بقيمة الوطن، والحنين إليه كلما نأى عنه الشاعر وتغرّب. يقول ابن سعيد، وقد هبط مصر وأقام فيها مدة فتشوق إلى بلدة في المغرب الأندلسي، واستبدّ به الحنين والشوق إلى مرابعها ومدنها، يقول:

هذه مصر فأين المغربُ ... قد نأى عني فعين تسكبُ
فارقته النفس جهلاً إنّما ... يعرف الشيء إذا ما يذهب
أين حمص أين أيامي بها ... بعدها لم ألقَ شيئاً يعجب[2]
كم يعيش لي بها من لذّة ... حيث للنهر خرير مطرب
وحمام الأيك تشدو حولنا ... والمثاني في ذراها تصخب
ولكم بالمرج لي من لذّة ... بعدها ما العيش عندي يعذب
والنواعير التي تذكارها ... بالنوى عن مهجتي لا يسلب
أين حسن النيل من نهر بها ... كل نغمات لديه تطرِب
كم به من زورق قد حلّه ... قمر ساقٍ وعود يضرِب
وإلى الحوز حنين أبداً ... وعلى شنّيلِ دمعي صيّب[3]
حيث سلّ النهر غضباً وانثنت ... فوقه القضبُ وغنّى الربرب[4]

---

(١) تاريخ الأداب العربية ٢/ ١٥١ - ١٥٢.
(٢) حمص، هنا، هي حمص إشبيلية في الأندلس، لا حمص الشام.
(٣) شنيل: نهر يصب في الوادي الكبير بغرناطة. والحوز: المكان في الشجر والمسنّيات.
(٤) الربرب: قطيع بقر الوحش.

ملعب للّهو مذ فارقته ... ما ثناني نحو لهو ملعب
وإلى مالقة يهفو هوى ... قلب صبّ بالنّوى لا يقلب
أين أبراج بها قد طالما ... حثّ كأسي في ذراها كوكب
وعلى مرسية أبكي دماً ... منزل فيه نعيم معشب
هذه حالي وأما حالتي ... في ذرى مصر ففكر متعب...

أروع ما قيل في الموشحات

القسم الأول

موشحات الأندلسيين

❖ ابن بقيّ

(غلب الشوق بقلبي)[١]

من أشهر الوشاحين الأندلسيين أبو بكر ابن بقي، اتخذ من الموشح وسيلة للمدح والتعبير عن آرائه السياسية، وضمّنه بوح الوجدان، ونفثة الإحساس بجمال الطبيعة والمرأة. اتصل بملوك زمانه ومدحهم ومن أشهر موشحاته هذه الموشحة:

غلب الشوق بقلبي فاشتكى ألم الوجد فلبّت أدمعي
أيها الناس فؤادي شغفُ
وهو من بغي الهوى لا ينصف
كم أداريه ودمعي يكف[٢]
أيها الشادن[٣] من علّمكا بسهام اللحظ قتل السَّبُعِ

* * *

بدر تمّ تحت ليل أغطشِ[٤]
طالع في غصن بانٍ منتشي
أهيف القدّ بخدّ أرقشِ[٥]
ساحر الطرف وكم ذا فتكا بقلوب الأُسْدِ بين الأضلع

* * *

أيّ ريم[٦] رمته فاجتنبا
جرّدت عيناي سيفاً مرهفا
كقضيب هزّه ريحُ الصَّبا
قلت هبْ لي يا حبيبي وصلكا واطّرح أسباب هجري ودعِ

* * *

قال خدّي زهره مذ فوّفا[٧]
جرّدت عيناي سيفاً مرهفا

---

(١) تجد هذه الموشحة في نفح الطيب، للمقري ٤/ ٢٣٧ - ٢٣٨.
(٢) يكف: يسيل ويقطر.
(٣) الشادن: ولد الظبية.
(٤) الأغطش: الشديد السواد.
(٥) الأرقش: المزوّق والمنمّق.
(٦) الريم: ولد الظبي.
(٧) فوّف: زركش.

حـــذراً مـــنـــه بـــأن لا يـــقـــطـــفـــا
إنّ مـــن رام جـــنـــاه هـــلـــكـــا فـــازل عـــنـــك عُـــلال الـــطـــمـــعِ

* * *

ذات قـــلـــبـــي فـــي هـــوى ظـــبـــيٍ غـــريـــزْ
وجـــهـــه فـــي الـــدّجـــن صـــبـــح مـــســـتـــنـــيـــزْ
وفـــؤادي بـــيـــن كـــفّـــيـــه أســـيـــرْ
لـــم أجـــدْ لـــلـــصـــبـــر عـــنـــه مـــســـلـــكـــا فـــانـــتـــصـــاري بـــانـــســـكـــاب الأدمـــع

(خذ حديث الشوق)[1]

ومن موشحاته الرقيقة قوله:

خـــذ حـــديـــث الـــشـــوق عـــن نـــفـــســـي وعـــن الـــدمـــع الـــذي هـــمـــعـــا[2]
مـــا تـــرى شـــوقـــي وقـــد وقـــدا
وهـــمـــى دمـــعـــيَ واطّـــردا
واغـــتـــدى قـــلـــبـــي عـــلـــيـــك ســـدى
آه مـــن مـــاء ومـــن قـــبـــسِ بـــيـــن طـــرفـــي والـــحـــشـــا جـــمـــعـــا

* * *

بـــأبـــي ريـــم إذا ســـفـــرا
أطـــلـــعـــت أزراره قـــمـــرا
فـــاحـــذروه كـــلّـــمـــا نـــظـــرا
فـــبـــألـــحـــاظ الـــجـــفـــون قِـــســـي[3] أنـــا مـــنـــهـــا بـــعـــض مـــن صُـــرعـــا

* * *

أرتـــضـــيـــه جـــار أو عـــدلا
قـــد خـــلـــعـــت الـــعـــذر والـــعـــذلا
إنّـــمـــا شـــوقـــي إلـــيـــه جـــلا
كـــم وكـــم أشـــكـــو إلـــى الـــلّـــعـــسِ[4] ظـــمـــئـــي لـــو أنّـــه نـــفـــعـــا

* * *

---

(١) تجد هذه الموشحة في نفح الطيب ٤/ ٢٣٨ - ٢٣٩.
(٢) همعت العين: دمعت.
(٣) القسيّ: جمع قوس وهي الآلة التي يرمى بها السّهم.
(٤) اللعس: سواد مستحسن في باطن الشفة.

صـــال عـــبـــدالـــلّـــهِ بـــالـــحـــور[١]
وبـــطـــرف فـــاتـــر الـــنـــظـــر
حـــكـــمـــه فـــي أنـــفـــس الـــبـــشـــر
مـثـل حـكـم الـصـبـح فـي الـغـلـسِ[٢] إن تـجـلّـى نـوره صـدعـا

* * *

شـبّـهـتـه بـالـرّشـا[٣] الأمـمُ
فـلـعـمـري إنّـهـم ظـلـمـوا
فـتـغـنّـى مـن بـه الـسّـقـم
أيـن ظـبـي الـقـفـر والـكُـنُـسِ[٤] مـن غـزال فـي الـحـشـا رتـعـا

(ما ردّني لابسْ)

ومنها أيضاً[٥]:

مـــا ردّنـــي لابـــسْ ثوب الضّنى الدارس[٦]
إلاّ قـــمـــرْ
فـــي غُـــضُـــنٍ مـــائـــسْ شـعـاعـه عـاكـسْ
ضـوء الـبـصـرْ

* * *

أسـيـر كـالـسّـيـلِ إلـيـه لا بـاعُ
إلاّ ودادي
والـطـيـف فـي خـيـلِ لـهـنّ إسـراعُ
مـع الـرقـادِ

* * *

يـا كـوكـب الـلـيـلِ إن كـنـتَ تـرتـاعُ
فـلُـم فـؤادي
كـالأسـدِ الـعـابـسْ لـكـنّـه خـانـسْ
مـن الـحـوزِ[٧]

---

(١) الحور: شدة بياض العين مع شدة سوادها.
(٢) الغلس: ظلمة آخر الليل.
(٣) الرشا: ولد الظبية.
(٤) الكنس: جمع كناس، وهو مأوى الظبي.
(٥) تجد هذه الموشحة في نفح الطيب ٤/ ٢٤٠.
(٦) الدارس: المندثر.
(٧) الخانس: المتواري المستتر.

(ساعدونا مصبحينا)[١]

ومن موشحات ابن بقي الخمرية والغزلية وموشحته الكاملة التي هي:

ساعدونا مصبحينا ... نرشفها قد ظمينا
كنضار[٢] في لجين[٣] ... نعم أجر العاملينا
قم بنا نجلو الكؤوسا ... تحت أضلال السحابِ
نتعاطاها عروسا ... حليها درّ الحبابِ
قهوة تعطي النفوسا ... عزّ أيام الشبابِ
تغضب الليث العرينا ... ويُرى كسرى قرينا
حين يُسقى باليدين ... جامها[٤] حيناً فحينا

* * *

يومنا يوم أنيقْ ... يوم شرب والتذاذ
طرّزت فيه البروق ... لابساً أثواب لاذِ
وسقى الغيم الرقيق ... ماء ورد برذاذِ
أضهر السحر المبينا ... حين رشّ الياسمينا
وبكى من دون عينِ ... فضحكنا فاكهينا

* * *

أيها الساقي المحيّا ... برياحين التمنّي
سحر عينيك الحميّا[٥] ... فاصرف الصهباء[٦] عني
لا تسلّطها عليّا ... فالهوى قد نال مني
قد نفثت السحر فينا ... فرضينا الحب ديناً
فمنائي دون مَيْنِ[٧] ... أن نرى ذاك الجبينا

* * *

لي حبيب يوسفيٌ[٨] ... وصله في الحب منّهْ

---

(١) تجد هذه الموشحة في جيش التوشيح، لابن الخطيب ص ١٣ - ١٤.
(٢) النضار: الذهب.
(٣) اللجين: الفضة.
(٤) الجام: إناء الشراب.
(٥) الحميّا من كل شيء: شدته وسطوته، وهنا كناية عن الخمرة.
(٦) الصهباء: الخمرة.
(٧) المين: الكذب.
(٨) نسبة إلى يوسف النبي وكان يضرب به المثل في الحسن.

وجـــهـــه صـــبـــح وضـــيُّ ... قـــد تـــبـــدّى فـــي الـــدُّجُـــنَّـــهْ
دلّـــنـــي مـــنـــه الأبـــيُّ ... فـــأعـــاد الـــنـــار جـــنّـــهْ
بـــذل الـــورد الـــمـــصـــونـــا ... بـــعـــد مـــا كـــان ضـــنـــيـــنـــا
فـــكـــأنـــي ذو رُعَـــيْـــنِ ... أو أمـــيـــر الـــمـــؤمـــنـــيـــنـــا

* * *

ســـاءنـــا لـــمـــا اتـــصـــلـــنـــا ... كـــل مـــغـــتـــاب حـــســـودِ
وكـــذاك الـــوجـــه قـــلـــنـــا ... لا لـــتـــدنـــيـــس الـــبـــرودِ
لـــم نـــرد فـــيـــمـــا امـــتـــثـــلـــنـــا ... غـــيـــر إقـــلاقِ الـــحـــســـودِ
قـــد بـــلـــيـــنـــا وابـــتُـــلـــيـــنـــا ... واشْ يـــقـــول الـــنـــاس فـــيـــنـــا
قـــم بـــنـــا يـــا نـــور عـــيـــنـــي ... نـــجـــعـــل الـــشـــك يـــقـــيـــنـــا

(ما بي شمول)[1]

ومما يطرب من الموشحات، لفظاً ومعنى وأداءً ورقة وعذوبة موشحة ابن بقي التي يقول فيها:

مـــا بـــي شـــمـــولْ[2] ... إلاّ شـــجـــونْ
مـــزاجـــهـــا فـــي الـــكـــاسْ ... دمـــع هـــتـــونْ[3]
لـــلّـــهِ مـــا بـــذلْ ... مـــن الـــدمـــوعْ
صـــبّ قـــد اســـتـــعـــبـــرْ ... مـــن الـــولـــوعْ
أودى بـــه جـــؤذرْ[4] ... يـــوم الـــطـــلـــوعْ
فـــهـــو قـــتـــيـــلْ ... لا بـــل طـــعـــيـــنْ
بـــيـــن الـــرّجـــا والـــيـــاسْ ... لـــه ســـنـــونْ

* * *

جـــرحـــت لـــلـــحـــيـــنِ ... كَـــفّـــي بـــكـــفّـــي
وحـــيـــل مـــا بـــيـــنـــي ... وبـــيـــن إلـــفـــي
لا شـــكّ بـــالـــبـــيـــنِ ... يـــكـــون حـــتـــفـــي
حـــال الـــرحـــيـــلْ ... ولـــي ديـــونْ
إن ردّهـــا الـــعـــبـــاس ... فـــهـــو الأمـــيـــنْ

---

(١) تجد هذه الموشحة في دار الطراز، لابن سناء الملك، ص ٦٧.
(٢) الشمول: صفة للخمرة.
(٣) الهتون: الكثير القطر.
(٤) الجؤذر: ولد البقرة الوحشية، وهو كناية عن الحبيب.

أمـــا تـــرى الـــبـــدرا بـــدر الـــسـعـــوْدْ
قـــد اكـــتـــسـى خُـضْـرا مـــن الـــبـــرودْ
إذا انـــثـــنـى نـــضـــرا مـــن الـــقـــدودْ
أضـــحـــى يـــقـــولْ مـــت يـــا حـــزيـــنْ
قـــد اكـــتـــسـى بـــالآسْ الـــيـــاســمـــيـــن

❊ ❊ ❊

قـــلـــت وقـــد شـــرّدْ الـــنـــوم عـــنـــي
وأيـــأس الـــعُـــوّدْ الـــسّـــقـــم مـــنـــي
صـــدّ فـــلـــمـــا صـــد قـــرعـــت ســـنّـــي
جـــسـمـي نـحـيـلْ لا يـــســـتـــبـــيـــنْ
يـــطـــلـــبـــه الـــجـــلاّسْ حـــيـــث الأنـــيـــنْ

❊ ❊ ❊

تـــجـــاوز الـــحـــدّا قـــلـــبـــي اشـــتـــيـــاقـــا
وكـــلـــف الـــسّـــهـــدا مـــن لا أطـــاقـــا
قـــلـــت وقـــد مـــدّا لـــيـــلـــي رواقـــا
لـــيـــلـــي طـــويـــل ولا مـــعـــيـــنْ
يـــا قـــلـــب بـــعـــض الـــنـــاس أمـــا تـــلـــيـــنْ

❖ **ابن الحاج**

(عاذ لي في الأهيف)[1]

من الوشاحين المذكورين برهان الدين أبو إسحاق ابن الحاج إبراهيم النميري الغرناطي. ومن أشهر موشحاته تلك التي عارض بها شمس الدين محمد بن التلمساني. يقول ابن الحاج:

عـــاذ لـــي فـــي الأهـــيـــفِ الأنـــسِ لـــو رآه الآن قـــد عـــذرا
رشـــأ قـــد زانـــه الـــحَـــوَرُ غـــصـــن مـــن فـــوقـــه قـــمـــرُ
قـــمـــر مـــن ســـحـــبـــه الـــشَّـــعَـــرُ ثَـــغَـــر فـــي فـــيـــه أم درُرُ[2]
حـــال بـــيـــن الـــدّرّ والـــلَّـــعـــسِ خـــمـــرة مـــن ذاقـــهـــا ســـكـــرا

❊ ❊ ❊

(١) هذه الموشحة تجدها في نفح الطيب ٢/ ٥٥٥ - ٥٥٦.
(٢) الثغر في الأسنان: سقوطها وانكسارها. والدرر: إمتلاؤها.

رجّة بالرّدف أم كسلُ ... ريقة بالثغر أم عَسَلُ
وردة بالخدّ أم حجلُ ... كَحَل بالعين أم كُحُلُ
يا لها من أعين نُعُسِ ... جلبت للناظر السّهرا

* * *

من نأى عن مقتلي سني ... ما أذيقا لذّة الوسَنِ[1]
طال ما ألقاه من شجن ... عجباً ضدّان في بدنِ
بفؤادي جذوة القبسِ ... وبعيني الماء منفجرا

* * *

قد أتاني اللّهُ بالفرجِ ... إذ دنا مني أبو الفرج
قمر قد حل في المهجِ ... كيف لا يخشى من الوهجِ
غيره لو صابه نَفسي ... ظنّه من حرّه شررا

* * *

نصب العينين لي شركا ... فانثنى والقلب قد ملكا
قمر أضحى له فلكا ... قال لي يوماً وقد ضحكا
أتجي من أرض أندلسِ ... نحو مصر تعشق القمرا؟

(إن كان ليل داج)[2]

من موشحاته الخمرية الرقيقة أيضاً قوله:

إن كان ليل داجْ ... وخاننا الإصباحْ
فنورها الوهاجْ ... يغني عن المصباحْ
سلافة[3] تبدو ... كالكوكب الأزهرْ
مزاجها شهدُ ... وعرفها[4] عنبرْ
وحبّذا الوردُ ... منها وإن أسكرْ

* * *

قلبي بها قد هاجْ ... فما تراني صاحْ
عن ذلك المنهاجْ ... وعن هوىً يا صاحْ

---

(١) الوسن: فتور الطّرف من النعاس.
(٢) تجد هذه الموشحة في نفح الطيب ٢/٥٥٨.
(٣) السلافة: الخمرة.
(٤) العرف: الرائحة الطيّبة.

وبـــي رشـــاً أهـــيـــفْ ... قـــد لـــجّ فـــي بـــعـــدي
بـــدراً فـــلا يُـــخـــســـفْ ... مـــن ســـنـــا الـــخـــدّ
بـــلـــحـــظـــه الـــمـــرهـــفْ ... يـــســـطـــو عـــلـــى الأُســـدِ
كـــســـطـــوة الـــحـــجّـــاج ... فـــي الـــنـــاس والـــسّـــفـــاخْ
فـــمـــا تـــرى مـــن نـــاجْ ... مـــن لـــحـــظـــه الـــسّـــفـــاخْ

* * *

عـــلّـــل بـــالـــمُـــســـكِ ... قـــلـــب رشـــا أحـــوزْ
مـــنـــعّـــم الـــمَـــســـكِ ... ذي مـــبـــســـم أعـــظـــزْ
ريّـــاه كـــالـــمِـــســـكِ ... وريـــقـــه كـــوثـــزْ
غـــض عـــلـــى رجـــراجْ ... طـــاعـــت لـــه الأرواحْ
فـــحـــبّـــذا الآراجْ ... إن هـــبّـــت الأرواحْ

* * *

مـــهـــلاً أبـــا الـــقـــاســـمْ ... عـــلـــى أبـــي حـــيّـــانْ
مـــا إنْ لـــه عـــاصـــمْ ... مـــن لـــحـــظـــك الـــفـــتّـــانْ
وهـــجـــرك الـــدائـــمْ ... قـــد طـــال بـــالـــهـــيـــمـــانْ
فـــدمـــعـــه أمـــواجْ ... وســـرّه قـــد بـــاخْ
لـــكـــنّـــه مـــا عـــاجْ ... ولا أطـــاع الـــلاّخْ
يـــا رُبّ ذي بـــهـــتـــان ... يـــعـــذل فـــي الـــراحِ
وفـــي هـــوى غـــزلانْ ... دافـــعـــت بـــالـــراحِ
وقـــلـــت لا سُـــلـــوانْ ... عـــن ذاك يـــا لاحِ
ســـبـــع الـــوجـــوهْ والـــتـــاجْ ... هـــي مـــنـــيـــة الأفـــراخْ
فـــاخـــتـــر لـــي يـــا زجّـــاجْ ... قـــمـــصـــال وزُوج أقـــداخْ

❖ ابن مالك

(كحل الدجى يجري)[1]

ومن ألطف الموشحات وأرقها موشحة أبي الحسن سهل بن مالك الغرناطي. وكان هذا قد دخل على أبي بكر بن زهر، وقد أسنّ، وعليه زيّ البادية، إذ كان يسكن بحصن سبتة، فلم يعرفه، فجلس حيث انتهى به المجلس، وجرّت المحاضرة أن أنشد لنفسه موشحة وقع فيها:

---

(١) هذه الموشحة تجدها في نفح الطيب ٧/ ٩.

كحل الدجى يجري من مقلة الفجر
على الصباحْ
ومعصم النهرِ في حلل خضرِ
من البِطاحْ

فتحرك ابن زهر، وقال: أنت تقول هذا؟ قال: اختبر. قال: ومن تكون؟ فأخبره، فقال: ارتفع، فوالله ما عرفتك.

ومن موشحاته التي كان يعجب بها والد ابن سعيد قوله:

إنَّ سيل الصباح في الشرقِ عاد بحراً في أجمع الأفق
فتداعت نوادب الوُرقِ أتراها خافت من الغرَقِ
فبكت سحرةً على الوَرْق[1]

❖ ابن حزمون

(يا هاجري)

ومن الذين برعوا في فن الموشح ابن حزمون من مرسية، ذكر ابن الرائس أن يحيى الخزرجي دخل عليه في مجلسه، فأنشده موشحة لنفسه، فقال به ابن حزمون: ما الموشح بموشح حتى يكون عارياً من التكلف، فقال: على مثل ماذا؟ فقال ابن حزمون: على مثل قولي:

يا هاجري هل إلى الوصالِ منك سبيلْ
أو هل يرى عن هواك سالِ قلب العليلْ[2]

❖ ابن الفضل

(واحسرتي)

ومن الوشاحين الذين اشتهروا بإشبيلية أبو الحسن ابن الفضل. قال ابن سعيد عن والده: سمعت سهل بن مالك يقول له: يا ابن الفضل، لو على الوشاحين فضل، بقولك:

واحسرتي لزمان مضى عشيّة بان الهوى وانقضى
وأفردت بالرغم لا بالرضى وبتّ على حجرات الغضا
أعانق بالفكر تلك الطلولْ وألثم بالوهم تلك الرسومْ[3]

---

(١) نفح الطيب ٧/ ١٠.
(٢) المصدر نفسه ٧/ ١٠.
(٣) نفح الطيب ٧/ ١٠. والغضا: شجر صحراوي شائك.

❖ ابن الخطيب

(جادك الغيث)[١]

من الوشاحين المشهورين بالأندلس الوزير أبو عبدالله ابن الخطيب، المتوفى سنة ١٣٧٤ م، شاعر الأندلس والمغرب، وهو أرفع من أن يدلّ عليه أو يشار إليه فقد ولي الوزارة بغرناطة، وعرف بذي الوزارتين: الأدب والسيف. ابن الخطيب هذا قد تأثر جداً بموشحة ابن سهل شاعر إشبيلية فنسج على منوال موشحته المشهورة والتي عارضها أكثر من اثنى عشر شاعراً؛ أما موشحة ابن سهيل فإن مطلعها:

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى ... قلب صبّ حلّه عن منكسِ[٢]
فهو في حرّ وخفق مثلما ... لعبت ريح الصّبا بالقبسِ

وأما موشحة أبي عبد الله ابن الخطيب، وهي من أشهر الموشحات، وأغناها بالفكرة والصورة والإحساس والتلوين الكلامي، فهي التالية، وإنّا لنثبتها كاملة نظراً لأهميتها وسيرورتها في عالم الأدب والشعر:

جادك الغيث إذا الغيث همى ... يا زمان الوصلِ بالأندلسِ
لم يكن وصلك إلاّ حلماً ... في الكرى أو خِلسة المختلس

❊ ❊ ❊

إذ يقود الدهر أشتات المنى ... ينقل الخطوَ على ما يرسمُ
زُمراً بين فُرادى وثنا ... مثلما يدعو الوفودَ الموسمُ
والحيا[٣] قد جلّل الروض سنا ... فثغور الزهر منه تبسمُ

❊ ❊ ❊

وروى النعمان عن ماء السما ... كيف يروي مالك عن أنسِ
فكساه الحسن ثوباً مُعلما ... يزدهي منه بأبهى ملبسِ
في ليالٍ كتمت سرّ الهوى ... بالدجى لولا شموس الغُررِ
مال نجم الكأس فيها وهوى ... مستقيم السير سعد الأثرِ
وطر ما فيه من عيب سوى ... أنّه مرّ كلمح البصرِ

❊ ❊ ❊

---

(١) هذه الموشحة تجدها كاملة في نفح الطيب ٧/ ١١ - ١٤.
(٢) المكنس: مأوى الظبي.
(٣) الحيا: الخصب والمطر.

حين لذّ الأنس شيئاً أو كما ... هجم الصبح هجوم الحرسِ
غارت الشهب بنا أو ربما ... أثرت فينا عيون النرجسِ
أيّ شيء لامرئٍ قد خلصا ... فيكون الروض قد مُكّن فيهِ
تهب الأزهار منه الفُرصا ... أمنت من مكره ما تتّقيه
فإذا الماء تناجى والحصى ... وخلا كلُّ خليل بأخيه

* * *

تبصر الورد غيوراً برما ... يكتسي من غيظه ما يكتسي
وترى الآس لبيباً فيهما ... يسرق السمع بأذنيْ فرسِ
يا أهيل الحيّ من وادي الغضا ... وبقلبي سكّن أنتم بهِ
ضاق عن وجدي بكم رحب الفضا ... لا أبالي شرقه من غربه
فأعيدوا عهد أنسٍ قد مضى ... تعتقوا عانيكم من كربه

* * *

واتقوا اللّهَ وأحيوا مغرما ... يتلاشى نفساً في نفسِ
حبس القلب عليكم كرما ... أفترضونَ عفاء الحبسِ
وبقلبي منكمُ مقتربُ ... بأحاديث المنى وهو بعيدْ
قمر أطلع منه المغربُ ... شقوة المغرى به وهو سعيدْ
قد تساوى محسن أو مذنبُ ... في هواه بين وعد ووعيدْ

* * *

ساحر المقلة معسول اللمى[1] ... جال في النفس مجال النَّفَسِ
سدّد السهم وسمّى ورمى ... ففؤادي نهبة المفترسِ
إن يكان جاء وخاب الأملُ ... وفؤاد الصّبّ بالشوق يذوبْ
فهو للنفس حبيب أولُ ... ليس في الحب لمحبوب ذنوبْ
أمره معتمل ممتثلُ ... في ضلوع قد براها وقلوبْ

* * *

حكم اللحظ بها فاحتكما ... لم يراقب في ضعاف الأنفسِ
منصف المظلوم ممنّ ظلما ... ومجازي البرّ منها والمسي
ما لقلبي كلما هبّت صبا ... عاده عيد من الشوق جديدْ

---

(١) اللمى: سمرة مستحسنة في الشفة.

كان في اللوح له مكتتبا ... قوله: «إن عذابي لشديدْ»
جلب الهمّ له والوصبا[1] ... فهو للأشجان في جهد جهيدْ

* * *

لا عج في أضلعي قد أضرما ... فهي نار في هشيم اليبسِ
لم يدع في مهجتي إلاّ ذما ... كبقاء الصبحِ بعد الغلسِ
سلّمي يا نفسي في حكم القضا ... واعمُري الوقت برُجعى ومتابْ
دعك من ذكرى زمان قد مضى ... بين عُتبي قد تقضّت وعتابْ
واصرفي القول إلى المولى الرضى ... ملهم التوفيق في أمّ الكتابْ
الكريم المنتهى والمنتمى ... أسد السّرج وبدر المجلسِ
ينزل النصر عليه مثلما ... ينزل الوحي بروح القدسِ
مصطفى اللّهُ سميّ المصطفى ... الغني باللّهِ عن كلّ أحدْ
من إذا ما عقد العهد وفى ... وإذا ما فتح الخطب عقدْ
من بني قيس بن سعد وكفى ... حيث بيت النصر مرفوع العمدْ

* * *

حيث بيت النصر محميّ الحمى ... وجنى الفضل زكيّ المغرسِ
والهوى ظلّ ظليل خيّما ... والندى هبّ إلى المغترسِ
هاكها يا سبط أنصار العلا ... والذي إن عثر الدهرُ أقالْ
غادةً ألبسها الحسن مُلا ... تبهر العين جِلاءً وصقالْ
عارضت معنىً ولفظاً وحلى ... قول من أنطقه الحب فقال:
«هل درى ظبي الحمى أن قد حمى ... قلب صبّ حلّه عن منكسِ
فهو في خفق وحرّ مثلما ... لعبت ريح الصبا بالقبسِ»

(رُبّ ليلٍ)[2]

ومن الموشحات التي انفرد باختراعها الأندلسيون، وطمس رسمها في زمن المقري موشحة لابن الخطيب لسان الدين، وفيها يمدح السلطان يوسف أبا الحجاج. وهي التالية:

ربّ ليل ظفرت بالبدرِ ... ونجوم السماء لم تدرِ
حفظ اللّه ليلنا ورعى

---

(١) الوصب: التعب.
(٢) هذه الموشحة تجدها كاملة في أزهار الرياض لأحمد بن محمد المقري ١/ ٣١٤.

أيّ شمل من الهوى جمعا
غفل الدهر والرقيب معا
ليت نهر النهار لم يجرِ حكم اللّه لي على الفجرِ

* * *

علّل النفس يا أخا العرب
بحديث أحلى من الضَّرَبِ[1]
في هوى من وصاله أربي
كلما مرّ ذكر من تدري قلت يا بردهُ على صدري

* * *

صاح لا تهتم بأمر غدِ
وأجزْ صرفها يداً بيدِ
بين نهر وبلبلٍ غردِ
وغصون تميل من سُكرِ أعلنت يا غمام بالشكرِ

* * *

يا مرادي ومنتهى أملي
هاتها عسجدية الحللِ
حلّت الشمس منزل الحملِ
وبرود الربيع في نشْر والصَّبا عنبريّة النِّشْرِ

* * *

غرّه الصبح هذه وضحتْ
وقيان الغصون قد صدحت
وكأن الصبا إذا نفحتْ
وهنا طيبها عن الحضْرِ مدحة في علا بني نصرِ

* * *

هم ملوك الورى بلا ثُنيا
مهّدوا الدين زيّنوا الدنيا
وحمى اللّه منهم العليا

---

(١) الضّرب: الرّيق في الفم.

بالإمام المرفّع الخطرِ والغمام المبارك القطرِ

❊ ❊ ❊

إنّما يوسف إمام هدى
حاز في المعلوات كل مدى
قل لدهرٍ بملكه سعدا
افتخر جملةً على الدهر كافتخار الربيع بالزهرِ

❊ ❊ ❊

يا عماد العلاء والمجدِ
أطلعَ العيد طالع السعد
ووفى الفتح فيه بالوعد
وتجلّت فيه على القصرِ غُرَر من طلائع النصرِ

❊ ❊ ❊

فتهنّأ من حسنه البهجِ
بحياة النفوس والمهجِ
واستمعها ودع مقال شجي
قسماً بالهوى لذي حِجرِ[1] ما لليل المشوق من فجرِ

❖ **ابن زمرك**

(باللّهِ يا قامة القضيب[2])

ومن الموشحات المنسوبة إلى ابن زمرك الشاعر الغرناطي الأندلسي، تلك التي يتشوق فيها إلى غرناطة ويمدح الغنيّ بالله. يقول:

باللّهِ يا قامة القضيب ومخجل الشمس والقمرْ
من ملك الحسن في القلوب وأيدّ اللحظ بالحورْ

❊ ❊ ❊

من لم يكن طبعه رقيقاً لم يدر ما لذّة الصّبا
فربَّ حرّ غدا رقيقاً تملكه نفحة الصَّبا
نشوان لم يشرب الرحيقا لكن إلى الحسن قد صبا

---

(١) الحجر: العقل.
(٢) هذه الموشحة تجدها في نفح الطيب ٧/ ٢٤١ - ٢٤٢.

فعذّب القلب بالوجيبِ ونعمّ العين بالنظرْ
وبات والدمع في صبيبِ يقدح من قلبه الشررْ

* * *

عجبت من قلبي المعنّى يهفو إذا هبّت الرياحْ
لو كان للصّبّ ما تمنّى لطار شوقاً إلى البطاحْ
وبلبل الدوح إن تغنّى أسهر ليلي إلى الصباحْ
عساك إن زرت يا طبيبي بالطيف في رقدة السحرْ
أن تجعل النوم من نصيبي والعين تحمي من السهرْ

* * *

كم شادن قاد لي الحتوفا بمربع القلب قد سكنْ
يسلّ من لحظه سيوفاً فالقلب بالروع ما سكنْ
خُلقت من عادتي ألوفا أحنّ للإلف والسكنْ
غرناطة منزل الحبيبِ وقربها السؤال والوطرْ
تبهر بالمنظر العجيبِ فلا عدا ربعها المطرْ

* * *

عروسة تاجها السبيكهْ وزهرها الحلي والحللْ
لم ترضَ من عزّها شريكهْ بحسنها يضرب المثلْ
أيّدها اللّهُ من مليكهْ تملكها أشرف الدولْ
بدولة المرتجى المهيب الملك الطاهر الأغرّ
تختالُ من بُردها[1] القشيبِ[2] في حلّة النّور والزهرْ

* * *

كرسيّها جنّة العريفِ[3] مِرآتِها صفحة الغديرْ
وجوهر الظّلّ عن شنوفِ[4] تحكمها صنعة القديرْ
والأنسِ فيها على صنوفِ فمن هديل ومن هديرْ
كم خرق الزهر من جيوب وكلّل القُضْبِ بالدُّرَرْ

---

(١) البرد: كساء مخطط.
(٢) القشيب: الجديد.
(٣) جنة العريف: قصر في غرناطة قرب الحمراء، وهو من روائع الفن والهندسة العربية.
(٤) الشنوف: جمع شنف، وهو القرط الذي يعلّق بالأذن.

بالغصن كالكاعب[1] اللعوبِ والطير تشدو بلا وطرْ

* * *

ولائم النصر في احتفالِ وفرح دين الهوى جديدْ
سلطانها معمل العوالي محمد الظافر السعيدْ
ومخجل البدر في الكمالِ سلطانها المجتبى الفريدْ
أصفح مولىً عن الذنوب أكرم عافٍ إذا قدرْ
وشمس هدى بلا مغيب وبحر جود بلا حسرْ

* * *

مولاي يا عاقد البنودِ تظلّل الأوجه الصّباخْ
أوحشت يا نخبة الوجودِ غرناطة هالة السماخْ
سافرت باليمن والسعودِ وعدت بالفتح والنجاخْ
يا ملهم القلب للغيوبِ ومطعم النصر والظفرْ
أسمعك اللّه عن قريب «على السلامة من السفرْ»

(نواسم البستان)[2]

ومن أرق موشحات ابن زمرك وأحفلها بضروب البديع، وألوان الزهر والنور في الربيع، تلك الموشحة التي عارض بها موشحة ابن سهل التي أولها: **«ليل الهوى يقظان»**. يقول ابن زمرك:

نواسم البستانْ تنثر سلك الزهر
والطّلّ في الأغصانْ ينظمه بالجوهر

* * *

وراحة الإصباخ أضاء منها المشرقُ
تنشرها الأرواخ فلا تزال تخفقُ
والزهر زهر فاخ لها عيون ترمقُ
فأيقظ النّدمان يبصرن ما لم يبصرِ
جواهر الشّهبانْ قد عرضت للمشتري

* * *

(١) الكاعب: الحسناء التي كعب ثديها.
(٢) هذه الموشحة تجدها في نفح الطيب ٧/ ٢٤٧ - ٢٤٩.

قدحت لي زندا ... يا أيهذا البارقُ
أذكرتني عهدا ... إذا الشباب رائقُ
فالشوقُ لا يهدا ... ولا الفؤاد الخافقُ
وكيف بالسّلوانْ ... والقلب رهن الفكرِ
وسُحُب الهجرانْ ... تحجب وجه القمرِ

* * *

لولا شموس الكاسْ ... نديرها بين البدورْ
وعرّج الإيناسْ ... منا على ربع الصدورْ
لكن لها وسواسْ ... يغري بربّات الخدورْ
كم والهٍ هيمانْ ... بصبح وجه مسفرِ
ضيعاؤه قد بانْ ... من تحت ليل مقمرِ

* * *

يا مطلع الأنوارْ ... كم فيك من رأى من مرأى جميلْ
ونزهة الأبصارْ ... ما ضرّ لو تشفي الغليلْ
يا روضة الأزهارْ ... وعرضها يبري العليلْ
قضيبك الفينانْ ... يسقى بدمع همرِ
فلا عج الأشجانْ ... فيض الدموع يمتري

* * *

هل في الهوى ناصرْ ... أو هل يجار الهائمُ
لو كان لي زائرْ ... طيف الخيال الحائمُ
ما بتّ بالساهرْ ... ودمع عيني ساجمُ[1]
والحب ذو عدوانْ ... يجهد في ظلم البري
وصارم الأجفانْ ... مؤيّد بالحورِ

* * *

رحماك في صبّ ... أذكرته عهد الصّبا
بواعث الحبّ ... قادت إليه الوصبا
لم تهف بالقلبِ ... ريح الصّبا إلاّ صبا

---

(١) الدمع الساجم: السائل.

بـــلـــيـــلـــة الأردانْ قـد ضـمّـخـت بـالـعـنـبـرِ
يـشـيـر غـصـن الـبـانْ مـنـهـا بـفـضـل الـمـئـزرِ

* * *

عـصـابـة الـكـتّـابْ حـق لـهـا الـفـوز الـعـظـيـم
تـخـتـال فـي أثـوابْ ألـبـسـهـا الـطـول الـجـسـيـمْ
فـحـسـبـهـا الإطـنـابْ فـي الـحـمـد والـشـكـر الـصـمـيـمْ
خـلـيـفـة الـرحـمٰـنْ لا زلـت سـامـي الـمـظـهـر
يـا مـورد الـظـمـآنْ ورأس مـال الـمـعـسـرِ

* * *

خـذهـا عـلـى دعـوى تـزري عـلـى الـروض الـوسـيـم
جـاءت كـمـا تـهـوى أرقّ مـن لـدن الـنـسـيـم
قـد طـارحـت شـكـوى مـن قـال فـي الـلـيـل الـبـهـيـم
«لـيـل الـهـوى يـقـظـانْ والـحـب تـرب الـسـهـر»
«والـصـبـر لـي خـوّانْ والـنـوم مـن عـيـنـي بـري»

(في كؤوس الثغر)[1]

ومن أجمل موشحات ابن زمرك وأرقّها تلك التي يمدح بها الغنيّ بالله، وهي حافلة بذكر المرأة والخمرة والطبيعة والنّور والزهر، وهي التالية:

فـي كـؤوس الـثـغـر مـن ذاك الـلّـعَـسْ راحـة الأرواحْ
وتـغـشـى الـروض مـسـكـيّ الـنـفـسْ عـاطـر الأرواحْ
وكـسـا الأرواح وشـيـاً مـذهـبـاً يـبـهـر الـشـمـسـا
عـسـجـد[2] قـد حـلّ مـن فـوق الـرّبـى يـبـهـج الـنّـفـسـا
فـاتّـخـذ لـلّـهـو فـيـه مـركـبـا تـلـحـق الأنـسـا
مـنـبـر الـغـصـن عـلـيـه قـد جـلـسْ سـاجـع الأرواحْ
حـلـل الـسـنـدس[3] حـضـراً قـد لـبـسْ عِـطـفـه الـمـرتـاحْ

* * *

قـم تـرى هـذا الأصـيـل شـاحـبـاً حـسـنـة قـد راقْ

---

(١) هذه الموشحة تجدها في نفح الطيب ٧/ ٢٥٤ - ٢٥٥.
(٢) العسجد: الذهب.
(٣) السندس: ضرب من رقيق الديباج.

ولأذيال الغصون ساحباً ... في حلىٰ الأوراقْ
ونديم قال لي مخاطباً ... قول ذي إشفاقْ
عادة الشمس بغربٍ تختلسْ ... هات شمس الرّاحْ
إذا أرانا الجوُّ وجهاً قد عبسْ ... أوقدِ المصباحْ

* * *

ووجوه الشرَّب[1] تغني عن شموسْ ... كلّما تجلى
بلحاظ أسكرتنا عن كؤوسْ ... خمرها أحلى
مظهرات في خفايا في النفوسْ ... سُوَراً تُتلى
وما زمان الأنس إلاّ مُختلَسْ ... فاغتنم يا صاحْ
وعيون الشُّهبِ تذكي عن حرسْ ... تخضم النّصّاحْ

* * *

ما ترى ثغر الوميض باسما ... يُظهر البِشْرا
وثناء الروض هبّ ناسما ... عاطرا نشرا
بثّ من أزهارها دراهما ... قائلاً: بُشرى
ركب المولى مع الظهر الفرسْ ... وشُفي وارتاحْ
بجنود اللّهِ دأباً يحترسْ ... إن غدا أرواحْ

* * *

وجب الشكر علينا والهنا ... بعضنا بعضا
فزمان السعد وضّاحْ السّنا ... وجهه الأرض
أثمرت فيه العوالي بالمنى ... ثمراً غضّا
يجتني الإسلام منها ما اغترسْ ... سيفه السفّاحْ
في ضمير النّقع منها قد هجسْ ... شهب تلتاحْ

* * *

يا إماماً بالحسام المنتضى ... نصر الحقّا
ثغرك الوضّاح مهما أومضا ... أخجل البرقا
وديون السعد منه تقتضى ... توسع الحقّا
لك وجه من صباح مقتبسْ ... بشره وضّاحْ

---

(١) الشَّرب: جماعة الشاربين.

وجميل الصّفح منه ملتمسْ منعم صفّاحْ

* * *

هاكها تخرج لطفاً بالنسيمِ كلّما هبّا
قد أتت بالبرّ والصنع الجسيمَ تشكر الرّبّا
أخجلت من قال في الصبح الوسيم مغرماً صبّا
«غرّد الطير فنبّه من نعسْ» يا مدير الراحْ
«وتعرّى الفجر عن ثوب الغلسْ» وانجلى الإصباحْ

❖ **ابن زهر**

(أيها الساقي)[1]

ومن الموشحات الذائعة الصيت والبالغة الدقة والتصوير، موشحة أبي بكر ابن زهر، وهي تعتبر نموذجاً في الموشحات التامة. يقول ابن زهر، وهو حفيد أبي مروان عبد الملك ابن زهر، وكانت وفاته سنة ١١١٩م، يقول من شعر ظاهره التغنّي بالخمرة، وما هي بالخمرة، لكنها عروس شعر تقليدي كان يحلو لهم أن يبدأوا به موشحاتهم. يقول:

أيها الساقي إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمعِ
ونديم همت في غرّتهِ
وبشرب الراح من راحتِهِ
كلما استيقظ من سكرتهِ
جذب الزّقّ إليه واتكى وسقاني أربعاً في أربعِ

* * *

ما لعيني عشيت بالنظر
أنكرت بعدك ضوء القمر
وإذا ما شئت فاسمع خبري
عشيت[2] عيني من طول البكا وبكى بعضي على بعضي معي

* * *

غصن بان مال من حيث استوى
بات من يهواه من فرط الجوى

---

(١) هذه الموشحة تجدها في عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة.
(٢) عشيت العين: أصيبت بالعشاء وهو مرض يصيبها في العشاء فلا تبصر.

خفق الأحشاء موهونَ القوى
كلما فكر في البين بكى ويحه يبكي لما لم يقعِ

* * *

ليس لي صبر ولا لي جلدُ
يا لقومي عذلوا واجتهدوا
أنكروا شكواي مما أجدُ
مثل حالي حقها أن تشتكي كمد اليأس وذلّ الطمعِ

* * *

كبدي حرّي ودمعي يكفُ
تعرف الذنب ولا تعترفُ
أيها المعرض عما أصفُ
قد نما حبي بقلبي وزكا لا تخل في الحب أني مدّعي

(ما للمولّه)[1]

وقيل لابن زهر: لو قيل لك: ما أبدع ما وقع لك في التوشيح؟ فقال: كنت أقول:

ما للمولّهُ من سكره لا يُفيقْ يا له من سكرانْ
من غير خمر ما للكثيب المشوقْ يندب الأوطان
هل تستعاذْ أيامنا بالخليجْ ولياليناً
إذ يستفاذْ من النسيم الأريجْ مسك دارينا[2]
وإذ يكاذْ حسن المكان البهيجْ أن يحيّينا
نهر أظلّهُ دوح عليه أنيقْ مؤنق فينانْ
والماء يجري وعائم وغريقْ من جنى الرّيحان

(سلّم الأمر للقضا)[3]

ومن بديع موشحات ابن زهر قوله:

سلّم الأمر للقضا فهو للنفس أنفعُ
واغتنم حين أقبلا
وجه بدر تهلّلا

---

(١) هذا الموشح تجده في نفح الطيب ٧/ ٩.
(٢) فرضة بالبحرين كان يجلب إليها المسك من الهند.
(٣) هذه الموشحة تجدها في نفح الطيب ٢/ ٢٥١.

لا تقل بالهموم: لا
كل ما فات وانقضى ليس بالحزن يرجعُ

* * *

واصطبح بابنة الكرومْ
من يدي شادن رخيمْ
حين يفترّ عن نظيم
فيه برق أومضا ورحيق مشعشعُ

* * *

أنا أفديه من رشا
أهيف القدّ والحشا
سقي الحسن فانتشى
مذ تولّى وأعرضا ففؤادي يقطّعُ

* * *

من لصبّ غدا مشوقْ
ظلّ في دمعه غريقْ
حين أمّوا حمى العقيقْ
واستقلّوا بذي الغضا أسفي يوم ودّعوا

* * *

ما ترى حين أظعنا
وسرى الركب موهنا
واكتسى الليل بالسّنا
نورهم ذا الذي أضا أم مع الركب يوشعُ؟[1]

(فتق المسك)[2]

ومن بدائع توشيحات ابن زهر في النسيب هذا الموشح:

فُتق المسك بكافور الصباح ووشت بالروض أعراف الرياح
فاسقنيها قبل نور الفلقِ

---

(١) يوشع: هو يوشع بن نون النبي الذي ردّت له الشمس.
(٢) هذه الموشحة تجدها في نفح الطيب ٢/ ٢٥٢ - ٢٥٣.

وغـنـاء الـوُرق[١] بـيـن الـورق
كـاحـمـرار الـشـمـس عـنـد الـشّـفـقِ
نـسـج الـمـزج عـلـيـهـا حـيـن لاحْ فـلـك الـلـهـو وشـمـس الإصـطـبـاحْ

* * *

وغـزال سـامـنـي بـالـمـلـقِ
وبـرى جـسـمـي وأذكـى حُـرقـي
أهـيـف مـذ سـلّ سـيـف الـحـدقِ
قـصـرت عـنـه أنـابـيـب الـرمـاحْ وثـنـى الـذعـر مـشـاهـيـر الـصـفـاحْ

* * *

صـار بـالـدّلـج فـؤادي كـلـفـا
وجـفـون سـاحـرات وطـفـا[٢]
كـلـمـا قـلـت جـوى الـحـبّ انـطـفـا
أمـرض الـقـلـب بـأجـفـان صـحـاحْ وسـبـى الـعـقـل بـجـدّ ومـزاحْ

* * *

يـوسـفـيّ الـحـسـن عـذب الـمـبـتـسـمْ
قـمـريّ الـوجـه لـيـلـيّ الـلّـمـم
عـنـتـريّ الـبـأس عـلـويّ الـهـمـم
غـصـنـيّ الـقـدّ مـهـضـوم الـوشـاحْ مـا دريّ الـوصـل طـائـيّ الـسـمـاحْ

* * *

قـدّ بـالـقـدّ فـؤادي هـيـفـا
وسـبـى عـقـلـي لـمـا انـعـطـفـا
لـيـتـه بـالـوصـل أحـيـا دنِـفـا[٣]
مـسـتـطـار الـعـقـل مـقـصـوص الـجـنـاحْ مـا عـلـيـه فـي هـواه مـن جُـنـاحْ

* * *

يـا عـلـي أنـت نـور الـمُـقَـلِ

---

(١) الورق: جمع ورقاء، وهي الحمامة.
(٢) الوطف: كثرة شعر الحاجب والأهداب واسترخاؤه.
(٣) الدنف: الشديد المرض.

جُد بوصل منك لي يا أمَلِي
كم أغنّيك إذا ما لحت لي
طرقت والليل ممدود الجناحْ مرحباً بالشمس من غير صباحْ

❖ ابن سهل

(هل درى ظبي الحمى)[1]

لابن سهل الإشبيلي المتوفى سنة ١٢٥١م، اليهودي الأصل، والذي أسلم ومات غرقاً وكان في الأربعين من عمره، له موشحات بديعة ضمّنها مختلف الأغراض، وأفاض عليها من روحه وإحساسه ومشاعره الشيء الكثير.

وموشحة ابن سهل التالية من أشهر الموشحات، وقد عارضها أكثر من واحد، وإن كان أبرزهم لسان الدين ابن الخطيب. وتمام موشحة ابن سهل هي التالية:

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى قلب صبّ حلّه عن مكنسِ
فهو في حرّ وخفق مثلما لعبت ريح الصّبا بالقبسِ

❊ ❊ ❊

يا بدوراً أطلعت يوم النوى غرراً تسلك بي نهج الغَرَرْ
ما لقلبي في الهوى ذنب سوى منكم الحسنُ من عيني النظرْ
أجتني اللذات مكلوم الجوى والتذاذي من حبيبي بالفكرْ
كلما أشكوه وجداً بَسَما كالرّبى بالعارض المبنجسِ
إذ يقيم القطر فيها مأتماً وهي من بهجتها في عُرُسِ

❊ ❊ ❊

غالب لي غالب بالتّؤدهْ بأبي أفديه من جافٍ رقيقْ
ما رأينا مثل ثغر نضّدهْ أقحواناً عصرتْ منه رحيقْ
أخذت عيناه منه العربدهْ وفؤادي سكره ما إن يفيقْ
فاحم اللّمّة معسول اللّمى أكحل اللحظ شهيّ اللّعسِ
وجهه يتلو «الضحى» مبتسماً وهو من إعراضه في «عبسِ»

❊ ❊ ❊

أيها السائل عن ذلّي لديهْ لي جزاء الذنب وهو المذنبُ
أخذت شمس الضحى من وجنتيهْ مشرقاً للصّبِّ فيه مغربُ

---

(١) هذه الموشحة تجدها في نفح الطيب ٧/ ٦١ - ٦٢.

ذهبت أدمع أجفاني عليهْ ... وله خدّ بلحظي مذهبُ
يطلع البدر عليه كلّما ... لاحظته مقلتي في الخُلسِ
ليت شعري أيّ شيء حرّما ... ذلك الورد على المفترسِ

❊ ❊ ❊

كلّما أشكو إليه حُرقي ... غادرتني مقلتاه دنفا
تركت ألحاظه من رمقي ... أثر النمل على صمّ الصّفا[1]
وأنا أشكره فيما بقي ... لست ألحاه على ما أتلفا
فهو عندي عادل إن ظلما ... وعذولي نطقه كالخرسِ
ليس لي في الحب حكم بعدما ... حلّ من نفسي محلّ النّفسِ

❊ ❊ ❊

منه للنار بأحشائي اضطرامْ ... يلتظي في كل حين مايشا
وهي في خدّيه برد وسلامْ ... وهي ضرّ وحريق في الحشا
أتّقي منه على حكم الغرامْ ... أسد الغاب وأهواه رشا
قلت لمّا أن تبدّى مُعلما ... وهو من ألحاظه في حرسِ
أيها الآخذ قلبي مغنما ... أجعل الوصل مكان الخُمُسِ

❖ **ابن الصابوني**

(قسماً بالهوى)

ومن أبرع الوشاحين في الأندلس، أبو بكر ابن الصابوني.

قال ابن سعيد: سمعت أبا بكر ابن الصابوني ينشد أبا الحسن الدبّاج موشحاته غير ما مرة فما سمعته يقول «لله درّك» إلاّ في قوله:

قسماً بالهوى لذي حجرِ ... ما لليل المشوق من فجرِ
خمد الصّبح ليس يطردْ
ما لليلي فيما أظنّ غدْ
صحّ يا ليل أنّك الأبدْ
أو تقضّت قوادم النّسر ... فنجوم السماء لا تسري[2]

(ما حال صبّ)

ومن موشحاته المحبوبة موشحته التي يقول فيها:

---

(١) الصّفا: الصخرة المالسة.
(٢) نفح الطيب ٧/ ١٠.

ما حال صبّ ذي ضنى واكتئاب أمرضه يا ويلتاه الطبيبْ
عامله محبوبه باجتنابْ ثم اقتدى فيه الكرى بالحبيبْ
جفا جفوني النوم لكنني لم أبكه إلاّ لفقد الخيال
وذو الوصال اليوم قد غرّني منه كما شاء وشاء الوصال
فلست باللائم من صدّني بصورة الحق ولا بالمحال[1]

❖ ابن الوكيل

(غدا منادينا)[2]

ومن نادر الموشحات موشحة ابن الوكيل الأندلسي التي دخل بها على إعجاز نونية ابن زيدون المشهورة والتي مطلعها:

أضحى النائي بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

يقول ابن الوكيل:

غدا منادينا ممكّنا فينا يقضي علينا الأسى لولا تأسينا
بحر الهوى يُغرق من فيه جهدْ عامْ
وناره تحرقْ من همّ أوقدْ هامْ
وربما يقلقْ فتى عليه نامْ
قد غيّر الأجسامْ وصيّر الأيامْ سوداً وكانت بكم بيضاً لياليناً

* * *

يا صاحب النجوى قف واستمعْ منّي
إياك أن تهوى إنّ الهوى يضني
لا تقرب البلوى إسمع وقل عني
بحاره مرّة خضنا على غِرّة حيناً فقام بها للنعي ناعينا

* * *

من هام بالغِيد لاقى بهم همّا
بذلت مجهودي لأحورِ ألمى
يهمّ بالجودِ وردّ ما هما
وعندما قد جاذ بالوصل أو كاذ أضحى النائي بديلاً من تدانينا

* * *

(١) المصدر نفسه ٧/ ١٠.
(٢) تجد هذه الموشحة في نفح الطيب ١/ ٦٣٢ - ٦٣٤.

بحقّ ما بيني وبينكم إلاّ
أقررتُم عيني فتجمعوا الـ خِلاّ
فالعين بالبينِ بفقدكم أبلى
جديد ما قد كانْ بالأهل والإخوانْ ومورد اللهو صافٍ من تصافينا

* * *

يا جيرة بانتْ عن مغرم صبّ
لعهده خانت من غيرما ذنبِ
ما هكذا كانت عوائد الـ عُرب
لا تحسبوا البعدا يغيّر العهدا إذ طالما غيّر النائي المحبّينا

* * *

يا عاذلاً بالبانْ بالشفع والـ وترِ
والنحل والفرقانْ والليل إذ يسر
وسورة الرحمٰن والنحل والـ حجرِ
هل حلّ في الأديانْ أن يقتل الظمآنْ

* * *

يا سائل القطرِ عرّج على الـ وادي
من ساكني بدرِ وقف بهم نادي
عسى صباً تسري لِمغرم صادي
إنْ شئت تحيينا بلّغ تحيينا من لو على البعدَ حياً كان يحيينا

* * *

وافت لنا أيامْ كأنّها أعوامْ
وكان لي أعوامْ كأنّها أيامْ
تمر كالأحلامْ بالوصل لي لو دامْ
والكأس مترعة حُفّت مشعشعة فينا الشمول وغنّانا مغنّينا

❖ أحد الأعيان

(عطّر الأرجاء)[1]

ومن أبدع الموشحات تلك التي عارض بها صاحبها موشحة لسان الدين ابن الخطيب المشهورة، والتي تبدأ بقوله:

---

(١) نفح الطيب ٧/ ٨٢ - ٨٦.

جادك الغيث إذا الغيث همى... يا زمان الوصل بالأندلسِ

أما الموشحة الجديدة المعارضة فهي لأحد الأذكياء من الأعيان الأندلسيين، وكان صديقاً للمقري، وهي التالية:

عطّر الأرجاء لمّا نسمـا شمأل للصبح عند الغَلَسِ[1]
وأتت شمس الضحى تنسخ ما يقرأ الليلُ من عَبَسِ

* * *

طاف بالكأس من الزهر فتى مولع بالصّدّ عني مذ فتي
فتن الألباب لما التفتا واحتسى منه ببعض الشفةِ
وأنا من بين حتى ومتى صدّه تيه الهوى عن ألفتي
وكؤوس الراح بين النّدما أرّجت بالعرف أفق المجلسِ
خمرة صفراءَ في البلّور ما أشبه الحان بروض النرجسِ

* * *

فُرَص الأيام كن منتهزاً مبتداها قبل حذف الخبرِ
ورحاب الأنس لجّ منتجزا قبل أن تمضي كلمح البصرِ
واجنِ من زهر الهوى محترزا من جنايات هموم الكبرِ
لا تخف لوماً ويمّم حيثما لاحت اللذات كالمختلسِ
ما مضى أنس ووافى مثلما كان ذا الدهر لنا كالحرسِ

* * *

للرياضِ اذهبْ نرى بلبلها لاشتياق الوردِ مثل الثكلِ
وخدود الورد قد كلّلها دمع طلّ لاشتياق البلبلِ
وقدود البان قد قام لها مانع الوصل بحدّ الأسلِ
والربى فاحت تحاكي خدما وعليهن ثياب السندس
جيبها زُرّر بالزهر كما زُرّ بالفضّة ثوب الأطلس[2]

* * *

وجلا الروض لنا أشجاره مائسات في قباء[3] أخضرِ

---

(١) الغلس: ظلمة آخر الليل المختلطة بنور أول الفجر.
(٢) الأطلس: ما في لونه غبرة وبياض.
(٣) القباء: ثوب يلبس فوق اللباس.

وترى في جيدها نوّاره ... يتلالا كعقود الجوهر
خلع الليل به أطماره ... فغدا كالصبح باهي المنظرِ
وبقاياه زهت فيه أما ... في شفاه الغيد حسن اللّعسِ
كعِذار[1] في محيّا علّما ... فبدا للغير لا الملتمسِ

* * *

حبذا الصبوة أيام الصّبا ... وعيون الشيب في سهو الوسنْ
فإذا أيقظها دهر صبا ... لصروف حدّ شفريها وسنْ
جرّد الشيب لنا بيض الشبا ... واقتفى شرخ شباب وطعنْ
وغدا الإنسان شيخا هرما ... واعتراه لاعج من وَجَسِ
فات إذا مات فيقضي ندما ... واغتنام الوقت شغل الكيّسِ

* * *

لا تدع عمرك يمضي هدرا ... أنت إذ ذاك جبان غافلُ
وارق بالجهد من السؤل الذرا ... واجتهد والضرع ضخم غافلُ
إنّما الأيام أمثال الشرى ... والجريء الشهم ليث باسلُ
ووحوش الإنس تسعى مغنما ... بارداً للأسد المفترسِ
ترك الوهم وخاض الظلما ... وله العزم أضا كالقبسِ

* * *

ليس يخطى بالمنى إلاّ الذي ... كابد الأهوال حتى ظفرا
كان للراحة كالمنتبذ ... من وراء الظهر أنّى ظهرا
مثلما قد بات ذا طرف قذي ... يقطع الليل جميعاً سهرا
في طلاب العلم حتى علما ... أنّه يملا بروح القدسِ
أحمد[2] الناصب فينا علما ... للتقى فاز به من يأتسي

* * *

أيها الطالب للعلم اتّئد ... ليس إلاّ بابه ينفعكا
إن ترم نيل المرجّى فاجتهدْ ... في اتباع للذي يرفعكا
علم من يعمل إكسير فزدْ ... منه واترك حاسداً يدفعكا

---

(١) العذار: جانب اللحية.
(٢) المقصود بأحمد، أحمد المقري.

والـزم الأعـتـاب وألـزم بـالـحـمـى ... خـالـع الـربـقـة مـن قـول الـمـسـي
بـاعـتـقـاد فـاز مـن قـد لـثـمـا ... فـعـلـه والـكـبـر شـأن الـمـبـلـسِ

* * *

إنّـمـا الـمـجـد الـرفـيـع الـمـمـتـطـي ... أرؤس الآسـاد قـسـراً مـثـل ذا
يـدع الـمـرفـوع كـالـمـنـهـبـط ... ثـم لـلـنـازل يـعـلـي مـنـفـذا
نـاظـراً فـي أمـره بـالأحـوط ... خـافـض الـطـرف عـلـى حـرّ الـقـذي
كـل مـن أمّ حـمـاه قـد حـمـى ... بـحـسـام الـعـزم حـشّ الـمـلـمـس
فـإذا جـرّد مـنـه انـفـصـمـا ... جـلـمـد الـصـخـر بـذاك الـمـيـسِ[1]

* * *

حـبـذا الـمـغـرب قـطـراً بـالـسـنـا ... فـضـلـه يـبـهـر بـدر الأفـقِ
قـطـره الـشـامـخ قـد أهـدى لـنـا ... سـيـداً قـد فـاق شـمـس الـمـشـرقِ
كـل مـن فـاتـتـه أسـبـاب الـمـنـى ... بـعـلاه لـلـثـريـا يـرتـقـي
بـحـره الـوافـر بـالـعـلـم طـمـا ... كـامـل الأمـداد لـم يـحـتـبـسِ
نـال مـنـه الـنـاس حـتـى عـمـمـا ... مـشـرقـاً والـغـرب لـلأنـدلـسِ

❖ الأعمى التطيلي

(ضاحك عن جمانْ)[2]

ومن الموشحات التامة أدواراً وأبياتاً وأجزاء، موشحة الأعمى التطيلي قالها في الغزل، وهي التالية:

ضـاحـك عـن جـمـانْ ... سـافـر عـن بـدر
ضـاق عـنـه الـزمـانْ ... وحـواه صـدري
آه مـمـا أجـدْ ... شـقـنـي مـا أجـدْ
قـام بـي وقـعـدْ ... بـاطـش مـتـئـدْ
كـلـمـا قـلـت قـدْ ... قـال لـي: أي قـدْ
وانـثـنـى خُـوط بـانْ ... ذا مـهـزّ نـضـرِ
عـابـثـتـه يـدانْ ... لـلـصّـبـا والـقـطـرِ

* * *

(١) الميس: التثني والتمايل.
(٢) الموشحة تجدها في الديوان ص ٢٥٣ - ٢٥٤.
وأنظر أيضاً: المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد الأندلسي.

ليس لي منك بدْ ... خذ فؤادي عن يدْ
لم تدع لي جَلَدْ ... غير أني أجهدْ
مكرع من شهدْ ... واشتياقي يشهدْ
ما لبنت الدّنان ... ولذاك الثغرِ
أين محيا الزمانْ ... من حميّا الخمرِ

* * *

بي هوى مضمرُ ... ليت جهدي وفقهْ
كلما يظهرُ ... ففؤادي أفقُهْ
ذلك الممنظرُ لا ... يداوي عشقُهْ
بأبي كيف كانْ ... فلكيّ درّي
راق حتى استبانْ ... عذرهُ وعذري

* * *

هل إليك سبيل أو ... إلى أن أيأسا
ذبت إلاّ قليلْ عبرةً ... أو نفسا
ما عسى أن أقولْ ساء ... ظني بعسى
وانقضى كل شانْ ... وأنا أستشري
خالعاً من عنانْ ... جزعي أو صبري

* * *

ما على من يَلومْ ... لو تناهى عني
هل سوى حب ريمْ ... دينُه التجنّي
أنا فيه أهيمْ ... وهو بي يغنّي
قد رأيتك عيانْ ... آشْ عليكْ ساتدري
سايطول الزمانْ ... وستنس ذكري

(قد دعوتك)

ومن الموشحات التي قيلت على غير أوزان العرب، وتدعى واحدتها بالقرعاء تلك التي قالها الأعمى التطيلي ونكتفي بذكر الدورين الأول والثاني من تلك الموشحة، وهما:

قد دعوتك بالأشجان ... فكن مجيبْ
وانتزحت عن الأوطانْ ... وبحّ الغريبْ

وما حدث من سلوانْ على الكئيبْ
فوا حَرَبَ قلب الشجيّ منه بريّ
لا أنقض العهدا إني وفيّ

* * *

سهام بينٍ يا عُمَرْ أقصدن عبدكْ
فقل لي كيف أصبرْ والقلب عندكْ
أما لو ساق القدرْ ما ساق بعدكْ
سأقضي أنا الرّميّ ولا قِسِيّ
للبين إنْ حدا أنا المطيّ[1]

(حثّ الكؤوس)

وعلى النسق ذاته فإن للأعمى التطيلي قوله:

حُثّ الكؤوس رويَّهْ على رواء البساتينْ
من قهوة بابليّهْ أرقّ من دمع محزونْ
عبد المليك أحبُّكْ ولا سبيل إليكْ
مولاي حسبي وحسبكْ قد ذبت وجداً عليكْ
حتى يضني محبُّكْ وبرؤه في يديكْ
اللّه اللّه فيَّهْ فررت في حرب صفّينْ
كم فيك من أمنيَّهْ أمسى بها الحتف مقرونْ[2]

(أدر لنا أكواب)

ويقول من موشحة ثالثة:

أدرْ لنا أكوابْ ينسى بها الوجدُ
واستصحب الجُلاّسْ كما قضى العهدُ
دنْ بالهوى شرعا ما عشت يا صاح
ونزّه السّمعا عن منطق اللاحي
فالحكم أنْ تسعى إليك بالرّاح
أنامل العُنّابْ ونقلك الوردُ
حفّت بصدغيْ آسْ يلويهما الخدُّ[3]

---

(١) ديوان الأعمى التطيلي ص: ٢٧٨.
(٢) المصدر نفسه ص: ٢٥٩.
(٣) دار الطراز ص: ٦٤.

❖ البطليوسي

(لاح للرّوض)

ومن الموشحات المشهورة وهي في غاية الرقة والطلاوة والحسن والبهاء، موشحة أبي بكر محمد بن الحسن البطليوسي المعروف بالكميت، وهي موشحة قرعاء ضمنها أفكاره وأحاسيسه، ومزج فيها المشهد الطبيعي بالغزل ومناجاة الحبيب. يقول أبو بكر:

لاح للروض على غرّ البطاخ ... زهرٌ زاهرْ
وثنى جيداً منعّم الأقاخ ... نورُهُ الناضرْ
زارني منه على وجه الصباخ ... أرجٌ عاطرْ
نثر الطّلّ عليها حين فاخ ... أيّما عِقدِ
حبّذا البشر لي عند افتتاخ ... وجنةِ الوردِ

❊ ❊ ❊

يضحك الروض مسايل السحابْ ... ملء أجفانهْ
ومشت فيه لآلىء الحبابْ ... فوق غدرانهْ
فتراه كيف يكشف النقابْ ... عند تهتانهْ
ينتهي طول تناوح الرياخْ ... وسط الرعدِ
وترى البرق كصارم مشاخْ ... سُلَّ من غمدِ

❊ ❊ ❊

رقصت وسط رياضها الغضونْ ... رقص نشوانْ
وأرتنا من لطائف المجونْ ... كل إحسانْ
فنسينا عند وشيه المصونْ ... وشي صنعانْ
كنجوم أطلعت والجوّ صاخْ ... في ذرى سعدِ
فسعى الناس بألسنٍ فصاخْ ... نِعَمَ الحمدِ

❊ ❊ ❊

فاغتنم ما قد صفا من الزمانْ ... واخلع العذرا
واشرب الراح على سمع القيانْ ... مزّة صفرا
واغتبقها من سلافة دنانْ ... عتّقت دهرا
كأسها مبسم طفلة رداخْ ... ناعم القدّ
تمزج الراح بريقها القراخْ ... شِيب بالشّهدِ

❊ ❊ ❊

وفتاة فتنت بحسنها ... وتثنيها
تشتكي طول جفاء خِدنها ... حين يؤذيها
وتغنّي برفيع لحنها ... ومغانيها
ذبت واللّه أسىً نطلقْ صياحْ ... قد كسرْ نهدي
وعملْ لي في شفيفتي جراحْ ... ونثرْ عِقدي[1]

❖ صاعد القسطلّي

(يا أيها الحاجب)[2]

ومن أعجب الردود جاءت موشّحةً، ردّ صاعد البغدادي القسطلي على ابن العريف النحوي، وكان هذا قد دخل على المنصور بن أبي عامر وعنده صاعد اللغوي البغدادي، فأنشده، وهو بالموضع المعروف بالعامريّة:

فالعامرية تزهى ... على جميع المباني
وأنت فيها كسيف ... قد حلّ في غُمدان

فقام صاعد، وكان مناقضاً له فقال: أسعد الله الحاجب الأجلّ، ومكّن سلطانه، هذا الشعر الذي قاله قد أعدّه، وروّى فيه. أقدر أن أقول أحسن منه ارتجالاً، فقال له المنصور: قل ليظهر صدق دعواك، فجعل يقول:

يا أيها الحاجب المعتلي ... على كيوانْ[3]
ومن به قد تناهى ... فخار كلّ يمانْ[4]
العامرية أصبحت ... كجنّة الرضوان
فريدة لفريد ... ما بين أهل الزمان
أنظر إلى النهر حيناً ... ينساب كالثعبان
ولطير يخطب شعراً ... على ذر الأغصان
والقُضب تلتفّ سكراً ... بميّس القضبان
والروض يفترّ زهواً ... عن مبسم الأقحوان
والنرجس الغضّ يرنو ... بوجنة النعمان
وراحة الريح تمتار[5] ... نفحة الريحان
فدُم مدى الدهر فيها ... في غبطة وأمان

---

(١) جيش التوشيح ٩٣ - ٩٥.
(٢) الموشحة تجدها في نفح الطيب ١/ ٥٨٢ - ٥٨٣.
(٣) كيوان: كوكب زحل، أحد الكواكب السيارة.
(٤) اليمان، واليماني: من ينتسب إلى قبائل اليمن.
(٥) تمتار: تطلب الميرة والرزق.

❖ عبادة بن ماء السماء

(من ولي)

ومن الموشحات التامة، وتعتبر مثالاً يحتذى في فن التوشيح، وهي تتألف من خمسة أدوار، وكل دور يتضمن بيتاً ذا أجزاء ثلاثة، وقفلاً غير القفل الأول الذي تبدأ به الموشحة، وهو الخرجة في آخره، موشحة عبادة بن ماء السماء، وهي التالية:

مـــن ولـــي ... فـي أمّـة أمـراً ولـم يـعـدلِ
يـــعـــزلِ ... إلاّ لـحـاظ الـرشـا الأكـحـلِ
جُـــرت فـــي ... حـكـمـك فـي قـتـلـي يـا مـسـرفُ
فـانـصـفِ ... فـواجـب أن يـنـصـف الـمـنـصـفُ
وأرأفِ ... فـإنَّ هـذا الـشـوق لا يـرأفُ
عـلّـلِ ... قـلـبـي بـذاك الـبـارد الـسـلـسـلِ
يـنـجـلِ ... مـا بـفـؤادي مـن جـوىً مـشـعـلِ

❊ ❊ ❊

إنّـمـا ... يـبـرز كـي يـوقـد نـار الـفـتـنْ
صـنـمـا ... مـصـوّراً مـن كـل شـيء حـسـنْ
إنْ رمـى ... لـم يُـخـطِ من دون الـقـلـوب الـجُـنَـنْ
كـيـف لـي ... تـخـلّـص مـن سـهـمـك الـمـرسـلِ
فـصِـلِ ... واسـتـبـقـنـي حـيـاً ولا تـقـتـلِ

❊ ❊ ❊

يـا سـنـا ... الـشـمـس ويـا أبـهـى مـن الـكـوكـب
يـا مـنـى ... الـنـفـس ويـا سـؤلـي ويـا مـطـلـبـي
هـا أنـا ... حـلّ بـأعـدائـك مـا حـلّ بـي
عُـذّلـي ... مـن ألـم الـهـجـران فـي مـعـزل
والـخـلـي ... فـي الـحـب لا يـسـأل عـمّـن بُـلـيلِ

❊ ❊ ❊

مـا اغـتـذى ... طـرفـي إلاّ بـسـنـا نـاظـريـكْ
وكـذا ... في الحب ما بي ليس يخفى عليكْ
ولـذا ... أنـشـد والـقـلـب رهـيـن لـديـك
يـا عـلـي ... سـلّـطـت جـفـنـيـك عـلـى مـقـتـلـي

فـــابـــقِ لـــي قلبي وجد بالفضل يا موئلي[١]

❖ المنصور الذهبي

(ريّان من ماء الصّبا)

ريّـــان مـــن مـــاء الـــصّـــبـــا أهـيـفُ وممـتـلـي الـبـردِ
كـالـغـصـنِ هـزّتـه الـصّـبـا فـوق الـرّبـى الـشّـهـب
قـد قـلـت لـمّـا أن سـبـى بـحـسـنـه يـسـبـي
مـن عـيـنـه سـلّ ظُـبـى وغـمـدهـا قـلـبـي
أسـرنـي مـاضـي الـشّـبـا أو طـرفُ مـرنّـح الـقـدّ

* * *

يـا فـاضـح الـروض سـنـا بـل مـخـجـل الـبـدرِ
وقـاطـعـي ظـلـمـا عـنّـا ومـن مـقـرّه صـدري
إن لـم تـكـن شـمـس دنـا فـإنّـهـا تـجـري
عُـلـقـتـه مـن الـظُّـبـا أسـجـفُ يـسـطـو عـلـى الأُسْـدِ

* * *

قـلـت لـه وقـد نـهـدْ وجـدّ فـي حـربـي
وغـلـب الـظـبـي الأسـدْ فـفـاز بـالـغـلـب
الـشـمـس بـرجـهـا الأسـدْ فـاسْـع إلـى قـلـبـي[٢]

(وليالي الشعور)

ومن أجمل موشحاته وهي في غاية السهولة، والتي يعارض فيها لسان الدين بن الخطيب وأبا بكر بن الصابوني، تلك التي يقول فيها:

ولـيـالـي الـشـعـور إذا تـسـري مـا لـنـهـر الـنـهـار مـن فـجـرِ
حـبّـذا الـلـيـل طـال لـي وحـدي
لـو تـرانـي جـعـلـتـهُ بُـردي
فـاطـمـيـاً فـي خـلـعـة الـجـعـدي
هـي لـيـلـى أخـت بـنـي بـشـرِ فـأيـن أنـت يـا أبـا بـدرِ

* * *

(١) فوات الوفيات: لابن شاكر الكتبي ٢/ ١٥١.
(٢) نفح الطيب ٧/ ٧٢.

كم سقطنا ألطف من طلّ
واجتمعنا وما درى ظلّي
واسترحنا من كاشح نذلِ
ربّ ليل ظفرت بالبدرِ ونجوم السماء لم تدرِ

* * *

وبنفسي مهفهف ألمى
ومطيع وغرّني لمّا
سألته وقانعي ممّا
في رباط قسمتي صدري لحنين وناظري بدرِ

* * *

وهلال في حسنه اكتملا
هو شمس وأضلعي الحملا
قام يشدو وينشني في ملا
قسماً بالهوى لذي حجرِ ما لليل المشوق من فجرِ[1]

(١) نفح الطيب ٧/ ٧٣.

القسم الثاني

موشحات المشارقة والمغاربة

❖ ابن الثَّردة

(يا أيها النائم)

من أشهر الوشاحين المشارقة علي بن إبراهيم المعروف بابن الثردة المتوفى سنة ١٣٤٩م/ ٧٥٠ هـ. اشتهر بموشحاته وبالمواليا، ومن موشحاته الوعظيّة، هذه التي يقول فيها:

يا أيها النائم كم هذا الرّقادْ ... إنتبهْ كم نومْ
إنتبه من ذا الكرى يا ذا الجمادْ ... تلتحق بالقومْ
وتأهّب لغدٍ يوم المعاد ... يا له من يومْ
وافعل الخير لتحظى بالنجاحْ ... لا تكن كسلانْ
واجتهد فالمجتهد يلقى الفلاحْ ... ويرى الإحسانْ
قد تقضّى العمر دع لهو الصّبا ... أيها الغافلْ
لا تكن ممّن إلى الجهل صبا ... تعس الجاهلْ
كل شيء تهب الدنيا هبا ... ليس بالطّائلْ
كم حريص خلّف الدنيا وارح ... لابس الأكفانْ
وأخو الفقر توفّي فاستراحْ ... قلبه التّعبانْ[1]

❖ ابن العربي

(سرائر الأعيان)

ومن أبدع الموشحان ذات الصبغة العرفانية والدينية والصوفية، موشحة محيي الدين ابن العربي المتوفى سنة ٦٤٠ هـ، الشاعر والصوفي والذي لقب بالشيخ الأكبر، وهو صاحب التصانيف العجيبة، والمتنوعة وأهمها «**فصوص الحكم**»، و «**مفاتيح الغيب**». توفي بدمشق سنة ٦٤٠ هـ. أما موشحته الرائعة فهي التالي:

سرائر الأعيان ... راحت على الأكوان ... للناظرين
والعاشق الغيران ... من ذاك في بُحران ... يبدي الأنين

* * *

يقول والوجدُ ... أضناه والبعد ... قد خيّرهْ
لما دنا البعد ... لم أدر من بعد ... من غيّرهْ
وهُيّم العبد ... والواحد الفرد ... قد خيّرهْ
في البروح والكتمان ... والسرّ والإعلان ... في العالمين

---

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/ ٢٠٦.

أنا هو الديّان يا عابد الأوثان أنت الضنين

❊ ❊ ❊

كل الهوى صعبُ على الذي يشكو ذل الحجاب
يا من له قلب لو أنّه يذكو عند الشباب
قرّبه الربُّ لكنّه إفك فانو المتاب
ونادِ يا رحمانْ يا بَرّ يا منّان إني حزينْ
أضناني الهجران ولا حبيب دان ولا معين

❊ ❊ ❊

فنيت باللّهِ عمّا تراه العينْ من كونهْ
في موقف الجاه وصحت أين الأينْ في بينه
فقال: يا ساهي عاينت قط عين بعينه
أما ترى غيلان[1] وقيس أو من كان في الغابرينْ
قالوا الهوى سلطان إن حلّ بالإنسان أفناه دين

❊ ❊ ❊

كم مرةٍ قالا أنا الذي أهوى من هو أنا
فلا أرى حالاً ولا أرى شكوى إلاّ الفنا
لستُ كمن مالا عن الذي يهوى بعد الجنى
ودان بالسُّلوانْ هذا هو البهتان للعارفين
سلوهُم ما كانْ عن حضرة الرحمٰن والآفكين

❊ ❊ ❊

دخلتُ في بستان الأنسِ والقربِ كَمَكْنِسهْ
فقام لي الريحان يختال بالعُجْبِ في سندسه
أنا هو يا إنسان مطيّب الصّبِّ في مجلِسهْ
جنّان يا جنّان أجنِ من البستان الياسمين
وحلّل الريحان بحرمة الرحمٰن للعاشقين[2]

---

(١) غيلان: هو اسم الشاعر الغزلي ذي الرّمّة، وهو أحد شعراء العشق في العصر الأموي، عرف بحبّه لميّة.
(٢) نفح الطيب ٢/ ١٨١ - ١٨٢.

(عندما لاح لعيني المتّكا)

ومن موشحات ابن عربي ذات الدلالات العرفانية، والرموز الصوفية موشحته التي يقول فيها:

عندما لاح لعيني المتّكا دبت شوقاً للذي كان معي
أيها البيت العتيق المشرف
جاءك العبد الضعيف المسرفُ
عينه بالدمع دوماً تذرفُ
غربة منه ومكر فالبكا ليس محموداً إذا لم ينفعِ

* * *

أيها الساقي اسقني لا تأتلِ
فلقد أتعب فكري عُذّلي
ولقد أنشده ما قيل لي:
«أيها الساقي إليك المشتكى ضاعت الشكوى إذا لم تنفعِ[1]»

❖ ابن نباتة

(ماسخ محمرّ دموعي)[2]

ومن الموشحات الرقيقة موشحة محمد بن محمد بن نباتة الفارقي، وفيها يمدح جلال الدين الخطيب. يقول ابن نباتة:

ماسحّ محمرّ دموعي وساخ على الملاخ
إلاّ وفي قلبي المعنى جراخ
بي من بني الأتراك حلو الشبابْ مرُّ السّطا
عشقته حين عدمت الصوابْ من الخطا
تشكو حشا الغزلان منه التهابْ إذا عطا[3]
وربما تشكو الغصون اكتئابْ إذا خطا

* * *

ما ماس ذاك الغصن بين الوشاخ إلاّ وراخ
قول عذولي كلّه في الرياخ

---

(١) ديوان ابن عربي ص: ٣٩٢ - ٣٩٣.
(٢) الموشحة في نفح الطيب ٧ / ٨٦ - ٨٨.
(٣) عطا: مال بعنقه.

آهاً لصبّ دمعه حيث كان ... دمع أريقْ
هذا أسير في وجوه الحسانْ ... وذا طليقْ
أرّق جسمي بالضّنى يوم بانْ ... بدر الغريقْ
فها أنا اليوم له يا فلان ... عبد رقيقْ

❋ ❋ ❋

يزيد أجفاني ندى وارتياخ ... نهي اللواخ
مثل جلال الدين يوم السماخ

❋ ❋ ❋

حبر له في الخلق ذكر جميلْ ... لا يفتري
ماح على غيظ الغمام البخيلْ ... محل الثرى
ما رأت العين له من مثيل ... ولا ترى
يوقد في أوطانه للنزيلْ ... نار القرى
شرارها في الكيس حمر صحاخ ... لها اقتداخ
لكنها في القلب عذب قراخ

❋ ❋ ❋

يا مالك العلم وفيض الندى ... جزت المدى
فابقَ وكل العالمين الفدا ... دع العدا
أنت الذي أصبح غيث الجدا ... صبح الهدى
كم يقتضى منك وكم يقتدى ... ويجتدى
علم جليّ ونوال صراخ ... صفو مباخ
يروي به راوي الرّجا عن رباح

❋ ❋ ❋

ومغرم لا يختشي من رقيبْ ... ولا عذولْ
معلّق القلب بشجو عجيبْ ... ولا وصولْ
يسكر لكن بصفات الحبيبْ ... لا بالشمولْ
لمّا رنا الظبي وماس القضيبْ ... أضحى يقولْ
كم ينتضي جفنك وعطفكْ صفاخ ... على رماخ
ما ذي محاسنْ ذي خزاينْ سلامْ

❖ أحمد رامي

(يا نديم الروح)

من موشحات الشاعر المصري المشهور أحمد رامي الذي ولد بالقاهرة سنة ١٨٩٢، والذي عاصر شوقي وحافظ وخليل مطران، وتميّز بشعره الغنائي والعاطفي والوطني والوجداني، وصاحب الأغنيات العديدة التي غنتها أم كلثوم... من موشحاته هذه الموشحة الجيدة:

يا نديم الروح هات القدحا ... واسقني كأس المدام
كدت أقضي من هواه فرحا ... حين حيّا بالسلام
آنس المضني وانثنى ... غصنا آه ما أهنا
مقلة حنّت إلى طلعته ... فاجتلت نور محيّاه ضحى
يا حبيب النفس ظني صدقا ... بعد أن كان خيال
بتّ ظمآن إلى يوم اللقا ... فانجلى صبح الوصال
أشرق المغنى وازدهى ... حسنا آه ما أهنا
قلبي الولهان من طول النوى ... يوم آنست محباً شيّقا[1]

(على فراش الضنى)

ومن موشحات أحمد رامي الرائعة قوله:

على فراش الضنى ... سهران ليس ينام
يغفو بعين المنى ... ما دامَ عَزّ المنام
تمر تلك الليالي ... على خيالي الحزين
ما للّيالي ومالي ... تهيج منيّ شجوني
مرّت كلمح الأماني
وخلّفت لي هواني
ماضٍ من العيش ولّى ... وراح فيه شبابي
بين الأماني الكذاب
ولم يدع لي إلاّ ... ذكر الهوى والتصابي
وحسرة الأحباب
يا قلب ماذا جنيتَ ... في الحب لمّا هويتَ
أخلصت يا قلب حتى ... مات الغرام ومتَّ
على الغرام السلام[2]

(١) الديوان ص: ٢٦٥.
(٢) المصدر نفسه ٢٦٦ - ٢٦٧.

(يا خلي البال)

ومن موشحاته أيضاً:

يا خليّ البال من أمر الهوى ... حار قلبي في هواك
ما الذي ترجوه من هذا النوى ... غير سهدي في نواك
لا تلم قلبي إن شكا ... حبي إنّه ذنبي
إنني حمّلته نار الجوى ... راجياً يوم لقاك
وانطوت عنه الليالي ما ارتوى ... بشهيّ من رضاك

* * *

غنّني يا قلب ألحان المنى ... علّنا ننسى العذاب
نحن ضيّعنا سدى أيامنا ... بين هجر وعتاب[1]

❖ أبو القاسم الشابي

(الصباح الجديد)

ومن الذين نظموا الموشحات الجديدة الشاعر التونسي الشهير أبو القاسم الشابي، وإنّا لنقتطف من موشحته الجديدة بعنوان «**الصباح الجديد**» قوله:

اسكتي يا جراح ... واسكني يا شجونْ
مات عهد النّواح ... وزمان الجنونْ
وأطلّ الصباحْ ... من وراء القرونْ

* * *

في فجاج الرّدى ... قد دفنت الألمْ
ونثرت الدموعْ ... لرياح العدمْ
واتخذت الحياةْ ... معزفاً للنّغمْ
أتغنّى عليهْ ... في رحاب الزّمانْ[2]

❖ أبو الفضل العقاد

(ليت شعري)[3]

ومن الذين عارضوا بموشحاتهم موشحة لسان الدين ابن الخطيب، وموشحة ابن سهل رجل وفد من مكة على عتبة السلطان أحمد المنصور الذهبي السعدي، وهو من

---

(١) الديوان ص: ٢٨٩.
(٢) ديوان أغاني الحياة ص: ٢٦.
(٣) الموشحة تجدها في نفح الطيب ٧/ ٦٩ - ٧٠.

أعظم سلاطين السعديين، انتصر على البرتغاليين في موقعة وادي المخازن سنة ٩٨٦م، واهتم ببناء المساجد والمستشفيات وشجع العلوم؛ أما اسم الوافد المكي وكنيته، فهو أبو الفضل بن محمد العقاد، وأما موشحته الغنية بالتصوير والتعبير فهي التالية:

ليت شعري هل أروّي ذا الظما ... من لمى ذاك الثغير الألعسِ
وترى عيناي ربّات الحمى ... باهيات بقدود مِيّسِ

* * *

يدخلون السّقم من دار اللوى ... كَلَم الهجرُ فؤادي وأسرْ
هدّ من ركن اصطباري والقوى ... مبدلاً أجفان نومي بالسهرْ
حين عزّ الوصل عن وادي طُوى ... هملت أعين دمعي كالمطرْ
فعساكم أن تجودوا كرما ... بلقاكم في سواد الحندسِ[1]
وتداووا قلب صبّ مغرما ... من جراحات العيون النُّعَسِ
كلما جنّ ظلام الغسقِ ... هزّني الشوق إليكم شغفا
واعتراني من جفاكم قلقا ... من تذكرت جياداً[2] والصفا[3]
وتناهت لوعتي من حرقي ... ثم زاد الوجد فيّ التّلفا
فانعموا لي ثم جودوا بما ... يُطف نيران الجوى ذي القبسِ
ساعة لي من رضاكم مغنما ... وتداوي جثّتي مع نفسي

* * *

كنت قبل اليوم في زهو وتيه ... مع أحبابي بسلع ألعبُ
ومعي ظبي بإحدى وجنتيه ... مشرق الشمس وأخرى مغربُ
فرماني بسهام من يديه ... ضارب البين فقلبي متعبُ
لست أرجو للقاهم سلّما ... غير مدحي للإمام الأرأسِ
أحمد المحمود حقاً من سما ... الشريف بن الشريف الكيّسِ

❖ **بعض المركشين**

(واخجلتا للصباح)

ومن الذي مدحوا السلطان المار ذكره، أي السلطان أحمد المنصور الذهبي السعدي، بعض المراكشيين فهو يقول من موشحة له:

---

(١) الحندس: الظلمة.
(٢) جبل من جبال مكة.
(٣) الصفا: صخرة قرب البيت الحرام فيها يبدأ الحاج سعيه بينها وبين المروة.

واخجلتا للصباح ... والشمسِ إذ لاح جؤذرْ
ساقٍ يدير الكؤوسا ... تضيء خمراً وتزهرْ

* * *

تقادمت في الدنانِ ... من عهد نوح تُرَوَّقْ
في لونها البهرماني ... تدار فينا وتعبقْ
قد أطلقت من عنانِ ... من عن صبوح يُرقَّقْ
يسعى بها من ملاحِ ... من كان باللحظ يُسكرْ
بالحسن يُصبي الجليسا ... ويستخفّ الموقّرْ

* * *

يثير كامن وجد ... في قلب كل سقيمْ
يسطو علينا بقدّ ... يزري بغصن قويمْ
أشقى بعشقي وودّي ... في جنة ونعيمْ
من ذي الوجوه الصباحِ ... يا شادناً غنّ واذكرْ
وهات لحناً نفيسا ... نرويه عنك ونأثرْ

* * *

في مدح من ساد طفلاً ... هذي البرايا وفاقا
من حاز مجداً وفضلاً ... بين الأنام وَفاقا
في عدله قال قولاً ... يسري فيعدو العراقا
في أحمد ذي السماح ... في الشرق والغرب يُنصرْ
أحيا الهدى والنفوسا ... وذلّ ملّة قيصرْ

* * *

تراه سلماً وحرباً ... من رأيه في جنودهْ
يختال لم يبغِ عجبا ... من عزّه في برودهْ
يهوى المعالي كسبا ... ويقتنيها بجودهْ
فخار أهل البطاحِ ... وعزّ من قد تمصّرْ
ثناه يملأ الطروسا ... عن صورة المجد عبّرْ

* * *

ملك بني في البديعِ ... منازلاً كالدراري
فيا له من صنيعِ ... الروض والماء جاري

فقل بصوت رفيع ... إذ بان فجر النهار
أهدى نسيم الصباح ... مسكاً شميماً وعنبرْ
وجيء بها خندريساً ... من خدّ ساقيه تُعصرْ[1]

❖ بعض المغاربة

(عقارب الأصداغ)[2]

ومن أشهر التوشيحات التي تعود إلى المغاربة، والتي عارضها عثمان البلطي، أو المطلي، هذا التوشيح الفائق الرقة والحلاوة والعذوبة:

عقارب الأصداغْ ... في السوسن الغضّ
تسبي تقى من لاذْ ... بالنسك والوعظِ

* * *

من قبل أن يعود ... عليّ لم أحسبْ
أن تخضع الأُسْدُ ... لجؤذر الرّبربْ
ظبي له خدٌّ ... مفضّض مُذهبْ
وشادن يبدو ... في صده عقربْ

* * *

رقة زهر الباغ[3] ... في جسمه الفضي
وقسوة الأفلاذْ ... في قلبه الفظّ

* * *

مهفهف بِدعُ ... أصبحتُ مغرى بهْ
قلبي له ربعُ ... لو كنتُ في قلبهْ
أصابني صدعُ ... مذ لجّ في عتبهْ
السهد والدمعُ ... حظّيَ من قربهْ

* * *

والعين لا يساغْ ... لها جنى الغمض
والدمع ذو إغذاذْ ... ناهيك من حظّ

---

(١) نفح الطيب ٧ / ٧١ - ٧٢. والطروس: الصحائف. والخندريس: الخمرة المعتقة.
(٢) الموشحة تجدها في نفح الطيب ٧/ ٨٩.
(٣) الباغ، لفظة فارسية، وهي تعني الحديقة.

❖ بعض متأخري المغاربة

(يا عُريب الحيّ)

من الذين عارضوا موشحة ابن سهل المشهورة بعض متأخري المغاربة فقال: وهو من جيد القول في فن التوشيح:

يا عُريب الحيّ من حيّ الحمى ... أنتم عيدي وأنتم عُرُسي
لم يحلْ عنكم ودادي بعدما ... حللتُمُ لا وحياةِ الأنفسِ

* * *

من عذيري في الذي أحببته ... مالك قلبي شديد البُرَحا
بدر تمّ أرسلت مقلته ... سهم لحظ لفؤادي جرحا
إن تبدّى أو تثنى خلته ... غصن بانٍ فوقه شمس ضحى
تطلع الشمس عشاء عندما ... تنجلي منه بأبهى ملبسِ
وترى الليل أضا منهزما ... وترى الصبح أضافي الغلسِ

* * *

يا حياة النفس صِلْ بعد النوى ... وإلهاً مضنىً شديد الشغفِ
قد براه السّقم حتى ذا هوى ... كاد أن يُفضي به للتلف
آه من ذكر حبيب باللّوى ... وزمان بالمنى لم يسعفِ
كنت أرجو الطيف يأتي حلما ... عائداً يا نفس من ذا فاياسي
هل يعود الطيف صبّاً مغرما ... ساهراً أجفانه لم تنعسِ

* * *

همت في أطلال ليلى وأنا ... ليس في الأطلال لي من أَرَبِ
ما مرادي رامة والمنحنى ... لا ولا ليلى وسعدى مطلبي
إنّما سؤلي وقصدي والمنى ... سيّد العُجم وتاج العرب
أحمد المختار طٰه من سما ... الشريف بن الشريف الكيّس
خاتم الرّسْل الكريم المنتمى ... طاهر الأصل زكيّ النفسِ[1]

(لا تلمني[2])

ولهذا المغربي المتأخر في مباراة الموشحات السابقة قوله أيضاً:

---

(١) نفح الطيب ٧/ ٦٢ - ٦٣.
(٢) الموشحة في نفح الطيب ٧/ ٦٣ - ٦٤.

لا تلمني يا عذولي تأثما ... ما ترى جسمي بسُقم قد كُسي
مثلما شرح غرامي علما ... حيث أشكو وحشة من مؤنسِ

* * *

ظبي أُنس عن فؤادي نفرا ... وفؤادي مكتوٍ من صدّهِ
وعذولي في هوى الحبّ فرى ... بملام مذ نهى عن ودّهِ
أنت أعمى يا عذولي ما ترى ... يانع الورد بدا من خدّهِ
وله ثغر إذا ما ابتسما ... كبروق أومضت في الغلسِ
وثنايا كدرّ نظما ... فضياها في الدّجى كالقبسِ

* * *

كم ترى سحراً بجفنيه بدا ... لفؤادي في الهوى أضحى كليمْ
ليس سحر مقلتي هذا سُدى ... يا فؤادي إن شفى السحر السقيمْ
خيفةً أوجس قلبي وغدا ... راحلاً صبري وها شوقي مقيمْ
يا إلٰه العرش يا ربّ السما ... يا عليماً بضمير الأنفسِ
قلبي الولهان يشكو ألماً ... من جفا ظبي أغنّ أكيسِ

* * *

أغيد يسبي البرايا بالمقلْ ... أدعج الجفن بعينيه حَوَرْ
لو رأته الشمس أضحت في خجلْ ... وهو للبدر بوجه قد قمرْ
من معاني حسنه رقّ الغزلْ ... في غزال قد غزاني بالنظرْ
آخذ بالروح مني كلما ... رمق الصّبّ بطرف أنعسِ
يقنص الأُسْدُ بلحظ قد رمى ... أسهماً تفتك من غير قِسي

* * *

يا رعى اللّه زماناً سلفاً ... بلويلاتٍ تقضّت بانشراحْ
مثل دينار وها قد صرفا ... في ألذّ العيش مع حبّ وراحْ
فاعذروا القلب الذي قد شغفا ... بحبيب ماله عنه براحْ
بدر تمّ أهيف حلو اللّمى ... ريقه شهد شهيّ اللّعسِ
كسلاف عهدها قد قدما ... تنجلي في كأسها كالعُرُسِ

* * *

قهوة بكر عجوز عتّقت ... زمناً في دنّها من قبل نوحْ
هي لمّا في زجاج أشرقت ... شمس راح غربت في كلّ روحْ

جدّدت بسطاً وكم قد مزّقت ... قلب صبّ في غبوق وصبوخ[١]
حلف الخمار عنها قسماً ... أنّها بالمكث كادت تنتسي
فاسقني صرفاً ولا تمزج بما ... راحة كم أذهبت من عبسِ

* * *

في رياضٍ قد شدا شحروره ... عاطنيها بين أكناف الشجرْ
وانظم الشمل ودع منثوره ... حول ورد وأقاحٍ وزَهرْ
وإذا الطلّ بدا شبّوره[٢] ... كلّل الأوراق منه بالدّررْ
ما ترى الريحان عبداً خدما ... حين أضحى واقفاً بالمجلسِ
جلس النسرين لكن ربما ... إستحت منه عيون النرجسِ

* * *

فتنزّه في رياضٍ خُضُرِ ... وغصون غرّدتْ فيها هزارْ
وانتشق عَرْف زهور عطر ... ياسمين زيّنته الجلّنارْ[٣]
وشذا الزهر كمسكٍ أذفرٍ[٤] ... واقبل العذر لابن البزدارْ
طامع في رحمة اللّهِ وما ... خاب عبد طامع لم ييأسِ
يا إلهي جد علينا كرما ... يا كريماً قبل أخذ الأنفسِ

❖ **رشيد أيوب**

(يا ثلج)

في عصر النهضة الأدبية، تصرّف عدد من الشعراء في بناء الموشحة، وخرجوا على أسلوب القدامى من المغاربة والمشارقة والأندلسيين، فأضحت الموشحة الجديدة تتّخذ مناحي أسلوبية وشعرية تختلف باختلاف تفنن الشعراء وتعدد الموضوعات؛ ومن هؤلاء المجددين في فن التوشيح الشاعر المهجري اللبناني رشيد أيوب ذو النزعة الوجدانية في موشحته الجديدة بعنوان «**يا ثلج**» حيث الإكثار من الشوق والحنين واللوعة والتوق إلى الوطن والأهل والديار. يقول رشيد أيوب متذكراً أهله وبلاده:

يا ثلج قد هيّجت أشجاني ... ذكرتني أهلي بلبناني
باللّهِ عني قلْ لإخواني ... ما زال يرعى حرمة العهد

---

(١) الغبوق: الخمرة في الليل، والصبوح: الخمرة في النهار.
(٢) الشبّور: الضباب في الصباح.
(٣) الجلنار: لفظة فارسية وهي تعني زهر الرّمان.
(٤) الأذفر: الشديد الرائحة.

يا ثلج قد ذكّرتني أمّي ... أيام تقضي الليل في همّي
مشغوفة وتحار في ضمّي ... تحنو عليّ مخافة البردِ

* * *

لو لم تذب من زفرة القلب ... أو دمعي المنهلّ كالسّحب
لبنيت منك هياكل الحبّ ... وحفرت في أركانها لحدي[1]

❖ العربي العقيلي

(بدر أهل الزمان)

ومن موشحات أبي عبدالله محمد بن عبدالله العربي العقيلي، العالم والفقيه، تلك الموشحات التي عارض بها الكثيرين من شعراء عصره، وأشهرها تلك التي ينحو فيها منحى صوفياً إلى حد بعيد، وتلك التي مدح فيها ملوك زمانه.

ومن ذلك قوله:

بدر أهل الزمانْ ... الرفيع القدرِ
لا تزال في أمانْ ... من كسوف البدرِ
هل يصحُّ الأمانْ ... من شبيه البدرِ
وهو مثل الزمانْ ... منتمٍ للغدرِ
لم يفرّ الأغرّ ... غير غمّر جاهل
عيشه الحلو مرّ ... وهو فيه ناهل
والصّبا الفضّ مَرّ ... وهو عنه ذاهل
مرشف البهرمان ... فوق ثغر الدُّر
مطمع للأمانْ ... باقتراب الدَّرّ[2]

(هل لمرآك ثان)

ومن موشحاته التي عارض بها شعر غيره، وهي تتميز بالسهولة والرّقة، وتتضمن معاني الغزل والنسيب، قوله:

هل لمرآك ثان ... في سناه الدُّرّي
أو لحلو باي ثان ... عن هواها العذري
يا مليحاً جلا ... عن محيّا جميل
همت فيه ولا ... هيمان جميل
مل قليلاً إلى ... من إليك يميل

---

(١) أغاني الدرويش، ص ١٢٨.
(٢) نفح الطيب ٤/ ٥٥١.

عـــاشـــق فـــيـــك فـــان كـــاتـــم لـــلـــسّـــرّ
لـــك مـــنـــه مـــكـــان فـــي صـــمـــيـــم الـــصـــدر[1]

❖ العزازي

(يا ليلة الوصل)

من أحسن الموشحات التي جادت بها قرائح المشرقيين موشحة الشهاب العزازي، وبها يعارض أحمد بن الحسن الموصلي، وفيها يقول:

يـا لـيـلـة الـوصـل وكـاس الـعـقـارْ دون اسـتـتـارْ
عـلّـمـتـمـانـي كـيـف خـلـع الـعـذارْ

❊ ❊ ❊

اغـتـنـم الـلـذات قـبـل الـذهـابْ
وجـرّ أذيـال الـصّـبـا والـشـبـابْ
واشـرب فـقـد طـابـتْ كـؤوس الـشـرابْ
عـلـى خـدود تـنـبـت الـجـلّـنـارْ ذات احـمـرارْ
طـرّزهـا الـحـسـن بـآس الـعـذارْ

❊ ❊ ❊

الـراح لا شـك حـيـاة الـنـفـوسْ
فـحـلّ مـنـهـا عـاطـلات الـكـؤوسْ
واسـتـجـلـهـا بـيـن الـنـدامـى عـروسْ
تُـجـلـى عـلـى خـطّـابـهـا فـي إزارْ مـن الـنّـضـارْ
حَـبـابـهـا قـام مـقـام الـنّـثـارْ

❊ ❊ ❊

أمـا تـرى وجـه الـهـنـا قـد بـدا
وطـائـر الأشـجـار قـد ردّدا
والـروض قـد وشّـاه قـطـر الـنّـدى
فـكـمّـل الـلـهـو بـكـاس تـدارْ عـلـى افـتـرارْ
مـبـاسـم الـنّـوّار غـبّ الـقـطـارْ

❊ ❊ ❊

(١) المصدر نفسه ٤/ ٥٥٢.

أجنِ من الوصل ثمار المنى
وأوصل الكأس بما أمكنا
مع طيّب الرّيقة حلو الجنى
بمقلة أفتك من ذي الفقار ذاتِ احوراز
منصورة الأجفان بالانكساز

* * *

زار وقد حلّ عقود الجفا
وافترّ عن ثغر الرضى والوفا
فقلت والوقت لنا قد صفا
يا ليلة أنعم فيها وزاز شمس النهاز
حُيّيتِ من بينه الليالي القصاز[1]

(ما على من هام)

ومن أرقّ موشحات العزازي موشحته التي يقول فيها:

ما على من هام وجداً بذوات الحلى
مبتلى بالحدق السود وبيض الطُّلى

* * *

يا للّوى مليّ حست لديوني لوى
كم نوى قتلي وكم عذّبني بالنوى
قد هوى في حبه قلبي بحكم الهوى
واصطلى نار تجنّيه ونار القلى
كيف لا يذوب من هام بريم الفل

* * *

هل تُرى يجمعنا الدهر ولو في الكرى
أم تَرى عيني محيّا من لجسمي برى
بالسُّرى يا حاديَ ركب بليلي سرى
علّلا قلبي بتذكار اللّقا علّلا
وانزلا دون الحمى حيّ الحمى منزل

---

(١) توشيح التوشيح، للصفدي، ص: ١٠٩.

ابـــي رشـــا دمـعـي بـسـرّي فـي هـواه فـشـا
لـــويـــشـــا بـرّد مـنـي جـمـرات الـحـشـا
مـــا مـــشـــى إلاّ انـثـنـى فـي سـكـره وانـتـشـى
عـــطّـــلا مـن الـحـميّـا يـا مـديـر الـطّـلا
مـــا حـــلا إذا أدار الـنـاظـر الأكـحـلا

* * *

هـــل يـــلامْ مـن غـلـب الـحـب عـلـيـه فـهـامْ
مـســتـهـامْ بـفـاتـر الـلـحـظ رشـيـق الـقـوامْ
ذي ابـتـســامْ أحـسـن نـظـمـاً مـن حَـبـاب الـمـدامْ
لـــو مـــلا مـن ريـقـه كـأسـاً لأحـيـا الـمـلا
أو جـــلا وجـهـاً رأيـت الـقـمـر الـمـجـتـلـى

* * *

لـــو عـــفـــا قـلـبـك عـمّـن زلّ أو مـن هـفـا
أو صـــفـــا مـا كـان كـالـجـلـمـد أو كـالـصّـفـا
بـــالـــوفـــا سـلْ عـن فـتـىً عـذّبـتـه بـالـجـفـا
هـــل خـــلا فـــؤاده مـــن خـــطـــرات الـــولا
أو ســـلا أو خـان ذاك الـمـوثـق الأوّلا[1]

(ما سلّت الأعين الفواتر)[2]

ومن غرر الموشحات التي تدخل في دائرة المعارضات موشحة العزازي لموشحة الموصلي التي مطلعها:

رنـا بـأجـفـانـه الـفـواتـر لـمـا انـثـنـى واحـد الـمـلاخْ
فـسـلّ مـن طـرفـه بـواتـرْ وهـزّ مـن عـطـفِـه رمـاخْ

أما موشحة العزازي فهي التالية:

مـا سُـلّـت الأعـيـن الـفـواتـرْ مـن غـمـد أجـفـانـهـا الـصـفـاح
إلاّ أسـالـت دم الـمـحـاجـرْ مـن غـيـر حـرب ولا كـفـاخْ

* * *

(١) نفح الطيب ٧/ ٩١ - ٩٢.
(٢) الموشحة؛ تجدها في نفح الطيب ٧/ ٩٢ - ٩٣.
وانظر أيضاً:
المستوفي بعد الوافي، لابن تغري بردي.

تاللّهِ ما حرّك السواكنْ غير الظباء الجآذرْ
لما استجاشت بكل طاعنْ من القدود النواضرْ
وفوّقت أسهم الكنائن[1] من كل جفن وناظر

* * *

عرب إذا صحن يا لعامرْ بين سرايا من الملاخْ
طلّت علينا من المحاجرْ طلائع تحمل السلاخْ

* * *

أحببْ بما تطلع الجيوبُ منها وما تبرز الكلَلْ
من أقمر ما لها مغيبُ وأغصنٍ زانها الميلْ
هيهات أن تعدل القلوبُ عنها ولو جارتْ المقلْ

* * *

لما توشّحن بالغدائر سفرن عن أوجه صِباحْ
فانهزم الليل وهو عاثرْ بذيله واختفى الصباحْ

* * *

وأهيف ناعم الشمائلْ تهزّه نسمة الشمالْ
فينثني كالقضيب مائلْ كما انثنى شارب ومالْ
له عذار كالنّدّ[2] سائلْ للّهِ كم من دم أسالْ

* * *

شُفّت على نبته المرائرْ من داخل الأنفس الصحاخْ
تكلّ في وصفه الخواطرْ وتخرس الألسن الفصاخْ

* * *

ظبي إلى الإنس لا يميلُ الشمس والبدرُ من حُلاهْ
الحسن قالوا ولم يقولوا مبداه منه ومنتهاه
وطرفه الناعس الكحيل هيهات من سيفه النجاهْ

* * *

(١) الكنائن: جمع كناية، وهي جعبة السهام.
(٢) النّدّ: ضرب من النبات يتبخّر بعوده.

أذلّ بالسحر كل ساحرْ ... فهو له خافض الجناحْ
يجول في باطن الضمائرْ ... كما يجولُ القضا المتاحْ

* * *

أما ترى الصبح قد تطلّعْ ... مذ غمضت أعين الغسقْ
والبدر نحو الغروب أسرعْ ... كهاربٍ نالَه فرقْ
والبرق بين السحاب يلمعْ ... كصارم حين يمتشقْ

* * *

وتحسب الأنجم الزواهرْ ... أسنّة ألقت الرماحْ
فانهزم النهر وهو سائرْ ... فدرّعته يد الرياحْ

❖ **الشاعر القروي**

(الغريب والشمس)[1]

وللشاعر اللبناني المهجري رشيد سليم الخوري موشحة بعنوان **«الغريب والشمس»** نظمها ولحنها سنة ١٩١٤ في ريو دي جينيرو بالبرازيل، وفيها يتشوق إلى ربوع لبنان وشمسه الضاحية، ويتلهف حناناً إلى العودة إلى البلد الذي شهد ولادته وصباه وشبابه. يقول رشيد سليم الخوري، والملقب بالشاعر القروي:

ربّة النور جمال وكمالْ
ما أجلاّ
مذ بدا وجهك من خلف الجبالْ
وتجلّى
مال ظلّ الليل نحو الغرب مالْ
ثم ولّى

* * *

شمس لبنان انظري حال الغريبْ
وارحميهِ
واذكري كل شروق وغروبْ
لذويه
أنه صبّ وتذكرا الحبيبْ
ملء فيه

(١) ديوان القروي، ص: ١٣٧.

وإذا لـحـتِ بـمـيـنـاء «الـوطـا»
مـسـتـحـمّـي
حيث يمشي إخوتي مثل القطا[1]
خـلـف أمـي
فـالـثـمـي عـنّـي آثـار الـخـطـى
أيّ لـثـم

* * *

لـيـتـنـي أعـلـق يـا ذات الـضـيـاء
بـجـبـالـكْ
لـتـدوري بـي آفـاق الـسـمـاء
كـهـلالـك
وأراهـم كـلّ صـبـح ومـسـاء
مـن هـنـالـك

(أنشودة الغريب)

وللشاعر القروي أيضاً موشحة ثانية رائعة نظمها ولحّنها وهو في القطار بين ريو دي جينيرو وكشمبو، وذلك في عام ١٩١٤. وهي بعنوان «**أنشودة الغريب**».

حـتّـام أحـيـا غـريـبْ مـالـي وطـنْ
يـا يـوم وصـل الـحـبـيـب أنـت الـزمـن

* * *

دهـر بـقـلـبـي رمـى سـهـم الـنـوى
يـكـويـه ربـي كـمـا قـلـبـي كـوى
هـيـهـات غـيـر الـحـمـى مـالـي دوا
لـبـنـان نـعـم الـطـبـيـب لـلـمـمـتـحـنْ
إن كـنـت مـنـه قـريـب زال الـحـزَنْ

* * *

لـلّـهِ ذاك الـغـديـر مـا أعـذبـا
لـلّـهِ تـلـك الـزهـور مـا أطـيـبـا

---

(١) القطا: جمع قطاة، وهي ضرب من الحمام البرّي.

لـلّـهِ تـلـك الـطـيـور ما أطـربـا
فـي كـل شـاد عـجـيـب ينـفـي الـشـجـن
فـي شـدوه لـلـقـلـوب سـلـوى ومـن

* * *

كـم لـي بـتـلـك الـسـفـوح مـن مـوقـفِ
والـشـمـس طـوراً تـلـوح أو تـخـتـفـي
فـي ظـلّ روض يـفـوح بـالـمـضـعـف
أو تـحـت غـصـني رطـيـب حـلـوِ الـتـثـنْ
غـنّـى بـه الـعـنـدلـيـب فـوقَ الـفـنـن

* * *

إيّـاك يـهـوى الـفـؤاد يـا أمّـنـا
مـن دون كـل الـبـلاد أنـتِ الـمـنـى
هـل يـا تـرى مـن مـعـاد يـومـاً لـنـا
يـا حـسـن يـوم تـؤوب فـيـنـا الـسُّـفُـنْ
نـشـتـم قـبـل الـغـروب ريـح الـوطـنْ[1]

❖ **المحاسني**

(أهواه مهفهفا)

ومن موشحات محمد بن تاج المحاسني الدمشقي، من شعراء القرن الحادي عشر الهجري هذا الموشح الذي حاكى فيه موشحات الأندلسيين والمغاربة، نصاً وروحاً وأسلوباً. وهو التالي:

أهـواه مـهـفـهـفـاً مـن الـولـدانْ ساجـي الـحـدقْ
قـد فـرّ مـن الـجـنـان مـن روضـان تـحـت الـغـسـقْ
مـن ريـقـتـه سـكـرت لا مـن راحـي كـم جـدّد لـي رحـيـقـهـا أفـراحـي
كـم أسـكـرنـي بـخـمـرهـا يـا صـاح كـم أرّقـنـي بـطـرفـه الـوسـنـان
حـتـى الـفـلـقْ
لـو عـامـلـه يـعـد لـه ذا الـجـانـي اطـفـا حـرقـي
مـن بـاهـر حـسـنـه يـغـار الـقـمـر فـي روض جـمـالـه يـحـار الـنـظـر

---

(١) ديوان الشاعر القروي، ص: ٨٢.

قد عزّ لديّ أن بدا المصطبر ما اهتزّ يميل ميلة الأغصان
للمعتنق
إلاّ وأتاح للمحبّ العاني كلّ القلقِ
يا ويحَ محبه إذا ما خطرا كالبدر يلوح في الدياجي قمرا
إن أقض ولم يقضِ لقلبي وطرا فالويل إذا لمغرم ولهان
في الحب شقي
قد حمل في العشق من الهجران ما لم يطقِ
القدّ رشيق مثل خوط البان واللحظ كشيف الهند في الأجفان
والخال شقيق المسك في الألوان والخدّ مورد أسيل قاني
شبه الشفق
والعارض قد سلسل كالريحان للورد يقي
يا عاذل لو أبصرت من أهواه ناديت تبارك الذي سّواه
قد أحسن خلقه وقد نماه إذ كمله وخص بالنقصان
بدر الأفق
قد أفرغه في قالب الإحسان زاكي الخلق
الصبر على هواه مثل الصبر والقلب غدا من هجره في حجر
ما ألطفه في وصله والهجر لم ألقِ له في وصله من ثاني
حلو الملق
ما واصل بعد بعده أجفاني غير الأرق[1]

(١) خلاصة الأثر، للمحبّي ٣/ ٤١٠.

أروع ما قيل في الغزل

الباب الأول

في النسيب

❖ جران العود

(أيا كبداً)

من رائع النسيب وجيده، بيتان قالهما عامر بن الحرث النمري، الشاعر الجاهلي، وكان جيد الشعر، فصيح العبارة، وجران العود، لقب غلب عليه لقوله مخاطباً امرأتين:

حذراً يا جارتيّ فإنني ... رأيت جران العود قد كاد يصلح

يقول جران العود، وهو من جيد النسيب:

أيا كبداً كادتْ عشيّةَ غُرَّبٍ ... من الشَّوْقِ إثْرَ الظاعنينَ تَصدَّعُ

عشيّة ما في مَنْ أقامَ بِغُرَّبٍ ... مقامٌ ولا في مَن مضى مُتسَرَّعُ[1]

❖ بعضهم

(فما بعد العشية من عرار)

ومن النسيب النادر، وأرقه، وأجمله، ما قاله بعضهم وهو في الروعة والجمال بمكان:

أقولُ لِصاحبي والعِيسُ تَهْوي ... بِنا بَيْنَ الْمُنيفةِ فَالضِّمَّارِ

تَمَتَّعْ مِنْ شميمِ عَرارِ نَجْدٍ ... فما بعدَ العشيّةِ من عَرار

ألا يا حبّذا نَفَحاتُ نجدٍ ... وريّا روضِهِ بعدَ القطارِ

وأهلُكَ إذْ يحلّ الحيُّ نجداً ... وأنتَ على زمانِكَ غيرُ زارِ

شهورٌ ينقضينَ وما شعرْنا ... بأنصافٍ لهنَّ ولا سِرارِ[2]

❖ جنادة العذري

(ليت الدهر أبقاها)

من أروع الشعر في الغزل العذري الذي يمثل حيرة المحب، ويصور نيران الحب التي تعتلج في النفس، ما قاله المدعو جنادة العذري، أحد شعراء الحجاز في عصر صدر الإسلام، وثمة من ينسب الأبيات للفرزدق، ولا صحة لذلك... يقول جنادة[3]:

سَرَتْ لِعَيْنَيْكَ سلمى بعدَ مغفاها ... فَبِتَّ مُسْتَلهياً مِن بعدِ مسراها[4]

وقلت أهلاً وَسهلاً مَنْ هداكِ لنا ... إنْ كنتِ تمثالَها أو كنتِ إيّاها

---

(١) ديوان الحماسة ٢/ ٦٤. وغرّب، اسم جبل بالشام. والظاعنون: جماعة السائرين أولِ الليل.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٧٠ - ٧١. والمنيفة: اسم ماء لبني تميم. والضمار: اسم موضع. والشميم، المصدر من شمّ. والعرار: نوع من النبات الطيب الرائحة. والرّيا: الرائحة الطيبة. وزار: مقصر. وسرار الشهر: آخره. والعيس: الإبل. وتهوي: تجدّ وتسير.

(٣) العربي ص ٢١٧، عدد ٣٣٩. شباط ١٩٨٧م. الكويت.

(٤) سرت: سارت ليلاً. ومغفاها: نومها ورقادها. والمسرى: المصدر من سرى.

تأتي الرّياحُ التي مِن نحوِ بلدتِكُمْ ... حتى نقولَ دنتْ منّا برَيّاها[١]
وقد تراختْ بكمْ عنّا نوىً قَذَفٌ ... هيهاتَ مُضبَحُها هيهاتُ مُمساها[٢]
مِن أجلِها أتمنّى أنْ يلاقيَني ... مِن نحوِ بلدتِها ناعٍ فينعاها[٣]
كيما أقولُ فراقٌ لا اجتماعَ لهُ ... وتضمرُ النفسُ يأساً ثم تسلاها[٤]
ولو تموتُ لَراعتْني وقلتُ ألا ... يا بؤسَ لِلدّهرِ ليتَ الدهرَ أبقاها

❖ بعضهم

(سلي البانة الغيناء)

ومن الغزل الذي يروع ويأسر، وهو في غاية الجودة، سلامة ذوق، ولطافة فكر، وحسن بيان، ما قاله بعضهم، وهو التالي[٥]:

سَلي البانةَ الغيْناءَ بالأجرعِ الذي ... بهِ البانُ هلّ حَيَّيْتُ أطلالَ دارِكِ[٦]
وهل قمتُ في أظلالِهنَّ عَشيّةً ... مقامَ أخي البأساءِ واخترْتُ ذلِكِ[٧]
وهل هملتْ عيناي في الدّارِ غُدوةً ... بدمعٍ كنظمِ اللؤلُؤِ المتهالكِ[٨]
أرى النّاسَ يرجونَ الرّبيعَ وإنّما ... ربيعيَ الذي أرجو نوالُ وصالِكِ
أرى الناس يَخْشَوْنَ السِّنينَ وإنّما ... سنيَّ التي أخشى صُروفُ اختمالكِ[٩]
لئِنْ ساءني أنْ نِلْتِني بمساءةٍ ... لقد سرَّني أنّي خطرتُ ببالِكِ
لِيَهْنِكِ إمساكي بكفيّ على الحشا ... ورقراقُ عيني رهبةً مِن زيالِكِ[١٠]

❖ بعضهم

(فواكبداً ممّن يحبكم بعدي)

وثمة بيتان من رائع النسيب، وأصدقه تعبيراً عن العشق، قالهما بعضهم، وهما التاليان:

تَحَمَّلَ أصحابي ولم يَجِدُوا وَجْدِي ... ولِلنّاسِ أشجانٌ ولي شَجَنٌ وَحْدي

---

(١) رياها: رائحتها الطيبة.
(٢) النوى: البعد. والقذف: الشديد البعد.
(٣) الناعي: الناقل لخبر الموت. وينعاها: يعلن خبر موتها.
(٤) تسلاها: تنساها، وتتعزّى عنها.
(٥) ديوان الحماسة ٢/ ١٠٥ - ١٠٦.
(٦) البانة: نوع من الشجر، وهي واحدة البان. والغيناء: العظيمة الظليلة. والأجرع: ما كان سهلاً من الأماكن وهو مختلط بالرمل.
(٧) البأساء: الضرّاء والفقر.
(٨) هملت: سالت. والمتهالك: المتساقط.
(٩) السنين: كناية عن سنوات الجدب والقحط. وصروف: حوادث. وإختمالك: إرتحالك.
(١٠) زيالك: فراقك. ورقراق العين: صب الدمع منها.

أُحِبُّكُمُ ما دمتُ حيّاً فإنْ أمتْ فواكبداً مِمَّنْ يُحِبُّكُمُ بَعْدِي[١]

❖ عبيدالله بن مسعود

(ألا إنَّ هجران الحبيب هو الإثم)

ومن أرق الغزل، وأجزله عبارة، وألطفه معنى، ما قاله عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود، الشاعر الإسلامي:

كتمْتُ الهوى حتى أضرَّ بِكَ الكَتْمُ ولامكَ أقوامٌ ولومهُمُ ظُلْمُ
ونمَّ عليكَ الكاشحونَ وقبل ذا عليك الهوى قد نمَّ لو نفعَ النَّمُّ
فيا مَنْ لِنفسٍ لا تموتُ فينقضي عَناها ولا الْمَحْيا حياةٌ لها طعم
تجنّبتُ إتيانَ الحبيبِ تأثُّماً ألا إنَّ هجرانَ الحبيبِ هو الإثمُ[٢]

❖ مرداس بن همام

(ولولا أنت ما لان جانبي)

ومن الغزل الحسن، الجيد العبارة، والرقيق الحاشية والديباجة، ما قاله مرداس بن همام، من طيء. ذكر حبه، وأعرب عن مكنون صدره فقال متغزلاً، وناعتاً من يحب:

هَويتُكِ حتّى كادَ يقتُلُني الْهوى وزرتُكِ حتّى لامَني كلُّ صاحبِ
وحتى رأوْا منّي أدانيكِ رقّةً عليهمْ ولولا أنتِ ما لانَ جانبي
ألا حبّذا لو ما الحياءُ وربّما منحتُ الْهوى مَنْ ليسَ بالْمُتقاربِ
بِأهلِي ظباءٌ مِن ربيعةِ عامرٍ عِذابِ الثّنايا مُشْرفاتِ الحقائبِ[٣]

❖ العوّام بن عقبة

(ونبئت سوداء الغميم مريضة)

هوي العوام بن عقبة، أحد أحفاد زهير بن أبي سلمى، وهو شاعر إسلامي، امرأة من بني عبدالله بن غطفان، فخرج إلى مصر، فبلغه أنّها مريضة، فكر راجعاً، وأنشأ يقول، معرباً عن اشتياقه وحبه، وهو من جيد الغزل:

ونُبِئْتُ سوداءَ الغُمَيمِ مريضةً فأقبلتُ مِن مصرٍ إليها أعودُها
فَوَاللّهِ ما أدري إذا أنا جئْتُها أأَبْرِئُها مِن دائِها أمْ أزيدُها[٤]

---

(١) ديوان الحماسة ٢/ ١٤٠. وتحمل: ارتحل. ويجدوا: يصيبهم الوجد، وهو الحزن المتولد عن شدة العشق. والأشجان: الحاجات.

(٢) العقد الفريد ٣/ ١٠٥ - ١٠٦.

(٣) ديوان الحماسة ٢/ ١٦٣ - ١٦٤. وعذاب الثنايا: حسان المباسم والثغور. ومشرفات: عظيمات. والحقائب: كناية عن الأرداف.

(٤) المصدر نفسه ٢/ ١٦٧. وسوداء: لقب المرأة التي أحب. والغميم: واد في ديار حنظلة من بني تميم.

❖ عروة بن حزام

(وما لي في الفؤاد نصيب)

من شعراء الغزل العذري المعدودين عروة بن حزام وصاحبته عفراء التي وقف عليها شعره كلّه تقريباً، ومن هذا الشعر الرقيق، الجيد والرائع، قوله، وكان الأصمعي قال: سمعت الرشيد يقول: قلب العاشق عليه مع معشوقه. فقلتُ: هذا، والله، يا أمير المؤمنين، أحسن من قول عروة بن حزام لعفراء في أبياته...

فقال الرشيد: من قال ذلك وهماً، فقد قلته علماً. أما أبيات عروة فهي التالية:

وإنّي لَتَغْرونِي لِذِكراكِ روعةٌ ... لها بينَ جِلْدِي والعظام دبيبُ
وما هوَ إلاّ أنْ أراها فُجاءةً ... فأبهتَ حتى لا أكاد أجيبُ
وأُصرفَ عن دائي الّذي كنتُ أرتئي ... ويقربَ منّي ذكْرُه ويغيب
ويُضْمِرُ قلبي عذرَها ويعينُها ... عليَّ ومالي في الفؤادِ نصيبُ[1]

❖ أبو صخر الهذلي

(وإني لتعروني لذكراك هزّة)

ومن الغزل البيّن الفصاحة، بل النسيب الجيد العبارة، والرقيق الحاشية، والديباجة، ما قاله أبو صخر عبدالله بن سلمة السهمي الهذلي، عاش في الجاهلية وصدر الإسلام، وبقي حتى زمن الأمويين فتعصب لهم، ومدحهم، وإن الذي يهمنا من شعره، هذا الغزل الرائع الذائع الصيت؛ يقول أبو صخر[2]:

أما والّذي أبكى وأضحكَ والذي ... أماتَ وأحيا والذي أمرُه الأمرُ
لقد كنتُ آتيها وفي النّفسِ هجرُها ... بتاتاً الأُخرى الدّهرِ ما طلعَ الفجر[3]
فما هو إلاّ أنْ أراها فُجاءةً ... فأُبْهِتَ لا عُرفٌ لديَّ ولا نُكر[4]
وأنسى الذي قد كنتُ فيه هجرتُها ... كما قد تُنَسّي لُبَّ شارِبِها الخمر[5]
وما تركتْ لِي مِن شدا أهتدي بهِ ... ولا ضِلعَ إلاّ وفي عظمِها وقر[6]
وقد تركتْنِي أغبطُ الوحشَ أنْ أرى ... أليفيْنِ منها لا يروعُهما الذّعرُ[7]

---

(١) زهر الآداب ٢/ ٩٤٩. وتعروني: تصيبني. والروعة: الهيبة والفزع. وأبهت: أصمت.
(٢) الأبيات الأولى، تجدها في ديوان الحماسة٢/ ٦٦ - ٦٧. والقصيدة كاملة تجدها في: العربي ص ٢١٦ - ٢١٧. عدد ٣٣٩.
(٣) بتاتاً: قطعاً. وأخرى الدهر: آخر الدهر.
(٤) أبهت: أحار.
(٥) اللب: العقل.
(٦) الشدا: بقية القوة. والوقر: الثقل.
(٧) أغبط: أتمنى له الخير والنعمة. والأليفان: الرفيقان. ويروعهما: يخيفهما.

ويمنعُني مِن بعضِ إنكارِ ظلمِها ... إذا ظلمتْ يوماً وإنْ كانَ لي عذر
مخافةَ أنّي قد علمتُ لَئِنْ بدا ... ليَ الهجرُ منها ما على هجرِها صبر
وإنّي لاَ أدري إذا النّفسُ أشرفتْ ... على هجرِها ما يبلغنَّ بيَ الهجر[١]
أبى القلبُ إلاّ حبَّها عامريَّةً ... لها كنيةٌ عمروٌ وليس لها عمرو
تكادُ يدي تندى إذا ما لمستُها ... وينبتُ في أطرافِها الورقَ النضر[٢]
وإنّي لَتَعْرونِي لِذكراكِ هزّةٌ ... كما انْتفضَ العصفورُ بلّلهِ القطر
تمنّيتُ مِن حبّي عُلَيَّةَ أنّني ... على رمثٍ في البحرِ ليسَ لنا وفر[٣]
على دائمٍ لا يعبرُ الفُلْكُ موجَهُ ... ومِن دونِنا الأهوالُ واللُّجَجُ الخضر[٤]
فنقضيَ هَمَّ النّفسِ في غيرِ رِقْبةٍ ... ويُغْرِقُ مَن تخشى نميمتَه البحر[٥]
عجبْتُ لِسَعيْ الدّهرِ بيني وبينَها ... فلمّا انْقضى ما بينَنا سَكَنَ الدّهر
فيا حُبَّ ليلى قد بلَغتَ بيَ المدى ... وزدتَ على ما ليس يبلغُه الهجر
ويا حُبَّها زِدْنِي جوىً كلَّ ليلةٍ ... ويا سلوَةَ الأيّامِ موعدُكِ الحشر[٦]
هجرتُكِ حتى قلتِ لا يعرفُ القِلى ... وزرتُكِ حتى قلتِ ليسَ له صبر[٧]
صدقْتِ أنا الصَّبُّ المصابُ الذي بهِ ... تباريحُ حبٍّ خامرَ القلبَ أو سحر[٨]
فيا حبّذا الأحياءُ ما دمتِ فيهم ... ويا حبَّذا الأمواتُ ما ضَمَّكِ القبر

(فعجلت قبل الموت بالصرم)

ومن جيد نسيب أبي صخر، وغزله، قوله شاكياً ومتألماً:

بِيَدِ الذي شعفَ الفؤادَ بِكُمْ ... تفريجُ ما ألْقَى مِنَ الهَمِّ
ويقرُّ عيني وهْي نازحةٌ ... ما لا يقرُّ بعينِ ذي الحِلْمِ
إنّي أرى وأظنُّ أنْ سترى ... وضحَ النّهارِ وعاليَ النَّجْمِ
ولَلَيلَةٌ منها تعود لَنا ... مِن غيرِ ما رفثٍ ولاَ إثْمِ
أشهى إلى نفسي ولو نزحتْ ... ممّا ملكتُ ومِنْ بني سهمِ
قد كان صَرْمٌ بالممات لنا ... فعجِلْتِ قبلَ الموتِ بِالصَّرْمِ

---

(١) أشرفت: قاربت النهاية.
(٢) تندى: يظهر عليها البلل. والنضر: الشديد الإخضرار.
(٣) الرمث: الحزمة من العيدان يتخذ منها قارباً في الماء.
(٤) اللجة: الماء الغزير.
(٥) هم النفس: مطلبها. والرقبة: الحذر والإحتراس.
(٦) الجوى: شدة الحزن من العشق. والحشر: يوم بعث الأجساد في القيامة.
(٧) القلى: البغض والكراهية.
(٨) الصب: المحب. والتباريح: الشدائد. وخامر: خالط.

فتعلّمي أنْ قد كلفتُ بكمْ ثم افعلي ما شئتِ عَن علمِ[١]

❖ توبة

(حمامة بطن الواديين ترنّحي)

يعد توبة بن الحميّر، من أقطاب شعراء الغزل العذري، كرس له حياته وشبابه، في العصر الإسلامي، لقد أحب ليلى الأخيلية حباً لم يضارعه فيه سوى القلة من العشاق أمثال عروة بن حزام، ومجنون بني عامر، وكثير عزة.. لقد وقف توبة شعره على ليلى التي لم يتزوج بها، وتزوجت من غيره، فقال فيها أجمل النسيب والغزل العذري، وأرقه، وأروعه.

قيل إن الحجاج طلب إلى ليلى أن تنشده بعض ما قاله توبة فيها، فأنشدته الأبيات التي ستلي، فقال: يا ليلى، ما رابه من سفورك؟ فقالت: ما رآني قط إلا متبرقعة، فأرسل إليّ رسولاً إنّه ملّم بنا، فنظر أهل الحيّ رسوله فأعدوا له وكمنوا، ففطنت لذلك من أمرهم، فلما جاء ألقيت برقعي، وسفرت، فأنكر ذلك، فما زاد على التسليم، وانصرف راجعاً. أما الأبيات الغزلية التي أنشدتها ليلى لتوبة، وهي من أرقّ الغزل وأعذبه وأصدقه وأروعه فهي التالية[٢]:

نَأَتْكَ بليلى دارُها ولا تزُورُها وشطّتْ نواها واستمرّ مريرُها[٣]
وكنتُ إذا ما زرتُ ليلى تبرقعتْ وقد رابني منها الغداةَ سفورُها[٤]
عليَّ دماءُ البُدْنِ إنْ كان زوجُها يرى ليَ ذنباً غيرَ أنّي أزورُها[٥]
وإنّي إذا ما زرتُها قلتُ يا اسْلمي فهل كانَ قولي يا اسْلمي ما يضيرُها
حمامةَ بطنِ الواديْينِ ترنّحي سقاكِ مِنَ الغُرِّ الغوادي مطيرُها[٦]
أبينِي لنا ما زالَ رِيشُكِ ناعماً ولا زلتِ في خضراءَ دانٍ بريرُها[٧]
وقد تذهبُ الحاجاتُ يطلبُها الفتى شَعاعاً وتخشى النفسُ ما لا يضيرُها[٨]

---

(١) ديوان الحماسة ٢/ ٦٧ - ٦٨. وشعف القلب: أصاب شعفته، أي أعلاه. والعين النازحة: القليلة الدمع. والحلم: العقل. والوضح: بياض الصبح. ما رفث: ما: زائدة. والرفث: الفحش. وبنو سهم، قبيلة الشاعر. والصرم: القطع. وتعلمي: اعلمي.

(٢) زهر الآداب ٢/ ٩٣٦. والأغاني ١١/ ٢٠٨.

(٣) شطت: نأت وغابت. والنوى: البعد والفراق.

(٤) رابني: بعث في نفسي الريبة.

(٥) البدن: الإبل التي تنحر في مناسك الحج.

(٦) ترنمي: تمايلي. والغر: البيض. والغوادي: المطر في الغداة.

(٧) بريرها: ثمر أراكها. والبرير: ثمر الأراك.

(٨) شعاعاً: متفرقة.

أيَـذْهَـبُ رَيْـعـانُ الـشَّـبـابِ ولـم أزُرْ ... غـرائـرَ مِـن هَـمْـدانَ بِيضاً نـحـورُهـا[١]
ولـو أنَّ لـيـلـى فـي ذُرى مـتـمـنّـعٍ ... بـنـجـرانَ لاَلْـتَـفَـتْ عـلـيَّ قـصـورُهـا
يـقـرُّ بِـعـيـنـي أنْ أرى الـعـيـسَ تـرتـمـي ... بِنا نحوَ ليلى وهْي تجري صقورُها[٢]
وأشـرفَ بـالـغَـوْرِ الـيـفـاع لـعـلّـنـي ... أرى نـارَ لـيـلـى أو يـرانـي بـصـيـرُهـا[٣]
أرثّـنـا حِـمـامَ الـمـوتِ لـيـلـى وراقـنـا ... عـيـونٌ نـقـيّـاتٌ الـحـواشـي تـديـرُهـا

(ولو أنَّ ليلى الأخيلية سلّمت)

ومن جيد شعر توبة في ليلى الأخيلية، ومن أروعه، وأكثره سيرورة وشهرة، قوله:

ولـوْ أنَّ لـيـلـى الأخـيـلـيَّـة سـلَّـمـتْ ... عـلـيَّ ودونـي جـنـدلٌ وصـفـائـحُ
لَـسَـلَّـمْـتُ تـسـلـيـمَ الـبـشـاشـةِ أوْزَقـا ... إلـيـهـا صـدىً مـن جـانـبِ الـقـبـرِ صـائـحُ
وأُغـبَـطُ مِـن لـيـلـى بـمـا لا أنـالُـه ... ألا كـلُّ مـا قـرَّتْ بـهِ الـعـيـنُ صـالـحُ[٤]

❖ جميل (ت ٨٢ هـ)

(لا حمّل اللّه نفساً فوق ما تسع)

يعد جميل بن عبدالله بن معمر العذري، الشاعر الإسلامي الأموي، من أشهر شعراء الغزل العذري العفيف؛ عرف بحبه لبثينة، ابنة عمه، ولم يتزوجها، فوقف عليها شعره المتضمن أصدق وأنبل وأرق مشاعر الحب والوجد والهيام.

يقول جميل معرباً عن حبه ووجده، وهو من أروع ما قيل في الغزل العذري.

لا خـيـرَ فـي الـحـبِّ وقـفـاً لا تُـحـرّكُـه ... عـوارضُ الـيـأسِ أو يـرتـاحـه الـطّـمـعُ
لـو كـانَ لـي صـبـرُهـا أو عـنـدَهـا جـزعـي ... لـكـنـتُ أمـلـكُ مـا آتـي ومـا أدَعُ
إذا دعـا بِـاسْـمـهـا داعٍ لِـيـحـزنَـنـي ... كـادتْ لـه شـعـبـةٌ مِـن مـهـجـتـي تـقـعُ
لا أحـمـلُ الـلّـومَ فـيـهـا والـغـرام بِـهـا ... لا حَـمَّـل الـلّـهُ نـفـساً فـوقَ مـا تـسـعُ[٥]

(ألا ليت أيام الصفاء جديد)

ومن شعر جميل الجيد الذي يجمع بين السهولة والرصانة قوله:

ألا لـيـتَ أيّـامَ الـصّـفـاءِ جـديـدُ ... ودهـراً إلـيـنـا يـا بُـثَـيْـنَ يـعـودُ

---

(١) ريعان الشباب: أوله. والنحور: الأعناق. وهمدان: اسم بلد بعينه.
(٢) العيس: الإبل.
(٣) الغور: الأرض المنخفضة. واليفاع: الأراضي المرتفعة.
(٤) زهر الآداب ٢/ ٩٣٥. والأغاني ١١/ ٢٠٨. وديوان الحماسة ٢/ ١٠٨. والجندل: الحجر. ومثله الصفائح. وزقا: صاح. والصدى: طائر أسطوري زعموا أنه يخرج من رأس المقتول، وهو يقول: اسقوني، حتى يؤخذ بثأره.
(٥) الديوان ص ٢٥٣.

فـنـغـنـى كـمـا كُـنّـا نـكـونُ وأنـتـمُ ... صـديـقٌ وإذْ مـا تـبـذلـيـن زهـيـد
ومـا أنـسَ م الأشـيـاءِ لا أنـسَ قـولَـهـا ... وقـد قـرّبـتْ رحـلـي أمـصـرَ تـريـد
ولا قـولَـهـاَ لـولا الـعـيـونُ الـتـي تـرى ... أتـيـتُـكَ فـاعـذرْنـي فـدتْـكَ جـدود[1]

(نعم صدق الواشون)

ومن رائع نسيب جميل قوله في بثينة، وقد أجهده الحب، وتيّمه العشق:

ومـاذا عـسـى الـواشـونَ أنْ يـتـحـدَّثـوا ... سِوى أنْ يـقـولـوا إنّـنِـي لـكِ عـاشِـقُ
نَـعَـمْ صـدقَ الـواشـونَ أنـتِ حـبـيـبـةٌ ... إليَّ وإنْ لـم تَـصْـفُ مـنـكِ الـخَـلائـقُ[2]

ومن رائع شعر جميل قوله:

(وأيّ جهاد غيرهن أريد)

خـلـيـلـيَّ مـا أُخْـفـي مِـنَ الـوجـدِ ظـاهـرٌ ... ودمـعـي بـمـا أُخـفِـي الـغـداةَ شـهـيـد
ألا قـد أرى والـلّـهِ أنْ رُبَّ عـبـرةٍ ... إذا الـدّارُ شـطَّـتْ بـيـنَـنـا سـتـزيـد[3]
إذا قـلـتُ مـا بـي يـا بُـثـيـنـةُ قـاتـلـي ... مـن الـحـبِّ قـالـتْ ثـابـت ويـزيـد
وإنْ قـلـتُ رُدّي بـعـضَ عـقـلـي أعـشْ بِـهِ ... مـعَ الـنـاسِ قـالـتْ ذاكَ مـنـكَ بـعـيـد
فـلا أنـا مـردودٌ بـمـا جـئـتُ طـالـبـاً ... ولا حـبُّـهـا فـي مـا يـبـيـدُ يـبـيـد[4]
جـزتْـكِ الـجـوازي يـا بـثـيـنَ مـلامـةً ... إذا مـا خـلـيـلٌ بـانَ وهْـو حـمـيـد
وقـلـتُ لـهـا بـيـنـي وبـيـنَـكِ فـاعـلـمـي ... مِـنَ الـلّـهِ مـيـثـاقٌ لـه وعـهـود
وقـد كـانَ حُـبّـيـكُـمْ طـريـفـاً وتـالـداً ... ومـا الـحـبُّ إلاّ طـارفٌ وتـلـيـد[5]
وإنَّ عـروضَ الـوصـلِ بـيـنـي وبـيـنـهـا ... وإنْ سـهّـلـتـه بـالـمُـنـى لَـصَـعـود
فـأفـنـيـتُ عـيـشـي بـانـتـظـارِ نـوالـهـا ... وأبـلـيـتُ ذاك الـدّهـرَ وهـوجـديـد
ألا لـيـتَ شـعـري هـلْ أبـيـتَـنَّ لـيـلـةً ... بِـوادي الـقـرى إنّـي إذاً لَـسَـعِـيـد[6]
وقـد تـلـتـقـي الأهـواءِ مِـن بـعـدِ يـأسـةٍ ... وقـد تُـطـلـبُ الـحـاجـاتُ وهـي بـعـيـد
فـمـن يُـعـطَ فـي الـدّنـيـا قـريـنـاً كـمـثـلِـهـا ... فـذلـك فـي عـيـشِ الـحـيـاةِ رشـيـد
يـمـوتُ الـهـوى مـنّـي إذا مـا لـقـيـتُـهـا ... ويـحـيـا إذا فـارقـتُـهـا فـيـعـود
يـقـولـون جـاهـدْ يـا جـمـيـلُ بـغـزوةٍ ... وأيُّ جـهـادٍ غـيـرهـنَّ أريـد

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٠. وبثين: تصغير بثنة، حبيبة الشاعر. الرحل: الدابة الراحلة. والرحل: المتاع الذي يوضع على ظهر الدابة.
(٢) ديوان الحماسة ٢/ ١٤٨. والخلائق، جمع خليقة، وهي الخلق والطبع.
(٣) شطت: نأت. والعبرة: الدمعة.
(٤) يبيد: يذهب ويتلاشى.
(٥) الطريف: الحديث. والتالد: القديم.
(٦) وادي القري، بين المدينة ومكة، بالحجاز.

لكلِّ حديثٍ بينهنَّ بشاشةٌ وكلُّ قتيلٍ بينهنَّ شهيد

(ولكنني صلب القناة عتيق)

ومن أرق النسيب، وأجود الغزل، ما قاله جميل في بثينة:

تفرَّقَ أهلانا بُثَيْنَ فمِنهمُ فريقٌ أقامَ واستقلَّ فريقُ
فلو كنتُ خوّاراً لقد باخَ مِيسمي ولكنّني صُلْبُ القناةِ عتيق
كأنْ لمْ نحارِبْ يا بثينَ لو أنَّها تَكَشَّفُ غُمّاها وأنتِ صديق[1]

(ولقد أردت الصبر)

ومن أصدق النسيب، وأرقه، وأروعه، قول جميل:

وإذا عَتَبْتِ عَلَيَّ بِتُّ كأنّني بِاللَّيْلِ مختلسُ الرّقادِ سليمُ
ولقد أردْتُ الصَّبْرَ عنكِ فعاقَني عَلَقٌ بقلبي مِن هواكِ قديم
يبقى على حَدَثِ الزّمانِ ورَيْبِهِ وعلى جفائكِ إنَّه لَكَريم[2]

(وفيها إذا ازدانت لذي نيقة حسب)

ومن الشعر الغزلي الجيد، ما قاله جميل في وصف بثنية، فهي كما يقول:

بُثَيْنَةُ ما فيها إذا ما تُبُصّرَتْ مَعَابٌ ولا فيها إذا نُسِبَتْ أشْبُ
لها النّظْرةُ الأولى عليهمْ وَبَسْطةٌ وإن كَرَّتِ الأبْصارُ كان لها العَقْبُ
إذا ابْتذلَتْ لم يُزْرِها تَرْكُ زينةٍ وفيها إذا ازْدانتْ لذِي نيقةٍ حَسْبُ[3]

(فلو تركت عقلي معي ما طلبتها)

ومن أشهر ما قاله جميل في الغزل، وهو يدخل في صميم الشعر الغنائي الوجداني، ويعبر فيه الشاعر عن أسمى عواطف الحب والشوق والحنين، قوله متحدثاً عن نفسه:

لَقَدْ فَرِحَ الْواشونَ أنْ صَرَمَتْ حَبْلي بُثَيْنَةُ أَوْ أَبْدَتْ لنا جانِبَ الْبُخْلِ[4]
يقولونَ مهلاً يا جميلُ وإنَّني لأُقْسِمُ مالي عنْ بُثَيْنَةَ مِن مهلِ
أحِلْماً وقبلَ اليومِ كانَ أوانُه أمْ أخْشى فَقَبْلَ اليومِ أُوعِدْتُ بِالقتْلِ[5]
إذا ما تراجعْنا الذي كَانَ بيننا جرى الدمعُ مِن عينَيْ بُثَيْنةِ بالكحل

---

(١) ديوان الحماسة ٢/ ١٣٠. والغمّاء: الأمر المحزن المظلم. وخواراً: ضعيفاً. والميسم: الحسن والجمال. واستقل: رحل وحمل متاعه. وهنا يبين الشاعر لحبيبته بثينة أنه لم يتغير، فهو صلب ماجد شريف.

(٢) المصدر نفسه ٢/١٤٨ - ١٤٩. والسليم: الملدوغ، سمي بذلك تفاؤلاً. والعلق: الحب. وريب الزمان: أحداثه وصروفه. ومعنى الأبيات أن الشاعر باق على حبه، وفي للعهد، مهما تغيّر به الحال.

(٣) ديوان الحماسة ٢/ ١٧١ - ١٧٢. وابتذلت: لبست بذلتها. وازدانت: تزينت. والنيقة: المبالغة في تحسين الأشياء. وحسب: كافٍ. والبسطة: الفضيلة. والعقب: التالي. والأشب: العيب.

(٤) صرمت: قطعت.

(٥) حلماً: عقلاً.

ولو تركتْ عقلي معي ما طلبتُها ... ولكنْ طِلابيها لِما فاتَ مِن عقلي
فيا وَيْحَ نفسي حَسْبُ نفسي الذي بها ... ويا ويحَ أهلي ما أُصيبَ بهِ أهلِي
أرانيَ لا أَلْقَى بثينةَ مرّةً ... مِنَ الدَّهْرِ إلاّ خائِفاً أو على رَحْل[1]
خليليَّ فيما عُشْتُما هلْ رأيتُما ... قتيلاً بكى مِن حبِّ قاتِله قبلي
كلانا بكى أو كادَ يبكي صبابةً ... إلى إلْفِهِ واستعجلتْ عَبْرَةً قبلي[2]
نأيْتُ فلم يُحدِّثْ ليَ النَّأيُ سَلْوةً ... ولم أُلْفِ طولَ النَّأي عن خِلَّةٍ يُسلي[3]
فإنْ وُجِدَتْ نعلٌ بأرضٍ مُضِلَّةٍ ... مِنَ الأَرْضِ يوماً فاعْلَمِي أنَّها نَعْلِي[4]

❖ كثير (ت ١٠٥ هـ)

(فباليأس تسلو عنك لا بالتجلّد)

ومن جيد النسيب وأشهره، ما قاله أحد شعراء الغزل والنسيب في العصر الإسلامي الأموي، وهو من أفضل ممثلي الغزل العذري؛ ومن عشاقهم المرموقين، عنيت به كثير عزّة، نسبة إلى عزّة حبيبته، وهي بنت حميد الضّمري، وقف عليها شعره، وهو كثير بن عبد الرحمٰن، رواية جميل بثينة.

والبيتان التاليان، روي أن يزيد بن عبد الملك تمثل بهما فقال يوماً: يقال إن الدنيا لم تصف لأحد قط، فإذا خلوت هنا فاطووا عني الأخبار، ودعوني ولذّتي، وما خلوت له. ثم دعا يزيد بحبابة، وكانت مغنيته، فقال: اسقيني وغنّيني، فخلوا في أطيب عيش، فتناولت حبابة حبة رمان، فوضعتها في فيها، فغصّت بها فماتت، فجزع يزيد جزعاً شديداً أذهله، ومنع من دفنها حتى قال مشايخ بني أمية أن هذا عيب لا يستقال، وإنّما هذه جيفة، فأذن في دفنها، وتبع جنازتها، فلما واراها قال: أمسيت، والله، فيك، كما قال كثير. قيل: عدّ بين وفاة يزيد ووفاة حبابة خمسة عشر يوماً. والبيتان اللذان قالهما كثير وتمثل بهما يزيد هما:

فإنْ تَسْلُ عنكِ النّفْسُ أو تدعِ الهوى ... فباليأسِ تسلو عنكِ لا بِالتجلّدِ
وكلُّ خليلٍ راعني فهوَ قائلٌ ... مِنَ اجْلِكِ هذا هامةُ اليومِ أو غدِ[5]

---

(١) على رحل: على سفر.
(٢) الصبابة: الحب والشوق. والإلف: الرفيق والصديق. والعبرة: الدمعة.
(٣) نأيت: بعدت. والسلوة: النسيان. والخلة: الخلق الخصلة.
(٤) مضلة: تائهة، لا يهتدى فيها.
(٥) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٣٩٠. وراءني، أصلها: رآني، لكنه قلب فأخر الهمزة. وقوله: هامة اليوم، أوغد، أي هو ميت في يومه وغده.

(وما كنت أدري قبل عزّة ما الهوى)

ومن أروع النسيب وأرقّه، وهو يدخل في الصميم من الغزل العذري، ما قاله كثير متحدثاً عن عزّه، معرباً عن حبه، باثاً وجده وحزنه. يقول كثير[١]:

وما كنتُ أدري قبلَ عَزَّةَ ما الهوى ... ولا موجباتِ الحزنِ حتى تولَّتِ
وكانتْ لِقطعِ الحبلِ بيني وبينَها ... كناذرةٍ نذراً فأوفَتْ وحَلَّتِ
فقُلتُ لها يَا عزّ كلُّ مصيبةٍ ... إذا وُطّنتْ يوماً لها النفسُ ذلّتِ
ولم يلقَ إنسانٌ مِنَ الحبِّ ميعةً ... تعمُّ ولا غمَّاءَ إلاّ تجلّتِ[٢]
أباحتْ حمىً لم يرعه الناسُ قبلَها ... وحلّتْ تلاعاً لم تكنْ قبلَها حلّت[٣]
هنيئاً مريئاً غيرَ داءٍ مخامرٍ ... لِعزَّةَ من أعراضِنا ما اسْتحلّتِ[٤]
أسيئي بنا أو أحسني لا ملومةٌ ... لدينا ولا مقليّةٌ إنْ تقلّتِ[٥]
ووَاللّهِ ما قاربتُ إلاّ تباعدتْ ... بهجرٍ ولا استكثرتُ إلاّ أقلّت
ما مرَّ مِن يومٍ عليَّ كيومِها ... وإنْ عظمتْ أيّامُ أخرى وجلّت
فيا عجباً لِلْقلبِ كيفَ اعترافه ... ولِلنفسِ لما وُطّنَتْ كيفَ ذلّت
وإنّي وتهيامي بعزّةَ بعدما ... تخلّيتُ ممّا بيننا وتخلّت[٦]
لَكَالْمر تجبي ظلَّ الغمامةِ كلّما ... تبوّأ منها لِلْمقيل اضمحلّتِ[٧]

(وغادرت ما غادرت بين الجوانح)

ومن جيد النسيب قول كثير مخاطباً عزّة:

وأدْنَيْتِني حتى إذا ما ملكْتِني ... بقولٍ يحلُّ العُصْمَ سهلَ الأباطحِ
تناهيْتِ عنّي حينَ لا ليَ حيلةٌ ... وغادرْتِ ما غادرْتِ بينَ الجوانحِ[٨]

(وددت وما تغني الودادة)

ومن رائع نسيب كثير قوله أيضاً:

ودِدْتُ وما تُغْنِي الوِدادةُ أنّني ... بِما في ضميرِ الحاجبيَّةِ عالِمُ

---

(١) زهر الآداب ١/ ٣٥٤ - ٣٥٥.
(٢) الغماء: الأمر الذي يغم ويحزن.
(٣) التلاع: الأراضي المرتفعة، جمع تلعة.
(٤) مخامر: مخالط.
(٥) المقلية: ما فيه قلى، أي كراهية.
(٦) التهيام: الهيام، وهو شدة الوجد والحبّ.
(٧) تبوأ: نزل به وأقام. والمقيل: موضع القيلولة، وهي النوم ظهراً.
(٨) ديوان الحماسة ٢/ ١٠٣. والجوانح: الأضلاع. والعصم: الوعول الوحشية التي يصعب صيدها، لأنها لا تكون إلا في الجبال.

فإنْ كانَ خيراً سرَّني وعلمْتُه ... وإنْ كان شرّاً لم تلُمْنِي اللّوائمُ
وما ذكرتْكِ النَّفسُ إلاّ تَفرَّقَتْ ... فريقَيْنِ منها عاذرٌ لِي ولائِم
فريقٌ أبى أنْ يقبلَ الضَّيْمَ عُنْوةً ... وآخرُ منها قابلُ الضَّيْمِ راغِم[1]

(إذا ذرفت عيناي أعتلّ بالقذى)

ومن جيد نسيبه أيضاً، قوله:

وأنتِ التي حبَّبْتِ شَغْباً إلى بَدا ... إليَّ وأوطاني بلادٌ سواهُما
إذا ذَرَفَتْ عيناي أعْتَلَّ بالقذى ... وعَزَّةُ لو يَدري الطبيبُ قذاهُما
وحلّتْ بهذا حَلَّةً ثمّ أصبحتْ ... بأُخْرَى خطاب الواديانِ كلاهما
فلو تُذْريانِ الدّمعَ منذُ اسْتهلَّتا ... على إثرِ جازي نِعمةٍ لَجزاهما[2]

(فقد برئت إن كان ذاك مريحي)

ومن أنفس شعر النسيب، ورائعه، قوله:

عجبْتُ لِبُرْئِي منكِ يا عزُّ بعدَما ... عَمِرتُ زماناً منكِ غيرَ صحيحِ
فإنْ كانَ بُرْءَ النَّفسِ لي منكِ راحةً ... فقد برِئَتْ إنْ كان ذاكَ مُريحي
تجلّى غطاءُ الرّأس عنّي ولم يكدْ ... غطاءُ فؤادِي يَنجلي لِسَريحِ[3]

(من الخفزات البيض لم ترشقوه)

ومن رقيق الغزل الذي قاله كثير في عزة، قوله:

وإنْ خَفِيَتْ كانتْ لِعَيْنَيْكَ قُرَّةً ... وإنْ تبدُ يوماً لم يَعُمَّكَ عارُها
مِنَ الْخَفِراتِ البيضِ لم ترَ شِقْوَةً ... وفي الْحسبِ الْمُحْضِ الرّفيعِ نِجارُها
فما روضةٌ بالْحَزْنِ طيّبةُ الثّرى ... يمجُّ النّدى جَثْجَاثُها وعَرارُها
بأطْيبَ مِن فِيها إذا جئتَ طارقاً ... وقد أوقدتْ بالمندلِ الرَّطْبِ نارُها[4]

---

(١) ديوان الحماسة ٢/ ٩٥. والودادة: الود، أي الحب. والحاجبية: هي عزة، حبيبة الشاعر، نسبة إلى قومها بني حاجب.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٩٦. شغب وبدا: اسما موضعين. واستهلتا: سالا بالدمع. والقذى: ما يدخل العين من الغبار ونحوه. ومعنى ذلك لأن العينين لو سالتا بالدموع على ميت يجزي بالنعمة لجزاهما. لكن ذلك منهما من أجل عزة التي لم تعطف عليهما.

(٣) ديوان الحماسة ٢/ ٩٨ - ٩٩. وعزّ، ترخيم عزة، حبيبة الشاعر. والبرء: الشفاء. والمقصود بغطاء الرأس: السواد الدال على الشبيبة. والسريح: الأمر المريح. ومعنى البيت أن سواد رأسه انكشف عن بياض وشيب لكن وجده باق غير مفارقه.

(٤) المحاسن والأضداد ص ١٢٢. والجثجاث والعرار: نوعان من النبت الطيب الرائحة. والحزن: ما ارتفع من الأرض. والمندل، نوع من البخور.

❖ المجنون

(إثنتين صلّيت الضحى أم ثمانيا)

ومن الغزل العذري الرائع ما قاله مجنون ليلى، قيس بن الملوّح، وقيل قيس بن معاذ العامري، في ليلى، ابنة عمه التي هام في حبّها، ولم يشفِ غليله منها، فقضى الحياة معذباً هائماً على وجهه قال المجنون[١]:

وقد خبّروني أنّ تيماءَ منزلٌ ... لِلَيلى إذا ما الليلُ ألقى المراسيا[٢]
فهذي شهورُ الصّيفِ عنّا ستنقضي ... فما للنّوى يرمي بليلى المراميا[٣]
أعدُّ الليالي ليلةً بعدَ ليلةٍ ... وقد عشتُ دهراً لا أعدُّ الليالِيا
وأخرجُ مِن بينِ البيوتِ لعلّني ... أحدّثُ عنكِ النفسَ بالليلِ خاليا
ألاَ أيُّها الركبُ اليمانونَ عرّجوا ... علينا فقد أمسى هوانا يمانيا[٤]
يميناً إذا كانتْ يميناً فإنْ تكنْ ... شمالاً ينازعْنِي الهوى عن شماليا
أُصَلّي فما أدري إذا ما ذكرتُها ... إثْنَتَيْنِ صلّيْتُ الضُّحَى أم ثمانيا[٥]
خليليَّ لا واللّهِ لا أملِكُ الهوى ... إذا عَلَمٌ مِن أرضِ ليلى بداليا[٦]
خليليَّ لا واللّهِ لا أملكُ الذِي ... قضى اللّهُ في ليلى ولا ما قضى ليا
قضاها لِغيري وابْتلاني بِحبّها ... فهلاً بشيءٍ غير ليلى ابتلانيا
ولو كانَ واشٍ باليمامةِ دارهُ ... وداري بأعلى حضرموتَ اهْتدي ليا
وددتُ على حبّي الحياةَ لَوَ أنّهُ ... يُزادُ لها في عمرِها مِن حياتِيا
على أنّني راضٍ بأنْ أحملَ الهوى ... وأخلصَ منه لا عليَّ ولا ليا
إذا ما شكوتُ الحبَّ قالت كذبتني ... فما لي أرى الأعضاءَ منكَ كواسيا
فلا حُبَّ حتى يلصقَ الجلدُ بالحشى ... وتخرسَ حتى لا تجيبَ المناديا

(أينما تذهب به الريح يذهب)

ومن أرقّ الغزل العذري، وأجوده وأروعه ما قاله المجنون في ليلى، والبيت الأخير من أعجب ما قيل في النحافة. يقول المجنون:

ولمْ أرَ ليلى بعد موقَفِ ساعةٍ ... بِبطنِ مِنىً ترمي جمارَ المحصَّبِ

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف ص ٣٨٤.
(٢) تيماء: بلد في الحجاز.
(٣) النوى: البعد والفراق.
(٤) عرّجوا: انزلوا.
(٥) إشارة إلى أنه كان يعد كل ركعة بإصبع من أصابعه العشر، فإذا بلغ العد إصبعين، ضاع في أمره فلم يدر إثنتين صلى الضحى، أي الصبح، وهي ركعتان، أم ثماناً.
(٦) العلم: الجبل.

ويُبدِي الحصا منها إذا قذفتْ بهِ ... مِن البُردِ أطرافُ البنانِ المخضّبِ
فأصبحتُ مِن ليلى الغداةَ كناظرٍ ... معَ الصّبحِ في أعقابِ نجمٍ مُغرِّبِ
ألا إنّما غادرتِ يا أمَّ مالكٍ ... صدىً أينما تذهبْ به الرّيحُ يَذهبِ[1]

(ألا إنّما بعض العوائد دائيا)

ومن الغزل العذري الرائع الجودة، ما قاله المجنون في ليلى، وهو من أرقّ الشعر وأعذبه وأصدقه، وأكثره إثارة للّوعة والحزن:

فأصبحتُ في أقصى البيوتِ يعدْنني ... بقيّةَ ما أبقينَ نصلاً يمانيا
تجمّعْنَ مِن شتى ثلاثٌ وأربعٌ ... وواحدةٌ حتى كملْنَ ثمانيا
يعدْنَ مريضاً هنَّ هَيَّجْنَ ما بهِ ... ألا إنّما بعضُ العوائدِ دائيا
وأخرجُ مِن بينِ الجلوسِ لعلّني ... أحدّثُ عنكِ النّفسَ في السّرِّ خاليا
وإنّي لأَسْتغشِي وما بيَ نعسةٌ ... لعلَّ خيالاً منكَ يلقى خياليا
أشوقاً ولمّا تمضِ لي غيرُ ليلةٍ ... رُوَيْدَ الهوى حتى يغِبَّ لياليا[2]

(أشبهن منك محاجراً وسوالفاً)

ومن أروع الغزل، وأجوده معنى، وأرقه عبارة ما قاله المجنون في ليلى:

راحوا يُصيبونَ الظّباءَ وإنّني ... لأَرَى تصيّدَها عليَّ حراما
أشبهْنَ منكِ محاجراً وسوالفاً ... فأرى عليَّ لها بِذاكَ ذماما
أعزِزْ عليَّ بأنْ أروعَ شبيهَها ... أو أنْ يذقْنَ على يديَّ حِماما[3]

(نوائح ما تجري لهنّ دموع)

ومن رقيق الشعر، وجيد الغزل، ورائعه قول المجنون:

ولَو لمْ يشقْني الظاعنونَ لَشاقني ... حمائمُ وُرْقٌ في الدّيارِ وقوعُ
تجاوبْنَ فاسْتَبكَيْنَ مَن كانَ ذا هوى ... نوائح ما تجري لهنَّ دموعُ[4]

❖ **ابن الدّمينة**

(وهذي وحوش أصبحت لم تبرقع)

ومن جيد النسيب وأرقّه، ما قاله أبو السري عبدالله بن عبدالله، أحد بني عامر بن تيم

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ١/ ١٧٢. والمحصب، اسم موضع رمي الجمار. والجمار: الحجارة التي يرمى بها في موسم الحج. وأم مالك: كنية ليلى.
(٢) المصدر نفسه ١/ ١٧٢ - ١٧٣. يعدنني: يزرنني في المرض. والنصل: حد السيف أو الرمح. وأستغشي: أتظاهر بالنعاس. يغب: يزور ثم يغيب.
(٣) زهر الآداب ١/ ٣٥٤. والحِمام: الموت. وأروع: أخوّف
(٤) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٩٩. والورق: جمع ورقاء، وهي الحمامة.

الله، ويكنى أيضاً بابن الدمينة، نسبة إلى أمه، وهو أحد الشعراء الإسلاميين المجيدين. يقول ابن الدمينة ناسباً، ذاكراً سعاد ومربعها[١]:

أما يستفيقُ القلبُ إلاّ انبرى لَهُ ... توهُّمُ صيفٍ مِن سعادَ ومربعِ[٢]
أخادعُ عن أطلالِها العينَ إنّه ... متى تعرفِ الأطلالُ عينُكَ تدمعِ[٣]
عهدتُ بها وحشاً عليها براقعٌ ... وهذي وحوشٌ أصبحتْ لم تَبَرْقَعِ[٤]

(عرضنا فسلّمنا فسلّم كارهاً)

ومن شعر ابن الدمينة الغزلي، ويدخل في صميم النسيب قوله[٥]:

ولمّا لَحِقْنا بالحَمولِ ودونَها ... خميصُ الحشا تُوهي القميصُ عواتقُهْ[٦]
قليلُ قذى العينيْنِ يعلمُ أنّهُ ... هو الموتَ إنْ لم تصرعنا بوائقُه[٧]
عرضْنا فسلّمْنا فسلَّمَ كارهاً ... علينا وتبريحٌ مِن الغيظِ خانقُه[٨]
فسايرتُه مقدارَ ميلٍ وليتني ... بكرهي لهُ ما دامَ حيّاً أُرافقُه
فلمّا رأتْ أنْ لا وصالَ وأنّه ... مدى الصّرمِ مضروبٌ علينا سُرادِقُه[٩]
رمتْني بطرفٍ لو كَمِيّاً رمتْ بهِ ... لَبُلَّ نجيعاً نحرهُ وبنائقه[١٠]
ولمْحٍ بعينيْها كأنَّ وميضَهُ ... وميضُ الحيا تُهدى لِنجْدٍ شقائقُه[١١]

(ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد)

ومن أشهر النسيب، وأرقه وأروعه، وأجوده أبيات عبدالله بن الدمينة، وفيها من بديع القول، وسائغ اللفظ، وجزل العبارة الشيء الكثير. يقول ابن الدمينة[١٢]:

ألا يا صَبا نَجْدٍ متى هِجْتَ مِنْ نجدِ ... لقد زادَني مَسْراكَ وَجْداً على وجدِ[١٣]

---

(١) ديوان الحماسة ٢/ ٦٢ - ٦٤٣.
(٢) يستفيق: يصحو. وانبرى: تعرض. والمراد بالصيف، منزل الصيف. والمربع: مكان الربيع.
(٣) أخادع: أشكك. والأطلال: آثار الديار الدارسة.
(٤) المراد بالوحش الأولى، النساء. والثانية، هي الوحش الحقيقية، أي أن ديار الحبيبة خلت من النسوة وأضحت مسكناً للوحوش.
(٥) ديوان الحماسة ٢/ ٨١ - ٨٢.
(٦) الحمول: الهوادج. وخميص الحشا: قليل اللحم. والعواتق: جمع عاتق، وهو محل الرداء من الكتف.
(٧) البوائق: جمع بائقة، وهي الداهية.
(٨) التبريح: الأذى. والغيظ: الغضب.
(٩) السرداق: الفسطاط يجتمع فيه القوم.
(١٠) الكمي: الشجاع. والبنائق: لبنات القميص.
(١١) الحيا: المطر. والشقائق: لمع البرق.
(١٢) ديوان الحماسة. ٢/ ١٠١ - ١٠٢.
(١٣) الصبا: ريح ناعمة تدعى القبول، تهب من القبلة. ومسراك: ذهابك ليلاً.

أأنْ هتفت وَرْقاءُ في رَوْنقِ الضُّحى ... على فَنَنٍ غضِّ النباتِ مِنَ الرَّنْدِ[١]
بكيْتَ كما يبكي الوليدُ ولم تكنْ ... جليداً وأبْدَيْتَ الذي لم تَكُنْ تُبْدِي[٢]
وقد زعموا أنَّ المُحِبَّ إذا دنا ... يعمَلُّ وأنّ النَّأيَ يُشفَ مِن الوجدِ
بِكُلِّ تداوِينا فلم يُشْفَ ما بِنا ... على ذاك قربُ الدّارِ خيرٌ منَ البُعْدِ
على أنَّ قربَ الدّارِ ليسَ بِنافعٍ ... إذا كانَ مَنْ تهواه ليسَ بِذي عهدِ

(لك اللّه إني واصل ما وصلتني)

ومن أرقّ الشعر، وأجزله عبارة، ما قاله ابن الدمينة، وفيه يعرّض بحب ابنة عمه:[٣]

ألا لا أرى وادي المياهِ يُثيبُ ... ولا النَّفْسَ عنْ وادي المياهِ تَطيبُ
أحقّاً عِبادَ اللّهِ أنْ لستُ وارداً ... ولا صادراً إلاّ عَلَيَّ رقيب
ولا زائراً فرداً ولا في جماعةٍ ... منَ النّاسِ إلاّ قيلَ أنتَ مُريب
وهل ريبةٌ في أنْ تحِنَّ نجيبةٌ ... إلى إلْفِها أو أنْ يحنّ نجيب
وإنَّ الكثيبَ الفردَ من جانبِ الحمى ... إليَّ وإنْ لم آتِهِ لَحَبيب
لكِ اللّهُ إنّي واصلٌ ما وصلتني ... ومُثْنٍ بما أوْلَيْتَنِي ومُثيب
فلا تتركي نفسي شَعاعاً فإنَّها ... منَ الْوَجْدِ قد كانتْ عليكِ تذوب
وإنّي لأَسْتَحْيِيكِ حتى كأنّما ... عليَّ بِظهرِ الغيْبِ منكِ رقيب

❖ **الصمّة بن عبدالله**

(بنفسي تلك الأرض ما أطيب الرّبى)

من أرق النسيب وأروعه، وأفخمه معنى، وأحسنه ديباجة وصياغة، ما قاله الصمة بن عبدالله بن طفيل.. بن كعب، الشاعر المقلّ، في العصر الأموي، وكان الصمة قد خطب ابنة عمه التي يحبّ، فأبى عمه أن يزوجها به إلا بعد أن يتحمل أبوه المهر، وهو كذا بعيراً، فمضى إلى الشام مغاضباً، وما فتِيء يذكر ابنة عمه، وكان اسمها ريّا، حتى هلك. يقول الصمّة[٤]:

حننتَ إلى ريّا ونفسُكَ باعدَتْ ... مزارَكَ مِن ريّا وشعباكُما معا[٥]
فما حَسَنٌ أنْ تأتيَ الأمرَ طائعاً ... وتجزعَ أنْ داعي الصّبابةِ أسمعا[٦]

---

(١) الورقاء: الحمامة. والرونق: الضياء. والرند: نوع من الطيب. والفنن: الغصن.
(٢) الجليد: القوي.
(٣) ديوان الحماسة ٢/ ١٣٨ - ١٤٠. ووادي المياه، اسم واد بالسماوة.
والنجيب: الفحل من الإبل، والنجيبة: أنثاه. والكثيب: التلّ من الرمل. وشعاعاً: متفرقاً.
(٤) ديوان الحماسة ٢/ ٦٠ - ٦١.
(٥) شعباكما: حيّاكما.
(٦) حزع: فرق وخاق وقنط. والصبابة: حرارة الوجد والعشق.

قِفا وَدِّعا نجداً ومَن حلَّ بالحمى ... وقلَّ لِنجدٍ عندنا أنْ يُودَّعا[١]
بنفسيَ تلكَ الأرضُ ما أطيبَ الرُّبى ... وما أحسنَ المصطافَ والمتربَّعا[٢]
وليستْ عشيّاتُ الحمى بِرواجعٍ ... عليكَ ولكنْ خلِّ عينيْكَ تدمعا
ولمَّا رأيتُ البِشْرَ أعرضَ دونَنا ... وحالتْ بناتُ الشّوقِ يحنِنَّ نُزَّعا[٣]
بكتْ عينيَ اليسرى فلمَّا زجرتُها ... عن الجهلِ بعدَ الحلم أسبلتا معا[٤]
تلفتُّ نحوَ الحيِّ حتى وجدتُني ... وجِعْتُ مِن الإصغاءِ لَيناً وأخدعا[٥]
وأذكرُ أيّامَ الحمى ثمّ أنثني ... على كبدي من خشيةٍ أن تَصَدَّعا[٦]

❖ ابن الرّقاع

(فقلت الفضل للمتقدم)

ومن جيد الغزل، وأرقّه، وألطفه معنى، وأحسنه مجرى كلام، قول عدي بن الرقاع العاملي، وكان معاصراً لجرير والفرزدق، في العصر الأموي، وفي الشعراء الإسلاميين في الطبقة السابعة منهم، وقد ذكر حمامة فقال:

ومِمَّا شجاني أنَّني كنتُ نائماً ... أُعلَّلُ مِن بردِ الكرى بالتّنسُّمِ
إلى أنْ بكتْ ورقاءُ في غصنِ أيكةٍ ... تردِّدُ مبكاها بحسنِ الترنّمِ
فلو قبل مبكاها بكيتُ صبابةً ... بسُعدى شفيتُ النّفسَ قبل التندّمِ
ولكنْ بكتْ قبلي فهاجَ لي البُكا ... بكاها فقلتُ الفضلُ للمتقدِّمِ[٧]

(وسنان أقصده النعاس)

ومن غزل ابن الرقاع العاملي، التقليدي المعبّر قوله متشوقاً لأم القاسم:

لولا الحياءُ وأنَّ رأسي قد عسا ... فيهِ المشيبُ لَزُرتُ أمَّ القاسمِ
وكأنّها بينَ النّساءِ أعارها ... عينيْهِ أحورُ مِن جآذرِ جاسمِ

---

(١) الحمى: الموضع الذي يكثر فيه الماء والكلأ، والذي يدافع عنه حماية له.
ونجد: معروفة، بين تهامة والعراق.
(٢) الربى: جمع ربوة، وهي ما ارتفع من الأرض. والمصطاف: مكان الاصطياف. والمتربع: مكان الإرتباع في الربيع.
(٣) البشر: اسم جبل بالجزيرة. وبنات الشوق: نوازع الحنين ومسبباته.
(٤) المراد بالجهل هنا، الجزع، وهو خلاف الحلم.
(٥) اللين: صفحة العنق. والأخدع: العرق في العنق. والإصغاء: التلفت.
(٦) أنثني: أي أقبض على كبدي مخافة تصدعها وتشققها، من شدة الشوق.
(٧) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٩٩. وشجاني: أحزنني. والكرى: النوم.
والورقاء: الحمامة. والصبابة: حرارة الحب. والأيكة: الشجرة المكتظّة الأغصان.

وسَنانُ أقصده النعاسُ فرنقتْ ... في عينهِ سِنَةٌ وليسَ بنائمِ[١]

❖ حميد بن ثور

(فلم أرى مثلي شاقه صوت مثلها)

ومن الغزل الرقيق الفائق الجودة، ما قاله الشاعر الجاهلي الإسلامي، حميد بن ثور. يقول حميد متغزلاً وقد سمع تلكم الحمامة، تغنّي على فرع غصنها، فهاج به الشوق والحب والحنين:

وما هاجَ هذا الشوقَ إلاّ حمامةٌ ... دعتْ ساقَ حُرٍّ تَرْحةً وترنُّما
إذا شئتَ غنَّتْني بأجزاعِ بيشةٍ ... أو النخلِ من تثليثَ أو بَيْلَمَلْما
عجبتُ لها أنّى يكونُ غناؤها ... فصيحاً ولم تفغرْ بمنطِقها فما
فلم أرَ مثلي شَاقَهُ صوتُ مثلِها ... ولا عربّياً شاقَه صوتُ أعجما[٢]

❖ أو حية النميري

(ولكن عهدي بالنضال قديم)

ومن أروع الغزل الخالص من التكلف، والبعيد من الاستعانة والتزيد، غزل الهيثم بن الربيع بن زرارة، من بني عامر بن صعصعة، وهو أحد شعراء الدولتين الأموية والعباسية وكان به لوثة كلوثة قيس بن معاذ، المعروف بالمجنون.

كان جيد الطبع، وكنيته أو حية، من بني نمير. يقول أبو حية من الغزل الجيد الرائع في حبيبته المسمّاة رميحاً:[٣]

رمتْني وسترُ اللّهِ بيني وبينَها ... عشيَّةِ أرآمِ الكناسِ رميمُ[٤]
ألا رُبَّ يومٍ لو رمتْني رميتُها
ولكنَّ عهدي بالنضالِ قديمُ
يرى الناسُ أني قد سلوتُ وإنني ... لَرميمُ أحناءِ الضلوعِ سقيمُ
رميمُ التي قالتْ لجاراتِ بيتِها ... ضمنتُ لكمْ أنْ لا يزالُ يهيمُ[٥]

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٨٦، وعسا: ظهر. والأحور: من في عينه حور، وهو شدّة بياض العين وسوادها. وجآذر: وهو نوع من الظباء. وجاسم اسم بلدة بحوران. والوسنان: الآخذ في النعاس. والسنة: أول النوم. ورنقت: تهيأت.

(٢) الكامل في اللغة ٢/ ٩٨. والترحة: المرة من الحزن. والأجزاع: جمع جزع، وهو منعطف الوادي ومنقطعه. وبيشة، وتثليث ويلملما: أسماء مواضع بعينها. وتفغر: تفتح. والأعجم: غير العربي.

(٣) الكامل في اللغة والأدب ١/ ١٩.

(٤) وفي رواية عبدالله بن شيب، الشطر الثاني كالتالي: عشية أحجار الكناس رميم. والكناس: الموضع الذي تأوي إليه الظباء. أما الستر، الوارد في البيت، فقيل إنّه الإسلام؛ وقيل: هو الشيب. وقيل: ما حرّم الله عليها.

(٥) وفي زهر الآداب ١/ ٢١٩. نجد البيت التالي:
فيا عجباً من قاتلي أوده ... أشاط دمي شخص عليّ كريم

(وكيف يعاف الرنق من كان صادياً)

وقال أبو حية أيضاً، وكان ابن مناذر قد سمعه فقال: أو شعر هذا؟ فقال أبو حية: ما في شعري عيب غير أنَّك تسمعه. وهو من جيد الغزل وأرقّه:

ألا حَيِّ مِن أجلِ الحبيبِ المغانيا ... لبسْنَ البِلى ممّا لبسنَ الليساليا
إذا ما تقاضى المرءَ يومٌ وليلةٌ ... تقاضاه شيءٌ لا يملّ التقاضيا
حنتكَ الليالي بعدما كنتَ مرّةً ... سويَّ العصا لو كُنَّ يُبْقِينَ باقيا
ولما أبتْ إلاّ ارتواءً بودِّها ... وتكديرِها الشَّربَ الذي كان صافيا
شربتُ برنْقٍ مِن هواها مكدّرٍ ... وكيف يعافُ الرّنقَ مَن كانَ صاديا[1]

(قالت له نعم)

ومن جيد غزل أبي حية قوله[2]:

رَمتْنِي فتاةٌ مِن ربيعة عامرٍ ... نؤومُ الضُّحى في مأتمٍ أيِّ مأتمِ
فقلْن لها في السِرِّ نفديكِ لا يَرُخْ ... صحيحاً وإلاّ تقتليهِ فألممي[3]
فألقتْ قناعاً دونه الشمسُ واتَّقتْ ... بأحسنِ موصولينِ كفٌّ ومعصمِ[4]
وقالتْ فلمّات أفرغتْ في فؤادهِ ... وعينيْه منها السحرَ قالتْ له نَمِ
فأصبحَ لا يدري أفي طلعةِ الضّحى ... تروّحَ أم داجٍ مِنَ اللّيلِ مظلمِ

(أف لأهل النمائم)

ومن رائع شعر أبي حية في الغزل قوله[5]:

وخبّركِ الواشونَ أنْ لنْ أُحبَّكم ... بلى وستورِ اللّهِ ذاتِ المحارمِ
أصدُّ وما الصَّدُّ الذي تعلمينَهُ ... شفاء لنا إلاّ اجتراعَ العلاقمِ[6]
حياءً وبُقيا أنْ تشيعَ نميمةٌ ... بِنا وبكمْ أفٌّ لأهلِ النمائمِ[7]
وإنَّ دماً لو تعلمينَ جنيته ... على الحيِّ جاني قبلَه غيرُ سالمِ

---

(١) زهر الآداب ١/ ٢٢٣. والرنق: الكدر. والمغاني: الديار الفاتنة. وصادياً: عطشان.
(٢) زهر الآداب ١/ ٢١٨.
(٣) ألمي: لا تتعمقي به كثيراً.
(٤) هذا المعنى مأخوذ من النابغة الذبياني حيث يقول:
قامت تراءى بين سجفي كلّة ... كالشمس يوم طلوعها بالأسعد
(٥) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٤٤ - ٤٥.
(٦) اجتراع: شرب. والعلاقم: جمع علقم، وهو نبت مرّ. والصّدّ: الإعراض.
(٧) تشيع: تتفشى. والنميمة: الكذب، والسعي بين المتحابّين.

أمـا إنّـه لـو كـانَ غـيـرُكِ أرقـلـتْ ... إليـهِ القـنـا بـالـرّاعـفـات الـلّـهـاذم[١]
ولـكـنْ لَـعَـمْـرِ الـلّـهِ مـا طـلّ مـسـلـماً ... كـغـرّ الـثـنـايـا واضـحـاتِ الـمـلاغـم[٢]
إذا هُـنّ سـاقـطْـنَ الـحـديـثَ كـأنّـهُ ... سِقاطُ حصى المرجانِ مِن سلكِ ناظم
رمـيْـنَ فـأقـصـدْنَ الـقـلـوبَ فـلـم نـجـدْ ... دمـاً مـائـراً إلاّ جـوىً فـي الـحـيـازم

❖ أبو الشيّص

(وقف الهوى بي حيث أنت)

ومن الغزل الجيد، المتميز بسلاسته، وجدّته، وسهولته، وعذوبته، ما قاله أبو الشيّص الخزاعي، واسمه محمد بن رزين، من شعراء الدولتين الأموية والعباسية، وكان من أوصف الناس للشراب، وأمدحهم للملوك. يقول أبو الشيّص:

وقفَ الـهـوى بـي حـيـثُ أنـتِ فـلـيسَ لـي ... مـتـأخَّـرٌ عـنـهُ ولا مُـتـقـدَّمُ
أجـدُ الـمـلامَـة فـي هـواكِ لـذيـذةً ... حُـبّـاً لـذكـركِ فَـلـيَـلُـمْـنِـي الـلُّـوّمُ
أشـبـهْـتِ أعـدائـي فـصـرتُ أحِـبُّـهـم ... إذْ كـانَ حـظّـي مـنـكِ حـظّـيَ مَـنـهُـم
وأهـنْـتِـنِـي فـأهـنْـتُ نـفـسـي صـاغـراً ... مـا مَـنْ يـهـونُ عـلـيْـكِ مِـمَّـنْ أُكـرمُ[٣]

❖ عمرو بن الأيهم

(وهي التي فعلت به أفعالها)

ومن الغزل الرشيق العذب البالغ شأواً في الجودة، ما قاله عمرو بن الأيهم، وهو من الشعراء المقلّين:

أَلْـمِـمْ عـلـى دِمَـنٍ تـقـادَمَ عـهـدُهـا ... بـالـجِـزْعِ واسْـتَـلَـبَ الـزمـانُ جـمـالَـهـا
رسـمٌ لِـقـاتـلـةِ الـغـرانِـقِ مـا بـهِ ... إلاّ الـوحـوشُ خَـلَـتْ لـهُ وخـلا لَـهـا
ظـلّـتْ تُـسـائِـلُ بـالْـمـتـيَّـمِ أهـلَـهُ ... وهْـي الـتـي فـعـلَـتْ بـهِ أفـعـالَـهـا[٤]

❖ عمرو بن ضبيعة

(فقد تجري الأمور على قدر)

ومن أرق الغزل وجيده قول عمرو بن ضبيعة الرقاشي، في من يحب، وهي المنسوبة إلى بني مالك:

تَـضـيـقُ جـفـونُ الـعـيْـنِ عـنْ عَـبَـراتِـهـا ... فـتـسـفـحُـهـا بـعـدَ الـتـجـلُّـدِ والـصَّـبْـر

---

(١) أرقلت: أسرعت. واللهاذم: جمع لهذم، وهو كل شيء قاطع كالسيف والرمح.
(٢) طلّ دم فلان: إذا ذهب هدراً ولم يأخذ بثأره. والغرّ: البيض. والملاغم: من لغّم فمه بالطيب، إذا طيّبه به. والواضحات: المشرقات.
(٣) ديوان الحماسة ٢/ ١٤٣ - ١٤٤. وصاغراً: خاضعاً متذلّلا.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ١٤٩. والغرانق: بفتح الغين. جمع غرانق، بضمّها، وهو الشّاب الناعم.

وغَـصّـةِ صـدرٍ أظـهـرتْـهـا فـرقّـهَـتْ حـزازةَ حـرٍّ فـي الـجـوانـحِ والـصّـدر
ألا لِـيـقُـلْ مَـنْ شـاءَ مـا شَـاءَ إنّـمـا يُـلامُ الـفتى في مـا اسْتطاعَ من الأثر
قـضـى الـلّـهُ حُـبَّ الـمـالـكـيّـةِ فـاضْـطَـبِـرْ عليهِ فقد تجري الأمورُ على قَدْرِ[1]

❖ الحسين بن مطير (ت ١٦٩ هـ/ ٧٨٥ م)

(فواكبدا من لوعة البين)

ومن جيد النسيب، وأرقه، ما قاله الحسين بن مطير، الشاعر المولّد العباسي، وكان قوي أسر الكلام، جزل اللفظ، شديد العارضة. يقول الحسين متغزلا:

قـضـى الـلّـهُ يـا أسـمـاءُ أنْ لـسـتُ بـارحـاً أُحبُّكِ حتى يغمضَ العينَ مغمضُ
فـحـبُّـكِ بـلـوى غـيـرَ أنْ لا يـسـوءُنـي وإنْ كـان بـلـوى أنّـنـي لـكِ مـبـغـض
فـواكـبـداً مِـن لـوعـةِ الـبـيْـنِ كـلّـمـا ذكرت ومِن رفضِ الهوى حينَ يرفض
ومِـن عـبـرةٍ تَـذرِي الـدّمـوعَ وزَفـرةٍ تُـقـضـقـضُ أطرافَ الحشا ثُمَّ تنهض
فـيـا لـيـتـنـي أقـرضـتُ جـلْـداً صـبـابـتـي وأقرضني صبراً على الشّوقِ مقرض
إذا أنـا رُضْـتُ الـقـلـبَ فـي حـبِّ غـيـرِهـا بـدا حـبُّـهـا مِـن دونـه يـتـعـرَّض[2]

(وقد كنت أرجو أن تموت صبابتي)

ومن بديع نسيب ابن مطير، أيضاً، قوله:

لـقـد كـنـتُ جَـلْـداً قـبـلَ أنْ تُـوقـدَ الـنّـوى عـلـى كـبـدِي جـمـراً بـطـيـئـاً خُـمـودُهـا
وقـد كـنـتُ أرجـو أنْ تـمـوتَ صـبـابـتـي إذا قـدمَـتْ أيّـامُـهـا وعـهـودُهـا
فـقـد جـعـلَـتْ فـي حَـبَّـةِ الـقـلـبِ والـحـشـا عِـهـادَ الـهـوى تُـولـى بِـشـوقٍ يُـعـيـدهـا
بِـسـودٍ نـواصـيـهـا وحُـمْـرٍ أكُـفُّـهـا وصُـفْـرٍ تـراقـيـهـا وبـيـضٍ خـدودُهـا
مـخـصّـرةُ الأوسـاطِ زانـتْ عـقـودَهـا بـأحـسـنَ مـمّـا زَيَّـنَـتْـهـا عـقـودُهـا
يُـمَـنّـيـنَـنـا حَـتّـى تـرِفَّ قـلُـوبُـنـا رفيفَ الخُزامى باتَ طَلٌّ يجودُها[3]

(خليليّ ما بالعيش عتب)

ومن بديع غزله أيضاً، ويظن أنّه تابع لما قبله، قول الحسين:

وكـنـتُ أذودُ الـعـيْـنَ أنْ تـرِدَ الـبُـكـا فـقـد وردتْ مـا كـنـتُ عـنـهُ أذودُهـا

---

(١) ديوان الحماسة ٢/ ١٦١ - ١٦٢. والجوانح: الضلوع. والحزازة: وجع يصيب القلب.
(٢) زهر الآداب ٢/ ٩٨٠. أسماء: حبيبة الشاعر. والبين: الفراق. والعبرة: الدمعة، ويكني بها عن العين. وتقضقض: تكسر وتدقّ. وجلداً: صابراً ثابتاً. والصبابة: الشوق، والحرارة. ورضت: روّضت، وعوّدت.
(٣) ديوان الحماسة ٢/ ٦٥ - ٦٦. والجلد: القوي. والنوى: الرحيل. وحبه القلب: سويداؤه. والعهاد، جمع عهدة، وهي أول المطر. والنواصي: جمع ناصية، وهي مقدم شعر الرأس. والمخصرة: الدقيقة الخصر. والطل: الندى. والخزامى: من الأزهار.

خليليَّ ما بالعيشِ عَتْبٌ لَوَ أنَّنا ... وجَدْنَا لأيّام الحِمى مَنْ يُعِيدُها
ولي نظرةٌ بعدَ الصُّدودِ مِنَ الجوى ... كَنظرةِ ثكْلَى قد أُصيبَ وليدُها
هل اللّهُ عافٍ عن ذنوبٍ تسلَّفَتْ ... أمِ اللّهُ إنْ لمْ يَعْفُ عنها يُعيدُها[1]

❖ ذو الرّمّة (ت ٢٢٧ هـ)

(وميّة أبهى بعد منها وأملح)

ومن شعراء الغزل المعدودين في العصر الأموي ذو الرّمّة، وهو لقب له، واسمه غيلان بن عقبة، عرف بحبه لميّة التي قال فيها أجمل أشعار النسيب. ومن هذا الشعر الغزلي الجيد قوله:[2]

ألمْ تعلمي يا ميّ أنّا وبينَنا ... مهاً ولِطرف العين فيهنَّ مَطرحُ[3]
ذكرتُكِ أنْ مرّت بنا أمُّ شادنٍ ... أمامَ المطايا تشرئبُّ وتسنحُ[4]
مِن المؤلفاتِ الرّملَ أدماءُ حرّةٌ ... شعاعُ الضّحى في لونِها يَتَوضّحُ[5]
هي الشّبْهُ أعطافاً وجيداً ومقلةً ... وميّةُ أبهى بعدُ منها وأملحُ[6]
كأنَّ البُرى والعاجَ هِيجتْ متونُه ... على عُشَرٍ نهيٍ به السّيلُ أبطحُ[7]
لئِنْ كانتِ الدّنيا عليَّ كما أرى ... تباريحَ مِن ذكراكِ للموتُ أروحُ[8]

(أحب المكان القفر)

ومن جيد غزل ذي الرمّة وأحسنه قوله:

أحبُّ المكانَ القفرَ مِن أجلِ أنّني ... بهِ أتغنّى باسْمِها غيرَ معجمِ[9]

(ولا زال في أرضي عدو أحاربه)

ومن جيد غزل ذي الرّمّة، وأرقه، وأعذبه، قوله في ميّة، وفيه من الشوق والصبابة والعزاء، الكثير:

نظرتُ إلى أظعانِ مَيٍّ كأنّها ... ذُرى النّخلِ أو أثلٌ تميدُ ذوائبُهُ

---

(١) ديوان الحماسة ٢/ ١٣٦ - ١٣٧. وتسلفت: تقدمت. والجوى: داء الحب. والثكلى: من فقدت وليدها. وأذوذ: أمنع. ومعنى ذلك أنه كان يمنع العين من البكاء لكن البكاء غلبها فوردت المورد الذي كان يدفعها عنه.
(٢) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ١٤.
(٣) مطرح: سعة.
(٤) الشادن: الذي شدن من الظباء، أي تحرك. والمطايا: الركائب. وتشرئب: تنظر كالمتحيرة. وتسنح: تظهر.
(٥) أدماء: فيها أدمة، وهي السواد.
(٦) أعطافاً: جمع عطف، وهو الجانب والورك. والجيد: العنق. والمقلة: العين.
(٧) البرى: الخلاخيل. واحدتها بُرة، وهي من الناقة، التي تقع في مارن الأنف. والعشر: شجر بعينه. والأبطح: ما انبطح من الوادي.
(٨) التباريح: الشدائد. وأروح: أكثر راحة.
(٩) الكامل في اللغة ١/ ١٧٣.

فأشعلتِ النيرانُ والصدرُ كاتمٌ ... بمَغرَورِقٍ تمَّتْ عليهِ سواكبُه
بكى وامِقٌ جاءَ الفراق ولم تَجُلْ ... جوائلُها أسرارُه ومعاتبُهْ
إذا سرحتْ من حبِّ ميّ سوارحٌ ... على القلبِ آبته جميعاً عوازبُه
وقد حلفت باللَّهِ مَيَّةُ ما الّذِي ... أقولُ لها إلاَّ الذي أنا كاذبه
إذاً فرماني اللَّهُ مِن حيثُ لا أرى ... ولا زالَ في أرضي عدوٌّ أحاربه
إذا نازعتْكَ القولَ مَيَّةُ أوْ بدا ... لكَ الوجهُ منها أو نضا الدِّرعَ سالبُهْ
فيا لكَ مِن خدٍّ أسيلٍ ومنطقٍ ... رخيمٍ ومن خَلْقٍ يُعَلَّلُ جاذبُه[1]

(١) المحاسن والأضداد ص: ١٩٥ - ١٩٦. والأسيل: الناعم. ونضا: نزع. وسرحت: خرجت بالغداة. وعوازبه: أباعده. والوامق: المحب. والأثل: نوع من الشجر. وذوائبه: رؤوس أغصانه. وتميد: تتحرك. والأظعان: الرواحل.

الباب الثاني

في التشبيب

❖ كعب بن زهير (ت ٢٦ هـ)

(بانت سعاد)

ومن أروع الغزل التقليدي الذي افتتح به كعب بن زهير، الشاعر الجاهلي الإسلامي المعروف، قصيدته المدحية في النبي ﷺ أبياته الذائعة الصيت التالية، وهي في غاية الجودة والرقة:

بانتْ سعادُ فقلْبي اليومَ متبولُ ... مُتيَّمٌ إثرَها لم يُفْدَ مكبولَ
وما سعادُ غداةَ البينِ إذْ رحلوا ... إلاَّ أغنُّ غضيضُ الطَّرفِ مكحول
هيفاءُ مقبلةً عجزاءُ مدبرةً ... لا يُشْتكَى قِصَرٌ منها ولا طول
ما أنْ تدومُ على حالٍ تكونُ بها ... كما تَلوَّنُ في أثوابِها الغُول
ولا تمسَّكُ بالوعدِ الذي وعدتْ ... إلاَّ كما يُمسكُ الماءَ الغرابيل
كانتْ مواعيدُ عرقوبٍ لها مثلاً ... وما مواعيدُها إلاَّ الأباطيل
ولا يغرَّنْكَ ما منَّتْ وما وعدَتْ ... إنَّ الأمانيَّ والأحلامَ تضليل[1]

❖ ابن أذينة

(بيضاء باكرها النعيم)

ومن أعذب الغزل وألطفه، وهو لا يخلو من جدة وابتكار وتفنن، ما قاله عروة بن أذينة، وهذا لقب له، واسمه يحيى بن مالك، من بني ليث بن بكر بن عبد مناة، الشاعر الإسلامي، والفقيه والمحدث. يقول ابنت أذينة[2]:

إنَّ التي زعمَتْ فؤادَكَ مَلَّها ... خُلِقَتْ هواكَ كما خُلِقْتَ هوىً لَها
بيضاءُ باكرَها النَّعيمُ فصاغَها ... بِلباقةٍ فأدقَّها وأجَلَّها[3]
حَجَبَتْ تحيَّتَها فقُلْتُ لصاحبي ... ما كانَ أكثرَها لنا وأقلَّها[4]
وإذا وجدْتُ لها وساوسَ سَلْوةٍ ... شفعَ الضميرُ إلى الفؤادِ فسَلَّها[5]

(إذا دعى دعوة داعي الهوى سمعا)

ومن جيد شعر ابن أذينة، قوله متغزلاً:

إلْفانِ تَعْنِيهما لِلْبينِ فرقتُهُ ... ولا يملاَّنِ طولَ الدَّهرِ ما اجْتمعا
مستقبلانِ نَشاصاً مِن شبابِهما ... إذا دعى دعوةً داعي الهوى سمعا

---

(١) العقد الفريد ٣/ ١٠٥.
(٢) ديوان الحماسة ٢/ ٦٩.
(٣) باكرها: سبق إليها. واللباقة: الحذق. وأدقها: أتى بها دقيقة. وأجلها: أتى بها جليلة.
(٤) ما أكثرها لما كانت مواصلة بالعطف والميل. وما أقلها، الآن وقد زهدت فينا.
(٥) سلّها: أي سلاها ونسيها.

لا يُعجبانِ بقولِ النّاسِ عن عُرُضٍ ويُعجبانِ بما قالا وما صنعا[١]

(قد كنت عندي تحت الستر فاستتر)

ومن أرق غزل ابن أذينة قوله:

قالتْ وأبْثثتُها وَجْدِي وبُحْتُ بهِ قد كنتَ عنديَ تحتَ السِّتْرِ فاستترِ
أأنتَ تُبصرُ من حولي فقلتُ لها غَطَّى هواكِ وما ألْقَى على بصَري[٢]

(فمن لنار على الأحشاء تتقد)

ووقفت عليه امرأة فقالت له: أنت الذي يقال فيك الرجل الصالح، وأنت القائل:

إذا وجدْتُ أوارَ الحُبِّ في كبِدي غدوْتُ نحو سقاءِ الماءِ أبْتَرِدُ
هذا بردتْ ببردِ الماءِ ظاهرُه فَمَنْ لِنارٍ على الأحشاءِ تَتَّقِدُ[٣]

❖ **راشد السلمي**

(فألقت عصاها واستقر بها النوى)

ومن الغزل الجيد المتضمن أروع ما جاشت به نفوس المحبين من العواطف والمشاعر والأحاسيس ما قاله راشد بن عبيدالله السلمي، الشاعر الذي أدرك الإسلام، وكان النبي ﷺ قد وجهه أميراً على القضاء والمظالم، على نجران، فاشتد به الشوق والحنين إلى من يحب، فقال هذه الأبيات:

صحا القلبُ عن سلمى وأقصرَ شأوُهُ وردَّتْ عليه ما بغتْه تُماضرُ
وحكَّمه شيبُ القذالِ عن الصِّبا ولِلشَّيْبِ عن بعضِ الغوايةِ زاجر
فأقصرَ جهلي اليومَ وارتدَّ باطِلي عن اللّهو لمّا ابْيضَّ منّي العذائر
على أنّه قد هاجَه بعدَ صحوةٍ بمعرضِ ذي الآجامِ عِيسٌ بواكر
ولمّا دنتْ من جانبِ الفرضِ أخصبتْ وحلّتْ ولاقاها سليمٌ وعامر
وخبَّرها الرّكبانُ أنْ ليسَ بينَها وبينَ قُرى بُصرى ونجرانَ كافر
فألْقَتْ عصاها واستقرَّ بها النَّوى كما قرَّ عيناً بالإيابِ المسافر[٤]

---

(١) ديوان الحماسة ٢/ ٩٩. والنشاص: السحاب المرتفع. والعرض: الناحية. والبين: الفراق.
(٢) العقد الفريد ٣/ ١٠٦.
(٣) المصدر نفسه ٣/ ١٠٦.
(٤) العقد الفريد ٣/ ١٠٤ - ١٠٥. وتماضر: اسم المرأة. والقذال: جماع مؤخر الرأس فوق القفى. والغدائر: جمع غديرة. وهي ذؤابة الشعر والآجام، جمع أجمة، وهي الشجر الملتف. والعيس: الإبل. وسليم وعامر: قبيلتان. والكافر: الليل.

❖ امرؤ القيس

(أفاطم مهلاً بعض هذا التدلّل)

ومن أرقّ ما قاله امرؤ القيس، الشاعر الجاهلي، وأحد أصحاب المعلقات، المعروفين، ومن أبدعه وأطرفه، قوله مخاطباً فاطمة، وقيل إنّه إسم عنيزة الحقيقي:

أفاطمَ مَهْلاً بعضَ هذا التّدلُّلِ ... وإنْ كنْتِ قد أزمعْتِ صَرْمِي فأجْمِلِي
وإنْ تكُ قد ساءَتْكِ مني خليقةٌ ... فَسُلّي ثيابي من ثيابِكِ تَنْسُلِ
أغَرَّكِ مني أنَّ حبَّكِ قاتِلي ... وأنَّكِ مهما تأمرِي القلبَ يفعلِ
وما ذرَفَتْ عيناكِ إلاّ لِتضْرُبِي ... بِسَهْمَيْكِ في أعشارِ قلبٍ مُقَتَّلِ[1]

❖ بعض بني أسد

(وما كل في النفس لك مظهر)

ومن الغزل الرائق الجيد، ما قاله بعض بني أسد، وهو في الذروة من الفصاحة والجزالة والسلاسة. يقول هذا الأسدي[2]:

تبغتُ الهوى يا طَيْبَ حتّى كأنّني ... مِن اجْلِكِ ضروسُ الجريرِ قؤودُ[3]
تعجرفَ دهراً ثم طاوعَ أهلَهُ ... فصرَّفَه الرُّوَّادُ حيثُ تريدُ[4]
وإنَّ ذِيادَ الحبِّ عنكِ وقد بدتْ ... لِعينِي آياتُ الهوى لَشَديدُ[5]
وما كلُّ ما في النفسِ لِي منكِ مُظهَرٌ ... ولا كلُّ ما لا نستطيعُ نذود
وإنّي لأرجو الوصلَ منكِ كما رجا ... صدي الجوفِ مرتاداً كُداه صَلَودُ[6]
وكيفَ طِلابِي وصلَ من لو سألتُه ... قذى العينِ لم يطلبْ وذاك زهيد
ومنَ لو رأى نفسي تسيلُ لقال لي ... أراكَ صحيحاً والفؤادُ جليد
فيا أيُّها الرِّيمُ المُحَلَّى لبانُه ... بكرميْنِ كَرْمَيْ فضّةٍ وفريدُ[7]
أجدّيَ لا أمشي برمّان خالياً ... وغَضْوَرَ إلاّ قِيلَ أينَ تريدُ[8]

---

(١) المعلقات العشر ص: ٢٩ وفاطم، ترخيم فاطمة، والصرم: الهجر والقطع. والخليقة: الطبيعة. والثياب، هنا. كناية عن القلب. وذرفت: دمعت. والأعشار القطع.

(٢) ديوان الحماسة ٢/ ١٦٤ - ١٦٦.

(٣) طيب، ترخيم طيبة، حبيبة الشاعر، والمضروس، الذي به ضرس وعضّ. والجرير: الحبل. وقؤود: مقود.

(٤) تعجرف: أقدم في هوج. والرواد: جمع رائد، وهو الذي يرتاد لأهله الماء والكلأ.

(٥) الذياد: الدفاع. وآيات الهوى: علاماته.

(٦) الصدي: الظمآن. ومرتاداً: طالباً. والكدي: جمع كدية، وهي العقبة. والصلود: الصلد اليابس.

(٧) الريم: الظبي الخالص البياض. واللبان: الصدر. والكرْم: القلادة. والفريد: الدرّ.

(٨) غضور: اسم ماء لطيّ. ورمان: اسم جبل في بلاد طيء. والجد: الحظ.

❖ الشماخ بن ضرار

(هضيم الحشا لا يملأ الكفّ خصرها)[١]

ومن الغزل الذي يعتمد الوصف، ويفتنّ صاحبه فيه بإبراز مفاتن الحبيبة، قول الشماخ بن ضرار، الذبياني، أحد أبرز شعراء الجاهلية والإسلام:

كنانيّةٌ إنْ لم أنلْها فإنّها ... على النأيِ مِن أهلِ الدلالِ المولّجِ[٢]
وسيطةُ قومٍ صالحينَ يكنُّها ... مِن الحرّ في دارِ النوى ظلُّ هَوْدجِ[٣]
منعّمة لم تلقَ بؤسَ معيشةٍ ... ولم تغتزل يوماً على عودِ عَوْسجِ[٤]
هضيمُ الحشا لا يملأُ الكفّ خصرَها ... ويملأ منها كلُّ حِجلٍ ودِمْلجِ[٥]
تميحُ بِمواكِ الأراكِ بنانَها ... رضابَ الندى عن أقحوانٍ مفلّجِ[٦]
وإنْ مرَّ مَن تخشى اتّقَتْه بمعصمٍ ... وسبٍّ بنضجِ الزعفرانِ مضرّجِ
وكادت غداةَ البينِ ينطقُ طرفُها ... بما تحتَ مكنونٍ من الصّدرِ مشرجِ
وتشكو بعينٍ ما أكلّتْ ركابها ... وقِيلَ المنادي: أصبحَ القومُ أدلجي

❖ ورد الجعدي

(ولكنّنا جرنا لنلقاكما عمدا)

وثمة أبيات ثلاثة، سأل عنها المأمون المغنّين يوماً، وهي من جيد الغزل، قالها ورد الجعدي، الشاعر الجاهلي الذي قتل شراحيل بن الأصهب الجعفي، وهي التالية:

تخيّرتُ مِن نَعمانَ عودَ أراكةٍ ... لِهندٍ فمنْ هذا يبلّغُه هِندا
خليليَّ عُوجا بارَكَ اللّهُ فيكُما ... وإنْ لم تكنْ هندٌ لأرضِكما قَصْدا
وقولا لها ليسَ الضّلالُ أجارَنا ... ولكنّنا جُرْنا لِنَلْقاكُم عَمْدا[٧]

❖ بعضهم

(تولّت وماء العين في الجفن حائر)

ومن أرق الغزل وجيده البيتان التاليان قالهما أحد العشاق:

ومِمّا شجاني أنّها يومَ أعرضَتْ ... تولّتْ وماءُ العينِ في الجفنِ حائرُ

---

(١) ديوان الشماخ بن ضرار ص: ٧٤ - ٧٧. تحقيق صلاح الدين الهادي. دار المعارف بمصر.
(٢) كنانية، منسوبة إلى كنانة، القبيلة المعروفة.
(٣) الهودج: مركب النساء. يكنّها: يظللها.
(٤) تغتزل: تعمل بالغزل، أي هي غنية منعمة.
(٥) هضيم الحشا: دقيقة الخصر. والحجل والدملج: من حلي النساء.
(٦) تميح: تنحى. والأراك، شجر تتخذ منه المساويك. وهو من جيد النبت والشجر. والرضاب: الريق. والأقحوان المفلج: كناية عن الأسنان المتباعدة والشديدة الإبيضاض.
(٧) ديوان الحماسة ٢/ ١٢٣، وعوجا: انزلا. وجرنا: عدلنا.

فلمّا أعادتْ مِن بعيدٍ بِنظرةٍ إليَّ الْتفاتاً أسْلَمَتْهُ المحاجرُ[١]

❖ بعضهم

(وكنت إذا أرسلت طرفك)

ولا يقل عن الأول روعةً وأداء، غزل بعضهم الآخر، وهو التالي:

وكنتَ إذا أرسلتَ طرفَكَ رائداً لِقلبِكَ يوماً أتعبتْكَ المناظرُ
رأيتَ الذي لا كلّهُ أنتَ قادرٌ عليهِ ولا عَنْ بعضِهِ أنتَ صابر[٢]

❖ جارية جعفر البرمكي

(وأقررت قبل الموت أنك قاتلي)

ولجارية جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي، وزير الرشيد بيتان من الشعر الغزلي المبتكر، وينمّان عن لطف في المعنى، ورشاقة في التعبير، وهما:

عزمْتُ على قلبي بأنْ أكتُمَ الْهوى فَضَجَّ ونادى إنَّني غيرُ عاقل
فإنْ حانَ موتي لم أدَعْكَ بِغُصَّتِي وأقررْتُ قبلَ الموتِ أنَّكَ قاتلي[٣]

❖ أعرابي

(وتجزع من بعدي وتنفر من قربي)

ومن جيد الغزل، وأقربه تناولاً، ما قاله بعض الأعراب، وهو يعرب بأسلوب محدث، عن حبه، وشده وجده. يقول هذا الأعرابي:

شكوْتُ فقالتْ كلّ هذا تبرّماً بحبّي أراحَ اللّهُ قلبَكَ مِن حبّي
فلمّا كتمتُ الحبَّ قالتْ لَشَدَّ ما صبرْتَ وما هذا بفعلِ شجي القلبِ
وأدنو فتعصيني فأبعدُ طالباً رِضاها فتعتدُّ التباعدَ مِن ذنبي
فشكوايَ تُؤْذيها وصبري يَسوؤها وتجزعُ مِن بُعدي وتنفرُ من قُربي
فيا قومُ هل مِن حيلةٍ تعرفونَها أشيروا بِها واسْتوجبوا الشّكر مِن ربّي[٤]

❖ بعضهم

(مشوق ضمّة كلف مشوق)

وقريب من الأول، وهو من الغزل المتفنن فيه، وهو لا يخلو من مسحه حضرية محدثة، قول بعض العرب المحدثين:

---

(١) ديوان الحماسة ٢/ ٧١ - ٧٢.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٧٠.
(٣) المحاسن والأضداد، ص: ١١٦.
(٤) الكامل في اللغة والأدب ١/ ١٦٧.

تلاصقْنا وليسَ بنا فسوقٌ ... ولم يُردِ الحرامَ بنا اللّصوقُ
ولكنَّ التباعدَ طالَ حتى ... توقَّد في الضُّلوعِ له حريق
فلمَّا أن أتيحَ لنا التّلاقي ... تعانقْنا كما اعْتَنَقَ الصّديق
وهل حَرَجاً تراهُ أو حراماً ... مشوقٌ ضمَّهُ كلِفٌ مشوقُ[1]

❖ بعضهم

(فلم يلقها قبلي محبّ ولا بعدي)

ومن ألطف الغزل، ونادره ما قاله بعضهم معرباً عن لذة الحب:

تَشكّى المحبُّونَ الصّبابَة ليتني ... تحمَّلْتُ ما يلقونَ مِن بينِهم وحْدي
فكانتْ لِنفسي لذّةُ الحبِّ كلُّها ... فلم يَلْقَها قبلي مُحِبٌّ ولا بَعْدِي[2]

❖ أو دهبل

(قبّة من مراجل ضربتها)

ومن الغزل الرائع، والسلس القياد، وهو لا يخلو من نزعة مادية مستحسنة ما قاله أبو دهبل الجمحي، واسمه وهب بن زمعة من بني جمح، وقيل هو لعبد الرحمٰن بن ثابت الأنصاري. قالوا إن أبا دهبل كان تقياً ورعاً، وفي غاية الحسن. ولما قفل من إحدى الغزوات مرّ بدمشق فدعته امرأة إلى أن يقرأ لها كتاباً قائلة إن صاحبته في هذا القصر، وهي تحب أن تسمع ما فيه. فلما دخلت به إلى القصر برزت له امرأة في غاية الجمال فراودته عن نفسه، فأبى واستعصم قائلاً: أما الحرام فلا سبيل إليه. قالت: فلست تراد حراماً. ثم تزوجته وأقام عندها دهراً، فقال بهذه المناسبة متغزلاً:

صاحِ حيّا الإلٰهُ أهلاً ودارا ... عندَ أهلِ الفتاةِ مِنْ جَيْرونِ
عن يساري إذا دخلتُ مِنَ البابِ ... وإنْ كنتُ خارجاً فيميني
فبتلك ارتُهِنْتُ بالشّام حتى ... ظَنَّ أهلي مرجّماتِ الظّنونِ
وهي زهراءُ مثلُ لؤلؤةِ الغوّا ... صِ مِيزتْ مِن جوهرٍ مكنون
وإذا ما نسبتها لم تجدْها ... في سناءٍ من المكارمِ دُونِ
ثمّ خاصرتُها إلى القبّةِ الخضراءِ ... تمشي في مَرْمَرٍ مسنون
تجعلُ المسكَ والْيَلَنجوجَ والنّدَّ ... صِلاءً لها على الكانونِ
قبّةٌ مِن مراجلٍ ضربتْها ... عندَ بردِ الشّتاءِ في قيطونِ[3]

---

(١) المصدر نفسه ١/ ١٧١. والكلف: المولع بالشيء.
(٢) ديوان الحماسة ٢/ ٨٥.
(٣) الكامل في اللغة والأدب ١/ ١٧٤. وزهراء: بيضاء. ومكنون: مخبوء. والسناء: الرفعة. والمسنون: المصبوب على استواء. والمراجل من الثياب. اليمن. وقيطون: البيت في جوف البيت. وجيرون: الشام.

(إذا وليت حكماً عليّ تجور)

ومن جيد غزل أبي دهبل، ويتميز بالسهولة والرقة والجزالة، قوله:

أأتركُ ليلى ليسَ بيني وبينَها ... سوى ليلةٍ إنّي إذاً لَصَبورُ
هبوني امْرءاً منكمْ أضلَّ بعيرَهُ ... له ذِمَّةٌ إنَّ الذِّمامَ كبيرُ
وللصَّاحبُ المتروكُ أعظمُ حُرمةً ... على صاحبٍ مِنْ أنَ يَضِلَّ بعيرُ
عفا اللَّهُ عن ليلى الغداةَ فإنَّها ... إذا وليتْ حكماً عليَّ تَجورُ[1]

(أقول والركب قد مالت عمائمهم)

ومن الغزل الجيد، وفيه من الفصاحة والسلاسة والبلاغة، القدر الوافر، ما قاله أبو دهبل معرباً عن حبه واشتياقه وذهوله:

أقولُ والرَّكْبُ قد مالتْ عمائِمهُمْ ... وقدْ سَقى القومَ كأسَ النَّعْسَةِ السَّهَرُ
يا ليتَ أنّي بِأثوابي وراحِلتي ... عبدٌ لأهْلِكِ هذا الشّهرَ مُؤْتَجرُ
إنْ كانَ ذا قدراً يُعطِيكِ نافلةً ... مِنّا ويَحرمُنا ما أنْصَفَ القَدَرُ
جِنّيَّةٌ أوْ لها جِنٌّ يُعَلِّمُها ... رَمْيَ القلوبِ بِقوْسٍ ما لها وَتَرُ[2]

❖ الراعي (ت ٩٠ هـ)

(راحتي في مقالة العذّال)

ومن الغزل الجيد، وفيه من التفنن والجدة الشيء الكثير، ما قاله الشاعر الأموي، الراعي النميري متحدثاً عن الحب:

راحتي في مقالةِ العُذّالِ ... وشِفائي في قِيلهمْ بعدَ قالِ
لا يطيبُ الهوى ولا يحسنُ الحبُّ ... لِصَبٍّ إلاّ بخمسٍ خصالِ:
بِسماعِ الأذى وعذلٍ فصيحٍ ... وعتابٍ وهجرةٍ وتقالِ[3]

❖ العباس بن الأحنف

(فاين حلاوات الرسائل والكتب)

ومن جيد الغزل، ومحدثه المتفنّن فيه، ما قاله العباس بن الأحنف، وهو من مولّدي الدولة العباسية:

وأحسنُ أيّامِ الهوى يومُكَ الذي ... تُروّعُ بالهجرانِ فيهِ بالعَتْبِ

---

(١) ديوان الحماسة ٢/ ١١٣. وتجور: تظلم في حكمها. والبعير: الجمل.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ١٣١ - ١٣٢. والنافلة: العطية. والمؤتجر: المستأجر. والنعسة: النومة الخفيفة. وقوله: مالت عمائمهم، دلالة على غلبة النعاس عليهم.
(٣) زهر الآداب ١/ ١١. والتقالي: التباغض.

إذا لم يكنْ في الحبِّ سخطٌ ولا رِضا فأينَ حلاواتُ الرّسائِلِ والكُتْبِ[1]

❖ نبهان العبشمي

(وقل ملّ السّرى كلّ واجد)

ومن الغزل الجيد، وفيه من صدق العاطفة والشعور، الشيء الكثير، ما قاله نبهان بن عكّي العبشمي، نسبة إلى عبد شمس:

يقرُّ بِعيني أنْ أرى مَن مكانُه ذُرا عقِداتِ الأبرقِ المتعاودِ
وأنْ أردَ الماءَ الذي شربتْ بهِ سُلَيْمى وقد ملَّ السُّرى كلُّ واجد
وألصقَ أحشائي ببردِ ترابِه وإنْ كان مخلوطاً بسُمِّ الأساودِ[2]

❖ عمر بن أبي ربيعة (ت ٩٣ هـ)

(وأكبر همّي والأحاديث زينب)

يعد عمر بن أبي ربيعة، من بني مخزوم، الشاعر الإسلامي الأموي، زعيم الغزل المادي الحضري، لا في عصره فحسب، بل في العصر الذي سبقه، وفي العصور التالية، بلا منازع. كيف لا، وهو الذي كرّس حياته، وشعره ساعياً وراء الحسان، منجذباً إلى محادثتهن ومجالستهن، ذاكراً أوصافهن، مشبّباً بهن، قاصّاً علينا مغامراته معهن، وكنّ كثراً، والذي يهمنا في هذا المقام، لا تلك المغامرات العابثة، ولا تلك المجالس الصافية، والأشعار الماجنة، بل تلك الفلذ الرائعة من الأشعار الغزلية الرقيقة البعيدة عن العبث والمجون والاستهتار، وإن منها على سبيل المثال، قوله في زينب، وهو من أروع الشعر، وأرقّه:

أُحدِّثُ نفسي والأحاديثُ جَمَّةٌ وأكبرُ همّي والأحاديثُ زَيْنبُ
إذا طلعتْ شمسُ النهارِ ذكرْتُها وأُحدثُ ذكراها إذا الشمسُ تغربُ
إذا خلجَتْ عيني أقولُ لعلَّها لِرؤيتِها تهتاجُ عيني وتضربُ[3]

(ولكن حبّاً ما يقاربه حبّ)

وإن من هذا الشعر الغزلي الجيد قوله في المسمّاة عبدة:

أعَبْدَةُ ما يَنْسى مودَّتَكِ القلبُ ولا هُو يُسْلِيهِ رخاءٌ ولا كَرْبُ
ولا قولُ واشٍ كاشحٍ ذي عداوةٍ ولا بُعْدُ دارٍ إنْ نأيتِ ولا قُرْبُ

---

(١) زهر الآداب ١/ ١١.

(٢) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٣٢. والأساود، جمع أسود، وهو الحيّة. والمتقاود: المنقاد والمستقيم. والواجد: العاشق. والأبرق: الحجارة المخلوطة بالرمل والطين. والعقدات: ما انعقد وصلب من الرمل واحدته عقدة.

(٣) الديوان، ص: ٢٢ - ٢٣. وخلجت العين: زفرت أجفانها واضطربت.

وما ذاكَ مِن نُعمى لديك أصابَها ... ولكنَّ حُبّاً ما يقاربُه حُبُّ
فإنْ تقبلي يا عبدَ توبةَ تائب ... يتُبْ ثمّ لا يوجدْ له أبداً ذنبُ
أذلُّ لكم يا عبدَ فيما هويتمُ ... وإني إذا ما رامني غيرُكُمْ صعب[1]

(وبعض الناس يحسبني جلداً)

ومن رائع شعر عمر في الغزل، قوله:

قضى مُنْشِرُ الْموتى عليَّ قضيّةً ... بِحُبِّكِ لم أملِكْ ولم آتِها عَمْدا
فليسَ لِقرْبٍ بعدَ قربِكِ لذّةٌ ... ولستُ أرى نأياً سوى نأيِكُمْ بُعْدا
أحَبُّ الأُولى يأتونَ مِن نحوِ أرضِها ... إليَّ مِنَ الرّكبانِ أقْرَبَهُم عهدا
فما نلتقِي مِن بعدِ يأسٍ وهِجْرةٍ ... وصدعِ النّوى إلاّ وجدتُ لها بَرْدا
على كبدٍ قد كادَ يُبدِي بها النّوى ... صُدوعاً وبعضُ النّاسِ يحسبُني جَلْدا[2]

(أمن آل نعم)

ومن أشهر غزل عمر رائيته التي تعتبر جماع شعره، قالها في نعم، وإنا لنكتفي بإيراد عدة من الأبيات التي استهل بها قصيدته تلك، وهي التالية:

أمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فَمُبْكِرُ ... غَداةَ غدٍ أمْ رائِحٌ فمُهجّرُ
لِحاجةِ نفسٍ لم تقلْ في جوابِها ... فتُبْلِغَ عذراً والمقالةُ تُعْذِر
تَهيمُ فلا الشَّمْلُ جامعٌ ... ولا الحبلُ موصولٌ ولا القلبُ مُقْصِر
ولا قُرْبُ نعمٍ إنْ دنتَ لكَ نافعٌ ... ولا نأيُها يُسْلِي ولا أنتَ تَصبِر

(وكن قصاراً قبل أن نتصدّعا)

ومن أرقّ غزله، وأروعه، ما قاله في تلك المسمّاة أسماء.

يقول عمر[3]:

أقولُ لأسماءَ اشتكاءً ولا أرى ... على إثْرِ شيءٍ قد تفاوتَ مُجْزَعا
ألَمْ تعلمي يا آسَمَ أنّي مغاضبٌ ... أحَبَّ جميعَ الناسِ لو جُمِّعُوا معا
وأنَّ اللّيالِي طُلْنَ منذُ هجرتني ... وكُنَّ قِصاراً قبلَ أن تَتَصَدّعا
وأنْ لم نزلْ منذُ اهْتجَرْنا كأنّني ... مُعادٍ فراشي ما أُلايِمُ مَضْجَعا[4]

---

(١) المصدر نفسه، ص: ٤٩. والكاشح: العدو المبغض. ورامني: قصدني، وعبد، ترخيم عبدة.
(٢) الديوان ص: ٨١. واليأس: الخيبة. والنوى: البعد. والصدع: الكسر. والجلد: الصبور على الشدائد.
(٣) المصدر نفسه ص: ٩٨. والغادي: السائر في الغداة. والمهجر: السائر في الهاجرة، أي عند الظهر. ومقصر: منقطع. ويسلي: يخفف.
(٤) الديوان ص: ١٨٢. والمجزع: من الجزع، وهو الخوف والقنوط. والمضجع: مكان النوم والإضطجاع. واسم: ترخيم أسماء، حبيبة الشاعر.

(ليت ذا الحج كان حتماً علينا)

ومن ألطف معاني الغزل، وأكثرها إثارة وابتكاراً قوله:

أيُّها الرّائحُ المُجِدُّ ابْتكاراً ... قد قضى مِنْ تِهامةَ الأوطارا
مَنْ يكنْ قلبُه سليماً صحيحاً ... ففؤادي بِالْخَيْفِ أمسى مُعارا
ليتَ ذا الحجَّ كانَ حتماً علينا ... كلَّ شهْرَيْنِ حجّةً واعْتمارا[1]

❖ الأحوص (ت ١٠٥ هـ)

(وما كنت زوّارا)

من أبرع شعراء الدولة الأموية في الغزل، الأحوص، وهو لقب له، وأبوه عبدالله بن محمد بن عاصم، من بني الخزرج. وهو في الطبقة السادسة بين الشعراء الإسلاميين، قيل إن كثيراً دخل على عزّة يوماً فقالت: ما ينبغي أن نأذن لك في الجلوس، فقال: ولم ذلك؟ قالت: لأني رأيت الأحوص ألين جانباً عند الغواني منك في شعره، وأضرع خداً للنساء في شعره، ومنه هذا الشعر الغزلي الرائع:

أدورُ ولولا أنْ أرى أمَّ جعفرٍ ... بأبياتِكم ما درتُ حيثُ أدورُ
وما كنتُ زوّاراً ولكنَّ ذا الهوى ... إذا لم يزرْ لا بدَّ أنْ سيزور
لقد منعَتْ معروفَها أمُّ جعفرٍ ... وإنّي إلى معروفِها لَفقيرُ[2]

(أشهى إلى المرء من دنياه ما منعا)

ومنه أيضاً، هذا الشعر، وهو لا يقل روعة وسهولة عن سابقه:

كمْ مِن دنيٍّ لها قد كنتُ أتبعُهُ ... ولوْ صحا القلبُ عنها كانَ لي تَبَعا
لا أستطيعُ نزوعاً عن محبّتِها ... أو يصنعَ القلبُ بي فوقَ الذي صنعا
أدعو إلى هجرِها قلبي فيتبعُني ... حتى إذا قلتُ هذا صادقٌ نزعا
وزادني رغبةً في الحبِّ أنْ منعتْ ... أشهى إلى المرءِ مِن دنياهُ ما مُنِعا[3]

(إذا أنت لم تعشق)

ومثله أيضاً قوله الآخر، وهو في غاية الروعة:

إذا أنتَ لم تعشقْ ولم تدرِ ما الهوى ... فكنْ حجراً مِن يابسِ الصّخرِ جَلْمدا
وما العيشُ إلاّ ما تلذُّ وتشتهي ... وإنْ لامَ فيه ذو الشّنانِ وفَنَّدا
وإنّي لأهْواها وأهوى لِقاءَها ... كما يشتهي الصّادي الشّرابَ المبرَّدا

---

(١) المصدر نفسه ص: ١٤٤. والرائح: الذاهب مساء. وتهامة: جنوبي الحجاز. والأوطار، جمع وطر، وهو الغاية والمأرب. والخيف: اسم موضع قريب من مكة. واعتماراً: الإتيان بالعمرة، وهي الحج، في غير موسم الحج.
(٢) زهر الآداب ١/ ٣٥٠.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٣٥٠ . والنزوع: الإنقطاع.

عـلاقـةُ حـبّ لـجَّ فـي سَـنَـنِ الـصّـبـا فَـأبْـلـى ومـا يـزدادُ إلاّ تـجـدّدا[١]

(وليس عليك يا مطر السلام)

ومن الغزل الجيد المتفنن فيه، ويتميّز بالرقّة والسهولة قول الأحوص:

أإنْ نـادى هـديـلاً ذاتَ فـلـجٍ مـع الإشـراقِ فـي فَـنَـنٍ حَـمـامُ
ظـلـلْـتَ كـأنَّ دَمْـعَـكَ درُّ سـلْـكٍ هـوى نـسـقـاً وأسْـلـمـه الـنّـظـامُ
تـمـوتُ تـشـوُّقـاً طـربـاً ولـحـنـاً وأنـتَ جَـوٍ بـدائِـكَ مُـسْـتـهـام
كـأنَّـكَ مِـن تـذكُّـر أمِّ حَـفْـصٍ وحـبـلُ وِصـالِـهـا خـلِـقٌ رِمـامُ
صـريـعُ مـدامـةٍ غـلـبَـتْ عـلـيـهِ تـمـوتُ لـهـا الـمـفـاصِـلُ والـعِـظـام
وإنّـي مِـن ديـارِكِ أمِّ حـفـصٍ سـقـى بـلـداً تـحـلُّ بـه الـغـمـام
سـلامُ الـلّـهِ يـا مـطـرٌ عـلـيـهـا ولـيسَ عـلـيـكَ يـا مـطـرُ الـسّـلامُ[٢]

❖ **جرير (ت ١١٥ هـ/ ٧٣٣م)**

(إن العيون التي في طرفها حور)

من أروع الغزل وأرقه، وأكثره شهرة وسيرورة، ما قاله جرير بن عطية التميمي، الشاعر الأموي المعروف، وشعره، كما هو معلوم، شديد العلوق بالذاكرة، واضح المعنى، فصيح اللفظ، متين التركيب، عذب السبك. وأشهر ما عرف به جرير، عدا الهجاء والرثاء، الغزل والنسيب، ومنه هذا الشعر الغزلي الذي بدأ به إحدى قصائده الهجائية التي هجا بها الأخطل. يقول جرير[٣]:

يـا أُمَّ عـمـروٍ جـزاكِ الـلّـه مـغـفـرةً رُدّي عـلـيَّ فـؤادِي كـالـذي كـحـانـا
ألـسـتِ أمـلـحَ مـن يـمـشـي عـلـى قـدمٍ يـا أمـلـحَ الـنـاسِ كـلَّ الـنـاسِ إنـسـانـاً
يـلـقـى غـريـمُـكُـمُ مِـن غـيـر عُـسْـرتِـكـمْ بـالـبـذلِ بـخـلاً وبـالإحـسـان حـرمـانـا[٤]
قـد خـنـتِ مـنْ لـم يـكـنْ يـخـشـى خـيـانـتَـكُـمْ مـا كـنـت أوّلَ مـوثـوقٍ بـه خـانـا
لـقـد كـتـمـتُ الـهـوى حـتـى تـهـيَّـجـنـي لا أسـتـطـيـعُ لـهـذا الـحـبِّ كـتـمـانـا[٥]
كـاد الـهـوى يـومَ سـلـمـانـيـنَ يـقـتُـلُـنـي وكـاد يـقـتُـلـنـي يـومـاً بَـبَـيْـدانـا[٦]
لا بـارَكَ الـلّـهُ فـي مَـن كـان يـحـسـبُـكـم إلاّ عـلـى الـعـهـدِ حـتـى كـانـا مـا كـانـا
لا بـارَكَ الـلّـهُ فـي الـدنـيـا إذا انـقـطـعـتْ أسـبـابُ دنـيـاكِ مِـن أسـبـابِ دنـيـانـا

---

(١) زهر الآداب ١/ ٣٥٤ . والشّنان: الكراهية والبغض. وفنّد: كذّب. والصادي: العطشان.
(٢) طبقات الشعراء، لابن سلام، ص: ٢٠٧.
(٣) الديوان، ص: ٢٣٠.
(٤) الغريم: الدائن، وهنا المحب. والعسرة: خلاف اليسر والميسرة.
(٥) تهيمني: تملكني. وكاد يذهب بعقلي.
(٦) سلمانين وبيدان: اسما موضعين.

ما أحدثَ الدّهرُ مما تعلمينَ لكمْ ... للحبلِ صرماً ولا للعهدِ نسيانا[1]
إنَّ العيونَ التي في طرفِها حَوَرٌ ... قتلْنَنا ثم لمْ يُحيينَ قتلانا[2]
يصرعْنَ ذا اللّبِّ حتى لا حراكَ بهِ ... وهنَّ أضعفُ خلقِ اللّهِ أركانا
يا حبّذا جبلُ الرّيّانِ مِن جبلٍ ... وحبّذا ساكنُ الرّيّانِ من كانا
وحبّذا نفحاتٌ مِن يمانيةٍ ... تأتيكَ مِن قِبَلِ الرّيّانِ أحيانا

❖ ابن الطثرية (ت ١٢٦ هـ)

(فافنيت علاّتي فكيف أقول)

ومن جيد الغزل، ما قاله يزيد بن الصمّة، أحد بني سلمة الخير بن قشير، وينسب إلى أمه، واسمها الطثرية، وهو من شعراء العصر الأموي، اشتهر بغزله، وكان يقول: «**من أفحم عند النساء فلينشد من شعري**». يقول يزيد متغزلاً، وشعره لا يخلو من نزعة مادية حضرية، ومن تفنن وابتكار[3]:

عُقَيْلِيَّةٌ أمّا مَلاثُ إزارِها ... فَدِعْصٌ وأمّا خصرُها فبتيلُ[4]
تَقَيَّظُ أكنافُ الحِمى ويُظِلُّها ... بنَعْمانَ مِن وادِي الأراكِ مَقيلُ[5]
أليسَ قليلاً نظرةٌ إنْ نظرتُها ... إليكِ وكُلاً ليسَ منكِ قليلُ
فيا خُلَّةَ النَّفْسِ التي ليسَ دونَها ... لنا مِن أخلاّءِ الصّفاءِ خليلُ[6]
ويا مَنْ كتمْنا حُبَّهُ لم يُطَعْ بهِ ... عدوٌّ ولم يُؤمَنْ عليهِ دخيلُ
أما مِن مُقامٍ أشتكي غربةَ النّوى ... وخوْفَ العِدا فيه إليكِ سبيلُ
فديْتُكِ أعدّائي كثيرٌ وشُقَّتي ... بعيدٌ وأشياعي لديْكِ قليلُ[7]
وكنتُ إذا ما جئتُ جئتُ بعِلَّةٍ ... فأفنيْتُ عِلاّتي فكيفَ أقولُ
فما كلَّ يومٍ بأرضِكِ حاجةٌ ... ولا كلَّ يومٍ لي إليكِ رسولُ
صحائفُ عنديَ لِلعتابِ طويْتُها ... سَتُنْشَرُ يوْماً والعتابُ طويلُ
فلا تحملي ذنبي وأنتِ ضعيفةٌ ... فحمْلُ دمي يومَ الحسابِ ثقيلُ

---

(١) الصرم: القطع والهجر.
(٢) الحور: شدة بياض العين وشدة إسوداد سوادها.
(٣) ديوان الحماسة ٢/ ١٢٤ - ١٢٦.
(٤) عقيلية: نسبة إلى بني عقيل، وهي حبيبته. وملاث الإزار. موضعه الذي يشدّ عليه الإزار، وهو الكفل والعجز. والدعص: قطعة الرمل المستديرة. والبتيل: الدقيق.
(٥) تقيظ: تقضي القيظ. أي أشهر الصيف. والمقيل: مكان القيلولة، وهي نوم الظهيرة. ونعمان: اسم وادٍ. والأراك: شجر يتخذ منه السّواك، وهو طيب الرائحة.
(٦) الخلة: الخليلة، أي الصاحبة.
(٧) الشقة: بعد مسير الأرض. والأشياع: الأنصار.

❖ القطامي (ت ١٣٠ هـ)

(وفي الخدور غمامات برقن لنا)

ومن بليغ الغزل وجيده وأسلسه، وأطرفه معنى ما قاله القطامي، الشاعر الأموي، واسمه عمير بن شييم التغلبي:

وفي الخدورِ غماماتٌ برقْنَ لنا ... حتى تصيّدْنَنَا مِن كلّ مصطادِ
يقتلْننا بحديثٍ ليسَ يعلمُه ... مَن يتّقينَ ولا مكنونُه بادي
فهنَّ ينبذْنَ مِن قولٍ يصبْنَ بهِ ... مواقعَ الماءِ مِن ذي الغلّةِ الصادي[1]

❖ نصيب

(غريب الهوى واهاً لكلّ غريب)

ومن الغزل الرائع، ولا يخلو من جدة وابتكار، ما قاله نصيب، الشاعر الأموي، والمقدم في النسيب، وهو عبد أسود. وكان نزل بامرأة تكنى أم حبيب من أهل ملل، وكانت تقري في ذلك الموضع وتصيف.

نزل بها نصيب ومعه رجلان من قريش. ولما أرادوا الرحلة وصلها القرشيان، وخيّرها نصيب بين أن يبعث لها بمال لأن لا مال لديه، وبين أن يقول فيها الشعر. فغزلت، أي مالت إلى الشعر، قالت: أريد الشعر. فقال نصيب:

ألا حَيِّ قبلَ البَيْنِ أمَّ حبيبِ ... وإنْ لم تكنْ منّا غداً بقريبِ
وإنْ لم يكنْ أنّي أحبُّكِ صادقاً ... فما أحدٌ عندي إذاً بحبيبِ
تَهامٍ أصابتْ قلبَه مللِيّةٌ ... غريبُ الهوى واهاً لكلّ غريبِ[2]

(بزينب ألم قبل أن يرحل الركب)

ومن رائع الغزل بيت نصيب. وكان جرير يقول: «وددت أن هذا البيت من شعر هذا العبد كان لي بكذا وكذا بيتاً من شعري»، يعني قول نصيب:

بزينبَ ألمِمْ قبلَ أنْ يرحلَ الرّكبُ ... وقلْ إنْ تملّينا فما ملَّكِ القلبُ[3]

(لما سبقتني بالبكاء الحمائم)

ومن جيد الغزل، وهو يعد من الشعر السهل الممتنع، والسائغ والعذب، قول نصيب وقد سمع هتاف حمامة في الليل فأهاج ما به من حب ولوعة، يقول نصيب:

لقد هَتَفَتْ في جُنْحِ لَيْلٍ حمامةٌ ... على فَنَنٍ وَهْناً وإنّي لَنائمُ

---

(١) زهر الآداب ١/ ١٤. والغلة: الظمأ. والصادي: العطشان.
(٢) الكامل في اللغة والأدب ١/ ٣٣٤. والتهامي: المنسوب إلى تهامة جنوبي الحجاز.
(٣) المصدر نفسه ١/ ١٠٦. وألم: أنزل.

فقلتُ اعْتذاراً عندَ ذَاكَ وإنّني ... لِنَفْسِي مِمّا قد رأتْهُ لَلاَئم
أأزعمُ أنّي هائمٌ ذو صبابةٍ ... لِسُعدِي ولا أبكي وتبكي الحمائمُ
كذبتُ وبيتِ اللّهِ لو كنتُ عاشقاً ... لما سَبَقَتْنِي بِالبكاء الحمائم[1]

(ولا في الصبح كان لها براح)

ومن بديع الشعر الغزلي المنسوب إلى نصيب، قوله:

كأنَّ القلبَ ليلةَ قِيلَ يُغْدى ... بِلَيْلَى العامريّةِ أو يُراحُ
قطاةٌ عَزَّها شَرَكٌ فباتتْ ... تُجاذِبُه وقد علقَ الجناحُ
لها فرْخانِ قد تُركا بوَكْرٍ ... فعشُّهما تُصفِّقُه الرّياح
إذا سمعا هبوبَ الرّيح نصّا ... وقد أودى به القدرُ المتاح
فلا في اللّيلِ نالتْ ما تُرجّي ... ولا في الصُّبْحِ كانَ لها بَراح[2]

❖ ابن ميّادة (ت بين ١٣٦ هـ - ١٤٠ هـ)

(وأبكاك من عهد الشباب ملاعبه)

واسمه الرمّاح بن أبرد، وكنيته أبو شراحيل. شاعر إسلامي أموي، عاش حتى زمن المنصور، الخليفة العباسي، وهو من آخر الشعراء الذين يحتج بقولهم من المتقدمين.

من جيد غزله قوله[3]:

لقد سبقتْك اليومَ عيناكَ سَبقةً ... وأبكاكَ مِن عهدِ الشبابِ ملاعبهُ
وتذكارُ عيشٍ قد مضى ليس راجعاً ... لنا أبداً أو يَرجعَ الدَّرَّ حالبهُ
أحبُّكُم يا ميُّ حبَّيْنِ منهما ... قديمٌ وحبٌّ حينَ شَبَّتْ شبائبه
إذا اجتمعا قال القديمُ غلبتُه ... وقال الذي مِن بعدِهِ أنا غالبُه
ألا ليتَ شعري هل تغيّرُ بعدَنا ... صرائمُ جنبَيْ مخيطَ وجنائبه[4]
وهل تركَ الحَوْمانَ بُعدي مكانَه ... وهل زالَ من بطنِ الجُوَيِّ تناضبُهُ[5]
فَواللّهِ ما أدري أيغلبُنِي الهوى ... إذا جدَّ جِدَّ الْبَيْنِ أم أنا غالبه

---

(١) ديوان الحماسة ٢/ ٩٧. والفنن: الغصن. والوهن: نصف الليل.
وقوله: وبيت الله، يقسم بالبيت العتيق بأنّه مقصر في حبّه وعشقه، وإلاّ لما سبقته الحمائم إلى البكاء.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ١٠٩ - ١١٠. والبراح: الخلاص. ونصّا: نصبا أعناقهما. وأودى: هلك. وتصفقه: تحركه. والشرك: ما ينصب للطائر بقصد إلقاء القبض عليه. والقطاة: نوع من الحمام البرّي. والعامرية: المنسوبة إلى بني عامر.
(٣) شعر ابن ميادة، ص: ٧١ - ٧٣. تحقيق حنا جميل حداد. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٢م. وأنظر الأبيات في: معجم البلدان لياقوت ٤/ ٤١٤ ط الخانجي - القاهرة. وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لياقوت. المطبعة الهندية. القاهرة ١٩٢٧م.
(٤) صرائم، جمع صريمة وهي القطعة من الرمل. ومخيط: اسم جبل.
(٥) الحومان: موضع في طريق اليمامة من البصرة. والجوي: اسم موضع.

فإنْ أستطعْ أغلبْ وإن يغلبِ الهوى فمثلُ الذي لاقيتُ يُغلبُ صاحبه

(ولا عيش إلاَّ أن تبيت ملهوجاً)

ومن جيد غزله وأرقه قوله[١]:

وما نلتُ منها محرماً غيرَ أنني أقبلُ بسّاماً منَ الثغر أفلجا
وألثمُ فاها تارةً بعد تارةٍ وأتركُ حاجاتِ النفوسِ تحرّجا
وإني على سوطِ الهوى ذو تجلدٍ أصابرُهُ ما لم أجدْ عنه مخرجا
ولا عيشَ إلا أن تبيت مَلهوجا على نارٍ من تهوى وتصبح مُنضَجا

(إنَّ سعدى ترى الكلام ربيحا)

ومن أرق الغزل وأجوده، ما قاله ابن ميادة، وهو من الأصوات المائة المختارة من رواية علي بني يحيى.

يقول:

يا خليليَّ هجّرا كيْ تروحا هِجْتُما للرّواحِ قلباً قريحا
إنْ تريغا لِتعلما سرَّ سُعدى تجداني بِسرِّ سُعدى شحيحا
إنَّ سعدى لَمُنْيةُ المتمنيّ جمعتْ عفّةً ووجهاً صبيحا
كلّمتني وذاكَ ما نلتُ منها إنّ سعدى ترى الكلام ربيحا[٢]

(تمتّع بذا اليوم القصير)

ومن الغزل البارع، ذي المعنى الجيد، والعبارة الرشيقة السمحة، قول ابن ميّادة متغزلاً:

وما أنسَ م الأشياءِ لا أنس قولَها وأدْمُعُها يُذرينَ حَشْو المكاحلِ
تمتّعْ بِذَا اليومِ القصيرِ فإنّهُ رهينٌ بأيّامِ الشهورِ الأطاولِ[٣]

---

(١) شعر ابن ميادة، ص: ٨٩، وأنظر الأبيات في: عيون الأخبار، لابن قتيبة ٤/ ٩٤. دار الكتب المصرية ١٩٦٤م. والبصائر والذخائر، ص: ٩٣ لأبي حيان التوحيدي، لجنة التأليف والنشر. القاهرة ١٩٥٣م.

(٢) شعر ابن ميادة، ص: ٩٨. وانظر الأبيات مع بعض الإختلاف في: مصارع العشاق لأبي محمد ابن السراج ص: ٣٩٢. طبعة الجوائب ١٠٣١ هـ.
والأغاني ٢/ ٦٧٨. ط دار الشعب. القاهرة ١٠٦٩م.

(٣) ديوان الحماسة ٢/ ١٣٤. م الأشياء: من الأشياء. ويذرين: يسقطن. والمكاحل: جمع مكحلة، وهي ما يوضع فيها الكحل. والمراد، هنا العين الكحلاء.

❖ عنان

(وجميع أسباب الغرام يسيرة)

ومن الغزل الحضري الرقيق حواشي العبارة، في العصر العباسي، ما قالته عنان، جارية الناطقي، وقيل هو لابن الرومي، والأول أقوى:

حلوُ العتابِ يهيجُه الإدلالُ ... لم يخلُ إلا بالعتابِ وصالُ
لم يهوَ قطُّ ولم يُسمَّ بعاشقٍ ... مَن كان يصرفُ وجهَهُ التّعذال
وجميعُ أسبابِ الغرامِ يسيرةٌ ... ما لم يكنْ عذرٌ ولا اسْتبدال
تصفُ القضيبَ على الكثيبِ قناتُها ... ولها مِن البدرِ المنيرِ مثال
ولَرُبَّ لابسةٍ قناعَ ملاحةٍ ... حسناءَ سارَ بِحسنِها الأمثال
كستِ الحداثةُ ظرفَها وجمالَها ... نوراً فماءُ شبابِها يختال
وكأنّها والكأسُ فوقَ بنانِها ... شمسٌ يمدُّ بها إليكَ هلال
حتى إذا ما استأنستْ بحديثها ... وتكلّمتْ بلِسانها الجِرْيال
قلنا لها إنْ صدقتْ أقوالَها ... أفعالُها وجرى بِهنَّ الغال
قولي فليس تراكِ عينُ نميمة ... حضرَ النّصيحُ وغابتِ العُذّال
وضمير ما اشتملت عليه ضلوعُنا ... سرٌّ لدى أبوابه أقفال[1]

❖ عليّة

(ليس يستحسن في نعت الهوى)

ولعليّة بنت المهدي، العباسية، من الغزل المحدث، وهو في غاية لطف المعنى، وحسن مجرى الكلام، قولها:

وُضعَ الحُبُّ على الجوْرِ فلو ... أنصفَ المعشوقُ فيه لَسَمُجْ
وقليلُ الحبِّ صِرفاً خالصاً ... لكَ خيرٌ مِن كثيرٍ قد مزجْ
ليس يُستحسنُ في نعتِ الهوى ... عاشقٌ يحسنُ تأليفَ الحججْ[2]

(يرضى القتيل ولا يرضي القاتلا)

ولها نظيره، قولها:

يا عاذلي قد كنتُ قبلَكَ عاذلاً ... حتى ابْتُليتُ فصرتُ صَبّاً ذاهلا
الحبُّ أوّلَ ما يكونُ مجانةً ... فإذا تحكم صارَ شُغْلاً شاغلا

---

(١) زهر الآداب ١/ ١٢. والتعذال: العذل واللوم. والكثيب: الرمل المستطيل المحدودب. وبنانها: أطراف الأصابع. والجريال: صبغ أحمر. والعذال: جمع عاذل، وهو اللائم والكاشح.
(٢) المصدر نفسه ١/ ١١. والجور: الظلم. وسمج: صار بشعاً. وصرفاً: خالصاً.

أرضى فيغضبُ قاتلي فتعجَّبوا ... يرضى القتيلُ ولا يُرضي القاتلا[1]

❖ سديف

(وإذا طرفن طرفن عن حدق المها)

ومن ألطف الغزل، وفيه من الوصف الجيد الدقيق، غزل سديف، وكاد مولى لبني هاشم. يقول سديف:

وإذا نطقنَ تخالُهنَّ نواظماً ... دُرّاً يفصّلُ لؤلؤاً مكنونا
وإذا ابتسمْنَ فإنَّهنَّ غمامةٌ ... أو أقحوانُ الرّملِ باتَ معينا
وإذا طرفنَ طرفنَ عن حدقِ المها ... وفضلْنَهُنَّ محاجراً وجفونا
وكأنَّ أجيادَ الظّباءِ تمدُّها ... وخصورهنَّ لطافةً ولدونا
وأصحُّ ما رأتِ العيونُ محاجراً ... ولهنَّ أوفى ما رأيتُ عيونا
وكأنَّهنَّ إذا نهضْنَ لِحاجةٍ ... ينهضْنَ بالعقِداتِ مِن يَبْرينا[2]

❖ عوف بن محلّم (ت ٢٢٠ هـ)

(فها أنا أبكي والفؤاد قريح)

ومن الغزل الشديد الأسر والرقّة، ما قاله عوف بن محلّم، الخزاعي، الشاعر العباسي، وكان سمع نوح حمامة، فأثار حنينه، وهيّج شوقه، وتذكر من يحبّ. يقول عوف:

ألا يا حمامَ الأيكِ إلفُكَ حاضرٌ ... وغصنُك ميّالٌ ففيمَ تنوحُ
أفقْ لا تُنحْ مِن غيرِ شيءٍ فإنّني ... بكيتُ زماناً والفؤادُ صحيح
ولَوعاً فشطّتْ غربةً دارُ زينبٍ ... فها أنا أبكي والفؤادُ قريح[3]

❖ بشّار بن برد (ت ١٦٨ هـ/ ٧٨٤م)

(وكأنَّ رجع حديثها)

ومن الغزل الذي طغت عليه روح الحضارة، واتسم بنزعة مادية، وهو من جيد الغزل ومبتكره، ما قاله بشّار بن برد، الشاعر العباسي المولد، وكان أعمى يقول بشار متغزلاً:

وكأنَّ رجعَ حديثها ... قِطَعُ الرّياضِ كُسينَ زَهْرا
حوراءُ إنْ نظرتْ إليكَ ... سقتْكَ بالعينيْنِ خمرا

---

(١) زهر الآداب ١/ ١٠. صبّاً: فيه صبابة، وهي حرارة العشق.
(٢) زهر الآداب ١/ ١٥. ويبرين: اسم موضع بعينه.
(٣) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٩٨. والإلف: الصاحب. والأيك: شجر ملتف الأغصان. وشطت: نأت. وقريح: فيه قروح وجراح.

تُنسي الغويَّ معاده ... وتكونُ للحكماءِ ذكرا
وكأنّها بردُ الشّرابِ ... صفا ووافقَ فيه قطرا
وكأنَّ تحتَ لسانِها ... هاروتُ ينفثُ فيه سحرا
وتخالُ ما جمعتْ عليه ... ثيابَها ذهباً وعطرا[1]

❖ العرجي

(أزوركم يوماً وأهجركم شهراً)

ومن الذين نحوا في الغزل منحى عمر بن أبي ربيعة، العرجي، وهو لقب له لأنّه كان يسكن عرج الطائف، واسمه عبدالله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان. قيل إن جارية بكت لما مات عمر بين أبي ربيعة، فطيّبوا خاطرها مشيرين إلى أن ثمة من يخلفه في الغزل، يريدون العرجي، فطلبت أن ينشدوها شيئاً من شعره، فأنشدوها بيتيْه التاليين فطابت نفساً، وهدأت، وهما من أعذب الغزل. يقول العرجي:

ولما رأيتُ الكاشحينَ تَتَّبعوا ... هوانا وأبدَوا دونَنا نظراً شَزْرا
جعلتُ وما بي مِن جفاءٍ ولا قِلىً ... أزورُكم يوماً وأهجرُكم شَهْرا[2]

❖ أبو حكيمة

(سلام على الدار التي لا أزورها)

ومن أرقّ الغزل، وأروعه، غزل أبي حكيمة الكوفي، واسمه راشد بن أسماء، أحد الشعراء المولدين في العصر العباسي الأول. قيل إن أبا شراعة القيسي كان في مجلس العتبي، الشاعر، فتذاكر من كان في المجلس أشعار المولدين في الغزل فقال أحدهم، وهو عبد الصمد بن المعذّل: أنا أشعر الناس فيه، وفي غيره. فقال أبو شراعة: أحذق منك، والله، بالغزل الذي يقول وأنشأ يقول الأبيات التالية لأبي حكيمة، وهي من جيد الغزل، وأرقّه:

ومستوحشٍ لم يُمْسِ في دارِ غربةٍ ... ولكنّه مِمَّنْ يحبُّ غريبُ
طواهُ الهوى واستشعر الوصلُ غيرَه ... فشطَّتْ نواهُ والمزارُ قريب
سلام على الدارِ التي لا أزورُها ... وإنْ حلَّها شخصٌ إليَّ حبيب
وإن حُجبتْ عن ناظريَّ ستورُها ... هوى تحسنُ الدّنيا بهِ وتطيب
هوىً تضحكُ اللّذّاتُ عندَ حضورِهِ ... ويسخُنُ طرفَ اللهوِ حينَ يغيبُ
تثنّى بهِ الأعطافُ حتى كأنّه ... إذا اهتزَّ من تحتِ الثيابِ قضيب

---

(١) الأغاني ٣/ ١٥٠. وهاروت: اسم أحد الملكين اللذين كانا يعلمان الناس السحر. والآخر هو ماروت.
(٢) ديوان الحماسة ٢/ ٧٢. والقلى: البغض. والكاشحين: الأعداء. والنظر شزراً: النظر بمؤخر العين.

ألمْ ترَ صمْتِي حينَ يجري حديثُه ... وقد كنتُ أُدعى بإسْمِهِ فأجيب
رضيتُ بسعي الدهرِ بيني وبينَه ... وإنْ لم يكنْ للعينِ منه نصيب
أحاذرُ إنْ واصلتُه أنْ يصيبُنِي ... وإياهُ سهمٌ للِفراق مصيب
أُداري جليسي بالتجلّدِ في الهوى ... ولي حينَ أخلو زفرةٌ ونحيب
وأخبرُ عنه بالذي لا أحبُّه ... فيضحكُ سنّي والفؤادُ كئيب
مخافةَ أنْ تُغري بنا ألسنُ العدا ... فيطمعُ فينا كاشحٌ فيعيب
كأنَّ مجالَ الطّرفِ في كلّ ناظرٍ ... على حركاتِ العاشقينَ رقيب
أرى خطرات الشّوقِ يبكينَ ذَا الهوى ... ويصبينَ عقلَ المرءِ وهو لبيب
وكم قد أذلَّ الحبُّ مِن متمنّعٍ ... فأضحى وثوبُ العزّ منه سليب
وإنَّ خضوعَ النفسِ في طلب الهوى ... لأمرٌ إذا فكّرتَ فيه عجيبُ[1]

❖ صريع الغواني

(وهل خفت إلاّ أن تشير الأصابع)

ومن الغزل المحدث، والجيد، ما قاله صريع الغواني، وهو لقبه، واسمه مسلم بن الوليد، وكان من الشعراء العباسيين المولّدين وعرف بمجونه وتهتكه. يقول مسلم متغزلاً:

أعاودُ ما قدّمْتُه مِن رجائِها ... إذا عاودتْ باليأسِ فيها المطامعُ
رأتْنِي غنيَّ الطّرفِ عنها فأعرضتْ ... وهل خفتُ إلاّ أن تشيرَ الأصابع
وما زيّنَتْها النفسُ لي عن لجاجةٍ ... ولكن جرى فيها الهوى وهو طائع
فأقسمتُ أنس الداعياتِ إلى الصّبا ... وقد فاجأتْها العينُ والسّترُ واقع
فغطّتْ بأيديها ثمارَ نحورِها ... كأيدي الأسارى أثقلتْها المجامعُ[2]

❖ مروان بن أبي حفصة (ت ١٨١ هـ/ ٧٩٧ م)

(كلّ أصيب وما أطاق ذهولا)

ومن الغزل المحدث المولّد، ما قاله مروان بن أبي حفصة، من أهل اليمامة، وهو من الشعراء المجددين في أوائل العصر العباسي. يقول مروان، وهو من جيد غزله، وأشدّه سلاسة وأسر شعر:

إنَّ الغواني طالما قتّلْنَنا ... بعيونِهنَّ ولا يَدِينَ قتيلا
مِن كلِّ آنسةٍ كأنَّ جمالَها ... ضُمِّنَّ أحور في الكناسِ كحيلا

(١) زهر الآداب ٢/ ٦٥٥. وشطت: بعدت. والنوى: البعد. تُثنّى: تتمايل. والكاشح: المبغض. ويصبين: يحركن فيه الصبابة، وهي الشوق والهوى. واللبيب: العاقل.
(٢) زهر الآداب ٢/ ٩٩٦. والجوامع: القيود والأغلال.

أردَيْـن عُـروةَ والـمـرقَّـشَ قـبـلَـهُ ... كـلٌّ أُصِـيـبَ ومـا أطـاقَ ذهـولا
ولـقـد تـركْـنَ أبـا ذؤيـبٍ هـائـمـاً ... ولـقـد تَـبـلْـنَ كُـثَـيِّـراً وجـمـيـلا
وتـركْـنَ لابـنِ أبـي ربـيـعـةَ مـنـطـقـاً ... فـيـهـنَّ أصـبـحَ سـائـراً مـحـمـولا
إلاَّ أكـنْ مِـمَّـنْ قـتـلْـنَ فـإنَّـنـي ... مـمَّـنْ تـركْـنَ فـؤادَهُ مـخـبـولا[1]

❖ ابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ/ ٨٩٦م)

(وهل بعد العناق تداني)

ومن الغزل الحضري الجيد المبتكر، وتغلب عليه النزعة المادية، ما قاله علي بن العباس بن جريج، المعروف بابن الرومي، وهو أحد أبرز الشعراء في العصر العباسي:

يقول ابن الرومي:

أُعـانـقُـه والـنـفـسُ بـعـدُ مـشـوقـةٌ ... إلـيـهِ وهـلْ بـعـدَ الـعـنـاقِ تـدانـي
وألـثـمُ فـاه كـيْ تـزولَ حـرارتـي ... فـيـشْـتـدُّ مـا ألـقـى مِـنَ الْـهَـيَـمَـان
ولـم يـكُ مـقـدارُ الـذي بـي مِـنَ الْـهَـوى ... لِـيَـزْوِيـهُ مـا تـرشـفُ الـشَّـفـتـان
كـأنَّ فـؤادِي لـيـسَ يـشـفِـي غـلـيـلَـه ... سـوى أنْ يُـرى الـروحـان يـمـتـزجـان[2]

(كالريح تغري النار بالإحراق)

ومن جيد غزله أيضاً، وفيه من الابتكار والتجديد، ما ينسجم وروح العصر، ما قاله:

لا تُـكـثِـرَنَّ مـقـالـةَ الـعـشَّـاقِ ... فـكـفـاهُـم بـالـوجـدِ والأشـواقِ
إنَّ الـبـلاءَ يُـطـاقُ غـيـرَ مـضـاعـفٍ ... فـإذا تـضـاعـفَ كـانَ غـيـرَ مـطـاق
لا تـطـفـئِـنَّ جـوىً بِـلـوم إنَّـه ... كـالـرِّيـحِ تُـغـري الـنَّـارَ بـالإحـراق[3]

❖ أبو فراس (ت ٣٥٧ هـ/ ٩٦٧ م)

(ولكن دمعي لا يذاع له سر)

من أروع الغزل وأبلغه، وأرقّه، وأبقاه على الدهور، ما قاله أبو فراس الحمداني، الشاعر العباسي، والفارس والأمير، واسمه الحارث بن سعيد بن حمدان. يقول أبو فراس متغزلاً، وهو الذي ذاق مرّ العيش في الأسر، وجالد الأبطال، وأذابه العشق، وما كان إلاَّ وفيّاً للعهد[4]:

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٩ ومخبولاً: من الخبل، وهو الجنون. وتبلن: أصبنه بالتبل. وهو الترة. والكناس: بيت الظبي. والأحور: كناية عن الظبي لشدة سواد عينيه وبياضهما. وعروة، والمرقش، زهر الآداب وأبا ذؤوب، وكثير وجميل، من شعراء الحب والغزل.

(٢) الديوان، ص: ٢٩٠. والغليل: الظمأ. والهيمان: الهيام، وهو شدة الذهول من العشق، والتداني: التقارب.

(٣) المصدر نفسه ٢١٧. والوجد: شدة الحزن من الحب. ومثله الجوى.

(٤) الديوان ص: ١٣٥.

أراكَ عَصِيَّ الدّمعِ شيمتُكَ الصَّبْرُ ... أما لِلهوى نهيٌ عليكَ ولا أمرُ
بلى أنا مشتاقٌ وعندِيَ لوعةٌ ... ولكنَّ دمعي لا يُذاعُ له سِرّ[1]
إذا الليلُ أضواني بسطتُ يدَ الهوى ... وأذللتُ دمعاً من خلائقِهِ الكبر[2]
تكادُ تضيء النارُ بينَ جوانحي ... إذا هي أذكتْها الصّبابةُ والفكر[3]
معلّلتي بالوصلِ والموتُ دونَهُ ... إذا متُّ ظمآناً فلا نزل القطر
حفظتُ وضيّعتِ المودّةَ بيننا ... وأحسنُ مِن بعضِ الوفاءِ لكِ العذر
بِنفسي من الغادين في الحيِّ غادةٌ ... هوايَ لها ذنبٌ وبهجتُها عذر[4]
تروغُ إلى الواشين فيَّ وإنَّ لي ... لأُذناً بها عن كلِّ واشيةٍ وَقْر[5]
بدوْتُ وأهلي حاضرُون لأنّني ... أرى أنَّ داراً لستِ مِن أهلِها قفر[6]
وحاربتُ قومي في هواكِ وإنَّهم ... وإيّايَ لولا حبُّكِ الماءُ والخمر
فإنْ يكُ ما قال الوشاةُ ولم يكنْ ... فقد يهدمُ الإيمانُ ما شَيَّدَ الكفر
وفيت وفي بعض الوفاء مذلّة ... لإنسانة في الحيّ شيمتها الغدر
وقورٌ وريْعانُ الصِّبَا يستفزُّها ... فتأرنُ أحياناً كما أرِنَ المهرُ[7]
تسائلُني مَن أنتَ وهي عليمةٌ ... وهل بفتىً مثلي على حالِهِ نُكر
فقلتُ كما شاءتْ وشاءَ لها الهوى ... قتيلُكِ، قالتْ: أيُّهم، فهمُ كثر
فقلتُ لها: لو شئتِ لم تَتَعنّتي ... ولم تسألي عنّي وعندَكِ بي خُبْر[8]
فقالتْ: لقد أزرى بكَ الدّهرُ بعدَنا ... فقلتُ: معاذَ اللّهِ، بلْ أنتِ لا الدهر[9]
وما كانَ للأحزانِ لولاكِ مسلكٌ ... إلى القلبِ لكنَّ الهوى لِلبلى جسر
وتهلكُ بينَ الهزلِ والجدِّ مهجةٌ ... إذا ما عداها البينُ عذّبها الهجر[10]
فأيقنتُ أنْ لا عزَّ بعدي لِعاشقٍ ... وأنَّ يدي ممّا علقتُ به صِفْر[11]
وقلّبتُ أمري لا أرى ليَ راحةً ... إذا البينُ أنساني ألحَّ بيَ الهجر
فعدتُ إلى حكمِ الزّمانِ وحكمِها ... لها الذّنبُ لا تُجزى بهِ وليَ العذر

---

(١) اللوعة: الحرقة.
(٢) أضواني: أضعفني. وخلائقه: صفاته.
(٣) الجوانح: الضلوع. وأذكتها: هيجتها والصبابة: حرارة الحب.
(٤) الغادة: الفتاة الناعمة. والبهجة: الجمال. والغادين: الذاهبين بكرة.
(٥) تروغ: تميل. والواشون: الذين ينقلون كلام السوء. والوقر الثقل.
(٦) بدوت: أقمت في البادية. والحاضرون: سكان الحاضرة. والقفر: الخلاء.
(٧) ريعان الصبا: أوله وبدايته. ويستفزّها: يحركها ويستخفّها. وتأرن: تمرح.
(٨) تتعنتي: تعاندي. والخبر: العلم.
(٩) أزرى بك: أصابك بالعيب والسوء.
(١٠) عداها: جاورها. والبين: الفراق.
(١١) صفر: فراغ.

❖ ابن زيدون (ت ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠ م)

(أضحى التنائي بديلاً من تدانينا)

يعد ابن زيدون من أشهر شعراء الغزل الأندلسي، وغزله يتميز بنزعة وجدانية صافية، وتمثل بحبّه لولاّدة بنت المستكفي وإن منه هذه الأبيات المختارة التي يمتزج فيها الإحساس بمشاركة الطبيعة، وبالشكوى والشوق والحنين، وهي من رائع الغزل في الشعر العربي الأندلسي، يقول ابن زيدون:

أضحى التّنائي بديلاً مِن تدانينا ... ونابَ عنْ طِيبِ لُقيانا تجافينا[١]

غِيظَ العِدى من تساقينا الهوى فَدَعَوْا ... بأنْ نغصَّ فقالَ الدّهرُ آمينا[٢]

وقد نكونُ وما يُخشى تفرّقنا ... واليومَ نحنُ وما يُرجى تلاقينا

لم نعتقدْ بعدكم إلاّ الوفاءَ لَكُمْ ... رأياً ولم نتقلّدْ غيرَهُ دينا

بِنْتُمْ وبِنا ابْتلَّتْ جوانحُنا ... شوقاً إليكم ولا جفَّتْ مآقينا[٣]

نكادُ حينَ تُناجيكم ضمائرُنا ... يقضي علينا الأسى لولا تأسّينا[٤]

حالتْ لِفقدكمُ أيامُنا فغدتْ ... سُوداً وكانتْ بكمْ بِيضاً لياليناإذْ جانبُ العيشِ طَلْقٌ مِن تألُّفنا ... ومَوْرِدُ اللّهوِ صافٍ من تصافينا[٥]

وإذْ هصرنا غصونَ الأُنسِ دانيةً ... قطوفُها فجنيْنا منهُ ماشِينا[٦]

لِيُسْقَ عهدُكُمُ عهدُ السرورِ فما ... كنتمْ لأرواحِنا إلاّ رياحينا

لا تَحْسَبُوا نأْيَكُمْ عنّا يُغَيِّرُنَا ... إنْ طالَ ما غَيَّرَ النَّأْيُ المحبّينا

❖ الصاحب شرف الدين الأنصاري (ت ٦٦٢ هـ/ ١٢٦٤ م)

(سقتني الزيّ ريّا)

هو الصاحب شرف الدين الأنصاري، نسبة إلى الأوس من الأنصار. ولد بدمشق، وعاش في ظل ملوك بني أيوب في حماه. زار بغداد ثم استقرّ في حماه مادحاً الملوك الأيوبيين، له ديوان شعر يتناول فيه مختلف الأغراض، ومنها الغزل الرقيق الذي منه هذه الأبيات المتميزة بالسهولة والوضوح يقول الصاحب[٧]:

---

(١) التنائي: البعد، وضده التداني. والتجافي: التباعد والتنافر.
(٢) غيظ: أصابهم الغيظ، والغضب.
(٣) بنتم: بعدتم ونأيتم. والجوانح: الأضلاع الخفية. والمآقي: العيون.
(٤) التأسي: إظهار الصبر والجلد على الأسى. وهو التعزّي.
(٥) التألّف: الألفة. والطلق: السمح والضاحك.
(٦) هصرنا: شددنا بقوة. ودانية: ناضجة، وقريبة التناول.
(٧) ديوان الصاحب شرف الدين، ص: ٢٠٣. تحقيق محمد موسى باشا. المطبعة الهاشمية. دمشق ١٩٦٧م.

سقتني الريّ ريّا ... بعدَ اللتا واللُتيّا[1]
مِن كأسِ ثغرٍ حلالٍ ... ينسي الحرام الحُميّا[2]
حنّتْ عليَّ بعهدٍ ... وافٍ وحنّتْ إليّا
فصار لي كلُّ شيءٍ ... منها ولم أكُ شَيّا
أحببْتها منذ كُنّا ... صبيّة وصبيّا
يا هذهِ أيَّ عقلٍ ... سلبْتِ مني وأيّا
دخلتِ قلبي حتى ... أخرجْتِهِ مِن يديّا
شفيتِ منّي عليلاً ... كوى فؤاديَ كيّا
إن فقتِ ميّاً فإني ... قد فقتُ غَيْلانَ مَيّا[3]
ماذا فعلتِ بروحي ... إذْ قلتِ بالقلب: هيّا

❖ الأخطل الصغير (ت ١٩٦٨ م)

(الصّبا والجمال ملك يديك)

ومن أروع الغزل المحدث، ما قاله بشارة الخوري، الشاعر اللبناني، والمعروف بالأخطل الصغير، وهو من ألمع الشعراء المعاصرين. يقول الأخطل معرباً عن حبه، وإعجابه بالجمال، جمال المرأة، ويغلب على غزله النزعة المادية، والسهولة والطلاوة:

الصّبا والجمالُ ملْكُ يَدَيْكِ ... أيُّ تاجٍ أعزُّ مِن تاجَيْكِ
نَصَبَ الحُسْنُ عرْشَه فسألْنا ... مَن تُراها لهُ فَدَلَّ عليْكِ
فاسْكبي روحَكِ الحنونَ عليهِ ... كَانسكابِ السّماءِ في عينيْكِ
ما تغنّى الهزارُ إلاّ لِيُلْقي ... زَافَراتِ الغرامِ في أذنيْكِ
سكِرَ الرَّوْضُ سكرةً صرغتهُ ... عندَ مجرَى العبيرِ من نهديْكِ
قتلَ الوردُ نفسَهُ حسداً منكِ ... وألقى دِماهُ في وجنتيكِ
والفراشاتُ ملَّتِ الزَّهرَ لمَّا ... حَدَّثَتْها الأنسامُ عنْ شفتيكِ
رفعوا منكِ للجمالِ إلهاً ... وانحَنوْا سُجَّداً على قدميْكِ[4]

(هل كان يخفق فيه غير فؤادي)

ومن رشيق غزل الأخطل الصغير، وأعذبه وأغناه بالتجربة وحرارة الوجدان، قوله:

سَلْ عنْ قديمِ هَوايَ هذا الوَادي ... هلْ كانَ يخفقُ فيه غيرُ فؤادِي

---

(١) ريا: اسم الحبيبة. والري: الماء.
(٢) الحميا: حدة تأثير الخمرة.
(٣) غيلان، هو الشاعر الأموي ذو الرّمّة، وميّ، هي حبيبته التي اقترن اسمها باسمه.
(٤) الأخطل الصغير، ص: ٢٠٠. والهزار: طائر حسن الصوت.

عهدَ الطّفولةِ في الهوى كمْ ليلةٍ ... مَرَّتْ لنا ذهبيّةِ الأبرادِ
تتضاحكُ الزُّهْرُ النّجومُ لأدمعي ... في جيدِها فإخالُها حُسّادِي
وأكادُ أمتشقُ الغصونَ تشفّياً ... لِتهامسِ الأوراقِ في الأعوادِ
ونُحسُّ بالبينِ المُشِتِّ فلا نرى ... غيرَ العناقِ على النَّوَى مِن زادِ[1]

❖ **مسعود سماحة (ولد ١٨٨٢ م)**

(لو ملكت الدنيا سماءً وأرضاً)

من الغزل المتأخر، وهو ينتمي إلى أدب القرن العشرين، قرننا الحالي، ما قاله مسعود سماحة، الشاعر اللبناني المهجري، وشعره لا يخلو من طرافة، وسهولة وجمال. يقول مسعود[2]:

لو ملكتُ الدُّنيا سماءً وأرضاً ... لوضعتُ الأكوانَ بينَ يديْكِ
ولقلّدتُ جِيدَكِ الشّمسَ والبدرَ ... وصغْتُ النّجومَ في قُرطيْكِ[3]
وأخذتُ السّوادَ مِن لمّةِ اللّيلِ ... وألقيتُه على فُوديك[4]
ولحكتُ الضّبابَ ثوباً وبُرداً ... ووضعتُ النّسيمَ في بُرْديك
وجعلتُ الورودَ حولَكِ تنمو ... واحمرارَ الوردِ في خدّيكِ
ووضعتُ الجلالَ فوقَ محيّاكِ ... ولمعَ البروقِ في عينيك
وأخذتُ الجمالَ من روعةِ الفجرِ ... وحوّلْتُه إلى صُدْغيكِ[5]
وأخذتُ ابتسامةَ ابنةِ خمسٍ ... طابعاً مثلَها على شفتيك
ومزجتُ الرُّقَى بطلسمِ سحرٍ ... ووضعتُ المزيجَ في مقلتيكِ[6]
وجعلتُ السّلامَ فرشاً وثيراً ... ورميتُ الهنا دثاراً عليك[7]
ومددتُ الطّريقَ دُرّاً وماساً ... ووضعتُ الياقوتَ في خفّيك
وتثنّي الغصونِ ما بينَ جنبيْكِ ... وشكلَ السّيوفِ في حاجبيك
ولألقيتُ ما ملكتُ وزندي ... وفؤادي والرّوحَ في راحتيك
وفعلتُ الذي فعلتَ لعلّي ... أُسعِدُ النّفسَ بالوصولِ إليك

---

(١) المصدر نفسه، ص: ٢٠٨ - ٢٠٩، والأبراد: جمع برد، وهو الثوب. والزهر: البيض. والجيد: العنق. وامتشق: سلّ، وفي الأصل: الإمتشاق للسيف.

(٢) العربي، ص: ١٧٩. عدد ٣٧٩. تموز ١٩٩٠م. الكويت.

(٣) الجيد: صفحة العنق. والقرطان: مثنى قرط، وهو الذي يعلق بالأذن.

(٤) اللمة: مقدّم شعر الرأس. والفودان، مثنى فود، وهو جانب الوجه.

(٥) الصدغان: مثنى صدغ، وهو جانب الوجه من العين إلى الأذن.

(٦) الرقى: جمع رقية، وهي التي توضع على المريض ليبرأ.
والطلسم: خطوط وأعداد يزعمون أنّ كتابتها تشفي المريض.

(٧) وثيراً: ناعماً ومريحاً. والدثار: الغطاء الذي يتدثر به.

أروع ما قيل في البخل

القسم الأول

في الجاهلية وصدر الإسلام

❖ **الأعشى:**

(ومستنبحٍ...)

كان من عادة العرب في الجاهلية، وظلّ الحال على هذا المنوال، في الإسلام، أنهم كانوا يضرمون النيران في الأماكن العالية، وغير العالية، حتى يهتدي بها الضيف الضالّ، فيتبع النار فيأتي القوم، فيقرونه، ويضيّفونه.

والأعرابي إذا أراد القرى، أي الضيافة والطعام، ولم يَر ناراً، نبح، فيجاوبه الكلب، فيتبع صوته، فيهتدي إلى المنزل الذي فيه الكلب، وهذا ما يعرف بالإستنباح. ولذا قال الشاعر:

ومستنبح أهل الثرى الذي يطلب القرى إلينا، وممساه من الأرض نازح[١]

فكانت العرب، منهم من يبرز كلبه ليجيب المستنبح، ومنهم من يمنعه ذلك، لبخل فيه وشحّ ولؤم.

وثمة من العرب من كان يحاول منع الكلب من إجابه المستنبح، فيأبى الكلب، فيعمد إلى خنقه، هذا ما فعله معاوية بن عمرو، وفي هذا العمل النامّ عن البخل واللؤم، يقول أعشى تغلب:

إذا حلّت معاوية بن عمرو على الأطواء خنّقت الكلابا[٢]

❖ **الجرمي:**

(إذا قرّة...)

وكان من طعام العرب المذموم، في الجاهلية، القرّة، وهي ما التزق من الخبز بالتنّور، والقطعة من أنف البعير، والجلدة منه، وهو أخبث الطعام، يأكلونه بخلاً منهم وشحّاً. وقد عيّر معاوية بن أبي ربيعة الجرمي بني أسعد، وأناساً من هوازن، فقال:

ألم تر جرماً أنجدت وأبوكم مع القمل في حفر الأقيصر شارع
إذا قرّة جاءت يقول أصب بها سوى القمل إنّي من هوازن ضارع[٣]

❖ **أمية بن أبي الصلت:**

(ولا أقوات أهلهم العسوم)

وإنّ من مظاهر البخل فيهم، أكل العسوم، وهو فتات الخبز وكسره النتنة المتعفّنة، ولذا قال أمية بن أبي الصلت، في قوم تجنبوا مثل هذه العادة:

---

(١) البخلاء، للجاحظ ٢٣٥. دار الفكر العربي. بيروت ١٩٩٥.
(٢) نفسه ٢٣٥.
(٣) البخلاء ٢١٧.
وضارع: خاضع. والأقيصر: اسم صنم عبدته العرب. وجرم، من قبائل العرب.

ولا يتنازعون عنان شرك ولا أقوات أهلهم العسوم
ولا قدر يقزّز من طعام ولا نصب ولا مولىً عديم[١]

❖ المتلمّس:

(ولا يبقى الكثير مع الفساد)

نسب إلى المتلمّس، الشاعر الجاهلي، البخل، وكان يدافع عن هذه الصفة أو النسبة بحجّة أن المال زينة الرجال، وويل لمن نَفَدَ ماله، وقلّ زاده، وفي هذا يقول:

وحبس المال خير من نفاد وضرب في البلاد بغير زاد
وإصلاح القليل يزيد فيه ولا يبقى الكثير مع الفساد[٢]

❖ كعب بن زهير:

(لبئس الخلّتان البخل والجبن)

ولنعمَ ما قاله كعب بن زهير في البخل والبخلاء، وهو من جيد القول وأحسنه:

بخلاً علينا وجبناً من عدوّكم لبئسما الخلّتان البخل والجبن[٣]

❖ المنهال بن شهاب:

(يا صاح...)

ومن الشعر الذي يهجو فيه صاحبه بخل قوم، هم من بني سدوس، ما قاله المنهال ابن شهاب، من بني عامر، وكان قد مرّ ببني سدوس فما أقروه، ولا أطعموه، فقال مغاضباً، وهو من الرجز:

يا صاح رحّل ضامرات العيس وابك على الطمّ وحبر القوس
فقد خلت قدر بني سدوس وضنّ فيها بقرى خسيس
وسادهم أنكس ذو تيوس قبّحه المليك من رئيس[٤]

❖ النجاشي:

(تعاف الكلاب..)

ومن الهجاء الذائع الصيت، في البخل والبخلاء، واللؤم واللئام، ما قاله قيس بن عمرو بن مالك، يعرف بالنجاشي، في بني العجلان الذين يخشون الأضياف، فيحلبون الشاء والنعم من قبل أن يفد عليهم أو ينزل بهم أحد. يقول النجاشي:

---

(١) البخلاء ٢١٦.
(٢) العقد الفريد ٣ / ٢٧٤. دار ومكتبة الهلال - بيروت.
(٣) نفسه ١ / ٤٧.
(٤) مجمع الأمثال، للميداني ١ / ١٥٥. مطبعة السنة المحمدية - القاهرة ١٩٥٥.
والطم: سيد بني سدوس. والعيس: الإبل. والقرى: طعام الأضياف.

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم وتأكل من عوف بن كعب بن نهشل
ولا يردون الماء إلاّ عشيّة إذا صدر الورّاد عن كلّ منهل
وما سميّ العجلان إلاّ لقوله خذ القعب واجلب أيها العبد واعجل[1]

ولقد يقلب المعنى من الهجاء المحض إلى المدح المحض، وهذا ما فعله من جاء بعده، إذ جعلوا استعجال الرجل من أجل ضيافة القوم، لا من أجل إخفاء الحليب عنهم.

❖ **عمرو بن الأهتم:**

(ولكنّ أخلاق الرجال تضيق)

ومن جيد الشعر في النهي عن البخل، وأثره الفاسد في الأخلاق، أخلاق القوم والرجال، ما قاله عمرو بن الأهتم، كنيته أبو ربعي، وكان يدعى المكتمل، في الجاهلية لجماله. وفد على رسول الله ﷺ وابنته أم حبيب تزوجها الحسن بن علي (ع). أما قول عمرو فهو التالي:

ذريني فإنّ البخل يا أمّ هيثم لصالح أخلاق الرجال سروق
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكنّ أخلاق الرجال تضيق[2]

❖ **المساور بن هند:**

(فبشّرها بلؤم في الغلام)

ومن شعراء الجاهلية والإسلام الذين ذمّوا البخل والبخلاء، المساور بن هند، كنيته أبو الصمعاء، ابن قيس بن زهير. له في هجاء بني أسد، بالبخل واللؤم، قوله، وهو لا يخلو من إقذاع:

إذا أسديّة ولدت غلاماً فبشّرها بلؤم في الغلام
تخرّ سها نساء بني دبير بأخبث ما يجدن من الطعام[3]

❖ **مالك بن عميرة:**

(فأمّا سويد..)

ومن ألطف الشعر في ذمّ البخل، وتصويره، ما قاله مالك بن عميرة بن زرارة الجرشي، نسبة إلى جرش، وفد على خراسان، ويعرف بابن مواكة، ومواكة أمّه، في سويد بن هوبر، وكان من المبخّلين. يقول فيه مالك:

---

(١) الشعر والشعراء، لابن قتيبة ١ / ٢٩٠. دار المعارف - بيروت ١٩٥٨.
(٢) الشعر والشعراء ٢ / ٥٢٩.
(٣) البخلاء، للجاحظ ٢١٤.
وتخرّسها: تطعمها الخرسة، وهو طعام النفساء بعد وضعها حملها.

فأمّا سويد إن طلبت نواله فعند الثريّا، لا ينال يد الدهر[١]

❖ النابغة العدواني:

(ولا هو من بني العاص بزين)

ومن شعر ذمّ البخل والبخلاء، ما قاله النابغة العدواني في عنبسة بن يحيى بن يزيد بن العاص، وكان مبخّلاً. يقول العدواني:

إذا ما جئت عنبسة بن يحيى رجعت مقلّداً خفّي حنين
فما هو بالمومّل من قريش ولا هو من بني العاص بزين[٢]

❖ ابن حبيب الشيباني:

(متى يأته ضيف..)

ومنه أيضاً، ما قاله في بخيل شحيح، ابن حبيب الشيباني، والقول هو التالي:

متى يأته ضيف فليس بذائق لماجاً سوى المسحوط واللبن الإدل[٣]

❖ أبو عدم:

(أغنى ابن عمرو..)

ومن الرجاز الذين قالوا في البخل، قول أبي عدم الراجز، الكلابي، في صفة بخيل، وهو:

أغنى ابن عمرو عن بخيل فجفاج ذي هجمة يخلف حاجات الراجْ
شحم نواصيها عظام الإنتاج ما ضرّها مسّ زمان سماج[٤]

❖ أحدهم:

(فافٌ لكم..)

من الأمثال السائدة قولهم: «أبخل من مادر»، وهو رجل من بني هلال بن عامر، بلغ من بخله أنه كان يسقي إبله، فبقي في أسفل الحوض ماء قليل، فسلح فيه، ومدر الحوض به، فسمّي مادراً. وفي بني هلال قوم مادر، البخيل، يقول الشاعر:

لقد جلّلت خزياً هلال بن عامر بني عامر طرّاً بسلحة مادر
فأفٌ لكم لا تذكروا الفخر بعدها بني عامر، أنتم شرار العشائر[٥]

---

(١) معجم الشعراء ٣٦٥، للمرزباني. ط. القاهرة.
(٢) المؤتلف والمختلف، للآمدي ١ / ١٩٢. ط. القاهرة.
(٣) نفسه ١ / ١٠٤.
والمسحوط: المخلوط الممزوج بغيره. واللماج: أدنى الأكل وأحطّه.
(٤) البيان والتبيين، للجاحظ ٢ / ٤٢٦. دار صعب - بيروت ١٩٦٨ م.
والفجفاج: المهذار الكثير الكلام. والسمّاج: الشديد المجدب.
(٥) المحاسن والأضداد ٥٢. دار صادر - بيروت ١٩٦٩.

❖ حسّان:

(لا ينبت العشب عن برق وراعدة)

ومن جيد الشعر، ما قاله حسّان بن ثابت الأنصاري، الشاعر الجاهلي الإسلامي (ت ٥٠ هـ / ٦٧٤)، في رجل مطله الوعد، وأرجف بالباطل، وما كان وعده إلاّ التسويف والكذب.

يقول حسّان:

إنّي لأعجب من قول غررت به ... حلو يمدّ إليه السمع والبصر
لو تسمع العصم من صمّ الجبال به ... ظلّت من الراسيات العصم تنحدر
كالخمر والشهد يجري فوق ظاهره ... وما لباطنه طعم ولا خبر
وكالسراب شبيهاً بالغدير وإن ... تبغ السراب فلا عين ولا قطر
لا ينبت العشب عن برق وراعدة ... غرّاء ليس لها سيل ولا مطر[1]

(إن سرّك الغدر....)

ومن أقذع هجاء حسّان، هجاؤه بني هذيل ولحيان، كانوا لشدّة بخلهم، يرمون ومعهم أسد وباهلة والعنبر، بأكل لحوم البشر. يقول حسّان:

إن سرّك الغدر صرفاً لا مزاج له ... فائت الرجيع وسل عن دار لحيان
قوم تواصوا بأكل الجار بينهم ... فالشاة والكلب والإنسان سيّان[2]

❖ أحدهم

(خليلي...)

ومن ألطف ما قيل في بعض البخلاء، ومنهم ابن فرعة، وأبو يحيى، يقول أحد الشعراء:

خليليّ من كعب أعينا أخاكما ... على دهره إنّ الكريم معين
ولا تبخلا بخل ابن فرعة إنّه ... مخافة أن يرجى نداه حزين
كأنّ عبيدالله لم يلقَ ماجداً ... ولم يدر أنّ المكرمات تكون
فقل لأبي يحيى متى تدرك العلا ... وفي كلّ معروف عليك يمين
إذا جئته في حاجة سدّ بابه ... فلم تلقه إلاّ وأنت كمين[3]

❖ عبد الرحمٰن بن حسّان:

(ذممت ولم تحمد...)

وفي بخيل ضنّ بماله، وكان والياً، وقد سأله عبدالرحمٰن بن حسّان بن ثابت الأنصاري، فلم يقض حاجته، فقال عبدالرحمٰن هاجياً وعاتباً:

---

(١) المحاسن والأضداد ٥٦. دار صادر - بيروت ١٩٦٩.
(٢) البخلاء، للجاحظ ٢١٤.
(٣) العقد ٣ / ٢٧١.

ذممت ولم تحمد وأدركت حاجتي ... تولّى سواكم أجرها واصطناعها
أبى لك كسب المجد رأي مقصّر ... ونفس أضاق الله بالخير باعها
إذا هي حثّته على الخير مرّة ... عصاها وإن همّت بشرّ أطاعها[1]

❖ أحدهم:

(وأمّا بأسه فعلى الكلاب)

وفي أحد البخلاء، وقد ضنّ على ذوي الحاجات بعطائهم، يقول أحدهم:

له يومان يوم ندى ويوم ... يسلّ السيف فيه من القراب
فأمّا جوده فعلى النصارى ... وأمّا بأسه فعلى الكلاب[2]

❖ آخر:

(ومال يزيد كلّه ليزيد)

وأما البخيل الآخر، فلا يجود إلاّ على نفسه، وهيهات أن يعرف قراه الآخرون، يقول أحدهم:

فأمّا قراه كلّه فلنفسه ... ومال يزيد كلّه ليزيد[3]

❖ أبو مهوّش:

(إذا مات ميّت...)

من الذين عرفوا بالبخل، وسبّوا باللؤم والشحّ، ومنع البذخ، والجشع والطمع في ما عند غيرهم، في الجاهلية والإسلام، بنو تميم. يقول فيهم أبو المهوّش الفقعسي، وقيل هو أبو الهوش الأسدي:

إذا ما مات ميّت من تميم ... فسرّك أن يعيش فجيء بزاد
بخبز أو بتمر أو بلحم ... أو الشيء الملفّف في البجاد
تراه ينقّب البطحاء حولاً ... ليأكل رأس لقمان بن عاد[4]

❖ يزيد بن عمرو:

(ألا أبلغ..)

وفي حب تميم للطعام على موائد الغير، والبخل به على موائدهم، يقول يزيد بن عمرو بن الصعق:

---

(١) العقد ٣ / ٢٧١
(٢) العقد ٣ / ٢٧١.
(٣) العقد ٣ / ٢٧١.
(٤) الكامل ١ / ١٠٠.
لقمان: هو لقمان الحكيم. والبجاد: والثوب المخزّز.

ألا أبلغ لديك بني تميم بآية ما يحبّون الطعاما[١]

❖ ابن حبناء:

(لحى الله أكبانا...)

ومن الذين بخلوا بالمال، وضنّوا بالطعام، على الشبع من بعد مسغبة، أخو صخر بن حبناء، وقيل هو يزيد بن حبناء، يقول هذا في أخيه الشحيح:

لحى الله أكبانا زناداً وشرّنا وأيسرنا عن عرض والده ذبّا
رأيتك لمّا نلت مالاً ومسّنا زمان ترى في حدّ أنيابه شغبا
جعلت لنا ذنباً لتمنع نائلاً فامسك ولا تجعلَ غناك لنا ذنبا[٢]

❖ أحدهم:

(ربّ أضياف...)

ومن الهجاء المقذع لأناس بخلاء، لا يحسنون إقراء الأضياف، قول أحدهم:

ربّ أضياف بقوم نزلوا فقروا أضيافهم لحماً وجِرْ
وسقوهم بإناء كلع لبناً من دم مخراط فئِرْ[٣]

❖ آخر:

(رأى الضّيف..)

وآخر في هجاء بعض البخلاء، قوله:

رأى الضّيف مكتوباً على باب داره فصحّفه ضيفاً فقام إلى السيف
فقلنا له خيراً فظنّ بأنّنا نقول له خبراً فمات من الخوف[٤]

❖ تميميّ:

(لو أنّ قدراً...)

ومن الهجاء الفكه العاتب هجاء بعض التميميين البخيل المدعوّ بابن هبّار. يهجوه ويهجو قدره التي حبست من النار، لشدّة بخله، فهي لا تعرف اللحم، ولا العظم. يقول هذا التميمي:

---

(١) الكامل ١ / ١٠٠.
(٢) الكامل في اللغة والأدب ١ / ١٢٤. للمبرد. مكتبة المعارف - بيروت.
وأكبانا زناداً: أخفقه. والزناد: ما تقدح به النار. والشغب: اللؤم والشرّ والأذى.
(٣) الكشكول، للبهائي ٢ / ١٩٢. دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٨٣ م.
والإناء الكلع: الإناء المتراكم عليه الوسخ. والمخراط: الناقة التي بها مرض ويكون لبنها معقداً وفيه دم. والفئر: ما شربت منه الفأرة.
(٤) نفسه ٢ / ٣٢٤.

لو أنّ قدراً بكت من طول ما حبست ... من الحفوف بكت قدر ابن هبّار
ما مسّها دسم مذ فضّ معدنها ... ولا رأت بعد نار القين من نار[١]

❖ الحطيئة:

(دعت ربّها...)

من شعر البخل والشحّ بالمال، الشعر الذي قاله الحطيئة، (ت ٦٧٩ م)، واسمه جرول بن أوس، عرف بهجائه المرّ، وبخله، وسلاطة لسانه، وفحشه. والمعروف عن الحطيئة أنه لم ينزل ضيف قط به إلاّ هجاه، فنزل به رجل من بني أسد، قيل إنه هو صخر بن أعياء الأسدي، فسقاه شربة من لبن، فلمّا شربها، قال الحطيئة:

لما رأيت أن من يبتغي القرى ... وأن ابن أعيا لا محالة فاضحي
سددت حيازيم ابن أعيا بشربة ... على ظمأ شدّت أصول الجوانح
ولم أك مثل الباهليّ وعرسه ... بغى الودّ من مطروفة العين طامح
غدا باغياً يبغي رضاها وودّها ... وغابت له غيب امرىء غير ناصح
دعت ربّها أن لا يزال بفاقة ... ولا يغتدي إلاّ رأى حدّ بارح[٢]

فأجابه صخر بن أعيا ناقماً، مزرياً عليه بخله ولؤمه، فقال:

ألا قبّح الله الحطيئة إنّه ... على كلّ ضيف ضافه هو سانح
دفعت إليه وهو يخنق كلبه ... ألا كلّ كلب لا أبا لك نابح
بكيت على مذق خبيث قريته ... ألا كلّ عبسي على الزاد شائح[٣]

(وسلّم مرتين....)

ومن طريف شعر الحطيئة، الذي ينمّ عن بخله وشحّه، ولؤم طبعه، قوله هاجياً رجلاً من أضيافه:

وسلّم مرتين فقلت مهلاً ... كفتك المرّة الأولى السلاما
ونفق بطنه ودعا رؤاساً ... لما قد نال من شبع وناما[٤]

(دع المكارم..)

وفي الزبرقان وقومه، وكانوا ملّوا قرى بغيض بن شماس، يقول الحطيئة هاجياً، منذّداً ببخل القوم، وعدم حفاظهم ورعايتهم للضيافة:

---

(١) البخلاء ٣ / ٥١، للجاحظ. دار الفكر العربي - بيروت ١٩٩٥ م.
والقين: الحداد.
(٢) الأغاني ٢ / ٤٧، دار عزالدين - بيروت.
(٣) نفسه ٢ / ٤٧.
(٤) نفسه ٢ / ٤٧.

لما بدا لي منكم عيب أنفسكم ... ولم يكن لجراحي فيكم آسي
أزمعت يأساً متيناً من نوالكم ... ولن يرى طارد للحرّ كالياس
جار لقوم أطالوا هون منزله ... وغادروه مقيماً بين أرماس
ملّوا قراه وهرّته كلابهم ... وجرّحوه بأنياب وأضراس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنّك أنت الطاعم الكاسي[1]

(فبنو بجاد في القرى لم يحمدوا)

ومما هجا به الحطيئة بني بجاد، لبخلهم ولعدم حمدهم في إقراء الضيف، قوله:

قبح الإله بني بجاد إنّهم ... لا يصلحون وما استطاعوا أفسدوا
بُلد الحفيظة واحد مولاهم ... جُمد على من ليس عند مجمد
من كان يحمد في القرى ضيفانه ... فبنو بجاد في القرى لم يحمدوا[2]

(وكان القرى فيهم كحزّ الحلاقم)

ومن نادر هجائه بني شعل، وكان الحطيئة قد ورد على سيدهم ابن شعل مستسقياً ماءً في يوم حار قائظ فما سقاه، ولا قراه طعاماً، قوله:

أتيت ابن شعل بالحشاشة صادياً ... وقد ركدت يوماً أصول السمائم
فقلت له يا انقع صداي بشربة ... من الماء تقصي عنك لومة لائم
فقال انتسب أعلم مواقع نعمتي ... وكان القرى فيهم كحزّ الحلاقم
فقلت له أمسك فحسبك إنّما ... سألتك صرفاً من جياد الحراقم[3]

وينسب إلى الحطيئة في هجاء الأضياف، والدفاع عن البخل، قوله:

أعددت للضيفان كلباً ضارياً ... وهراوة مجلوزة من أرزن
ومعاذراً كذباً ووجهاً باسراً ... وتشكّياً غضّ الزمان الألزن
وشذاة مرهوب الأذى قاذورة ... خشن جوانبه دلوظ ضيزن
وبكفّ محبوك اليدين عن العلا ... والباع مسودّ الذراع مقحزن
وتجنّياً لهم الذنوب وألتقي ... بغليظ جلد الوجنتين عشوزن[4]

---

(١) الأغاني ٢ / ٥٢.
(٢) ديوان الحطيئة ١٦١. دار صادر - بيروت ١٩٦٧ م.
وبلد، جمع بليد، الرخو الذليل. وجمد: من الجماد، كناية عن بخلهم.
(٣) الديوان ١٨٦.
والحراقم: الأدم السود. وقيل بل هي الشاء، وقيل بل هي قبيلة المهجو. والصادي: العطشان. والحشاشة: بقية النفس في البدن. والسمائم: من الرياح الحارة.
(٤) البيان والتبيين ٢ / ٤٢٨.
والهراوة: العصا الغليظة. ومجلوزة: محكمة. والأرزن: من الشجر الصلب. وباسراً: كالحاً غاضباً. والألزن: الشديد. والشذاة: البقيّة. ودلوظ: مندفعة. والضيزن: من يزاحمك عند الاستسقاء. ومقحزن: صريع. والعشوزن: الغليظ.

❖ **الأسود بن يعفر:**

(وجار أبي التيحان ظمآن جائع)

وفي أبي التيحان بن بلج، البخيل ذي الطبع اللئيم، يقول الأسود بن يعفر العجلي، أحد فصحاء الجاهلية وشعرائها:

وإنـى لأقـري الـضـيـف وصـىّ بـه أبـي ... وجـار أبـي الـتـيـحـان ظـمـآن وجـائـع
وإن يـك مـدلـولاً عـلـيّ فـإنّـنـى ... أخو الحرب لا قحم، ولا متجازع[1]

(١) الأغاني ١١ / ١٣٢.
والقحم: الكبير السن، المتخاذل.

القسم الثاني

في العصر الأموي

❖ نويرة المازني:

(لو كان يشفيك لحم الجزر من قرم)

ومن العمال البخلاء، زمن الأمويين، الحكم بن أيوب الثقفي، كان عاملاً للحجاج على البصرة، استعمل على العرق، اسم موضع بعينه، جرير بن بيهس المازني، ولقّب بجرير العطرّق. حضر بيهس يوماً غداء الحكم، فتناول دراجة كانت بين يديه، فعزله، وولّى مكانه نويرة المازني، ابن عمّه، فقال نويرة:

قد كان في العرق صيد لو قنعت به ... فيه غنىً لك عن درّاجة الحكم
وفي عوارض لا تنفكّ تأكلها ... لو كان يشفيك لحم الجزر من قرم
وفي وطاب محلاّة مثمّمة ... فيها الصريح الذي يشفي من القرم[1]

فلما عرف الحكم أن نويرة ابن عم جرير، عزله، فقال نويرة:

أبا يوسف لو كنت تعرف طاعتي ... ونصحي إذاً ما بعتني بالمحلّق
ولا انهلّ سرّاق العراقة صالح ... عليّ ولا كلّفت ذنب العطرّق[2]

❖ الفرزدق:

(إذا أسديّ جاع...)

ومن ألأم وأفحش ما قاله الفرزدق، أحد أشهر شعراء العصر الأموي، واسمه همّام ابن غالب بن صعصعة (ت ٧٣٣ م) في بخل بني أسد ولؤمهم، قوله:

إذا أسديّ جاع يوماً ببلدة ... وكان سميناً كلبه فهو آكله[3]

(دعاني زياد)

وفي زياد بن أبيه وبخله، يقول الفرزدق:

دعاني زياد للعطاء ولم أكن ... لأقر به ما ساق ذو حسب وفرا
وعند زياد لو يريد عطاءهم ... رجال كثير قد برى بهم فقراً[4]

❖ الضحاك بن فيروز:

(وبطنك شبر أو أقلّ من الشبر)

وفي عبدالله بن الزبير، وهو المعروف بالحرص وشدّة البخل، يقول الضحاك بن فيروز، وهو الذي أزرى بثورة ابن الزبير في وجه الأمويين:

---

(١) البخلاء ١٥٧.

والقرم: شدة الشهوة إلى اللحم. والوطاب: سقاء اللبن. والعوارض: صفة للإبل. والدراجة: واحدة الدراج، من الطيور. ومثمّمة: عليها الثمام، من نبات البادية، ترعاه الإبل.

(٢) نفسه ١٥٧.

(٣) البخلاء ٢٣٢.

(٤) العقد ٣ / ١١٨.

تخبّرنا أن سوف تكفيك قبضة ... وبطنك شبر أو أقلّ من الشبر
وأنت إذا ما نلت شيئاً قضمته ... كما قضمت نار الغضا حطب السدر
فلو كنت تجزي إذ تبيت بنعمة ... قريباً لردّتك العطوف على عمرو[١]

❖ الأخطل:

(قالوا لأمّهم بولي على النار)

ومن ألأم الهجاء، في وصف البخل، وهذا ما لم يسبق إليه، قول الأخطل في الذين بلغ البخل عندهم حدّاً من الضعة والهوان والصغار والشحّ، أن يطلبوا من أمّهم أن تبول على النار، فتطفئها، حتى لا يهتدي بها طارق ليل جائع أو مقرور. والقول هو:

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم ... قالوا لأمّهم بولي على النار
فضيقت فر.. بخلاً ببولتها ... فلا تبول لهم إلاّ بمقدار[٢]

(واللؤم تحت عمائم الأنصار)

ومن ألأم الهجاء في البخل والضعة والصغار، ما قاله الأخطل في الأنصار، وفي عبدالرحمٰن بن حسّان، خاصة، وهو:

ذهبت قريش بالمكارم كلّها ... واللؤم تحت عمائم الأنصار
قوم إذا حضر العصر رأيتهم ... حمراً عيونهم من المسطار
وإذا نسبت إلى الفريعة خلته ... كالجحش بين حمارة وحمار
فدعوا المكارم لستم من أهلها ... وخذوا مساحيكم بني النجّار[٣]

❖ كعب الأشقري:

(لقد خاب أقوام..)

ولكعب الأشقري في ذمّ بني لجيم، يهجوهم بالبخل، وبعدم إقراء الضيف، قوله:

لقد خاب أقوام سروا ظلم الدجى ... يؤمّون عمراً ذا الشعير وذا البرّ

---

(١) مروج الذهب، للمسعودي ٣ / ٨٥. دار المعرفة - بيروت ١٩٨٢.
(٢) الأغاني ٧ / ١٧٧.
قال الصفدي: اشتمل قول الأخطل هذا على معايب، منها أنهم لم يعطوا الضيف شيئاً حتى يرضى بنباح كلبهم فيستنبح. وثانيها، أنّ لهم ناراً قليلة لفقرهم تطفأ ببول امرأة. وثالثها أنّ أمّهم التي تخدمهم فليس لهم خادم غيرها. ورابعها، أنّهم كسالى عن مباشرة أمورهم حتى تقوم بها أمّهم. وخامسها، أنّهم عاقّون لأمّهم حيث يمتهنونها في الخدمة. وسادسها، عدم أدبهم لأنهم يخاطبون أمهم هذه المخاطبة التي تستحيي منها الكرام. وسابعها، أنهم يبولون عند مواقدهم لأنهم قالوا لها: بولي على النار، ولم يقولوا لها قومي إلى النار. وثامنها، أنهم جبناء لا يرقدون. وتاسعها، قذارتهم لأنهم لا يتألمون لما يصعد من رائحة البول. وعاشرها إلزام والدتهم أن لا تبول إلاّ بمقدار. وحادي عشرها، إفراطهم في البخل لجهة إشفاقهم على الماء أن تنطفىء به النار.
(٣) العقد ٣ / ١١٨.
والمساحي، جمع مسحاة، وهي الآلة تسوّى بها الأرض.

يؤمّون من نال الغنى بعد شيبه ... وقاسى وليداً ما يقاسي ذوو القفر
فقل للجيم يال بكر بن وائل ... مقالة من يلحي أخاه ومن يزري
فلو كنتم حيّاً صميماً نفيتم ... بخيلكم بالرغم منه وبالصغر
هو المانع الكلب النباح وضيفه ... خميص الشوى يرعى النجوم التي تسري[1]

❖ **وائلة السدوسي:**

(رأيتك لمّا شبت...)

ومن الهجاء الذي هجا به وائلة السدوسي عبدالملك بن المهلّب، وكان مبخّلاً قوله، وهو في الغاية من الإجادة:

لقد صبرت للذلّ أعواد منبر ... تقوم عليها في يديك قضيب
بكى المنبر الغربيّ إذا قمت فوقه ... وكادت مسامير الحديد تذوب
رأيتك لمّا شبت أدركك الذي ... يصيب سراة الأزد حين تشيب
سفاهة أحلامك وبخل بنائل ... وفيك لمن عاب المزون عيوب
وقد أوحشت منهم رساتيق فارس ... وبالمصر دور جمّة ودروب
إذا عصبة ضجّت من الجرح ناسبت ... مزونيّة إنّ النسيب نسيب[2]

❖ **أعشى همدان:**

(أتذكرنا..)

ومن شعر الهجاء في البخل والمبخّلين، هجاء أعشى همدان في خالد بن عتاب بن ورقاء، وقومه، قوله:

تمنّيني إمارتها تميم ... وما أمري وأمر بني تميم
وكان أبو سليمان خليلي ... ولكنّ الشراك من الأديم
أتينا أصبهان فهزلتنا ... وكنّا قبل ذلك في نعيم
أتذكرنا ومرّة إذ غزونا ... وأنت على بغيلك ذي الشؤوم
ويركب رأسه في كلّ وحل ... ويعثر في الطريق المستقيم
وليس عليك إلاّ طيلسان ... نصيبيّ وإلاّ سحق نيم[3]

---

(١) الأغاني ١٣ / ٦٠.
(٢) البيان والتبيين ٢ / ٣٦٨.
(٣) البيان والتبيين ٣ / ٥٨٢.
نصيبي: نسبة إلى نصيبين. والطيلسان: الثوب الفاخر والطويل.
والسحق: الثوب البالي. والنيم: الفرو القصير.

❖ نصيب:

(فلا الدهر مبقيه ولا الشحّ وافره)

ومن جيد الشعر في النهي عن الشحّ والبخل، وجمع المال، ما قاله نصيب بن رباح، كنيته أو الحجناء، مولى عبدالعزيز بن مروان، وهو قوله:

ومن يبق مالاً عدّة وصيانة ... فلا الدهر مبقيه ولا الشحّ وافره
ومن يك ذا عود صليب يعدّه ... ليكسر عود الدهر فالدهر كاسره[1]

❖ الحكم بن عبدل:

(رأيت محمّداً شرهاً ظلوماً)

ومن الذين بخلوا بالمال، وضنّوا به على ذوي الحاجة، محمّد بن حسّان بن سعد. كان الحكم بن عبدل، أخو بني نصر بن قعين، وهو من شعراء الدولة الأموية، كان سأله حاجة لرجل، فردّه، ولم يقضها، فقال فيه ابن عبدل مزرياً على الرجل بخله ولؤمه:

رأيت محمّداً شرهاً ظلوماً ... وكنت أراه ذا ورع وقصد
يقول أماتني ربّي خداعاً ... أمات الله حسّان بن سعد
فلولا كسبه لوجدت فسلاً ... لئيم الكسب شأنك شأن عبد
ركبت إليه في رجل أتاني ... كريم يبتغي المعروف عندي
فقلت له وبعض القول نصح ... ومنه ما أسرّ له وأبدي
توقّ كرائم البكريّ إنّي ... أخاف عليك عاقبة التعدّي
أقرّب كلّ آمرة لديه ... فما يزداد منّي غير بعد
فأقسم غير مستثنٍ يميناً ... أبا بحر لتتخمنّ ردّي
فما صادفت في قحطان مثلي ... كما صادفت مثلك في معدّ
أقلّ براعة وأشدّ بخلاً ... وألأم عند مسألة وحمد
فلو كنت المهذّب من تميم ... لخِفْت ملامتي ورجوت حمدي[2]

❖ غسان بن ذهيل:

(... لقد أخزى كليباً جريرها)

ومن الهجاء المرّ، هجاء غسّان بن ذهيل لجرير وقومه بالبخل واللؤم وشدّة الحرص. والهجاء هو:

لعمري لئن كانت بجيلة زانها ... جرير لقد أخزى كليباً جريرها

(١) البيان ٢ / ٤٢٤.
(٢) الأغاني ٢ / ١٤٨.

رميت نصالاً عن كليب فقصّرت ... مراميك حتى عاد صفراً جفيرها
ولا يذبحون الشاة إلاّ بميسر ... طويل تناجيها صغار قدورها[1]

❖ القطامي:

(ولا بدّ أنّ الضيف يخبر ما رأى)

ومن نادر الشعر في هجو البخل وأصحابه، ما قاله عمير بن شييم، وكان نصرانياً، يعرف بالقطامي، وهو شاعر إسلامي مقلّ، قاله في امرأة من محارب قيس، كان الشاعر قد نزل بها في بعض أسفاره. فنسبها، فقالت: أنا من قوم يشتوون القدّ من الجوع، أي الجلد، قال ومن هؤلاء، ويحك؟ قالت محارب. ولم تقره، ولم تطعمه شيئاً، فبات عندها بأسوأ ليلة، فقال فيها:

ولا بدّ أنّ الضيف يخبر ما رأى ... مخبّر أهل أو مخبّر صاحب
سأخبرك الأنباء عن أمّ منزل ... تضيّفتها بين العذيب فراسب
تلفّعت في طلّ وريح تلفّني ... وفي طرمساء غير ذات كواكب
إلى حيزبون توقد النار بعد ما ... تلفّعت الظلماء من كلّ جانب
وتصلى بها برد الشتاء ولم تكن ... تخال وميض النار يبدو لراكب
فما راعها إلاّ بغام مطيّة ... تريح بمحسور من الصوت لاغب
فجئت جنوناً من أولات مناحة ... ومن رجل عاري الأشاجع لاغب
تقول وقد قرّبت كوري وناقتي ... إليك فلا تذعر عليّ ركائبي
فلمّا تنازعنا الحديث سألتها ... من الحيّ قالت معشر من محارب
من المشتوين القدّ ممّا تراهم ... جياعاً وزين الناس ليس بعازب
فلمّا بدا حرمانها الضيف لم يكن ... عليّ مناخ السوء ضربة لازب
وقمت إلى مهريّة قد تعوّدت ... يداها ورجلاها حثيث المواكب[2]

والأبيات أعلاه، جميعاً، مأخوذة من قصيدة مشهورة، للقطامي، مطلعها:

نأتك بليلى نيّة لم تقارب ... وما حبّ ليلى من فؤادي بذاهب

❖ الخزاعي:

(إذا المال...)

عرف هشام بن عبدالملك ببخله وشدّة حرصه، قال خالد بن صفوان: دخلت على

---

(١) الأغاني ٧ / ٤٠.
والجفير: جعبة من جلد لا خشب لها.
(٢) الأغاني ٢٠ / ١١٩.
الطرمساء: الليلة الشديدة الظلام.

هشام، فأطرفته، وحدثته فقال سل حاجتك. فقلت: يا أمير المؤمنين، أتريد في عطائي عشرة دنانير؟ فأطرق حيناً، وقال: فيم ولِمَ وبِمَ؟ العبارة أحدثتها، أم لبلاء حسن أبليته في أمير المؤمنين. ألا، لا، يا ابن صفوان، ولو كان لكثر السؤال، ولم يحتمله بيت المال. فقلت: وفقك الله يا أمير المؤمنين، وسدّدك، فأنت، والله، كما قال أخو خزاعة:

إذا المال لم يوجب عليك عطاءه ... صنيعة قربى أو صديق توافقه
منعت وبعض المنع حزم وقوّة ... ولم يستلبك المال إلاّ حقائقه

ولما أنهى ابن صفوان استشهاده بهذا الشعر، قيل له ما حملك على تزيين البخل له، وكان ابن صفوان من البخلاء، قال أحببت أن يمنع غيري، فيكثر من يلومه[١].

وعلى ذكر هشام بن عبدالملك، وبخصوص البخل الذي شهر به، قالوا إنه خرج يوماً متنزهاً، ومعه الأبرش الكلبي، فمرّ براهب في دير، فعدل إليه، فأدخله الراهب بستاناً له، وجعل يجتني له أطايب الفاكهة، فقال له هشام: يا راهب، بِعْني بستانك، فسكت عنه الراهب. ثم أعاد عليه فسكت عنه، فقال له مالك: لا تجيبني. فقال: وددت أن الناس كلّهم ماتوا غيرك. قال: لماذا، ويحك. قال: لعلّك أن تشبع، فالتفت هشام إلى الأبرش، فقال: أما سمعت ما قال هذا؟ قال: والله، إن لقيك حرّ غيره[٢].

❖ **العلبي:**

(أيا عمرو..)

ومن أطرف ما قاله أبو عدّي العلبي، زمن معاوية، في العرجي، الشاعر، وكان العلبي قد نزل ضيفاً على العرجي، فما أحسن هذا ضيافته، حينما بعث إليه ببعض الخبز واللبن، له ولغلامه، وببعض الحمض لرواحله، فيما قدم لرواحل ابن وردان القتّ والشعير، وله ما قدم القسب والجلجلان. فسخط العلبي، وقال هاجياً العرجي:

أيا عمرو لم لا تنزل الركب إذا أتوا ... منازلهم والركب يحفون بالركب
رفعت لئام الناس فوق كرامهم ... وآثرتهم بالجلجلان وبالقسب
فأمّا بعيرانا فبالحمض غذّيا ... وأوثر عبّاد بن وردان بالقضب

فكتب إليه العرجي:

أتانا فلم نشعر به غير أنه ... له لحية طالت على حمق القلب
كراية بيطار بأعلى حديدة ... إذا نصبت لم تكسب الحمد بالنصب

---

(١) العقد الفريد ٣ / ٢٦٤.
(٢) نفسه ٣ / ٢٦٤.

أتانا على سغب يعرّض بالقرى ... وهل فوق قرص من قرى صاحب السغب

فارتحل أبو عدي مغضباً، وقال هاجياً، منذّراً ببخل العرجي ولؤمه:

سرت ناقتي حتى إذا ملّت السرى ... وعارضها عرج الجباية والخصب
طواها الكرى بعد السرى بمعرّس ... وشيخ جديب بئس مستعرض الركب
وهمّت بتعريس فحلّت قيودها ... إلى رجل بالعرج ألأم من كلب
تحطّى قليلاً ثم جاء بصربة ... وقرص شعير مثل كركرة السغب
فقلت له أردد قراك مذمّماً ... فلست إليه بالفقير ولا صحبي
جزى الله خيراً خيرنا عند بيته ... وأنحرنا للكوم في اليوم ذي السغب
لقد علمت فهر بأنّك شرّها ... وآكل فهر للخبيث من الكسب[1]

❖ **الأعور النبهاني:**

(كفى الذمّ أن يأتي الضيوف جرير)

ومن ألأم الهجاء، هجاء البخل والبخلاء، ما قاله شحمة الأعور النبهاني، يهجو جريراً، وكان هذا قد ضنّ عليه بالمال لما سأله، فقال شحمة:

أقول لأصحابي النجاء فإنّه ... كفى الذمّ أن يأتي الضيوف جرير
جرير ابن ذات البظر هل أنت زائل ... لقد زلّ دون النازلين ستور
وهل يكرم الأضياف كلب لكلبة ... لها عند أطناب البيوت هرير

فأجابه جرير قائلاً:

وجدنا بني نبهان أذناب طيّء ... وللناس أذناب ترى وصدور
ستأتي بني نبهان منّي قصائد ... تطلّع منا سلمى وهنّ وعور
ترى قدم المعزى مهور نسائكم ... وفي قدم المعزى لهنّ مهور[2]

❖ **شبيب بن البرصاء:**

(أفي حدثان الدهر...)

ومن جيد شعر البخل ما قاله شبيب بن البرصاء، وأعانه في قوله أو قل شاركه وأجازه، كل من أرطأة بن زفر، وعويف القوافي. في رجل من أشجع كثير المال، يسمّى علقمة، وكانوا نزلوا به، فأتاهم بشربة لبن ممذوقة، نتنة، ولم يذبح لهم، فلمّا رأوا ذلك منه قاموا إلى رواحلهم فركبوها، ثم هجوه، فقال شبيب:

أفي حدثان الدهر أم في قديمه ... تعلّمت أن لا تقري الضيف علقما

---

(١) الأغاني ١ / ١٥٤.
(٢) نفسه ٧ / ٤٦.

وقال أرطاة:

لبثنا طويلاً ثمّ جاء بمذقة كماء السلافي جانب القعب أثلما

وقال عويف:

فلمّا رأينا أنّه شرّ منزل رمينا بهنّ الليل حتى تحرّما[1]

❖ **حمزة بن بيض:**

(لعن الإله قرية يقمتها)

من شعراء الدولة الأموية الكوفيين، وكان خليعاً ماجناً، حمزة بن بيض الحنفي، حدث أبو سفيان الحميدي، قال خرج حمزة بن بيض يريد سفراً، فاضطرة الليل إلى قرية عامرة كثيرة الأهل والمواشي من البقر والشاء، كثيرة الزرع، فلم يصنعوا به خيراً، فغدا عليهم، فقال هاجياً بخلهم ونكرانهم الجميل، واصطناع المعروف:

لعن الإلٰه قرية يقمتها فأضافني ليلاً إليها المغرب
الزارعين وليس من زرع بها والحالبين وليس لي ما أحلب
ولعلّ طاعوناً يصيب علوجها ويصيب ساكنها الزمان فتخرب
فلعلّ ذاك الزرع يؤذي أهله ولعلّ ذاك الشاء يوماً يجرب

قال فلم يمرّ بتلك القرية سنة حتى أصابهم الطاعون، فأباد أهلها، وخربت إلى اليوم، فمرّ بها ابن بيض، فقال كلاّ، زعمت أني لم أعط أمنيتي؟ قالوا: وأبيك، لقد أعطيتها، فلو كنت تمنيت الحسنة كان خيراً لك. قال: أنا أعلم بنفسي، لا أتمنى ما لست له بأهل، ولكن أرجو رحمة ربيّ عزّ وجلّ[2].

ومن نوادر ابن بيض مع البخلاء ما خبر به ابن عنبسة، قال خرج ابن بيض في سفر فنزل بقوم، فلم يحسنوا ضيافته، وأتوه بخبز يابس، وألقوا لبغلته تبناً، ولا شعير، فأعرض عنهم، وأقبل على بغلته، فقال:

أختنا في ليلة أدلجتها فكلي إن شئت تبناً أو ذرى
قد أتى ربّك خبز يابس فتغذّي وتعزّي واصبري[3]

❖ **أبو العباس الأعمى:**

(بني أسد...)

ومن الشعر في البخل، ما قاله أبو العباس الأعمى في ابن الزبير وقومه، وكان ابن

---

(١) الأغاني ١١ / ٩٢.
(٢) الأغاني ١٥ / ١٦.
(٣) الأغاني ١٥ / ١٦.

الزبير قد نفاه إلى الطائف من مكة، بحجة أنه مرواني الهوى، فهجا الشاعر ابن الزبير وقومه متهماً إياهم بالحمق والجهل والبخل، فقال:

بني أسد لا تذكروا الفخر إنكم ... متى تذكروه تكذبوا وتحمّقوا
متى تسألوا فضلاً تضنّوا وتبخلوا ... ونيرانكم بالشرّ فيها تحرّق
إذا استبقت يوماً قريش خرجتم ... بني أسد سكتاً وذو المجد يسبق
تجيئون خلف القوم سوداً وجوهكم ... إذا ما قريش للأضاميم أصفقوا
وما ذاك إلاّ أنّ للؤم طابعاً ... يلوح عليكم وسمه ليس يخلق[1]

❖ **المقنّع الكندي:**

(إنّي أحرّض أهل البخل..)

ومن أجمل ما قيل في البخل وجمع المال، ما قاله المقنّع الكندي، واسمه محمّد، لقب بالمقنّع، لأنّه كان أجمل الناس وجهاً، فإذا سفر اللثام عن وجهه أصابته العين، فما يرى إلاّ مقنعاً ملثماً. أما قول المقنّع ففيه تلميح إلى بخل عبدالملك بن مروان، وكان أول خليفة ظهر منه بخل، وهو:

إنّي أحرّض أهل البخل كلّهم ... لو كان ينفع أهل البخل تحريضي
ما قلّ مالي إلاّ زادني كرماً ... حتى يكون برزق الله تعويضي
والمال يرفع من لولا دراهمه ... أمسى يقلّب فينا طرف مخفوض
لن تخرج البيض عفواً من أكفّهم ... إلاّ على وجع منهم وتمريض
كأنّها من جلود الباخلين بها ... عند النوائب تحذى بالمقاريض

فقال عبدالملك لما سمع الأبيات، وعرف ما أراد المقنّع، الله أصدق من المقنّع حيث يقول: ﴿**والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا**[2]﴾.

❖ **حميد أرقط:**

(ما بين لقمته..)

ومن البخلاء الشعراء الرجّاز، حميد الأرقط، لقب بذلك لرقطة في وجهه، ولقّب بهجّاء الأضياف، للؤمه وشدّة بخله. وهو القائل في ضيف نزل به وآكله:

ما بين لقمته الأولى إذا انحدرت ... وبين أخرى تليها قيد أظفور[3]

---

(١) الأغاني ١٥ / ٦٠.
وسكتاً: جمع سكيت، وهو الذي يأتي متأخراً من الخيل في السباق.
(٢) الأغاني ١٥ / ١٥٢.
(٣) العقد ٣ / ٢٦٨.

(يجهّر كفاه...)

وله أيضاً في ضيف نزل به:

يجهّر كفّاه ويحدر حلقه ... إلى الزّور ما ضمّت عليه الأنامل
أتانا وما سوّاه سحبان وائل ... بياناً وعلماً بالذي هو قائل
فما زال عنه اللقم حتى كأنّه ... من العيّ لمّا أن تكلّم، باقل[1]

(لامرحباً بوجوه القوم...)

وله في الأضياف قوله:

لامرحباً بوجوه القوم إذ دخلوا ... دسم العمائم تحكيها الشياطين
باتوا وجلّة تمر حول بيتهم ... كأنّ أيديهم فيها السكاكين
فأصبحوا والنوى عالى معرّسهم ... وليس كلّ النوى تلقى المساكين[2]

❖ **معن بن أوس:**

(وقال اطعموا منه...)

لئن عرف عبدالله بن الزبير ببأسه وشجاعته، فقد عرف أيضاً ببخله، من هذا ما حدث به العتبي عن معن أوس بن نصر، الشاعر الجاهلي الإسلامي المخضرم، حينما قدم على ابن الزبير في مكة، فأنزله دار الضيفان، وكان ينزلها الغرباء وأبناء السبيل، فأقام يومه لم يطعم شيئاً، حتى إذا كان الليل جاءهم ابن الزبير بتيس هرم هزيل فقال: كلوا من هذا وهم نيّف وسبعون رجلاً، فغضب معن، وخرج من عنده، فأتى عبيدالله بن العباس فقراه وأحسن ضيافته، وحمله وكساه، ثمّ أتى عبدالله بن جعفر، وحدثه بحديثه، فأعطاه حتى أرضاه، وأقام عنده ثلاثاً حتى رحل، فقال يهجو ابن الزبير، ويمدح ابن عباس وابن جعفر:

ظللنا بمستنّ الرياح غديّة ... إلى أن تعالى اليوم في شرّ محضر
لدى ابن الزبير حابسين بمنزل ... من الخير والمعروف والرفد مقفر
رمانا أبو بكر وقد طال يومنا ... بتيس من الشاء الحجازيّ أعفر
وقال اطعموا منه ونحن ثلاثة ... وسبعون إنساناً فيا لؤم مخبر
فقلنا له لا تقربنّ فأمامنا ... جفان ابن عباس العلا وابن جعفر

---

(١) نفسه ٣ / ٢٦٨.
والزور: الصدر. وسحبان وائل: من أشهر خطباء العرب. وباقل. من أشهر البلّه الأعياء.
(٢) العقد ٣ / ٢٦٨.
والمعرّس: مكان التعريس: أي النزول ليلاً.

وكـن آمـنـاً وارفـق بـتـيـسـك إنّـه لـه أعـنـز يـنـزو عـلـيـهـا أو أبـشـر[١]

❖ **عبد الله بن فضالة:**

(أرى الحاجات عند أبي حبيب)

وعلى ذكر ابن الزبير، وبخله، وشحّه، وعدم استطالته على مضاهاة الأجواد أمثال ابن عباس وابن جعفر، فإن عبدالله بن فضالة بن شُرَيْك، الشاعر الإسلامي، وفد عليه يوماً شاكياً سوء حاله، وسوء حال ناقته من التعب والدبر، فقال له ابن الزبير ارقعها بجلد، واخصفها بهلب، وسر بها البردين، فقال له عبدالله: إنّي قد جئتك مستحملاً لا مستشيراً، فلعن الله تعالى ناقة حملتني إليك، فقال ابن الزبير إنّ وراكبها، أي نعم وراكبها، فانصرف من عنده، وهو يقول:

أقـول لـغـلـمـتـي شـدّوا ركـابـي أجـاوز بـطـن مـكـة فـي سـواد
فـمـا لـي حـيـن أقـطـع ذات عـرق إلـى ابـن الـكـاهـلّـيـة مـن مـعـاد
سـيـبـعـد بـيـنـنـا نـصّ الـمـطـايـا وتـعـلـيـق الأداوي والـمـزاد
وكـلّ مـعـبـد قـد أعـمـلـتـه مـنـا سـمـهـنّ طـلاّع الـنـجـاد
أرى الـحـاجـات عـنـد أبـي حـبـيـب نـكـدن ولا أمـيّـة بـالـبـلاد
مـن الأعـيـاص أو مـن آل حـرب أغـرّ كـغـرّة الـفـرس الـجـواد[٢]

❖ **فضالة بن شُرَيْك:**

(ويحسب أنّ البخل ضربة لازم)

وعلى ذكر عبدالله بن فضالة، نذكر والده فضالة بن شريك وكان مرّ على عاصم بن عمر بن الخطاب بالمدينة، فنزل به فلم يقره ولم يطعمه شيئاً لا هو ولا أصحابه، فارتحل فضالة وقال يهجوه لبخله وشحّه، ولإساءته معنى الضيافة والجود، وإن من هذا، قوله:

ألا أيّـهـا الـبـاغـي الـقـرى لـسـت واجـداً قـراك إذا مـا بـت فـي دار عـاصـم
إذا جـئـتـه تـبـغـي الـقـرى بـات نـائـمـاً بـطـيـنـاً وأمـسـى ضـيـفـه غـيـر نـائـم
فـدع عـاصـمـاً أفّ لأنـفـعـال عـاصـم إذا جـهـل الأقـوام أهـل الـمـكـارم
فـتـىً مـن قـريـش لا يـجـود بـنـائـلٍ ويـحـسـب أنّ الـبـخـل ضـربـة لازم
أنـاس إذا مـا الـضـيـف حـلّ بـيـوتـهـم غـدا جـائـعـاً غـيـمـان لـيـس بـغـائـم[٣]

---

(١) الأغاني ١٠ / ١٥٨.
(٢) الأغاني ١٠ / ١٦٣.
(٣) الأغاني ١٠ / ١٦٣.

❖ خنزر بن أرقم:

(بني قطن..)

من الشعراء الأمويين المقلّين خنزر بن أرقم، واسمه الأصلي، الحلال.

ومن جيد شعره في هجاء البخل والبخلاء، قوله الذي يهجو فيه الراعي، الشاعر، وقومه من بني قطن، وكان، أو قل كان قوم الشاعر قد أقروا أضيافهم من بني كلاب، راحلة من رواحلهم التي حملتهم، فكان هذا العمل سبّة في القوم، يقول خنزر:

بني قطن ما بال ناقة ضيفكم ... تعشّون منها وهي ملقىً قتودها
وبات الكلابيّ الذي يبتغي القرى ... بليلة نحس غاب عنها سعودها
أمن ينقص الأضياف أكرم عادة ... إذا نزل الأضياف أم من يزيدها
كأنّكم إذ قمتم تنحرونها ... براذين مشدود عليها لبودها
فما فتح الأقوام من باب سوأة ... بني قطن، إلاّ وأنتم شهودها[1]

❖ صهبان الجرمي:

(هو النابش الموتى...)

ومن ولاة خراسان زمن الأمويين، أسلم بن زرعة الذي عرف ببخله، وشدّة حرصه، حتى أنه كان ينبش النواويس، بحثاً عن الدراهم والعاديات، وفي هذا يقول صهبان الجرمي هاجياً ومزرياً عليه فعله، ناصحاً ذوي الموتى بدفن موتاهم في حصن حصين، خشية تعديات أسلم:

تعوذ بنجم واجعل القبر في صفاً ... من الطود لا ينبش عظامك أسلم
هو النابش الموتى المجيل عظامهم ... لينظر هل تحت السقائف درهم[2]

❖ عمرو بن قرثع:

(وأنت بخيل يا أميّ مسوّد)

ومن الولاة الأشحّاء في خراسان زمن الأمويين، أيضاً، أمية بن عبدالله بن خالد. هجاه عمرو بن قرثع، وكنيته أبو السفاح، لبخله وشدّة حرصه، فقال فيه:

قريش كرام يا أميّة سادة ... وأنت بخيل يا أميّ مسوّد
تجود ولا تخشى شذاة لسانه ... وغيرك يعطي راغباً ويجود

---

(١) ديوان الحماسة، لأبي تمام ٢ / ٢٢٢. دار القلم - بيروت.
والبراذين: البغال، جمع برذون. والقتود: جمع قتد، وهو خشب الرحل.
(٢) مجمع الأمثال ٢ / ٢٤٩.
والصفا: الصخرة أو الحجر الأملس الكبير.

وأنت إذا حرب تسامت فحولها حيود هيوب للقاء ندود[١]

❖ اللعين المنقري:

(فإنّ الكلب مطعمه خبيث)

ومن الشعراء البخلاء اللعين المنقري، واسمه منازل بن ربيعة، كنيته أبو الأكيدر، كان زمن الفرزدق وجرير، وقضى بينهما، فقال في ذلك:

سأقضي بين كلب بني كليب وبين القين قين بني عقال
فإنّ الكلب مطعمه خبيث وإنّ القين يعمل في سفال

والمهم أن الشعر الذي قاله في هجاء الضيف، وفي الدعوة إلى البخل، هو:

وأبغض الضيف ما بيّ حلّ مأكله إلاّ تنفّجه حولي إذا قعدا[٢]

❖ الكميت:

(كما رضيت جوعاً...)

لعلّ أقدم مثل قيل في الجاهلية، بحقّ البخل وأهله، المثل الذي قاله أحد أبناء قبيلة عربية جنوبية، في حومل، وهي امرأة شديدة البخل، كانت لا تشبع كلبتها، وترهقها ليلاً ونهاراً، وتطردها، وهي تقول: التمسي لنفسك، لا ملتمس لك. فلمّا طال ذلك على الكلبة، أكلت ذنبها من شدّة الجوع، فضرب المثل بالكلبة وصاحبتها دلالة على ما يفعل البخل، والجوع بصاحبه، فقالوا: أجوع من كلبة حومل[٣].

وقد ذكر الكميت الأسدي (ت ٧٤٨ م) هذه الحادثة في شعره، في معرض هجاء الأمويين الذين بخلوا بالمال على أصحابه المستحقين له، فقال معرّضاً ببخلهم وضنّهم على أصحاب الحاجات:

كما رضيت جوعاً وسوء رعاية لكلبتها في سالف الدهر حومل
نباحاً إذا ما الليل أظلم دونها وغنماً وتجويعاً ضلال وحفّل[٤]

❖ ابن أبي شحاذ:

(وقلّ غناء عنك مال جمعته)

ومن حكم محمّد بن أبي شحاذ الضبي، ووصاياه، قوله في البخل والبخلاء:

وقلّ غناء عنك مال جمعته إذا صار ميراثاً ووارك لاحد

---

(١) معجم الشعراء، للمرزباني ٢٣٠.
(٢) الخزانة، للبغدادي ١ / ٥٣١. ط دمشق.
(٣) مجمع الأمثال، للميداني ١ / ١٨٦.
(٤) ديوان الكميت ١٤٠. دار صادر - بيروت.

إذا أنت لم تترك طعاماً تحبّه ... ولا مقعداً تدعى إليه الولائد
تجلّلت عاراً لا يزال يشبّه ... سباب الرجال نثرهم والقصائد[١]

❖ يزيد التغلبي:

(قد يقتر المولى...)

وقريب من المعنى الآنف الذكر، ما قاله يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي، في وعظة ولده بدراً، ونهيه عن البخل والحرص. يقول يزيد:

قد يقتر الحول التقيّ ... ويكثر الحمق الأثيم
يحلى لذاك ويبتلى ... هذا فأيّهما المضيم
والمرء يبخل في الحقوق ... وللكلالة ما يسيم
ما بخل من هو للمنون ... وريبها غرض رجيم
ويرى القرون أمامه ... همدوا كما همد الهشيم
وتخرّب الدنيا فلا ... بؤس يدوم ولا نعيم[٢]

❖ سليم بن زيد:

(رأيت الناس..)

وممّا عابه سليم بن يزيد الفهمي، على البخلاء، والأغنياء الأشحّاء، قوله:

رأيت الناس قد خلقوا وكانوا ... يحبّون الغنيّ من الرجال
وإن كان الغنيّ أقلّ خيراً ... بخيلاً بالقليل من النوال
فلا أدري علام وفيم هذا ... وماذا يرتجون من المحال
ألدنيا فليس هناك دنيا ... ولا يرجى كارثة الليالي[٣]

❖ جرير:

(لو يسمعون بأكلة...)

ومن ألأم القول في البخل والشحّ، ما قاله جرير، الشاعر الأموي المشهور، في بني الهجيم، لما أنشدهم، فمنعوه، فخرج مغضباً، وهو يقول:

إنّ الهجيم قبيلة ملعونة ... حصّ اللحى متشابهو الألوان

---

(١) الحماسة ٢ / ٥١.
الولائد: الخدم والموالي والجواري، جمع وليدة. ويشبّه: يوقده.
(٢) الحماسة: ٢ / ٤٩.
ويحلى: يمدّ في عمره. والمضيم: من أصابه الضرر. والكلالة: من يرث المال وما هو من الآباء ولا من الأولاد. ويسيم: يخرج السائمة للمرعى.
(٣) المحاسن والأضداد ١٠٠.

هم يتركون بنيهم وبناتهم صفر الأنوف لريح كلّ دخان
لو يسمعون بأكلة أو شربة بعمان أصبح كلّهم بعمان[١]

(والتغلبي إذا تنحنح للقرى)

ومن ألأم الهجاء في البخل، وأطرفه وأجوده، قول جرير في بني تغلب، وهو من أهجى الشعر:

لا تطلبنّ خؤولة في تغلب فالزنج أكرم منهم أخوالا
والتغلبي إذا تنحنح للقرى حكّ استه وتمثّل الأمثالا[٢]

والجدير بالذكر أن هذا البيت الذي قاله جرير، ما بقي أحد إلاّ رواه، وقضي له فيه أنه هو الشاعر، لا الأخطل ولا الفرزدق. وفي هذا يقول جرير: والله، لقد هجوت تغلب ببيت لو طعنوا في أستاههم بالرماح ما حكوها.

(واستوثقوا من رتاج الباب والدار)

ومن جيد شعر جرير في هجاء بني تغلب أيضاً:

قوم إذا أكلوا أخفوا كلامهم واستوثقوا من رتاج الباب والدار[٣]

(ألم تر...)

وإنّ من ألأم الهجاء، هجاء جرير لقوم الفرزدق، يهجوهم بالدناءة والسفلة والشحّ وشدّة الحرص والبخل، يقول جرير:

ألم تَرَ أنّ الله أخزى مجاشعاً إذا ما أفاضت في الحديث المجالس
وما زال معقولاً عقال عن الندى وما زال محبوساً عن الجدّ حابس

وعقال، هو عقال بن محمّد بن مجاشع بن دارم.. جد الفرزدق.

أما حابس فهو، هو حابس بن عقال بن محمّد.

(وجاركم يا بني هزّان مسروق)

وإنّ من هذا الضرب من الهجاء اللئيم للبخلاء قوله في بني هزّان:

وضيفكم جائع إن لم يبت غزلاً وجاركم يا بني هزّان مسروق[٤]

---

(١) الأغاني ٧ / ٥٦.
وحصّ اللحى: جردها.
(٢) نفسه ٣ / ١٧٧.
(٣) العقد ٣ / ٢٦٨.
(٤) الكامل ١ / ٣٤٥.

(وضع الخزير..)

ومن ألأم هجاء جرير لمجاشع، قوم الفرزدق، في بخلهم، قوله:

وضع الخزير فقيل أين مجاشع ... فشحا جحافله هجفّ هبلع[١]

❖ **أبو وجزة:**

(لو كان بطنك..)

ومن البخلاء، عبدالله بن الزبير، وكنّا أشرنا إلى ذلك، وكانت تكفيه أكلة لأيام، وكان يقول إنّما بطني شبر في شبر، فما عسى أن يكفيه أكلة. وفي ذلك يقول أبو وجزة مولى الزبير، واسمه يزيد بن عبيد، من بني سعد بن بكر بن هوازن، وأحد رواة الحديث (مات سنة ١٣٠ هـ / ٧٤٨ م):

لو كان بطنك شبراً قد شبعت وقد ... أبقيت فضلاً كثيراً للمساكين

فإن تصبك من الأيام جائحة ... لم نبك منك على دنيا ولا دين

ما زلت في سورة الأعراف تدرسها ... حتى فؤادي كمثل الخزّ في اللين

إنّ امرءاً كنت مولاه فضيّعني ... يرجو الفلاح لعبد غير مغبون[٢]

إشارة إلى عدول أبي وجزة عنه.

وابن الزبير هو الذي قال يوماً أكلتم تمري، وعصيتم أمري! فقال فيه الشاعر:

رأيت أبا بكر، وربّك غالب ... على أمره، يبغي الخلافة بالتمر[٣]

ومن نوادر بخل هشام، بهذا الصدد، أن أعرابياً أقبل إليه، فقال أعطني وأقاتل عنك أهل الشام. فقال له: اذهب فقاتل، فإن اغنيت أعطيناك..

قال أراك تجعل روحي نقداً، ودراهمك نسيئة[٤].

❖ **أحدهم:**

(وللموت خير...)

وعلى ذكر هشام بن عبدالملك، وبخله، قالوا إن أحد الأعراب حضر سفرة هشام، فبينا هو يأكل، إذ تعلقت شعرة في لقمة الأعرابي، فقال هشام عندك شعرة في لقمتك،

---

(١) الديوان ٢١٥. دار المعارف ١٩٦٨.

والجحافل: جمع جحفل، وهو الجيش العظيم. والهجف: الثقيل الخشن. والهبلّع: النهم الأكول. وشحا: فغر فاه وفتحه.

(٢) العقد ٣ / ٢٦٤.

(٣) نفسه ٣ / ٢٦٤.

(٤) العقد ٣ / ٢٦٤.

والنسيئة: المؤجلة الدفع.

يا أعرابي. قال وإنّك لتلاحظني ملاحظة من يرى الشعرة في لقمتي، والله، لا أكلت عندك أبداً، وخرج من عنده، وهو يقول:

وللموت خير من زيارة باخل يلاحظ أطراف الأكيل على عمد[١]

❖ آخر:

(لكنت أوّل مقتول من الجوع)

وبالمناسبة، فما أحسن ما قاله ذلك الشاعر في بخيل هيهات أن تصل يد الجائع، إلى غدائه:

ولو عليك اتكالي في الغداء إذاً لكنت أوّل مقتول من الجوع
يقول عند دعاء الضيف مبتدئاً صوت ضعيف وداع غير مسموع[٢]

❖ بعضهم:

(فصرت الفقير..)

وما أحسن قول ذلك الشاعر في من يتعجّل الفقر، ويعتقد البخل، وهو:

أمن خوف فقر تعجّلته وأخّرت انفاق ما تجمع
فصرت الفقير وأنت الغنيّ وما كنت تعدو الذي تصنع

أخذ هذا المعنى من قول الحكيم الجاهلي أكثم بن صيفي، حيث يقول: «ذلّلوا أخلاقكم للمطالب، وقودوها إلى المحامد، وعلّموها المكارم، ولا تقيموا على خلق تذمّونه من غيركم، وصلوا من رغب إليكم، وتحلّوا بالجود يلبسكم المحبّة، ولا تعتقدوا البخل فتتعجّلوا الفقر[٣]».

❖ زياد الأعجم:

(وتكعم كلب الحيّ...)

ومن الذين منعوا كلبهم أن يجيب الضيف المستنبح، بنو عجل. يفعلون ذلك لشدّة بخلهم، وفي أحد هؤلاء يقول زياد الأعجم، أحد شعراء الهجاء في العصر الأموي:

وتكعم كلب الحيّ من خشية القرى وقدرك كالعذراء من دونها ستر[٤]

---

(١) نفسه ٣ / ٢٦٦.
(٢) العقد ٣ / ٢٦٦.
(٣) نفسه ١ / ٦٨.
(٤) البخلاء ٢٣٥.
وكعم الكلب: سدّ فاه ومنعه من النباح. وقوله قدرك كالعذراء، إشارة إلى أنها تبقى كما هي، فهي لا تعرف النار، ولا يطبخ فيها لشدّة بخلهم.

❖ أحدهم:

(أعددت للضيفان كلباً ضارياً)

ولقد يتفنّن الشحيح البخيل بضروب من الحيل لمنع الضيف من دخول بيته، فهو يخوّفه إمّا بالكلب تارة، وإمّا بالعصا المفتولة الغليظة من شجر الأرزن، وهو من أصلب الشجر.

يقول أحدهم في ذلك البخيل السليط:

أعددت للضيفان كلباً ضارياً ... عندي وفضل هراوة من أرزن[1]

❖ مصعب بن عمير:

(فبئس امرؤ يرجو القرى عند عاصم)

ومن البخلاء الذين شهروا بالبخل، ومنع الضيف قراه، المدعوّ عاصماً. وفيه يقول مصعب بن عمير الليثي مخاطباً صحبه ليثنيهم عن المضيّ إلى عاصم:

سيروا فقد جنّ الظلام عليكم ... فبئس امرؤ يرجو القرى عند عاصم
دفعنا إليه وهو كالذيخ حاظياً ... نشدّ على أكبادنا بالعمائم[2]

وقوله نشدّ على أكبادنا بالعمائم إشارة إلى أن العرب كانوا في البادية إذا أصابهم الجهد، واشتدّ بهم الجوع، كانوا يشدّون على بطونهم الحجارة، وحتى أن بعضهم كان يعتصم بشدّ معاقد الإزار، وينزع عمامته من رأسه، فيشدّ بها بطنه.

❖ الراعي:

(يشدّ على الجوع الإزار على الحشا)

ولقد أشار الراعي، راعي الإبل الشاعر الأموي الهجّاء، وكنيته أبو جندل النمري (ت ٧٣٨ م) أشار إلى شدّ الإزار، لشدّة الجوع، فقال:

يشبّ لركب منهم من ورائهم ... فكلّهم أمسى إلى ضوئها سرى
إلى ضوء نار يشتوي القدّ أهلها ... وقد يكرم الأضياف والقدّ يشتوي
فلمّا أناخوا واشتكينا إليهم ... بكوا وكلا الخصمين ممّا به بكى
بكى معوز من أن يضاف وطارق ... يشدّ من الجوع الإزار على الحشا[3]

---

(١) نفسه ٢٣٥.
والهرواة: العصا، والضاري: المفترس الفاتك.
(٢) البخلاء ٢١٩.
والذيخ: الذئب الضاري، وقيل هو الضبع.
(٣) البخلاء ٢١٩.
والطارق: السائر أو النازل ليلاً.

وعلى ذكر الراعي، فإن من ألأم هجائه في البخيل والبخلاء، قوله:

اللاقطين النوى تحت الشياه كما نمت كرادم دُهم في مخاليها[١]

❖ ذو الرمّة:

(كرام صواديها لئام رجالها)

ومن جيد شعر البخيل، والضنّ بالمال، وعدم إقراء الضيف، ما قاله ذو الرمّة، واسمه غيلان، الشاعر الأموي المشهور (ت ٧٣٥ م) في قرية لبني امرىء القيس يقال لها مرأة، وكان نزل بها ذو الرمّة، فلم يقروه، ولم يطعموه، ولم يعلفوا له. فارتحل عنهم وهو يقول:

نزلنا وقد طال النهار وأوقدت علينا حصى المعزاء شمس تنالها
أنخنا فظلّلنا بأبراد يمنة رقاق وأسياف قديم صقالها
فلمّا رآنا أهل مرأة أغلقوا مخادع لم تدفع لخير ظلالها
وقد سميّت باسم امرىء القيس قرية كرام صواديها لئام رجالها
يظلّ الكرام المرملون بجوّها سواء عليهم حملها وحيالها
ولو وضعت أكوارها عند بيهس على ذات رسل لم تشمّس رحالها[٢]

وبيهس، هذا، هو صاحب ذات غسل، قرية له، كان مدحه.

❖ كثير:

(إذا المال...)

ومن الشعر الذي يحضّ فيه صاحبه على البخل، وإن سمّاه تدبيراً، شعر كثير عزّة، وكان فيه بخل، (ت ٧٢٥ م)، وهو:

إذا المال لم يوجب عليك عطاؤه حقيقة تقوى أو صديق تراقبه
منعت وبعض المنع حزم وقوّة ولم يعتملك المال إلاّ حقائبه[٣]

❖ أبو كلدة:

(يا يوم بؤس...)

ومن الشعر في هجاء البخل وأهله، شعر أبي كلدة بن عبيد. . ابن بكر بن وائل، أحد شعراء الدولة الأموية الكوفيين، كان خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجاج. يقول أبو كلدة.

---

(١) العقد ٣ / ٢٦٨.
(٢) الأغاني ٧ / ٥٧.
(٣) زهر الآداب للحصري ٣ / ١٥٢. دار مكتبة الهلال - بيروت.

سأل الحصين بن المنذر الرقاشي شيئاً، فلم يعطه إياه، فقال فيه:

يا يوم بؤس طلعت شمسه ... بالنحس لا فارقت رأس الحصين
إنّ حصيناً لم يزل باخلاً ... مذ كان بالمعروف كدّ اليدين[1]

(فلو كنت حرّاً..)

وفيه يقول أيضاً، وقد أقذع وأفحش:

لعمرك إنّي يوم أسند حاجتي ... إليك أبا ساسان غير مسدّد
فليت المنايا حلّقت بي صروفها ... فلم أطلب المعروف عند المصرّد
فلو كنت حرّاً يا حصين بن منذر ... لقمت بحاجاتي ولم تتبلّد
تجهّمتني خوف القرى واطّرحتني ... وكنت قصير الباع غير المقلّد
ولم تعد ما قد كنت أهلاً لمثله ... من اللؤم يا ابن المستذل المعبّد[2]

(ولا زال واديكم من الماء يمحل)

وهجا أبو كلدة مقاتل بن مسمع بن مالك، وكان الشاعر قد استضافه فما أضافه إلاّ الماء، فقال:

قرى ضيفه الماء القراح ابن مسمع ... وكان لئيماً جاره يتذلّل
فلما رأى الضيف القرى غير راهن ... لديه تولّى هارباً يتعلّل
ينادي بأعلى الصوت بكر بن وائل ... ألا كلّ من يرجو قراكم مضلّل
فما بالكم بالله أنتم بخلتم ... وقصّرتم والضيف يقرى وينزل
فلا تقربوا أبياتهم إنّ جارهم ... وضيفهم سيّان إن توسّلوا
هم القوم غرّ الضيف منهم رواؤهم ... وما فيهم إلاّ لئيم مبخل
بني مسمع لا قرّب الله داركم ... ولا زال واديكم من الماء يمحل[3]

❖ **أبو الأسود:**

(فكلّ قريب لا ينال بعيد)

ومن أحسن ما قال أبو الأسود الدؤلي، أوّل واضع للنحو، لما احتاج مرة فبعث إلى جار له موسر، لكنه بخيل، يستسلفه، وكان حسن الظن به، فاعتلّ عليه وردّه، فقال أبو الاسود:

لا تشعرنّ النفس بأساً فإنّما ... يعيش بجدّ حازم وبليد

---

(١) زهر الآداب للحصري ١٠ / ١١١.
(٢) الأغاني ١٠ / ١١١.
(٣) نفسه ١٠ / ١١٤.

ولا تطعمن في مال جار لقربه فكلّ قريب لا ينال بعيد[١]

وبالمناسبة عينها، فإن أبا الأسود لما يئس من نول صاحبه البخيل، كتب إلى آخر، يستسلفه، فكان هذا أشدّ بخلاً، حينما أجابه قائلاً: إن المؤنة كثيرة، والفائدة قليلة، والمال مكذوب عليه. فكتب إليه أبو الأسود: إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً، وإن كنت صادقاً فجعلك الله كاذباً[٢].

والجدير بالذكر، هنا أن أبا الأسود، فيما حدثوا عنه، كان ميّالاً إلى البخل، وهو يسمّيه اقتصاداً وحسن تدبير. يدل عليه قوله: «لو أطعمنا المساكين في أموالنا لكنّا أسوأ حالاً منهم». وقوله لبنيه: «لا تطعموا المساكين في أموالكم فإنّهم لا يقنعون منكم حتى يرونكم مثلهم». ونسب إليه القول: «لا تجاودوا الله فإنّه لو شاء أن يغني الناس كلّهم لفعل، ولكنه علم أنّ قوماً لا يصلحهم الغنى، ولا يصلح لهم إلاّ الفقر، وقوماً لا يصلحهم الفقر، ولا يصلح لهم إلاّ الغنى». وإليه ينسب القول شعراً:

يلومونني في البخل جهلاً وضلّة وللبخل خير من سؤال بخيل[٣]

❖ **أبو الأنواء:**

(لا يقبس الجار منهم فضل نارهم)

ومن جيد شعر البخل في هجاء الذين بلغ بهم الشحّ مبلغاً جعلهم لا يقدمون على الأكل إلاّ إذا أوصدوا دونهم الأبواب، واخفوا الأصوات خشية أن يسمعهم أحد، ما قاله عبدالله بن عبدالرحمٰن المهلبي، ويكنّى بأبي عبدالله. يقول هذا في أولئك القوم البخلاء:

قوم إذا أكلوا أخفوا كلامهم واستوثقوا من رتاج الباب والدار
لا يقبس الجار منهم فضل نارهم ولا تكفّ يد عن حرمة الجار[٤]

❖ **أحمد بن يوسف:**

(لا يعرفون كرامة الأضياف)

ومن الذين عرفوا بالبخل بنو سعيد بن سلم، نزل بهم أحمد بن يوسف بن صبيح، الكاتب والشاعر، فما أحسنوا ضيافته، فقال هاجياً:

أبني سعيد إنّكم من معشر لا يعرفون كرامة الأضياف

---

(١) العقد ٣ / ٢٧١.
(٢) نفسه ٣ / ٢٧١.
(٣) العقد ٣ / ٢٧٢.
(٤) الحماسة ٢ / ١٣١.

قرنوا الغداء إلى العشاء وقرّبوا ... زاداً لعمر أبيك ليس بكاف
وكأنني لما حططت إليهم ... رحلي نزلت بأبرق العزّاف
بينا كذاك أتاهم كبراؤهم ... يلحون في التبذير والإسراف[1]

❖ **الآغاجي:**

(وبلدةٍ...)

ومن الشعراء المطبوعين بالفارسية والعربية، أبو الحسن الآغاجي، أقاح ببلخ بخراسان، مدة، وله في هجاء أهليها، البخلاء قوله:

وبلدة قد ركّب اسم لها ... من أحرف البخل هي بلخ
والعيش فيها كاسمها مبدلاً ... من بائها تاء، وذا تلخ[2]

❖ **الخريم الكندي:**

(لعمري..)

ومن البخلاء الذين نزل بهم الخريم الكندي، فما أحسن القرى، ولا قضى حاجة، ذلك البخيل الذي تصنّع الانشغال بوجع ضرسه، ليحول دون القيام بواجب الضيافة، وإنجاز السؤل. يقول الخريم:

لعمري ما أحسن أنخنا ... ولا جئنا حسيناً يا ابن إنس
ولكن ضبّ جندلة أتينا ... مضباً في مضابيه بعسّ
فلمّا أن أتيناه وقلنا ... بحاجتنا تلوّن لون ورس
وآض بكفّه يحتكّ ضرساً ... يرينا أنه وجع بضرس[3]

---

(١) اليتيمة ٥ / ٣١٤، للثعالبي، ط القاهرة.
(٢) الكامل ٢ / ٥٦.
(٣) الحيوان ٥ / ٣٩٣. للجاحظ. دار مكتبة الهلال. بيروت ١٩٨٦ م.
والعسّ: القدح والإناء الكبير. والضب: من الحيوانات الصحراوية الماكرة.

القسم الثالث

في العصر العباسي وما بعده

❖ أبو الشمقمق:

(يا من يؤمّل..)

من الشعراء الذين اختصّوا بهجاء البخلاء، وتفننوا في تصوير بخلهم، وذكر نوادرهم، أبو الشمقمق، الشاعر العباسي، وهذا لقبه، ومعناه الطويل، واسمه مروان بن محمّد.

يقول في البخيل المسمّى معبداً، وقوله لا يخلو من فحش ودعابة:

يا من يؤمّل معبداً ... من بين أهل زمانه
لو انّ في است درهماً ... لاستلّه بلسانه[1]

(لا يطمع الخنزير في سلحه)

وفي آخر شحيح يقول، ولا يخلو أيضاً من إقذاع وفحش ولؤم:

إنّ رياح اللؤم من شحّه ... لا يطمع الخنزير في سلحه
قفاه قفل ضاع مفتاحه ... قد يئس الحدّاد من فتحه[2]

(فإذا ضيفه بالجوع يرمي)

وفي بخل سعيد بن سلم الباهلي، يقول أبو الشمقمق ساخراً، وعابثاً:

فانتهينا إلى سعيد بن سلم ... فإذا ضيفه بالجوع يرمي
وإذا خبزه عليه سيكفيكهم ... الله، ما بدا ضوء نجم[3]

(رأيت الخبز..)

وله في شحيح حضره ضيوف فما أطعمهم خبزاً، بل راح يذبّ الذباب خشية الوقوع على الخبز، لا رغبةً في الترويح عن الضيوف، لأبي الشمقمق، قوله:

رأيت الخبز عزّ لديك حتى ... حسبنا الخبز في جوّ السحاب
وما روّحتنا لتذبّ عنا ... ولكن خفت مرزئة الذباب[4]

وعلى ذكر هذين البيتين الشعريين، ذكروا أن الخاركيّ، واسمه أحمد، وكان بخيلاً نفّاجاً، يتخذّ لكل جبّه أربعة أزرار ليرى الناس أن عليه جبّتين، وكان يشتري الأعذاق

---

(١) معجم الشعراء ٣٩٧.
والاست: المؤخّرة.
(٢) الحيوان ١ / ١٩٦.
والسلح: الخرء.
(٣) الكامل ٢ / ٢٤.
(٤) البخلاء ٧٣.
والمرزئة: الهلاك، والسوء والخطب.

والعراجين وسعف النخل من الكلاّء، فإذا جاء به الحمّال إلى بابه تركه ساعة يوهم الناس أن له من الأرضين ما يحتمل أن يكون ذلك كلّه منها، وكان يكتري قدور الخمّارين التي تكون للنبيذ، ثمّ يتحرّى أعظمها، ويهرب من الحمّالين بالكراء، والمهم أنّهم، وعلى ذكر البيتين الشعريين الآنفين، أن الخاركي لما سمع قول أبي الشمقمق، قال: ولم ذبّ عنهم، لعنه الله؟ والله، ما أعلم إلاّ أنه شهّى إليهم الطعام، ونظف لهم القطاع، وفرّغهم له، وسخّرهم عليه. ثم ألا تركهم تقع في قصاعهم، وتسقط على آنافهم وعيونهم؟ هو، والله، أهل لما هو أعظم من هذا. كم ترون من مرّة قد أمرت الجارية أن تلقي في القصعة الذبابة، والذبابتين، والثلاثة، حتى يتقزّز بعضهم أو يكفي الله شرّهم[1]؟.

❖ **أبو دلامة:**

(وكنّا نرجّي...)

ومن نادر شعر أبي دلامة، واسمه زند بن الجون (ت ١٦١ هـ / ٧٧٨ م) صاحب الدعابات المشهورة، إزراؤه ببخل المنصور، الخليفة العباسي، وهو قوله:

وكنّا نرجّي من إمام زيادة ... فجاد بطولٍ زاده في القلانس
تراها على هام الرجال كأنّها ... دنان يهود جلّلت ببرانس[2]

إشارة إلى أمر المنصور أصحابه بلبس السواد، وعلى الرؤوس قلانس طوال مدعومة من الداخل بالعيدان.

(فاغسل يديك من العبّاس بالياس)

وفي العباس بن محمّد، العباسي، يقول أبو دلامة هاجياً بخله وعدم بذله المال لمن يحتاج إليه:

أخطاك ما كنت ترجوه وتأمله ... فاغسل يديك من العباس بالياس
واغسل يديك بأشنان فأنقهما ... ممّا تؤمّل من معروف عباس[3]

❖ **ابن أعين:**

(ألا كلّ عبسيّ على الزاد شائح)

ومن أطرف ما قاله صخر بن أعين الأسدي، أحد بني أعين بن طريف، في بخل

---

(١) البخلاء ٣٠.
(٢) الأغاني ١٠ / ٢٨٣.
والقلانس: جمع قلنسوة، قبّعة الرأس. والبرانس: جمع برنس، الثوب الفضفاض.
(٣) الأغاني ١٠ / ٣٠٥.
والأشنان: الطيب.

الحطيئة، الشاعر، وفي لؤمه إذ كان أقدم هذا الأخير على هجاء صخر لأن هذا شرب سقية من لبن قدمها له الحطيئة كارهاً، قوله في الحطيئة:

ألا قبّح الله الحطيئة إنّه ... على كلّ ضيف ضافه هو سالح
دفعت إليه وهو يخنق كلبه ... ألا كلّ كلب لا أباً لك نابح
بكيت على مذق خبيث قريته ... ألا كلّ عبسيّ على الزاد شائح[1]

أما أبيات الحطيئة التي هجا بها صخراً لإقدامه على استقاء اللبن من عند الحطيئة، فهي:

ولمّا رأيت أنّ من يبتغي القرى ... وأنّ ابن أعين لا محالة فاضحي
شددت حيازيم ابن أعين بشربة ... على ظمأ سدّت أصول الجوانح[2]

❖ **ابن مهديّ:**

(أراه كثير إسبال الستور)

ومن جيّد الشعر وأدقه معنى، وأكثره إصابة، في تصوير البخيل، الشعر الذي قاله محمّد بن مهديّ العكبري، في الحسن بن وهب الذي أسدل دون المحتاجين ستاره:

وسائلة عن الحسن بن وهب ... وممّا فيه من حسب وخير
فقلت هو المهذّب غير أنّي ... أراه كثير إسبال الستور[3]

❖ **محمود الورّاق:**

(والبخل من سوء ظنّ المرء بالله)

وقريب من المعنى السابق ما قاله الشاعر العباسي المطبوع محمود الورّاق، وهو التالي:

من ظنّ بالله خيراً جاد مبتدئاً ... والبخل من سوء ظنّ المرء بالله

أخذه من قول كسرى، ملك فارس، وهو: «عليكم بأهل السخاء والشجاعة، فإنّهم أهل حسن الظنّ بالله، ولو أنّ أهل البخل لم يدخل عليهم من ضرّ بخلهم، ومذمّة الناس لهم، وإطباق القلوب على بغضهم، إلاّ سوء ظنّهم بربّهم في الخلف لكان عظيماً[4]».

---

(١) الأغاني ٢ / ١٦٥.
وسالح: خارىء. والشائح: الجادّ الحذر. ومذيق اللبن: ما كان ممزوجاً بالماء.
(٢) ديوان الحطيئة ١٣٠.
والحيازيم: جمع حيزوم، وهو الصدر.
(٣) معجم الشعراء ٤٣٠.
(٤) العقد ١ / ٦٨.

(خرجت كما دخلت..)

وفي أحد البخلاء من ذوي الرفعة والشأن، يقول محمود:

حجابك من مهابته عسير ... وخيرك في اليدين غدا يسير
خرجت كما دخلت إليك إلاّ ... تراباً صار في خفيّ كثير[1]

❖ **عبد الصمد بن المعذّل:**

(ولا ماؤها يأتي فيروي عطاشها)

ومن ألطف ما خاطب به عبدالصمد بن المعذّل الرقاشي خالد ابن ديسم، عامل الريّ، وكان هذا قد بخل على الناس بأمواله وعطاياه، قوله:

أخالد إنّ الريّ قد أجحفت بنا ... وضاق علينا رحبها ومعاشها
وقد أطمعتنا منك يوماً سحابة ... أضاءت لنا برقاً وأبطا رشاشها
فلا غيمها يصحو فييئس طامعاً ... ولا ماؤها يأتي فيروى عطاشها[2]

(لي أخ..)

ومن ألطف شعر الهجاء، هجاء البخل وصحبه، قوله:

لي أخ لا يرى له ... سائل غير عاتب
أجمع الناس كلّهم ... للئيم المذاهب
دون معروف كفّه ... لمس بعض الكواكب[3]

❖ **أعرابي:**

(وليس لمدح الباهليّ ثواب)

وفي سعيد بن مسلم الباهلي، يقول أحد الأعراب الذين نزلوا به، فما نوّلهم شيئاً:

لكلّ أخي مدح ثواب علمته ... وليس لمدح الباهليّ ثواب
مدحت سعيداً والمديح مهزّة ... فكان كصفوان عليه تراب[4]

❖ **الحمدوني:**

(أسعيد..)

ومن نادر الشعر، وألطفه، وأظرفه، في بخل البخلاء، ما قاله العميد أبو سهل أحمد ابن الحسن الحمدوني، في شاة جرباء، سلّها الجوع والعياء، كان بعث بها، بشيء من

---

(١) العقد ١ / ٢٤.
(٢) العقد ١ / ٨٧.
(٣) العقد ٢ / ٢٧٩.
(٤) العقد ١ / ٨٦.
صفوان: اسم جبل ورد ذكره في القرآن الكريم.

لحمها، إليه سعيد بن أحمد بن خوسنداد، وما كان هذا ليجود عليها بالعلف أو الغذاء، حتى جعل منها أضحية. يقول الحمدوني، وشعره لا يخلو من دعابة وظرف وفكاهة، وقد ضمّنه شعر غيره:

أسعيد قد أعطيتني أضحية ... مكثت زماناً عندكم ما تطعم
نضواً تعاقرت الكلاب بها وقد ... نبذوا عليها كي تموت فتؤلم
فإذا الملا ضحكوا بها قالت لهم ... لا تهزؤوا بي وارحموني ترحموا
مرّت على علف فقامت لم ترم ... عنه وغنّت والمدامع تسجم
(وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متأخّر عنه ولا متقدّم[1])

(أبا سعيد...)

وفي تلك الشاة عينها، يقول الحمدوني مزرياً لبخل صاحبها، وضنّه عليها بالكلأ والماء:

أبا سعيد لنا في شاتك العبر ... جاءت وما أن لها بول ولا بعر
وكيف تبعر شاة عندكم مكثت ... طعامها الأبيضان الشمس والقمر
لو أنّها أبصرت في نومها علفاً ... غنّت له ودموع العين تنحدر
(يا مانعي لذّة الدنيا بأجمعها ... إنّي ليفتنني من وجهك النظر[2])

(لسعيد..)

وفيها أيضاً يقول ممعناً في تشويه صورة صاحبها البخيل:

لسعيد شويهة ... سلّها الضرّ والعجف
قد تغنّت وأبصرت ... رجلاً حاملاً علف
بأبي من بكفّه ... برء ما بي من الدنف
فأتاها مطعّماً ... واتته لتعتلف
فتولّى فأقبلت ... تتغنّى من الأسف
(ليته لم يكن وقف ... عذّب القلب وانصرف[3])

(يا ابن حرب..)

ولما أهداه أحمد بن حرب المهلّبي طيلساناً أخضر، لم يرضه، إذ كان شبه بالٍ، قال في ذلك متهماً إياه بالبخل وشدّة الحرص، وبأسلوب ساخر:

---

(١) زهر الآداب ٢ / ١٦٩.
(٢) نفسه ٢ / ١٦٩.
(٣) زهر الآداب ٢ / ١٧٠.
والعجف: الضعف والهزال.

يا ابن حرب كسوتني طيلساناً ... ملّ من صحبة الزمان وصدّا
فحسبنا نسج العناكب قد حيك ... إلى ضعف طيلسانك سدّا
طال ترداده إلى الرنو حتى ... لو بعثناه وحده لتهدّى[1]

❖ أبو تمام:

(كنوز قارون...)

ومن طريف ما قاله أبو تمام، الشاعر المشهور، في بخيل مطله وسوّف كثيراً، قول أبي تمام:

يحتاج من يرتجي نوالكم ... إلى ثلاث من غير تكذيب
كنوز قارون أن تكون له ... وعمر نوح وصبر أيّوب[2]

❖ أبو عيينة (عبد الله):

(أفاطم...)

من أهجى الشعراء العباسيين، وأظرفهم وأذكاهم أبو عيينة، واسمه عبدالله بن محمّد ابن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة. من أطرف هجائه هجاؤه البخلاء، ومن هؤلاء عيسى بن سليمان بن علي، وكان هذا مبخّلاً، وكانت له محابس يحبس فيها البياح، ويبيعه، وكانت له ضيعة تعرف بدالية عيسى، يبيع منها البقول والرياحين، وكان أول من جمع السماد بالبصرة، وباعه، فقال فيه أبو الشمقمق:

إذا رزق العباد فإنّ عيسى ... له رزق من استاه العباد

والمهم أن عيسى لما تزوج فاطمة بنت عمر بن حفص، قال عبدالله بن محمّد في ذلك:

أفاطم قد زوّجت عيسى فأبشري ... لديه بذلّ عاجل غير آجل
فإنّك قد زوّجت عن غير خبرة ... فتىً من بني العباس ليس بعاقل
لعمري لقد أثبتّه في نصابه ... بأن صرت منه في محلّ الحلائل
إذا ما بنو العباس يوماً تنازعوا ... عرس المجد واختاروا كرام الخصائل
رأيت أبا العباس يسمو بنفسه ... إلى بيع بياحاته والمباقل[3]

---

(١) نفسه ٢ / ١٧٠.
(٢) المحاسن والأضداد ٥٥.
وقارون: أحد أشهر الأثرياء، زمن فرعون مصر.
(٣) الأغاني ١٨ / ١٢.

❖ أبو عيينة (محمّد):

(وبعت خصال الندى جمله)

أما أبو عيينة، محمّد، أخو عبدالله، فكان من أقذع الشعراء هجاء، وأظرفهم وأطبعهم. له من الهجاء في البخلاء، والثقلاء الكثير، ولم ينج من لسانه أحد حتى الأدنون من أهل بيته وقرابته، ومن هؤلاء ابن عمه خالد، وفيه يقول مزرياً عليه بخله وقلّة مروءته:

جمعت خصال الردى جملة ... وبعت خصال الندى جمله
فما لك في الخير من خلّة ... وكم لك في الشرّ من خلّه
فيا عجباً نبعة أنبتت ... خلافاً وريحانة بقله
ثيابك للعيد مطويّة ... وعرضك للشتم والبذله
أجعت بنيك وأعريتهم ... ولم تؤت في ذاك من قلّه
إذا ما دعينا لقبض العطاء ... وهيّأت كيسك للغلّه
وجلّة تمر تغادي بها ... فتأتي على آخر الجلّه
وتقصي بنيك وهم بالعراء ... نزلهم الملح والملّه
ولو كان خبز وتمر لديك ... لما طعموا منك في فضله
فلّله درّك عند الخوان ... من فارس صادق الحمله
وإن جاءك الناس في حاجة ... تفكّرت يومين في العلّه
وتلقاهم أبداً كالحاً ... كأن قد عضضت على بصله[1]

(فإذا تطاولت الرؤوس)

وفي خالد، هذا، أي ابن عمّه، يقول أبو عيينة واصفاً ذلّته وخسّته وبخله:

رجل يعدّ لك الوعيد ... إذا وطئت على بساطه
وإذا انتظرت غداءه ... فخف لبوادر من سياطه
يا خال صدّ المجد عنك ... فلا تجوز على صراطه
وعريت من حلل الندى ... عري اليتيم ومن رباطه
فإذا تطاولت الرؤوس ... فغطّ رأسك ثم طاطه[2]

(كم على الجوع ويحكم تصبرونا)

وفي خالد، وبخله، يقول أبو عيينة أيضاً:

رجل يقهر اليتيم ولا يؤتي ... زكاة وينهر المسكينا

(١) الأغاني ١٨ / ٢٥.
(٢) الأغاني ١٨ / ٢٦.

ويصون الثياب والعرض بالٍ ... ويرائي ويمنع الماعونا
إن أضياف خالد وبنيه ... ليجوعون فوق ما يشبعونا
وتراهم من غير نسك يصومون ... ومن غير علّة يحتمونا
يا بني خالد دعوه وفرّوا ... كم على الجوع ويحكم تصبرونا[1]

❖ بشّار:

(وقلبه أبداً في البخل معقود)

ومن جيد ما قيل في البخل والبخلاء، قول بشار بن برد للعباس ابن محمّد بن علي ابن عبدالله بن عباس، وكان بشّار استمنحه. فلم يمنحه، فقال فيه يهجوه:

ظلّ اليسار على العباس ممدود ... وقلبه أبداً في البخل معقود
إنّ الكريم ليخفي عنك عسرته ... حتى تراه غنيّاً وهو مجهود
وللبخيل على أمواله عللٌ ... زرق العيون عليها أوجه سود
إذا تكرّهت أن تعطى القليل ولم ... تقدر على سعة لم يظهر الجود
بئ النوال ولا تمنعك قلّته ... فكلّ ما سدّ فقراً فهو محمود[2]

(دينار آل سليمان...)

وفي رواية محمّد بن القاسم بن مهرويه، قال لما ضرب المهديّ بشاراً بعث إلى منزله من يفتشه، وكان يتهم بالزندقة، فوجد في منزله طومار فيه «بسم الله الرحمٰن الرحيم»، إني أردت هجاء آل سليمان بن علي، لبخلهم فذكرت قرابتهم من رسول الله ﷺ، فأمسكت عنهم إجلالاً له ﷺ، على أني قلت فيهم:

دينار آل سليمان ودرهمهم ... كالبابليّين حفّا بالعفاريت
لا يبصران ولا يرجى لقاؤهما ... كما سمعت بهاروت وماروت

فلما قرأه المهديّ بكى، وندم على قتله، وقال لا جزى الله يعقوب بن داود خيراً فإنه لما هجاه لفق عندي شهوداً أنه زنديق فقتلته، ثم ندمت حين لا يغني الندم[3].

(فكوكب النحس يسقي الأرض أحياناً)

وإنّ من هذا الشعر قوله في سليمان بن علي، وكان هذا قد وصل رجلاً فأحسن، فقال بشّار متعجباً:

يا سوأة يكثر الشيطان إن ذكرت ... منها التعجّب جاءت من سليمانا

---

(١) الأغاني ١٨ / ٢٦.
(٢) الأغاني ٣ / ٤٦.
(٣) الأغاني ٣ / ٧٠.
وهاروت وماروت: اسما ملكين. كانا ببابل ومن سليمان بن داود (ع).

لا تعجبنّ لخير زال عن يده فكوكب النحس يسقي الأرض أحيانا[١]

(ولا أريدك يوم الدين للدين)

وإنّ منه قوله في ابن يقطين، وقد ضنّ عليه بالمال، وما نوّله شيئاً:

حتى متى ليت شعري يا ابن يقطين أثني عليك بما لا منك توليني
إني أريدك للدنيا وزينتها ولا أريدك يوم الدين للدين[٢]

❖ **ابن هرمة:**

(يا من يعين...)

ومن نادر ما قاله إبراهيم بن علي.. بن هرمة (ت ٧٩٢ م) الشاعر المخضرم في الدولتين الأموية والعباسية، قوله هاجياً أحد البخلاء الموسرين، وكان هذا نزل في ضيافة إبراهيم، فأغدق عليه وكرّمه، ولما خرج ما جاد له بشيء. يقول ابن هرمة:

يا من يعين على ضيف ألمّ بنا ليس بذي كرم يرجى ولا دين
أقام عندي ثلاثاً سنّة سلفت أغضيت منها على الإقذاء والهون
مسافة البيت عشر غير مشكلة وأنت تأتيه في شهر وعشرين
تحدّث الناس عمّا فيك من كرم هيهات ذاك لضيفان المساكين
أصبحت تخزن ما تحوي وتجمعه أبا سليمان من أشلاء قارون
مثل ابن عمران آباء له سلفوا يجزون فعل ذوي الإحسان بالدون[٣]

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ ابن هرمة نفسه، كان ميّالاً إلى البخل، وفي هذا يقول:

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه خلق وجيب قميصه مرقوع[٤]

❖ **ابن المنجّم:**

(ليس على خبز امرىء ضيعة)

ومن لطيف ما قاله أبو عمرأحمد بن المنجّم، الشاعر العباسي، في حاتم بن الفرج، وكان بخيلاً أهتم، أي مكسور الثنايا والأسنان، لا يفصح الكلام، ومثله، أبو الشبل عاصم بن وهب، الشاعر العباسي. يقول ابن المنجّم:

لحاتم في بخله فطنة أدقّ حسّاً من خطى النمل
قد جعل الهتمان ضيفاً له فصار في أمن من الأكل
ليس على خبز امرىء ضيعة أكيله عصم أبو الشبل

---

(١) العقد ٣ / ١٢٤.
(٢) العقد ١ / ٨٣.
(٣) الأغاني ٤ / ١١.
(٤) العقد ٣ / ٢٧٤.

ما قدر ما يحمله كفّه إلى فم من سنّه عطل
فحاتم الجود أخو طيّىء مضى وهذا حاتم البخل[١]

❖ حمّاد عجرد:

(فعوّدهم أكلة واحدة)

من أشهر شعراء عصر بني العباس حمّاد بن يحيى بن عمرو، مولى بني عقيل، ويعرف بحماد عجرد، من الشعراء الفتاك الماجنين. له في حريث بن أبي الصلت الحنفي، وكان صديقاً له، وهو من البخلاء المشهورين، له قوله:

حريث أبو الفضل ذو خبرة بما يصلح المعد الفاسدة
تخوّف تخمة أضيافه فعوّدهم أكلة واحدة[٢]

(إنّ أذى التخمة محذور)

وفي محمّد بن طلحة، وكان حمّاد نزل عليه، فأبطأ بالطعام، فاشتدّ جوع حماد، فقال فيه مداعباً:

زرت امرءاً في بيته مرّة له حباء وله خير
يكره أن يتخم أضيافه إنّ أذى التخمة محذور
ويشتهي أن يؤجروا عنده بالصوم والصالح مأجور

تقول الرواية إنّ محمّداً لما سمع هذا الشعر قال لحمّاد عليك لعنة الله، أيّ شيء حملك على هجائي، وإنّما انتظرت أن يفرغ لك من الطعام؟ قال: الجوع، وحياتك؟ حملني عليه، وإن زدت في الإبطاء زدت في القول فمضى مبادراً حتى جاء بالطعام[٣].

وما أحسن قول حمّاد في البخيل، وهو:

وللبخيل على أمواله عللٌ زرق العيون عليها أوجه سود[٤]

❖ ربيعة الرّقي:

(ولكنّني فضّلت أهل المكارم)

ومن الشعر في البخل والشحّ، ما قاله ربيعة الرقي، نسبة إلى الرقة، في الجزيرة، من الشعراء المطبوعين في أوائل الدولة العباسية، في كلّ من يزيد بن حاتم المهلّبي، ويزيد ابن أسيد السلمي، الأوّل جواد سخيّ، والثاني بخيل شحيح على جوده، أما قول ربيعة، فهو:

---

(١) الأغاني ١٣ / ٢٤.
(٢) نفسه ١٣ / ٧٨.
(٣) الأغاني ١٣ / ٨٣.
(٤) العقد ٣ / ٢٧١.

لشتان ما بين اليزيدين في الندى ... يزيد سليم والأغرّ بن حاتم
يزيد سليم سالم المال والغنى ... أخو الأزد للأموال غير مسالم
فهمّ الفتى الأزديّ إتلاف ماله ... وهمّ الفتى القيسيّ جمع الدراهم
فلا يحسب التمتام أني هجوته ... ولكنّني فضّلت أهل المكارم[1]

❖ **سعيد بن حميد:**

(فبخلك باليسير من التلاد)

ومن الشعر في بخل ابن دؤاد، أحمد، قاضي المعتصم العباسي، قول سعيد بن حميد، المكنّى بأبي عثمان، كان مولى بني سامة بن لؤي من أهل بغداد، وهو:

لقد أصبحت تنسب في إياد ... بأن يكنى أبوك أبا دواد
فلو كان اسمه عمرو بن معدي ... دعيت إلى زبيد أو مراد
لئن أفسدت بالتخويف عيشي ... لما أصلحت أصلك في إياد
وإن تك قد أصبت طريف مال ... فبخلك باليسير من التلاد[2]

❖ **ابن وهيب:**

(أزرت بجود عليّ..)

ومن طريف ما قاله محمّد بن وهيب الحميري، الشاعر البغدادي البصري، زمن المعتصم، قوله هاجياً عليّ بن هشام، وكان هذا قد حجب الشاعر، ولم يردّ سلامه، لتيه فيه شديد، يقول ابن وهيب، وقوله لا يخلو من إقذاع:

أزرت بجود عليّ خيفة العدم ... فصدّ منهزماً عن شأو ذي الهمم
لو كان من فارس في بيت مكرمة ... أو كان من ولد الأملاك في العجم
أو كان أوّله أهل البطاح أو ... الركب الميامون إهلالاً إلى الحرم
أيام تتخذ الأصنام آلهة ... فلا ترى عاكفاً إلاّ على صنم
لشجّعته على فعل الملوك لهم ... طبائع لم ترعها خيفة العدم
لم تند كفّاك من بذل النوال كما ... لم يند سيفك مذ قلّدته بدم
كنت امرءاً رفعته فتنة فعلا ... أيامها غادراً بالعهد والذمم
حتى إذا انكشفت عنّا غيابتها ... ورتّب الناس بالأحساب والقدم
مات التخلّق وارتدّتك مرتجعاً ... طبيعة نذلة الأخلاق والشيم
كذاك من كان لا رأساً ولا ذنباً ... كما اليدين حديث العهد بالنعم
هيهات ليس بحمّال الديات ولا ... معطي الجزيل ولا المرهوب ذي النقم

---

(١) الأغاني ١٥ / ٣٧.
(٢) الأغاني ١٧ / ٢.

تقول الرواية إن هذه الأبيات لما بلغت علي بن هشام ندم على ما كان منه، وجزع لها، وقال لعن الله اللجاج فإنه شرّ خلق تخلّقه الناس، ثم أقبل على أخيه الخليل بن هشام، فقال: الله يعلم أني لا أدخل على الخليفة على السيف إلاّ وأنا مستحٍ منه أذكر قول ابن وهيب:

لم تند كفّاك من بذل النوال كما ... لم يند سيفك مذ قلّدته بدم[1]

❖ **إسحاق الموصلي:**

(وآمرة بالبخل..)

ومن محاسن الشعر الذي صحّت معانيه، وقويت أركانه ومبانيه، في تصوير البخل والبخلاء، قول إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري ... فذلك شيء ما إليه سبيل

أرى الناس خلاّن الجواد ولا أرى ... بخيلاً له في العالمين خليل[2]

❖ **ابن المعتزّ:**

(وصاحب...)

ولعبدالله بن المعتزّ الأمير العباسي والشاعر والأديب (ت ٩٠٨ م) قوله في بخيل غني بعد فقر، قوله:

وصاحب لمّا أتاه الغنى ... تاه ونفس المرء طمّاحه

قالوا وهل أبصرت منه يداً ... تشكرها قلت ولا راحه[3]

❖ **أحدهم:**

(ولكن يغار على خبزه)

وما رأيك في هذا الشحيح الذي قبض البخل يده، خلافاً لعجزه، فأضحى زنيماً مذموماً لا يغار على زوجه، بل يغار على خبزه، وكفاه ذلك غيرة، يقول أحد الشعراء هاجياً هذا الدعيّ البخيل، وفي هجائه أشدّ الإقذاع:

فتىً لا يغار على عرسه ... ولكن يغار على خبزه

فمنه يد الجود مقبوضة ... وكفّ السماحة في عجزه[4]

---

(١) الأغاني ١٧ / ١٤٥.
(٢) المحاسن والأضداد ٩.
(٣) الكشكول ٢ / ٤٠٥.
(٤) المحاسن والأضداد ٥٧. والعرس: الزوجة.

❖ آخر:

(لأبي نوح...)

وما رأيك في أبي نوح، البخيل الحريص أشدّ الحرص على رغيفه وكأنما كتب عليه (فسيكفيكهم الله). يقول الشاعر عابثاً ومداعباً وهاجياً أبا نوح:

لأبي نوح رغيف ... أبداً في جحر دايه
أبداً يمسحه الدهر ... بكمّ ووقايه
وله كاتب سرّ ... خطّ فيه بعنايه
فسيكفيكهم الله ... إلى آخر الآيه[1]

❖ غيلان الأصفهاني:

(أمّا الرغيف..)

وعلى ذكر الرغفان والحرص عليها، وعدم التفريط بها، فما أحسن قول ذلك الشاعر، وهو غيلان الأصفهاني الذي وصف لنا رغيف ذلك البخيل الذي أكل عليه الدهر وشرب، يقول:

أما الرغيف على الخوان ... فمن حمامات الحرمْ
ما إن يجسّ ولا يمسّ ... ولا يذاق ولا يشمْ
فتراه أخضر يابساً ... بالي النقوش من الهرم[2]

❖ أحدهم:

(فارجع وكن ضيفاً على الضيف)

وما رأيك في هذا البخيل الذي أوصد باب بيته دون الأضياف، وويل للفقير البائس الجائع المسكين إن حاول الدنوّ من بيت ذلك البخيل الذي هو الشاعر مروان بن أبي حفصة، يقول أحدهم مخاطباً هذا البخيل الذي هرب من منزله مخافة أن يلزمه قراه تلك الليلة:

يا تارك البيت على الضيف ... وهارباً عنه من الخوف
طيفك قد جاء بخبز له ... فارجع وكن ضيفاً على الضيف
إذا اشتهى الضيف طبيخ الشتا ... أتاه بالشهوة في الصيف

---

(١) المحاسن والأضداد ٥٧.
الداية: القابلة. والآية الواردة أعلاه، هي آخر الآية ١٣٧. من سورة البقرة، وتتمّتها هي: والله سميع عليم.
(٢) المحاسن والأضداد ٥٨.
وحمامات الحرم: هنّ الحمام الذي في المسجد الحرام، لا يقربها أحد.

وإن دنا المسكين من بابه شدّ على المسكين بالسيف[١]

ولقد حدّث أبو عبيد عن مروان، عن بخله فقال: أتيت اليمامة فنزلت على مروان بن أبي حفصة، فقدم إليّ تمراً، وأرسل غلامه بفلس وسكرّجة يشتري زيتاً، فأتى الغلام بالزيت، فقال له مروان: خنتني وسرقتني!؟ قال: وفيم كنت أخونك وأسرقك، في فلس؟ قال: أخذت الفلس لنفسك، واستوهبت الزيت[٢].

❖ آخر:

(سيّان أكل الخبز...)

الخبز الخبز، وما أدراك ما الخبز، إذا ما حلّ الضيف على البخيل.. فلقلع العين أهون عليه من أن يأكل الضيف منه. يقول أحدهم:

الخبز يبطي حين يدعو به كأنّه يقدم من قاف
ويمدح الملح لأصحابه يقول هذا ملح سيراف
سيّان أكل الخبز في داره وقلع عينيه بخطّاف[٣]

❖ أحدهم:

(أتينا أبا طاهر)

ولئن زهّد البخيل الآنف الذكر، أضيافه بملوحة خبزه، فإن البخيل الآخر ليزهدهم بالخبز الحامض، يقول أحدهم في هذا البخيل المسمّى بأبي طاهر:

أتينا أبا طاهر مفطرين إلى داره فرجعنا صياما
وجاء بخبز له حامض فقلت دعوه وموتوا كراما[٤]

❖ الخليل بن أحمد:

(فكفّاه لم تخلقا للندى)

ومن أبدع التصوير، تصوير البخيل الذي يمسك بالخبز فلا يجود به، ما قاله الخليل ابن أحمد الفراهيدي، (ت٧٨٩ هـ)، وهو:

فكفّاه لم تخلقا للندى ولم يك بخلهما بدعَهْ
فكفّ على الخبز مقبوضة كما نقصت مائة تسعه

---

(١) المحاسن والأضداد ٥٧.
(٢) العقد ٣ / ٢٦٤. والسكرّجة: الوعاء.
(٣) المحاسن والأضداد ٥٧.
وسيراف: بلدة بفارس. وقاف: اسم جبل.
(٤) المحاسن والأضداد ٥٨.

وكـــفّ ثـــلاثـــة آلافـــهـــا وتـسـع مـئـيـهـا لـهـا شـرعـه[١]

❖ **ابن أبي البغل:**

(وكلّ من أجتديه..)

ومثله تصوير ابن أبي البغل، وكان شاعراً وكاتبا، يقول ابن أبي البغل في أحد البخلاء، بل في أهل إحدى البلدات الذين هم كلهم بخلاء:

وكـلّ مـن أجـتـديـه فـي بـلـد أروم مـا لـديـه فـي صـفـد
يـعـقـد لـي بـالـيـسـار أربـعـة مـنـقـوصـة تـسـعـة إلـى الـعـدد[٢]

❖ **ابن مسلمة:**

(لو أنّ قصرك...)

ومن ألطف المعاني في تصوير البخل والبخلاء، ما قاله محمد بن مسلمة في هجاء الأغلب، وكان من الأشحّاء، والقول هو:

لـو أنّ قـصـرك يـا ابـن أغـلـب كـلّـه إبـر يـضـيـق بـهـنّ رحـب الـمـنـزل
وأتـاك يـوسـف يـسـتـعـيـرك إبـرة لـيـخـيـط قـدّ قـمـيـصـه لـم تـفـعـل

إشارة إلى قوله تعالى متحدثاً عن يوسف الصديق: ﴿**فإن كان قميصه قدّ من قبل...**﴾، ولا يخفى أن المعنى أخذه ابن مسلمة من يحيى بن خالد بن أمية، وكان معروفاً ببخله، وهو القائل لما سئل عن طعام رجل، فقال: «أما مائدته فعيبة، وأما صحافه فمخروطة من حبّ الخردل، وبين الرغيف والرغيف فترة نبيّ» قيل: فمن يحضرها؟ قال: الكرام الكتابون. قيل: فمن يأكل معه؟ قال: الذباب.

قال له يحيى: وأرى ثوبك مخرّقاً فلا يكسوك ثوباً وأنت في صحبته؟ قال: جعلت فداك، والله، لو ملك بيتاً من بغداد إلى الكوفة مملوءاً إبراً، وفي كلّ إبرة منه خيط، وجاء يعقوب يسأله إبرة منها يخيط بها قميص يوسف ابنه الذي قدّ من دبر، ومعه جبريل وميكائيل يضمنان عنده لم يفعل[٣].

❖ **أحدهم:**

(فغذّاني برائحة الطعام)

ومن لطيف الشعر في طعام البخلاء، قول أحدهم في البخيل المكنّى بأبي نوح، وهو:

---

(١) المحاسن والأضداد ٥٩.
(٢) المحاسن والأضداد ٥٩.
(٣) العقد ٣ / ٢٦٦.

أبـو نـوح أتـيـت إلـيـه يـومـاً فـغـذّانـي بـرائـحـة الـطـعـام
وقـدّم بـيـنـنـا لـحـمـاً سـمـيـنـاً أكـلـنـاه عـلـى طـبـق الـكـلام
فـلـمّـا أن رفـعـت يـدي سـقـانـي كـؤوسـاً حـشـوهـا ريـح الـمـدام
فـكـنـت كـمـن سـقـى ظـمـآن مـاء وكـنـت كـمـن تـغـدّى في الـمـنـام[1]

❖ آخر:

(إذا تغدّى رفعت ستوره)

وما أحسن قول الآخر الذي نزل ببخيل، فحجبه عنه، ورفع الستر بينهما، وراح يتغدّى لوحده، والضيف ينظر من وراء ستار:

أبـلـج بـيـن حـاجـبـيـه نـوره إذا تـغـدّى رفـعـت سـتـوره[2]

❖ أحدهم:

(لحا الله بيتاً..)

ونزل رجل أعرابي ببخيل فقدم له جراداً بائتاً، فعافته نفسه، ثم أمر برفعه، فقال في ذلك:

لـحـا الله بـيـتـاً ضـمّـنـي بـعـد هـجـعـة إلـيـه دجـوجـيّ مـن الـلـيـل مـظـلـم
فـأبـصـرت شـيـخـاً قـاعـداً بـفـنـائـه هـو الـعـيـر إلاّ أنـه يـتـكـلّـم
أتـانـا بـيـرقـان الـدبـى فـي إنـائـه ولـم يـك يـرقـان الـدبـى لـي مـطـعـم
فـقـلـت لـه غـيّـب إنـاءك واعـتـزل فـهـذا وهـذا لا أبـاً لـك مـسـلـمِ[3]

❖ أحدهم:

(أتانا بخبز...)

أما الآخر، فما أحسن ما قاله في ذلك البخيل الذي إذا ما نزل الأضياف به قدّم لهم خبزاً حامضاً في غاية الرقة، يكاد يتطاير من خفّته كلما تنفس حول الخوان، وهو يتفرّس في وجوه الأضياف من خشية واحتقان. يقول الشاعر:

أتـانـا بـخـبـز لـه حـامـض كـمـثـل الـدراهـم فـي رقّـتـه
إذا مـا تـنـفّـس حـول الـخـوان تـطـايـر فـي الـبـيـت مـن خـفّـتـه
فـنـحـن كـظـوم لـه كـلّـنـا بـردّ الـتـنـفـس مـن خـشـيـتـه
يـكـلّـمـه الـلـحـظ مـن رقّـة ويـأكـلـه الـوهـم مـن قـلّـتـه[4]

---

(١) نفسه ٣ / ٢٦٩.
(٢) العقد ٢ / ٢٦٨.
(٣) العقد ٣ / ٢٦٩.
(٤) العقد ٣ / ٢٦٩.

❖ آخر:

(وليس يبلغنا ما تنضج النار)

ولئن قدّم البخيل المار ذكره للأضياف خبزه الرثّ الرقيق، بلا أدام معه، فإنّ آخرين بخلاء، قلما تجد لهم نظيراً، ما يقدمون للضيف الجار سوى الدخان ينبعث من النار التي يشتوون عليها اللحم القديد.

ولا يكون هذا إلاّ في يوم عيد، يقول أحدهم:

وجيرة لا ترى في الناس مثلهم ... إذا يكون لهم عيد وإفطار
إن يوقدوا يوسعونا من دخانهم ... وليس يبلغنا ما تنضج النار[١]

❖ حماد بن جعفر:

(فعوّدهم أكلة واحدة)

أما أبو الصلت، البخيل، فهو لشدّة بخله لا يأكل إلاّ مرّة واحدة، لا بل إنّه عوّد هذه العادة من ينزل به من الإخوان. يقول حماد بن جعفر في أبي الصلت:

حديث أبي الصلت ذو خبرة ... بما يصلح المَعِدة الفاسدة
تخوّف تخمة إخوانه ... فعوّدهم أكلة واحدة[٢]

❖ القمي:

(ليت جود اللسان في راحتيكا)

ومن جيد شعر محمّد بن الحسين القمي، كنيته أبو جعفر، في بخيل قوله:

يا جواد اللسان من غير جود ... ليت جود اللسان في راحتيكا[٣]

(فحتّى السلح منك عليه بخل)

ومن لطيف ما قاله دعبل في ذلك البخيل الذي ما عرف مطبخه النور، ومثله الكنيف، أي المرحاض، يسدّه بالقفل:

أتقفل مطبخاً لا شيء فيه ... من الدنيا يخاف عليه أكل
فهذا المطبخ استوثقت منه ... فما بال الكنيف عليه قفل
ولكن قد بخلت بكلّ شيء ... فحتّى السلح منك عليه بخل[٤]

---

(١) العقد ٣ / ٢٦٩.
(٢) العقد ٣ / ٢٦٩.
(٣) اليتيمة ٤ / ٤٤٤.
(٤) ديوان دعبل ١٦٧.
والسلح: الغائط.

(والمفاتيح عند ميكائيل)

ومن ألطف المعاني ونادرها في وصف البخيل وحرصه على الرغيف، وعدم إظهاره للضيف، ما قاله دعبل في ذلك الضيف، وهو:

إنّ هـذا الـفـتـى يـصـون رغـيـفـاً ... ومـا إلـيـه لـنـاظـر مـن سـبـيـل
هـو فـي سـفـرتـيـن مـن أدم الـطـا ... ئـف فـي سـلّـتـيـن فـي مـنـديـل
خـتـمـت كـلّ سـلّـة بـرصـاص ... وسـيـور قـددن مـن جـلـد فـيـل
فـي جـراب فـي جـوف تـابـوت مـوسـى ... والـمـفـاتـيـح عـنـد مـيـكـائـيـل[1]

❖ آخر:

(قد كان يعجبني...)

ولقد يقسم البخيل، لا بالله، لكن بالرغيف، وما ذلك إلاّ لعزّته، ومنعته، وسموّ مكانه في نظره، فهو خالط اللحم والدم والعظم. يغار عليه ويصونه. يقول أحدهم في صاحب الرغيف هذا، البخيل:

صـدّق ألـيّـتـة إن قـال مـجـتـهـداً ... لا والـرغـيـف فـذاك الـبرّ مـن قـسـمـه
فـإن هـمـمـت بـه فـافـتـك بـخـبـزتـه ... فـإنّ مـوقـعـهـا مـن لـحـمـه ودمـه
قـد كـان يـعـجـبـنـي لـو أنّ غـيـرتـه ... عـلـى جـرادقـه كـانـت عـلـى حـرمـه[2]

❖ أحدهم:

(ارفع يمينك...)

وما أجدر ذلك البخيل بالرحمة والشفقة، إذ أن كسر عظم من عظامه، لهو أهون عليه من كسر رغيفه، فرحمة به، ولا تمدد يدك إلى طعامه. يقول أحدهم في هذا البخيل:

ارفـع يـمـيـنـك عـن طـعـامـه ... إن كـنـت تـرغـب فـي كـلامـه
سـيّـان كـسـر رغـيـفـه ... أو كـسـر عـظـم مـن عـظـامـه[3]

❖ أبو نواس:

وما أحسن ما قاله أبو نواس، الشاعر الخمري المشهور، واسمه الهانىء بن الحسن (ت ١٩٩ هـ / ٨١٤ م) في خبز إسماعيل الكاتب، وهو من البخلاء المشهورين في عصره:

---

(١) العقد ٣ / ٢٧٠.
(٢) العقد ٣ / ٢٧٠.
والجرادق: الرغيف، بالفارسية.
(٣) العقد ٣ / ٢٧٠.

خبز إسماعيل كالوشي ... إذا ما انشق يرفى
عجباً من أثر الصنعة ... فيه كيف يخفى
إنّ رفّاءك هذا ... ألطف الأمّة كفّا
فإذا قابل بالنصف ... من الجردق نصفا
أحكم الصنعة حتى ... ما يرى مغرز أشفى[1]

(أرى جعفراً...)

وفي جعفر بن يحيى، يقول أبو نواس:

أرى جعفراً يزداد بخلاً ورقّة ... إذا زاده الرحمٰن في سعة الرزق
ولو جاء غير البخل من عند جعفر ... لما وضعوه الناس إلاّ على حمق[2]

(رأيت قدور الناس...)

أما في فضل الرقاشي، وقومه الرقاشيين، وكانوا عرفوا بالبخل وشدّة الحرص، فيقول أبو نواس ساخراً عابثاً:

رأيت قدور الناس سوداً من الطلا ... وقدر الرقاشيين زهراء كالبدر
ولو جئتها ملأى عبيطاً مجزّلاً ... لأخرجت ما فيها على طرف الظفر
يبيّتها للمعتفي بفنائهم ... ثلاث كحظّ الثاء من نقط الحبر
إذا ما تنادوا للرحيل سعوا بها ... أمامهم الحولي من ولد الذر
تبيّن في محراثها أنّ عوده ... سليم صحيح لم يصبه أذى الحجر[3]

(فهل في يديك إلاّ التراب)

وهجا أبو نواس الفضل بطريقة ساخرة، متهماً إياه بالمنع وحجب الناس عن أعطياتهم. يقول أبو نواس:

أيّها الراكب المغذّ إلى الفضل ... ترفّق من دون فضل حجاب
ونعم هبك قد وصلت إلى الفضل ... فهل في يديك إلاّ التراب[4]

(على خبز إسماعيل..)

ومن أطرف ما قاله أبو نواس في بخل إسماعيل المار ذكره، والذي أضحى خبزه كالعنقاء، لا أحد يراه:

---

(١) العقد ٣ / ٢٧٠.
والجردق: الرغيف. والأشفى: المخرز والمثقب. ويرفى: يصلح ويرتق.
(٢) ديوان أبي نواس ١٧٣. ط دمشق.
(٣) البخلاء ٢٢٨.
وزهراء: بيضاء. والعبيط: اللحم المشوي. والمعتفي: طالب العفاء والأكل.
(٤) العقد ١ / ٢٤٠.

على خبز إسماعيل واقية البخل ... وقد حلّ في دار الأمان من الأكل
وما خبزه إلاّ كآوى يرى ابنها ... ولم تر آوى في الحزون ولا السهل
وما خبزه إلاّ كعنقاء مغرب ... تصوّر في بسط الملوك وفي المثل
يحدّث عنها الناس في غير رؤية ... سوى صورة ما أن تُمرّ ولا تُحلي
وما خبزه إلاّ كليب بن وائل ... ليالي ليحمي عزّه منبت البقل[1]

(هي القدر...)

وبالعودة إلى بخل الرقاشي، فقد هجاه أبو نواس، هجاء مرّاً ساخراً، فذكره قدره البخيلة مثله، فقال:

ودهماء تشفيها رقاشٍ إذا شتت ... مركّبة الآذان أمّ عيال
يغصّ بحيزوم البعوضة صدرها ... وتنزلها عفواً بغير جعال
ولو جئتها ملأى عبيطاً مجزّلاً ... لأخرجت ما فيها بعود خلال
هي القدر قدر الشيخ بكر بن وائل ... ربيع اليتامى عام كلّ هزال[2]

❖ **أبو هلال العسكري:**

(زادني أكله على الجوع جوعا)

ومن أطرف الشعر في تصوير البخل والبخلاء، شعر أبي هلال العسكري الحسن بن عبدالله بن سهل (ت ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م)، فارسي الأصل صاحب «ديوان المعاني»، قاله في البخيل المدعوّ عمراً، وكان الشاعر قد ضافه، فما قدّم له إلاّ رغيفاً واحداً، بلا إدام، ثمّ ندم على رغيفه. يقول أبو هلال:

ضفت عمراً فجاءني برغيف ... زادني أكله على الجوع جوعا
ثمّ ولّى يقول وهو كئيب ... لهف نفسي على الرغيف أضيعا
كنت أنزلته محلاً رفيعاً ... فغدا ذلك الرفيع وضيعا
عجباً منه إذ أبيح حماه ... كيف لم يمتنع وكان منيعا[3]

(بات للبرد..)

وإن من هذا الشعر الطريف للعسكري قوله في بخيل آخر، اسمه عمرو، وقد يكون هو عمرو المارّ ذكره. يقول أبو هلال:

---

(١) الحيوان ٣ / ٤٠٧.
وكليب: هو كليب بن وائل. سيد ربيعة في الجاهلية أضرم نار البسوس بين بكر وتغلب، فكان أول قتلاها. وقوله يحمي عزّه منبت البقل: إشارة إلى منعته وسطوته.
(٢) البخلاء ٢٢٦. والعبيط: اللحم الطري. وتثفيها: تضعها فوق الأثافي.
(٣) ديوان المعاني، للعسكري ١ / ٢٠١ . ط القاهرة ١٣٥٢ هـ.

قفع البرد ضيف عمرو فأضحى مثل من فيه يا أخيّ زمانه
بات للبرد في ظهارة سوء ومن الجوع والطوى في بطانه
وهو قدماً للضيف جوع وقرّ ولمولاه ذلّة ومهانة[١]

❖ أعرابي:

(فالفقر خير من صلاح حالكم)

ومن نوادر الأعراب مع البخلاء ما حدثوا به أنّ أعرابياً وقف بقوم، فقال: أشكو إليكم أيّها الملأ، زماناً كلح فيّ وجهه، وأناخ عليّ كلكله، بعد نعمة من المال، وثروة من المال، وغبطة من الحال اعتورتني جدائده بنبل مصائبه عن قسيّ نوائبه، فما تركا لي ثاغية أجتدي ضرعها، ولا راغية أرتجي نفعها، فهل فيكم من معين على صرفه، أو معدّ على حتفه؟ فردّ القوم عليه، ولم ينيلوه شيئاً، فأنشأ يقول من الرجز:

قد ضاع من يأكل من أمثالكم جوداً وليس الجود من فعالكم
لا بارك الله لكم في مالكم ولا أزاح السوء من عيالكم
فالفقر خير من صلاح حالكم[٢]

❖ آخر:

(يا ربّ..)

ومن تلك النوادر، نوادر الأعراب مع البخلاء، ما حدث به الأصمعي، قال سأل أعرابي فلم يعط شيئاً، فرفع يديه إلى السماء، وقال:

يا ربّ أنت ثقتي وذخري لصبية مثل صغار الذرّ
جاءهم البرد وهم بشرّ بغير لحف ولغير أزر
كأنّهم خنافس في جحر تراهم بعد صلاة العصر
وكلّهم ملتصق لصدري فاسمع دعائي وتولّ أجري

فلم يؤثر هذا الدعاء في نفوس القوم البخلاء، وما أعطوه شيئاً[٣].

❖ أعرابي:

(أيا ابنتيّ...)

ومثله، ما حدثوا به عن أعرابي جاء قوماً بخلاء، ومعه ابنتان له، فاستمنحهم شيئاً، فما منحوه، وما أعطوه، فأنشأ يقول:

---

(١) ديوان العسكري ٢٢٥. المطبعة التعاونية. دمشق ١٩٧٩.
والزمانة: العلة التي تقعد المرء عن العمل.
(٢) العقد ٢ / ٨٣.
(٣) نفسه ٢ / ٨٣.

أيا ابنتيّ صابرا أباكما ... إنّكما بعين من براكما
الله مولاي وهو مولاكما ... فأخلصا لله من نجواكما
تضرّعا لا تدخرا بكاكما ... لعلّه يرحم من آواكما
إن تبكيا فالدهر قد أبكاكما[1]

❖ أعرابي:

(رجعنا سالمين...)

وقصد أعرابي رجلاً بخيلاً، فسأله، فحرمه، فقال الأعرابي لما سئل عن سفره: ما ربحنا في سفرنا إلاّ ما قصرنا من صلاتنا. فأما الذي لقينا من الهواجر، ولقيت منا الأباعر، فعقوبة لنا فيما أفسدنا في حسن ظننا. ثم أنشأ يقول:

رجعنا سالمين كما خرجنا ... وما خابت سريّة سالمينا[2]

❖ بعضهم:

(أحقّاً..)

ومن نادر ما قيل في البخل وأهله، قول ذلك الشاعر في قوم أشحّاء مقترني لئام أنسوه فضل ما ينسب إلى حاتم من جود، وإلى سنان بن حارث من سخاء. والقول هو:

أبا صالح أين الكرام بأسرهم ... أفدني كريماً فالكريم رضاء
أحقّاً يقول الناس في جود حاتم ... وأنّ سناناً كان فيه سخاء
عذيري من خلف تخلّف منهم ... عياء ولؤم فاضح وجفاء
حجارة بخل ما تجود وربّما ... تفجّر من صمّ الحجارة ماء
ولو أنّ موسى جاء يضرب بالعصا ... لما انبجست من ضربة البخلاء
بقاء لئام الناس موت عليهم ... كما أنّ موت الأكرمين بقاء
عزيز عليهم أن تجود أكفّهم ... عليهم من الله العزيز عفاء[3]

❖ حكيم:

(ويا ليتها...)

وما أحسن ما قاله ذلك الحكيم الشاعر في ذمّ البخل واللؤم وأهله، وهو:

ويا ليتها الكبرى فتطوى سماؤنا ... لها وتميد الأرض ميد أديم
فما الموت إلاّ عيش كلّ مبخّل ... وما العيش إلاّ ترك كلّ ذميم

---

(١) العقد ٢ / ٨٣.
(٢) العقد ٢ / ٩١.
(٣) العقد ١ / ١٩٩.

وأعذر من أدمى الجفون من البكا كريم رأى الدنيا بكفّ لئيم[١]

❖ أبو العتاهية:

(فإنّا سوف نمنع ما لدينا)

من الشعراء الذين ما وجدوا في الناس إلاّ كلّ لئيم زنيم، بخيل بماله، حريص على جمع المال والاستزادة منه، أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم (ت ٨٢٥ م) أغلب شعره في الزهد. يقول أبو العتاهية في قوم أشحّة لئام:

أرى قوماً وجوههم حسان إذا كانت حوائجهم إلينا
وإن كانت حوائجنا إليهم يقبّح حسن أوجههم علينا
فإن منع الأشحّة ما لديهم فإنّا سوف نمنع ما لدينا[٢]

(وينقص في العطاء ولا يزيد)

ومن شعر أبي العتاهية في يزيد بن معن، أخي عبدالله بن معن، قوله هاجياً بخله:

بني معن ويهدمه يزيد كذاك الله يفعل ما يريد
فمعن كان للحسّاد غمّاً وهذا قد يسرّ به الحسود
يزيد يزيد في منع وبخل وينقص في العطاء ولا يزيد[٣]

(فررت من الفقر..)

وله في البخل والبخلاء، قوله:

فررت من الفقر الذي هو مدركي إلى بخل محظور النوال منوع
فأعقبني الحرمان غبّ مطامعي كذلك من يلقاه غير قنوع
وغير بديع منع ذي البخل ماله كما بذل أهل الفضل غير بديع
إذا أنت كشّفت الرجال وجدتهم لأعراضهم من حافظ ومضيع[٤]

❖ ابن عبد ربه:

(لا يفطر الصائم...)

ولقد أعجب صاحب العقد، ابن عبدربه، بهذا المعنى اللطيف، فقال في بخيل:

لا يفطر الصائم من أكله لكنّه صوم لمن أفطرا
في وجهه من لؤمه شاهد يكفي به الشاهد أن يخبرا

---

(١) العقد ١ / ١٩٨.
(٢) العقد ١ / ١٩٦.
(٣) الأغاني ٣ / ١٣٣.
(٤) العقد ٢ / ١٩٧.

لم يعرف المعروف أفعاله قطّ كما لم ينكر المنكرا[١]

(بأبي أنت...)

وقال في بخيل آخر لطالما أحسّ الشاعر بالحرج كلّما زاره، فما يسمع منه إلاّ الشكوى والتأفف. يقول ابن عبدربه:

جعل الله رزق كلّ عدوّ لي بكفّ لبعض من لا أسمّي
كفّ من لا يهزّ عطفيه يوماً لمديح ولا ينال بذمّ
يتلقّى الرجاء منه بوجه رائح الخدّ والجبين بسمّ
جئته زائراً فما زال يشكو لي حتى حسبته سيدمي
ألف اللؤم فيه من كلّ طرف معرقاً فيه بين خال وعمّ
قد نهاني النصيح عنه مراراً بأبي أنت من نصيح وأميّ[٢]

(عنوانها بالبخل مختوم)

وله في بخيل آخر، ما عرف منه إلاّ اللؤم والنحس، والشؤم إدامه الجوع، ولحظه مكلوم، قوله، وهو لا يخلو من إقذاع وفحش:

صحيفة طابعها اللّوم عنوانها بالبخل مختوم
أهدى كهام الخلف في طيّها والمطل والتسويف واللوم
من وجهه نحس ومن قربه رجس ومن عرفانه شوم
لا تهتضم إن كنت ضيفاً له فخبزه في الجوف هاضوم
تكلمه الألحاظ من رقّة فهو بلحظ العين مكلوم
لا تأتدم شيئاً على أكله فإنّه بالجوع مأدوم[٣]

(كلب يهزّ...)

وفي بخيل ثالث، يقول ابن عبدربه، وهو لا يخلو من إفحاش:

براعة غرّني منها وميض سنا حتى مددت إليه الكفّ مقتبسا
فصادفت حجراً لو كنت تضربه من لؤمه بعصا موسى لما انبجسا
كأنّما صيغ من بخل ومن كذب فكان ذاك له روحاً وذا نفسا
كلب يهرّ إذا ما جاء زائره حتى إذا جاء مهدىً تحفة نبسا[٤]

---

(١) العقد ٣ / ٢٧٠.
(٢) العقد ٣ / ٢٧٢.
(٣) نفسه ٣ / ٢٧٢.
ومأدوم: فيه أدام، وهو الطعام مع الخبز.
(٤) العقد ٣ / ٢٧٢.

❖ بعضهم:

(جاد ابن موسى...)

وما أحسن ما قاله ذلك الشاعر في أحد البخلاء المدعوّ بابن موسى، وما جاد هذا إلاّ بدينارين اثنين زائفين بعد لأيّ وجهد. يقول الشاعر في ابن موسى:

جاد ابن موسى من دنانيره ... لنا بدينارين إسرارا
كلاهما في الكفّ من خفّة ... لو نفخا من فرسخ طارا
قلت وقلبي لهما منكر ... أيّهما للخير قسطارا
فكان هذا عنده بهرجاً ... وكان هذا عنده بارا
ثمّ وزنّا واحداً منهما ... كان القسطار مختارا
فكان في كفّه ميزانه ... ينقص قيراطاً ودينارا[1]

❖ البغدادي:

(جاء بدينارين..)

وقريب من المعنى الآنف الذكر، ما قاله أبو جعفر البغدادي في بخيل، اسمه صالح، وقد جاء بدينارين زائفين خفيفين، يقول أبو جعفر:

جاء بدينارين لي صالح ... أصلحه الله وأخزاهما
أدناهما تحمله ذرّة ... وتلعب الريح بأقواهما
بل لو وزنّا لك كليتهما ... ثمّ عمدنا فوزنّاهما
لكان لا كانا ولا أفلحا ... عليهما يرجح ظلاّهما[2]

❖ السلمي:

(إذا احتفلوا..)

وفي بني حسان، وقد اتهموا بالبخل، وعدم الحفاوة بالضيف، يقول أحمد بن نعيم السلمي، وشعره لا يخلو من إقذاع:

إذا احتفلوا للضيف لهوج قدرهم ... جراديم أشباه النخاعة تبلع
تبلّ جيار الضيف حتى تردّه ... وتصبح من عين استه تتطلّع
ويقريك من أكرهته من سوادهم ... قرى الحيّ أو أدنى تجوع ويشبع
عظاماً وأرواثاً وبعراً وإن يكن ... لدى القوم نار يشتوي لك ضفدع[3]

---

(١) العقد ٣ / ٢٧٢.
والقسطار والقسطر: جمع قساطرة، الجهبذ، منتقد الدراهم والدنانير، يفحصها لمعرفة صحيحها من سقيمها.
(٢) العقد ٣ / ٢٧١.
(٣) العقد ٣ / ٢٧٠.
والاست: المؤخرة. والروث: خرء الدواب.

❖ أحدهم:

(يحدّث...)

ولآخر في قوم شديدي البخل، إذا نزل بهم الضيف، تجهمت وجوههم، واسوّدت، وكأنّهم في عزاء وأيّ عزاء. يقول هذا الشاعر:

فبتنا كأنّا بينهم أهل مأتم ... على ميّت مستودع بطن ملحد
يحدّث بعض بعضهم بمصابه ... ويأمر بعض بعضنا بالتجلّد[1]

❖ آخر:

(ذهب الكرام...)

ولبعضهم في هجو البخلاء الذين يبخلون بكلّ شيء، فيما الكرام قليل، قوله، وهو من أيسر القول وأبينه:

ذهب الكرام فلا كرام ... وبقي الغطاريف اللئام
من لا يقيل ولا ينيل ... ولا يشمّ له طعام[2]

❖ إبراهيم الموصلي:

(نعم النديم..)

ومن الشعراء الذين مالوا إلى البخل، وما كانوا أجواداً، إبراهيم الموصلي، الشاعر والمغنيّ العباسي المشهور. له في طفيلي كان يصحبه، قوله:

نعم النديم لا يكلّفني ... ذبح الدجاج ولا ذبح الفراريج
يكفيه لونان من كشك ومن عدس ... وإن يشاء فزيتون بطسّوج[3]

❖ جحظة:

(لا تعذلوني...)

ومن الشعراء الظرفاء أبو الحسن أحمد بن جعفر الملقب بجحظة. له في هجاء بخيل، قوله:

لا تعذلوني إن هجرت طعامه ... خوفاً على نفسي من المأكول
فمتى أكلت قتلته من بخله ... ومتى قتلت قتلت بالمقتول[4]

---

(١) العقد ٣ / ٢٧٠.
والغطاريف: جمع غطريف، السيد وهنا كناية عن السخرية.
(٢) نفسه ٣/ ٢٧٠.
(٣) زهر الأداب ٣/ ٢٧٩
والطسّوج: الإناء، وهو الطش، بالفارسية.
(٤) نفسه ٢/ ٤٨.

❖ بعضهم:

(وحمد الله يحسن كلّ وقت)

وما أحسن ما قاله ذلك الشاعر النبيذي، وكان على مائدة كشاجم، كنيته أبو الفتح، سمع كشاجم، في وسط الطعام، وهو يحمد الله تعالى، فانقطع الشاعر عن الطعام، ونهض، فقال: أعطي الله عهداً إن عاودت، وما معنى التحميد، هنا، كأنّك تعلمنا أنا قد شبعنا؟! ثم مال إلى الدواة والقرطاس، وكتب ارتجالاً:

وحمدالله يحسن كلّ وقت ... ولكن ليس في أولى الطعام
لأنّك تحشم الأضياف فيه ... وتأمرهم بإسراع القيام
وتؤذنهم وما شبعوا بشبع ... وذلك ليس من خلق الكرام[1]

❖ مخارق بن شهاب:

(إذا طاف..)

وفي بخل ابن قيس، ونبذه للضيافة، يقول مخارق بن شهاب المازني، وهو من السادة الأشراف:

إذا طاف فيها الحالبات تقاذفت ... عقائل في الأعناق منها تحلّب
ترى ضيفها فيها يبيت بغبطة ... وضيف ابن قيس جائع يتحوّب[2]

❖ أحدهم:

(فكن رجلاً...)

وما أحسن ما قاله ذلك الشاعر الذي دعا إلى الترفع عن سؤال البخيل اللئيم، وإلى القناعة، وقوله هو:

إذا أظمأتك كفّ اللئام ... كفتك القناعة شبعاً وريّا
فكن رجلاً رجله في الثرى ... وهامة همّته في الثريّا
أبيّاً بنفسك عن باخل ... تراه بما في يديه أبيّا
فإنّ إراقة ماء الحياة ... دون إراقة ماء المحيّا[3]

❖ إسحاق بن خلف:

(ليس السدى والندى في راحة الحسن)

ومن الشعراء المطبوعين، في أوائل العصر العباسي، إسحاق بن خلف البهراني،

---

(١) زهرة الآداب ٢/ ٥٩ .
(٢) الحيوان، للجاحظ ٦ / ٣٢٢.
ويتحوّب: يتألم ويتوّجع.
(٣) الكشكول ٣ / ٤٨٦.

نسبه في بني حنيفة. له من الشعر قوله في الحسن بن سهل، وقد قبض دونه كفّاً، فما جاد له بشيء:

باب الأمير عراء ما به أحد ... إلاّ امرؤ واضع كفّاً على ذقن
قالت وقد أملت ما كنت آمله ... هذا الأمير ابن سهل حاتم اليمن؟
كفتيك الناس لا تلقى أخا طلب ... بفيء دارك يستعدي على الزمن
إنّ الرجاء الذي قد كنت آمله ... وضعته ورجاء الناس في كفن
في الله منه وجدوى كفّه خلف ... ليس السدى والندى في راحة الحسن[1]

❖ **أعرابي:**

(أحبّ شيء..)

ومن جيد الشعر الذي يصوّر فيه صاحبه اللؤم والبخل والتوحش، قول ذلك الأعرابي في ابن عمّ له بخيل، هو:

أحبّ شيء إليه أن يكون له ... حلقوم وادٍ له في جوفه غار
لا تعرف ممساه ومصبحه ... ولا يشبّ إذا أمسى له نار
لا يحلب الضرع لؤماً في الإناء ولا ... يرى في نواحي الصحن آثار[2]

❖ **مسلم بن الوليد:**

(وما قومه من بخله ببعيد)

وممّن هجا سعيد بن سلم الباهليّ وخزيمة، وكان يعرف ببخله، صريع الغواني، مسلم بن الوليد، أحد أشهر الشعراء المطبوعين في أوائل الدولة العباسية (ت ٨٢٣ م). يقول مسلم ضارباً المثل ببخل سعيد:

ديونك لا يقض الزمان غريمها ... وبخلك بخلك الباهلي سعيد
سعيد بن مسلم ألأم الناس كلّهم ... وما قومه من بخله ببعيد
يزيد له فضل ولكنّ مزيداً ... تدارك منّا مجده بيزيد
خزيمة لا بأس به غير أنّه ... لمطبخه قفل وباب حديد[3]

❖ **خلف الأحمر:**

(سقى حجّاجنا..)

ومن رواة الشعر بالبصرة وعلمائها باللغة، وأدبائها وشعرائها خلف الأحمر، كنيته أبو حيّان (ت ٧٩٦ م). له في قوم أشحّاء بخلاء، قوله:

---

(١) الكامل ١ / ٢٤٧.
(٢) الكامل ١ / ٢٤٧.
(٣) الكامل ٢ / ٢٥.

سقى حجّاجنا نوء الثريّا ... على ما كان من مطل وبخل
هم جمعوا النعال فأحرزوها ... وسدّوا دونها باباً بقفل
إذا أهديت فاكهة وشاة ... وعشر دجائج بعثوا بنعل
فإن أهديت ذاك لتحملوني ... على نعل فدقّ الله رجلي[1]

❖ الروزبازي:

(لم يفوا لي برغيف)

ولقد يعمّ البخل الكبير والشريف والمسؤول والفقيه فلا يجودون بشيء، من هذا قول أبي النصر الطوسي الروزبازي، وكان فقيهاً، والقول هو:

لي خمسون صديقاً ... بين قاضٍ وشريف
وأمير ووزير ... وفقيه وظريف
فإذا احتجت إليهم ... لم يفوا لي برغيف[2]

❖ العلاء بن الجارود:

(أظهروا للناس نسكاً)

ومن طريف الشعر ونادره في البخل والبخلاء، قول العلاء بن الجارود، وقيل بل هو محمود الورّاق، في قوم أضحى البخل عندهم عبادة للدينار، والقول هو:

أظهروا للناس نسكاً ... وعلى المنقوش داروا
وله صاموا وصلّوا ... وله حجّوا وزاروا
وله قاموا وقالوا ... وله حلّوا وساروا
لو غدا فوق الثريّا ... ولهم ريش لطاروا[3]

❖ ابن نوفل:

(كنت ضيفاً...)

ومن طريف ما قاله يحيى بن نوفل الحميري، أحد الشعراء المطبوعين، في ابن قيلة، وهو بخيل قصّر عن أداء حقّ الضيف، لا بل حاول أن يبتذّ الضيف متاعه ودابته، قوله:

كنت ضيفاً ببر منايا لعبدالله ... والضيف حقّه معلوم
فانبرى يمدح الصيام إلى أن ... صمت يوماً ما كنت فيه أصوم
ثم أنشا يستام برذوني الورد ... ملحّاً كما يلحّ الغريم

---

(١) البيان والتبيين ٢ / ٤٤١.
(٢) اليتيمة ٤ / ٤٠٥.
(٣) الحيوان ٣ / ٥١٨. والمنقوس: صفة للدينار.

ولعمري إنّ ابن قيلة إذ يستام ... برذون ضيفه للئيم[١]

❖ القزويني:

(فقد تركوا المكارم واستراحوا)

ومن ألأم الهجاء في البخل والبخلاء، ونادره معنى، قول محمّد بن منظور القرشي القزويني في آل عبدالعزيز، من مذحج، وهو:

بنو عبدالعزيز إذا أرادوا ... سماحاً لم تلق فيهم سماح
لهم عن كلّ مكرمة حجاب ... فقد تركوا المكارم واستراحوا[٢]

❖ أحدهم:

(أشاروا جميعاً لجّة وتداعيا)

وفي قدر أقوام بخلاء، يقول الشاعر ساخراً، عاتباً، وهي القدر التي لا تعرف اللحم إلاّ من الحول إلى الحول:

إذا انغاض منها بعضها لم تجد لها ... دوياً لما قد كان منها مدانيا
وإن حاولوا أن يشعبوها رأيتها ... على الشعب لا تزداد إلاّ تداعيا
معوّذة الإرحال لم ترق مرقياً ... ولم تمتط الجون الثلاث الأثافيا
ولا اجتزعت من نحو مكّة شقة ... إلينا ولا جازت بها العيس واديا
ولكنّها في أصلها موصليّة ... مجاوره فيضاً من البحر جاريا
أتتنا تزجّيها المجاذيف نحونا ... وتعقب فيما بين ذاك المراديا
فقلت لمن هذي القدور التي أرى ... تهيل عليها الريح تراباً وسافيا
فقالوا وهل يخفى على كلّ ناظر ... قدور رقاش إن تأمّل رائيا
فقلت متى باللحم عهد قدوركم ... فقالوا إذا ما يكنّ عواريا
من اضحى إلى الأضحى وإلاّ فإنّها ... تكون كنسج العنكبوت كماهيا
فلمّا استبان الجهد لي في وجوههم ... وشكواهم أدخلتهم في عياليا
فكنت إذا ما استشرفوني مقبلاً ... أشاروا جميعاً لجّة وتداعيا[٣]

---

(١) الكامل ١ / ٣٤٦.
والبرذون: البغل، والورد: الأصفر.
(٢) معجم الشعراء ١٣٠.
(٣) البخلاء ٢٢٢.
ولجّة: صياحاً. واستشرفوني: نظروا إليّ. ورقاش: اسم امرأة كانت سقّاءة. وسافياً: مذروّاً. والمرادي: جمع مردى، ما تدفع به السفينة. واجتزعت: قطعت. والعيس: الإبل. والجون: السود. والأثافي: حجارة الموقد. ويشعبوها: يصدعوها.

❖ ابن مناذر:

(فإياكم..)

وفي أكل الحيات، من قبل قوم بخلاء، كانوا يشتوونها، ولا يجودون بشيء على الأضياف، يقول ابن مناذر الشاعر العباسي المطبوع، والخطيب والمصقع:

فإيّاكم والريف لا تقربنّه ... فإنّ لديه الحتف والموت قاضياً
وهم طردوكم عن بلاد أبيكم ... وأنتم حلول تشتوون الأفاعيا[1]

❖ أحدهم:

(فإن سمعت...)

وما أحسن ما قاله ذلك الشاعر في ذمّ البخل مبيّناً مآل المال من بعده:

فإن سمعت بهلك البخيل فقل ... بعداً وسحقاً له من هالك مودي
تراثه جنّة للوارثين إذا ... أودى، وجثمانه للترب والدود[2]

❖ الميكالي:

(ولا يبرز الخبز من خدره)

ومن جيد ما قاله الكاتب والأديب والشاعر أبو الفضل الميكالي في هجاء بخيل، قوله:

يريد يوسّع في بيته ... ويأبى الضيق في صدره
فتىً سخط النصب في قدره ... كما رضي الخفض في قدره
يخدّر أوصال أضيافه ... ولا يبرز الخبز من خدره[3]

❖ ابن الرومي:

(يا من صناعته...)

من أشهر شعراء الهجاء في العصر العباسي، أبو الحسن علي بن العباس، المعروف بابن الرومي (ت ٨٩٦ م) له في أبي الفياض سوار بن أبي شراعة، وكان شاعراً بخيلاً، قوله عابثاً وساخراً ومعاتباً:

يا من صناعته الدعاء إلى العلى ... ناقضت في فعليك أيّ نقاض
عجباً لحضّاض الكرام على الندى ... هو فيه محتاج إلى حضّاض
وصف المكارم وهو فيها زاهد ... ورأى الجميل وعنه فيه تغاض

---

(١) نفسه ٢١٧.
(٢) البخلاء ١٦٠. والجثمان: الجسد الميّت. ومودي: مهلك. وتراثه: ماله.
(٣) زهر الآداب ٢ / ٣٠٦.

لم ألق كالشعراء أكثر صارخاً ... وأشدّ معيبة على الحرّاض
كم فيهم من آمر برشيدة ... لم يأتها ومرغّب عن قاض
يا حسرتي لمودّة أدبيّة ... لن نفترق عنها افتراق تراض
ليس العتاب بنافع في قاطع ... أعيا المشيب تتابع المقراض[1]

(يقتّر عيسى...)

ومن جيّد ما قيل في تصوير البخيل، إصابة للمعنى، ودقة في الوصف، قول ابن الرومي في ذلك المسمّى عيسى. يصفه ويصف بخله وصفاً كاريكاتورياً ساخراً، فيقول:

يقتّر عيسى على نفسه ... وليس بباقٍ ولا خالد
فلو يستطيع لتقتيره ... تنفّس من منخر واحد[2]

❖ **المتنبي:**

(نزلنا على حكم الرياح...)

ومن جيد شعر البخل، الشعر الذي قاله أبو الطيب المتنبي (ت ٣٥٤ م) في هجاء سوّار الرملي وقومه، وهو:

بقيّة قوم آذنوا ببوار ... وأنضاء أسفار كشرب عقار
نزلنا على حكم الرياح بمسجد ... علينا لها ثوباً حصىً وغبار
خليليّ ما هذا مناخاً لمثلنا ... فشدّا عليها وارحلا بنهار
ولا تنكرا عصف الرياح فإنّها ... قرى كلّ ضيف بات عند سوار[3]

وفي هجاء كافور الإخشيدي، والمصريين، والعبيد، له قوله هاجياً اللؤم والبخل والكذب:

إنّي نزلت بكذّابين ضيفهم ... عن القرى وعن الترحال محدود
جود الرجال من الأيدي وجودهم ... من اللسان فلا كانوا ولا الجود
جوعان يأكل من زادي ويمسكني ... لكي يقال عظيم القدر مقصود
من علّم الأسود المخصيّ مكرمة ... أقومه البيض أم آباؤه الصيد[4]

---

(١) زهر الآداب ٢ / ٢٦٨.
(٢) ديوان ابن الرومي ١ / ٢٥١. دار صادر - بيروت.
والتقتير: شدّة البخل.
(٣) ديوان أبي الطيب. ص ٥٥. دار الزهراء - بيروت ١٩٧٨ م.
(٤) ديوان أبي الطيب. ٣٨٦.

❖ أبو الأسد الشيباني:

(إنّي مررت بشاهين...)

ومن الشعر الذي يهجو فيه صاحبه شاهين بن عيسى، ابن أخي دلف، وكان هذا قد استضافه أو الأسد الشيباني، فما أضافه، ولا برّه، ولا احتباه، ولا عرض المقام له، وكان منقطعاً بالجبال، وقد سدّت الثلوج الطرق، فقال أبو الأسد في بخل شاهين، وهجاؤه لا يخلو من إقذاع وفحش:

إنّي مررت بشاهين وقد لفحت ... ريح العشيّ وبرد الثلج يؤذيني
فما وقى عرضه منّي بكسوته ... لا بل ولا حسب دان ولا دين
إن لم يكن لبن الدايات غيره ... عن طبع آبائه الشمّ العرانين
فربّما غاب بعل عن حليلته ... ف.... بعض سوّاس البراذين
وما تحرك أ.... فامتلا شبقاً ... إلاّ تحرّك عرق في است شاهين[1]

تقول الرواية إن أبا الأسد لما قال هذا الشعر مضى من فوره يريد أبا دلف، خال المهجو، فلم يصل إليه حتى بلغ أبا دلف الشعر، فشقّ عليه وغمّه. وأتاه أبو الأسد، فدخل عليه، فسأله عن قصّته مع شاهين، فأخبره بها، فقال: هبه لي. قال: قد فعلت. وأمر له بعشرة آلاف درهم، فأمسك عنه. والبيت الأخير قاله بشار بن برد، فضمّنه أبو الأسد شعره[2].

❖ رزين:

(بني النفاق وأبناء الملاعين)

ومن جيد الإجازات في الشعر إجازة رزين العروضي، بيتاً من الشعر قاله دعبل الخزاعي في هجاء قوم من بني مخزوم، كان الشاعر، أي دعبل، قد نزل بهم، ومعه رزين، فلم يقروهما، ولا أحسنوا ضيافتهما، فقال دعبل فيهم:

عصابة من بني مخزوم بتّ بهم ... بحيث لا تطمع المسحاة في الطين

ثم قال لرزين أجزْ، فقال رزين:

في مضغ أعراضهم من خبزهم عوض ... بني النفاق وأبناء الملاعين[3]

---

(١) الأغاني ١٢ / ١٧٠.
والبراذين، جمع برذون: البغلة والفرس الكبيرة.
والشبق: شدّة الشهوة للنكاح.
(٢) نفسه ١٢ / ١٧٠.
(٣) الأغاني ١٨ / ٥٠.
والمسحاة: الآلة يجرف بها الطين، والتراب.

قال ابن الأشعث فكان هذا أول الأسباب في مهاجاته لأبي سعد أي مهاجاة دعبل له.

❖ **خلف بن خليفة:**

(وكيف صلاتي عندها وصيامي)

وقريب من المعنى السابق ما قاله خلف بن خليفة لما سأل أبان بن الوليد جارية، فوعده بها، فأبطأت عليه، فكتب إليه:

أرى حاجتي عند الأمير كأنّها ... تهمّ زماناً عنده بمقام
وأحصر من أذكاره إن لقيته ... وشوق الحياء ملجم بلجام
أراها إذا كان النهار نسيئة ... وبالليل تقضى عند كلّ منام
فيا ربّ أخرجها فإنّك مخرج ... من الميت حيّاً مفصحاً بكلام
فتعلم ما شكري إذا ما قضيتها ... وكيف صلاتي عندها وصيامي[1]

❖ **دعبل:**

(ليت في راحتيك جود اللسان)

ومن نادر شعر البخل وألطفه معنىً، ما قاله دعبل الخزاعي، الشاعر العباسي الكوفي (ت ٨٦٠ م) في عبدالله بن طاهر، وكان هذا قد وعد دعبلاً بغلام، فلما طال عليه تصدّى له يوماً، وقد ركب إلى باب الخاصة، فلما رآه، قال: أسأت الإقتضاء، وجهلت المأخذ، ولم تحسن النظر، ونحن أولى بالفضل، فلك الغلام والدابة، كما تنزل إن شاء الله، فأخذ بعنانه دعبل وأنشأ يقول:

يا جواد اللسان من غير فعل ... ليت في راحتيك جود اللسان
عين مهران قد لطمت مراراً ... فاتّقي ذا الجلال في مهران
عرت عيناً فدع لمهران عيناً ... لا تدعه يطوف في العميان[2]

(ما أطول الدنيا...)

وكان دعبل قد كتب إلى رجل وعده وعداً فأخلفه، لبخله، فقال دعبل:

أحسبت أرض الله ضيّقة ... عنّي فأرض الله لم تضق
وجعلتني فقعاً بقرقرة ... فوطأتني وطأً على حنق
فإذا سألتك حاجة أبداً ... فاضرب بها قفلاً على غلق
وأعدّ لي غلاً وجامعة ... فاجمع يديّ بها إلى عنقي

---

(١) العقد ١ / ٧٦.
والنسيئة: الدين المؤجّل.
(٢) العقد ١ / ٧٥.

مـا أطـول الـدنـيـا وأوسـعـهـا وأدلّـنـي بـمـسـالـك الـطـرق[١]

(ليس يرضى البنات للأكفاء)

وفي ابن عمران البخيل، يقول دعبل:

وابـن عـمـران يـبـتـغـي عـربـيّـاً لـيـس يـرضـى الـبـنـات لـلأكـفـاء
إن بـدت حـاجـة لـه ذكـر الـضـيـف وينـسـاه عـنـد وقـت الـغـداء[٢]

(أضياف سالم..)

وفي عمرو البخيل، يقول دعبل:

أضـيـاف سـالـم فـي خـفـض وفـي دعـة وفـي شـراب ولـحـم غـيـر مـمـنـوع
وضـيـف عـمـرو وعـمـرو يـسـهـران مـعـاً عـمـرو لـبـطـنـتـه والـضـيـف لـلـجـوع[٣]

(رأيت أبا عمران...)

وفي خبز أبي عمران البخيل، وهيهات أن تصل إلى خبزه يد، يقول دعبل:

رأيـت أبـا عـمـران يـبـذل عـرضـه وخـبـز أبـي عـمـران فـي أحـرز الـحـرز
يـحـنّ إلـى جـاراتـه بـعـد شـبـعـه وجـاراتـه غـرثـى تـحـنّ إلـى الـخـبـز[٤]

---

(١) العقد ١ / ٧٥.
والجامعة: القيد. والقرقرة: الصوت العالي. والحنق: الغضب والغيظ.
(٢) الكامل ٢ / ١١٩.
(٣) نفسه ٢ / ١٢٠.
(٤) ديوان دعبل ١٣١ المجمع العلمي. دمشق. وغرثى: جوعى.

فصل خاص

بعض من قصص ونوادر واحتجاجات البخلاء.

❖ بخيل نفّاج:

(ليس الأمر كما تظنّ)

من أطرف البخلاء النفّاجين الذين يقولون ما لا يفعلون، بخيل قال له يوماً أخوه، وكان فقيراً معيلاً: ويحك أنا فقير معيل، وأنت غنيّ، خفيف الظهر، ألا تعينني على الزمان، وتواسيني ببعض مالك، وتفرّج عني بعض الشيء؟ والله، ما رأيت قط، ولا سمعت، بأبخل منك؟ قال البخيل: ويحك، ليس الأمر كما تظن، ولا المال كما تحسب، ولا أنا في البخل كما تقول، ولا في اليسر. والله، لو ملكت ألف ألف درهم لوهبت لك منها خمس مائة ألف درهم. يا هؤلاء، فرجل يهب ضربة واحدة خمس مائة ألف يقال له بخيل[١]؟؟!.

❖ أمير بخيل:

(لو قد ذهب هؤلاء)

وحدّث أحدهم عن أمير في غاية البخل، تناول رجل من خاصّته بيضة من قدّامه، فقال له: خذها، فإنّها بيضة العقر، فحجبه عنه، فلم يزل محجوباً حتى مات.

ولقد أتى هذا الأمير البخيل ضيعة له، ومعه خمسة رجال من خاصّته، وقد حملوا طعام خمسمائة، فثقل على الأمير أن يأكلوا معه. فلما اشتدّ به الجوع، جلس على مشارة بقل، أي موضع تزرع فيه البقول، فانتزع فجلة، فطوى جزرتها بعرقها، ثم راح يأكلها من غير أن تغسل، من كلب الجوع، ويقول لأقرب الخمسة إليه: لو قد ذهب هؤلاء الثقلاء، لقد أكلنا[٢].

❖ أسديّ بخيل:

(فإنّه يصلح للسراج)

ومن بني أسد البخلاء، عمر بن يزيد، احتقن يوماً بحقنة فيها أدهان. فلمّا حرّكته بطنه، كره أن يأتي الخلاء فتذهب تلك الأدهان باطلاً. فكان يجلس في الطست، ويقول: صفّوا هذا، أي الدهن، فإنّه يصلح للسراج[٣].

ومن بخله أنه كان يتخلّل، أي يزيل ما علق بأسنانه من الطعام بالخلال، بخلال واحد شهراً، كلّما تغدّى حذف من رأس الخلال شيئاً. ثم تخلّل به، ثم وضعه في مجرى دواته[٤].

---

(١) البخلاء ١٩٥.
(٢) البخلاء ١٥٨.
(٣) البخلاء ١٥٦.
(٤) نفسه ١٥٦.

❖ ابن أبي بردة:

(الاستنقاع في السمن)

ومن الذين عرفوا بالبخل، من الولاة، بلال بن أبي بردة، حدّث بعضهم قال، وهذا خلاف لما عرف عن جوده أحياناً، إن بلالاً قد خاف الجذام، وكان والياً على البصرة، فوصفوا له الإستنقاع في السمن، فكان يستنقع فيه، فإذا فرغ من الجلوس فيه، أمر ببيع السمن، فاجتنب الناس في تلك السنة أكل السمن. وزعموا أنه كان يفطر الناس في شهر رمضان، فكانوا يجلسون حلقاً، وتوضع لهم الموائد، فإذا قام المؤذن، نهض بلال إلى الصلاة، فيستحيي الآخرون، فإذا قاموا إلى الصلاة جاء الجنازون فرفعوا الطعام[1].

❖ المدائني:

(والنورة تأكل الثوب)

من أشهر بخلاء البصرة، أبو سعيد المدائني، من المشاهير في الأخبار والسير والمغازي.

ومن نادر بخله وقصصه، ما حدث به أحمد المكي، قال: قلت لأبي سعيد مرة والله، إنك لكثير المال، وإنك لتعرف ما نجهل. وإنّ قميصك وسخ، فلم لا تأمر بغسله؟ قال: لو كنت قليل المال، وأجهل ما تعرف، كيف كان قولك لي؟ إني فكرت في هذا منذ ستة أشهر، فما وضع لي بعدُ وجه الأمر فيه: أقول مرة الثوب إذا اتسخ أكل البدن، كما يأكل الصدأ الحديد. والثوب إذا ترادفه العرق وجف وتراكم عليه الوسخ ولبد، أُكل السلك، وأحرق الغزل.

هذا مع نتن ريحه، وقبح منظره. وبعد، فإني رجل آتي أبواب الغرماء، وغلمان غرمائي جبابرة، فما ظنّك بهم إذا رأوني في أطمار وسخة، وأسمال درنة، وحال حداد؟ جبهوا مرة، وحجبوا مرة، فيرجع ذلك علينا بمضرّة من إصلاح المال، وأن ينفي عنه كل ما أعان على حبسه، مع ما يدخل من الغيظ، ويلقى من كان كذلك من المكروه.

فإذا اجتمعت هذه الخواطر هممت بغسلها، فإذا هممت به عارضني معارض يوهمني أنه أتاني من جهة الحزم ومن قبل العقل، فقال: أوّل ذلك الغرم الذي يكون في الماء والصابون. والجارية إذا ازدادت عناء ازدادت أكلاً. والصابون نورة، أي حجر الكلس الذي ينظف به، والنورة تأكل الثوب وتبلي الخزّ. ولا يزال الثوب على خطر حتى يسلم إلى القصر والدقّ. ثم إذا ألقي على الرسن، فهو بعرض الجذبة والنترة والعلق، ولا بدّ

---

(١) البخلاء ١٥٦.

من الجلوس يومئذ في البيت. ومتى جلست في البيت فتحوا علينا أبواباً من النفقة، وأبواباً من الشهوات، والثياب لا بدّ لها من دقّ. فإن نحن دققناها في المنزل قطعناها. وإن نحن أسلمناها إلى القصّار، أي منظف الثياب، فغرم على غرم، وعلى أنه ربّما أنزل بها من المكروه ما هو أشدّ. فإذا أنا لبستها وقد ابيضّت وحسنت وجفّت وطابت، تبيّنت عند ذلك وسخ جسدي، وكثرة شعري، وقد كان بعض ذلك موصولاً ببعض، ففرّقته، فاستبان لي ما كان لا يستبين. فيصير ذلك مدعاة إلى دخول الحمّام. فإن دخلته فغرم ثقيل مع المخاطرة بالثياب. ولي امرأة جميلة شابّة، إذا رأتني قد اطّليت، وغسلت رأسي، وبيّضت ثوبي، عارضتني بالتطيّب، وبلبس أحسن ثيابها، وتعرّضت لي، وأنا فحل، والفحل إذا هاج لم يردّ رأسه شيء. فإذا أردت مواقعتها، ورأت حرصي نثرت عليّ الحوائج نثراً. ثم احتجنا إلى تسخين الماء. وأشدّ من هذا كلّه أن تعلق وتحبل فتحتاج إلى ظئر، أي مرضعة، فنقع في ما لا غاية له[١].

❖ تمّار:

(أهذا دأبك كلّ يوم؟)

وكان في المدائن، قريباً من بغداد، تمّار في غاية البخل، والتمّار هو بائع التمور. قالوا إن غلامه كان إذا دخل الحانوت يحتال، فربّما احتبس وغاب، فاتهمه التمّار بأكل التمر. فسأله يوماً، فأنكر، فدعا بقطنة بيضاء، ثم قال: أمضغها، فمضغها. فلما أخرجها وجد فيها حلاوة وصفرة. قال: أهذا دأبك كلّ يوم، وأنا لا أعلم؟! أخرج من داري[٢].

❖ آخر:

(ملأ فمه ماءً)

وثمة تمّار آخر، لا يبيع التمر في الحانوت، بل هو صاحب بستان بلح، يبيعه إلى تجّار السوق، وكان في البخل أعجوبة. حدثوا عنه قالوا: إن ابن الأكّار، الذي يعمل في جني البلح، كان إذا صعد إلى نخلة للبخيل ليلقط له رُطباً، ملأ البخيل فمه ماءً. فسخروا به، وقالوا له: إنه يشربه، ويأكل الرطب على النخلة، فإذا أراد أن ينزل بال على يده، ثم أمسك البول في فمه. قالوا: إن التمار كان بعدها يملأ فم ابن الأكّار من ماء أصفر أو أحمر أو أخضر، لكيلا يقدر على مثله في رؤوس النخل[٣].

---

(١) البخلاء ١٤٦ - ١٤٧.
(٢) البخلاء ١٤٠.
(٣) البخلاء ١٤٠.

❖ إمام في البخل:

(اسكن على اسم الله)

ومن عجيب نوادر البخلاء أنّ رجلاً بلغ في البخل غايته، وصار إماماً. وأنه كان إذا صار في يده الدرهم، خاطبه وناجاه وفدّاه واستبطاه. وكان مما يقول له: كم من أرض قد قطعت، وكيس قد فارقت، وكم من خامل قد رفعت، ورفيع قد أخملت، لك عندي أن لا تعرى ولا تضحى. ثم يلقيه في كيسه ويقول له: اسكن على اسم الله في مكان لا تهان ولا تذلّ، ولا تنزعج منه. وزعموا أنه لم يدخل في الكيس درهماً قط ثم أخرجه، وأنّ أهله ألحّوا عليه في شهوة، وأكثروا عليه في إنفاق درهم، فدافعهم ما أمكن ذلك. ثم حمل درهماً فقط. فبينا هو ذاهب إذ رأى حوّاء قد أرسل على نفسه أفعى لدرهم يأخذه، فقال في نفسه: أتلف شيئاً تبذل فيه النفس بأكلة أو شربة؟ والله ما هذا إلاّ موعظة من الله لي. فرجع إلى أهله وردّ الدرهم إلى كيسه. فكان أهله منه في بلاء، ويتمنون موته للخلاص منه.

فلما مات وظنّوا أنهم قد استراحوا منه، قدم ابنه، فاستولى على ماله وداره، ثم قال: ما كان أدم أبي؟ - أي الطعام الذي يؤكل مع الخبز -.

قالوا: كان يتأدّم بجبنة عنده. قال: أرونيها، فإذا فيها حزّ كالجدول، من أثر مسح اللقمة. قال: ما هذه الحفرة؟ قالوا: كان لا يقطع الجبن، وإنما كان يمسح على ظهره، فيحفر كما ترى. قال: فهذا أهلكني، وبهذا أقعدني هذا المقعد. لو علمت ذلك ما صلّيت عليه. قالوا: فأنت كيف تريد أن تصنع؟ قال: أضعها من بعيد، فأشير إليها باللقمة[1].

❖ مروزي:

(لا قليل ولا كثير)

ومن لطيف ما ذكره الجاحظ في بخل أهل مرو، المدينة بخراسان، بخل ذلك المروزي، أي المنسوب إلى مرو، أو مرو الروز، الذي كان إذا أتاه زائر، فأطال الجلوس عنده: تغدّيت اليوم؟ فإن قال نعم، قال: لولا أنك تغديت لغديتك بغداء طيّب. وإن قال لا، قال: لو كنت تغدّيت لسقيتك خمسة أقداح، فلا يصير في يده على الوجهين، قليل ولا كثير[2].

---

(١) البخلاء ١٣٨ - ١٣٩.
(٢) البخلاء ٢٦.

❖ آخر:

(تتوضأ بالعذب؟؟)

وثمة مروزي آخر يقال له ابن كريمة، كان كلّما رأى أحداً يتوضأ من كوز خزف، أي إبريق صغير، يقول: سبحان الله! تتوضأ بالعذب، والبئر لك معرضة، أي ظاهرة؟ فإذا ما قال هذا المتوضىء ليست بعذب، بل هو من ماء البئر، أجابه المروزي قائلاً: إذاً أنت تفسد علينا الكوز بالملوحة.

فلا يدري المتوضىء كيف يتخلّص منه[١].

❖ ديكة مرو:

(البخل من طبع البلاد)

وعلى ذكر مرو وبخل أهلها، حدّث ثمامة، وهو ثمامة بن أشرس، أحد أبرز زعماء المعتزلة (ت ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م) قال: لم أر الديك في بلدة قطّ إلاّ وهو لافظ، يأخذ الحبّة بمنقاره، ثم يلفظها قدّام الدجاجة، إلاّ ديكة مرو، فإني رأيت ديكتها تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحب. قال: فعلمت أنّ بخلهم شيء في طبع البلاد، وفي جواهر الماء، فمن ثمّ عمّ جميع حيوانهم[٢].

❖ صبية مرو:

(ما ذنبنا؟)

وبالحديث عن مرو، رابعة، فإن أحمد بن رشيد، وهو الذي عاش في مرو مدة، نزل عند شيخ من أهلها، وصبيّ له صغير يلعب بين يديه، فقال له أحمد: إمّا عابثاً، وإمّا ممتحناً: أطعمني من خبزكم؟ قال: لا تريده، هو مرّ. فقال أحمد: فاسقني من مائكم؟ قال: لا تريده، هو مالح.

وكان أحمد كلّما قال: هات من كذا وكذا، قال الصبيّ لا تريده، هو كذا وكذا. إلى أن عدّ أصنافاً كثيرة، كلّ ذلك يمنعه إيّاه، ويبغّضه إليه، فضحك أبو الصبيّ، وقال: ما ذنبنا؟ هذا من علّمه ما تسمع؟ يعني أن البخل طبع في أهل مرو، وفي أعراقهم، وطينتهم[٣].

---

(١) البخلاء ٢٦.
(٢) البخلاء ٢٧.
(٣) البخلاء ٢٧.

❖ أبو مازن:

(سكران، والله، أنا سكران)

ومن البخلاء أبو مازن، وكان حجّة في البخل، ومرجعاً في التقتير، يدافع عنه زاعماً أنه باب من أبواب الإقتصاد وحسن التدبير. حدثوا عنه قالوا إن أحدهم، وهو جبل العميّ، دقّ الباب على أبي مازن ليلاً، وكان جبل قد خرج من موضع كان فيه، فخاف الطائف، أي الشرطيّ العاسّ الذي يطوف في الليل، دقّ الباب على صاحبه دقّ الواثق المدلّ، وفي قلبه عزّ الكفاية والثقة بإسقاط المؤنة، فلم يشكّ أبو مازن أنه دقّ صاحب هديّة، فنزل سريعاً، فلما فتح الباب وبصر بالرجل، بصر بملك الموت. فلما رآه جبل واجماً لا يحير كلمة، قال له: إني خفت معرّة الطائف، وعجلة المستقفي - أي الذي يقتفي أثر الآخرين بقصد الإساءة إليهم - فملت إليك لأبيت عندك. فتساكر أبو مازن - أي تظاهر بأنّه سكران - وأراه أنّ وجومه إنّما كان بسبب السكر. فخلّع جوارحه - أي أظهر له أن جوارحه مفكّكة متراخية - وخبّل لسانه - أظهر أنّ في لسانه خبلاً - وقال: سكران، والله، أنا سكران!. قال له جبل: كن كيف شئت. نحن في أيام الفصل، لا شتاء ولا صيف، ولست أحتاج إلى سطح فأغمّ عيالك بالحرّ، ولست أحتاج إلى لحاف فأكلّفك أن تؤثرني بالدثار. وأنا كما ترى، ثمل من الشراب، شبعان من الطعام، ومن منزل فلان خرجت، وهو أخصب الناس رحلاً. وإنّما أريد أن تدعني أغفي في دهليزك إغفاءة واحدة، ثم أقوم في أوائل المبكّرين. قال أبو مازن، وأرخى عينيه، وفكّيه، ولسانه، ثم قال: سكران، والله، أنا سكران. لا والله، ما أعقل أين أنا، والله لا أفهم ما تقول. ثم أغلق الباب في وجه صاحبه، ودخل لا يشكّ أنّ عذره قد وضح، وأنه ألطف النظر حتى وقع على هذه الحيلة[١].

❖ الطرسوسي:

(الغالية)

ومن البخلاء أبو جعفر الطرسوسي. حدّث الجاحظ إنه زار قوماً فأكرموه، وطيّبوه، وجعلوا في شاربه وسبلته، أي لحيته، غالية - ضرب من الطيب يدّهن به -. فلمّا حكّته شفته العليا، أدخل إصبعه فحكّها من باطن الشفة، مخافة أن تأخذ إصبعه من الغالية شيئاً إذا حكّها من فوق[٢].

---

(١) البخلاء ٤٨.

(٢) نفسه ٦٦.

❖ ابن كلّ الخير:

(ليس منه حشمة)

ومن البخلاء الأذكياء، يوسف بن كلّ الخير، دخل عليه علي الأعمى يوماً، والوقت وقت غداء، فقال يوسف: يا جارية، هاتي لأبي حسن الغداء. قالت: لم يبق عندنا شيء. قال: هاتي، ويلك، ما كان، فليس من أبي الحسن حشمة. ولم يشك أبو الحسن أنه سيؤتى برغيف ملطخ، وبرقاقة ملطّخة، وبسكّر وبقيّة مرق، وبعرق، وبفضلة شواء وببقايا ما يفضل في الجامات والسكرّجات.

فجاءت بطبق ليس عليه إلاّ رغيف أرزّ قاحل، لا شيء معه غيره. فلما وضعوا الخوان بين يديه، فأجال يده، وهو أعمى، فلم يقع إلاّ على ذلك الرغيف، وقد علم أنّ قوله «ليس منه حشمة» لا يكون إلاّ مع القليل. فلم يظنّ أنّ الأمر بلغ ذلك. فلمّا لم يجدْ سواه قال: ويلكم، رفعتم الحشمة كلّها[1]!؟.

❖ الذقنان:

(ما فاتني اللحم)

ومن أطرف البخلاء أبو يعقوب الذقنان، وكان إماماً في البخل، وكان يقول ما فاتني اللحم منذ ملكت المال. وكان إذا كان يوم الجمعة اشترى لحم بقر بدرهم، وبصلاً بدانق، وباذنجان بدانق، وقرعة بدانق، فإذا كان أيام الجزر اشترى جزراً بدانق، وطبخه كلّه سكباجاً، فأكل وعياله يومئذ خبزهم بشيء من رأس القدر. وما ينقطع في القدر البصل والباذنجان والجزر والقرع والشحم واللحم. فإذا كان يوم السبت تردوا خبزهم في المرق. فإذا كان الأحد أكلوا البصل، فإذا كان يوم الاثنين أكلوا الجزر. فإذا كان الثلاثاء أكلوا القرع. فإذا كان الأربعاء أكلوا الباذنجان. فإذا كان يوم الخميس أكلوا اللحم. فلهذا كان يقول: ما فاتني اللحم[2].

❖ الكندي:

(اصبروا..)

ومن الذين اتخذوا البخل مذهباً، وزيّنوه في أعين الناس على أنه حسن تدبير واقتصاد، الكندي، معاصر الجاحظ. ومن نادر احتجاجاته وكلامه في البخل قوله مخاطباً عياله وأصحابه، وكان من فحول المتكلّمة.

اصبروا عن الرطب عند ابتدائه وأوائله، وعن باكورات الفاكهة، فإنّ للنفس عند كلّ

(١) البخلاء ١٢٠.
(٢) البخلاء ١٢٢.

طارف نزوة، وعند كلّ هاجم بدوة، وللقادم حلاوة وفرحة، وللجديد بشاشة وغرّة. فإنّك متى رددتها ارتدّت، ومتى ردعتها ارتدعت.

والنفس عزوف، ونفور ألوف، وما حمّلتها احتملت، وإن أهملتها فسدت. فإن لم تكفّ جميع دواعيها، وتحسم جميع خواطرها، في أوّل ردّه، صارت أقلّ عدداً وأضعف قوّة، فإذا أثّر ذلك فيها، فعظها في تلك الباكورة بالغلاء والقوّة، فإن ذكر الغلاء والقلّة حجّة صحيحة، وعلّة عاملة في الطبيعة. فإذا أجابتك في الباكورة فسُمها مثل ذلك في أوائل كثرتها. واضرب نقصان الشهوة ونقصان قوّة الغلبة بمقدار ما حدث لها من الرخص والكثرة، فلست تلقى على هذا الحساب من معالجة الشهوة في غدك إلاّ مثل ابتداء حالك. وعلى أوّل مجاهدتك لشهوتك. فاضمنوا لي النزوة الأولى أضمن لكم تمام الصبر، وعاقبة اليسر، وثبات العزّ في قلوبكم، والغنى في أعقابكم، ودوام تعظيم الناس لكم. فإنه لو لم يكن من منفعة الغنى إلاّ أنك لا تزال معظّماً عند الناس لكان الفضل في ذلك بيّناً، والربح ظاهراً[١].

❖ **زبيدة بن حميد:**

(أسلفتني في الصيف)

ومن أعلام البخل، زبيدة بن حميد الصيرفي. حدثوا عن بخله قالوا إنه استلف من جاره البقّال قيراطاً ودرهمين. وبعد مضيّ ستة أشهر، قضاه درهمين وثلاث حبّات شعير. فاغتاظ البقال، وقال: سبحان الله، أنت ربّ مائة ألف دينار، وأنا بقّال لا أملك مائة فلس، وإنّما بكديّ، وباستفضال الحبّة والحبتين. صاح على بابك جمّال وحمّال، ولم يحضرك شيء، وغاب وكيلك فنقدتُ عنك درهمين وأربع شعيرات، فقضيتني بعد ستة أشهر درهمين وثلاث شعيرات؟ فقال زبيدة: يا مجنون، أسلفتني في الصيف، فقضيتك في الشتاء، وثلاث شعيرات شتويّة نديّة أرزن وأثقل من أربع شعيرات يابسة صيفيّة، وما أشكُّ أنّ معك فضلا[٢].

❖ **سهل بن هارون:**

(الرأس رئيس الأعضاء)

يعدّ سهل بن هارون، الكاتب في طليعة البخلاء، من أهل الجمع والمنع، كما يصفهم الجاحظ. قال دعبل الخزاعي، الشاعر، كنّا يوماً عند سهل بن هارون، فأطلنا الحديث حتى أضرّ به الجوع، فدعا بغدائه، فإذا بصفحة عدليّة فيها مرق لحم ديك قد

---

(١) البخلاء ٩٣.
(٢) البخلاء ٣٥.

هرم، لا تحزّ فيه السكّين، ولا يؤثّر فيه الضّرس. فأخذ قطعة خبز، فغار بها جميع ما في الصحفة، ففقد الرأس، فأطرق ساعة، ثم رفع رأسه إلى الغلام قائلاً: أين الرأس؟ قال: رميت به. قال: لِمَ؟ قال: لم أظنّك تأكله، ولا تسأل عنه. قال: ولأيّ شيء ظننت ذلك؟ فوالله، إنّي لأبغض من يرمي برجله فضلاً عن رأسه، والرأس رئيس الأعضاء، وفيه الحواسّ الخمس، ومنه يصيح الديك، وفيه العين التي يضرب المثل بها في الصفاء، فيقال: شراب مثل عين الديك. ودماغه عجيب لوجع الكلية، ولم ير قطّ عظم أهشّ من عظم رأسه. فإن كان بلغ من جهلك أن لا نأكله فعندنا من يأكله. انظر، أين هو؟ قال: والله، ما أدري أين رميته. قال: لكني، والله، أدري، رميت به في بطنك[١].

❖ أعرابي:

(أنت له...!)

ومن نادر بخل الأعراب ما حدث به الأصمعي عن أحدهم وقد تعرّق عظماً - أي امتصّه حتى أتى على كلّ شيء فيه من اللحم والدسم -، فلمّا أراد أن يلقيه، وكان له بنون ثلاثة، قال له أحدهم: أعطنيه. قال: وما تصنع به؟ قال: أتعرّقه حتى لا تجد فيه ذرّة مقيلا. قال: ما قلت شيئاً. قال الثاني: أعطنيه. قال: وما تصنع به؟ قال: أتعرّقه حتى لا يدري ألعامه ذلك هو أم للعام الذي قبله. قال: ما قلت شيئاً. فقال الثالث: أعطنيه. قال الأب: وما تصنع به؟ قال اجعله مخّه إدامه. قال أنت له[٢].

❖ آخر:

(الفرج بعد الشدّة)

ومن نوادر الأعراب البخلاء وملحهم، أنه قيل لبعضهم: ما الفرج بعد الشدّة؟ فقال أن يعتذر الضيف بالصوم[٣].

❖ الحباحب:

(أبخل من نار الحباحب)

ومن الذين ضرب المثل بهم في البخل، رجل في الجاهلية، أطلقوا عليه اسم الحباحب، حتى أنه قيل: «أبخل من نار الحباحب» وهو رجل بلغ به البخل أنه كان

---

(١) العقد الفريد ٣ / ٢٦٥.
(٢) البخلاء ٢٢٢.
(٣) المستطرف، للأبشيهي ١ / ٣٦٩.

يسرج السراج فإذا أراد أحد أن يأخذ منه، أطفأه. فضرب المثل ببخله[١].

❖ صاحب:

(وسّع الله عليك)

وكان ثمة صاحب لابن المقفع، كان يأتيه فيلح عليه ويسأله الغداء عنده، وهو يقول: لعلّك تظنّ أني أتكلّف لك شيئاً؟ والله، لا أقدّم إليك إلاّ ما عندي. فلما أتاه ابن المقفع يوماً، ما قدّم له صاحبه سوى كسر يابسة، وملح جريش.

وفي هذه الأثناء سأل سائل، فقال، وسّع الله عليك. فنهره صاحب ابن المقفع، فلم يذهب، فقال الصاحب: والله، لئن خرجت إليك لأذقنّ ساقك. فعلّق ابن المقفع على كلام صاحبه، وقال للسائل: لو عرفت من صدق وعيده، ما أعرف من صدق وعده، لم تردّد كلمة، ولم تقتم ببابه طرفة[٢].

❖ خالد بن صفوان:

(الدهر أعرض منه)

ومن البخلاء، خالد بن صفوان الذي كان يدافع عن مذهبه في البخل بالحجة والمنطق وكان يعدّ البخل ضرباً من الاقتصاد وحسن التدبير. من نوادر بخله واحتجاجاته، أنه قيل له يوماً: مالك لا تنفق، فإنّ مالك عريض؟ قال: الدهر أعرض منه. قيل له: كأنك تأمل أن تعيش الدهر كلّه؟ قال: أو لا أخاف أن أموت في أوله؟.

ومن نوادر بخله أن سائلاً سأله فأعطاه درهماً، فاستقلّه السائل، فقال له خالد: يا أحمق، إنّ الدرهم عُشر العشرة، والعشرة عُشر المائة، والمائة عُشر الألف، والألف عُشر العشرة آلاف. أما ترى كيف ارتفع الدرهم إلى دِية مسلم[٣]؟.

❖ الحزامي:

(البسه على بركة الله)

عرف أبو محمد الحزامي، عبدالله بن كاسب، وكاتب داود بن أبي دؤاد، عرف، وكما يقول الجاحظ، بأنه أبخل من برأ لله، وأطيب من برأ الله، في الوقت ذاته.

وكان لأبي محمد كلام في البخل، ويحتجّ له ويدعو إليه.

ومن احتجاجاته تلك ما قاله للجاحظ، وقد رآه مرّة في تشرين الأوّل، وقد بكّر البرد

---

(١) المحاسن والمساوىء ١ / ٤٠٨، للبيهقي.
(٢) المحاسن والمساوىء ١ / ٤١١ للبيهقي.
(٣) البخلاء ١٥٠.
والديّة: ما يدفع لذوي المقتول من الأموال.

شيئاً، رآه لابساً كساء قومسيّاً، - أي منسوباً إلى قومس ببلاد خراسان -، خفيفاً، وقد نيل منه. فقال له: ما أقبح السرف بالعاقل، وأسمج الجهل بالحكيم! ما ظننت أنّ إهمال النفس، وسوء السياسة، بلغ بك ما أرى!. قال الجاحظ: وأيّ شيء أنكرت منّا اليوم، وما كان هذا قولك فينا بالأمس؟ قال: لبسك هذا الكساء قبل أوانه. قال: قد حدث من البرد بمقداره، ولو كان هذا البرد في تموز وآب، لكان إبّاناً لهذا الكساء.

قال الحزامي: إن كان ذلك كذلك، فاجعل هذه المبطّنة جبّة محشوّة فإنها تقوم هذا المقام، وتكون قد خرجت من الخطأ. فأمّا لبس الصوف اليوم، فهو غير جائز. قال الجاحظ: ولم؟ قال: لأنّ غبار آخر الصيف يتداخله ويسكن في خلله، فإذا أُمطر الناس، وندي الهواء وابتلّ كلّ شيء، ابتلّ ذلك الغبار. وإنّما الغبار تراب، إلاّ أنّه لباب التراب، وهو مالح، ويتقبّض عند ذلك عليه الكساء، ويتكرّش، لأنه صوف، فتنضمّ أجزاؤه عليه، فيأكله أكل السوس أو الديدان، ولكن أخّر لبسه، حتى إذا مطر الناس، وسكن الغبار، وتلبّد التراب، وحطّ المطر ما كان في الهواء من الغبار، وغسله وصفّاه، فالبسه حينئذ على بركة الله[١]!.

(نار المعدة شيطان)

ومن احتجاجاته ونوادره وبخله، أنه كان يقع إلى عياله بالكوفة، كلّ سنة مرة، فيشتري لهم من الحبّ مقدار طبيخهم، وقوت سنتهم. فإذا نظر إلى حبّ هذا، وإلى حبّ هذا، وقام على سعره، اكتال من كلّ واحد منها كيلة معلومة، ووزنها بالميزان، واشترى أثقلها وزناً. وكان لا يختار على البلديّ والموصليّ شيئاً إلاّ أن يتقارب السعر. وكان على كلّ حال يفرّ من الميسانيّ - المنسوب إلى ميسان - إلاّ أن يضطر إليه، ويقول: هو ناعم ضعيف، ونار المعدة شيطان. فإنما ينبغي لنا أن نطعم الحجر وما أشبه الحجر[٢].

(حبّذا الشتاء)

ومن نوادره، أنه كان يقول حبّذا الشتاء. فإنّه يحفظ عليك رائحة البخور، ولا يحمض فيه النبيذ إن ترك مفتوحاً، ولا يفسد فيه مرق إن بقي أياماً. وكان لا يتبخّر إلاّ في منازل أصحابه. فإذا كان في الصيف دعا بثيابه فلبسها على قميصه، لكيلا يضيع من البخور شيء[٣].

---

(١) البخلاء ٦٨.
(٢) نفسه ٦٨.
(٣) البخلاء ٦٨.

(ليته)

وقيل له مرة أعلمت أنّ خبز البلديّ ينبت عليه شيء شبيه بالطين والتراب والغبار المتراكم؟ قال: حبّذا ذلك من خبز، أو ليته قد أشبه الأرض بأكثر من هذا المقدار[١].

(ادعني بأيّ اسم شئت)

وقيل له مرة: قد رضيت بأن يقال عبدالله بخيل؟ قال: لا أعدمني الله هذا الاسم. قيل له وكيف؟ قال: لا يقال فلان بخيل إلاّ وهو ذو مال. فسلّم إليّ المال، وادعُني بأيّ اسم شئت[٢].

❖ **الثوري:**

(لا تلقوا نوى التمر..)

عرف الثوري ببخله الشديد، وله في هذا المذهب حجج وأقوال، وآراء ونوادر شتى.

من ذلك قوله موصياً عياله وأصحابه:

لا تلقوا نوى التمر والرطب، وتعوّدوا ابتلاعه، وخذوا حلوقكم بتسويغه، فإنّ النوى يعقد الشحم في البطن، ويدفىء الكليتين بذلك الشحم. واعتبروا ذلك ببطون الصفايا، وجميع ما يعتلف من النوى. والله، لو حملتم أنفسكم على البرز والنوى، وعلى قضم الشعير واعتلاف القتّ - نوع من البقول - لوجدتموها سريعة القبول. وقد يأكل الناس القتّ قدّاحاً، والشعير فريكاً، ونوى البسر - التمر - الأخضر، ونوى العجوة.

فإنّما بقيت عليكم الآن عقبة واحدة: لو رغبتم في الدفء لالتمستم الشحم. وكيف لا تطلبون شيئاً يغنيكم عن دخان الوقود، وعن شناعة السكر، وثقل الغرم. والشحم يفرّج القلب، ويبيّض الوجه، والنار تسوّد الوجه. أنا أقدر أن أبتلع النوى، وأعلفه الشاء، ولكني أقول ذلك بالنظر مني لكم[٣].

(كلوا الباقلّى)

وكان يقول لعياله وأصحابه:

كلوا الباقلّى - الفول - بقشوره، فإنّ الباقلّى يقول من أكلني بقشوري فقد أكلني، ومن أكلني بغير قشوري فأنا الذي آكله. فما حاجتكم إلى أن تصيروا طعاماً لطعامكم، وأكلاً لما جعل أكلاً لكم[٤].

---

(١) البخلاء ٦٨.
(٢) البخلاء ٧٠.
(٣) البخلاء ٢٢٩.
(٤) نفسه ١٢٩.

(لو كان منزلي)

ومن عجيب قصصه وبخله أنه حُمّ يوماً، أي أصابته الحمّى، وحمّ معه عياله وخدمه، فلم يقدروا مع شدّة الحمّى على أكل الخبز، فربح كيلةً، تلك الأيام، من الدقيق. ففرح بذلك، وقال: لو كان منزلي سوق الأهواز لرجوت أن أستفضل كلّ سنة مائة دينار. فكان لا يبالي أن يحمّ هو وأهله أبداً بعد أن يستفضل كفايتهم من الدقيق[١].

(أول الإصلاح)

ومن عجيب نصائحه وأقواله في الإصلاح، لأن الإصلاح في نظره، هو البخل:

أول الإصلاح، وهو واجب، خصف النعل، واستجادة الطراق، وتشحيمها في كلّ الأيام، وعقد ذؤابة الشراك من زيّ النسّاك لكيلا يطأ عليه إنسان فيقطعه. ومن الإصلاح الواجب قلب خرقة القلنسوة إذا اتسخت، وغسلها من اتساخها بعد القلب. ومن ذلك اتخاذ قميص الصيف جبّة في الشتاء، واتخاذ الشاة اللبون إذا كان عندك حمار، واتخاذ الجامع خير من غلّة ألف دينار، لأنه لرحلك، وبه تدرك البعيد من حوائجك، وعليه تطحن، وتفضل ما يربحه عليك الطحان، وتنقل عليه حوائجك وحوائجه، حتى الحطب، وتستقي عليه الماء، وهذه كلّها مؤن إذا اجتمعت كانت في السنة مالاً كثيراً[٢].

❖ بخيل غير شجاع:

(من أشجع الناس؟)

وممّا يتندّر به، ما قاله أحد البخلاء، وقد قيل له: من أشجع الناس؟ فقال: من سمع وقع أضراس الناس على طعامه، ولم تنشقّ مرارته[٣].

❖ محمد بن الجهم:

(يا غلام هات الغداء)

ومن عجيب أخبار محمد بن الجهم، وكان من البخلاء الأذكياء، قوله في البخل:

وددت أن عشرة من الفقهاء، وعشرة من الشعراء، وعشرة من الخطباء، وعشرة من الأدباء تواطئوا على ذمّي، واستهلّوا بشتمي، حتى ينشر ذلك عنهم في الآفاق، حتى لا يمتدّ إليّ أمل آمل، ولا ينبسط نحوي رجاء راج.

---

(١) البخلاء ٢٣٠.
(٢) البخلاء ١٣٠.
(٣) المستظرف من كلّ فن مستطرف ١ / ٣٧٧.

وكان يقول لأصحابه إذا ما قالوا إنما نخشى أن نقعد عندك فوق مقدار شهوتك، فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت استحسانك لقيامنا، كان يقول لهم إذا ما سألوه ذلك: علامة هذا أن أقول يا غلام هات الغداء[١].

❖ أبو عبد الرحمٰن:

(الدرهم دار الهمّ)

من متكلمة البخلاء، المدعوّ أبا عبدالرحمٰن، وكان شديد البخل، عضب اللسان، وكان يحتجّ للبخل ويوصي به، ويدعو إليه.

ومن نوادره، وغريب وصاياه لعياله وأصحابه ما أوصى به ولده، قال:

أيّ بنيّ، إنّ إنفاق القراريط يفتح عليك أبواب الدوانيق. وإنفاق الدوانيق يفتح عليك أبواب الدراهم. وإنفاق الدراهم يفتح عليك أبواب الدنانير. والعشرات تفتح عليك أبواب المئين. والمئون تفتح عليك أبواب الألوف، حتى يأتي ذلك على الفرع والأصل، ويطمس على العين والأثر، ويحتمل القليل والكثير.

أي بنيّ، إنما صار تأويل الدرهم «دار الهمّ»، وتأويل الدينار «يدني إلى النار»، والدرهم إذا خرج إلى غير خلف، وإلى غير بدل، دار الهمّ على دانق مخرجه.

والدينار يدني إلى النار، لأنه إذا أنفقه في غير خلف، وأخرج إلى غير بدل، بقي مخفقاً معدماً وفقيراً مبلطاً، وتدعوه الضرورة إلى المكاسب الرديئة، والطعم الخبيثة. والخبيث من الكسب يسقط العدالة، ويذهب بالمروءة، ويوجب الحدّ، ويدخل النار.

(الرأس سيّد البدن)

ومن قصص أبي عبدالرحمٰن ونوادر بخله واحتجاجاته أنه كان يعجب بالرؤوس، ويحمدها ويصفها. وكان لا يأكل اللحم إلاّ يوم أضحى، أو من بقيّة أضحيته، أو أن يكون في عرس، أو دعوة أو سفر. وكان يقول: الرأس شيء واحد، وهو ذو ألوان عجيبة وطعوم مختلفة. وكلّ قدر وكلّ شواء فإنما هو شيء واحد. والرأس فيه الدماغ، فطعم الدماغ على حدة. وفيه العينان، وطعمهما على حدة. وفيه الشحمة التي بين أصل الأذن ومؤخر العين، وطعمهما على حدة. وفي الرأس، اللسان وطعمه شيء على حدة. وفيه الخيشوم والغضروف الذي في الخيشوم، وطعمهما على حدة. وفيه لحم الخدّين، وطعمه شيء على حدة.

وكان أبو عبدالرحمٰن يقول: الرأس سيّد البدن. وفيه الدماغ، وهو معدن العقل،

---

(١) العقد ٣ / ٢٦٤.

ومنه يتفرّق العصب الذي فيه الحسّ، وبه قوام البدن، وإنما القلب باب العقل.

وكان إذا فرغ من أكل الرأس، عمد إلى القحف، وإلى اللحيين، فوضعه بقرب بيوت النمل والذرّ، فإذا اجتمعن فيه أخذه، فنفضه في طست فيها ماء، فلا يزال يعيد ذلك في تلك المواضع حتى يقلع أصول النمل والذرّ من داره، فإذا فرغ من ذلك ألقاه في الحطب ليوقد به سائر الحطب.

(هذه سبيل الحياة)

وكان أبو عبدالرحمٰن ممن يتابع نصحه لابنه، فيقول له: أيّ بنيّ، وقد بلغت التسعين عاماً ما نفض لي سنّ ولا تحرك لي عظم، ولا انتشر لي عصب، ولا عرفت رنين أذن، ولا سيلان عين، ولا سلس - جريان - بول. ما لذلك علّة إلاّ التخفيف من الزاد. فإن كنت تحبّ الحياة فهذه سبيل الحياة. وإن كنت تحبّ الموت فلا يبعد الله إلاّ من ظلم[1].

(١) البخلاء ١١٠ - ١١١.

أروع ما قيل في الفروسية

القسم الأول

في الجاهلية وعصر صدر الإسلام

❖ المهلهل

(وأخو الحرب من أطاق النزولا)

من الفرسان الشجعان، كليب بن ربيعة (ت حوالي ٤٩٢ م)، سيّد بني ربيعة في الجاهلية، وحامي ذمارها. أضرم نارب حرب البسوس بين تغلب وبكر، فكان أوّل قتلاها. رثاه أخوه مهلهل بن ربيعة، وطالب بالثأر له. وله في ذلك شعر كثير، منه هذا الشعر الذي يظهر فيه الشاعر ملامح من بطولة كليب وشجاعته وفروسيته، مثلما يظهر بطولته هو، وفروسيته:

كيف أهدا ولا يزال قتيل ... من بني وائل ينسّي قتيلا
غيّبت دارنا تهامة في الدهر ... وفيها بنو معدّ حلولا
فتساقوا كأساً أمرّت عليهم ... بينهم يقتل العزيز الذليلا
فصبحنا بني لجيم بضرب ... يترك الهام وقعه مفلولا
لم يطيقوا أن ينزلوا ونزلنا ... وأخو الحرب من أطاق النزولا
انتضوا ممعج القسيّ وأبرقنا ... كما ترعد الفحول الفحولا
قتلوا ربّهم سفاهاً كليباً ... ثمّ قالوا ما إن نخاف عويلا
كذبوا والحرام والحلّ حتى ... يسلب الخدر بيضه المحجولا
ويموت الجنين في عاطف الرحم ... ونروي رماحنا والخيولا[1]

(القائد الخيل...)

ومما قاله في رثاء كليب، واصفاً بطولته ونجدته وشجاعته وفروسيته وإقدامه، قوله:

كليب، أيّ فتى عزّ ومكرمة ... تحت السفاسف إذ يعلوك ساقيها
نعى النعاة كليباً لي فقلت لهم ... مالت بنا الأرض أو زالت رواسيها
القائد الخيل تردى في أعنّتها ... زهواً إذا الخيل لجّت في تعاديها
من خيل تغلب ما تلفى أسنّتها ... إلاّ وقد خضّبوها من أعاديها
يهزهزون من الخطيّ مدمجة ... كُمتاً أنابيبها زُرقاً عواليها
تروى الرماح بأيدينا فنوردها ... بيضاً ونُصدرها حُمراً أعاليها[2]

---

(١) ابن عبد ربّه: العقد الفريد ٣/ ٧٩ . دار ومكتبة الهلال. بيروت.
ومفلولاً: مثلوماً. والقسيّ: جمع قوس. وممعج: ما تثنىّ واضطرب من القسيّ وغيرها.
(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣/ ٧٩ .
والخطيّ: صفة للرماح. وساقيها: مذريها. والرواسي: الجبال.

❖ ودّاك المازني

(ليوث طعان عند كلّ طعان)

من الأقوال الفائقة الروعة في البطولة والفروسية، قول ودّاك بن سنان بن ثميل المازني، وهو شاعر جاهلي فخر بقومه بني مازن. ولما أراد بنو شيبان صرفهم عن الماء الذي يقال له سفوان، قال وداك من شعر الحماسة والفخر والفروسية:

رويدَ بني شيبان بعض وعيدكم ... تلاقوا غداً خيلي على سفوانِ
تلاقوا جياداً لا تحيد عن الوغى ... إذا ما غدت في المأزق المتداني
عليها الكماة الغُرّ من آل مازن ... ليوث طعان عند كلّ طعان
تلاقوهمُ إن تعرفوا كيف صبرهم ... على ما جنت فيهم يد الحدثان
مقاديم وصّالون في الروع خطوهم ... بكلّ رقيق الشفرتين يمان
إذا استُنجدوا لم يسألوا من دعاهُم ... لأيّة حرب أم بأيّ مكان[1]

❖ عبد الشارق الجهني

(وأُبنا بالسيوف قد انحنينا)

ومن جيّد شعر الإقدام والشجاعة والفروسية والحماسة الفائقة، وهذا الشعر يدخل في المنصفات، ما قاله أحد الفرسان المشهورين الجاهليين، واسمه عبد الشارق ابن عبد العزّى الجهني، نسبة إلى جهينة، وهو:

ألا حُيّيتِ عنّا يا رُدَيْنا ... نُحيّيها وإن كرمت علينا
ردينةُ، لو رأيتِ غداة جئنا ... على أخماتنا وقد اختوينا
فجاؤوا عارضاً برداً وجئنا ... كمثل السيل نركب وازعينا
تنادَوا يا لبهشة إذا رأونا ... فقلنا أحسني ضرباً جهينا
سمعنا دعوة عن ظهر غيبٍ ... فجلنا جولة ثم ارعوينا
فلمّا أن تواقفنا قليلاً ... أنخنا للكلاكل فارتمينا
فلمّا لم ندع قوساً وسهماً ... مشينا نحوهم ومشوا إلينا
شددنا شدّة فقتلت منهم ... ثلاثة فتية وقتلت قينا
فآبوا بالرماح مكسّرات ... وأُبنا بالسيوف قد انحنينا[2]

---

(١) أبو تمام: الحماسة ١/ ٣٢ ـ ٣٣ . دار القلم. بيروت.
والوغى: الحرب. والمأزق: المضيق، كناية عن الحرب.
والكماة: جمع كميّ، أي الفارس. والغُر: البيض الوجوه.
وحدثان الدهر: صروفه. والروع: الحرب. ورقيق الشفرتين: صفة للسيف. واليمان: المنسوب إلى اليمن، صفة للسيف.
(٢) ابو تمام: الحماسة ١/ ١٧٠ ـ ١٧١ .
والأخمات: جمع أخمة، وهي الحقد والغيظ. واختوينا: كنّا خواة، أي جائعين. وذلك لأن العرب كانت تكره أن تنزل إلى الحرب وهي ملأى البطون خشية الطعن في البطن فيزلق المعي وفيه الطعام. والقين: اسم للفارس.

❖ أبيّ بن سلمى

(وخيلٍ...)

ولأبيّ بن سلمى بن ربيعة الضبي، في الفروسية والحماسة والشجاعة، قوله:

وخيلٍ تلافيت ريعانها ... بعجلزة جَمزى المدَّخرْ
سبوح إذا اعترضت في العنان ... مروح ململمة كالحجر
فلو طار ذو حافرٍ قبلها ... لطارت ولكنه لم يطر[1]

❖ قبيصة بن النصراني

(لم أر خيلاً...)

من قدامى الشعراء، في الجاهلية، قبيصة بن النصراني، من بني جرم، من طيء، له من شعر الفروسية، قوله:

لم أر خيلاً مثلها يوم أدركت ... بني شمجى خلف اللهيم على ظهر
أبرّ بأيمان وأجرأ مقدماً ... وأنقض منا للذي كان من وتِر[2]

❖ قتادة بن مسلمة

(قوم إذا لبسوا الحديد...)

ومنهم، أي من الشعراء الفرسان، قتادة بن مسلمة الحنفي، سيد وفارس، وشاعر، له من شعر الفروسية والحماسة، قوله:

قوم إذا لبسوا الحديد كأنّهم ... في البيض والحلق الدلاص نجومُ
فلئن بقيت لأرحلنّ بغزوة ... تحوي الغنائم أو يموتَ كريم[3]

❖ كعب بن الحارث

(وقد قلقت تحت السروج لبودها)

ومنهم، أيضاً، كعب بن الحارث الغطفاني. له من هذا الضرب من الشعر الفروسي الحماسي، قوله:

لقد علم الحيّانِ كعب وعامر ... وحيّا كلابٍ جعفرٌ ووحيدُها
بأنّا لدى العرقوب لم نسأم الوغى ... وقد قلقت تحت السروج لبودها[4]

---

(١) الحماسة ١/ ٢١٥ .
والعجلزة: صفة للفرس السريع، ومثلها السبوح. والجمزى: ضرب من العدو السريع.
(٢) الحماسة ١/ ٢٤١ . والوتر: طلب الثأر.
(٣) نفسه ١/ ٣٢٢ . والدلاص: الدروع.
(٤) الآمدي: المؤتلف: ٣٤٤ . ط دمشق.
والسرج: موضع مقود الفارس من الخيل. والوغى: الحرب.

❖ المثلّم بن رياح

(لففنا البيوت بالبيوت...)

ومن جيد الشعر الحماسي الفروسي، شعر المثلم بن رياح المرّي، وهو:

تصيح الردينيّات فينا وفيهم ... صياح بنات الماء أصبحن جُوّعا
لففنا البيوت بالبيوت فأصبحوا ... بني عمّنا من يرمهم يرمنا معا[1]

❖ الحريث بن هلال

(ولكنّي يجول المهر تحتي)

ومن صحابة النبي (ص) الشجعان الفرسان، الحريث بن هلال، القريعي، له في الذبّ عن النبيّ (ص) والاعتداد بالفروسية والبسالة قوله:

نعرّض للسيوف إذا التقينا ... وجوهاً لا تعرّض للّطامِ
ولست بخالع عنّي ثيابي ... إذا هزّ الكماة ولا أرامي
ولكنّي يجول المهر تحتي ... إلى الغارات بالعضب الحسام[2]

❖ عامر بن الطفيل

(أبى الله أن أسمو بأمّ ولا أب)

ومن شعراء الفروسية، عامر بن الطفيل، من بني عامر، عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام، وكانت وفاته سنة ١٠ هـ، مات بالطاعون إثر وفادته على النبي (ص) ودعوة النبي له إلى الإسلام، فأبى، فدعا عليه، فكانت وفاته تلك.

كان في الوفد الذي أرسله النعمان المنذري إلى كسرى، ملك فارس، فتكلم، فأظهر غلظة على الملك، وتهديداً له. خاض معظم حروب بني قومه، واسم فرسه كان المزنوق. وله فرس آخر اسمه دَعلج.

من شعره الذي يتغنّى فيه بالفروسية والقتال، قوله:

تقول ابنة العمريّ مالك بعدما ... أراك صحيحاً، كالسليم المعذّب
فقلت لها همّي الذي تعلمينه ... من الثأر في حيّي زبيد وأرحب
وإن أغز حيّيْ خثعم فدماؤهم ... شفاء وخير الثأر للمتأوّب
وإنّي وإن كنت ابن سيّد عامر ... وفارسها المندوب في كلّ موكب

---

(١) الحماسة ١/ ١٤٤ .
(٢) نفسه ١/ ٣٦ .
والحسام العضب: صفتان للسيف. والكماة: الفرسان.

فما سوّدتني عامر عن قرابة ... أبى الله أن أسمو بأمّ ولا أب
ولكنّني أحمي حماها وأتّقي ... أذاها وأرمي من رماها بمنكب[1]

(ولم يخبزك بالخبر الجنود)

أمّا يوم غول، وما أدراك ما يوم غول، فقد أبلى الشاعر بلاء حسناً في قتال الأعداء، وهم بنو لجيم، وعبد القيس، يقول عامر متحدثاً عن بطولته وإقدامه وفروسيته في ذلك اليوم:

كأنّكِ لم ترينا يوم غول ... ولم يخبرك بالخبر الجنود
بما لاقت سراة بني لجيم ... تعضّ سراتهم فينا القيود
وعبد القيس بالمرداة لاقت ... صباحاً مثل ما لاقت ثمود
لقيناهم ببيض مرهفات ... نقتّلهم بها حتى أبيدوا
وأردفنا نساءهم وجئنا ... وقد دميت من الخمش الخدود[2]

❖ **ربيعة بن مقروم**

(وعلام أركبه إذا لم أنزل)

ومن الشعراء الفرسان، ربيعة بن مقروم الضبّي، الشاعر الجاهلي الذي أدرك الإسلام، فشهد مواقعه، وشهد جلولاء في صدر الإسلام. أسرته عبد القيس إلى حين. له من شعر الفروسية، قوله:

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها ... بسليم أوظفة القوائم هيكل
فدعوا نزالِ فكنت أوّل نازل ... وعلام أركبه إذا لم أنزل[3]

❖ **الأسعر الجعفي**

(يخرجن من خلل الغبار...)

من الشعراء الفرسان، الأسعر الجعفي، واسمه مرثد بن أبي حمران، ومن شعر الفروسية والحماسة، له قوله:

ولقد علمت على تجنّبي الردى ... أنّ الحصون الخيل لامدر القرى
يخرجن من خلل الغبار عوابساً ... كأصابع المقرور أقعى واصطلى[4]

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ٢٨ . دار صادر بيروت ١٩٦٣ م.
(٢) ديوان عامر بن الطفيل ٥٦ .
وبنو نجيم: هم عجل وحنيفه. والمرداة: اسم أرض بهجر في البحرين. وعبد القيس: هم بنو عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد.
(٣) الأصفهاني: الأغاني ٥/ ١٠٧ . دار عز الدين. بيروت.
ونزال: اسم فعل على وزن فعالِ، يعني هيّا إلى النزول ومقارعة الأبطال.
(٤) ابن منظور: لسان العرب ١٢/ ٢٦٠ . دار صادر. بيروت. وأقعى: قعد على قوائمه قعدة الإعقاء.

❖ جابر بن رألان

(قد يعلم القوم...)

ومن الفرسان الشعراء، جابر بن رألان السنبسي، له من شعر الفخر والحماسة والفروسية، قوله:

قد يعلم القوم أنّا يوم نجدتهم ... لانتقي بالكميّ المارد الأسلا
لكن ترى رجلاً في إثره رجل ... قد غادرا رجلاً بالقاع منجدلا[1]

❖ جرير المدلجي

(إذا الخيل...)

ومنهم، أيضاً، أي الشعراء الفرسان، جرير المدلجي، أحد بني مدلج بن عذرة، كنيته أبو مالك، له من شعر الفروسية والحماسة قوله:

وإنّا لنمنع عوذ النساء ... إذا غاب شاهد أنفارها
إذا الخيل جالت على الزائدين ... حول المخاض بأغبارها
وخضّبها بدم كالجساد ... مقبلة وبأدبارها[2]

❖ حباب بن أفعى

(كلانا واردان إلى الطعان)

ومن الشعراء الفرسان، حباب بن أفعى، أحد بني حباب بن ربيعة.. بن عجل. له قوله:

وقرنٍ قد رأيت لدى مكرّ ... فلم يُدبر، وأقبل إذ رآني
يجرّ سنانه حيث اتجهنا ... كلانا واردان إلى الطعان
فأخطأ رمحه وأصاب رمحي ... وما عنّ القتال ولا ألاني[3]

❖ الحارث بن حلّزة

(ولا ينفع الذليل النجاء)

ومن الفرسان الشجعان، في الجاهلية، الحارث بن حلزة اليشكري، أحد أصحاب المعلقات العشر، عاش طويلاً فمات وله من العمر مائة وخمسون عاماً. من شعره المتضمن فخراً بفروسيته وفروسية قومه، قاله في حضرة عمرو بن هند، ملك الحيرة، قوله:

---

(١) الحماسة ٢/ ٣٣١.
والكمي: الفارس المطهّم. والأسل: الرماح.
(٢) المؤتلف ٧٣.
(٣) نفسه ٩٤.

أيّها الناطق المرقّش عنّا ... عند عمرٍو، وهل لذاك بقاء
لا تخلنا على غَراتك إنّا ... قبلُ ما قد وشى بنا الأعداء
فبقينا على الشناءة تنمينا ... حصون وعزّة قعساء
هل علمتم أيّام ينتهب الناس ... غِواراً، لكلّ حيّ عواء
إذ ركبنا الجمال من سعف البحر ... ين سيراً حتى نهاها الحساء
ثمّ ملنا على تميم فأحرمنا ... وفينا بنات مُرّ إماء
لا يقيم العزيز بالبلد السهل ... ولا ينفع الذليل النجاء
فملكنا بذلك الناس حتى ... ملك المنذر بن ماء السماء
فرددناهُم بطعن كما يخرج ... من خربة المزاد الماء
وحملناهُم على حزم ثهلان ... شلالاً ودُمّي الأنساء
وجبهناهُم بطعن كما تُنهز ... في جمّة الطويّ الدلاء
وفعلنا بهم كما علم الله ... وما إنْ للحائنين دماء
ما جزعنا تحت العجاجة إذ ولّوا ... شلالاً وإذ تلظّى الصلاء
وأتيناهم بتسعة أملاك ... كرام أسلابهم أغلاء
وثمانون من تميم بأيديهم ... رماح صدورهنّ القضاء
تركوهم ملحّبين وآبوا ... بنهاب يصمّ منها الحداء[1]

❖ **أنيف بن زبّان**

(كأسد الشرى إقدامها ونزالها)

ومن وحي يوم الدهناء، يقول أنيف بن زبّان النبهانيّ الطائي، وكان من الشعراء الفرسان:

فلمّا أتينا السفح من بطن حائلٍ ... بحيث تلاقى طلحها وسيالها
دعَوْا لنزارٍ، وانتحينا لطيّءٍ ... كأسْد الشرى إقدامها ونزالها[2]

---

(١) المعلقات العشر ١٧٠ ـ ١٧٨ . دار صعب بيروت ١٩٨٠ .
وملحّبون: منقطعون. وآبوا: عادوا. والقضاء: الموت. وأغلاء: غالية الثمن. والعجاجة: الغبار. وشلالاً: طراداً. والصلاء: الأوار. والحائنون: المتعرّضون للهلاك. وتنهز: تحرك. وجمة: ماء مجتمع كثير. والطوي: البئر. والدلاء: ما يوضع فيها الماء. والأنساء: عروق الفخذ. وثهلان: اسم جبل. وغواراً: مغاورة. والمرقش: المفتري بالكذب.

(٢) الحماسة ١/ ٤٩ .
والطلح والسيال: ضربان من النبات الصحراوي.

❖ السليك

(قدّم النحّام...)

ومن أشهر شجعان العرب، وصناديدهم في الجاهلية، السليك بن عمر. بن الحارث التميمي، ويعرف بالسليك بن السلكة، والسلكة أمّة، من العدائين المشهورين، والصعاليك والفتاك المعدودين، ما ترك قوماً إلاّ وأغار عليهم. ومن الذين أغار عليهم، بنو خثعم ومرار، ولما لحق به قيس بن مكشوح في محاولة منه لاسترداد الإبل التي استلبها السليك، ضربه السليك ضربة هدّت حيله، فما استطاع منه فكاكاً. وكان للسليك فرس يقال لها النحّام. وفيه يقول مخاطباً غلامه:

قدّم النحّام منّي يا غلامْ ... واطرح السرج عليه واللجامْ
أعلم الفتيان أنّي خائض ... غمرة الموت، فمن شاء أقامْ

وفيه يقول أيضاً:

قطعت وتحتي النحّام يهوي ... كما انقضّت على الخزز العقاب[1]

(رددت عليه نفسه...)

ولقد ذكر السليك في شعره بعضاً من مغامراته وبطولاته، وفخر بشجاعته التي لا تعدلها أخرى. وإنّ من هذا الشعر قوله:

ألم تر أنّ الدهر لونان، لونه، ... وطوران، بِشرٌ، مرّةً، وكذوبُ
فما خير من لا يرتجي خير أوبة ... ويخشى عليه سِريةٌ وحروب
رددتُ عليه نفسه، فكأنّما ... تلاقى عليه مِنسر وسَروب
فما ذرّ قرن الشمس حتى أريته ... قصار المنايا، والفؤاد يذوب
وضاربت عنه القوم حتى كأنّه ... يصعّد في آثارهم ويصوب
وقلت له خذ هجمة حميريّةً ... وأهلاً، ولا يبعد عليك شروب
وليلة جابانٍ كررتُ عليهمُ ... على ساعة فيها الإياب حبيب
عشيّة ضلّت للحرامي ناقة ... بحيّ هلاً ترعى به فتجيب
فضاربت أولى الخيل حتى كأنّما ... أميل عليها أيدع وصبيب[2]

---

(١) سعيد عسيلي: الفروسية العربية ـ هامش ـ ٢٥٥ . دار الزهراء. بيروت ١٩٩٣ .
(٢) سعيد عسيلي: الفروسية العربية ٣٤٦ .
والأيدع، ضرب من الشجر، ومثله الصبيب، وهو الحنّاء. والحرامي، أحد بني حرام. والمنسر: القطعة من الجيش. والسروب مثلها.

❖ عمرو بن كلثوم

(نطاعن دونه حتى يبينا)

وهذا شاعر فارس من شعراء العصر الجاهلي وفرسانه. كنيته أبو الأسود، شجاع مقدام ضرب المثل به في الفتك والبطش وعلّو الهمّة والشجاعة، ويكفيه أنه هو الذي أقدم على ضرب رأس عمرو بن هند، ملك الحيرة، فقطعه بسيفه انتقاماً لأمّه التي أهانتها أمّ الملك. إنه عمرو بن كلثوم بن مالك، من تغلب وائل كانت وفاته حوالي ٥٧٠ م. وهو صاحب المعلقة المشهورة التي نقتطف منها هذه الأبيات الدالّة على فروسيته وشجاعته وبطولته، وإنّ منها قوله مهدداً متوعداً عمرو بن هند:

أبا هندٍ، فلا تعجل علينا ... وأنظرنا نخبّرْك اليقينا
بأنّا نورد الرايات بيضاً ... ونُصدرهنّ حمراً قد روينا
وأيام لنا غُرّ طوال ... عصينا المَلكْ فيها أن ندينا
تركنا الخَيل عاكفة عليه ... مقلّدة أعنّتها صفونا
متى ننقلْ إلى قوم رحانا ... يكونوا في اللقاء لها طحينا
نطاعن ما تراخى الناس عنّا ... ونضرب بالسيوف إذا غشينا
بسُمر من قنا الخطّيّ لُدنٍ ... ذوابل أو ببيض يختلينا
نشقّ بها رؤوس القوم شقاً ... ونُخليها الرقاب فتختلينا
كأنّ جماجم الأبطال فيها ... وُسوقٌ بالأماعز يرتمينا
ورثنا المجد قد علمت معدٌّ ... نطاعن دونه حتى يبينا
نجذُّ رؤوسهم في غير بِرّ ... فما يدرون ماذا يتقونا
كأنّ سيوفنا فينا وفيهم ... مخاريق بأيدي لاعبينا
كأنّ ثيابنا منّا ومنهم ... خُضبن بأرجوانٍ أو طلينا
علينا البيض واليلب اليماني ... وأسياف يقمن وينحنينا
علينا كلّ سابغة دلاص ... ترى فوق النطاق لها غضونا
وتحملنا غداة الروع جُرد ... عُرفن لنا نقائذ وافتُلينا
وردن دوارعاً وخرجن شُعثاً ... كأمثال الرصائع قد بلينا
ورثناهنّ عن أباء صدق ... ونورثها، إذا متنا، بنينا
وقد علم القبائل من قعدّ ... إذا قُبب بأبطحها بُنينا
بأنّا المطعمون إذا قدرنا ... وأنّا المهلكون إذا ابتُلينا
وأنّا المانعون إذا أردنا ... وأنّا النازلون بحيث شينا
ونشرب إن وردنا الماء صفواً ... ويشرب غيرنا كدراً وطينا[1]

---

(١) المعلقات العشر ١٢٠/ ١٣٠ .

=

❖ حزن بن عامر

(لباسهُم إذا لبسوا دروع)

أحد الشعراء الفرسان الطائيين، يعرف بابن عتيقة. له من شعر الحماسة والفخر والفروسية، قوله:

وحيّ يمنعون بلاد عوف ... على الجُرد المنعّمة الجيادِ
لباسهُم إذا فزعوا دروع ... كأنّ قتيرها حدق الجراد[1]

❖ حليس بن مشمت

(لقد علمت...)

ابن المخبّل، من ربيعة. وهو من الفرسان الشجعان، له قوله فاخراً:

لقد علمت أفناء بكر بن وائل ... إذا الحرب شبّت أنّنا من كماتها
وأنّا نثير نارها برماحنا ... ويجعلنا الإيقاد خير صُلاتها[2]

❖ حمران بن عبد عمرو

(نِعم الفوارس من بني سيّار)

ومنهم، أيضاً، من الشعراء الفرسان، حمران بن عبد عمرو، وله في الفخر والحماسة، قوله من وحي يوم ناعجة المعا:

إنّ الفوارس يوم ناعجة المعا ... نعم الفوارس من بني سيّار
لم يُلههم عقد الأصرّة خلفهم ... وحنين منهلة الضروع عقار[3]

❖ خميصة بن جندل

(إذا ما الرّيق عضب في الحلوق)

ومنهم خميصة بن جندل بن مرثد بن عامر.. الشيباني. قاتل طريف العنبري. بطل شجاع، له من الحماسة والفروسية، قوله:

شهدنا غارة لا شيء فيها ... سوى فرس الأسنّة والشهيق
إذا أخمدن بارق ضوء نار ... نفخناها لأخرى ذي بروق

= ودوارع: عليهنّ الدروع. والرصائع: عقد العنان على قزال الفرس. ونقائذ: مخلصة من الأعداء. والجرد: صفة للخيل السريعة القوية. والسابغة الدلاص: الدرع. واليلب اليماني: سيور تلبس تحت البيض، من صنع اليمن. والمخراق: السيف من الخشب. والوسوق: أحمال البعير. جمع وسق. والأماعز: الأماكن الصعبة الكثيرة الحصى.

(١) اللسان ٨/ ٧٦ .

(٢) المؤتلف ٨٧ .

والكماة: جمع كميّ، وهو الفارس الشجاع المطهّم.

(٣) اللسان ٧/ ١٩٤ .

كفيت أبا حمار شاهديها إذا ما الرّيق عصّب في الحلوق[١]

❖ لبيد

(وهمُ فوارسها وهم حكّامها)

فارس من ألمع فرسان الجاهلية، وجواد من أجوادها، وشجاع من شجعانها، هو لبيد بن ربيعة بن عامر، أمّه من بني عبس. أدرك الجاهلية فأسلم وكانت وفاته حوالي ٤٠ هـ.

لقد خرج مرة على رأس مائة من فرسان هوازن، وهاجم ومن معه المنذر بن ماء السماء، ملك الحيرة، فقتلوه، ولقد ذكر شيئاً من هذا في معلقته المطوّلة، وإنّ من هذا الشعر قوله فاخراً بفروسيته وشجاعته:

ولقد حملت الحيّ تحمل شكّتي فرط وشاحي، إذ غدوت لجامُها
فعلوت مرتقياً على ذي هبوة حرج إلى أعلامهنّ قتامها
حتى إذا ألقت يداً في كافر وأجنّ عورات الثغور ظلامها
أسهلت وانتصبت كجذع منيفة جرداء يحصر دونها جُرّامها
ترقى وتطعن في العنان وتنتحي ورد الحمامة إذا أجدّ حمامها
إنّا إذا التقت المجامع لم يزل منّا لِزاز عظيمة جشّامها
من معشر سنّت لهم آباؤهم ولكلّ قوم سنّة وإمامها
إن يفزعوا تلق المغافر عندهم والسنّ يلمع كالكواكب لامها
لا يطبعون ولا يبور فعالهم إذ لا يميل مع الهوى أحلامها
وهم السعاة إذا العشيرة أفظعت وهمُ فوارسها، وهم حكّامها
وهم ربيع للمجاور بينهم والمرملات إذا تطاول عامها[٢]

(حتى نؤوب وفي الوجوه سهوم)

وإن من شعره البطولي الفروسي، أيضاً، قوله:

وإذا تواكلت المقانب لم يزل بالثغر منّا منسر وعظيم
نسمو به، ونفلّ حدّ عدوّنا حتى نؤوب وفي الوجوه سهوم[٣]

---

(١) نفسه ٥/٢٤٣ .

(٢) المعلقات العشر ١٠١ ـ ١٠٨ دار صعب بيروت ١٩٨١ .
والسنّ: الأسنّة. واللام: الدروع، جمع لامة. والسنّة: الشرعة. واللزاز: الشجاع. وتنتحي: تعتمد. والكافر: الليل. وأجنّ: ستر. وعورات الثغور: أكثرها مخافة. وذو هبوة، كناية عن المهر.

(٣) ديوان لبيد ١٣٧ . ط الكويت ١٩٦٢ .
والمقانب: الكتائب. والمنسر: الكتيبة من الجيش. والثغر: موضع المخافة من العدوّ.

❖ بلعاء بن قيس

(وفارسٍ...)

ومن الذين شهدوا حرب الفجار الثاني، بلعاء بن قيس الكناني، له من شعر الحماسة والفروسية، قوله:

وفارسٍ في غمار الموت منغمسٍ ... إذا تألّى على مكروهه صبرا
غشّيته وهو في جأواء باسلة ... عضباً أصاب سواء الرأس فانفلقا[1]

❖ عمرو بن الإطنابة

(أبلغ الحارث...)

ومن شعر البطولة والحماسة، شعر عمرو بن الإطنابة الخزرجي لما بلغه قتل الحرث بن ظالم خالد بن جعفر، وهو:

وفتىً يضرب الكتيبة بالسيف ... إذا كانت السيوف عصيّا
إنّنا لا نسر في غير نجد ... إنّ فينا بها فتىً خزرجيّا
يدفع الضيم والظلامة عنها ... فتجافي عنه لنا يافعيّا
أبلغ الحارث بن ظالم الرعديد ... والناذر النذور عليّا
أنّما يقتل النيام ولا يقتل ... يقظان ذا السلاح كميّا
ومعي مشتكى معابل كالجمر ... وأعددت صارماً مشرفيّا
لو هبطت البلاد أنسيتك القتل ... كما ينسىء النسيء النسيّا[2]

❖ ابن عبد المدان

(فيا ربّ خيلٍ...)

ومن الفرسان الشجعان، يزيد بن عبد المدان، وكان أغار على هوازن، يوم السلف، في جماعة من بني الحرث بن كعب، وفي ذلك يقول:

فيا ربّ خيلٍ قد هديت بشطبة ... يعارضها عبل الجرادة هيكل
سبوح إذا حال الحزام كأنّه ... إذا انساب عند النقع في الخيل أجدل
يواغل جرداً كالقنا حارثيّة ... عليها قنان والحماس ودعبل
معاقلهم في كلّ يوم كريهة ... صدور العوالي والصفيح المصقّل
وزغف من الماذيّ بيض كأنّها ... بهاء مرتها بالعشيّات شمأل

---

(١) الحماسة ١/ ١٣ .
والجأواء: الكتيبة من الجيش. وتألّى: حلف.
(٢) الأغاني ٩/ ٢٩ .
والرعديد: الجبان. والكمي: الفارس. والنسيء: التسويف والتأجيل.

فما ذرّ قرن الشمس حتى تلاحقت ... فوارس يهديها عمير ومعقل
فجالت على الحيّ الكلابيّ جولة ... فباكرهم ورد من الموت معجل
فغادرن وبراً تحجل الطير حوله ... ونجى طفيلاً في العجاجة قرزل
فلم ينج إلاّ فارس من رجالهم ... ويخفق ركضاً خشية الموت أعزل[1]

❖ سلمى بن ربيعة

(زعمت تماضر...)

ومن الذين امتازوا من غيرهم بالشجاعة والنجدة والسخاء، في الجاهلية، سلمى ابن ربيعة، من بني السيّد بن ضبّة، عتبت عليه زوجه لبذله المال، ولتعريضه النفس للهلاك، فقال:

زعمت تماضر أنّني إمّا أمتْ ... يسدذ أُبينوها الأصاغر خلّتي
تربت يداكِ، وهل رأيت لقومه ... مثلي على يسري وحين تعلّتي
رجلاً إذا ما النائبات غشينه ... أكفى لمعضلة، وإن هي جلّت
ومناخ نازلة كفيت، وفارس ... نهلت قناتي من مطاه وعلّت[2]

❖ قيس بن الحدّادية

(نحن جلبنا الخيل...)

من أشهر شعر الفروسية والفرسان، وجلب الخيل وحشرها إلى الميدان، فتطالعك صورة الحرب وقد شمرت عن ساق، وأطيحت الرؤوس والأعناق، وبرقت السيوف القواطع، والرماح اللوامع، ما قاله قيس بن منقذ بن عمرو بن عبيد.. بن ربيعة ابن حارثة، المعروف بقيس الحدادية، والحدادية، اسم أمه، وهي امرأة من محارب، أحد أبرز الشعراء الجاهليين، وكان من الفتاك الصعاليك الخلعاء، خلعته خزاعة بسوق عكاظ. يقول قيس من وحي بلائه في الحرب والإغارة على هوازن، وإصابته السبي والمال، وقد قتل في تلك الوقعة أبا زيد، وعروة وعامراً ومروحاً، ثم انصرف. يقول فاخراً:

نحن جلبنا الخيل قُبّاً بطونُها ... تراها إلى الداعي المثوب جنحا
بكلّ خزاعي إذا الحرب شمّرت ... تسربل فيها برده وتوشّحا

---

(١) الأغاني ١٠/ ١٤٣.
والشطبة: الفرس المكتنزة اللحم. والجرادة: الفرس الضخم السريع، ومثلها هيكل. والعوالي: الرماح. والزغف: الطعان بالرماح. والماذي: الدرع. وقرزل، ووبر، ودعبل، والقنان، والحماس، أسماء فرسان.
(٢) الحماسة ١/ ٢١٢ ـ ٢١٤.
والخلة: الحاجة. وتربت: للتوبيخ. والتعلّة: العسر. وجلّت: عظمت.

قرعنا قشيراً في المحلّ عشيّةً ... فلم يجدوا في واسع الأرض مسرحا
قتلنا أبا زيد وزيداً وعامراً ... وعروة أقصدنا بها ومروّحا
وأُبنا بإبل القوم تُحدى ونسوة ... يبكينّ شلواً أو أسيراً مجرّحا
غداة سقينا أرضهم من دمائهم ... وأُبنا بأُدم كنّ بالأمس وُضّحا
ورعنا كلاباً قبل ذاك بغارة ... فسقنا جلاداً في المبارك قرّحا
لقد علمت أفناء بكر بن عامر ... بأنّا نذود الكاشح المتزحزحا
وأنّا بلا مهر سوى البيض والقنا ... نصيب بأفناء القبائل منكحا[1]

❖ المخزومي

(ولا يبيت له جار على وجل)

ومن الشعراء الفرسان والشجعان، المخزومي، له قوله في هذا:

وما يريد بنو الأغيار من رجل ... بالجمر مكتحل، بالنبل مشتمل
لا يشرب الماء إلاّ من قليب دم ... ولا يبيت له جار على وجل[2]

❖ حسيل الضبّي

(جعلت لبان الجون للقوم غاية)

ومن الذين ذكروا صنوف السلاح جميعاً، حسيل بن سجيح الضبي، الشاعر الجاهلي والفارس والشجاع، وكان بنو ضبّة قد انتجعوا أرضاً لبني عامر، بالشريف، فطلبهم بنو عامر، فسار حسيل إليهم، مانعاً القوم من النيل من قومه، وفي ذلك يقول فاخراً:

لقد علم الحيُّ المصبّحُ أنّني ... غداة لقينا بالشُريف الأحامسا
جعلتُ لَبانَ الجون للقوم غاية ... من الطعن حتى آض أحمر وارسا
وأرهبت أولى القوم حتى تنهنهوا ... كما زدت يوم الورد هيماً خوامسا
بمطّردٍ لدنٍ صحاحٍ كعوبه ... وذي رونقٍ عضبٍ يقدّ القوانسا
وبيضاء من نسج ابنَ داود نثرةٍ ... تخيّرتها يوم الّلقاء الملابسا
وحرميّةٍ منسوبة وسلاجم ... خفاف ترى عن حدّها السمَّ قالسا
فما زلت حتى جنّني الليل عنهمُ ... أطرّف عنّي فارساً ثمّ فارسا

---

(١) الأغاني ١٣/ ٣ . دار عز الدين. بيروت.
وقبّ البطون: مرتفعة. وجنحاً: مائلة. والبرد: الثوب. وقرعنا: قتلنا وضربنا. وأقصد: قتل وأصاب. وأبنا: رجعنا. والشلو: كلّ مسلوخ أكل منه شيء وبقي شيء. والأدم: صفة للإبل السود. والكاشح: المبغض.
(٢) العقد ١/ ٣٧ .

ولا يحمد القوم الكرام أخاهم العتيد السلاح عنهمُ أن يمارسا[1]

❖ باعث بن صريم

(فلفتها بكتيبة أمثالها)

ومن الفرسان الشجعان، باعث بن صريم، وهو الذي ثأر لمقتل أخيه وائل، قتله بنو تميم، فحلف باعثٍ أن يقتل منهم مقتلة عظيمة تملأ الدلو من دمائهم، وهذا ما فعله حقاً. يقول باعث:

سائلْ أُسيّد هل ثأرت بوائل أم هل شفيت النفس من بلبالِها
إنّي ومن سمك السماء مكانها والبدر ليلة نصفها وهلالها
آليت أثقف منهم ذا لحية أبداً فتنظر عينُه في مالها
وخمار غانيةٍ عقدت برأسها أُصُلاً وكان منشّراً بشمالها
وعقيلة يسعى عليها قيّمٌ متغطرس، أبديت عن خلخالها
وكتيبة سُفع الوجوه بواسل كالأُسد حين تذبّ عن أشبالها
قد قدتُ أوّل عنفوان رعيلها فلفلفتها بكتيبة أمثالها[2]

❖ زيد الخيل

(ضجّت بنو الصيداء من حربنا)

من الشعراء الفرسان، في الجاهلية، وكان يقول الشعر في غاراته ومفاخراته ومغازيه، زيد بن مهلهل بن يزيد. الطائي، ويعرف بزيد الخيل، أدرك الإسلام فأسلم، فأسماه النبي (ص) زيد الخير، وإنما سميّ بزيد الخيل، لكثرة خيله، ولأنه لم يكن لأحد من قومه، ولا لكبير من العرب إلاّ الفرس والفرسان، وكانت له خيل كثيرة منها ستّة ورد ذكرها في شعره، وهي: الكميت، والهطال، والورد، والكامل، والدؤول، واللاحق. والمهم أنّ من شعره في الفروسية والقتال، الشعر الذي قاله من وحي مغازيه وإغاراته، وقد أعمل السيف في رقاب بني الصيداء، وهو:

---

(١) الحماسة ١/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

والأحامس المتحمسون في الدين من قريش. وأطرف: أدفع. وجنني الليل: سترني دونهم. والحرمية: صفة للقوس المتخذة من شجر الحرم. والسلاجم: الطويل من السهام. والنثرة: صفة للدرع المحكمة النسج. وابن داود: يراد به داود نفسه، النبي، وكان يصنع الدروع. والبيضاء: صفة للدرع. والعضب: صفة للسيف. والمطرد: الرمح. واللدن: الليّن. والكعاب والكعوب، ما يفصل بين عقد الرمح. ورونق السيف: حسنه وماؤه. والقوانس أعلى بيض الحديد. وتنهنهوا: رجعوا وكفّوا. والهيم: العطاش. ومثلها الخوامس. والجون: صفة للفرس الأبيض والأسود.

(٢) الحماسة ١/ ٢٠٨ ..

وعنفوان الشيء: أوّله. والرعيل: الخيل: وسفع: سود. والعقيلة: الكريمة من النساء. والغانية: الحسناء. و تف: أظفر. وسمك الشيء: رفعه. وأسيّد: اسم قبيلة. وبلبالها: اهتمامها بطلب الثأر.

ضجّت بنو الصيداء من حربنا ... والحرب مَن يحلل بها يضجر
بتنا نزجّي نحوهم ضُمّراً ... معروفة الأنساب من منسر
حتّى صبحناهم بها غدوة ... نقتلهم قسراً علي ضُمّر
يدعون بالويل وقد مسّهم ... منّا غداة الشعب ذي الهيشر
ضرب يزيل الهام ذو مصدق ... يعلو على البيضة والمغفر[1]

(وإنّي منعت السبي أن يتبدّدا)

ومن جيّد شعره الفروسي الحماسي، الشعر الذي قاله في إغارته على بني فزارة وبني عبدالله بن غطفان بقيادة رئيسهم أبي ضبّ، وقد غنم زيد مغانم كثيرة، ورجع مظفراً منصوراً. يقول زيد:

كررت على أبطال سعد ومالك ... ومن يدع الداعي إذا هو ندّدا
فلأياً كررت الورد حتّى رأيتهم ... يكبّون في الصحراء مثنىً وموحدا
فما زلت أرميهم بغرّة وجهه ... وبالسيف حتّى كلّ تحتي وبلّدا
إذا شكّ أطراف العوالي لبانه ... أقدّمه حتّى يرى الموت أسودا
لقد علمت نبهان أنّي حميتها ... وأنّي منعت السبي أن يتبدّدا
عشيّة غادرت ابن ضبّ كأنّما ... هوى عن عقاب من شماريخ صنددا
بذي شُطب أغشى الكتيبة سلهب ... أقبّ كسرحان الظلام معوّدا[2]

(إنّا لنكثر في قيس وقائعنا)

وعلى ذكر فروسية زيد الخيل، وبطولته الخارقة، فهو الذي لحق بعامر بن الطفيل، يوم إغارته على بني فزارة، فاستلبه رمحه، واجتزّ ناصيته، واستردّ ما كان سلبه، وفي ذلك يقول:

إنّا لنكثر في قيس وقائعنا ... وفي تميم وهذا الحيّ من أسد
وعامر بن طفيل قد نحوت له ... صدر القناة بماضي الحدّ مطّرد
ولو تصبّر لي حتى أخالطه ... أسعرته طعنة كالنار بالزند[3]

---

(١) الأغاني ١٦/٤٧ .
والهيشر: شجر كثير الشوك تأكله الإبل. والضمّر: صفة للخيل الضامرة. ونزجي: نرسل. والهام: الرؤوس، جمع هامة. والمغفر: الدرع. والبيضة: ما يوضع على الرأس لحمايته من الضرب، وهو من الفولاذ.
(٢) نفسه ١٦/٥٣ .
وذو الشطب: صفة للفرس. والسلهب، صفة ثانية له، وهو الطويل الخفيف. والأقبّ: العالي. والسرحان: الذئب. والعقاب: الجبل العالي. والشماريخ: رؤوس الجبال العالية. ولبان الفرس: صدره. والورد: صفة للفرس، في لونه شقرة.
(٣) الفروسية العربية ٢٥٢ .

❖ المعقّر بن أوس

(صبحناهم...)

ومن جيد شعر الحماسة والفروسية، وشدّ الخيل على الخيل، وكثرة الزحام والطعان، ما قاله المعقّر بن أوس بن جماز البارقي حليف بني نمير بن عامر، وهو:

صبحناهمُ عند الشروق كتائباً ... كأركان سلمى شبرها متواتر
كأنّ نعام الدوّ باض عليهم ... وأعينهم تحت الحبيك جواهر
من الضاربين الكبش يمشون مقدماً ... إذا غصّ بالرّيق القليل الحناجر
وظنّ سراة القوم أن لا يقتّلوا ... إذا دعيت بالصفح عبس وعامر
ضربنا حبيك البيض في غمر لجّة ... فلم يبق في الناجين منهم مفاخر
ولم ينجُ إلاّ من يكون بطمره ... بوائل أو نهد ملحّ مثابر
هوى زهدم تحت الغبار لجاجب ... كما انقضّ أقنى ذو جناحين ماهر
هما بطلان يعثران كلاهما ... إذا ردّ بأس السيف والسيف نادر[1]

❖ عمرو بن معد يكرب

(فلو لاقيتني...)

من أشهر الفرسان، فرسان اليمن وشجعانها وأبطالها، عمرو بن معد يكرب بن عبدالله... بن زبيد.. بن مذحج. كنيته أبو ثور، فارس اليمن، والمقدّم فيها على غيره من الفرسان. أدرك الإسلام فأسلم، ثم ارتدّ. وقيل، بل لم يرتدّ. من شعره الفروسي الحماسيّ البطولي، قوله:

أعاذل شكّتي بدني ورمحي ... وكلّ مقلّص سلس القياد
أعاذل إنّما أفنى شبابي ... وأفدح عاتقي ثقل النجاد
ولو لاقيتني ومعي سلاحي ... تكشّف شحم قلبك عن سواد
أريد حباءه ويريد قتلي ... عذيرك من خليلك من مراد
تمنّاني وسابغتي دِلاص ... كأنّ قتيرها حلق الجراد
ورمحي العنبريّ تخال فيه ... سناناً مثل مقباس الزناد
وعجلزة يزلّ اللبد عنها ... أمرّ سراتها حلق الجياد
أذا ضربت سمعت لها أزيزاً ... كوقع القطر في الأدم الجلاد
تمنّى أن يلاقيني قبيس ... وددت، وأينما منّي ودادي

---

(١) الأغاني ١٠/ ٤٥.
والحبيك في البيض: إحكام عملها وطرائقها. والكبش: الفارس. والطمر: الفرس. والدوّ: الفلاة.

فلو لاقيتني لاقيت ليثاً هصوراً ذا ظُبىً وشباً حداد[١]

(ولمّا رأيت الخيل...)

ومن شعر الفروسية والطعان، وكرّ الفرسان على الفرسان، وتلاحم الأقران، والأبطال، ما قاله عمرو بن معد يكرب الزبيدي، كان فارساً مغواراً، وبطلاً صنديداً، عاش معظم حياته في الجاهلية، وأدرك الإسلام (ت حوالي ٦٤٣ م). أما قوله فهو:

ولمّا رأيت الخيل زوراً كأنّها جداول زرع أرسلت فاسبطرّتِ
فجاشت إليّ النفس أوّل مرّة فردّت على مكروهها فاستقرّت
علام تقول الرمح يثقل عاتقي إذا أنا لم أطعن إذا الخيل كرّت
لحا الله جَرماً كلّما ذرّ شارق وجوه كلاب هارشت فأزبأرّت
فلم تُغنِ جرم نهدَها إذ تلاقتا ولكنّ جرماً في اللقاء ابذعرّت
ظللت كأنّي للرماح دريئة أقاتل عن أبناء جرم، وفرّت
فلو أنّ قومي أنطقتني رماحهم نطقتُ، ولكنّ الرماح أجرّت

والجدير ذكره، بهذا الصدد أنه كان لعمرو سيف يقال له الصمصامة، وقد ضرب المثل به، فلقيه عمر بن الخطاب، وطلب إليه أن يريه الصمصامة، فلمّا رآه، كان دون ما كان يوصف به، فقال لعمرو إنّ سيفك دون ما تقول وما يقال. قال عمرو: أرسلت إليك السيف، ولم أرسل الساعد الذي يضرب بالسيف[٢].

(أتركه لحماً على ظهر وضمْ)

ومن شعره الرجزي الفروسي قوله:

أنا ابن ذي التقليد في الشهر الأصمّ أنا ابن ذي الإكليل قتّال البهمْ
من يلقني يودى كما أودت إرمْ أتركه لحماً على ظهر وضمْ[٣]

(وجدتني بالسيف هتّاك الحلقْ)

وإنّ منه، أي من شعر الرجز، في الفروسية، قوله:

---

(١) الأغاني ١٤/ ٣٢ .
والدلاص: الدرع. ومثلها السابغة. والشكّة: الآلة والسلاح والفأس. ونجاد السيف: حمائله. والحباء: العطاء. والعجلزة: الفرس الشديدة الصلبة الحافر. والظبا: جمع ظباة: حدّ السيف. والشبا: جمع شباة، وهي الرأس والسنان للرمح.
(٢) الأغاني ١٤/ ٣٣ .
وجرم ونهد: قبيلتان عربيتان. والدريئة: الدرع والترس. ولحا: لعن. وازبأرّت: تنفشت فظهر وبرها واقفاً. وزوراً: مائلة. واسبطرت: تمدّدت. وابذعرت: جبنت.
(٣) الأغاني ١٤/ ٣٥ .
والوضم: الخشبة يقطع عليها اللحم. والبهم: جمع بهمة، وهو الفارس الشجاع. والأصمّ: صفة لشهر رجب.

أنـا أبـو ثـور ووقّـاف الـزلـقْ لـسـت بـمـأفـونٍ ولا فـيّ خـرق
وأسـد الـقـوم إذا احـمـرّ الـحـدقْ إذا الـرجـال عـضّـهـم نـاب الـفـرقْ
وجـدتـنـي بـالـسـيـف هـتّـاك الـحـلـقْ[1]

❖ الحرث بن طفيل

(وحليلِ غانية...)

من الشعراء الفرسان، الحرث بن الطفيل بن عمرو بن. . نصر بن الأزد الدوسي، شاعر فارس من مخضرمي شعراء الجاهلية والإسلام. . له، من وحي حرب دوس وبني عامر، وكعب، قوله فاخراً بالبطولة والفروسية، والمضيّ في الأمر، والإقدام:

لـمّـا سـمـعـت نـزالِ قـد رعـبـت أيـقـنـت أنّـهـم بـنـو كـعـب
فـرمـيـت كـبـش الـقـوم مـعـتـمـداً فـمـضـى وراشـوه بـذي كـعـب
شـكّـوا بـحـقـويـه الـقـراح كـمـا نـاط الـمـعـرّض أقـدح الـقـضـب
فـكـأنّ مـهـري ظـلّ مـنـغـمـسـاً شـبـأ الأسـنـة مـغـرة الـجـأب
وحـلـيـل غـانـيـة هـتـكـت قـرارهـا تـحـت الـوغـى بـشـديـدة الـعـضـب
كـانـت عـلـى حـبّ الـحـيـاة فـقـد أحـلـلـتـهـا فـي مـنـزل عـزب
جـانـيـك مـن يـجـنـي عـلـيـك وقـد تُـعـدي الـصـحـاح مـبـارك الـجـرب[2]

❖ الحصين المريّ

(صبرنا...)

ومنهم أيضاً، أي من أولئك الفرسان الشجعان، الحصين بن حمام المرّي، نسبة إلى مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان، سيّد بني سهم بن مرّة، صاحب الرأي، والقائد والرائد، وكان يقال له مانع الضيم، لعزّته وأنفته وفروسيته. من شعره الفاخر بالفروسية، وضرب الهام، وشدّة اللحام، قوله:

ولـمّـا رأيـت الـودّ لـيـس بـنـافـع وإن كـان يـومـاً ذا كـواكـب مـظـلـمـا
صـبـرنـا وكـان الـصـبـر مـنّـا سـجـيّـة بـأسـيـافـنـا يـقـطـعـن كـفّـاً ومـعـصـمـا
نـفـلّـق هـامـاً مـن رجـال أعـزّة عـلـيـنـا وهـم كـانـوا أعـقّ وأظـلـمـا
نـطـاردهـم نـسـتـنـقـذ الـجـرد بـالـقـنـا ويـسـتـنـقـذون الـسـمـهـريّ الـمـقـوّمـا

---

(١) المسعودي: مروج الذهب ٢/ ٣٣٥ دار المعرفة. بيروت ١٩٨٢ .
والفرق: الفزع. والحلق: حلقات الدرع. والزلق: الموضع غير الثابت. والمأفون: الأخرق.
(٢) الأغاني ١٢/ ٥٤ .
ونزال: اسم فعل معناه الدعوة إلى القتال والحرب. وكبش القوم: فحلهم وقائدهم. وراشوه: رموه. والحقوان: عظما الفخذين من الأعلى. وناط: ربط. والقداح: السهام. والعضب: السيف.

فلست بمبتاع الحياة بسبّة ولا مرتقٍ من خشية الموت سلّما[١]

(فكرّ عليهم...)

ومن شعره البطولي الحماسي في الفروسية والكرّ والنزال، وقراع الأبطال، قوله لمّا جمع من بني عديّ جمعاً، ثم أغار على بني عقيل وبني كعب، فأثخن فيهم، واستاق نعماً كثيراً ونساءً:

تركنا من نساء بني عقيل أيامى تبتغي عقد النكاح
لقد علمت هوازن أنّ خيلي غداة النعف صادقة الصباح
عليها كلّ أروع هبرزيّ شديد حدّه، شاكي السلاح
فكرّ عليهم حتى التقينا بمصقول عوارضها صباح
فأبنا بالنهاب وبالسبايا وبالبيض الخرائد واللقاح[٢]

❖ العباس بن مرداس

(عشيّة واعدنا...)

من الشعراء الفرسان، العباس بن مرداس بن أبي عامر، كنيته أبو العباس، أحد أفصح الشعراء، عرف بشدّة عارضته وبيانه، وبالسيادة في قومه، عاش في الجاهلية، وأدرك الإسلام فأسلم، وشارك في العديد من الغزوات، على ظهر فرسه، وإن منها غزوة قديد إذ لقي النبي (ص) ووافاه إلى قديد في ألف فارس من بني سليم، وفي هذا يقول عباس:

عشيّة واعدنا يقيناً محمّداً يؤمّ بنا أمراً من اللّه محكما
حلفت يميناً برّة لمحمّد فأوفيته ألفاً من الخيل مُعلما
سرايا براها اللّه وهو أميرها يؤمّ بها في الدين من كان أظلما
على الخيل مشدوداً عليها دروعنا وخيلاً كدفّاع اللواتي عرمرما
أطعناك حتى أسلم الناس كلّهم وحتى صبحنا الخيل أهل يلملما[٣]

---

(١) الأغاني ١٢/ ١٢٠ .
وقوله: نستنقذ الجرد، أي نقتل الفارس فنأخذ فرسه ويستنقذون السمهري، وهو القنا الصلب، أي نطعنهم فتجرّهم الرماح.
(٢) الأغاني ١٢/ ١٢٢ .
والأيامى: الفاقدات أزواجهنّ. والنعف: ما استدقّ من الرمل. وشاكي السلاح: جاهز للطعن. والهبرزي: صفة للأسد.
(٣) الأغاني ١٣/ ٦٣ .
والسرايا: جمع سريّة، وهي القطعة من الجيش. والعرمرم: الكثير العدد. ويلملم: اسم موضع بعينه، قريب من مكة.

(وطاعنت إذا كان الطعان مخالسا)

ومن شعره الفروسي، الشعر الذي قاله، من وحي وقعة زبيد بتثليث من أرض اليمن، وقد أوقع العباس ورهطه بأبي عامر الملقب بمقطّع الأوتاد، وقومه، وغنم منهم كثيراً، والقول هو:

فلم أر مثل الحيّ حيّاً مصبّحاً ... ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا
إذا ما شددنا شدّة نصبوا لنا ... صدور المذاكي والرماح المداعسا
وأحصيتنا منهم فما يبلغوننا ... فوارس منّا يحبسون المحابسا
وجرد كأنّ الأسْد فوق متونها ... من القوم مرؤوساً كميّاً ورائسا
وكنت أمام القوم أوّل ضارب ... وطاعنت إذ كان الطعان مخالسا
ولو مات منهم من جرحنا لأصبحت ... ضياع بأكناف الأراك عرائسا[1]

(صبحناكم...)

وللعباس، في ردّه على عبدالله بن جذل، في كلمته التي ألقاها يوم برزة:

ألا أبلغا عنّي ابن جذل ورهطه ... فكيف طلبناكم بكرز ومالك
غداة فجعناكم بحصن وبابنه ... وبابن المعلّى عاصم والمعارك
ثمانية منهم ثأرناهمُ به ... جميعاً وما كانوا بواء بمالك
نذيقكم والموت يبني سرادقاً ... عليكم شباحذّ السيوف البواتك
صبحناكم لوج العناجيم بالضحى ... تمرّ بنا مرّ الرياح السواهك
إذا أخرجت من هبوة بعد هبوة ... سمت نحو ملتفّ من الموت شائك[2]

❖ عبدالله بن جذل

(فأنفدته بالرمح...)

ومن وحي يوم برزة، وكان لكنانة على سليم، وفيها قتل ربيعة بن مكرم فارس كنانة، قتله بنو سليم.. من وحي تلك الحرب كان عبدالله بن جذل يرئس بني فراس، وقد بارز عدداً من الفرسان فصرعهم جميعاً، ومنهم مالك بن خالد، وأخوه كرز بن خالد بن صخر، وربيعة بن مكرم، يقول عبدالله من شعره القتالي الفروسي:

تجنّبت هنداً رغبة عن قتاله ... إلى مالك، أعشو إلى ضوء مالك
فأيقنت أنّي ثائر بابن مكرم ... غداتئذٍ، أو هالك في الهوالك
فأنفدته بالرمح حين طعنته ... معانقة ليست بطعنه باتك

---

(١) الأغاني ١٣/ ٦٨ .
والمذاكي، من الخيل: جمع مذكّي، ما تمّت سنّه، وكملت قوّته. والكميّ: الفارس المدجّج بالسلاح.
(٢) العقد ٣/ ٦٥ .

وأثني لكرز في الغبار بطعنة ... علت جلده منها بأحمر عانك
قتلنا سليماً غثّها وسمينها ... فصبراً سليم قد صبرنا لذلك
فإن تك نسوان بكين فقد بكت ... كما قد بكت أمّ لكرز ومالك[1]

❖ العوراء

(ألم تعلم قعيدك...)

ومن الشواعر اللائي ذكرن الفروسية، وخضن في حديث البطولة والشجاعة، العوراء، من بني سليطة بن يربوع. لها من هذا الشعر قولها الذي تردّ فيه على يزيد بن الصعق، وهو الذي راح يرثي أخاه بجيراً، إثر مقتل بجير يوم المروت، وكان لبني العنبر على بني بشير تقول العوراء:

ألم تعلم قعيدك يا يزيد ... بأنّا نقمع الشيخ الفجورا
ونفقأ ناظريه ولا نبالي ... ونجعل فوق هامته الدرورا
فأبلغ، إن عرضت، بني كلاب ... فإنّا نحن أقعصنا بجيرا
وخرّجنا عبيدة بالعوالي ... فأصبح موثقاً فينا أسيرا
أفخراً في الخلاء بغير فخر ... وعند الحرب خوّاراً ضجورا[2]

❖ ذو الإصبع العدواني

(السيف والرمح...)

من الشعراء الفرسان، صاحب الغارات الكثيرة، والوقائع المشهورة، حرثان بن الحرث ابن محرث، يعرف بذي الإصبع العدواني، نسبة إلى عدوان، من قدماء الشعراء في الجاهلية، ومن شعره المعرب عن فروسيته وشجاعته وحسن بلائه في الحروب، وقيادته الكتائب على متن جواده المطهّم، وبيده السيف الهندواني، والرمح الرديني، قوله:

أما ترى شكّتي رميح أبي ... سعد فقد أحمل السلاح معا
السيف والرمح والكنانة قد ... أكملت فيها مقابلاً صنعا
والمهر ضافي الأديم أصنعه ... يطير عنه عفاؤه قزعا
أقصر من قيده وأردعه ... حتى إذا السرب ريع أو فزعا
كان أمام الجياد يقدمها ... يهزّ لدناً وجؤجؤاً تلعا
فغامس الموت أو حمى ظعنا ... أورد نهباً لأيّ ذاك سعى[3]

---

(١) العقد ٣/ ٦٥ .
(٢) العقد ٣/ ٦٦ .
(٣) الأغاني ٣/ ٦ .
والشكة: من شك السلاح، وتنوعه. والكنانة: جعبة السهام. وقزعاً: متفرقاً. والجؤجؤ: الصدر. وغامس: رمى نفسه وسط المعركة. والظعن: النسوة.

(وإذا دُعيت...)

ومن رائع شعر ذي الإصبع، وفيه ينصح ولده أسيداً، وكان ذو الإصبع ساعتئذ يحتضر على فراش الموت، قوله حاثاً إياه على التمسك بالخلق والكرم والشجاعة عند البأس:

وصل الكرام وكن لمن ... ترجو مودّته وصولا
وابذل لضيفك ذات رحلك ... مكرماً حتى يزولا
واحلل على الإيفاع للعا ... فين واجتنب المسيلا
وإذا القروم تخاطرت ... يوماً وأرعدت الخصيلا
فاهصر كهصر الليث ... خضّب من فريسته الشليلا
وانزل إلى الهيجا إذا ... أبطالها كرهوا النزولا
وإذا دعيت إلى المهمّ ... فكن لفادحه حمولا[1]

❖ **الغرّار السلمي**

(وفوارس لبّستهم بفوارس)

ومن الفرسان الشجعان، حيّان بن الحكم، صاحب راية بني سليم، يوم فتح مكة. يعرف بالغرّار السلمي، كان دليل قريش في الجاهلية، قبل البني (ص) توبته، فأسلم، ومدحه. من شعره في الفروسية، وخوضه غمار الحرب، لكن إلى مدىً، قوله:

وفوارس لبّستهم بفوارس ... حتّى إذا التبست أملت بها يدي
وتركتهم نقضى الرماح ظهورهم ... من بين مقتول، وآخر مسند
هل ينفعنّي أن تقول نساؤهم ... وقتلت دون رجالهم، لاتبعد[2]

❖ **خفاف بن ندبة**

(فعمداً على عيني تيمّمت مالكا)

ومن الشعراء الفرسان، خفاف بن ندبة، وهي أمّه، وكانت حبشيّة، وأبو عمير، أحد بني سليم بن منصور، له لمّا حمل على مالك بن حمار، سيّد بني شمخ بن فزارة، فطعنه، فقتله، له قوله:

وإن تك خيلي قد أصيب صميمها ... فعمداً على عيني تيمّمت مالكا

---

(١) الأغاني ٣/ ٧.
العافون: الطالبون. والإيفاع، واليفاع: المكان المرتفع. والقروم: الفرسان. وتخاطرت: تواجهت وتهيّأت للنزال. والهصر: البطش.
(٢) العقد ١/ ٤٣.

وقفت له علوى وقد خام صحبتي ... لأبني مجداً، أو لأثأر هالكا
أقول له والرمح يأطر متنه ... تأمّلْ، خفافاً، إنّني أنا ذلكا[1]

❖ الجحّاف

(شهدنا...)

وما أحسن هذا الشعر للجحّاف بن حكيم، وهو يصوّر بطولة الفرسان، وشدّهم على الخصم بالخيل الشداد:

شهدن مع النبيّ مسوّمات ... حنيناً، وهي دامية الحوام
ووقعة راهط شهدت وحلّت ... سنابكهنّ بالبلد الحرام
تعرّض للطعان بكلّ ثغر ... خدوداً لا تعرّض للأطام[2]

❖ بعضهم

(رويداً بني شيبان...)

ومن أحسن ما وصفت به رجال الحرب والخيل، والفرسان، قول أحدهم، وقد يكون هو الودّان المازني:

رويداً بني شيبان، بعضَ وعيدكم ... تلافوا غداً خيلي على سفوان
تلاقوا رجالاً لا تحيد عن الوغى ... إذا الخيل جالت في فنا الميدان
إذا استُنجدوا لا يسألوا من دعاهمُ ... لأيّة أرض أو لأيّ مكان[3]

❖ آخر

(سدوا شعاع الشمس بالفرسان)

وما أحسن قول الآخر، وهو نظير للمعنى السابق الآنف الذكر، وهو:

قوم إذا نزل الغريب بدارهم ... تركوه ربّ صواهل وقيان
وإذا دعوتهم ليوم كريهة ... سدّوا شعاع الشمس بالفرسان
لا ينكتون الأرض عند سؤالهم ... لتطلّب العلاّت والعيدان
بل يسفرون وجوههم فترى لها ... عند السؤال كأحسن الألوان[4]

---

(١) المبرّد: الكامل في اللغة والأدب ٢/ ١٦٧، مكتبة المعارف. بيروت.
ويأطر: يثني. وخام: صار وخيماً.
(٢) العقد ١/ ٣٣ .
والأطام: البروج، والحصون. ومسوّمات: معلمات. وراهط، اسم موضع بعينه. وحنين: اسم وقعة قرب الطائف بين المسلمين وثقيف وجموع المشركين.
(٣) نفسه ١/ ٣٣ .
(٤) العقد ١/ ٣٣ . والكريهة: الحرب والملمّة.

❖ الحادرة

(ونحن منعنا من تميم..)

ومن الشعراء الفرسان، في الجاهلية الحادرة، أي الضخم، وهذا لقبه، أما اسمه فهو قطبة بن أوس بن محصن... بن سعد. من الشعراء المقلّين، له من شعر كرّ الخيل على الخيل، في الفروسية والقتال، ومن وحي يوم كفافة، وفيه انتصر قوم الشاعر على تميم وأحلافها، له قوله:

ونحن منعنا من تميم وقد طغت ... مراعي الملا حتّى تضمّنها نجد
كمعطفنا يوم الكفافة خيلنا ... لتتبع أخرى الجيش إذ بلغ الجدّ
على حين شالت واستخفّت رجالهم ... حلائب أحياء يسيل بها الشدّ
إذا هي شكّ السمهريّ نحورها ... وحامت عن الأبطال أتعبها القدّ
تكرُّ سراعاً في المضيق عليهم ... وتثني بطاءً ما تخبّ ولا تعدو
فأثنوا علينا لا أباً لأبيكم ... بإحساننا إنّ الثناء هو الخلد[1]

(وذي كرمٍ...)

ومن وحي جواء القتال والتحام الأبطال بالأبطال، وكرّ الفرسان على الفرسان، يقول الحادرة منتصراً لقومه بني سعد ومحارب، منددّاً بهزيمة تميم وأحلافها من بني عامر، وبني كعب، وبني الصموت، له قوله:

وذي كرم يدعوكم آل عامرٍ ... لدى معرك سربالُه يتصبّب
رأت عامر وقع السيوف فأسلموا ... أخاهم ولم يعطف من الخيل مرهب
وسلّم لمّا أن رأى الموت عامر ... له مركب فوق الأسنّة أحدب
إذا ما أظلّته عوالي رماحنا ... تدلّى به نهد الجزارة منهب
على صلويه مرهفات كأنّه ... قوادم نسر بزّ عنهنّ منكب[2]

❖ يزيد بن سنان

(وإنْ يهلكْ فذلك كان قدري)

ومن شعر الحماسة والفروسية، شعر يزيد بن سنان بن أبي حارثة، وكان حليفاً لبني شيبان، يقول يزيد في قتله أبا عمرو بن صخر القيني، وكان هذا سباهم يوم ذات الرمث:

---

(١) الأغاني ٣/ ٨١ .
والحلائب: جمع حلوب وحلوبة، صفة للناقة ذات اللبن. والسمهري: صفة للرمح. وتخبّ: تعدو عدواً خفيفاً، والخبب: ضرب من سير الإبل والخيل.
(٢) نفسه ٣/ ٨١ .
والنهد: صفة للفرس. والصلوان: مثنى صلا، وهو وسط الظهر من الإنسان أو الفرس...

ولـمّـا أن رأيـت بـنـي حُـيـيّ ... عـرفـت شـنـاءتـي فـيـهـم ووتـري
رمـيـتـهـم بـوجـرة إذ تـواصَـوْا ... لـيـرمـوا نـحـرهـا كَـثَـباً، ونـحـري
بـذات الـرمـث إذ خـفـضـوا الـعـوالـي ... كـأنّ ظـبـاتـهـا لـهـبـان جـمـر
شـككـت مـجـامـع الأوصـال مـنـه ... بـنـافـذة، عـلـى دهـش وذعـر
فـإن يـبـرأ فـلـم أنـفـث عـلـيـه ... وإن يـهـلـك فـذلـك كـان قـدري[1]

❖ الحطيئة

(وفتيان صدقٍ...)

ومن الشعر الجيد في تصوير البطولة والنجدة والفروسية، وشدة الطعان، والسرعة إلى تلبية الصريخ، قول الحطيئة، الشاعر الجاهلي الإسلامي المعروف بخبث لسانه، والإقذاع في هجائه، وهو يثني على بني عديّ الفرسان الشجعان:

وفـتـيـانِ صـدقٍ مـن عـدِيّ عـلـيـهـمُ ... صـفـائـح بـصـرى عـلّـقـت بـالـعـواتـق
إذا مـا دعـوا لـم يـسـألـوا مـن دعـاهـم ... ولـم يـمسكوا فـوق الـقـلـوب الـخـوافـق
وطـاروا إلـى الـجـرد الـعـتـاق فـألـجـمـوا ... وشـدّوا عـلـى أوسـاطـهـم بـالـمـنـاطـق
أولـئـك آبـاء الـغـريـب وغـاثـة الـصـريـخ ... ومـأوى الـمـرمـلـيـن الـدرادق
أحـلّـوا حـيـاض الـمـجـد فـوق جـبـاهـهـم ... مكان النواحي من وجوه السوابق[2]

❖ النابغة الجعدي

(ونحن أناس...)

ومن شعر الفروسية الجيد والبليغ جداً، قول أبي ليلى حسان بن قيس الجعدي، الملقّب بالنابغة الجعدي، عاش في الجاهلية، وأدرك الإسلام، فأسلم وحسن إسلامه (ت حوالي ٦٨٠ م). أما قوله فهو:

ونـحـن أنـاس لا نـعـوّد خـيـلـنـا ... إذا مـا الـتـقـيـنـا أن تـحـيـد وتـنـفـرا
ومـا كـان مـعـروفـاً لـنـا أن نـردّهـا ... صـحـاحـاً ولا مـسـتـنـكـراً أن تـعـقّـرا
بـلـغـنـا سـمـاء الـمـجـد جـوداً وسـؤدداً ... وإنّـا لـنـرجـو فـوق ذلـك مـظـهـرا
ولا خـيـر فـي حـلـم إذا لـم يـكـن لـه ... بـوادر تـحـمـي صـفـوه أن يـكـدّرا
ولا خـيـر فـي جـهـل إذا لـم يـكـن لـه ... حـلـيـم إذا مـا أورد الأمـر أصـدرا[3]

---

(١) الضبيّ: المفضليات ١٢٢ . مطبعة الآباء اليسوعيين. بيروت ١٩٢٠ .
ووجرة: اسم فرسه. والشناءة: الكراهية. والوتر: الإصابة بقتل أحد من أهله.
(٢) الأغاني ٢/٤٦ .
والمرملون: الفقراء. والدرادق: الصّبية. والصريخ: المستصرخ طالب النجدة.
(٣) ابن قتيبة الشعر والشعراء ١/٢٩ . دار الثقافة. بيروت ١٩٦٩ .
وتعقّر: تقطع قوائمها. وأصدر: أمر بالرجوع عن الماء، بخلاف أورد.

❖ العجير السلولي

(فلا تزدريني...)

ومن الشعراء الفرسان الشجعان، العجير بن عبدالله السلولي، في الطبقة الخامسة من الشعراء الإسلاميين، وله فاخراً بقومه الأشداء الفرسان، قوله:

فلا تزدريني، وانظري ما خليقتي ... إذا ضاق أمر أو أناخ أمير
فإنّ بني كعب رجال كأنهم ... نجوم السّرى شدّت بهنّ ثغور
تحلّبُ أيديهم نجيعاً ونائلاً ... إذا البُزل لم يصبح بهنّ درور
مروْها بأطراف العوالي فأسبلت ... نجيعاً له تحت اللّبان خرير[1]

❖ قيس بن الخطيم

(قد علموا كيف فرسانها)

ومن الشعر الفروسي الفاخر، شعر قيس بن الخطيم، كنيته أبو يزيد، وهو:

ونحن الفوارس يوم الربيع ... قد علموا كيف فرسانها
حسان الوجوه حداد السيوف ... يبتدر المجد شبّانها[2]

والبيتان مأخوذان من قصيدة يردّ بها قيس على حسّان بن ثابت، وأولها:

أجدّ بعمرة غنيانها ... فتهجر أم شاننا شانها

❖ دريد بن الصمّة

(يُغار علينا...)

ومن السادة الفرسان والقوّاد، وكان مظفّراً ميمون النقيبة، غزا نحو مائة غزاة ما أخفق في واحدة منها، وأدرك الإسلام فلم يسلم، دريد بن الصمّة، له من شعر الحماسة والفروسية والشجاعة، والصبر على النوائب، قوله:

أبى القتل إلاّ آل صمّة إنّهم ... أبوْا غيره والقدر يجري إلى القدر
فإمّا ترينا ما تزال دماؤنا ... لدى واتر يشقى بها آخر الدهر
فإنّا للحم السيف غير نكيرة ... ونلحمه حيناً وليس بذي نكر
يُغار علينا واترين فيشتفى ... بنا إن أصبنا أو نغير على وتر
بذاك قسمنا الدهر شطرين قسمة ... فما ينقضي إلاّ ونحن على شطر[3]

---

(١) طبقات الشعراء، لابن سلام، ٢٠٠ .
العوالي: الرماح. والخليقة الطبيعة. والنجيع: الدم. والبزل: النوق الفتيّة، جمع بازل.
(٢) الأغاني ٢/ ١٥٩ .
(٣) الأغاني ٩/ ٣ .

(فلم يكُ وقّافاً ولا طائش اليد)

ومن جيد شعره في الفروسية، والطعان، وركوب الخيل، والكرّ على الأعداء، وشدّة الالتحام، والثبات في الميدان، قوله من قصيدة يرثي بها أخاه عبدالله:

دعاني أخي والخيل بيني وبينه ... فلمّا دعاني لم يجدني بقُعدد
تنادَوا فقالوا أردت الخيل فارساً ... فقلت أعبد الله ذلكم الرّدي
فإن يك عبدالله خلّى مكانه ... فلم يك وقّافاً ولا طائش اليد
نظرت إليه والرماح تنوشه ... كوقع الصياصي في النسيج الممدّد
فطاعنت عنه الخيل حتّى تبدّدت ... وحتى علاني أشقر اللون مربد
فما رحت حتّى خرّقتني رماحهم ... وغودرت أكبو في القنا المتقصّد
قتال امرىء واسى أخاه بنفسه ... وأيقن أنّ المرء غير مخلّد
صبور على وقع المصائب حافظ ... من اليوم أعقاب الأحاديث في غد
وهل أنا إلاّ من غزيّة إن غوت ... غويت وإن ترشد غريّة أرشد[1]

(ما إن رأيت...)

ومن الفرسان المعدودين فارس من كنانة استحوذ على إعجاب دريد بن الصمّة، لما أبلاه، وأبداه من فنون القتال، والكرّ على ظهر الخيل، كان هذا لما غزا دريد في فوارس من بني جشم على بني كنانة. يقول دريد:

ما إن رأيت، ولا سمعت بمثله ... حامي الظعينة فارساً لم يقتل
أردى فوارس لم يكونوا نهزة ... ثمّ استمرّ كأنّه لم يفعل
متهلّلاً تبدو أسرّة وجهه ... مثل الحسام جلته كفّ الصيقل
يزجي ظعينته ويسحب رمحه ... متوجّهاً عيناه نحو المنزل
وترى الفوارس من مهابة رمحه ... مثل البغاث خشين وقع الأجدل
يا ليت شعري من أبوه وأمّه ... يا صاح، مَنْ يكُ مثله لا يجهل[2]

❖ **ربيعة بن مكدم**

(إن كان ينفعك...)

ومن جيد شعر الفروسية والبطولة، الشعر الذي قاله ربيعة بن مكدم، وهو الفارس المغوار، في الحرب التي دارت بين بني جشم وبني كنانة، والشعر هو التالي:

---

(١) الأغاني ٩/ ٤ .
والصياصي: جمع صيصية، وهي الشوكة الناتئة، في الرأس، وغيره. وتنوشه: تصيبه. والقعدد: الجبان القاعد لا يتوثب للقتال.
(٢) العقد ٣/ ٦٣ .

إن كان ينفعك اليقين فسائلي ... عنّي الظعينة يوم وادي الأخرم
إذ هي لأوّل من أتاها نهبة ... لولا طعان ربيعة بن مكدم
إذ قال لي أدنى الفوارس منهم ... خلّ الظعينة طائعاً لا تندم
فصرفت راحلة الظعينة نحوه ... عمداً ليعلم بعض ما لم يعلم
وهويت بالرمح الطويل إهابة ... فهوى صريعاً لليدين وللفم
وفتحت آخر بعده جيّاشة ... نجلاء فاغرة كشدق الأضجم
ولقد شفعتهما بآخر ثالث ... وأبى الفرار عن العداة تكرّمي[1]

❖ **يغثر بن لقيط**

(وإذا حُملت...)

ومن الفرسان الشجعان، يغثر بن لقيط، الأسدي. له قوله في سرعة المضاء:

أمّا حكيم فالتمست دماغه ... ومقيل هامته بحدّ المُنصل
وإذا حُملت على الكريهة لم أقل ... بعد العزيمة ليتني لم أفعل[2]

❖ **ربيعة بن ظرب**

(وظلّت عقاب الموت...)

ومن وحي يوم النباج ونبتل، وكان لبكر على تميم، وهو يوم عظيم تلاحمت فيه الفرسان وتقطعت الأوصال، وطارت النفوس شعاعاً، يقول ربيعة بن ظرب مثنياً على شجاعة وفروسية وبطولة قيس بن عاصم ورهطه:

فلا يبعدنك الله قيس بن عاصم ... فأنت لنا عزّ غزيز وموئل
وأنت الذي خوّيت بكر بن وائل ... وقد عضلت منها النباج ونبتل
غدا وغدت يا آل شيبان إذا رأت ... كراديس يزجيهنّ ورد محجّل
وظلّت عقاب الموت تهفو عليهم ... وشعث النواصي لحمهنّ تصلصل
فما منكم أبناء بكر بن وائل ... لغارتنا ألاّ ركوب مذلّل[3]

❖ **مرّة بن قيس**

(ولم يجدوا إلاّ الأسنّة مصدرا)

أما مرّة بن قيس بن عاصم، ومن وحي تلك الحرب الآنفة الذكر، فيقول، وكان هو وأبوه من الفرسان الشجعان، ذكرا عدداً من الفرسان الذين جندلوا وانهزموا في ذلك اليوم:

---

(١) نفسه ٣/ ٦٤ .
(٢) الحماسة ١/ ٢٠٨ .
والمنصل: السيف القاطع.
(٣) العقد ٣/ ٦٨ .

أنا ابن الذي شقّ المزاد وقد رأى ... بنبتل أحياء اللهازم حضّرا
وصبّحهم بالجيش قيس بن عاصم ... ولم يجدوا إلاّ الأسنّة مصدرا
على الجرد يعلكن الشكيم عوابساً ... إذا الماء من أعطافهنّ تحدّرا
فلم يرها الرائون إلاّ فجاءة ... يثرن عجاجاً بالسنابك أكدرا
سقاهم بها الزيفان قيس بن عاصم ... وكان إذا ما أورد الأمر أصدرا
وحمران أدّته إلينا رماحنا ... فنازع غلاً من ذراعيه أسمرا
وجشّامة الذهليّ قدناه عنوة ... إلى الحيّ مصفود اليدين مكفرا[1]

❖ رشد العنبري

(فجئنا بجمع...)

ومن وحي يوم الشيطين، وكان لبكر على تميم، يقول رشد ابن زهير العنبري، وقد صوّر هول العراك، والتحام الخيل بالخيل، وقراع الفرسان للفرسان:

وما كان بين الشيّطين ولعلع ... لسوقتنا إلاّ مراجع أربع
فجئنا بجمع لم ير الناس مثله ... يكاد له ظهر الوديقة يضلع
بأرعن دهم شيّد البلق وسطه ... له عارض فيه الأسنّة تلمع
صبحنا به سعداً وعمراً ومالكاً ... فكان لهم يوم من الشر أشنع
فخلّوا لنا صحن العراق وإنّه ... حمىً منهم لا يُستطاع ممنّع[2]

❖ ابن غنمة

(ولا يوفي ببسطامٍ قتيل)

ومن الشجعان الفرسان بسطام بن قيس بن مسعود. ومسعود هذا كان يطلق عليه اسم ذي الجدّين. قتل يوم بلقاء الحسن، وهو يوم السقيفة لبني ضبّة على شيبان. فقال ابن غنمة الضبّي، وهو مجاور يومئذ في بني شيبان يرثي بسطاماً، وخاف أن يقتلوه، وهو شعر في غاية الروعة في تصوير الفروسية والكرّ بالخيل على الأعداء:

لأمّ الأرض ويل ما أجنّت ... بحيث أضرّ بالحسن السبيل
يقسّم ماله فينا ويدعو ... أبا الصهباء إذ جنح الأصيل
كأنّك لم تريه ولم تريه ... تخبّ به غدافرة ذبول
حقيقة رحلها بدن وسرج ... يعارضها، مرتبّة، ذؤول
إلى ميعاد أرعن مكفهرّ ... تضمرّ في جوانبه الخيول
لك المرباع منها والصفايا ... وحكمك والنشيطة والفضول

(١) العقد ٣/ ٦٩ .
(٢) العقد ٣/ ٧٦ .

لقد ضمنت بنو زيد بن عمرو ... ولا يوفى ببسطام قتيل
فخرّ على الألاة ولم يوسّد ... كأنّ جبينه سيف صقيل
فإن تجزع عليه بنو أبيه ... فقد فجعوا وحلّ بهم جليل
بمطعام إذا الأشوال راحت ... إلى الحجرات ليس لها فصيل[1]

❖ شمعلة بن الأخضر

(شككنا بالرماح...)

أما شمعلة بن الأخضر بن هبيرة، فقال من وحي تلك المناسبة، وذلك اليوم، يوم شقائق الحسنين، قال من الشعر الفروسي البطولي الجيّد:

ويوم شقائق الحسنين لاقت ... بنو شيبان آجالاً قصارا
شككنا بالرماح وهنّ زورٌ ... صماخيْ كبشهم حتى استدارا
وأوخذناه أسمر ذا كعوبٍ ... يشبه طوله مسداً مغارا[2]

❖ الربيع بن زياد

(إذا نفرت...)

ومن الشعراء الفرسان الذين نادموا النعمان بن المنذر، في الجاهلية، الربيع بن زياد العبسي. من جيّد شعره في الفروسية، قوله:

فكنّا فوارس يوم الهرير ... إذ مال سرجك فاستقدما
عطفنا وراءك أفراسنا ... وقد أسلم الشفتان الفما
إذا نفرت من بياض السيوف ... قلنا لها أقدمي مقدما[3]

❖ سدوسيّ

(يا سلم...)

ومن جيد شعر الفروسية والشجاعة والبطولة وسرعة الإقدام، ما قاله أحد رجال بني سدوس، من وحي يوم الزويرين، بين بكر وتميم، وهو:

يا سلم إن تسألي عنّا فلا كُشُفٌ ... عند اللقاء ولسنا بالمقاريف
نحن الذين هزمنا يوم صبّحنا ... جيش الزويرين في جمع الأحاليف
ظلّوا وظَلْنا نكرّ الخيل وسطهمُ ... بالشّيب منّا وبالمرد الغطاريف[4]

---

(١) العقد ٣/ ٧٤ .
(٢) العقد ٣/ ٧٤ .
(٣) الحماسة ١/ ١٢٣ .
(٤) العقد ٣/ ٧٥ .

❖ **الأغلب العجلي**

(فكرّ بالسيف...)

أما الأغلب العجلي، والده جعشم، فقال من وحي تلك الحرب المارّ ذكرها، فقال فاخراً:

جاؤوا بزوريّهم وجئنا بالأصمّ ... شيخ لنا قد كان من عهد إرَمْ
فكرّ بالسيف إذا الرمح الخطمْ ... كهمّة الليث إذا ما الليث هَمْ
كانت تميم معشراً ذوي كرم ... مخلصة من الغلاصم العصمْ
قد نفخوا لو ينفخون في فحم ... وصبروا لو صبروا على أممْ
إذ ركبت ضبّة أعجاز النعم ... فلم تدع ساقاً لها ولا قدمْ[1]

❖ **مالك بن نويرة**

(ترى الشمس فيها حيث دارت توقّد)

ومن وحي يوم مخطط، وكان ليربوع على بكر، وكان على بكر يومئذ بسطام بن قيس والحوفزان بن الحرث، فانهزمت بكر شرّ هزيمة، وهرب الحوفزان وبسطام، وقتل شريك بن الحوفزان، قتله شهاب بن الحرث أخو عتيبة، وأسر الأحيمر بن عبدالله بن الضريس الشيباني، وفي ذلك يقول مالك بن نويرة، وشعره يدخل في صميم شعر القتال والفروسية:

إن لا أكن لاقيت يوم مخطّط ... فقد خبّر الركبان ما أتودّد
بأبناء حيّ من قبائل مالك ... وعمرو بن يربوع أقاموا فأخلدوا
فقال الرئيس لحوفزان تكتّبوا ... بني الحصن قد شارفتمُ ثمّ جرّدوا
فما فتئوا حتى رأونا كأنّنا ... مع الصبح آذيّ من البحر مزبد
بملمومة شهباء يبرق خالها ... ترى الشمس فيها حين دارت توقّد
فما برحوا حتى علتهم كتائب ... إذا طعنت فرسانها لا تعرّد
فأقررت عيني يوم ظلّوا كأنّهم ... ببطن غبيط خُشّب أثل مسنّد
صريع عليه الطير يحجل فوقه ... وآخر مكبول اليدين مقيّد
وكان لهم في أهلهم ونسائهم ... مبيت ولم يدروا بما يحدث الغد
وقد كان لابن الحوفزان لو انتهى ... شريك وبسطام عن الشّر مقعد[2]

(وما أدركت من خيلهم مثل ملهما)

ومن وحي يوم الحائر، وهو يوم ملهم لبني يربوع على بكر، وقد شارك فيه مالك

(١) العقد ٣/ ٧٥ .
(٢) العقد ٣/ ٧٢ .

ابن نويرة، أخو متمّم، يقول مالك لما قتل حمران بن عبدالله، فاخراً وذاكراً ما أبلاه وقومه من ضروب الفروسية والشجاعة في ذلك اليوم:

طلبنا بيوم مثل يومك علقما ... لعمري لمن يسعى بها كان أكرما
قتلنا بجنب العرص عمرو بن صابر ... وحمران أقصدناهما والمثلّما
فللّه عينا من رأى مثل خيلنا ... وما أدركت من خيلهم مثل ملهما[1]

(عليه دلاص...)

وله، من شعر البطولة والفروسية، من وحي يوم الصفقة، وهو يوم الكلاب الثاني، قوله:

ونحن عقرنا مهر قابوس بعدما ... رأى القوم منه والخيول تلهب
عليه دلاص ذات نسج وسيفه ... جراز من الهنديّ أبيض مقضّب
طلبنا بها إنّا مداريك قبلها ... إذا طلب الشأو البعيد المقرّب[2]

❖ **ابن تمراز**

(والقوم بين سوافل وعوال)

ومن وحي يوم القحقح، ويقال له يوم مالة، وكان لبني يربوع على بكر أيضاً، يقول ابن تمراز الرياحي لما قتل المنهال بن عصمة المجبه بن ربيعة اليربوعي، وكان من أعظم فرسانهم وأقواهم:

وإذا لقيت القوم فاطعن فيهم ... يوم اللقاء كطعنه المنهال
ترك المجبّه للضباع منكّساً ... والقوم بين سوافل وعوال[3]

❖ **سحيم**

(تنوح عليهما سود الليالي)

أما سحيم بن وثيل، من بني رياح، وكان شاعراً من السادة الأشراف في الجاهلية والإسلام، فيقول، من وحي يوم رأس العين، وهو اليوم الذي كان لبني يربوع، ثالثةً، على بكر، وفيه قتل معاوية بن فراس، الفارس المقدام. يقول سحيم فاخراً ببني رياح، فروسيتهم وقتالهم ونضالهم:

أليس الأكرمون بني رياح ... غوي منهم عمّي وخالي
هم قتلوا المجبّه وابن تيم ... تنوح عليهما سود الليالي

---

(١) العقد ٣/ ٧٠ .
(٢) العقد ٣/ ٨٥ .
(٣) العقد ٣/ ٧٠ .

وهم قتلوا عميد بني فراس ... برأس العين في الحجج الخوالي
وذادوا يوم طخفة عن حماهم ... زياد غرائب الإبل النهالي[١]

❖ ربيعة بن طريف

(يا راكباً...)

ومن الفرسان الشجعان ربيعة بن طريف بن شراحيل، أحد بني ربيعة، قتل أبوه يوم غول الأول، وكان فارساً شجاعاً، وفي ذلك يقول مثنياً على بطولة والده:

يا راكباً بلّغن عنّي مغلغلة ... بني الخصيب، وشرّ المنطق الفند
هلاّ شراحيل إذ مال الحزام به ... وسط العجاج فلم يغضب له أحد
أو المحسّر أو عمرو بخَيْفهمُ ... منّا فوارس هيجا نصرهم حسد
إن يلحظوني بزُرق من أسنّتنا ... تشفى بهنّ النسا والعُجب والكبد
وقد قتلناكم صبراً ونأسركم ... وقد طردناكمُ لو ينفع الطرد
حتّى استغاث بنا أدنى شريدكمُ ... من بعد ما مسّه الضرّاء والنكد[٢]

وعمرو، أعلاه، هو عمرو بن مرثد الملجمي، ومثله المحسّر، قتلا في ذلك اليوم المشهور.

❖ حمران بن عبد عمرو

(إنّ الفوارس...)

ومن وحي يوم خزاز وناعجة، يقول حمران بن عبد عمرو، مشيراً إلى بطولة الأبطال والفرسان في ذلك اليوم:

إنّ الفوارس يوم ناعجة المعا ... نِعم الفوارس من بني سيّار
لم يلههم عقد الأصرة خلفهم ... وحنين منهلة الضروع عقار
لحقوا على قُبّ الأباطل كالقنا ... شُعث تعدّ لكلّ يوم عوار
حتى حبون أخا القواصر طعنة ... وفككن منه القدّ بعد إسار
سالت عليه من الشعاب خوائف ... ورد القطاط تبلّج الأسحار[٣]

❖ الحرث بن كلدة

(وقد جشمتهم أمراً شطيطا)

ومن الفرسان المعدودين في يوم الحريرة، الحرث بن كلدة الثقفي. له، في ذلك

---

(١) العقد ٣/ ٧٠ .
(٢) العقد ٣/ ٨٨ . والعجاج: غبار الحرب.
(٣) العقد ٣/ ٩٠ .
وقبّ الأباطل: صفة للخيل، ومثلها الشعث. والقطاط، والقطا من الطيور.

اليوم فاخراً ببطولته وشجاعته وفروسيته، قوله:

تركت الفارس البذّاخ منهم ... تمجّ عروقه علفاً عبيطا
دعست بنانه بالرمح حتى ... سمعت لمتنه فيه أطيطا
لقد أرديت قومك يا بن صخر ... وقد جشّمتهم أمراً شطيطا
وكم أسلمت منكم من كميّ ... جريحاً قد سمعت له غطيطا[1]

❖ **طريف العنبري**

(أوكلّما...)

ومن جيّد شعر الفروسية والإقدام والنجدة والشجاعة شعر طريف بن تميم العنبري، وهو شاعر فارس كان لا يتقنع كما تتقنّع الفرسان. له من الشعر، من وحي يوم مبايض، وكان لبكر على تميم، له قوله:

أو كلّما وردت عكاظ قبيلة ... بعثوا إليّ عريفهم يتوسّم
فتوسّموني إنّني أنا ذلكم ... شاكي السلاح في الحوادث معلم
تحتي الأغرّ وفوق جلدي نثرة ... زعف ترد السيف وهو مثلّم
حولي أسيد والهجيم ومازن ... وإذا حللت، فحول بيتي خضّم[2]

❖ **حمصيصة الشيباني**

(وحمَوْا ذمار أبيهم أن يُشتموا)

وبالنسبة إلى طريف العنبري، الشاعر الفارسي، المارّ ذكره، فقد قتله في ذلك اليوم، أي في يوم مبايض، حمصيصة الشيباني، وهو من الشعراء الفرسان، وله من شعر الفروسية والحماسة قوله ذاكراً تلك الحادثة:

ولقد دعوت طريف دعوة جاهل ... سفهاً وأنت بمعلم قد تعلم
وأتيت حيّاً في الحروب محلّهم ... والجيش باسم أبيهم يستقدم
فوجدت قوماً يمنعون ذمارهم ... بُسلاً إذا هاب الفوارس أقدموا
وإذا دعوا ابني ربيعة شمّروا ... بكتائب دون السماء تلملم
شدوا عليك وعجّلوا بقراهم ... وحموا ذمار أبيهم أن يُشتموا
سلبوك درعك والأغرّ كلاهما ... وبنو أسيد أسلموك وخضّم[3]

---

(١) العقد ٣/ ٩٤ .
وعبيطاً: طرياً. والأطيط: الصوت. وشطيط: باهظ. والغطيط: صوت نفس النائم.
(٢) العقد ٣/ ٧٦ .
وعكاظ: اسم مكان سوق في الجاهلية. وزعف: متينة. وشاكي السلاح: حاضرة.
(٣) العقد ٣/ ٧٧ . والأغر: صفة للفرس. وبسل: شجعان.

❖ نهشل بن حريّ

(ويومٍ...)

من الشعراء الفرسان، والأبطال الشجعان، نهشل بن حريّ بن ضمرة بن جابر بن قطن... بن دارم. اسم جدّه ضمرة، وهو الذي ورد على النعمان بن المنذر فقال من أنت؟ قال أنا شقة، وكان ضمرة نحيفاً دميماً، فقال له النعمان: تسمع بالمعيدي، لا أن تراه، فذهبت مثلاً، ومن شعر نهشل المستوحى من سوح عراك الفرسان بالفرسان، وصبره على الأهوال، قوله:

ويومٍ كأن المصطلين بحرّه ... وإن لم يكن جمر، وقوف على جمر
أقمنا به حتّى تجلّى وإنّما ... تفرّج أيام الكريهة بالصبر[1]

❖ عمرو بن الأسلع

(خذها إليك فأنت السيد الصمد)

ومن شعر الفروسية والقتال، شعر عمرو بن الأسلع، قاله في يوم الهباءة، وهو اليوم الذي كان لعبس على ذبيان. يقول عمرو:

إنّ السماء وإنّ الأرض شاهدة ... والله يشهد والإنسان والبلد
إنّي جزيت بني بدر بسعيهم ... على الهباءة قتلاً ماله قود
لمّا التقينا على أرجاء جملتها ... والمشرفيّة في أيماننا تقد
علوته بحسام ثم قلت له ... خذها إليك، فأنت السيّد الصمد[2]

❖ خداش بن زهير

(أنا فارس الضحياء...)

ومن فرسان يوم شواحط، وكان لبني محارب على بني عامر، خداش بن زهير بن ربيعة، له من شعر البطولة والفروسية وخوض غمار المنايا، قوله:

أيا راكباً إمّا عرضت فبلّغن ... عقيلاً وأبلغ أن لقيت أبا بكر
فيا أخوينا من أبينا وأمّنا ... إليكم إليكم لا سبيل إلى الحشر
دعوا جانبي إنّي سأترك جانباً ... لكم واسعاً بين اليمامة والقفر
أنا فارس الضحياء عمرو بن عامر ... أبى الذم واختار الوفاء على الغدر[3]

---

(١) الحصري: زهر الآداب ٣/ ٣٩٢ . ذيل كتاب العقد. دار مكتبة الهلال. بيروت.
والمصطلون: ذائقو صلائها، أي حرّها. والكريهة: الحرب.
(٢) العقد ٣/ ٥٨ .
والقود: الأخذ بالثأر. والصمّد: الرفيع العماد. والحسام: السيف.
(٣) نفسه ٣/ ٦٠ . والضحياء: اسم فرسه، وهي البيضاء، أو التي تكرّ ضحىً.

(يا شدّةً...)

وله، من وحي يوم نخلة، قوله:

يا شدّة ما شددنا غير كاذبة ... على سخينة لولا الليل والحرُم
لمّا رأوا خيلنا تزجى أوائلها ... آساد غيل حمىً أشبالها الأجم
واستقبلوا بضراب لا كفاء له ... يبدي من الغول الأكفال ما كتموا
ولّوا سلالاً وعظم الخيل لاحقة ... كما تخبّ إلى أوطانها النّعم
ولّت بهم كلّ محضار ململمة ... كأنّها لقوة يجنبنها ضرم[1]

(ألم يبلغك...)

ومن يوم وحي يوم شمطة، وهو يوم كان لهوازن على كنانة، له قوله:

ألم يبلغك ما لقيت قريش ... وحيّ بني كنانة إذ أبيروا
دهمناهم بأرعن مكفهرّ ... فظلّ لنا بعقوتهم زئير[2]

(وإن تباهوا فإنّي غير مغلوب)

ومن وحي يوم الحريرة، له فاخراً بطعن قومه في صدور الأعداء، وكرّ الخيل على الخيل، قوله:

إنّي من النفر المحمّر أعينهم ... أهل السوام وأهل الضُمَّر اللّوب
الطاعنين نحور الخيل مقبلة ... من كلّ سمراء لم تغلب ومغلوب
وقد بلوتم فأبلاكم بلاؤهمُ ... يوم الحريرة ضرباً غير مكذوب
لاقتهمُ منهمُ آساد ملحمة ... ليسوا بدارعة عوج العراقيب
فالآن إن تقبلوا نأخذْ نحوركمُ ... وإن تباهوا فإنّي غير مغلوب[3]

❖ الأعشى

(أمّا تميم...)

وما أبدع ما قاله أعشى بكر، مثنياً على بطولة قبائل العرب التي شاركت في حرب ذي قار، هذا اليوم الذي انتصرت فيه العرب، في الجاهلية، على الفرس، وأحلافهم من تميم وقيس عيلان وسواهم. يقول أعشى بكر في الثناء على بلاء الأبطال الشجعان، وخوض الفرسان غمار تلك الحرب الضروس، فاخراً:

---

(١) العقد ٣/ ٩٣ .
الأشبال: أولاد الأساد. والنعم: الإبل. والمحضار الململمة، صفة للفرس السريع.
(٢) العقد ٣/ ٩٣ .
والأرعن المكفهر: صفتان للفرس الشديد.
(٣) العقد ٣/ ٩٤ .
والضمّر اللوب: صفة للخيل. والمحمرّ أعينهم: كناية عن الغضب.

أمّا تميم فقد ذاقت عداوتنا ... وقيس عيلان مسّ الخزي والأسفُ
وجند كسرى غداة الحنو صبّحهم ... منّا غطاريف ترجو الموت وانصرفوا
لقوا ململمة شهباء يقدمها ... للموت، لا عاجز فيها ولا خرف
فرع رعته فروع غير ناقصة ... موفّق حازم في أمره، آنف
فيها فوارس محمود لقاؤهم ... مثل الأسنّة، لا ميل ولا كُشف
بيض الوجوه غداة الروع تحسبهم ... جنان عين عليها البيض والزعف
لمّا رأونا كشفنا عن جماجمنا ... ليعلموا أنّنا بكر فينصرفوا
قالوا البقيّة والهنديّ يحصرهم ... ولا بقيّة ألاّ السيف فانكشفوا
لو أنّ كلّ معدّ كان شاركنا ... في يوم ذي قار ما أخطاهم الشرف
لمّا أمالوا إلى النشّاب أيديهم ... ملنا ببيضٍ لمثل الهام تختطف
إذا عطفنا عليهم عطفة صبرت ... حتّى تولّتْ وكاد القوم ينتصفوا
بطارقٌ وبني ملك مرازبة ... من الأعاجم في آذانها الشنف
من كلّ مرجانة في البحر أحرزها ... تيّارها ووقاها طينها الصدف
كأنّما الآل في حافات جمعهم ... والبيض برق بدا في عارض يكف
ما في الخدود صدود عن سيوفهم ... ولا عن الطعن في اللبّات منحرف[1]

❖ **عبيد بن الأبرص**

(بل لا محالة...)

ومن شعر الفروسية، والتحام الخيل بالخيل، ما قاله عبيد بن الأبرص السعدي الأسدي (ت حوالي ٥٥٥ م). الشاعر الجاهلي المعروف، وصاحب المعلقة المضطربة المشهورة:

أقفر من أهله ملحوب ... فالقطبيّات، فالذنوب

يقول عبيد بن الأبرص من شعر الفروسية والقتال:

بل لا محالة من لقاء فوارس ... كرم متى يدعوا لروع يركبوا
شمّ كأنّ سنا القوانس فوقهم ... نار على شرف اليفاع تلهّب
ولقد شببنا بالجفار لدارم ... ناراً بها طير الأشائم ينعب
ولقد تقادم بالنسار لعامر ... يوم لهم منّا هناك عصبصب
حتى سقيناهم بكأس مرّة ... فيها المثمّل ناقعاً فليشربوا[2]

---

(١) العقد ٣/ ٩٧ .
واللبات: جمع لبّة، وهي موضع الطعن من الصدر. ويكف: يسيل. والمرازبة: جمع مرزبان، وهو السيد القائد، بالفارسية. والبطارق: جمع بطريق، وهو القائد والزعيم. والهندي: صفة للسيف المنسوب إلى الهند. وأنف: عالٍ، فيه شمم ورفعة. والروع: الفزع والحرب. ومعدّ: أبو العرب. والبيض والزعف: الدروع والتروس ولباس الرأس من الحديد.
(٢) ديوان عبيد ٣٤ . دار صادر. بيروت ١٩٦٤ م.
والجفار: اسم ماء لبني تميم، أدّعته بنو ضبّة، وفيه وقعت حرب الجفار. وعصبصب: شديد.

❖ بشامة بن الغدير

(كفى بالحوادث للمرء غولا)

ومن شعر الحماسة والفروسية، والحث على القتال، وشدّة النزل، الشعر الذي قاله بشامة بن عمر.. بن الغدير، وفيه النزعة القبلية، والعصبية الجاهلية، وهو:

وخُبّرت قومي ولم ألقهم ... أجدّوا على ذي شويس حلولا
فإمّا هلكت ولم آتهم ... فأبلغ أماثل سهم رسولا
بأن قومكم خيّروا خصلتين ... كلتاهما جعلوها عدولا
خزي الحياة وحرب الصديق ... فسيروا إلى الموت سيراً جميلا
ولا تقعدوا وبكم منّة ... كفى بالحوادث للمرء غولا
وحشّوا الحروب إذا أوقدت ... رماحاً طويلاً وخيلاً فحولا[1]

(قد أترك القِرن...)

وإنّ منه أيضاً، قوله:

قد أترك القِرن مصفرّاً أناملـه ... كأنّ أثوابه مجّت بفرصاد
أوجرته ونواصي الليل شاحبة ... سمراء عاملها من خلفها بادي[2]

❖ عنترة

(والخيل تشهد لي...)

من ألمع فرسان العرب في الجاهلية، وأبطالها وشجعانها، عنترة بن شدّاد العبسي، كنيته أبو الفوارس، أحد ابرز أصحاب المعلقات (ت حوالي ٦١٥ م) وإنّ من أبرز شعره الفروسي، ذي الملمح الأسطوري، قوله:

والخيل تشهد لي أنّي أكفكفها ... والطعن مثل شرار النار يلتهب
إذا التقيت الأعادي يوم معركة ... تركت جمعهم المغرور يُنتهب
لي النفوس وللطير اللحوم وللوحش ... العظام وللخيّالة السلب
لا أبعد الله عن عيني غطارفة ... إنساً إذا نزلوا، جِنّاً إذا ركبوا
أسود غاب ولكن لا ينوب لهم ... إلاّ الأسنّة والهنديّة القُضب
تعدو بهم أعوجيّات مضمّرة ... مثل السراحين في أعناقها القَبب
ما زلت ألقى صدور الخيل مندفقاً ... بالطعن حتى يضجّ السرج واللبب
فالعُمي لو كان في أجفانهم نظروا ... والخرس لو كان في أفواههم خطبوا

---

(١) المفضليات، للضبي ٨٩، مطبوعات الآباء اليسوعيين. بيروت ١٩٢٠ م.
(٢) الديوان ٦٤ . دار صادر.
والقرن: الفارس الشجاع. والفرصاد: التوت.

والنقع يوم طراد الخيل يشهد لي والضرب والطعن والأقلام والكتب[١]

(سلي يا عبل...)

وإن من شعر الفروسية، عند عنترة، قوله مخاطباً عبلة، حبيبته:

سلي يا عبل عنّا يوم زرنا قبائل عامر وبني كلاب
وكم من فارس خلّيت ملقىً خضيب الراحتين بلا خضاب
يحرّك رجله رعباً وفيه سنان الرمح يلمع كالشهاب[٢]

(ويطربني...)

وإن من رائع شعر الفروسية، والطعن والقتل، وضرب الهام، والتحام الفرسان بالفرسان، والخيل بالخيل، قوله:

ويطربني، والخيل تعثر بالقنا حُداة المنايا وارتعاج المواكب
وضرب وطعن تحت ظلّ عجاجة كجنح الدجى من وقع أيدي السلاهب
تطير رؤوس القوم تحت ظلامها وتنقضّ فيها كالنجوم الثواقب
وتلمع فيها البيض من كلّ جانب كلمع بروق في ظلام الغياهب[٣]

(ومن أبى ذاق طعم الحرب والحرب)

وإنّ منه أيضاً، قوله مخاطباً عبلة، فاخراً ببطولته وفروسيته:

يا عبل قومي انظري فعلي ولا تسلي عنّي الحسود الذي ينبيكِ بالكذب
إذ أقبلت حدق الفرسان ترمقني وكلّ مقدام حرب مال للهرب
فما تركت لهم وجهاً لمنهزم ولا طريقاً يُنجّيهم من العطب
فبادري وانظري طعناً أذا نظرت عين الوليد إليه شاب وهو صبي
خُلقت للحرب أحميها إذا بردت وأصطلي نارها في شدّة اللهب
بصارم حيثما جرّدته سجدت له جبابرة الأعجام والعرب
وقد طلّبت من العلياء منزلة بصارمي، لا بأمّي لا ولا بأبي
فمن أجاب نجا ممّا يحاذره ومن أبى ذاق طعم الحرب والحرب[٤]

---

(١) الديوان ١٢ . دار الفكر العربي. بيروت ١٩٩٤ .
والنقع: الغبار. واللبب: سير السرج. والسراحين: الذئاب. والقبب: ضمور الخصر ودقّته. والأعوجيات: صفة للإبل، وهنا صفة للخيل التي اعوجّت. والمضمّرة من الخيل، التي ارتاحت طويلاً، ثم منع العلف عنها مدة لتهزل فتكون أقوى على السباق. والهندية القضب: صفة للسيوف. والغطارفة: الأسياد. والسلب: ما يسلب من سلاح ومال وغير ذلك. والصارم: السيف.
(٢) الديوان ١٦ .
(٣) الديوان ١٨ . والعجاجة: الغبار. والسلاهب: الطوال، صفة للخيل.
(٤) الديوان ٢٠ ـ ٢١ . والحرب، بفتح الراء: شدة الغيظ والغضب. والعطب: الهلاك. وحدق الفرسان: عيونهم.

(وتنوفةٍ...)

وإن منه أيضاً، قوله، وفيه العجيب من تصوير القتال والطعان بنفس ملحمي رائع:

وتنوفةٍ مجهولةٍ قد خضتها ... بسنان رمح ناره لم تخمدِ
باكرتها في فتية عبسيّة ... من كلّ أروع في الكريهة أصيد
وترى بها الرايات تخفق والقنا ... وترى العجاج كمثل بحر مزبد
فهناك تنظر آل عبسٍ موقفي ... والخيل تعثر بالوشيج الأملد
وبوارق البيض الرقاق لوامع ... في عارض مثل الغمام المرعد
وذوابل السُّمر الدقاق كأنها ... تحت القتام نجوم ليل أسود
وحوافر الخيل العتاق على الصفا ... مثل الصواعق في قفار الفدفد
باشرت موكبها وخضت غبارها ... أطفأت حجر لهيبها المتوقّد
وكررت والأبطال بين تصادم ... وتهاجم وتحزّب وتشدّد
وفوارس الهيجاء بين ممانع ... ومدافع ومخادع ومعربد
والبيض تلمع والرماح عواسل ... والقوم بين مجدّل ومقيّد
وموسّد تحت التراب وغيره ... فوق التراب يئنّ غير موسّد
أقحمت مهري تحت ظلّ عجاجة ... بسنان رمح ذابل ومهنّد[1]

(كم فارسٍ...)

وإن من رائع شعر عنترة البطولي، وفيه تصوير للفروسية، والطعان والجلاد، والصبر على البلاء، قوله:

كم فارسٍ غادرت يأكل لحمه ... ضاري الذئاب وكاسرات الأنسرِ
أفري الصدور بكلّ طعن هائل ... والسابغات بكلّ ضرب منكر
وإذا ركبت ترى الجبال تضجّ من ... ركض الخيول وكلّ قطر موعر
وإذا غزوت تحوم عقبان الفلا ... حولي فتطعم كبْد كلّ غضنفر
ولكم خطفت مدرّعاً من سرجه ... في الحرب وهو بنفسه لم يشعر
ولكم وردت الموت أعظم مورد ... وصدرت عنه فكان أعظم مصدر
يا عبل لو عاينتَ فعلي في العِدا ... من كلّ شلوٍ بالتراب معفّر
والخيل في وسط المضيق تبادرت ... نحوي كمثل العارض المتفجّر
من كلّ أدهم كالرياح إذا جرى ... أو أشهب عالي المطا أو أشعر

---

(١) الديوان ٤٢ .

والعواسل: صفة للرماح، وهي اللينة. والمعربد: الشديد من كل شيء. والفدفد: الفلاة. والصفا: الحجارة الملس. والقتام: الغبار. والوشيج: الرماح. والعجاج: غبار الحرب.

فصرخت فيهم صرخة عبسيّة ... كالرعد تدوي في قلوب العسكر
وعطفت نحوهمُ وصلت عليهمُ ... وصدمت موكبهم بصدر الأبجر
وطرحتهم فوق الصعيد كأنّهم ... أعجاز نخل في حضيض المحجر
ودماؤهم فوق الدروع تخضّبت ... منها فصارت كالعقيق الأحمر
ولربّما عثر الجواد بفارس ... ويُخال أنّ جواده لم يعثر[1]

❖ أبو محجن

(وسائل الناس ما جودي وما خُلُقي)

ومن الشعراء الشجعان الفرسان، أبو محجن الثقفي (ت حوالي ٦٥٠ م)، له من شعر الفروسية، على رغم كونه أحد شعراء الخمرة، قوله:

لا تسأل الناس ما مالي وكثرته ... وسائل الناس ما جودي، وما خُلُقي
أعطي الحسام غداة البين حصّته ... وعامل الرمح أرويه من العلقِ
وأطعن الطعنة النجلاء عن عُرضٍ ... وأكتم السرّ، فيه ضربة العُنقِ
ويعلم الناس أنّي من سَراتهمِ ... إذا أمسّ بضرّ عدّة الفرق[2]

❖ الخنساء

(يا لهف نفسي...)

إذا ذكروا الفرسان في الجاهلية، كان صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد، أخو الخنساء، الشاعرة المشهورة، في طليعة الفرسان، لا يشقّ له غبار، ولا يعدوه فارس، في الكرّ، والشدّ على الخصم، ومواجهة المواقف الصعبة، وفي الطعان والبراز والقتال. وللخنساء في رثاء صخر، وكان قتله ربيعة بن ثور، قولها تبكي الفروسية والبطولة، والشجاعة التي كان يتحلّى بها صخر:

يا لهف نفسي على صخر إذا ركبت ... خيل لخيل تنادي ثمّ تضطربُ
قد كان حصناً شديد الركن ممتنعاً ... ليثاً إذا نزل الفتيان أو ركبوا
يا فارس الخيل إذ شدّت رحائلها ... ومطعم الجوّع الهلكى إذا سغبوا
كم من ضرائك هلاّك وأرملة ... حلّوا لديك فزالت عنهم الكُرب[3]

---

(١) الديوان ٦١ . الصعيد: التراب. وأعجاز النخل: أصولها. والحضيض: القعر. والأدهم: الأسود، صفة للجواد. والأشهب، صفة ثانية، ما فيه بياض وسواد. والعارض: المطر. والشلو: العضو المقطّع. ومعفرّ: ملطّخ. والمدرّع: لابس الدرع، والغضنفر: صفة للأسد. والأبجر: صفة لفرس عنتر.

(٢) ديوان أبي محجن ١٣٨ . ط دمشق.
وسراة القوم: أشرافهم. والنجلاء: العريضة. وعامل الرمح: عوده ومقوده.

(٣) ديوان الخنساء ١١ . دار الفكر العربي. بيروت ١٩٩٤ .
والضرائك: جمع ضريك، وهو الشيء الحال الفقير. وسغبوا: جاعوا. والأزهر: ما في وجهه زُهرة، وهي البياض. والعتيق: الكريم.

(مدره الحرب حين يلقى نطاحا)

ومن شعرها الآخر الذي يصوّر بلاء صخر في الفروسية، ومجالدة الفرسان، وشدّة الطعان، قولها:

فارس يضرب الكتيبة بالسيف ... إذا أردف العويل الصياحا
يقبل الطعن للنحور بشزرٍ ... حين يسمو حتّى يلين الجراحا
مقبلات حتى يولّين عنه ... مدبرات وما يردن كفاحا
كم طريد قد سكّن الجأش منه ... كان يدعو بصفّهنّ صُراحا
فارس الحرب والمعمّم فيها ... مدرهُ الحرب حين يلقى نطاحا[1]

(يا فارس الخيل...)

وفي فروسية وشجاعة صخر تقول الخنساء راثية:

يا صخر من لطراد الخيل إذ وُزعت ... وللمطايا أذا يُشددن بالكور
ومن لطعنة حِلسٍ أو لهاتفة ... يوم الصباح بفرسان مغاوير
فرّ الأقارب عنها بعدما ضربوا ... بالمشرفيّة ضرباً غير تعزير
يا فارس الخيل إن شدّوا فلم يهنوا ... وفارس القوم إن همّوا بتقصير
يا لهف نفسي على صخر إذا ركبت ... خيل لخيل كأمثال اليعافير
وألقح القوم حرباً ليس يلقحها ... إلاّ المساعير أبناء المساعير[2]

❖ **طرفة**

(نمسك الخيل...)

ينتمي طرفة بن العبد، الشاعر الجاهلي، وصاحب المعلقة المشهورة، ينتمي إلى بكر، إحدى ألمع قبائل العرب، وأشدهم بأساً وشجاعة وفروسية، ولطرفة معرباً عن خوض قومه، وخوضه هو، بنفسه، غمار الحرب، وطعان الفرسان، ومنازلة الأقران، على متون الخيل، في ساحات الوغى، قوله فاخراً:

ولقد تعلم بكر أنّنا ... صادقوا البأس، وفي المحفل غُرّ
ذُلقٌ في غارة مسفوحة ... ولدى البأس حماة، ما نفرّ
نُمسك الخيل على مكروهها ... حين لا يمسكها إلاّ الصُبُر
حين نادى الحيّ لمّا فزعوا ... ودعا الداعي، وقد لجّ الذُّعُر

---

(١) ديوان الخنساء ٢٣ . دار الفكر العربي. بيروت ١٩٩٤ .
والنطاح في الحرب: العراك. والمدره: السيّد، وزعيم القوم.
(٢) الديوان ٤٩ ـ ٥٠ .
والمساعير: الأشداء. واليعافير: جمع يعفور، وهو الظبي. والحلس: الملازم المكان لا يبرحه. وهو الشجاع أيضاً.

أيّها الفتيان في مجلسنا ... جرّدوا منها وراداً وشُقر
أعوجيّاتٍ طوالاً شُزّباً ... دوخل الصنعة فيها والضُمُر
من يعابيبَ ذكورٍ وُقُح ... وهضبّات، إذا ابتلّ العُذُر
ذلق الفارة في إفزاعهم ... كرعال الطير أسراباً تمرّ
نذر الأبطال صرعى بينها ... ما يني منهم كميّ منعفر[1]

(ومنّا الكميّ الصابر المتعرّف)

ولطرفة، من شعر الفروسية والبطولة والشجاعة، قوله فاخراً:

ونحن إذا ما الخيل زايل بينها ... من الطعن نشّاج مخلّ ومزعفُ
وجالت عذارى الحيّ شتى كأنّها ... توالي صُوارٍ، والأسنّة ترعف
ولم يحم أهل الحيّ إلاّ ابن حُرّةٍ ... وعمّ الدعاء المرهق المتلهّف
ففئنا غداة الغبّ كلّ نقيذة ... ومنّا الكميّ الصابر المتعرف[2]

(حين يحمي الناس...)

ومن شعر الفروسية والبطولة، أيضاً، قوله:

حين يحمي الناس نحمي سربنا ... واضحي الأوجه، معروفي الكرمْ
بحسامات تراها رُسّباً ... في الضريبات، مترّات العُصُم
وفحولٍ هيكلاتٍ وُقحٍ ... أعوجيّاتٍ، على الشأو أُزُم
وقناً جردٍ وخيل ضُمَّرٍ ... شُزَّبٍ من طول تعلاك اللُجُم[3]

❖ **النابغة**

(إذا ما غزوا بالجيش...)

ومن المشاهد الموفّقة الفائقة الجودة والروعة، في تصوير القتال، والفرسان، والطعان تصويراً ملحمياً، النابغة الذبياني، أحد أشهر أصحاب المعلقات في الجاهلية. يصف بطولة الغساسنة، وخوضهم ميادين القتال، فيقول:

إذا ما غَزوْا بالجيش حلّق فوقهم ... عصائب طير تهتدي بعصائب

---

(١) ديوان طرفة ٤٥، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧ .
ويني: يتعب. والكمي: الفارس. ومنعفر: ملتصق بالتراب. ورعال الطير: أسرابها. وذلق: مسرعة. واليعابيب: جمع يعبوب، وهو الفرس الطويل السريع. والوقح من الخيل: ما كان حافرها صلباً. والهضبّات: مفردها هضبّ. وهو الفرس الكثير سيلان العرق، كناية عن الشدة والقوة. والعذر: جمع عذار، وهو جانب الوجه.
(٢) ديوان طرفة ٥٦ .
والصوار: القطيع من بقر الوحش. وزايل: فرق. والنشاج. الضرب يشخب منه الدم. والمخلّ المزعف: القاتل.
(٣) الديوان ٧٦ .
وشزّب: نحيلة. وأزم: قوية. وأعوجيات: صفة للخيل، ومثلها الهيكلات، أي الطويلة.

يصاحبنهم حتّى يُغرن مغارهم ... من الضاريات، بالدماء، الدوارب
تراهنّ خلف القوم خُزراً عيونها ... جلوس الشيوخ في ثياب المرانب
جوانح قد أيقنّ أنّ قبيله ... إذا ما التقى الجمعان أوّل غالب
لهنّ عليهم عادة قد عرفنها ... إذا عُرّض الخطّيّ فوق الكواتب
على عارفات للطعان عوابس ... بهنّ كلوم بين دامٍ وجالب
إذا استنزلوا عنهنّ للطعن أرقلوا ... إلى الموت إرقال الجمالِ المصاعب
فهم يتساقون المنيّة بينهم ... بأيديهمُ بيض رقاق المضارب
يطير فضاضا بينها كلّ قونسٍ ... ويتبعها منهم فراش الحواجب
ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم ... بهنّ فلول من قراع الكتائب
تقدّ السلوقيّ المضاعف نسجُه ... وتوقد بالصفّاح نار الحباحب
بضربٍ يزيل الهام عن سكناته ... وطعنٍ كإيزاغ المخاض الضوارب[1]

(شهدت لهم...)

وفي فروسيّة بني أسد، أحلاف بني ذبيان، قوم الشاعر، وشجاعتهم وبطولتهم، وإقدامهم في الحروب، على متون الخيل، يقول النابغة:

فهم درعي التي استلأمت فيها ... إلى يوم النسار، وهم مِجَنّي
وهم وردوا الجفار على تميم ... وهم أصحاب يوم عكاظ، إنّي
شهدت لهم مواطن صادقات ... أتيتهم بودّ الصدر منّي
وهم ساروا لحجرٍ في خميسٍ ... وكانوا، يوم ذلك، عند ظنّي
وهم زحفوا لغسّان بزحف ... رحيب السرب، أرعنَ، مرجحنّ
بكلّ مجرّب كالليث، يسمو ... على أوصال ذيّالٍ رِفَنّ
وضُمرٍ كالقداح مسوّمات ... عليها معشر أشباه جِنّ[2]

---

(١) ديوان النابغة ٥١ ـ ٥٢ . دار صعب. بيروت ١٩٨٠ .
والهام: أعلى الرأس. وسكناته: قراراته. وإيزاغ المخاض الضوارب: دفع النوق الحوامل ببولها، وضربها بأقدامها إذا أرادها الفحل. والسلوقي: الدرع المنسوبة إلى سلوق، مدينة في بلاد الروم. والصفّاح: الحجارة العراض. والحباحب: ضرب من الحشرات تضيء في الليل. ويوم حليمة: اسم أحد أيام العرب في الجاهلية. وفضاضاً: متناثراً. والقونس: أعلى الرأس، والبيضة من الحديد. وفراش الحواجب: عظام الخيشوم.
(٢) ديوان النابغة ١٩١ ـ ١٩٢ .
وضمر: صفة للخيل النحيلة. من شدة الركض. ومسوّمات: عليها علائم في الحروب. والسرب: السبيل. وأرعن: صفة للجيش الجرّار. ومرجحن: ثقيل. وذيّال: ذو ذيل. والرفنّ: الطويل من الخيل. والخميس: الجيش.

القسم الثاني

في العصرين الأموي والعباسي

❖ قطري بن الفجاءة

(وآب عميد الأزد غير ذميم)

ومن أشهر شعراء الخوارج، في العصر الأموي، قطري بن الفجاءة، انتخبه الأزارقة خليفة عليهم، أشهر شعره في الحماسة والفخر، وكان فارساً بطلاً مقداماً، قتل في معركة بطبرستان حوالي سنة ٨٠ هـ/ ٦٩٩ م. ومن أشهر شعره البطولي النامّ عن البطولة وتصوير الفروسية والشجاعة، قوله يوم دولاب، وهو اليوم الذي كان بين الخوارج والأحنف بن قيس، مخاطباً أمّ حكيم، وهي امرأة من الخوارج قتلت بين يدي المهلب:

وضاربةٍ خدّاً كريماً على فتىً ... أغرّ نجيب الأمّهات كريم
ولو شهدتني يوم دولاب أبصرت ... طعان فتىً في الحرب غير ذميم
أصيب بدولاب ولم تك موطناً ... له أرض دولاب وأرض حميم
فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا ... تبيح من الكفّار كلّ حريم
رأت فتية باعوا الإله نفوسهم ... بجنّات عدن، عنده، ونعيم
فيا كبداً من غير جوع ولا ظما ... وواكبداً من وجد أمّ حكيم
غداة طغت عَلْماء بكر بن وائل ... وعجنا صدور الخيل نحو تميم
وكان بعبد القيس أوّل حدّنا ... وآب عميد الأزد غير ذميم[1]

يعني بعميد الأزد المهلّب.

(كأنها أسدٌ يصطادها أسد)

ومن نادر ما حدث به أبو حاتم، قال أتيت أبا عبيدة، ومعي شعر عروة بن الورد. قال لي ما معك؟ قلت شعر عروة. قال شعر فقير، يحمله فقير، ليقرأه على فقير؟ قلت ما معي غيره. فأنشدني أنت ما شئت؟ فأنشدني شعراً يلتهب حماساً وشجاعة ونجدة وإقداماً، وهو:

يا ربّ ظلّ قد وقيت به ... مهري من الشمس والأبطال تجتهد
وربّ يوم حمى أرعيت عقربه ... خيلي أقساراً وأطراف القنا قُصُد
ويوم لهو لأهل الخفض ظلّ به ... لهوي اصطلاء به وتارةً تقد
مشهّراً موقفي والحرب كاشفة ... عنها القناع وبحر الموت يطّرد
وربّ هاجرة تغلي مراجلها ... نحرتها بمطايا غارة، نخد
تجتاب أودية الأفزاع آمنة ... كأنّها أسد يصطادها أسد

---

(١) الكامل ١/ ٢٢٣ .
وعلماء: أصلها على الماء. وعجنا: ملنا. وآب: رجع.

فإن أمت حتف أنفي لا أمت كمداً ... على الطعان وقصر العاجز الكمد
ولم أقل كم أساقي الموت شاربه ... وكأسه والمنايا شُرّع وُرد. .[١]

ثم إن أبا عبيدة قال هذا، والله، هو الشعر، لا ما يتعلّلون به من أشعار المخانيث. أما الشعر فهو لقطري بن الفجاءة، المارّ ذكره.

❖ عمرو القنا

(أجاهد أعدائي...)

ومن دعاة الخوارج الفرسان، عمرو بن عميرة العنبري، يقال له عمرو القنا، لملازمته محل السنان على متون الخيل في الطراد والطعان. ومن شعره الفروسي، قوله:

ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له ... من الله في دار القرار نصيبُ
فحسبي من الدنيا دلاص حصينة ... وأجرد خوّار العنان نجيب
أجاهد أعدائي إذا ما تتابعوا ... وأدعى باسمي للهدى فأجيب
معي كلّ أوّاهٍ برى الصوم جسمه ... ففي الوجه منه نهكة وشحوب[٢]

(لا قوم أكرم منهم...)

وقوله الفائق الجودة، في وصف الخوارج:

القائلين إذا هم بالقنا خرجوا ... من غمرة الموت في حوماتها عودوا
عادوا فعادوا كراماً، لا تنابلة ... عند اللقاء، ولا رُعش رعاديد
لا قوم أكرم منهم يوم قال لهم ... محرّض الموت عن أحسابكم ذودوا[٣]

❖ أعشى همدان

(باقٍ على الحدثان...)

من الشعراء الفرسان، أعشى همدان، واسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن الحرث. . . من فصحاء الكوفة، وشعراء الدولة الأموية، أغزاه الحجاج الديلم، فأسر هناك، ثم أطلق سراحه. من شعره الفروسيّ المستوحى من حروبه في بلاد الديلم، قوله:

---

(١) زهر الآداب ٣/ ٣٦٠ .
ومات فلان حتف أنفه: أي على فراش الموت، لا قتلاً في المعركة.
(٢) معجم الشعراء ٢٢٩ . للمرزباني. ط دمشق.
ونهكة: صفرة وذبول. وخوّار: جبان ضعيف.
(٣) معجم الشعراء ٢٣٩ .
وتنابلة: جبناء. وذودوا: دافعوا. وحومات الموت: غمراته.

إنّي لطلاّب الترات مطلّب ... وبكلّ أسباب المنيّة أشرف
باقٍ على الحدثان غير مكذّب ... لا كاسف بالي ولا متأسّف
إن نلت لم أفرح بشيء نلته ... وإذا سبقت به فلا أتلهّف
إنّي لأحمي في المضيق فوارسي ... وأكرّ خلف المستضاف وأعطف
وأشدّ إذ يكبو الجواد وأصطلي ... حرّ الأسنّة والأسنّة ترعف
فلئن أصابتني الحروب فربّما ... أدعى إذا منع الرداف فأردف
ولربّما يروى بكفيّ لهزم ... ماضٍ ومطّرد الكعوب مثقّف
وأغير غارات وأشهد مشهداً ... قلب الجبان به يطير ويرجف[1]

❖ **الطرماح**

(فوارس من شيبان...)

من فرسان الخوارج وشجعانها، وأبطالها الذين أبلوا في الحروب، وشاركوا في الوقائع، الطرمّاح بن حكيم، أحد فحول الشعراء الإسلاميين وفصحاؤهم. نشأ في الشام، وانتقل إلى الكوفة، واعتنق مذهب الشراة الأزارقة (ت حوالي ٧٢٣ م). من شعره الفروسي، قوله:

وإنّي لمقتاد جوادي وقاذف ... به وبنفسي العام إحدى المقاذف
لأكسب مالاً أو أؤول إلى غنىً ... من الله يكفيني عداة الخلائف
فيا ربّ إن حانت وفاتي فلا تكن ... على شرجع يعلى بخضر المطارف
ولكنّ قبري بطن نسرٍ مقيله ... بجوّ السماء في نسور عواكف
وأمسي شهيداً ثاوياً في عصابة ... يصابون في فجّ من الأرض خائف
فوارس من شيبان ألّف بينهم ... تقى اللّه نزّالون عند التراجف
إذا فارقوا دنياهم فارقوا الأذى ... وصاروا إلى ميعاد ما في المصاحف[2]

(إذا ما رآني...)

وإن من جيّد شعر الطرماح، ويدخل في الحماسة والفروسية، قوله فاخراً:

لقد زادني حبّاً لنفسيَ أنّني ... بغيض إلى كلّ امرىء غير طائل
وأنّي شقيّ باللئام ولا ترى ... شقيّاً بهم إلاّ كريم الشمائل

---

(١) الأغاني ٥/ ١٤٠ ـ ١٤١ .
واللهزم: صفة للسيف الباتر. والمثقف، ومطّرد الكعوب: صفتان للرمح. وأردف: أعين.
(٢) نفسه ١٠/ ١٥٢ .
والشرجع: النعش، والجنازة، والسرير. والفج من الأرض: ما اتسع منها بين جبلين. والمطارف: الثياب، مفردها المطرف. وهو الرداء.

إذا ما رآني قطّع الطرف بينه ... وبينيَ فعل العارف المتجاهل
ملأتُ عليه الأرض حتى كأنّها ... من الضيق في عينيه كِفّة حابل
أكلّ امرىء ألفى أباه مقصّراً ... معادٍ لأهل المكرمات الأوائل
إذا ذُكرتْ مسعاة والده اضطنى ... ولا يضطني من شتم أهل الفضائل
وما مُنعت دار ولا عزّ أهلها ... من الناس إلاّ بالقنا والقنابل[1]

❖ أبو الأبيض العبسي

(ألا ليت شعري...)

ومن الشعراء الفرسان، وأبطال الفتوح، أبو الأبيض العبسي، له في الفروسية والحماسة، قوله:

ألا ليت شعري هل يقولنْ فوارس ... وقد حان منهم يوم ذاك قفولُ
تركنا ولم تجنن من الطير لحمه ... أبا الأبيض العبسيّ وهو قتيل
وما لي مال غير درع ومغفر ... وأبيض من ماء الحديد صقيل
وأسمر خطّيّ القناة مثقّف ... وأجرد عريان السَّراة طويل[2]

❖ حبيب بن عمرو

(طرنا إليهم...)

ومنهم، أي من الشعراء الفرسان، حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف الثقفي، له قوله:

طرنا إليهم بكلّ سلهبةٍ ... وكلّ صافي الأديم كالذهبِ
وكلّ عضب في متنه أثر ... ومشرفيّ، كالملح، ذي شُطَب
لمّا التقينا مات الكلام ودار ... الموت دور الرحى على القطب[3]

❖ القطامي

(فأيّ رجال بادية ترانا)

ومن الشعراء الفرسان، في العصر الأموي، القطامي الكلبي، واسمه عمير بن

---

(١) الحماسة ١/ ٧٦ ـ ٧٧ .
والقنابل: جماعات الخيل، والواحدة قنبلة. والمسعاة: السعي. واضطنى: تعب وكلّ. وكفّة الحابل: الحفرة تنصب فيها الحبالة، فهي كالطوق. والحابل: صاحب الحبالة.
(٢) نفسه ١/ ١٥٩ .
والمغفر: الدرع. والأبيض: صفة للسيف. والأسمر: صفة للرمح، ومثله الخطيّ. والسراة: الظهر. والأجرد: صفة للفرس.
(٣) المؤتلف ٩٦ .
والمشرفيّ: صفة للسيف. ومثله ذو الشطب. والسلهبة: صفة للفرس السريع الطويل.

شيبم (ت ١٣٠ هـ/٧٤٨ م). من شعره الحماسي والفروسي، قوله:

ومن تكن الحضارة أعجبته ... فأيّ رجال بادية ترانا
ومن ربط الجحاش فإنّ فينا ... قناً سلباً، وأضراساً حسانا
وكنّ إذا أغرن على قبيل ... فأعوزهنّ كون حيث كانا
أغرن من الضباب على حلال ... وضنّة، إنه من حان حانا
وأحياناً على بكرٍ أخينا ... إذا ما لم نجد إلاّ سوانا[1]

❖ الفرزدق

(ومغبوقة...)

ومن شعر الفروسية والشجاعة، وخوض غمار الحرب، وشدّ الفرسان على الفرسان، والخيل على الخيل، شعر الفرزدق، فاخراً بقومه أيام ضبّة، ومنه قوله:

ومغبوقةٍ قبل القيان كأنّها ... جراد إذا أجلى على القزع الفجر
عوابس ما تنفكّ تحت بطونها ... سرابيل أبطال بنائقها حمر
تركن ابن ذي الجدّين يسبح مسنداً ... وليس له إلاّ الحفيرة والقبر
وهنّ على خدّي شتير بن خالد ... أثير عجاج من سنابكها كُدر
إذا لبست للبأس يغشى ظهورها ... أسود عليها البيض عادتها الهصر
يهزّون أرماحاً طوالاً متونها ... بهنّ الغنى يوم الكريهة والفقر[2]

وشتير بن خالد، والد عتبة الكلابي الذي غزا بني ضبّة فاستاق نعمهم، وقتل حصن بن الضرار الضبي زيد الفوارس، أسر شتير وكان شيخاً كبيراً أعور، فأتى به قومه زيد الفوارس فقال يا شتير اختر واحدة من ثلاث. قال اعرضها عليّ. قال إمّا أن تردّ ابني حصيناً. قال فإني لا أنشر الموتى. قال وإما أن تدفع إليّ ابنك عتبة اقتله به. قال لا ترضى بذلك بنو عامر أن يدفعوا فارسهم شاباً مقتبلاً بشيخ أعور هامة اليوم أو غد. قال وإما أن أقتلك. قال أما هذه، فنعم. قال فأمر ضرار ابنه أدهم أن يقتله، فلما قدمه ليضرب عنقه نادى شتير يا آل عامر صبراً بصبيّ كأنّه أنف أن يقتل بصبي. فقال شمعلة في ذلك:

وخيّرنا شتيراً من ثلاث ... وما كان الثلاث له خيارا

---

(١) الكامل ١/ ٣٠.
ويريد بالحضارة: الأمصار، والحيّ الحلال، والمتجاورون المقيمون.
(٢) العقد ٣/ ٦٧.
وشتير: هو أبو عتبة، بن خالد الملابي الذي غزا بني ضبة. أسر في ذلك اليوم، وكان شيخاً كبيراً أعور.

جعلت السيف بين الليث منه وبين قصاص لمّته عذارا[١]

❖ ليلى الأخيليّة

(أتته المنايا...)

ومن رائع شعر الفروسية، والبلاء في الحرب، ما قالته ليلى الأخيليّة، صاحبة توبة بن الحميّر (توفيت حوالي سنة ٧٠٤ م). قالت هذا الشعر لما أتاها خبر مقتل توبة، والشعر هو:

أتته المنايا دون زغف حصينة وأسمر خطّيّ وخوصاء ضامر
على كلّ جرداء السّراة وسابح لهنّ بشبّاك الحديد زوافر
عوابس تعدو التغلبيّة ضمّراً وهنّ شواح بالشكيم السواجر
فلا يبعدنك الله توبة إنّما لقاء المنايا دارعاً مثل حاسر
فتىً كان للمولى سناء ورفعة وللطارق الساري قرى غير ياسر
ولم يدع يوماً للحفاظ وللعدا وللحرب يرمي نارها بالشرائر
وقد كان طلاّع النجاد وبيّن اللسان ومدلاج السرى غير فاتر[٢]

(لا تقربنّ الدهر...)

ومن جيد شعر ليلى في الحماسة والبطولة والفروسية، شعرها في آل المطرّف الفرسان، وهو:

لا تقربن الدهر آل مطرّف إن ظالماً فيهم، وإن مظلوما
قوم رباط الخيل حول بيوتهم وأسنّة زرق يُخلن نجوما
وممزّق عنه القميص تخاله وسط البيوت من الحياء سقيما
حتى إذا رفع اللواء رأيته يوم الهياج على الخميس زعيما[٣]

❖ ابن الحشرج

(وليل...)

وفي محمد بن مروان، وشدّة بأسه، وبلائه في الحروب، وطعانه، وامتحانه في الشدة والضرّ، يقول عبدالله بن الحشرج، من هوازن، وكان سيّداً من سادات

---

(١) العقد ٣/ ٦٧ .
(٢) الأغاني ١٠/ ٧٢ .
والزغف: الطعن بالرمح. والخوصاء: صفة للناقة أو الفرس في عينها خوص، أي غؤور. والسابح: الفرس النهد السريع. والشكيم: جمع شكيمة، وهي الحديدة المعترضة في فم الفرس. وشواح: منكرة. والسواجر، والسواجير، جمع ساجور، وهو الخشبة، أو القيد يقيّد به الكلب، وسواه. والدارع: لابس الدروع، وخلافه الحاسر. والمدلاج: الشديد الإدلاج، وهو الضرب في البلاد ليلاً.
(٣) زهر الآداب ١/ ٢٠٥ . والخميس: الجيش.

قيس، وأميراً من أمرائها، ولي أكثر أعمال خراسان، وفارس، وكرمان:

ولـيـل دجـوجـيّ سـريـت ظـلامـه ... بـنـاجـيـة كـالـبـرق وجـنـاء عـيـهـل
إلـى مـلـك مـن آل مـروان مـاجـد ... كـريـم الـمـحـيّـا سـيّـد مـتـفـاضـل
أبـوه أبـو الـعـاص إذا الـخـيـل شـمّـرت ... فـراهـا بـمـسـنـون الـغـرارين مـنـجـل
وقـور إذا هـاجـت بـه الـحـرب مـرجـم ... صـبـور عـلـيـهـا غـيـر نـكـس مـهـلّـل
نـجـا مـن رمـاح الـقـوم قـدمـاً، وقـد بـدا ... تـبـاشـيـره فـي الـعـارض الـمـتـهـلّـل[1]

❖ ابن بيض

(إذا اوردوا علّوا الرماح وأنهلوا)

ومن رائع الشعر وجيّده، الشعر الذي قاله حمزة بن بيض الحنفي، الشاعر الكوفي الأموي الخليع، كان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة وولده، ثم إلى أبان بن الوليد، وبلال بن أبي بردة، قاله في آل المهلب، مصوّراً شجاعتهم وفروسيتهم وإقدامهم، وهو:

هـم يـصـطـلـون الـحـرب والـمـوت كـانـع ... بـسـمـر الـقـنـا والـمـشـرفـيّـة عُـسّـلُ
تـرى الـمـوت تـحـت الـخـافـقـات أمـامـهـم ... إذا وردوا عـلّـوا الـرمـاح وأنـهـلـوا[2]

❖ البحتري

(إذا ما التقوا...)

من أجود الشعر، وأجزله، وأدقّه في تصوير الطعان، والتحام الخيل بالخيل، والفرسان بالفرسان، الشعر الذي قاله أبو عبادة البحتري، أحد أشهر شعراء العصر العباسي (ت ٨٩٧ م)، قاله في القتال الذي نشب بين بني تغلب، في الجزيرة الشامية، وهو:

إذا مـا الـتـقـوا يـوم الـهـيـاج تـحـاجـزوا ... ولـلـمـوت فـيـمـا بـيـنـهـم قـسـمـة عـدلُ
كـفـيّ مـن الأحـيـاء لاقـى كـفّـيـه ... ومِـثـل مـن الأقـوام راجـعـه مـثـل
إذا مـا أخ هـرّ الـرمـاح انـتـهـى لـه ... أخ لا بـلـيـد فـي الـطـعـان، ولا وغـل
تـحـوطـهـم الـبـيـض الـرقـاق وضُـمّـر ... عـتـاق وأنـسـاب بـهـا يـدرك الـنـبـل
بـطـعـنٍ يـكـبّ الـدارعـيـن دراكـه ... وضرب كـمـا ترغو الـمـجـرّمـة الـبُـزل[3]

---

(١) زهر الآداب ١٠/ ١٤٧ .
والعارض: السيل الدافق. وشمّرت: اعتركت واستعدت للقتال. والنكس المهلل: الضعيف الجبان.
(٢) الأغاني ١٥/ ٢٤ .
والعل: الشرب ثانية. والنهل: الشرب أولاً. وكانع: جاثم. والعسّل: صفة للرماح. ومثلها المشرقيّة.
(٣) الديوان ٢/ ١٣٠ . ط القاهرة ١٣٥٥ هـ.
والكفي: الكفؤ والمثل. وهرّ: حرّك. والوغل: الجبان. والضمرّ: صفة للخيل، ومثلها العتاق. والبزل: الإبل.

(إذا افترقوا...)

وله من هذا القبيل، أيضاً، قوله:

إذا افترقوا من وقعة جمّعتهمُ ... دماء لأخرى، ما يطلّ نجيعها
تذمّ الفتاة الرّود شيمة بعلها ... إذا بات دون الثأر، وهو ضجيعها
حميّة شعب جاهليّ، وعزّة ... كلابيّة أعيا الرجالَ خضوعها
وفرسان هيجاء يجيش صدورهم ... بأحقادها حتى تضيق دروعها
تقتّل من وتر أغرّ بقوسها ... عليها بأيدي ما تكاد تطيعها
إذا احتربت يوماً فغاضت دماؤها ... تذكّرت القربى ففاضت دموعها
شواجر أرماح تقطّع بينها ... شواجر أرحام ملوم قطوعها[1]

❖ **منصور النمري**

(حرام عليها منه متن وكاهل)

وما أحسن هذين البيتين من الشعر يصوّر فيها منصور النمري، (ت حوالي ٨٠٥ م) إقدام ذلك الفارس يوم الحرب، وشجاعته، وهو على صهوة جواده، لا يبالي بالموت، أوقع عليه هو أم أنه هو وقع على الموت:

ترى الخيل يوم الحرب يظمأن تحته ... وتروى القنا في كفّه والمناصل
حلال لأطراف الأسنّة نحره ... حرام عليها منه متن وكاهل[2]

❖ **عمرو بن وراق**

(فلم أر كالهيذام...)

ومن الشعر الجيد في الفروسية والفرسان، شعر عمرو بن وراق، أحد شعراء الشام، كان زمن الرشيد، ومولى لعتبة بن يزيد، في الفتنة التي أشعل نارها أبو الهيذام المرّي، في الشام، والشعر هو:

فلم أر كالهيذام في الناس فارساً ... ولا كحزيم حلية في الخلائقِ
ولا كأخينا من قريش، رأيته ... بعيني، ولا مولىً رأيت كسابق
كأنّهم كانوا صقور دُجُنّة ... أتيحت على الخربان من رأس حالق[3]

❖ **يوسف بن العم**

---

(١) الديوان ١/ ١١٥ . ط القاهرة. ١٣٥٥ هـ .
ويطلّ: يؤخذ بثأرها. والنجيع: الدم: والرود من الفتيات: الشابة الحسناء. وغاضت: جفت.
(٢) زهر الآداب ٣/ ٢٣٤ .
(٣) معجم الشعراء ٢١٧ .
والدجنة: الظلمة. والحالق: رأس الجبل.

(سلي بي...)

ومن جيد ما قاله يوسف بن العم، كنيته أبو الحجاج، في الفروسية والنزال والطعان، وهو من الشعراء المغاربة المتأخرين، قوله فاخراً:

سلي بي إذا ما الخيل جالت فإنّني ... أكون لها صدراً أمام الطوالع
وأثني عناني ظافراً نحو بلدة ... إليّ بها تومي جميع الأصابعَ[1]

❖ **الشريف الرضي**

(ألا ليت شعري...)

من شعراء الفروسية، ووصف الخيل، والفرسان، وحديث الشجعان والطعان، السيد الشريف الرضي، أحد أبرز شعراء العصر العباسي، ونقيب الطالبيين في زمانه (ت ٤٠٦ هـ/ ١٠١٥ م) شعره يمتاز بالرّقة والجزالة وشدّة الأسر. يقول السيّد الشريف من شعر الفروسية والبطولة:

ألا ليت شعري هل تبلّغني المنى ... وتلقى بي الأعداء أحصنة جُردُ
يعيد عليها الطعن كلّ ابن همّة ... كأنّ دم الأعداء في فمه شهد
يضارب حتّى ما لصارمه قوىً ... ويطعن حتى ما لذابله جهد
إذا عربيّ لم يكن مثل سيفه ... مضاءً على الأعداء أنكره الجدّ[2]

(وأين الملاجي منهم والمغاوث)

وفي بني حمدان، أمراء حلب الشهباء، ومقارعتهم الروم البيزنطيين، وهم، أي بنو حمدان، من هم، في الشدّة والرخاء، والنعماء والبأساء، يقول الشريف مثنياً على بطولاتهم، ومقارعتهم الفرسان، إذا كلب الزمان:

وسربٍ بنو حمدان كانوا حماته ... رعت فيه ذؤبان الليالي العوائثُ
فأين كفاة القطر في كلّ أزمة ... وأين الملاجي منهمُ والمغاوث
وأين الجياد المعجلات إلى الوغى ... إذا غام بالنقع الملا المتواعث
إذا طرحوا عِمّاتهم وضحت لهم ... مفارق لم يعصب بها العار لائث
وما كنت أخشى الدهر إلاّ عليهمُ ... فهان الرزايا بعدهم والحوادث[3]

---

(١) الذخيرة ٣/ ٤٧ . ط دمشق.
(٢) ديوان الشريف ٢٥٩ .
والذابل: صفة للرمح.
(٣) ديوان الشريف ١٧٥ .
والعوائث: العابثة المتجولّة. والنقع: غبار الحرب. واللائث: من يلوث العمامة، أي يطويها.

(ركبوا رماحهمُ...)

ويقول فيهم أيضاً، مكبراً بطولاتهم وإزجاءهم الخيل الجياد، في الملمّات الكبار:

ركبوا رماحهمُ إلى أغراضهم ... أَمَم العلى وجرَوْا بغير عثار
واستنزلوا أرزاقهم لسيوفهم ... فغنوا بغير مذلّة وصغار
عقدوا لواءهُم ببيض أكفّهم ... كبراً على العُقّاد والأُمّار
واستفظعوا خِلع الملوك وأيقنوا ... أنّ اللباس ادّراع العاري
شرفاً بني حمدان إنّ نفوسكم ... من خير عرق ضارب ونجار
أنفت من الموت الذليل فأشعرت ... جلداً على وقع القنا الخطّار[1]

❖ **ابن عبد ربّه**

(وبيتك فوق صهوات الجياد)

ومن شعر الفروسية، والفرسان، وصولاتهم وجولاتهم في الحرب، يقول ابن عبد ربّه، أحمد، الأندلسي، صاحب «العقد الفريد» (ت ٩٤٠ م):

مقيلك تحت أظلال العوالي ... وبيتك فوق صهوات الجياد
تبختر في قميص من دلاص ... وترفل في رداء من نجاد
كأنّك للحروب رضيع ثدي ... غذتك بكلّ داهية وناد
فكم هذا التمنّي للمنايا ... وكم هذا التجلّد للجلاد
لئن عرف الجهاد بكلّ عام ... فإنّك طول دهرك في جهاد
رأينا السيف مرتدياً بسيف ... وعاينّا الجواد على الجواد[2]

(وجيشٍ...)

ومنه أيضاً، وقد أتى بتشبيه عجيب لم يتقدم عليه، ومعنى بديع لا نظير له:

وجيشٍ كظهر اليمّ تنفحه الصبا ... يعبّ عباباً من قنا وقنابلِ
فينزل أولاه، وليس بنازل ... ويرحل أخراه، وليس براحل
ومعتركٍ ضنك تعاطت كماته ... كؤوس دماء من كلىً ومفاصل
يديرونها راحاً من الراح بينهم ... ببيضٍ رقاق، أو بسمر ذوابل

---

(١) الديوان ٣٨٠ .
والنجار: الأرومة والأصل.
(٢) العقد ١/ ٣٥ .
والعوالي: الرماح. وصهوة الجواد: متنه الذي يركب عليه الفارس. والدلاص: الدرع. ونجاد السيف: حمائله.

وتسمعهم أمّ المنيّة وسطها غناء صليل البيض تحت المناصل[١]

(كم ألحم السيف...)

وله أيضاً، في وصف العراك، والتحام الفرسان، وازورار الخيل، قوله:

كم ألحم السيف في أبناء ملحمة ما منهم فوق متن الأرض ديّار
وأورد النار من أرواح مارقة كادت تميّز من غيظ لها النار
كأنّما صال في ثنييْ مفاضته مستأسد حنق الأحشاء هدّار
قاد الجياد إلى الأعداء سارية قنا طواها كطيّ العصْب إضمار
ملمومة تتبارى في ململمة كأنّها لاعتدال الخلق أمهار
تزورّ عند احمساس الطعن أعينها وهنّ من فرجات النقع نُظّار
تغوث بالطعن أقواماً وتدركه من آخرين إذا لم يدرك الثار
كتائب تتمارى حول رايته وجحفل كسواد الليل جرّار
في قسطل من عجاج الحرب مُدّله بين السماء وبين الأرض أستار[٢]

❖ **ناهض بن ثومة**

(وليس لنا إلاّ الرديني من حزب)

من فرسان العرب البداة أيام الدولة العباسية، ناهض بن ثومة... بن صعصعة... شاعر بدوي فصيح، كان يقيم في البصرة وجوارها، ويتردد على بغداد.. له من شعر الفروسية والبطولة، والاعتداد بالنفس، وبالقبيلة، وقومه من بني كلاب، قوله فاخراً:

لنا وقعات في نمير تتابعت بضيم على ضيم، ونكب على نكب
رؤوس وأوصال يزايل بينها سباعٌ تدلّت من أبانين والهضب
وقد علمت قيس بن عيلان كلّها وللحرب أنباء بأنّا بنو الحرب
ألم ترهم طرّاً علينا تحزّبوا وليس لنا إلاّ الرديني من حزب
وإنّا لنقتاد الجياد على الوجى لأعدائنا من لا مدان ولا صقب
ففي أيّ فجّ ما ركزنا رماحنا مخوف بنصب للعدا حين لا يصب[٣]

---

(١) العقد ١/ ٣٥ . والضنك: العسير الصعب المهول. والكماة: الفرسان. والكلى: القرب. والراح: الخمرة. والرقاق: صفة للسيوف. والسمر: صفة للرماح، ومثلها الذوابل. والبيض: الدرق للرأس. والمنصل: الحدّ.

(٢) العقد ١/ ٣٥ .

والديّار: ساكن الديار. وتميّز: تتلظّى. والمفاضة: صفة للدرع. والعصب: ضرب من الثياب يلف بها الرأس. والنقع: غبار الحرب. والجحفل: الجيش اللجب. والقسطل: الغبار.

(٣) الأغاني ١٢/ ٣٧ .

والردیني: صفة للرمح المنسوب إلى ردينة. والوجى: الحفاء. والفجّ: المتسع من الأرض بين جبلين.

(سلوا عنّا...)

ومن شعره الآخر في الفروسية، ووصف الخيل والطعان، وهو لا يقلّ روعة عن الشعر السابق، قوله مجيباً عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير، وكانت مناقضات بين الشاعرين:

سلوا عنّا نميراً هل وقعنا ... بنزوتها التي كانت تهاب
ألم تخضع لهم أسد ودانت ... لهم سعد وضبّة والرباب
ونحن نكرّها شعثاً عليها ... عليها الشّيب منّا والشباب
رغبنا عن دماء بني قريع ... إلى القلعين إنّهما اللباب
صبحناهم بأرعن مكفهرّ ... يدفّ كأنّ رايته العقاب
أجشّ من الصواهل ذي دويّ ... تلوح البيض فيه والحراب
صبحناهم بها شعث النواصي ... ولم يفتق من الصبح الحجاب[1]

❖ **أبو محلّم**

(وفيه سنان ذو غرارين يابس)

ومن الشعراء الفرسان، أبو محلّم السعدي. يدلّ عليه قوله:

تقول وصكّت صدرها بيمينها ... أبعلي هذا بالرحى المتقاعس
فقلت لها لا تعجبي وتبيّني ... بلائي إذا التفّت عليّ الفوارس
ألست أردّ القِرن يركب ردعه ... وفيه سنان ذو غرارين، يابس
إذا هاب أقوام تجشّمت هول ما ... يهاب حميّاه الألدّ المداعس
لعمر أبيك الخير، إنّي لخادم ... لضيفي، وإنّي إن ركبت، لفارس[2]

❖ **عبدالله بن عيينة**

(ألم تعلم...)

ومن جيد شعر الحماسة والفخر والفروسية، الشعر الذي قاله عبدالله بن محمد ابن أبي عيينه، في آل المهلّب الذين أبلوا بلاء حسناً في قتال الشراة من الخوارج، يقول عبدالله:

---

(١) الأغاني ١٢/ ٣٨.
وشعث النواصي: متفرقة شعر الرقاب والرأس. ويفتق: ينفتح. ويدفّ: يحرّك. والعقاب: الجبل. والأرعن: صفة للفرس.

(٢) الكامل ١/ ٢٣.
والمتقاعس: الذي يخرج صدره، ويدخل ظهره. وهنا، بمعنى المتلكىء القعود. والمداعس: الجسور المقدام. والغراران: مثنّى غرار، وهو الحدّ، حدّ السيف وغيره.

ألم تعلم بأنّ القتل وِرد ... لنا، كالماء حين صفا وطابا
وقلت لها قِري وثقي بقولي ... كأنّكِ قد قرأتِ به كتابا
فقد جاء الكتاب به فقولي ... ألا لا تعدم الرأي الصوابا
جلبنا الخيل من بغداد شُعثاً ... عوابس تحمل الأسْد الغضابا
بكلّ فتىً أغرَّ مهلّبيّ ... تخال بضوء صورته شهابا
ومن قحطان كلّ أخي حفاظٍ ... إذا يُدعى لنائبةٍ أجابا
فما بلغت قرى كرمانِ حتّى ... تخدّد لحمها عنها، فذابا
وكان لهنّ في كرمانَ يوم ... أمرّ على الشراة بها الشرابا[1]

❖ ابن طاهر

(يقبض أرواحاً بأرواح)

ومن الشعر الذي يمتدح فيه صاحبه البطولة، والإقدام، وركوب الخيل، وطعن الفرسان، قول محمد بن عبدالله بن طاهر، صاحب خراسان، وهو:

لست لريحان، ولا لراح ... ولا على الجار بنفّاح
فإن أردت الآن لي موقفاً ... فبين أسياف وأرماح
ترى فتىً تحت ظلال القنا ... يقبض أرواحاً بأرواح[2]

❖ أبو دُلف

(إنّي فتىً...)

ومثله أيضاً، قول أبي دلف العجلي:

سيفي بليلي جليسي ... وفي نهاري أنيسي
إنّي فتىً عوّدتني ... مهري ركوب القيسي
يحمد سيفي كما قد ... يحمد كرّي فريسي[3]

❖ خارجيّ

(وسائلةٍ...)

ومن أجمل الشعر في الفروسية، والكرّ بالخيل على الأقران، والطعان، قول ذلك الخارجي، وهو ما أدهش المهلب بن أبي صفرة، وأعجبه، وكان هذا الخارجي يخرج إليهم كلّ غداة، ويقول:

---

(١) الكامل ١/ ٢٥٨ .
والورد: المشرب. وشعثاً: غُبراً. والنائبة: النازلة. وكرمان: من بلاد فارس.
(٢) العقد ١/ ٣٢ .
(٣) نفسه ١/ ٣٢ .

وسائلة بالغيب عنّي ولو درت ... مقارعتي الأبطال طال نحيبها
إذا ما التقينا كنت أوّل فارس ... يجود بنفس أثقلتها ذنوبها[1]

❖ المتنبّي

(بناها فأعلى...)

أبو الطيب المتنبي (ت ٣٥٤ هـ) شاعر البطولة والفروسية والنخوة العربية، والشاعر الذي كان له من عزّة النفس، والسموّ والرفعة والترفع عن الدنايا، ما لم يكن لغيره على الإطلاق. لقد شارك الأمير علي بن حمدان، المعروف بسيف الدولة، في العديد من غزواته ضد الروم البيزنطيين، فكان اللسان الناطق المعبّر عن تلك الحروب، يصف أهوالها، وفرسانها، والتحام أبطالها، وإن من هذا الشعر الفروسي، ذي الصبغة الأسطورية الملحمية، قول أبي الطيب، من وحي معركة الحدث الحمراء، وهي القلعة التي بناها سيف الدولة بعد أن انتزعها من الأعداء، جاعلاً أساسها الجماجم والدماء، يقول:

هل الحدث الحمراء تعرف لونها ... وتعلم أيّ الساقيينْ الغمائمُ
سقتها الغمام الغرُّ قبل نزوله ... فلمّا دنا منها سقتها الجماجم
بناها فأعلى والقنا يقرع القنا ... وموج المنايا حولها متلاطم
وكان بها مثل الجنون فأصبحت ... ومن جثث القتلى عليها تمائم
طريدة دهر ساقها فرددتها ... على الدين بالخطّيّ والدهر راغم
تفيت الليالي كلّ شيء أخذته ... وهنّ لما يأخذن منك غوارم
وكيف ترجّي الروم والروس هدمها ... وذا الطعن آساسٌ لها ودعائم
أتوْك يجرّون الحديد كأنّما ... سَرَوْا، بخيولٍ ما لهنّ قوائم
إذا برقوا لم تعرف البيض منهمُ ... ثيابهم ومن مثلها والعمائم
خميس بشرق الأرض والغرب زحفه ... وفي أُذُن الجوزاء منه زمازم
تجمّع فيه كلّ لِسْنٍ وأمّةٍ ... فما تُفهم الحُدّاثَ إلاّ التراجم
فللّه وقت ذوّب الغشّ ناره ... فلم يبق إلاّ صارم أو ضبارم
تقطّع ما لا يقطع البيض والقنا ... وفرّ من الفرسان من لا يصارم[2]

---

(١) العقد ١/ ٣٢ .
والمقارعة: المضاربة.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي ٣٠٧ ـ ٣٠٨ . دار الزهراء، بيروت ١٩٧٨ .
والخميس: الجيش المقسّم إلى خمس فرق. والجوزاء: أعلى السماء. وزمازم: أصوات مبهمة. وتفيت: تترك. والتمائم: جمع تميمة، وهي الحرز يعلّق على الصبيّ وغيره حفظاً له من مسّ الشيطان وغيره. والخطي: الرماح المنسوبة إلى بلاد الخط بالبحرين.

(ما زلت تضربهم...)

ومن الشعر الفائق الروعة في وصف الفروسية والفرسان، وفي وصف مقارعة الشجعان والأقران، وكرّ الخيل على الخيل، وشدّة الطعان والزحام والقتال، يقول أبو الطيب في سيف الدولة لما افتتح آمد ببلاد الروم، وأعادها إلى حظيرة الإسلام:

تخِذوا المجالسَ في البيوت، وعنده ... أنّ السروج مجالسُ الفتيانِ
وتوهّموا اللعبَ الوغى، والطعن في ... الهيجاء غير الطعن في الميدان
قاد الجياد إلى الطعان ولم يقد ... إلاّ إلى العادات والأوطان
في جحفل ستر العيونَ غبارُه ... فكأنّما يبصرن بالآذان
يرمي بها البلد البعيد مظفّر ... كلّ البعيد له قريب دانِ
خضعت لمُنصُلِكَ المناصل عنوةً ... وأذلّ دينُك سائر الأديان
والطرْق ضيّقة المسالك بالقنا ... والكفر مجتمع على الإيمان
نظروا إلى زُبر الحديد كأنّما ... يصعدن بين مناكب العقيان
وفوارس يُحيي الحِمام نفوسَها ... فكأنّها ليست من الحيوان
ما زلت تضربهم دراكاً في الذرى ... ضرباً كأن السيف فيه اثنان
خصّ الجماجم والوجوه كأنّما ... جاءت إليكَ جسومُهم بأمان
يغشاهم مطر السحاب مفضّلاً ... بمهنّد ومثقّف وسنان
ومهذّب أمر المنايا فوقهم ... فأطعنه في طاعة الرحمان
قد سوّدت شجر الجبال شعورهم ... فكأنّ فيه مُسِقّةَ الغربان
وجرى على الورق النجيع القاني ... فكأنّه النارنج في الأغصان
إنّ السيوف مع الذين قلوبهم ... كقلوبهنّ، إذا التقى الجمعان
تلقى الحسام على جراءة حدّه ... مثل الجبان بكفّ كلّ جبان[1]

❖ **أبو العلاء**

(كأنّ المنايا...)

من جيد ما وصف به أبو العلاء المعري، أحد أبرز شعراء العصر العباسي، صاحب «اللزوميات» و«سقط الزند» (ت ٤٤٩ هـ)، من جيّد ما وصف به أحد الفرسان، في شجاعته وإقدامه، وعلوّ همّته، قوله:

تظلّ المنايا في سيوفك شُرّعاً ... إذا النقع من تحت السنابك ثارا

---

(١) الديوان ٣٣٥ ـ ٣٣٦ .

والنجيع: الدم. والنارنج: ثمر يشبه البرتقال. والمهند: صفة للسيف. والمثقف: صفة للرمح. والهيجاء: الحرب. ومثلها الوغى.

كأنّ تراب الأرض لم يرض عزّها ... فأصعد يبغي في السماء جوارا
بكلّ كميت ما رعت خبطَ الحمى ... ولا شربت رِسْل اللقاح سمارا
إذا ما علاها فارس ظنّ أنّه ... تبوّأ ما بين النجوم قرارا
ولم أر خيلاً مثلها عربيّة ... تذيل عدوّا أو تصون ذمارا
أشدّ على من حاربته تسلّطاً ... وأبعد منها في البلاد مَغارا
يغول سباعَ الطير ضنك غبارها ... فيسقط موتى أعقباً ونسارا
ويجثم فيه السّيدُ رعباً فكلّما ... أضاءت لعينيه القواضب سارا
هداه إلى ما شاء كلّ مهنّد ... يكون لأسباب الحتوفِ نجارا
كأنّ المنايا جيش ذرّ عرمرم ... تخذن إلى الأرواح فيه مسارا[1]

(وليس على غير الرؤوس مجال)

ومن شعره في تصوير الفرسان، والصبر على القتال والطعان، قول أبي العلاء:

فوارس قوّالون للخيل أقدِمي ... وليس على غير الرؤوس مجالُ
لهم أسف يزداد إثر الذي مضى ... من الدهر سلماً ليس فيه قتال
بأيديهم السُّمر العوالي كأنّما ... يُشبّ على أطرافهنّ ذُبال
ومأكولة الأغماد مرهفة الظُّبى ... براها قراع دائم وصقال
حكت رونق البيض الحسان وفعلها ... وليس لها إلاّ الغمود حجال
ففي كلّ يوم غارة مشمعلّة ... وفي كلّ عام غزوة ونزال
وفي الخيل عن ماء المخاضة عفّة ... وهنّ إلى ماء النفوس نِهال
يردن دماء الروم وهي غريضة ... ويتركن وردَ الماء وهو زلال
تجاوزه بالوثب كلّ طِمِرّةٍ ... تمازج في فيها دمٌ ورُؤال[2]

❖ **بشّار**

(وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه)

ومن الشعر البطولي الملحمي الحماسي، ذي النزعة الفروسية المحبّبة، على ما فيها من غلوّ وإغراق في التصوير والخيال، شعر بشار بن برد، الأعمى، المنتسب إلى قيس عيلان، على أنه مولى من أصل فارسي، وقد مدح الشاعر القبيلة التي محضته ولاءها، أيّما مدح، وفيها يقول:

---

(١) ديوان سقط الزند ٦٩ . دار مكتبة الحياة. بيروت ١٩٦٥ .
والسيد: الأسد أو الذئب، والنجار: الأصل. والحتوف: المنايا. وعرمرم: كثير العدد. والمهند: السيف المنسوب إلى بلاد الهند. وتذيل: تقهر. والكميت: صفة للمهر أو الفرس فيه كمتة، وهي السواد إلى الحمرة.
(٢) ديوان سقط الزند ١٢٥ .
وغريضة: طريّة. والطمّرة: الفرس الجواد الخفيف القوائم. والرؤال: اللعاب. ونهال: أعطاش. ومشمعلة: سريعة.

وسام لمروان ومن دونه الشجا ... وهول كلُجّ البحر جاشت غواربُهْ
أحلّت به أمّ المنايا بناتها ... بأسيافنا إنّا ردى من نحاربه
وما زال منّا ممسك بمدينة ... يراقب، أو ثغرٍ تُخاف مرازبه
إذا الملك الجبّار صعّر خدّه ... مشينا إليه بالسيوف نعاتبه
وكنّا إذا دبّ العدوّ لسخطنا ... وراقبنا في ظاهر لا نراقبه
ركبنا له جهراً بكلّ مثقّف ... وأبيض تستسقي الدماء مضاربه
وجيش كجنح الليل يرجف بالحصى ... وبالشّول والخطّيّ حمرٍ ثعالبه
غدونا له والشمس في خدر أمّها ... تطالعنا والطلّ لم يجر ذائبه
بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه ... وتدرك من نجّى الغرار مثالبه
كأنّ مثار النقع فوق رؤوسهم ... وأسيافنا، ليل تهاوى كواكبه[1]

❖ **أبو فراس**

(وأعددت للهيجاء كلّ مجالد)

من ألمع الشعراء الفرسان، في الدولة العباسية، الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان التغلبي، يكنى بأبي فراس الحمداني، شاعر فذّ، وفارس غطريف، وشجاع له في الحرب، حرب العرب ضدّ الروم، جولات وصولات، كانت وفاته سنة ٣٥٧ هـ/ ٩٦٧ م. له من شعر البطولة والشجاعة والفروسية، قوله:

لعمرك ما طرق المعالي خفيّة ... ولكنّ بعض السير ليس بقاصد
إذا شئت جاهرت العدوّ ولم أبتْ ... أقلّب فكري في وجوه المكائد
صبرت على اللأواء صبر ابن حرّة ... كثير العدى فيها، قليل المساعد
فطاردت حتى أبهر الجري أشقري ... وضاربت حتى أوهن الضرب ساعدي
جمعت سيوف الهند من كلّ بلدة ... وأعددت للهيجاء كلّ مجالد
وأكثرت للغارات بيني وبينهم ... بنات البكيريّات حول المزاود
منعت حمى قومي وسدت عشيرتي ... وقلّدت أهلي غُرّ هذي القلائد[2]

(وإنّي لجزّار...)

وإنّ من شعره البطولي، هذا، في الفروسية والجلاد، قوله أيضاً فاخراً:

---

(١) ديوان بشار. ١٣٥ . ط القاهرة.
والثعالب: جمع ثعلب، وهو طرف الرمح في السنان. والمرازب: جمع مرزبان، سيد القوم، بالفارسية. والثغر: الموضع المتقدم الذي يدافع عنه. وصعّر خدّه: تكبّر. وشمخ بأنفه. وغواربه: أمواجه.
(٢) ديوان أبي فراس الحمداني ٦١ ـ ٦٢ . دار الفكر العربي. بيروت ١٩٩٤ .
والبكيريات: صفة للخيول. والمزاود. جمع مزود، وهو وعاء الزواد. وأبهر: أنقب. وأشقري: مهري الأشقر. واللأواء: ضنك العيش. والهيجاء: الحرب.

وإنّي لجرّار لكلّ كتيبةٍ ... معوّدة أن لا يخلّ بها النصرُ
وإنّي لنزّال بكلّ مخوفة ... كثير إلى نزّالها النظر الشزر
فأظمأ حتى ترتوي البيض والقنا ... وأسغب حتى يشبع الذئب والنسر
ولا أصبح الحيّ الخلوف بغارة ... ولا الجيش ما لم تأته قبلي النُّذر
ويا ربّ دارٍ لم تُخفني، منيعة ... طلعت عليها بالردى، أنا والفجر
وحيّ رددت الخيل حتى ملكته ... هزيماً وردّتني البراقع والخُمر
هو الموت فاختر ما علا لك ذكره ... فلم يُمت الإنسان ما حيي الذكر
سيذكرني قومي إذا جدّ جدّهم ... وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر[1]

(وقد ثقّفت للهيجاء رمحي)

ومن شعر أبي فراس البطولي، وفيه حديث الفروسية والشجاعة والبلاء في الحروب، واصطباره عليها، قوله:

وأعددت الكتائب معلماتٍ ... تنادي كلّ آنٍ بي: سُعارا
وقد ثقّفت للهيجاء رمحي ... وأضمرت المهاري والمهارا
وكان إذا دعانا الأمر حفَّت ... بنا الفتيان تبتدر ابتدارا
بخيل لا تعاند من عليها ... وقوم لا يرون الموت عارا
ستذكرني إذا طردت، رجال ... دققت الرمح بينهم مرارا
وأرض كنت أملأها خيولاً ... وجوٌّ كنت أرهجه غبارا
فأشفي من طعان الخيل صدراً ... وأدرك من صروف الدهر ثارا[2]

❖ **ابن نباتة**

(خرقنا بأطراف القنا...)

ومن شعر الفروسية، قول ابن نباتة السعدي، وهو:

خرقنا بأطراف القنا لظهورهم ... عيوناً لها وقع السيوف حواجبُ
لقوا نبلنا مُرد العوارض، وانثنَوْا ... لأوجههم منها لِحىً وشوارب[3]

---

(١) ديوان أبي فراس الحمداني ٧٠ ـ ٧١ .
والشزر: المائل غضباً. والخلوف: الخالي من الرجال. والخمر، جمع خمار، وهو غطاء الرأس. والبرقع: غطاء الوجه.
(٢) الديوان ١٠٢ ـ ١٠٣ .
وسعاراً: تسعيراً لنار الحرب وإضراماً. والهيجاء: الحرب. وأرهجه: أثيره. والعثار: الزلل. وغراراً: مثيلاً. والرهج: غبار الحرب.
(٣) الكشكول، لبهاء الدين العاملي ٢/ ٣٠٥ . الشركة العالمية للكتاب. بيروت.

❖ أبو بكر الرصافي

(لو كنتِ شاهدةً...)

ومنه، هذا الشعر لأبي بكر الرصافي، وهو:

لو كنتِ شاهدة وقد غشي الوغى ... يختال في درع الحديد المسبل
لرأيت منه والقضيب بكفّه ... بحراً يُريق دم الكماة بجدول[1]

(١) نفسه ٢/٣٣٨ . والكماة: الفرسان.

أروع ما قيل في الشجاعة

القسم الأول

في الجاهلية وعصر صدر الإسلام

❖ **الحارث بن ذهل**

(... فلست من شيبان)

من أشجع الفرسان، في الجاهلية، الحارث بن ذهل الشيباني، وقيل هو الحارث ابن سعد، وكان يكنى بفارس الشهباء. له مع عمرو بن معد يكرب، جولات وصولات، وهو الذي قال لعمرو، ذات يوم، في البراز، من الرجز:

وكدت أغلاظاً من الإيمانِ ... إن عدت يا عمرو إلى الطعانِ
لتوجرنّ لهب السنانِ ... أو لا فلست من بني شيبان

ولكم هاب الفرسان الحارث، وخافوه حتى إذا خرج أحدهم، خرج الحارث إليه يجرّ رمحه، ثم حمل عليه، وهو يرتجز قائلاً:

من دون ما ترجوه خضب الذابلِ ... من فارسٍ مستلئم مقاتلِ
يُنمى إلى شيبان خير وائلِ ... ما كان سيري نحوها بباطل

ثم شدّ عليه فطعنه طعنة دقّت صلبه. فلما خرج آخر إليه، وكان أخاً للأول، حمل عليه الحارث وهو يرتجز قائلاً:

لقد رأيت كيف كانت طعنتي ... والطعن للقِرن الشديد همّتي
والموت خير من فراق خلّتي ... فقتلتي اليوم ولا مذلّتي

ثم شد عليه فطعنه طعنة دقت عنقه.

ولما خرج عليه أبو الفارسين، وكان شيخاً كبيراً، ويقول من الرجز:

ما أرتجي بعد فناء عمري ... سأجعل السنين مثل الشهر
شيخ يحامي دون بيض الخدر ... إن استباح البيض قصم الظهر
سوف ترى كيف يكون صبري

فأقبل الحارث عليه، وهو يرتجز قائلاً:

بعد ارتحالي وطويل سفري ... وقد ظفرت وشفيت صدري
والموت خير من لباس الغدر ... والعار أهديه لحيّ بكر

فلما أهوى الحارث بالسيف على الشيخ، ضرب هذا، بطن الحارث فقدّت أمعاءه، وضرب الحارث رأس الشيخ ففلقته، وسقط الفارسان ميّتينْ[1]

❖ **النابغة**

(وهم منعوا وادي القرى من عدوّهم)

عرف بنو حنّ. وهو قوم من بني عذرة، بالشجاعة والقدرة على الجلاد، ومقارنة

---

(١) الفروسية العربية، لسعيد عسيلي ٩٥ ـ ٩٨ . دار الزهراء. بيروت ١٩٩٣ .

الفرسان، والصبر على البلاء، والثبات عند الزحام، والإصابة في الطعان، والتفنن في القتال. وفي هذا يقول النابغة الذبياني، أحد أشهر شعراء الجاهلية، مصوّراً شجاعة بني حنّ، محذّراً النعمان بن المنذر من لقاء هؤلاء القوم الشجعان:

لقد قلت للنعمان يوم لقيته ... يريد بني حنٍ ببرقة صادرِ
تجنّب بني حنّ فإنّ لقاءهم ... كريه وإن لم تلق إلاّ بصابر
عظام اللُّهى، أولاد عذرةَ، إنّهم ... لهاميم، يستلهونها بالحناجر
وهم منعوا وادي القرى من عدوّهم ... بجمع مبيرٍ للعدوّ المكاثر
من الواردات الماء بالقاع تستقي ... بأعجازها قبل استقاء الحناجر
هم طردوا عنها بليّاً فأصبحت ... بليٌّ بوادٍ، من تهامة، غائر
وهم منعوها من قضاعة كلّها ... ومن مضرَ الحمراء عند التغاور
وهم قتلوا الطائيّ بالحجر عنوةً ... أبا جابر، واستنكحوا أمّ جابر[1]

(عند الطعان أولو بأسٍ وإنعام)

ومن الأقوام الشجعان، بنو أسد، أحلاف بني ذبيان، وفي تصوير شجاعتهم، وبلائهم في الحروب، وإقدامهم على خوض غمرات الموت، يقول النابغة محذّراً زرعة ابن عمرو العامريّ:

قالت بنو عامرٍ خالوا بني أسدٍ ... يا بؤس للجهل ضرّاراً لأقوام
إنّي لأخشى أن يكون لكم ... من أجل بغضائهم يوم كأيّام
تبدو كواكبه والشمس طالعة ... لا النور نور، ولا الإظلام إظلام
أو تزجروا مكفهرّاً لا كفاء له ... كالليل يخلط أحراماً باحرام
مستحقبي حَلَق الماذيّ يقدمهم ... شُمُّم العرانين، ضرّابون للهام
لهم لواء بكفّي ماجد بطلٍ ... لا يقطع الخرق إلاّ طرفه سام
يهدي كتائب خضراً ليس يعصمها ... الاّ ابتدار الى موت بإلجام
والخيل تعلم أنّا في تجاولها ... عند الطعان أولو بؤسى وإنعام[2]

---

(١) ديوان النابغة ١١١ ـ ١١٢ . دار صادر بيروت. ١٩٨٠ .

والحجر: مدينة باليمامة. والتغاور: شنّ الغارات. وبليّ: من بني القين بن حمير. وغائر: مطمئنّ. والمكاثر: الذي أنزل إلى المعركة عدداً كثيراً من المقاتلين. واللهى: جمع لهوة، وهي الحفنة من الحبّ توضع في فم الرحى. وهنا كناية عن جمع المال. ولهاميم: جمع لهموم، وهو العظيم الكبير. ويستلهونها: يبتلعونها. وبرقة صادر. ووادي القرى، اسما موضعين، بعينهما.

(٢) نفسه ١٨٥ ـ ١٨٦ .

والتجاول: الجولان في المعركة. والبؤسى: البلاء. والخرق: البطل الشديد المراس. ومستحقبون: حاملوا الدروع في الحقائب. والماذي: الدروع البيض المصقولة، جمع مذية.

❖ طرفة

(وإن أُدع للجلّى أكن من حماتها)

من جيّد الشعر في تصوير النجدة والإقدام والشجاعة، والسرعة في اقتحام الأهوال دونما هوادة أو ضعف أو إحجام، ما قاله طرفة بن العبد، أحد أبرز شعراء العصر الجاهلي، وصاحب واحدة من أجمل المعلقات، والشعر مأخوذ منها، وهو:

إذا القوم قالوا من فتىً، خلت أنّني ... عُنيت فلم أكسل ولم أتبلّدِ
أحلت عليها بالقطيع فأجذمت ... وقد خبّ آل الأمعز المتوقّد
ولست بحلاّل التلاع مخافة ... ولكن متى يسترفد القوم أرفد
ألا أيّها اللائمي أحضر الوغى ... وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي
فإن كنت لا تطيع دفع منيّتي ... فدعني أبادرها بما ملكت يدي
وإن أُدع للجلّى أكنْ من حماتها ... وإن يأتك الأعداء بالجهد أجهد
أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه ... خشاش كرأس الحيّة المتوقّد
فآليت لا ينفكّ كشحي بطانة ... لعضبٍ رقيق الشفرتين مهنّد
حسام إذا ما قمت منتصراً به ... كفى العود منه البدء، ليس بمعضد
أخي ثقة لا ينثني عن ضريبة ... إذا قيل مهلاً قال حاجزه قد
إذا ابتدر القوم السلاح وجدتني ... منيعاً إذا بلّت بقائمه يدي
فلو كنت وغلاً في الرجال لضرّني ... عداوة ذي الأصحاب والمتوحّد
ولكنْ نفى عنّي الرجال جراءتي ... عليهم وإقدامي وصدقي ومحتدي
ويوم حبست النفس عند عراكه ... حفاظاً على عوراته والتهدّد
على موطن يخشى الفتى عنده الردى ... متى تعترك فيه الفرائص ترعد[1]

❖ شيطان بن مدلج

(وكنت لها دون الرماح دريئة)

ومن شعر الشجاعة، والفرط في تعريض النفس للهلاك، دونما خشية أو خوف، ما قاله شيطان بن مدلج الجشمي، في فرسه المسمّاة حميرة، وكان من الفرسان، والشعر هو:

فلا خير أن عرّضتها ووقفتها ... لوقع القنا كيما يضرّجها الدمُ

---

(١) ديوان طرفة ٢٤ ـ ٢٩ . دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٧ .
والفرائص: مفردها فريصة، وهي اللحمة في أعلى الكتف أو الفخذ.
والمحتد: الأصل. والوغل: الضعيف. والضريبة: ما يضرب بالسيف. وقدي: حسبي. والكشح: الخصر والجانب. والعضب: السيف القاطع. والمهنّد: صفة للسيف المصنوع في الهند. والجلّى: المصيبة والنازلة، والحرب. والأمعز: المكان الكثير الحصى. والمتوقد: الملتهب الساطع عليه نور الشمس.

وعرّضتها في صدر أظمى يزينه ... سنان كنبراس التهاميّ لهذم
وكنت لها دون الرماح دريئة ... فتنجو وضاحي جلدها ليس يكلم[١]

❖ ابراهيم بن كنيف

(فما لُيّنت منّا قناة صليبة)

ومن أروع الشعر في ثبات العزيمة، ومضيّها، وفي القوة والشجاعة واحتمال الشدائد، والصبر على المكاره، وهو شعر لا يخلو من حكمة ومثل، ما قاله إبراهيم بن كنيف النبهاني، وهو:

تعزَّ فإنّ الصبر بالحرّ أجملُ ... وليس على ريب الزمان معوّلُ
فلو كان يُغني أن يُرى المرء جازعاً ... لحادثةٍ أو كان يُغني التذلّل
لكان التعزّي عند كلّ مصيبة ... ونائبة بالحرّ أولى وأجمل
فإن تكن الأيّام فينا تبدّلت ... بُبؤسى ونُعمى، والحوادث تفعل
فما ليّنت منّا قناة صليبة ... ولا ذلّلتنا للتي ليس تجمل
ولكن رحلناها نفوساً كريمة ... تحمّل ما لا يُستطاع فتحمل
وقينا بحسن الصبر منّا نفوسنا ... فصمّت لنا الأعراض والناس هُزّل[٢]

❖ حيّان بن ربيعة

(لقد علم القبائل...)

ومن الذين فخروا بقومهم، شجاعتهم وبلائهم في الحروب، حيّان بن ربيعة الطائي، أحد قدامى الجاهلية، يقول حيان:

لقد علم القبائل أنّ قومي ... ذوو جِدّ إذا لُبس الحديدُ
وأنّا نِعم أحلاس القوافي ... إذا استعر التنافر والنشيد
وأنّا نضرب الملحاء حتى ... تُولّي والسيوف لنا شهود[٣]

❖ أبو كبير

(يحمي الصعاب إذا تكون كريهة)

ومنهم أيضاً، أبو كبير الهزلي، واسمه عامر بن حليس الذي أدرك الإسلام،

---

(١) مجمع الأمثال، للميداني ١ـ ٣٨١ . مطبعة السنة المحمدية القاهرة ١٩٥٥ .
واللهذم: الحادّ القاطع من السيوف أو الأنياب. ودريئة: ترساً.
(٢) أبو تمام: الحماسة ١/ ٨٨ ـ ٨٩ ط ١ . دار القم. بيروت.
والبؤسى: اسم للبؤس، والحاجة والاختلاف. بخلاف النعمى.
(٣) نفسه ١/ ١٠٣ .
والملحاء: الكتيبة العظيمة من الجيش. وأحلاس: ملازمون.

فأسلم، وله من شعر البطولة والشجاعة والثبات والإقدام في وصف تأبط شرّاً، وكان أبو كبير قد تزوج بأمّه، فرآه يكثر الدخول عليها، فارتاب للأمر، فأمره بالغزو، فقتل اثنين من لصوص العرب، يقول أبو كبير:

ولقد سريت على الظلام بمغشم ... جلدٍ من الفتيان غير مثقّل
وإذا رميت به الفجاج رأيته ... يهوي مخارمها هويَّ الأجدل
وإذا نظرت إلى أسرّة وجهه ... برقت كبرق العارض المتهلّل
صعب الكريهة لا يُرام جنابه ... ماضي العزيمة كالحسام المقصل
يحمي الصعاب إذا تكون كريهة ... وإذا همُ نزلوا فمأوى العُيّل[1]

❖ قريط بن أنيف

(طاروا إليه زرافاتٍ ووحدانا)

ومن جيّد ما قيل في الشجاعة، وسرعة الإجابة، وتلبية النداء للحرب، ما قاله قريط بن أنيف العنبري، له في مدح المازنيين، شجاعتهم وإقدامهم، قوله:

قوم إذا الشرّ أبدى ناجذيه لهم ... طاروا إليه زرافاتٍ ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ما قال برهانا[2]

❖ عاصم بن فهيرة

(إنّ الجبان حتفه من فوقه)

ومن الذين هاجروا مع النبي (ص) إلى يثرب، وكان من الشجعان الأشداء، عاصم بن فهيرة، له رجزاً قوله:

لقد وجدت الموت قبل ذوقهْ ... إنّ الجبان حتفه من فوقه
كلّ امرىء مجاهد بطوقه ... كالثور يحمي جلده بروقهِ[3]

❖ العباس بن عبد المطلب

(ألا هل أتى عِرسي...)

عمّ النبي (ص)، كنيته أبو الفضل، من ذوي النجدة والشجاعة والبلاء، كانت وفاته سنة ٣٢ هـ. له يوم حنين، يذكر بلاءه وشجاعته، قوله:

ألا هل أتى عِرسي مكرّي ومقدمي ... بوادي حنينٍ والأسنّة تشرعُ

---

(١) الحماسة ١/ ٢١ .
والمغشم: الشجاع. والأجدل: الصقر. وأسرّة الوجه: خطوطه. والعيّل: الفقراء.
(٢) الحماسة ١/ ٥
(٣) ابن هشام: السيرة ١/ ٥٨٩ . دار الكنوز الأدبية. بيروت.
والروق: القرن.

نصرنا رسول الله كالبدر تسعة ... وقد فرّ من قد فرّ عنه فأقشعوا
حنوت إليه حين لا يحنو امرؤ ... على بكره والموت في الموت مقنع[١]

❖ معبد بن علقمة

(ونشتم بالأفعال، لا بالتكلّم)

وهو من الصحابة، من جيّد قوله في الشجاعة والحماسة، قوله:

ولكنّنا نأبى الظلام ونعتصي ... بكلّ رقيق الشفرتين مصمّم
وتجهل أيدينا ويحلم رأينا ... ونشتم بالأفعال، لا بالتكلّم[٢]

❖ مقاس العائذي

(فيا ويلها منّا...)

وما أبلغ هذا الشعر المعبّر على شدّة البأس، ورباطة النفس، والشجاعة في الوغى، قاله مقاس العائذي، واسمه مسهر بن النعمان، من قريش، وهو:

ونحن بنو حرب غذتنا بثديها ... وقد شمطت أصداغها وقرونها
فيا ويلها منّا، ويا ويلنا بها ... لها الويل منّا كيف كنّا ندينها[٣]

❖ عبيد بن قماص

(وإنّي لضرّاب...)

ومثله هذا الشعر لعبيد بن قماص بن ثعلبة بن وائل الضبي، وهو:

وإنّي لضرّاب إذا الخيل أحجمت ... بسيفيَ ربّ القونس المتوقّد
وكنت إذا ما أرجفت بي تركتها ... ولم أقعد الجلّى على غير مقعد[٤]

❖ عمرو بن حنيّ

(أقمنا له من ميله فتقوّم)

من الشعراء الشجعان البسلاء، عمرو بن حني، وقد يطلق عليه اسم جابر، أيضاً، من تغلب. له من الحماسة والشجاعة قوله فاخراً:

وكنّا إذا الجبّار صعّر خدّه ... أقمنا له من ميله فتقوّمُ
يرى الناس منّا جلد أسود سالخ ... وفروة ضرغام من الأسد ضيغم[٥]

---

(١) المرزباني: معجم الشعراء ٢٦٢ . ط دمشق، وعرسي: زوجتي.
(٢) الحماسة ١/ ٢٥٢ .
(٣) معجم الشعراء ٤٠٥ . وشمطت: شابت. وقرونها: شعورها.
(٤) المؤتلف للآمدي ١٥٤ . ط دمشق.
(٥) المفضليات، للضبي ٤٤١ . مطبعة الآباء اليسوعيين. بيروت ١٩٢٠ .
والضيغم، والضرغام: صفتان من صفات الأسد الهصور. وصعّر خدّه: تكبّر.

❖ **عمرو بن جُعل**

(فلا توعدوني...)

ومنهم أيضاً، من الشجعان الفرسان، عمرو بن جعل بن مالك، التغلبي. له من هذا الضرب من الشعر، قوله:

فلا توعدوني بالسلاح فإنما ... جمعت سلاحي رهبة الحدثانِ
جمعت رديناً كأنّ سنانه ... سنا لهبٍ لم تستعر بدخان[1]

❖ **عُمير بن قيس**

(لقد علمت مَعَدٌّ...)

ومن فرسان كنانة الشجعان الأشداء البواسل، عمير بن قيس، أحد بني فراس بن غنم. له فاخراً بالنسأة على العرب، قوله:

لقد علمت معدٌّ أنّ قومي ... كرام الناس أنّ لهم كراما
ألسنا الناسئين على مَعَدّ ... شهور الحِلّ نجعلها حراما[2]

❖ **عاصم بن جويرية**

(سراع إلى الداعي إذا ضُنَّ بالنصر)

ومن فرسان تميم، ومساعيرها الأشداء الشجعان، عاصم بن جويرية، أبوه قيس ابن أبير، له قوله فاخراً:

مصاليت لبّاسون للحرب بزّها ... سراع إلى الداعي إذا ضنّ بالنصر
همُ من خبرتم والتجارب كاسمها ... ولا شيء أشفى للحليم من الخُبر[3]

❖ **عائز بن سعيد**

(قد علمت...)

ومن الشجعان الذين وفدوا على النبي (ص)، وقتل يوم صفّين، مع عليّ بن أبي طالب، عائز بن سعيد المحاربي. له من الرجز، قوله:

قد علمت أمّ بني خلدهْ ... أنّي للحرب عتيد العدّهْ
فضفاضة سابغة ونهدهْ ... وصارم مهنّد وصعدهْ

---

(١) المؤتلف ٨٣ .
وحدثان الدهر: قوارعه ونوازله.
(٢) السيرة، لابن هشام ١/ ٤٥ .
ونسأة الشهور: تأخيرها وتأجيلها. حرّمه الإسلام.
(٣) معجم الشعراء، للمرزباني ٢٧٠ .

أصدق في أهل القسوط الشدّه كما حبى أشباله ذو اللبدة[١]

❖ عامر بن الطفيل

(إذا مات عمرو...)

عامر بن الطفيل الزبيدي، من أشهر فرسان العرب وشجعانها، وواحد من الشعراء الذين تغنّوا بالبطولة، وأثنوا على الشجاعة والبسالة، وأعطوا أصحابها حقّهم من التقدير، وهذا ما يقوله في عمرو بن معد يكرب، قرينه في الشجاعة والفروسية والمناقبية وسرعة النجدة، والمروءة. يقول عامر في عمرو:

إذا مات عمرو قلت للخيل أوطئي زبيداً فقد أودى بنجدته عمرو
فأمّا وعمرو في زبيد فلا أرى لكم غزوهم فارضوا بما حكم الدهر
فليت زبيداً زيد فيها كضعفها وليت أبا ثور يجيش به البحر[٢]

وأبو ثور، هذا كنيته عمرو بن معد يكرب.

(وقد علمت...)

ولقد يعبّر عامر عن شجاعته وشجاعة قومه، تعبيراً في غاية الروعة والجودة، فيقول:

وقد علمت عُليا معدّ بأنّنا بنو الحرب، لا نعيا بوردٍ ولا صَدَرْ
نشدّ عصاب الحرب حتى ندرّها إذا ما نفوس القوم طالعت الثُّغَرْ
ترى رائدات الخيل حول بيوتنا أبابيل تردي بالعشيّ وبالبُكر[٣]

❖ حفص بن الأحنف

(لتركتها تحبو على العرقوب)

ومن الشعراء الذين أثنوا على بطولة عمرو بن معد يكرب، وشجاعته، حفص بن الأحنف الكناني، وهو من الأبطال الشجعان، كان مرّ على قبر عمرو، فوقف عنده وقال:

نفرت قلوصي من حجارة حرّةٍ بُنيت على طلق اليدين وهوبِ
لا تنفري، يا ناق، منه فإنّه شِرّيب خمر، مسعرٍ لحروب
لولا السفار وطول قفرٍ مهمهٍ لتركتها تحبو على العرقوب[٤]

---

(١) معجم الشعراء ٣٠٣ .
وذو اللبدة: صفة للأسد. والقسوط: الجور. والفضفاضة السابغة: الدرع.
(٢) الأصفهاني: الأغاني ١٥/ ٣١٥ . دار عز الدين. بيروت.
(٣) ديوان عامر ٧٢ . دار صادر. بيروت ١٩٦٣ . وأبابيل: متفرقة.
(٤) ابن عبد ربّه: العقد الفريد ١/ ١١٦ . دار ومكتبة الهلال، بيروت.

❖ الحمزة

(فإذا ما هلكت...)

ومن الأبطال الشجعان الذين لا يهابون المنايا، الحمزة بن عبد المطلب بن هاشم، عمّ النبي (ص)، بطل معركة أحد، وشهيدها. وفي الإعراب عن شجاعته وبطولته، يقول حمزة:

ليس عندي إلاّ سلاح وورد ... قارح من بنات ذي العقّال
أتّقي دونه المنايا بنفسي ... وهو دوني يغشى صدور العوالي
جرشع ما أصابت الحرب منه ... حين تحمي أبطالها لا أبالي
فإذا ما هلكت كان تراثي ... وسجالاً محمودة من سجالي[1]

❖ عمرو بن معد يكرب

(وبقيت مثل السيف فردا)

يأتي عمرو بن معد يكرب الزبيدي في الطليعة من الفرسان الشجعان، وقد شهدت له بالشجاعة والإقدام، والبسالة، الحروب والأيام والوقائع المشهورة في الجاهلية والإسلام. وإن من الشعر البطولي الشجاع قوله فاخراً:

أعددت للحدثان سا ... بغةً وعدّاء علندى
نهداً وذا شُطب يقدّ ... البيض والأبدان قدّا
وعلمت أنّي يوم ذا ... ك منازل كعباً ونهدا
قوم إذا لبسوا الحديد ... تنمّروا حَلَقاً وقِدّا
لمّا رأيت نساءنا ... يفحصن بالمعزاء شدّا
وبدت لميس كأنّها ... بدر السماء إذا تبدّى
نازلت كبشهمُ ولم ... أر من نزال الكبش بُدّا
كم من أخ ليَ صالح ... بوّأته بيديّ لحدا
ما إن جزعت ولا هلعت ... ولا يردّ بكاي زندا
ألبسته أثوابه ... وخُلقتُ يوم خلقت جلدا
أُغني غناء الذاهبين ... أعدُّ للأعداء عدّا
ذهب الذين أحبّهم ... وبقيت مثل السيف فردا[2]

---

(١) ذيل الصفحة ١١١ من الفروسية العربية.

(٢) الحماسة ١/ ٥٠ .

وهلعت: فزعت. والزند: الضيق. والكبش: الرئيس السيّد المقدام. وليس: حبيبة الشاعر. ويفحصن: يضربن بأرجلهنّ. والمعزاء: الأرض الصلبة الشديدة. وتنمّروا: بدوا كالنمور في القوة. وكعب ونهد: اسما قبيلتين. وشطب السيف: طرائقه. والحدثان: نوازل الدهر وشدائده. والسابغة: الدرع. والعداء: صفة للفرس السريع. والعلندي: صفة للفرس الشديد.

(فلو لاقيتني...)

وإنّ من جيّد شعره الذي يتحدث فيه عن شجاعته وبطولته وثباته عند الروع، قوله:

أعاذل إنّما أفنى شبابي ... إجابتيَ الصريخَ إلى المنادي
مع الأبطال حتى سلّ جسمي ... وأقرح عاتقي حمل النجاد
ويبقى بعد حلم القوم حلمي ... ويفنى قبل زاد القوم زادي
ومن عجب عجبت له، حديث ... بديع ليس من بدع السداد
تمنّى أن يلاقيني أبيٌّ ... وددت، وأينما منّي ودادي
تمنّاني وسابغتي قميصي ... كأنّ قتيرها حدق الجراد
وسيف من لدُن كنعان عندي ... تُخيّر نصله من عهد عاد
ورمح العنبريّ تخال فيه ... سناناً مثل مقباس الزناد
فلو لاقيتني لقيت ليثاً ... هصوراً ذا ظُباً وشباً حداد
ولاستيقنت أنّ الموت حقّ ... وصرّح شحم قلبك عن سواد[1]

❖ **زيد الخيل**

(وأروي سناني من دماء غزيرة)

من الأبطال الشجعان الذين يردون حياض الردى غير هيّابين، زيد بن مهلهل بن يزيد الطائي، يعرف بزيد الخيل، لكثرة جياده وأفراسه، أدرك الإسلام، فأسلم، فأسماه الرسول (ص) زيد الخير، تيمّناً وتوسّماً للخير منه. يقول زيد الخيل من شعره الذي يعرب فيه عن بطولته وجراءته وإقدامه، وثباته، ورباطة الجأش في المواقف الصعبة:

أنا الفارس الحامي الحقيقة والذي ... له المكرمات واللُّهى والمآثر
وقومي رؤوس الناس والرأس قائد ... إذا الحرب شبّتها الأكفّ المساعر
فلست إذا ما الموت حوذر ورده ... وأترع حوضاه وجمجم ناظر
بوقّافة يخشى الحتوف تهيّباً ... يباعدني عنها من القبّ ضامر
ولكنّني أغشى الحتوف بصعدتي ... مجاهرةً إنّ الكريم يجاهر
وأروي سناني من دماء غزيرة ... على أهلها إذ لا ترجّى الأياصر[2]

---

(١) العقد ١/ ١٢١ .

والظبا: جمع ظباة، وهي حد السيف. والشبا: جمع شباة، وهي سنان الرمح. والقتير: المسامير في الدرع.

(٢) الأغاني ١٦/ ٥٤ .

والحقيقة: المال والشاء والإبل وسواه. واللهى، جمع لهاة، وهي أفضل العطايا. والمساعر: جمع مسعر. وهو الجريء المقدام. وجمجم: تحيّر وتردّد. والحتوف: المنايا.

(ألا هل أتاها...)

وله من هذا النظير أو القبيل، شعره الآخر، وفيه ملامح البطولة والرجولة والجراءة والإقدام والشجاعة:

ألا هل أتاها والأحاديث جمّة ... مغلغلة أنباء جيش اللهازم
فلست بوقّاف إذا الخيل أحجمت ... ولست بكذّاب كقيس بن عاصم
تخبّر من لاقيت أن قد هزمتهم ... ولم تدر ما سيماهمُ والعمائم
بل الفارس الطائيّ فضّ جموعهم ... ومكّة والبيت الذي عند هاشم
إذا ما دعوا عجلاً عجلنا عليهم ... بماثورة تشفي صداع الجماجم[1]

(وقد علمت...)

ومن رائع شعره في تصوير الشجاعة والإقدام، قوله:

وقد علمت سلامة أنّ سيفي ... كريه كلّما دعيت نزال
أحادثه بصقل كلّ يوم ... وأعجمه بها مات الرجال[2]

❖ **ابن أحمر**

(وإذا تكون كريهة أُدعى لها)

ومن رائع الشعر الموجز المعبّر عن الشجاعة والإقدام، بيتان قالهما ابن أحمر، وأسمه هنيء، من كنانة، والبيتان هما:

وإذا الشدائد بالشدائد مرّة ... أشجتكمُ، فأنا المحبّ الأقربُ
وإذا تكون كريهةٌ أُدعى لها ... وإذا يُحاس الحيس يدعى جندب[3]

❖ **السموأل**

(يقرّب حبّ الموت آجالنا لنا)

ومن الشعراء الشجعان البسلاء، وأصحاب الوفاء، أبو الشريح السموأل بن عادياء، من يهود يثرب، كان شاعراً فصيحاً عالي الهمة، سريع النجدة، صاحب الحصن المعروف بالأبلق، له في الشجاعة وعلوّ الهمّة والبسالة، قوله فاخراً:

تعيّرنا أنّا قليل عديدنا ... فقلت لها إنّ الكرام قليلُ
وما ضرّنا أنّا قليل وجارنا ... عزيز وجار الأكثرين ذليل

---

(١) نفسه ١٦/٥٦ .
واللهازم: جمع لهزمة، وهي العظم الناتىء في اللحي تحت الأذن. والسيما: المخيلة والصورة.
(٢) العقد ١/ ٣٤ .
(٣) المؤتلف، للآمدي ٣٨ . والكريهة: الحرب.

وإنّا لقوم لا نرى القتل سُبّةً ... إذا ما رأته عامر وسلول
يقرّب حبّ الموت آجالنا لنا ... وتكرهه آجالهم فتطول
تسيل على حدّ الظُّبات نفوسنا ... وليست على غير الظبات تسيل
وننكر إن شئنا على الناس قولهم ... ولا ينكرون القول حين نقول
وأيّامنا مشهورة في عدوّنا ... لها غُرر معلومة وحجول
وأسيافنا في كلّ شرق ومغرب ... بها من قراع الدارعين فلول[1]

❖ **الأعشى**

(قالوا الطعان...)

ومن جيد الشعر في الشجاعة والإقدام، قول الأعشى، صاحب المعلقة المشهورة، وهو:

نحن الفوارس يوم الجِنو ضاحيةً ... جنبيْ فُطيمةَ لا ميل ولا عُزُل
قالوا الطعان فقلنا تلك عادتنا ... أو تنزلون فإنّا معشر نُزُل
قد نخضب العَير في مكنون فائله ... وقد يشيط على أرماحنا البطل[2]

(بالسيف تضرب مقدماً أبطالها)

ومن أحسن ما مدح به الأعشى، أعشى بكر، عمرو بن معد يكرب، الفارس الشجاع المقدام، قوله:

وإذا تجيء كتيبة مكروهة ... ملمومة يخشى العدوّ نزالها
كنت المقدّم غير لابس جبّة ... بالسيف تضرب مقدماً أبطالها[3]

❖ **العباس بن مرداس**

(أشدّ على الكتيبة...)

ومن الشجعان الفرسان، العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي، أمّه الخنساء، الشاعرة المعروفة، أدرك الإسلام. ومن شعره الفائق الروعة في الشجاعة والبسالة والإقدام، قوله:

أشدُّ على الكتيبة، لا أبالي ... أحتفي كان فيها أم سواها[4]

---

(١) الديوان ٨٧ . دار صادر. بيروت.
والظبات: جمع ظبة، وهي حد السيف. وعامر وسلول: قبيلتان عربيتان.
(٢) المعلقات العشر ١٩٦ . دار صعب. بيروت ١٩٨١ .
ويشيط: يهلك. ومكنون فائله: دم عرقه. ويوم الجنو: من أيام العرب في الجاهلية. وميل: ينحرفون من القتال جبناً. وفطيمة: وهي بنت حبيب بن ثعلبة. والعير: الجمل أو الحمار.
٣) العقد ٣/ ١٢٦ .
٠) المبرّد: الكامل في اللغة ٢/ ٣٧ . مكتبة المعارف. بيروت.

❖ أبو ثمامة

(فكيف الفرار إذا ما اقتربْ)

ومن أبلغ القول في الشجاعة، والثبات في الروع، قول أبي ثمامة الضبّي، واسمه البراء بن عازب، من الشعراء الفرسان، وقوله هو:

رددت لضبّة أمواهها ... وكادت بلادهمُ تُستلبْ
أفرّ من الشرّ في رخوةٍ ... فكيف الفرار إذا ما اقتربْ[1]

❖ سعديّ

(وسائلةٍ...)

ومن جيد ما قاله ذلك السعدي، أحد بني سعد في الرجولة والبطولة والشجاعة، قوله للرسول الذي كان أرسله للجارية التي أعجبه جمالها، فأراد أن يعرف إن كان لها زوج أم لا، فلما سألت ما حرفته، قال:

وسائلة ما حرفتي قلت حرفتي ... مقارعة الأبطال في كلّ شارق
إذا عرضت لي الخيل يوماً رأيتني ... أمام رعيل الخيل أحمي حقائقي
وأصبر نفسي حين لا حرّ صابر ... على ألم البيض الرقاق البوارق[2]

❖ عمرو بن كلثوم

(والموت تحت لواء آل محلّم)

من أروع الشعر وأجزله، وأشدّه حرارة، في تصوير البطولة والشجاعة والفروسية، والتحام الفرسان بالفرسان، قول عمرو بن كلثوم التغلبي، وهو أحد أصحاب المعلقات في الجاهلية، مصوراً هول يوم ذي قار، وكان للعرب على العجم، وهو:

ولقد رأيت أخاك عمراً مرّة ... يقضي وضيعيه بذات العجرم
في غمرة الموت التي لا تشتكي ... غمراتها الأبطال غير تغمغم
وكأنّما أقدامهم وأكفّهم ... سرب تساقط في خليج مفعم
لمّا سمعت دعاء مرّة قد علا ... وأتى ربيعة في العجاج الأقتم
ومحلّم يمشوت تحت لوائهم ... والموت تحت لواء آل محلّم
لا يصرفون عن الوغى بوجوههم ... في كلّ سابغةً كلون العظلم
ودعت بنوّام الرقاع فأقبلوا ... عند اللقاء بكلّ شاكٍ معلم
وسمعت يشكر تدّعي بحبيّب ... تحت العجاجة وهي تقطر بالدم
يمشون في حلق الحديد كما مشت ... أُسد العرين بيوم نحس مظلم

(١) الحماسة ١/٢٦٦ .
(٢) (٢) نفسه ٣/ ٢٣١ .

والجمع من ذهل كأنّ زهاءهم ... حرب الجمال يقودها ابنا قسعم
والخيل من تحت العجاج عوابساً ... وعلى مناسجها سحائب من دم[١]

❖ العديل

(ما أوقد الناس...)

أما العديل بن الفريخ العجلي، فقد قال، من وحي ذلك اليوم الذي كانت فيه الغلبة للعرب على الفرس:

ما أوقد الناس من نار لمكرمة ... إلاّ اصطلينا وكنّا موقدي النار
وما يعدّون من يوم سمعت به ... للناس أفضل من يوم بذي قار
جئنا بأسلابهم والخيل عابسة ... لمّا استلبنا لكسرى كلّ أسوار[٢]

❖ حسّان بن ثابت

(فاسألوا عنّا...)

ومن شعر حسان بن ثابت الأنصاري، الشاعر الجاهلي الإسلامي، قوله فاخراً بشجاعة قومه، وصبرهم على المكاره في الحروب والخطوب:

ولقد يعلم من حاربنا ... أنّنا ننفع قدماً ونضرّ
صبر للموت إن حلّ بنا ... صادقو البأس غطاريف فخر
نحن أهل العزّ والمجد معاً ... غير أنكاس ولا ميل عسر
فاسألوا عنّا وعن أفعالنا ... كلّ قوم عندهم علم الخبر[٣]

(فكلّ سبق لأدنى سبقهم تبع)

وإن من الشعر الذي يمجدّ البطولة والاندفاع والشجاعة والثبات في المواقف العظيمة، ما قاله حسان في شجاعة المسلمين، الذابّين عن رسول الله (ص) في قتاله المشركين، وهنا حسان يردّ على الزبرقان، فيقول:

قوم إذا حاربوا ضرّوا عدوّهم ... أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
إن كان في الناس سبّاقون بعدهم ... فكلّ سبق لأدنى سبقهم تبع
يسعون للحرب تبدو وهي كالحة ... إذا الزعانف من أظفارها خشعوا

---

(١) العقد ٣/ ٩٦ .
والعجاج: غبار الحرب. والأقتم: العابس والأسود. والوغى: الحرب. والسابغة: الدرع الواسعة.
(٢) نفسه ٣/ ٩٦ .
والأسوار: جمعه أساورة، وهم الأسياد والرؤوس.
(٣) الأغاني ٢/ ١٦٠ .
والغطاريف: جمع غطريف، وهو السيد الكريم.

لا يفرحون إذا نالوا عدوّهم ... وإن أصيبوا فلا خور ولا جزع
كأنّهم في الوغى والموت مكتنع ... أسود بيشة في أرساغها فرع
أكرم بقوم رسول الله قائدهم ... إذا تفرّقت الأهواء والشيع[1]

❖ أبو الغول الطهوي

(وداوَوْا بالجنون من الجنون)

ومن الشعراء الذين مدحوا الشجاعة والإقدام، أبو الغول الطهوي، من بني طهية، كنيته أبو الميلاد، يقول في نجدة القوم وشجاعتهم وشدّة حماستهم وبسالتهم في القتال:

معاشر لا يملّون المنايا ... إذا دارت رحى الحرب الطحونِ
ولا يجزون من خيرٍ بشرّ ... ولا يجزون من غِلظٍ بلين
ولا تبلى بسالتهم وإن هم ... صلوا بالحرب حيناً بعد حين
هم أحموَا حمى الوقبى بضرب ... يؤلّف بين أشتات المنون
فنكّب عنهمُ درء الأعادي ... وداوَوْا بالجنون من الجنون[2]

❖ كعب بن زهير

(وليس لرحلِ حطّه الله حامل)

ومن جيد شعر الشجاعة، والمضيّ في طلب الرغائب، واحتمال الرعائب، قول كعب بن زهير بن أبي سلمى (ت حوالي ٦٤٥ م)، وهو:

وليس لمن لم يركب الهول بغية ... وليس لرحلٍ حطّه الله حاملُ
إذا أنت لم تُعرض عن الجهل والخنا ... أصبت حليماً أو أصابك جاهل[3]

ومن شعر كعب في الشجاعة وشدّة البأس، والمضيّ في اللقاء، قوله:

متى أُدع في أوس وعثمان تأتني ... مساعير قوم كلّهم سادةٍ دُعْم
هم الأسْد عند البأس والحُشد في القرى ... وهم عند عقد الجار يوفون بالذّم[4]

(شمّ العرانين أبطال...)

ومن جيّد شعره في وصف بطولة المسلمين وشجاعتهم، وشجاعة الرسول (ص) قوله:

---

(١) الأغاني ٤/ ٩ .
وبيشة: موضع مشهور تكثر فيه السباع. والفرع: تباعد ما بين الرجلين. والزعانف: جمع زعنفة، وهو القصير، والجماعة لا أصل لها واحداً.
(٢) الجاحظ: الحيوان ٣/ ٤٠٠ دار مكتبة الهلال. بيروت.
وصلوا بالحرب: عانوا شدتها. والوقبى: اسم ماء لبني مازن. درء: دفاع. ونكّب عنه: عدل.
(٣) العقد ١/ ٢٤٩ .
(٤) الحصري: زهر الآداب ٢/ ٤٩ . ذيل الحيوان. دار ومكتبة الهلال. بيروت.

إنّ الرسول لسيف يستضاء به ... مهنّد من رسول الله، مسلولُ
في عصبة من قريش قال قائلهم ... ببطن مكّةَ لمّا أسلموا زولوا
زالوا فما زال أنكاس ولا كُشفٌ ... عند اللقاء ولا ميل معازيل
شمّ العرانين، أبطال لبوسهمُ ... من نسج داود في الهيجا، سرابيل
لا يفرحون إذا نالت رماحهمُ ... قوماً، وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا[1]

❖ الحطيئة

(إذا ما دُعوا لم يسألوا من دعاهمُ)

للحطيئة، وهذا لقبه، واسمه جرول بن أوس العبسي، كنيته أبو مليكة، من الشعراء الفحول، وخصوصاً في الهجاء، (ت حوالي ٦٧٩ م) له شعر يصور الشجاعة تصويراً بليغاً، شجاعة قوم من عديّ، والشعر هو التالي:

وفتيانِ صدق من عديّ عليهمُ ... صفائح بُصرى عُلّقت بالعواتق
إذا ما دُعوا لم يسألوا من دعاهمُ ... ولم يُمسكوا فوق القلوب الخوافق
وطاروا إلى الجُرد العتاق فألجموا ... وشدّوا على أوساطهم بالمناطق
أولئك آباء الغريب وغاثة ... الصريخ ومأوى المرملين الدرادق
أحلّوا حياض المجد فوق جباههم ... مكان النواصي من وجوه السوابق[2]

(فإن غضبوا جاء الحفيظة والجدّ)

ومن جيد ما قاله الحطيئة، واسمه جرول بن أوس، الشاعر الجاهلي الإسلامي، عرف بخبثه وسلاطة لسانه، في تصوير شجاعة آل شماس، قوله:

أتت آل شماس بن لأي وإنّما ... أتاهم بها الأحلام والحسب العدّ
فإنّ الشقيّ من تعادي صدورهم ... وذو الجدّ من لانوا إليه ومن ودّوا
يسوسون أحلاماً بعيداً أناتها ... فإن غضبوا جاء الحفيظة والجدّ
مطاعين في الهيجا مكاشيف للدجى ... بنى لهم آباؤهم، وبنى المجد[3]

❖ زينب الطثرية

(وكلّ الذي حمّلته فهو حامله)

ومن شعر الحماسة والشجاعة والبطولة، شعر زينب الطثرية، ترثي أخاها يزيداً بن

---

(١) ديوان كعب ١٥١ . دار صادر بيروت.
(٢) الأغاني ٢/٤٨ .
والعتاق الجرد: صفة للخيل الكريمة. والمرملون: الفقراء. والدرادق: الصبية. والنواصي: جمع ناصية، وهي مقدم شعر الرأس.
(٣) الأغاني ٢/٥٨ .

حمل القشيري، وقيل هو لوحشية الجرميّة، وقيل هو لأم يزيد، والمهم أن الأبيات التي تثني فيها صاحبتها على يزيد البطل الهمام، هي:

فتىً لا ترى قدّ القميص بخصره ... ولكنّما توهي القميص كواهله
يسرّك مظلوماً ويرضيك ظالماً ... وكلّ الذي حمّلته فهو حامله
إذا جدّ عند الظلم أرضاك جدّه ... وذو باطلٍ إن شئت، ألهاك باطله
وقد كان يحمي المحجرين بسيفه ... ويبلغ أقصى حجرة الحيّ نائله
فتىً ليس لابن العم كالذئبِ ان يرى ... بصاحبه يوماً دماً فهو آكله
فتىً قدّ قدّ السيف لا متضائل ... ولا رهل لبّاته وبآدله[1]

❖ **دريد بن الصمّة**

(وليس بمكباب إذا الليل جنّه)

ومن الشجعان ذوي الإقدام والبسالة والجراءة، في الجاهلية، خالد بن الصمّة، أخو دريد بن الصمّة، الشاعر، يقول هذا في رثاء أخيه خالد:

وليس بمكباب إذا الليل جنّه ... نؤوم إذا ما أدلجوا في المعرّس
ولكنّه مدلاج ليل إذا سرى ... يندّ سراه كلّ هاد مملّس
يشدّ متون الأقربين بهاؤه ... وتخبث نفس الشانىء المتعبّس[2]

(وخالد الحرب إن عضّت بأوراد)

وخالد، هذا، المقدام، الشجاع، يقول فيه دريد ثانية:

وخالد القول والفعل المعيش به ... وخالد الحرب إن عضّت بأوراد
وخالد الركب إن جدّ السفار بهم ... وخالد الحيّ لما ضنّ بالزاد[3]

(صبور على الضرّاء، طلاّع أنجد)

وأما في شجاعة أخيه عبدالله، فقال دريد:

فإن تعقب الأيام والدهر تعلموا ... بني غالب أنّا غضاب لمعبد
تنادوا فقالوا أردت الخيل فارساً ... فقلت أعيذ الله ذلكم الردي
فإن يك عبدالله خلّى مكانه ... فما كان وقّافاً ولا طائش اليد

---

(١) نفسه ٧/ ١١٧ .
والكواهل: جمع كاهل، وهو العاتق. والمحجرين: المحجوزين المحبوسين في الحجرة. والرهل: الهشّ الجبان.
(٢) الأغاني ٩/ ٨ .
والشانىء: المبغض. وجنّه: ستره. والمعرّس: مكان أوزمان التعريس، وهو النزول ليلاً. والمدلاج: الشديد الإدلاج، وهو السير ليلاً.
(٣) نفسه ٩/ ٨ . وضنّ: بخل.

كميش الإزار خارج نصف ساقه ... صبور على الضرّاء، طلاّع انجد
قليل التشكي للمصائب، حافظ ... عليم بأعقاب الأحاديث في غد[1]

❖ **بشر بن أبي عوانة**

(أفاطم، لو شهدتِ...)

من نادر شعر الشجاعة والإقدام، ما قاله بشر بن أبي عوانة العبدي، وكان صعلوكاً، وبطلاً يخشى جانبه الأقران. هذا الشعر الآتي قاله بشر في مصارعته الأسد، ثم بطشه به، كان ذلك لما طلب يد ابنة عمه، فأبى عمّه أن يزوجه إياها، فلما ألحّ عليه، اشترط عمّه مهراً هو عبارة عن ألف ناقة حمراء، من نوق خزاعة، فلما قصد بشر خزاعة، اعترضه أسد هصور، كان يعلم عمّه به، ويعلم أن هلاك الشاعر سيكون على يدي هذا الأسد الشجاع، ولقد صوّر الشاعر صراعه مع الأسد أصدق تصوير، ونقل لنا مشهداً من المشاهد الحيّة في البطولة والشجاعة، وقد قضى على الأسد، وكتب بدم الأسد على قميصه قصيدة، ثم بعث بها إلى أخته فاطمة يصف فيها قصته مع الأسد، وإنّ من هذا الشعر قوله:

أفاطمَ لو شهدتِ ببطن خبتٍ ... وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا
إذاً لرأيتِ ليثاً أمّ ليثاً ... هزبرا أغلباً لاقى هزبرا
تبهنس إذ تقاعس منه مهري ... محاذرةً، فقلت عقرت مهرا
أنلْ قدميّ ظهر الأرض إنّي ... رأيت الأرض أثبت منك ظهرا
فحين نزلتُ مدّ إليّ طرفاً ... يُخال الموت يلمع منه شزرا
فقلت له وقد أبدى نصالاً ... محدّدة ووجهاً مكفهرّا
وفي يمناي ماضي الحدّ أبقى ... بمضربه قراعُ الدهر أثرا
ألم يبلغك ما فعلت ظباه ... بكاظمةٍ غداة قتلتُ عمرا
وقلبي مثل قلبك ليس يخشى ... مصاولة فكيف يخاف ذعرا
نصحتك فالتمس يا ليث غيري ... طعاماً إنّ لحمي كان مرّا
فلمّا ظنّ أنّ النصح غشٌّ ... فخالفني كأنّي قلت هُجرا
خطا وخطوت من أسدين راما ... مراماً كان إذ طلباه وعرا
يكفكف غيلة إحدى يديه ... ويبسط للوثوب إليّ أخرى
هززت له الحسام فخلت أني ... شققت به من الظلماء فجرا
وأطلقت المهنّد من يميني ... فقدّ له من الأضلاع عشرا

---

(١) العقد ٣/ ٦٢ .

فخرّ مضرّجاً بدم كأنّي ... هدمت به بناءً مشمخرّا
فقلت له يعزّ عليّ أنّي ... قتلتُ مماثلي جلداً وقهرا
ولكن رمتَ أمراً لم يرمه ... سواك فلم أطق يا ليث صبرا
تحاول أن تعلّمني فراراً ... لعمرُ أبيكَ قد جاولتَ نُكرا
فلا تجزع فقد لاقيت حرّاً ... يحاذر أن يعاب فمتَّ حرّا[1]

❖ **كعب بن مالك**

(أمضي أمامهمُ والموت مكتنع)

من الذين تغنّوا بالشجاعة والبطولة وصدق اللقاء، والجراءة والإقدام، كعب بن مالك بن أبي كعب عمرو بن القين الأنصاري، أحد شعراء الجاهلية والإسلام، وهو من أصحاب رسول الله (ص) وشعرائه. له مجيباً برذع بن عدي، أخا بني ظفر، قوله معرباً عن شجاعته ورباطة جأشه في لقاء الأعداء:

ولا أهاب إذا ما الحرب حرّشها ... الأبطال واضطربت فيها البهاليل
أمضي أمامهمُ والموت مكتنع ... قدْماً إذ ما كبا فيها التنابيل
عليّ فضفاضة كالنهي سابغة ... وصارم مثل لون الملح مصقول
ولدنة في يد سمراء تقلبها ... بعامل كشهاب النار موصول
إنّي من الخزرج الغُرّ الذين همُ ... أهل المكارم لا يفنى لهم جيل
في الحرب أنهل منهم للعدوّ إذا ... شبّت وأعظم نيلاً إن همُ سيلوا
أشبهت من والدي عزّا ومكرمة ... وبرذعٌ مدغم في الأوس مجهول
نبئتة يدّعي عزّاً ويوعدني ... فركاً وعندي له بالسيف تنكيل[2]

(أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلاً)

ومن شعره الفاخر بالبطولة والشجاعة والإقدام، قوله:

لعمر أبيها لا تقول حليلتي ... ألا فرّ عنها مالك بني أبي كعب
أقاتل حتّى لا أرى لي مقاتلاً ... وأدعو إذا غمّ الجبان من الكرب
أبى ليَ أن أعطى الصغار ظلامة ... جدودي وآبائي الكرام أولو السلب

---

(١) رشد عطالله: تاريخ الآداب العربية ١/١٠٦ ـ ١٠٧ . دار عز الدين. بيروت ١٩٨٥ .
والفيصل: الحسام. ويكفكف: يصرف. والظبى: جمع ظبة. حدّ السيف. وكاظمة: اسم موضع بعينه. وعمرو، هو من الفرسان المشهورين من بني ثعلبة. قتله بشر. والنصال: جمع نصل، وهو حديدة السيف. وتبهنس: تبختر. والخبت: ما اطمأنّ من الأرض. والهزبر: الأسد.

(٢) الأغاني ١٥/ ٣٠ ـ ٣١ .
والبهاليل: الأجواد الأسياد. والتنابيل: البله الجبناء. جمع تنبال. ومكتنع: جاثم مسيطر. والفضفاضة: الواسعة، صفة للدرع. والسابغة: الوافرة الواسعة. وفركاً: بغضاً.

هم يضربون الكبش يبرق بيضه ... ترى حوله الأبطال في حلق شُهب
وهم أورثوني مجدهم وفعالهم ... فأقسم لا يزري بهم أبداً عقبي[١]

ولما سأل عبد الملك بن مروان عن أمدح بيت قالته العرب في الشجاعة، قيل له هو بيت كعب بن مالك:

تصل السيوف إذا قصرن بخطونا ... قدماً ونلحقها إذا لم نلحق[٢]

❖ برذغ بن عديّ

(وأصبر نفسي...)

ومن الأبطال الأشدّاء الشجعان الذين يصبرون على جهد القتال، برذغ بن عدي، من بني ظفر، وقد مرّ ذكره لدى الحديث عن كعب بن مالك، له من الشعر المعرب عن الشجاعة وشدّة المراس، قوله:

متى تلقني لا تلق نهزة واحد ... وتعلم بأنّي في الهزاهز أروع
ومطّرد لدن إذا هزّ متنه ... متين كخرص الراملات وأهزع
فلا وإلهي لا يقول مجاوري ... ألا إنّني قد خانني اليوم برذع
وأحفظ جاري أن أخاتل عرسه ... وصول أبي بالبكر لا أتطلّع
وأصبر نفسي في الكريهة إنّه ... لذي كلّ جنب مستقرّ ومصرع[٣]

❖ الخنّوت

(وأنّ أشدّاء الرجال طوالها)

ومن جيد شعر الشجاعة والإقدام، والنجدة والبأس، والتحام الفرسان، ما قاله الخنّوت، وهو توبة بن مضرّس، أحد بني مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وهو:

ولمّا التقى الصفّان واختلف القنا ... نهالاً، وأسباب المنايا نهالها
تبيّن لي أنّ القماءة ذلّة ... وأنّ أشدّاء الرجال طوالها
دَعَوْا يالسعد، وانتمينا لطيّء ... أسود الشرى إقدامها ونزالها
جمعنا لهم من حيّ غوثٍ ومالك ... كتائب يُردي المقرفين نكالها
وتحت نحور الخيل حَرشف رَجلة ... تتاح لحبّات القلوب بنالها
فلمّا التقينا بيّن السيف فيهم ... لسائلة عنّا حفيّ سؤالها
ولمّا عصينا بالرماح تضلّعت ... صدور القنا منهم وعلّت نهالها

---

(١) الأغاني ١٥/ ٣١ .
والحليلة: الزوجة. والكبش: سيّد القوم وقائدهم.
(٢) زهر الآداب ٣/ ٦٨ .
(٣) الأغاني ١٥/ ٣٠ .
والعرس: الزوجة. والكريهة: الحرب. والمطّرد: صفة للرمح.

ولمّا تدانوا بالسيوف تقطّعت وسائل كانت قبلُ سلماً حبالها
فولّوا وأطراف الرماح عليهم قوادم مربوعاتها وطوالها[١]

❖ الأجدع

(وأبذل في الهيجاء وجهي..)

ومن شعر الحماسة والشجاعة والإقدام، وبذل النفس في الروع، قول الأجدع أبي مسروق الهمداني، وهو:

لقد علمت نسوان همدان أنّني لهنّ غداة الروع غير خذول
وأبذل في الهيجاء وجهي، وإنّني له في سوى الهيجاء غير بزول[٢].

❖ عمرو بن الإطنابة

(مكانكِ تُحمدي أو تستريحي)

ومن أشهر شعر البطولة والشجاعة، والثبات، والصبر على المكاره، قول عمرو ابن الإطنابة، وهو قول قال فيه معاوية: اجعلوا الشعر أكثر همّكم وأكثر آدابكم، فإنّ فيه مآثر أسلافكم، ومواضع إرشادكم، فلقد رأيتُني يوم الهرير أشدّ أيام حرب صفّين وقد عزمت على الفرار، فما يردّني إلاّ قول ابن الإطنابة الأنصاري:

أبت لي عفّتي، وأبى بلائي وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإجشامي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلّما جشأت وجاشت مكانكِ، تُحمدي أو تستريحي[٣]

❖ نهشل بن حريّ

(.. ألا أين المحامونا؟)

ومن أبلغ الشعر المعبّر عن الشجاعة والنجدة، وسرعة الإغاثة، والجرأة، وبذل النفس بلا هوادة، شعر نهشل بن حرّي بن ضمرة، الدارمي، وقد ينسب هذا الشعر لبشامة بن حزن النهشلي، وهو:

إنّا، بني نهشل، لا ندّعي لأب عنه ولا هو بالأبناء يشرينا

---

(١) الكامل ١/ ٥٥ .
ونهالاً: وراداً للدم مرة ولم تثنّ. والقماءة: القبح والبشاعة. ويردي: يهلك. والمقرفون: الداخلون في الفساد والعيث والهجنة. والعجز: مؤخّر العسكر. وعصينا: جعلنا الرماح كالعصيّ. والعلل: الشرب الثاني. والنهل: الأول.
(٢) نفسه ١/ ٦٨ .
(٣) الكامل ٢/ ٣٥١ .
وجشأت: ثارت للقيء، وهاجت. وإجشامي: حملي على المكاره. والمشيح: المائل للطعان.

إن تبتدر غاية يوماً لمكرمة ... تلق السوابق منّا والمصلّينا
إنّا لنرخص يوم الروع أنفسنا ... ولو نُسام بها في الأمن أغلينا
إنّا لمن معشر أفنى أوائلهم ... قيل الكماة ألا أين المحامونا
لو كان في الألف منّا واحد فدعوا ... من عاطف؟ خالهم إيّاه يعنونا
وليس يهلك منّا سيّد أبداً ... إلاّ افتلينا غلاماً سيّداً فينا
ولا نراهم وإن جلّت مصيبتهم ... مع البكاة على من مات يبكونا
إذا الكماة تنحّوا أن ينالهمُ ... حدّ الظّبات وصلناها بأيدينا[1]

❖ الفِند

(شددنا شدّة الليث)

ومن شعر الحماسة والشجاعة، ما قاله الفند الزماني، وهذا لقبه، أي العظيم الخلقة، واسمه شهل بن شيبان بن زمان، من بني بكر بن وائل. شهد حرب تغلب وبكر، البسوس، وكانت وفاته حوالي ٥٥٠ م. من شعره المشار إليه، قوله:

فلمّا أن أبوا صلحاً ... وفي ذلك خذلان
شددنا شدّة الليث ... عدى والليث غضبان
بضرب فيه تأييم ... وإفجاع وإرنان
وطعن كفم الزقّ ... وهى والزقّ ملآن
وفي العدوان للعدوان ... توهين وإقران
وبعض الحلم يوم الجهل ... للذلّة إذعان
ومن الشرّ نجاة حين ... لا ينجيك إحسان[2]

❖ عبد يغوث

(أنا الليث معدوّاً عليّ وعاديا)

من الشجعان الأبطال عبد يغوث بن وقاص، من بني الحارث. أسرته تيم الرباب يوم الكلاب. له من الشعر الذي ينمّ عن الإقدام والشجاعة والبطولة، قوله:

وقد علمت عرسي مليكة أنّني ... أنا الليث معدوّاً عليّ وعاديا
فيا راكباً إمّا عرضت فبلّغن ... ندامايَ من نجران أنْ لا تلاقيا
فإن تقتلوني تقتلوا بيَ سيّداً ... وإنْ تطلقوني تحربوني بماليا

---

(١) الشعر والشعراء، لابن قتيبة ٢/ ٥٣٣ . دار الثقافة. بيروت ١٩٦٩ م.
والظبات: جمع ظبة، وهي الحدّ للسيف: والنصل. والكماة: الفرسان. والمصلّون: الذين يأتون في إثر السباق.
(٢) الحماسة، لأبي تمام ١/ ٧ .
والتأييم: جعل النساء إيّما، كل واحدة منها. والإرنان: الحزن.

ولو شئت نجتّني من القوم نهدة ... يرى خلفها الجرد الجياد تواليا
ولكنني أحمي ذمار أبيكمُ ... وكاد الرماح يختطفن المحاميا[1]

❖ تأبّط شرّا

(ألا مَن مبلغ فتيان فهمِ)

ومن الشعر النامّ عن البطولة، والشجاعة، ورباطة الجأش، والجرأة في اقتحام المهامه والفلوات، حيث لا أنيس ولا جليس، إلاّ الجنّ والعفاريت والهوامّ والغيلان، شعر تأبّط شرّاً، واسمه ثابت بن جابر بن سفيان.. بن تميم بن سعد.. سمّي تأبّط شراً لأنه، وكما تقول الرواية، كان رأى كبشاً في الصحراء فاحتمله تحت إبطه، فجعل يبول عليه طول طريقه، فلما قرب من الحيّ ثقل عليه الكبش فلم يقلّه، فرمى به فإذا هو الغول، فقال له قومه ما تأبّطت، يا ثابت، قال الغول. قالوا لقد تأبّطت شرّاً، فسمّي بذلك. والمهم أن تأبط شراً، وكان من الشعراء الصعاليك الفتّاك والعدّائين، له في مواجهة الأخطار، وحمله على الغول التي تراءت له في رحى طحان، فحمل عليها، فقتلها، فحملها تحت إبطه وجاء بها إلى أصحابه، له قوله:

ألا من مبلغ فتيان فهم ... بما لاقيت عند رحى بطان
وإني قد لقيت الغول تهوي ... بسهب كالصحيفة صحصحان
فقلت لها كلانا نضو أينٍ ... أخو سفر، فخلّي لي مكاني
فشدّت شدّة نحوي فأهوى ... لها كفيّ بمصقول يمان
فأضربها بلا دهش فخرّت ... صريعاً لليدين وللجران
فقالت عدْ، فقلت لها رويداً ... مكانكَ، إنّني ثبت الجنان
فلم أنفكَ متّكئاً عليها ... لأنظر مصبحاً ماذا أتاني
إذا عينان في رأس قبيح ... كرأس الهرّ، مشقوق اللسان
وساقا مخدج، وشواه كلب ... وثوب من عباء أو شنان[2]

(إذا شدّ منه منخر جاش منخر)

ومن الشعر الدالّ على ثبات جنان تأبّط شرّاً، وحزمه، وصبره على الحدثان، قوله، وهو من جيّد القول:

---

(١) المفضليات ٣٠٤.
والعرس: الزوجة. والنهدة: صفة للفرس. والجرد: صفة للخيل السريعة. والذمار: الشرف.
(٢) الأغاني ١٨/ ٢١٠.
المخدج: التي تضع ولدها قبل تمام نموّه. والشواة: قحف الرأس وجلدته. والشنان: المتفرق. والجنان: القلب. والأين: التعب. والنضو: الهزيل. والصحصحان: ما استوى من الأرض وكان أجرد.

إذا المرء لم يحتل وقد جدّ جدّه ... أضاع وقاسى أمره وهو مدبر
ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلاً ... به الأمر إلاّ وهو للحزم مبصر
فذاك قريع الدهر ما كان حوّلاً ... إذا سُدّ منه منخر جاش منخر[1]

❖ هدبة العذري

(ولكن متى أحملْ على الشرّ أركبِ)

ومن أجزل الشعر في تصوير الثبات ورباطة الجأش، والشجاعة على احتمال الضير، قول هدبة بن خشرمة العذري، نسبة إلى قبيلة عذرة (ت ٥٠ هـ/ ٦٧٠ م)، وهو:

ولست بمفراح إذا الدهر سرّني ... ولا جازع من صرفه المتقلّب
ولا أتمنّى الشرّ، والشرّ تاركي ... ولكن متى أحملْ على الشرّ أركب[2]

❖ علي بن أبي طالب

(ومن المقدور لا يُنجي الحذرْ)

عرف الإمام علي بن أبي طالب بالشجاعة التي لا تعدلها شجاعة، كيف لا، وهو بطل بدر وأحد والأحزاب وخيبر، صاحب ذي الفقار الذي ذبّ به عن وجه الرسول (ﷺ) في الشدائد والملمّات، وإنّ من شعره المعبّر عن رباطة الجأش، والثبات في الروع، قوله كلّ يوم بصفّين، حيث يقف بين الصفّين، ويقول:

أيّ يومَيّ من الموت أفرّ ... يوم لا يقدر، أو يوم قُدر
يوم لا يقدر لا أرهبه ... ومن المقدور لا ينجي الحذر[3]

(ناديت همدان...)

ومن جيّد تصويره لشجاعة همدان وغنائها في الحرب، يوم صفّين، قوله:

ناديت همْدان والأبواب مطبقة ... ومثل همدان سنّى فتحة الباب
كالهندوانيّ لم تفلل مضاربه ... وجه جميل، وقلب غير وجّاب[4]

(إذا قيل قدّمها، حصينٌ، تقدّما)

ومن جيّده أيضاً، ما قاله في شجاعة حصين بن المنذر بن الحرث بن وعلة، كان

---

(١) نفسه ١٨/ ٢١٥ .
والقريع: الغالب في المقارعة والمغالبة.
(٢) معجم الشعراء ٤٨٣ .
والمفراح: الشديد الفرح.
(٣) العقد ١/ ٣٢ .
(٤) نفسه ١/ ٣٧ . والهندواني: صفة للسيف المصنوع بالهند. وتفلل: تتلم. ومضرب السيف: حدّه.

صاحب راية عليّ يوم صفّين، وكان مقداماً بطلاً هماماً:

لمن راية سوداء يخفق ظلّها ... إذا قيل قدّمها، حصينُ، تقدّما
فيوردها في الصفّ حتى يردّها ... حياض المنايا تقطر الموت والدما
جزى الله قوماً قاتلوا في لقائهم ... لدى الرّوع قوماً ما أعزّ وأكرما
وأطيب أخباراً وأفضل شيمة ... إذا كان أصوات الرجال تغمغما[1]

❖ **عبد قيس بن خفاف**

(... ولا تقلْ لم أفعلِ)

من الفرسان الشجعان، عبد قيس بن خفاف البرجمي. له في الشجاعة والصبر على بلاء الحروب، قوله:

وإذا أتتك من العدوّ قوارص ... فاقرص كذاك ولا تقلْ لم أفعل
وإذا لقيت القوم فاضرب فيهمِ ... حتّى يروْك طلاء أجرب مهمل
واستغن ما أغناك ربّك بالغِنى ... وإذا تُصبك خصاصة فتجمّل[2]

❖ **عمرو بن براق**

(وتضرب بالبيض الرقاق الجماجم)

ومن الفتّاك الصعاليك، الفرسان والشجعان، عمرو بن براق الهمذاني. وله في الصعلكة والشجاعة و الأخذ بالثأر، والإغارة، واسترجاع المال عنوة، قوله لامرأته، وكانت نهته عن الإغارة على حريم الهمداني الذي كان أغار على إبل لعمرو، فانتهبها. يقول أبو عمرو:

تقول سليمى لا تعرّض لتلفة ... وليلك عن ليل الصعاليك نائمُ
وكيف ينام الليل من جلّ ماله ... حسان كلوح الملح أبيض صارم
ألم تعلمي أنّ الصعاليك نومهم ... قليل إذا نام الدثور المسالم
إذا الليل أدجى واكفهرّت نجومه ... وصاح من الإفراط هام جوانم
ومال بأصحاب الكرى غالباته ... فإنّي على أمر الغواية حازم
كذبتم وبيت الله لا تأخذونها ... مراغمة ما دام للسيف قائم
كأنّ حريماً إذ رجا أن يضمّها ... ويذهب مالي يا ابنة القوم حالم
متى تجمع القلب الذكيّ وصارماً ... وأنفاً حميّاً تجتنبك المظالم

---

(١) زهر الآداب، للحصري ١/ ٥٢ .
والروع: الهول والحرب. والشيمة: الطبيعة.
(٢) المفضليات، للضبي ٧٥٢ .
والخصاصة: الحاجة والفقر.

ومن يطلب المال الممنّع بالقنا ... يعش ذا غنىً أو تخترمه المخارم
وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم ... فهل أنا في ذا يال همدان ظالم
فلا صلح حتى تعثر الخيل بالقنا ... وتضرب بالبيض الرقاق الجماجم[1]

❖ نضلة السلمي

(ألم تسل الفوارس يوم غول)

ومن وحي يوم غوْل، وكان لضبّة على كلاب، يقول من شعر النجدة والبأس والشجاعة، نضلة السلميّ، وكان حقيراً دميماً:

ألم تسل الفوارس يوم غوْل ... بنضلة وهو موتور مشيح
رأَوه فازدَروه، وهو حرّ ... وينفع أهله الرجل القبيح
فشدّ عليهمُ بالسيف صلتاً ... كما عضّ الشبا الفرس الجموح
فأطلق غلّ صاحبه فأردى ... قتيلاً منهم، ونجا جريح
ولم يخشوْا مصالته عليهم ... وتحت الرغوة اللبن الصريح[2]

❖ قيس بن الخطيم

(وأيّ أخي حرب إذا هي شمّرت)

من الرجال الأشداء، والأبطال الشجعان، أبو يزيد قيس بن الخطيم، واسم الخطيم ثابت، بن عدي بن عمرو بن سواد بن الخزرج... من شعراء المدينة. أدرك الإسلام ولم يسلم. قتل قبل الهجرة بقليل. قتلته الخزرج.

ومن الشعر الدالّ على شجاعته، وثبات جنانه، ونبل مقصده، في هول المعترك، والحرب الضروس، قوله مخاطباً صاحبته:

سلي من نديمي في الندامى ومألفي ... ومن هولي عند الصفاء خدين
وأيّ أخي حرب إذا هي شمّرت ... ومدره خصم بعد ذاك أكون
فذلك ما قد تعلمين وإنّني ... لجلد على ريب الخطوب متين
أبى الذمّ آباء نمتني جدودهم ... ومجدي لمجد الصالحين معين
أمرّ على الباغي ويغلظ جانبي ... وذو القصد أحلو لي له وألين[3]

(ونحن حماة...)

---

(١) الأغاني ٢١/١١٣ - ١١٤ . وتخترم: تأخذ وتنتقص. واخترمته المنية: أصابته وأهلكته.
(٢) الكامل ١/٥٣ .
والمشيح: الحامل الجادّ. والموتور: من لم يأخذ بثأره بعد. وصلتاً: منتضىً. وشبا كلّ شيء: حدّه. والمصالة: من صال، إذا عضّ وشدّ. والصريح: المحض الخالص من كل شيء.
(٣) ديوان قيس بن الخطيم ١٦٦، دار صادر بيروت ١٩٦٧ م.

وقوله يذود عن حياض القبيلة، ويثبت في الميدان حتى ولو كان وحده:

ونحن حماة للعشيرة أينما ... نكنْ لا يبالوا أن يغيبوا ونشهدا[١]

(فلمّا أبوْا أشعلتها كلّ جانب)

وقيس في ركوب الأهوال غير متسرّع، ولا نزق، بل هو يدعو لحقن الدماء، والفوز بالسماحة والسلامة، إلاّ إذا ركب العدوّ رأسه، وأبى إلاّ القتال، فهو له مدافعاً وذائداً وخائضاً غماره. يقول قيس:

دعوت بني عوف لحقن دمائهم ... فلمّا أبوا سامحت في حرب حاطب
وكنت امرءاً لا أبعث الحرب ظالماً ... فلمّا أبوا أشعلتها كلّ جانب
فإن لم يكن عن غاية الموت مدفع ... فأهلاً بها إذ لم تزل في المراحب
أجالدهم يوم الحديقة حاسراً ... كأنّ يدي بالسيف مخراق لاعب[٢]

(لبست من البُردين ثوب المحارب)

ويقول ثانية:

ولمّا رأيت الحرب حرباً تجرّدت ... لبست من البُردَيْن ثوب المحارب
مضاعفة يغشى الأنامل فضلها ... كأنّ قتيريها عيون الجنادب[٣]

(متى يأت هذا الموت...)

وأخيراً فإن من أجود شعر قيس، في البسالة والشجاعة، قوله:

وإنّي في الحرب الضروس موكّل ... بإقدام نفسٍ ما أريد بقاءها
متى يأت هذا الموت لا تبق حاجة ... لنفسيَ إلاّ قد قضيت قضاءها[٤]

❖ الشنفرى

(وعدت كما أبدأت والليل أليل)

من الشجعان الأشدّاء، الشنفرى، أشهر صعاليك العرب، واسمه ثابت بن أوس الأزدي، لقب بالشنفرى لعظم شفتيه. قيل إنه حلف أن يقتل مائة من الأوس، لاستعبادهم إياه، ولما مات، وكانوا تربّصوا له في مضيق ليشرب، فقتلوه وطرحوا رأسه، مرّ به رجل منهم، فضرب الجمجمة بقدمه، فعقرت، فمات منها، فتمّت به المائة.

---

(١) ديوان قيس بن الخطيم ٢٢١ . دار صادر. بيروت. ١٩٦٧ م.
(٢) الديوان ٨٩ . والحديقة: اسم موضع قريب من يثرب كانت فيه وقائع بني الأوس والخزرج.
(٣) الحيوان، للجاحظ ٥/ ٣٤٢ .
(٤) ديوان قيس بن الخطيم ٥٠ .

من أشهر شعره الذي عبّر فيه عن صعلكته وتلصّصه، وعشرته الوحش في البيد، وفتكه، وشدّة بأسه، وشجاعته، وثورته ونقمته، لاميّته التي تعرف بلامية العرب، ومطلعها:

أقيموا بني أمّي صدور مطيّكم ... فإنّي إلى قوم سواكم لأميل

ومن الشعر الدال على شجاعته وجراءته، المنتزع من اللامية تلك قوله:

فلي دونكم أهلون سيد عملّس ... وأرقط زهلول وعرفاء جيأل
وإنّي كفاني فقد من ليس جازياً ... بحسنى، ولا في قربه متعلّل
ثلاثة أصحاب فؤاد مشيّع ... وأبيض إصليت وصفراء عيطل
ولست بمحيار الظلام إذا انتمت ... هدى الهوجل العسّيف يهماء هوجل
وليلة نحس يصطلي القوس ربّها ... وأقطعه اللائي بها يتنبّل
دعست على غطش وبغش وصحبتي ... سعار وإرزيز ووجر وأفكل
فأيّمت نسواناً وأيتمت ولدة ... وعدت كما أبدأت والليل أليل
وأصبح منّي بالغميصاء جالساً ... فريقان مسؤول وآخر يسأل
فقالوا لقد هرّت بليل كلابنا ... فقلنا أذئب عسّ أم عسّ فرعل
فلم تك إلاّ نبأة ثمّ هوّمت ... فقلنا قطاة ريع أم ريع أجدل[1]

❖ **الودّان المازني**

(مقاديم وضالون...)

ومن وحي يوم سفوان، اسم ماء، وكان موضع نزاع بين بني مازن وبني شيبان، وقد اقتتل القوم فيه قتالاً شديداً، وفيه ظهرت بنو تميم على بني شيبان، وذادوهم عنه حتى وردوا المحرث، وكانوا يتواعدون بني مازن قبل ذلك، فقال في ذلك الودّان المازني، وهو قول في غاية الروعة لجهة التعبير عن الشجاعة والإقدام:

رويداً، بني شيبان، بعض وعيدكم ... تلاقوا غداً خيلي على سفوان
تلاقوا جياداً لا تحيد عن الوغى ... إذا الخيل جالت في القنا المتداني
علتها الكماة الغُرّ من آل مازن ... أولات طعان كلّ يوم طعان
تلاقوهم فتعرفوا كيف صبرهم ... على ما جنت فيهم يد الحدثان

---

(١) الأغاني ٢١/ ١٣٦ ـ ١٣٧ .

والنبأة: الصوت. وهرّت: نجت. وعسّ: دار وطاف. والفرعل: ولد الضبع. والأجدل: الصقر. والأليل: الشديد الظلام والسواد. والغطش: الظلام. والبطش: المطر الخفيف. والسعار: حرارة الجوع. والإرزيز: البرد الصفير. والوجر: الخوف. والأفكل: الرعدة. والسيد: الذئب. ومثله العملّس. والأرقط: صفة للنمر. والزهلول: الأملس. والعرفاء: الضبع ذات الشعر في العرف. ومثلها الجيأل. والمتعلّل: ما يتعلّل به. والإصليت: صفة للسيف. والعيطل: القوس.

مقاديم وصّالون في الرّوع خطوهم ... بكلّ رقيق الشفرتين يمان
إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم ... لأيّة حرب أم لأيّ مكان[١]

❖ زاهر بن عبدالله

(لله تيم...)

وما أحسن ما قاله زاهر بن عبدالله بن مالك في تيم بن ثعلبة اليشكري لما شدّ الأول على الثاني فقتله يوم السلى، وهو يوم كان بين بني مازن وبني يشكر. يقول زاهر مصوّراً شجاعة وإقدام تيم:

لله تيم أيّ رمح طراد ... لاقى الحمام وأيّ نصل جواد
ومِحَشّ حرب مقدم متعرّض ... للموت غير معرّد حيّاد[٢]

❖ حاجب بن دينار

(سلي يشكراً عني...)

أما حاجب بن دينار المازني، فقال بالمناسبة عينها شعراً يصوّر البطولة والإقدام والشجاعة والثبات في مواطن الروع أحسن تصوير. يقول:

سلي يَشكراً عنّي وأبناء وائل ... لهازمها طرّاً وجمع الأراقم
ألم تعلمي أنّا إذا الحرب شمّرت ... سمام على أعدائنا في الحلاقم
عتاة قراة في الشتاء مساعر ... حماة كماة كالليوث الضراغم
بأيديهم سُمرٌ من الخطّ لدنة ... وبيض تجلّى عن فراخ الجماجم
أولئك قوم إن فخرت بعزّهم ... فخرت بعزّ في اللهى والغلاصم
هم أنزلوا يوم السلّي عزيزها ... بسمر العوالي والسيوف الصوارم[٣]

❖ ضمرة النهشلي

(ذهب الرماح...)

من الشجعان الشعراء، ضمرة النهشلي. له، من وحي ذات الشقوق، وكان أغار على القوم العدوّ، فقتل منهم من قتل، قوله:

الآن ساغ لي الشراب ولم أكن ... آتي الفجار ولا أشدّ تكلّمي

---

(١) العقد ٣/ ٧٣.
والحدثان: نوازل الدهر وخطوبه.
(٢) نفسه ٣/ ٧٣.
والمحش: الشجاع. ومعرّد: مائل.
(٣) العقد ٣/ ٧٤.
والعتاة: الأشداء. والقراة: الذين يقرون الأضياف ويطعمونهم. ومساعر: أبطال. والسمر: صفة للرماح.

حتى صبحت على الشقوق بعدّة ... كالتمر تنثر في حرير الحرم
وأبأت يوماً بالجفار بمثله ... وأجرت نصفاً من حديث الموسم
ومشت نساء كالنساء عواطلاً ... من بين عارفة النساء وأيّم
ذهب الرماح بزوجها فتركته ... في صدر معتدل القناة مقوّم[1]

❖ آمنة بنت عُيينة

(فلا تلقاه يدّخر النصيبا)

من الشجعان الأبطال ذؤاب بن ربيعة الأشتر، قتل يوم خوّ، بين بني أسد وبني يربوع. ومنهم أيضاً عيينة بن الحرث من شهاب. قالت آمنة، ابنته ترثيه، وتذكّر بخصاله وشجاعته وإقدامه:

على مثل ابن ميّة فانعياه ... بشقّ نواعم البشر الجيوبا
وكان أبي عيينة سمهريّاً ... فلا تلقاه يدّخر النصيبا
ضروباً للكميّ إذا اشمعلّت ... عوان الحرب، لا ورعاً هيوبا[2]

❖ جذل الطعان

(جاءت هوازن...)

ومن القبائل التي عرفت بالشجاعة والصبر على أهوال الطعان، هوازن. لجذل الطعان، يصف شجاعة القوم، قوله:

جاءت هوازن أرسالاً وإخوتها ... بنو سليم فهابوا الموت وانصرفوا
فاستقبلوا بضراب فضّ جمعهم ... مثل الحريق فما عاجوا ولا عطفوا[3]

❖ حاتم الطائي

(تعشفته بالرمح والقوم شهّدي)

فارس من الفرسان، وجواد من الأجواد ذائع الصيت في جوده، وشاعر من شعراء الجاهلية المشاهير، إنه حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي. وإنّ من شعره الجيد في تصوير الشجاعة والإقدام، وعراك الأبطال والفرسان، ومقارعة الأقران، قول حاتم فاخراً:

---

(١) العقد ٣/ ٩٠ .
وساغ: لذّ وطاب. وعواطل: بلا زينة. والأيّم: غير البكر.
(٢) العقد ٣/ ٩١ .
والسمهرية: صفة للرماح. واشمعلت: حميت وثارت. والحرب العوان: الشديدة. والكمي: الفارس المدجج بالسلاح.
(٣) العقد ٣/ ٩٣ .
وعاجوا: مالوا. وفضّ: بدّد.

وخرقٍ كنصل السيف قد رام مصرفي ... تعسّفته بالرمح، والقوم شُهّدي
فخرّ على حرّ الجبين بضربة ... تقطّ صفاقاً عن حشاً غير مسند
فما رمته حتى تركت عويصه ... بقيّة عَرفٍ، يحفز التّرب، مذود
وحتى تركت العائدات يعدنه ... ينادين: لا تبعدْ، وقلت له: ابعد
أطافوا به طوفين ثمّ مشَوْا به ... إلى ذات ألجاف بزخّاء قُردد
ومرقبةٍ دون السماء، طِمرّة ... سبقت طلوع الشمس منها بمُرصد
وسادي بها جفن السلاح وتارة ... على عدواء الجنب غير موسّد[1]

(بنو الحرب نصلاها إذا اشتدّ نورها)

وإنّ من شعر حاتم الذي ينمّ عن البطولة والشجاعة والإقدام، وخوض غمار الحرب، قوله:

وخيلٍ تعادى للطعان شهدتها ... ولو لم أكن فيها لساء عزيرُها
وغمرة موت ليس فيها هوادة ... يكون صدور المشرفيّ جسورها
صبرنا لها في نهكها ومصابها ... بأسيافنا حتى يبوخ سعيرها
وعرجلةٍ شُعث الرؤوس كأنّهم ... بنو الجنّ لم تطبخ بقدرٍ جزورها
شهدت وعوّاناً، أميمة، إننا ... بنو الحرب نصلاها إذا اشتدّ نورها
على مهرة كبداء جرداء ضامرٍ ... أمينٍ شظاها، مطمئنّ نسورها[2]

(فلا تسأليني...)

وإن من شعره البطولي المصوّر للشجاعة والإقدام، قوله:

فلا تسأليني واسألي أيّ فارس ... إذا بادر القوم الكنيف المستّرا
ولا تسأليني واسألي أيّ فارس ... إذا الخيل جالت في قناً قد تكسّرا
أخو الحرب إن عضّت به الحرب عضّها ... وإن شمّرت عن ساقها الحرب شمّرا
وإنّي إذا ما الموت لم يك دونه ... قرى الشبر أحمي الأنف أن أتأخّرا[3]

---

(١) ديوان حاتم ٢٥ . دار الفكر العربي. بيروت ١٩٩٥ .
وعدواء الجنب: صفة للأرض الصعبة. وجفن السلاح: غمده. والزخّاء: المحفّة يحمل عليها الميت. والقردد: ما ارتفع من الأرض وغلظ. والمذود: الشديد الذود والدفاع عن النفس. ويحفز: يدفع. وبقية العرف: ما يعرف به. والعويص: القوة والشدة والحركة. والصفاق: الحاجز بين الصدر والبطن. وتقط: تقطع عرضاً. وحرّ الجبين: ما ظهر منه وبان. وتعسّفته: أحطت به وركبته بالرمح. والخرق: الجريء السيّد من الرجال. ومصرفي: منعي والإحاطة بي.
(٢) نفسه ٣٣ ـ ٣٤ .
والكبداء: الكبيرة، ذات الكبد البارزة، صفة للمهرة. وشظاها: عظم ساقها. والنسور: اللحمة في بطن الحافر. والعرجلة: الجماعة من الرجال. والجزور: الناقة. ويبوخ: يهدأ. وهوادة: لين.
(٣) الديوان ٣٩ . وعضّته الحرب: أنهكته. وشمّرت عن ساقها: كناية عن التهيؤ لها والاستعداد. والكنيف المستر: المكان يستتر به الشخص.

(ويأخذ رايات الطعان بكفّه)

وإنّ منه، أيضاً، قوله:

وكائنْ ترى فينا من ابن سبيّة ... إذا لقي الأبطال يطعنهم شزرا
ويأخذ رايات الطعان بكفّه ... فيوردها بيضاً ويصدرها حمرا[1]

(يا مالِ...)

وإنّ منه:

يا مالِ، إحدى صروف الدهر قد طرقت ... يا مالِ، ما أنتم عنها بنزّاح
يا مالِ، جاءت حياض الموت واردةً ... من بين غمرٍ، فخضناه، وضحضاح[2]

(ويمضي على الأحداث والدهر مقدما)

وإنّ من شعره الذي يصوّر فيه شجاعته، في أيام صعلكتة، قوله:

وليلٍ بهيم قد تسربلت هوله ... إذا الليل بالنكس الضعيف تجهّما
ولن يكسب الصعلوك حمداً ولا غنىً ... إذا هو لم يركب من الأمر معظما
ولله صعلوك يساور همّه ... ويمضي على الأحداث والدهر مقدما
إذا ما رأى يوماً مكارم أعرضت ... تيمّم كبراهنّ ثُمَّتَ صمّما
ترى رمحه أو نبله ومجنّه ... وذا شُطب غضب الضريبة مخذما
وأحناء سرج فاتر ولجامه ... عتاد الفتى هيجا وطِرفاً مسوّما[3]

❖ **الخنساء**

(شهاد أندية، للوتر طلاّبا)

من الأبطال الشجعان، والغطاريف الفرسان، في الجاهلية، صخر بن عمرو بن الحارث، أخو الخنساء، الشاعرة الجاهلية الإسلامية، المخضرمة، قتل صخر يوم ذي الأثل، أو يوم الكلاب، قتله زيد بن ثور الأسدي، وقيل ربيعة بن ثور. فرثته الخنساء وبكته بكاء حارّاً، ولها في رثائه شعر، في غاية الصدق والعاطفة وحرارة الوجدان، وإن منه هذا الشعر الذي تصوّر فيه شجاعته وبطولته، وخوضه غمار الحروب، غير وجل ولا هيّاب. تقول الخنساء:

---

(١) نفسه ٤٠ .
وكائن: كم، للإخبار. وشزرا: بغضب.
(٢) الديوان ١٩ . والغمر: الكثير، بخلاف الضحضاح، وهو القليل. ومالِ: ترخيم مالك. والنزاح: المبتعدون.
(٣) الديوان ٥٧ .
وأضاء السرج: موضع القدمين منه. والنكس: الضعيف الذليل. وتجهّم: عبس. وثمت: ثم، بزيادة التاء وتيمم: قصد.

يعدو به سابح نهد مراكله ... مجلبب بسواد الليل جلبابا
حتى يصبّح أقواماً يحاربهم ... أو يُسلبوا دون صفّ القوم أسلابا
هو الفتى الكامل الحامي حقيقته ... مأوى الضريك إذا ما جاء منتابا
يهدي الرعيل إذا ضاق السبيل بهم ... نهد التليل لصعب الأمر ركّابا
حمّال ألوية، قطّاع أودية ... شهّاد أندية، للوتر طلاّبا
سُمُّ العُداة وفكّاك العُناة إذا ... لاقى الوغى لم يكن للموت هيّابا[1]

(ولا أبصرته الخيل إلاّ اقشعرّت)

ومن شعرها الرثائي الذي تصوّر فيه شجاعة صخر وإقدامه، قولها:

وما كرّ إلاّ كان أوّل طاعنٍ ... ولا أبصرته الخيل إلاّ اقشعرّتِ
فيدرك ثأراً ثمّ لم يُخطه الغنى ... فمثل أخي يوماً به العين قرّت
فإن طلبوا وِتراً بدا بِتِراتهم ... ويصبر يحميهم إذا الخيل ولّت[2]

(ولو ناديته لأتاك يسعى)

ومن الشعر الذي تصوّر فيه الخنساء شجاعة أخيها معاوية، وكان هذا قد قتل في حرب مع بني مرّة، فاعتوره هاشم ودريد ابنا حرملة المرّيّان، فأرديا، تقول الخنساء:

دعوتم عامراً فنبذتموه ... ولم تدعوا معاوية بن عمرو
ولو ناديته لأتاك يسعى ... حثيث الركض أو لأتاك يجري
مُدلاً حين تشتجر العوالي ... ويدرك وتره في كلّ وتر
إذا لاقى المنايا لا يبالي ... أفي يسر أتاه أم بعسر
كمثل الليل مفترش يديه ... جريء الصدر، رئبال سِبَطر[3]

❖ عنترة

(يا لقومي، أنا الشجاع المهيب)

يعدّ عنترة بن شداد العبسي، في الطليعة من الأبطال الشجعان الفرسان الذين أبدوا من ضروب الشجاعة والبطولة والفروسية، ألواناً ليس مثلها عند الآخرين. أحبّ عبلة، ابن عمّه حبّاً ملك عليه فؤاده ولبّه، وما كان ليتزوّج منها إلاّ إذا أبدى من البطولة والشجاعة، ضروباً ما بعدها ضروب، وهذا ما كان، إذ استطاع هذا الأسود، لأنّ أمه

---

(١) ديوان الخنساء ٨ . دار الفكر العربي. بيروت ١٩٩٤ .
العناة: جمع عانٍ، وهو الأسير. والوتر: طلب الثأر من القاتل. والرعيل: الجماعة من الخيل وغيرها تتقدم سواها. والنهد: الضخم، صفة للفرس. والتليل: العنق. وحقيقة الرجل: ما يلزم حفظه والدفاع عنه. والضريك: الفقير البائس.
(٢) ديوان الخنساء ١٧ . والترات. جمع وتر، وهو الأخذ بالثأر. دار الفكر العربي. بيروت. ١٩٩٤ .
(٣) الديوان ٣٦ . والرئبال والسبطر: صفتان من صفات الأسد الجسور.

أمة حبشية، استطاع أن يهزم الأعداء، ويكسر شوكة الأبطال، وضمن النصر لقومه بني عبس في أكثر من موقعة ومعركة ما مكّنه من أن يحوز رضى الجميع، بمن فيهم عبلة وأبو عبلة، وما كان هذا لولا شجاعته التي قلّت نظيراً. وإنّ من شعره هذا البطولي الفائق الشجاعة، قوله مخاطباً عبلة:

سائلي، يا عُبَيل، عنّي خبيرا ... وشجاعاً قد شيّبته الحروب
فسيُنبيكِ أنّ في حدّ سيفي ... ملك الموت حاضر لا يغيب
وسناني بالدّارعين خبير ... فاسأليه عمّا تكون القلوب
كم شجاعٍ دنا إليّ ونادى ... يا لقومي، أنا الشجاع المهيب
ما دعاني إلاّ مَضى يكدم الأرض ... وقد شُقّت عليه الجيوب
ولسُمر القنا إليّ انتساب ... وجوادي إذا دعاني أجيب
يضحك السيف في يدي وينادي ... وله في بنان غيري نحيب
وهو يحمي معي على كلّ قِرنٍ ... مثلما للنسيب يحمي النسيب[1]

(وقد بلي الحديد وما بليت)

وأنّ منه، أي هذا الشعر المصوّر للشجاعة والثبات والبطولة والإقدام، قوله:

خُلقت من الحديد أشدّ قلباً ... وقد بلي الحديد وما بليت
وإنّي قد شربت دم الأعادي ... بأقحاف الرؤوس، وما رويت
وفي الحرب العوانُ ولدت طفلاً ... ومن لبن المعامع قد سُقيت
فما للرمح في جسمي نَصيب ... ولا للسيف في أعضاي قوت[2]

(قفي وانظري...)

وإن من جيد شعر عنترة، وفيه نلحظ ملامح الشجاعة والإقدام، وعدم الخوف من الموت، واقتحام المرديات، قوله مخاطباً عبلة، فاخراً:

ومن ذا يردّ الموت أو يدفع القضا ... وضربته محتومة ليس تعثر
لقد هان عندي الدهر لمّا عرفته ... وإنّي بما تأتي الملمّات أخبر
وليس سباع البرّ مثل ضباعه ... ولا كلّ من خاض العجاجة عنتر
سلي صرف هذا الدهر كم شنّ غارة ... ففرّجتها والموت فيها مشمّر
بصارم عزم لو ضربت بحدّه ... دجى الليل ولّى وهو بالنجم يعثر

---

(١) الديوان ١٥ . دار الفكر العربي. بيروت. ١٩٩٤ .
وسمر القنا: الرماح. والبنان: طرف الإصبع. ويكدم: يضرب. والدارعون: لابسو الدروع.
(٢) نفسه ٢٥ ـ ٢٦ .
وأعضاي: أصلها أعضائي، بحذف الهمزة. والأقحاف: جمع قحف، وهو العظم فوق الدماغ من الجمجمة.

دعوني أجدّ السعي في طلب العلى ... فأدرك سؤلي أو أموت فأعذر
قفي وانظري، يا عبل، فعلي وعايني ... طعاني إذا ثار العجاج المكدّر
تريْ بطلاً يلقى الفوارس ضاحكاً ... ويرجع عنهم وهو أشعث أغبر
ولا ينثني حتّى يخلّي جماجماً ... تمرّ بها ريح الجنوب فتصفر
وأجساد قوم تسكن الطير حولها ... إلى أن يرى وحش الفلاة فينفر[1]

(أنا الموت...)

وإنّ منه، أي شعر الشجاعة والبطولة والإقدام، أيضاً، قوله:

أنا الموت إلاّ أنّني غير صابر ... على أنفس الأبطال والموت يصبر
أنا الأسد الحامي حمى من يلوذ بي ... وفعلي له وصف إلى الدهر يذكر
إذا ما لقيت الموت عمّمت رأسه ... بسيف على شرب الدما يتجوهر
سوادي بياض حين تبدو وشمائلي ... وفعلي على الأنساب يزهى ويفخر
ألا فليعشْ جاري عزيزاً وينثني ... عدوّي ذليلاً نادماً يتحسّر
بني عبسَ سودوا في القبائل وافخروا ... بعبد له فوق السماكين منبر
إذا ما منادي الحيّ نادى أجبته ... وخيل المنايا بالجماجم تعثر
سلي المشرفيّ الهندوانّي في يدي ... يخبّرْك عنّي أنّني أنا عنتر[2]

(دعوني في القتال أمتْ عزيزاً)

ومن رائع شعر الشجاعة والفخار والبطولة، والاعتداد بالنفس لمنعتها، وقوّتها، وثباتها عند الروع، قول عنترة:

دعوني في القتال أمتْ عزيزاً ... فموت العزّ خير من حياة
لعمري ما الفخار بكسب مال ... ولا يُدعى الغنيّ في السّراة
ستذكرني المعامع كلّ وقت ... على طول الحياة إلى الممات
فذاك الذكر يبقى ليس يفنى ... مدى الأيّام في ماضٍ وآت
وإنّي اليوم أحمي عرض قومي ... وأنصر آل عبس على العداة
وآخذ ما لنا منهم بحرب ... تخرّ لها متون الراسيات[3]

---

(١) الديوان ٥٥ ـ ٥٦ .
والملمّات: الشدائد. ومشمّر: مستعدّ. وأشعث: كالح اللون.
(٢) نفسه ٥٦ .
والشمائل: الخلال والصفات الحميدة. والمشرفي الهندواني: صفتان للسيف. والسماكان: نجمان في السماء أحدهما: الرامح والآخر الأعزل.
(٣) الديوان ٢٦ . والمعامع: جمع معمعة، وهي الحرب.

(فذاك الفخر، لا شرف الجدود)

وإن منه أيضاً، هذا الشعر:

سأخرج للبراز خليّ بالٍ ... بقلب قُدّ من زبر الحديد
وأطعن بالقنا حتى يراني ... عدوّي كالشرارة من بعيد
إذا ما الحرب دارت لي رحاها ... وطاب الموت للرجل الشديد
ترى بيضاً تشعشع في لظاها ... قد التصقت بأعضاء الزنود
فأقحمها ولكن مع رجال ... كأنّ قلوبها حجر الصعيد
وخيلٍ عوّدت خوض المنايا ... تشيّب مفرق الطفل الوليد
سأحمل بالأسود على أسود ... وأخضب ساعدي بدم الأسود
فأما القائلون هزبر قوم ... فذاك الفخر، لاشرف الجدود
وأما القائلون قتيل طعن ... فذلك مصرع البطل الجليد[1]

❖ **عروة بن الورد**

(.. وإن يستغن يوماً فاجدر)

ومن أبرز الشعراء الصعاليك الشجعان، عروة بن الورد، الملقب بعروة الصعاليك، له فاخراً بنجدته، وشجاعته وخلقه، قوله:

ولكنّ صعلوكاً صفيحة وجهه ... كضوء شهاب القابس المتنوّرِ
مطلاً على أعدائه يزجرونه ... بساحتهم زجر المنيح المشهّر
إذا بعدوا لا يأمنون اقترابه ... تشوّف أهل الغائب المتنظّر
لذلك إن يلق المنيّة يلقها ... حميداً، وإن يستغن يوماً فأجدر[2]

❖ **عبيد بن الأبرص**

(نحمي حقيقتنا...)

ومن الشعراء الشجعان، الثابتي الرأي والجنان، من ذوي السيادة والبطولة والشان، عبيد بن الأبرص الأسدي، الشاعر الجاهلي، أحد أربعة شعراء هم أصحاب الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية. له من الشعر الذي يعرب فيه عن جراءته وإقدامه وشجاعته، والخطاب أو القول موجّه إلى امرىء القيس، إثر مقتل أبيه، وتهديده بني أسد:

---

(١) نفسه ٤٠ .

والجليد: الشديد الجلد والصبر والقدرة على التحمل. وزبر الحديد: قطعها الضخمة. والهزبر: الأسد الشديد. وقُدّ: صُنع.

(٢) الحماسة ١/ ١٦١ .

والقابس: طالب النار. ومثله المتنور. والمنيح أحد قداح الميسر. لا حظ له من الربح.

يا ذا المخوّفنا بقتل أبيه إذلالاً وحَيْنا
أزعمت أنّك قد قتلت سراتنا كذباً ومينا
إنّا إذا عضّ الثقاف برأس صعدتنا لوينا
نحمي حقيقتنا، وبعض الناس يسقط بين بينا
هلاّ سألت جموع كندة يوم ولّوا أين أينا
أيّام نضرب هامهم ببواترٍ حتى انحنينا
ولقد أبحنا ما حميت، ولا مبيح لما حمينا
لا يبلغ الباني ولو رفع الدعائم، ما بنينا
ولربّ سيّد معشر ضخم الدسيعة قد رمينا
عقبانه بظلال عقبان تتمتم ما نوينا
حتّى تركنا شلوه، جزر السباع وقد مضينا[1]

(حتّى نلفّ ضرامها بضرام)

وإن من شعره الحربي الحماسي، وفيه تصوير للشجاعة التي ما بعدها شجاعة، قوله:

إنّا إذا عضّ الثقاف قناتنا ... حالت ورامت ثَمَّ خير مرام
نحمي حقيقتنا ونمنع جارنا ... ونلفّ بين أرامل الأيتام
ونسير للحرب العوان إذا بدت ... حتى نلفّ ضرامها بضرام[2]

(تحتي مضبرّة...)

وإنّ منه أيضاً، قوله:

هذا ورُبَّتَ حربٍ قد سموت لها ... حتّى شببت لها ناراً بإشعال
تحتي مضبرّة جرداء عجلزة ... كالسهم أرسله من كفّه الغالي
وكبش ملمومة بادٍ نواجذه ... شهباء ذات سرابيل وأبطال
أوجرت جفرته خرصاً فمال به ... كما انثنى مخضد من ناعم الضال[3]

---

(١) الأغاني ١٩/ ٨٥ ـ ٨٦ .
والحيْن: الهلاك. وسراة القوم: أشرافهم. والمين: الكذب. والثقاف: صفة للرماح. وصعدة الرمح: قناته المستقيمة الصلبة. والبواتر: صفة للسوف الماضية. والدسيعة: القدر الكبيرة. والشلو: ما تقطع من الأعضاء. وجزر السباع: نهباً لها ومطعماً.
(٢) الديوان ٤٨ . دار صادر.
والحرب العوان: الشديدة.
(٣) نفسه ١١٠ .
والضال: شجر. والمضبرّة: الفرس المعدّة للقتال. وشهباء: بيضاء. والمخضد: ما ينزل من أثر النبات.

❖ فارعة المريّة

(شهّاد أندية...)

من الشواعر المشهورات فارعة المريّة أخت مسعود بن شداد. الفارس والشجاع، قتلته جرم وهو عطشان. ومن أجود ما قالته الفارعة ترثيه، ترثي الشجاعة والبطولة والنجدة والإقدام، قولها:

يا من رأى بارقاً قد بتّ أرمقه ... جودا على الحرّة السوداء بالوادي
أسقي به قبر من أعنى وحُبّ به ... قبراً إليّ ولو لم يفدهِ فادي
شهّاد أندية، رفّاع أبنية ... شدّاد ألوية، فتّاح أسداد
نحّار راغية، قتّال طاغية ... حلاّل رابية، فكّاك أقياد
قوّال مُحكمة، نقّاض مُبرمة ... فرّاج مُبهمة، حبّاس أوراد
حلاّل مُمرعة، حمّال معضلة ... قرّاع مفظعة، طلاّع أنجاد
جمّاع كلّ خصال الخير قد علموا ... زين القرين وخطل الظالم العادي[1]

❖ خداش بن زهير

(جلبنا الخيل...)

ومن جيّد شعر الجراءة والإقدام والبطولة، والشجاعة النادرة، والصمود والثبات في المواقف الصعبة، شعر خداش بن زهير بن ربيعة، من وحي حرب الفجار، في اليوم المسمّى بيوم سمطة، والشعر هو:

جلبنا الخيل ساهمة إليهم ... عوابس يدّرعن النقع قودا
بأنّا يوم سمطة قد أقمنا ... عمود المجد إنّ له عمودا
فجئنا عارضاً برداً وجئنا ... كما أضرمت في الغاب الوقودا
ونادوا يا لعمرو، لا تفرّوا ... فقلنا لا فرار، ولا صدودا
فعاركنا الكماة وعاركونا ... عراك النّمر عاركت الأسودا
فولّوا نضرب الهامات منهم ... بما انتهكوا المحارم والحدودا
تركنا بطن سمطة من علاء ... كأنّ خلالها حفراً صديدا
ولم أر مثلهم هزموا وفلّوا ... ولا كذيادنا عنقاً مذودا[2]

---

(١) الأغاني ١١/١٦ .

والمبهمة: الشيء العسير. والراغية، صفة للناقة التي ترغو. والحرّة: الأرض النخرة السوداء.

(٢) نفسه ١٩/٧٨ .

والمقصود بعمرو، أعلاه، عمرو بن عامر بن ربيعة. وساهمة: متغيّر لونها من الهزال والقتال. ويدّرعن: يلبسن الدروع. والنقع: غبار الحرب. والسيما: العلامة.

القسم الثاني

في العصرين الأموي والعباسي

❖ عبد العزيز بن زرارة

(ولا تخشّيت من لأوائه جزعا)

ومن جيد شعر الشجاعة، والصبر على المصائب، والأهوال، قول عبد العزيز بن زرارة الكلابي، عمل على مصر لمعاوية، وقوله هو:

غشيت في الدهر أطواراً على طرق ... شتّى فصادفت منه اللين والفظعا
كلاً بلوت فلا النعماء تبطرني ... ولا تخشّيت من لأوائه جزعا
لا يملأ الأمر صدري قبل موقعه ... ولا أضيق به ذرعاً إذا وقعا[1]

❖ ابن عبدل

(كأنّ نفوس القوم في راحهم تجري)

ومن رائع شعر ابن عبدل العنزي، واسمه مزيد، أحد بني محارب... بن عنزة، في البطولة والشجاعة وكان من الخوارج، قوله:

فللّه أيّام أتين بليّةٍ ... علينا بلغن الجهد من كلّ ذي صبر
تردّد فيهنّ المنايا تردّداً ... كأنّ نفوس القوم في راحهم تجري[2]

❖ خلف بن خليفة

(وليدهمُ من أجل هيبته كهل)

ومن أروع ما وصف به خلف بن خليفة، الشاعر المولى، زمن بني أمية، الشجاعة والهيبة والبطولة في بني شيبان، قوله:

عليهم وقار الحلم حتى كأنّهم ... وليدهمُ من أجل هيبته كهلُ
هم الجبل الأعلى إذا ما تناكرت ... ملوك الرجال أو تخاطرت البُزل
ألم تر أنّ القتل غالٍ إذا رضوا ... وإن غضبوا في موطن رخص القتل
إذا طلبوا ذحلاً فلا الذحل فائت ... وإن ظلموا أكفاءهم بطل الذحل[3]

❖ سعد بن ناشب

(ولم يرض إلاّ قائم السيف صاحبا)

ومن الشعراء الشجعان، ذوي الحزم والعزم، سعد بن ناشب المازنيّ التميمي،

---

(١) العقد ٣/ ٩٨ .
واللأواء: الشدّة. وجزعاً: خوفاً.
(٢) المؤتلف ١٦٢ .
والراح: جمع راحة، وهي باطن الكفّ.
(٣) الحماسة ٢/ ٣٦٤ .
والذحل: الثأر.

عاش في صدر الإسلام، وأدرك الدولة الأموية. عرف بأبياته الحماسية التي قالها لمّا أقدم بلال بن أبي بردة على هدم داره، بالبصرة، ثم إحراقها، لدمٍ كان أصابه، يقول سعد:

عليكم بداري فاهدموها فإنّها ... تراث كريم لا يخاف العواقبا
إذا همّ ألقى بين عينية عزمه ... وأعرض عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشر في رأيه غير نفسه ... ولم يرض إلاّ قائم السيف صاحبا
سأغسل عنّي العار بالسيف جالباً ... عليّ قضاء الله ما كان جالبا
وأُذهل عن داري وأجعل هدمها ... لعرضي من باقي المذمّة حاجبا
ويصغر في عيني تلادي إذا انثنت ... يميني بإدراك الذي كنت طالبا[1]

(وفي اللين ضعف...)

ومن شعره الحماسي الآخر، وفيه من الشجاعة، بل من الشراسة والغلظة، والخشونة، ما فيه، قوله:

تفنّدني في ما ترى من شراستي ... وشدّة نفسي أمّ سعد وما تدري
فقلت لها إنّ الكريم، وإن حلا ... ليُلفى على حال أمرّ من الصبر
وفي اللين ضعف، والشراسة هيبة ... ومن لم يهب يُحمل على مركب وعر[2]

❖ المفضّل بن المهلّب

(هل الجود إلاّ أن نجود بأنفسٍ)

ومن الشعر الذي يصف الشجاعة والنجدة، شعر المفضل بن المهلّب بن أبي صفرة، وهو:

هل الجود إلاّ أن نجود بأنفسٍ ... على كلّ ماضي الشفرتين قضيب
وما خير عيش بعد قتل محمّد ... وبعد يزيد والحرون حبيب
ومن هرّ أطراف القنا خشية الردى ... فليس لمجدٍ صالح بكسوب
وما هي إلاّ رقدة تورث العلى ... لرهطك ما حنّت روائم نيب[3]

---

(١) الكامل ١/ ١٢١ .
والتراث: المال. والتلاد: المال المستحدث.
(٢) الحماسة ١/ ٢٧١ .
ونفنّدني: تكذّبني.
(٣) الكامل ١/ ١٨١ .
وهرّ: كره. والردي: الهلاك. والحرون: صفة لحبيب بن المهلّب، فهو لا يديم مكانه.

❖ أعشى همدان

(أتسربل الليل البهيم...)

من الشعراء الشجعان الذين يثبتون في القتال، ولا يملّون الكفاح، أعشى همدان، الشاعر الأموي، واسمه عبدالرحمن بن عبدالله بن الحرث. غزا بلاد الديلم أيام الحجاج. ومن شعره البطولي الشجاع قوله:

ولقد تضرّسني الحروب وإنّني ... ألفى بكلّ مخوفة أتعسّف
أتسربل الليل البهيم وأشتدي ... في الخبت إذ لا يشتدون وأوجف
ما أن أزال مقنّعاً أو حاسراً ... سلف الكتيبة والكتيبة وُقّف
فأصابني قوم فكنت أصيبهم ... فالآن أصبر للزمان وأعرف[1]

(وإذا دعا لعظيمة...)

وممّا قاله الأعشى في ابن الأشعث محرّضاً ومتغنياً بالشجاعة والبطولة اللتين أبداهما ابن الأشعث وقومه في وجه الحجاج، قوله:

قرم إذا سامى القروم ترى له ... أعراق مجد طارف وتليد
وإذا دعا لعظيمة حشدت له ... همدان تحت لوائه معقود
يمشون في حلق الحديد كأنّهم ... أسد الإباء سمعن زأر أسود
وإذا دعوت بآل كندة أجفلوا ... بكهول صدق سيدّ ومسود
وشباب مأسدة كأنّ سيوفهم ... في كلّ ملحمة بروق رعود[2]

❖ جميل بن معمر

(هم منعوا...)

ومن الشعر الذي يتغنّى فيه صاحبه بالبطولة والشجاعة، والصبر على القتال، قول جميل بن عبدالله بن معمر، المعروف بجميل بثينة، أحد أبرز شعراء الغزل العذري، في العصر الأموي (ت ٧٠١ م) في شجاعة بني جذام، أخوال الشاعر، وهو:

جذام سيوف الله في كلّ موطن ... إذا أزمت يوم اللقاء أزام
همُ منعوا ما بين مصر فذي القرى ... إلى الشام من حلّ به وحرام
بضرب يزيل الهام عن سكناته ... وطعن كإيزاغ المخاض تؤام

---

(١) الأغاني ٥/ ١٤٠ .
وأتعسّف: أمشي على غير هدى. والبهيم: الشديد السواد. والخبت: ما اتسع واطمأنّ من الأرض.
(٢) الأغاني ٥/ ١٤٥ .
والطارف: المال المكتسب حديثاً، بخلاف التليد.

إذا قصرت يوماً أكفّ قبيلة عن المجد نالته أكفّ جذام[١]

❖ جحدر

(يا جُملُ...)

من عجيب نوادر الشجاعة وغريبها، ما حدّثوا به عن جحدر بن مالك، الفاتك والشجاع والشاعر، كان في بلاد اليمامة زمن الحجاج. وكان الحجاج قد حُدّث بشجاعة جحدر، فأمر بإحضاره من اليمامة، فحضر، فأمر الحجاج بقبّة فيها أسدٌ ضارٍ، وقال لجحدر إنا قاذفوك في قبّة فيها أسد، فإن قتلك كفانا مؤونتك، وإن قتلته خلّيناك ووصلناك. فمشى جحدر إلى الأسد، فتلقّاه بالسيف، فضرب هامته، ففلقها، وسقط الأسد كأنه خيمة قوّضتها الريح. وفي ذلك يقول جحدر:

يا جُملُ إنّك لو رأيتِ بسالتي في يوم هيجٍ مردفٍ وعجاجِ
وتقدّمي للّيث أرسف نحوه حتّى أكابده على الإحراج
جهم كأنّ جبينه لمّا بدا طبق الرحى متفجّر الأثباج
يرنو بناظرتين تحسب أنّهما من ظنّ خالهما شعاع سراج
شثنٌ براثنه كأنّ نيوبه زرق المعاول أو شذاة زجاج
وكأنّما خيطت عليه عباءة برقاء أو خلقٌ من الديباج
قرنان محتضران قد ربتهما أمّ المنيّة غير ذات نتاج
وعلمتُ إنّي إن إبيتُ نزاله إنّي من الحجّاج لستُ بناج
فمشيت أرسف في الحديد مكبّلاً بالموت نفسي عند ذاك أناجي
والناس منهم شامت وعصابة عبراتهم لي بالحلوق شواجي
ففلقت هامته فخرّ مكانه أطُمّ تقوّض مائل الأبراج
ثمّ انثنيت وفي قميصي شاهد ممّا جرى من شاخب الأوداج[٢]

❖ ابن حبناء

(دعي اللوم...)

ومن شجعان الخوارج، وفرسانها، وأبطالها، ابن حبناء، وكان من غلاة الخوارج، ومن أتباع نافع بن الأزرق، يقول مخاطباً أم عاصم، فاخراً بشجاعته، واندفاعه المفرط في سبيل معتقده:

---

(١) الأغاني ٧/ ٩٥ .
والإيزاغ: الإيلاج. والهام: الرؤوس، جمع هامة.
(٢) المحاسن والأضداد، للجاحظ ٦٠ ـ ٦١ دار صعب بيروت ١٩٦٩ .
والأوداج: العروق في الرقبة. والأطم: القصر. وهامته: أعلى رأسه. وشواج: حزينة. والديباج: الحرير والشذاة: القطعة. وشثن: خشنة. والعجاج: غبار الحرب.

دعي اللّوم إنّ العيش ليس بدائم ... ولا تعجلي باللوم يا أمّ حاتم
ولا تعذليني في الهديّةِ إنّما ... تكون الهدايا من فضول المغانم
فليس بمُهدٍ من يكون نهاره ... جلاداً، ويُمسي ليله غير نائم
يريد ثواب الله يوماً بطعنةٍ ... غموسٍ كشدق العنبريّ بن سالم
أبيت وسربالي دلاص حصينة ... ومغفرها والسيف فوق الحيازم
لقد كان في القوم الذين لقيتهم ... بسابور شغلٌ عن بروز اللطائم
تؤقد في أيديهمِ زاعبيّة ... ومرهفة تفري شؤون الجماجم[1]

❖ أبو النشناش

(وسائلةٍ...)

من الشعراء الصعاليك، وهم جماعة الشذّاذ واللصوص، والذين ثاروا على مجتمعهم، أو هم الذين نبذهم المجتمع، فكانوا يقطعون الطرق، ويغيرون على القوافل، وقد يقتسمون ما يغنمون، وقد يقسّمونه على المحرومين والمعوزين.. من هؤلاء نذكر أبا النشناش، أحد لصوص بني تميم، وكان يعترض القوافل في شذّاذ من العرب، بين طريق الحجاز والشام، فيجتاحها. وله من الشعر الذي يعبّر فيه عن معاناته، ويعرب فيه عن مذهبه في التلصّص والصعلكة، قوله الذي ينمّ عن شجاعة ما بعدها شجاعة، وجرأة قلّما تعادلها أخرى:

وسائلة أين ارتحالي، وسائلٍ ... ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبُهْ
مذاهبه أنّ الفجاج عريضة ... إذا ضنّ عنه بالنوال أقاربه
إذا المرء لم يسرح سواماً ولم يرح ... سواماً، ولم يبسط له الوجه صاحبه
فللموت خير للفتى من قعوده ... عديماً، ومن مولى تعاف مشاربه
ودوّيّةٍ قفر يحاربها القطا ... سرت بأبي النشناش فيها ركائبه
ليدرك ثأراً، أو ليكسب مغنماً ... ألا إنّ هذا الدهر تترى عجائبه
فلم أر مثل الفقر ضاجعه الفتى ... ولا كسواد الليل أخفق طالبه
فعش معدماً أو مت كريماً فإنّني ... أرى الموت لا يبقي على من يطالبه[2]

---

(١) الكامل في اللغة، للمبرد ١/ ٢٩٩ .
وسابور: اسم مدينة بفارس. وزاعبية: صفة للرمح المنسوبة إلى زاغب. والغموس: الواسعة. والدلاص: الدرع، ومثلها المغفر. والحيازم: الصدور.
(٢) الأغاني ١١/ ٤٣ .
والسوام: الماشية. ويرح: يغنم. والدويّة: الأرض القفر الفلاة.

❖ شبيب بن البرصاء

(إذا المرء لم يغش المكاره...)

ومن الشجعان الفصحاء، في الدولة الأموية، شبيب بن البرصاء، والبرصاء اسم أمّه، أما أبوه فهو يزيد بن جبرة... بن سعد بن ذبيان. عرف بحدّة ذكائه، وسلاطة لسانه. له من شعر الشجاعة والإقدام، والنجدة والمروءة، قوله، وكان عبد الملك بن مروان يتمثل به في بذل النفس عند اللقاء، ويعجب به:

دعانيَ حصنٌ للفرار فساءني ... مواطن أن تثني عليّ فأشتما
فقلت لحصن نحّ نفسك إنّما ... يذود الفتى عن حوضه أن يهدّما
تأخّرت أستبقي الحياة فلم أجد ... لنفسي حياة مثل أن أتقدّما
سيكفيك أطراف الأسنّة فارس ... إذا ريع نادى بالجواد وبالحمى
إذا المرء لم يغش المكاره أوشكت ... حبال الهوينا بالفتى أن تجذّما[1]

❖ مالك بن الريب

(خذها...)

ومن الشعر الذي يعبّر فيه الشاعر عن جرأته وشجاعته، ما قاله مالك بن الريب، أحد شعراء الدولة الأموية، وكان من الفتّاك اللصوص، نشأ في بادية بني تميم بالبصرة، وكان قد صحب الوحش في الفلوات، وأنس بكلّ ما هو غريب من بني البشر. يقول مالك، وكان قد نام متوشّحاً بالسيف، إذ بشيء قد جثم عليه، لا يدري ما هو، فانتفض به مالك فسقط عنه، ثم انتحى له بالسيف فقدّه نصفين، ثم نظر إليه فإذا هو رجل أسود كان يقطع الطريق في تلك الناحية، فقال مالك في ذلك، معرباً عن جراءته وشجاعته:

أدلجت في مهمهٍ ما أن أرى أحداً ... حتى إذا حان تعريس لمن نزلا
وضعت جنبي وقلت الله يكلؤني ... مهما تنم عنك من ليل فما غفلا
والسيف بيني وبين الثوب مشعرة ... أخشى الحوادث إنّي لم أكن وكلا
ما نمت إلاّ قليلاً نمته شئزاً ... حتى وجدت على جثماني الثقلا
داهية من دواهي الليل بيّتني ... مجاهداً يبتغي نفسي وما ختلا
أهويت نفحاً له والليل ساتره ... الا توخّيته والجرس فانخذلا
لمّا ثنى الله عنّي شرّ عدوته ... رقدت لامثبتاً ذعراً ولا بعلا
أما ترى الدار قفراً لا أنيس بها ... إلاّ الوحوش وأمسى أهلها احتملا
وقد تقول وما تخفي لجارتها ... إنّي أرى مالك بن الريب قد نحلا

---

(١) نفسه ١١/ ٩٤ .
وتجذّم: تقطع. وريع: خوّف وصيح به.

من يشهد الحرب يصلاها ويسعرها تراه ممّا كسته شاحباً وجلا
خذها وإنّي لضرّاب إذا اختلفت أيدي الرجال بضرب يختل البطلا[١]

(ولكنّني مستوحد العزم...)

ومن شعره الآخر المعبّر عن شجاعته وإقدامه، قوله ثانية:

وما أنا بالنائي الحفيظة في الوغى ولا الملتقي في السلم جرّ الجرائم
ولا المتأنّي في العواقب للذي أهمّ به من فاتكات العزائم
ولكنّني مستوحد العزم مِقدم على غمرات الحادث المتفاقم
قليل اختلاف الرأي، في الحرب باسل جميع الفؤاد عند حلّ العظائم[٢]

❖ **هلال بن أسعر**

(فتى الفتيان...)

من الرجال المعدودين الأشدّاء العظيمي الخلق، والفرسان والشجعان، من ذوي الشدة والبطش، ومن أعظمهم بلاء وغناء في الحرب، هلال بن مسعر بن خالد بن الأرقم... بن تميم، الشاعر الأموي، له في المغيرة بن قنبر، ولا يقلّ هذا عن الشاعر فتوّة ونجدة وشجاعة وفروسية، له قوله يرثيه، وهو من جيّد القول:

فتى الفتيان فارس كلّ حرب إذا شالت وقد رفع اللواء
هزبر تنجلي الغمرات عنه نقيّ العرض همّته العلاء
إذا شهد الكريهة خاض منها بحوراً لا تكدّرها الدلاء
جسور لا يروّع عند روع ولا يثني عزيمته ارتقاء[٣]

(جسور على الأمر المهيب...)

هذا في شجاعة المغيرة، أما شجاعة هلال، نفسه، فهاك ما يقوله مخاطباً بني مازن، لمّا طردوه لجريرة ارتكبها. وهو من جيد شعر الحماسة والشجاعة والفخر:

وإني وإن وجدتموني لحافظ لكم حفظ راضٍ عنكم غير موجد
سيحمى حماكم بي وإن كنت غائباً أغرّ إذا ما ريع لم يتبلّد
وتعلم بكر أنّكم حيث كنتم وكنت من الأرض الغريبة محتدي
وإنّي ثقيل حيث كنت على العدا وإنّي وإن أوحدت لست بأوحد

---

(١) الأغاني ١٩/ ١٦٥ .
والمهمه: الأرض الدوّ الفلاة. والتعريس: زمان المكوث ليلاً. ويكلؤني: يحفظني. وشثزاً: خشناً وعسراً.
(٢) نفسه ١٩/ ١٦٦ .
(٣) الأغاني ٢/ ١٧٦ . وشالت: بدأت. وهزبر: أسد. والكريهة: الحرب. والدلاء: جمع دلو، وهو ما يغرف به الماء من البئر.

وإنّهم لمّا أرادوا هضيمتي ... منوا بجميع القلب عضب مهنّد
حسام متى يعزم على الأمر يأته ... ولم يتوقّف للعواقب في غد
وربّ حمى قوم أبحث ومورد ... وردت بفتيان الصباح ومورد
وسجف دجوجيّ من الليل حالك ... رفعت بعجلي الرجل موّارة اليد
جسور على الأمر المهيب إذا ونا ... أخو الفتك ركّاب قري المتهدّد[1]

❖ ثابت قطنة

(فإنّي امرؤ...)

ومن الشعراء الفرسان الشجعان، ثابت بن كعب، وقيل ابن عبدالرحمن بن كعب، المعروف بثابت قطنة. لقب بهذا اللقب لأنّ سهماً أصابه في إحدى عينيه، فذهب بها في بعض حروب الترك، فكان يجعل عليها قطنة. ومن شعر ثابت في الشجاعة والكرّ والإقدام، وعدم مبالاته بالموت، قوله مخاطباً يزيد بن المهلب:

وقل لي إذا ما شئت في حومة الوغى ... تقدّم أو اركب حومة الموت أركب
فإنّي امرؤ من عصبة مازنيّة ... نماني أب ضخم كريم المراكب[2]

(لا خير في العيش...)

وقوله أيضاً مخاطباً هند بنت المفضل بن المهلّب، لما قتل أبوها:

ما زلت بعدك في همّ تجيش به ... نفسي، وفي نصب قد كاد يسليني
إني تذكّرت فعلي لو شهدتهمُ ... في حومة الموت لم يصلوا بها دوني
لا خير في العيش إن لم أجن بعدهمُ ... حرباً تبيء بهم قتلى فيشفوني[3]

❖ ليلى الأخيليّة

(شجاع لدى الهيجاء...)

ومن الشعر الذي فيه تصوير للشجاعة في الهيجاء، والسرعة في المضاء، شعر ليلى الأخيلية (ت حوالي ٧٠٤ م) في من قرن اسمه باسمها، في الحب والوفاء، عنيت توبة بن الحميّر، أحد أشهر عشاق العرب، وشجعانها وفرسانها.

تقول الرواية إن مروان بن الحكم، قال لليلى لما دخلت عليه بعد وفاة توبة، فقال

---

(١) نفسه ٢/ ١٨٠ .
وأوجدتموني: أغضبتموني. وأغرّ: أبيض الجبين، كناية عن الرفعة والسيادة. والمحتد: الأصل. والهضيمة: الظلم. والعضب: صفة للسيف، ومثله المهند. والسجف: الستر. ودجوجي: حالك.
(٢) الأغاني ١٣/ ٤٨ .
(٣) نفسه ١٣/ ٥٢ .
ويصلوا: يحترقوا.

لها ويحك، يا ليلى، بالغت في نعت توبة، فقالت أصلح الله الأمير، والله، ما قلت إلاّ حقّاً. ولقد قصرت، وما رأيت رجلاً قط، كان أربط على الموت جأشاً، ولا أقلّ إيحاشاً، يحتدم حين يرى باب الحرب، ويحمى الوطيس بالطعن والضرب . كان، والله، كما قلت. أما قولها فيه، شجاعته، وإقدامه، فهو:

فتىً لم يزل يزداد خيراً لدن مشى ... إلى أن علاه الشيب فوق المسايحِ
تراه إذا ما الموت حلّ بورده ... ضروباً على أقرانه بالصفائحِ
شجاع لدى الهيجاء، ثبت مشايح ... إذا انحاز عن أقرانه كلّ سابح
فعاش حميداً لا ذميماً فعاله ... وصولاً لقرباه يُرى، غير كالح

فقال لها مروان كيف يكون توبة على ما تقولين، وكان حاربا الحارب، سارق الإبل خاصة. فقالت، والله، ما كان حارباً، ولا للموت هائباً، ولكنه كان فتى له جاهلية. ولو طال عمره، وأنسأه الموت لارعوى قلبه، ولقضى في حبّ الله نحبه، وأقصر عن لهوه[١].

❖ عمّ توبة

(فللّه قوم...)

ومن جيد شعر تصوير البطولة والشجاعة والإقدام، شعر مسلم بن الوليد، عمّ توبة بن الحميّر، صاحب ليلى الأخيلية. قاله في توبة، وهو:

فللّه قوم غادروا ابن حميّر ... قتيلاً سريعاً للسيوف البواتر
لقد غادروا حزماً وعزماً ونائلاً ... وصبراً على اليوم العباس القماطر
إذا هاب ورد الموت كلّ غضنفر ... عظيم الحوايا لبّه غير حاضر
مضى قدماً حتى تلاقي ورده ... وجاد بسيب في السنين القواشر[٢]

وبالمناسبة، فلقد استشهدت ليلى، صاحبة توبة، بهذا الشعر، لما دخلت على مروان الحكم، وعيّرها بتوبة، فلما سمع مروان هذا الشعر، وكان سمع قبله شعراً في توبة، لليلى نفسها، قال يا ليلى، أعوذ بالله من درك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء. فلقد مات توبة، وإن كان من فتيان العرب وأشدّائهم. ولكنه أدركه الشقاء، فهلك على أحوال الجاهلية، وترك لقومه عداوة. ثم إن مروان بعث إلى أناس من عقيل فقال والله، لئن بلغني عنكم أمر أكرهه من جهة توبة لأصلبنّكم على جذوع النخل. إيّاكم ودعوى الجاهلية، فإنّ الله قد جاء بالإسلام. وهدم ذلك كلّه[٣].

---

(١) زهر الآداب ٣/ ٢٦٤ .
(٢) زهر الآداب ٣/ ٢٦٥ .
(٣) نفسه ٣/ ٢٦٥ .

❖ يزيد المهلّبي

(فإن كريه الموت عذب مذاقه)

ومن الشعراء الشجعان الخائضين غمار الردى، يزيد بن المهلّب، كنيته أبو خالد، ابن محمد، أمير البصرة المشهور. شهد حرب الخوارج، وبطش المهلّب بهم، وهزيمتهم إلى الفرات، ثم إلى الأهواز، ثم إلى كرمان. من شعره البطولي، هذا، وفيه من الشجاعة، ورباطة الجأش، والصبر على المكاره، ما فيه:

سقى الله مصراً خفّ أهلوه من مصرِ ... وما الذي يبقى على عُقَب الدهر
ولو كنت فيه إذ أُبيح حريمُه ... لمتّ كريماً، أو صدرت على عذر
أبيح فلم أملك له غير عبرة ... تهيب بها أن حاردت لوعة الصدر
ونحن رددنا أهلها إذ ترحّلوا ... وقد نُظمت خيل الأزارق بالجسر
ومن يخشى أطراف المنايا فإنّنا ... لبسنا لهنّ السابغات من الصبر
فإنّ كريه الموت عذب مذاقه ... إذا ما مزجناه بطيب من الذكر
وما رُزق الإنسان مثل منيّة ... أراحت من الدنيا، ولم تُخز في القبر[1]

❖ جامع المحاربي

(وللحرب سُمّينا...)

وثمة بيت من الشعر اختصر فيه الشجاعة صاحبه، وهو جامع المحاربي، من محارب، وكان شيخاً صالحاً، وخطيباً لسناً، وعظ الحجاج أكثر من مرّة، والبيت هو التالي، قاله للحجاج لما غضب عليه وقال له: إنك من محارب، فقال جامع:

وللحرب سُمّينا، وكنّا محارباً ... إذا ما القنا أمسى من الطعن أحمرا[2]

تقول الرواية إن جامعاً لما قال هذا للحجاج، قال الحجاج لقد هممت بأن أخلع لسانك، فأضرب به وجهك. قال جامع إن صدقناك أعضبناك، وإن غششناك أغضبنا الله، فغضب الأمير أهون علينا، والله، من غضب الله.

❖ ضبّيّ

(أمضى من النجم...)

ومن جيّد شعر الحماسة والشجاعة، والمضاء قدماً في مواجهة الصعاب والفرسان، قول ذلك الضبّي الأعرابي، وهو:

---

(١) الكامل ٢/ ١٣٨ .

وصدرت: رجعت من الماء وارداً. وحاردت: أمسكت. والأزارق: هم الخوارج الأزارقة أتباع نافع بن الأزرق. والسابغات: الدروع.

(٢) الجاحظ البيان والتبيين ٢/ ٢٨٢ . دار صعب. بيروت ١٩٦٨ .

إذا سألت الورى عن كلّ مكرمة ... لم يُعز أكرمها إلاّ إلى الهول
الموت يكره أن يلقى منيّته ... في كرّه عند لفّ الخيل بالخيل
لوزاحم الشمس أبقى الشمس كاسفة ... أو زاحم الصمّ ألجاها إلى الميل
أمضى من النجم إن نابته نائبة ... وعند أعدائه أجرى من السيل[1]

❖ العنبريّ

(وللجنّ منه شكله وشمائله)

ومن شعراء الشجاعة، والجراءة، والإقدام، والضرب في الفلوات، عبيد بن أيّوب العنبري، أحد لصوص بني سعد وصعاليكها، صحب الوحش في القفار، كما صحب الغول والجنّ والسعلاة، والحيّات. يقول عبيد مصوّراً وحشته وبلاءه وجسارته:

فإنّي وتركي الإنس من بعد حبّهم ... وصبريَ عمّن كنت ما إن أزايلُهْ
لكالصقر جلّى بعد ما صاد فتية ... قديراً ومشويّاً عبيطاً خرادله
أهابوا به فازداد بعداً وصدّه ... عن القرب منهم ضوء برقٍ ووابله
ألم ترني صاحبت صفراء نبعة ... لها ربذيّ لم تُفلّل معابله
وطال احتضاني السيف حتى كأنّما ... يُلاط بكشحي جفنه وحمائله
أخو فلواتٍ صاحب الجنّ وانتحى ... عن الإنس حتّى قد تقضّت وسائله
له نسب الإنسيّ يُعرف نجره ... وللجنّ منه شكله وشمائله[2]

❖ قطري بن الفجاءة

(فصبراً في مجال الموت صبراً)

ومن أبلغ الشعر المعبّر عن الشجاعة والإقدام، والاستهانة بالموت، والثبات في الروع، ما قاله قطري بن الفجاءة، شاعر الخوارج الأول، قتل يوم دولاب الذي كان بين الخوارج والأحنف بن قيس، زمن الحجاج، حوالي سنة ٨٠ هـ/ ٦٩٩ م، أما قوله فهو:

أقول لها وقد طارت شعاعاً ... من الأبطال ويحكِ لن تراعي
فإنّك لو سألت بقاء يوم ... على الأجل الذي لكِ لن تطاعي
فصبراً في مجال الموت صبراً ... فما نيل الخلود بمستطاع[3]

---

(١) زهر الآداب ١/ ٣٤٩ . والورى: الخلق والناس. ويعز: ينسب. والنائبة: المصيبة.
(٢) الكامل ١/ ٢٠٠ .
وإنْ، في البيت الأول زائدة. وقوله كالصقر جلّ: أن أحسّ شيئاً فتشوّف إليه ونظر. وقديراً: مطبوخاً في القدر. وعبيطاً: طريّاً. والخرادل: القطع من اللحم. والوابل: المطر الشديد. والنبع: ضرب من الشجر تتخذ منه القسيّ. وصفراء: صفة للقوس. والربذيّ: الوتر الشديد الحركة.
ونجره: أصله. وشمائله: صفاته وطباعه. والكشح: الجانب. ويلاط: يتصل. وحمائل السيف: رباطه.
(٣) الحماسة ١/ ٢٤ .

(فلقد أراني للرماح دريئة)

وهو القائل أيضاً معرباً عن شجاعته وإقدامه:

لا يركننّ فتىً إلى الإحجام ... يوم الوغى متهيّباً لحمام
فلقد أراني للرماح دريئة ... من عن يميني تارة وأمامي
حتّى خضبت بما تحدّر من دمي ... أكناف سرجي أو عنان لجامي
ثمّ انصرفت وقد أصبت ولم أصب ... جذع البصيرة قادح الإقدام[1]

❖ **جرير**

(دعوا بعد كرب يا عمير بن طارق)

ومن جيّد شعر جرير بن الخطفى، الشاعر الأموي المشهور، قاله من وحي يوم ذي طلوح، وكان لبني يربوع على بكر، قوله لما أسر سويد بن الحوفزان، وأسود وفلحس، من بني سعد بن همام. فقال جرير ذاكراً ذلك اليوم:

ولمّا لقينا خيل أبجر يدّعي ... بدعوى لجيم قبل ميل العواتق
صبرنا وكان الصبر منّا سجيّة ... بأسيافنا تحت الظلال الخوافق
فلمّا رأوا أن لا هوادة عندنا ... دعوا بعد كربٍ يا عمير بن طارق[2]

❖ **الفرزدق**

(يغشون جامات المنون...)

ومن شعر الحماسة والفخر والبطولة والشجاعة، الشعر الذي قاله الفرزدق لابنه فراس، وهو:

وهمُ إذا كسروا الجفون أكارم ... صُبُرٌ وحين تُحلّل الأزرارُ
يغشون جامات المنون وإنّها ... في الله عند نفوسهم لصغار[3]

❖ **بعضهم**

(ففي بأسه شطر..)

وما أحسن ما قاله ذلك الشاعر في أحد الأجواد الشجعان، وهو:

فتىً دهره شطران فيما ينوبهُ ... ففي بأسه شطر وفي جوده شطرُ

---

(١) زهر الآداب ٣/ ٣٦١ . والدريئة: الترس، والهدف، يتّقى به عند الطعان.
(٢) العقد ٣/ ٧٠ . والسجيّة: الطبيعة. ولا هواداة: لا تراجع ولا لين.
(٣) نفسه ١/ ٣٦ .
والجامات: جمع جامة، وهي الحوض والقِدر الكبيرة.

فلا من بُغاة الخير في عينه قذىً ولا من زئير الحرب في أُذْنه وقر[١]

❖ ذو الرمّة

(.. ولكن هيبة هي ما هيا)

ومن جيد الشعر في تصوير الشجاعة والمهابة، شعر أبي الحارث، غيلان بن عقبة، الملقب بذي الرمّة، أحد أشهر شعراء العشق في الدولة الأموية (ت ١١٧ هـ/ ٧٣٦ م)، يقول ذو الرمّة في مدح مهابة وشجاعة بلال بن أبي بردة:

وما كنتُ مذ أبصرتِني في خصومة أراجع فيها يا ابنة الخير قاضيا
ولكنّني أقبلت من جانبيْ قساً أزور فتىً نجداً كريماً يمانيا
من آل أبي موسى ترى القوم حوله كأنّهم الكِروان أبصرن بازيا
مرِمّين من ليثٍ عليه مهابة تفادى أسود الغاب منه تفاديا
وما الخُرق منه يرهبون ولا الخنى عليهم، ولكن هيبة هي ما هيا[٢]

❖ المعذّل

(جزى الله...)

ومن الشعر الذي يصوّر فيه صاحبه الشجاعة والإقدام، والثبات عند اللقاء، وعدم الجزع من الموت، شعر المعذّل البكري، كنيته أبو عبدالله، كان كفل دياته النهسل بن ربيعة العتكي، وهو شعر قاله في قوم البيهس بن ربيعة العتكي، وهو التالي:

جزى الله فتيان العتيك، وإن نأت بي الدار عنهم خير ما كنت جازيا
هم خلطوني بالنفوس وأحسنوا الصحابة لمّا حُمّ ما كان آتيا
متاعهمُ فوضى قضا في رحالهم ولا يحسنون الشرّ إلاّ تباديا
كأنّ دنانيراً على قسماتهم إذا الموت في الأبطال كان تحاميا[٣]

❖ أبو زياد الأعرابي

(ثلاث خلالٍ...)

من اللصوص المساعير، والفتاك الشجعان، أبو زياد الأعرابي، له في هذا المعنى قوله:

ثلاث خلال لست عنهنّ تائباً وإن لامني فيهنّ كلّ خليل

---

(١) زهر الآداب ٣/ ٢٣٤ . والوقر: السدّادة. والقذى: ما يصيب العين من غبار وغيره.
(٢) الكامل ١/ ٢٧٠ .
وقساً: اسم موضع من بلاد بني تميم. والكِروان: جماعة كَرَوان، وهو طائر معروف. والخرق: الحمق. والخنى: اللؤم.
(٣) زهر الآداب ٢/ ١٣ .

فمنهنّ أنّي لا أزال معانقاً ... حمائل ماضي الشفرتين صقيل
به أستعدي وأعدي صحابتي ... إذا صرخ الزحفان باسم قتيل
ومنهنّ سوق النهب في ليلة الدجى ... يجار بها في الليل كلّ دليل[1]

❖ **مسلم بن الوليد**

(يفتر عند افترار الحرب مبتسماً)

خاض يزيد بن مزيد الشيباني حرباً ضروساً ضد الخوارج، زمن الرشيد، وأبلى بلاء حسناً، فظفر بهم، وأتى برأس قائدهم الوليد بن طريف الشيباني، وفي تصوير شجاعته، وبلائه البلاء الحسن، وقدرته على النضال والكفاح، وثباته في الروع، يقول مسلم بن الوليد، ويلقّب بصريع الغواني (ت ٨٢٣ م) وهو من أجود القول، وأكثره تفنناً وابتكاراً:

يفترّ عند افترار الحرب مبتسماً ... إذا تغيّر وجه الفارس البطل
موفٍ على مهج في يوم ذي رهج ... كأنّه أجل يسعى إلى الأمل
ينال بالرّفق ما يعيا الرجال به ... كالموت مستعجلاً يأتي على مهل
يقري المنيّة أرواح العداة كما ... يقري الضيوف شحوم الكوم والبُزل
يكسو السيوف رؤوس الناكثين به ... ويجعل الهام تيجان القنا الذُّبل
إذا انتضى سيفه كانت مسالكه ... مسالك الموت في الأبدان والقلل
يأبى لك الذمّ في يوميك إن ذكرا ... عضب حسام وعرض غير مبتذل
فافخر فما لك في شيبان من مثلٍ ... كذاك ما لبني شيبان من مثل[2]

(والجود بالنفس أقصى غاية الجود)

ومنه أيضاً، قوله ليزيد بن مزيد الشيباني:

تلقى المنيّة في أمثال عدّتها ... كالسيل يقذف جلموداً بجلمود
تجود بالنفس إذ شحّ الضنين بها ... والجود بالنفس أقصى غاية الجود[3]

---

(١) العقد ٢/ ١٠٣ .
(٢) الأغاني ١١/ ٩ ـ ١٠ .
والعضب: السيف. وانتضى: امتشق وسلّ. والقلل: الجبال. والذبل: صفة للرماح. ويعتري: يطعم. والكوم والبزل: صفة للإبل. والرهج: غبار الحرب.
(٣) العقد ١/ ٣٣ .

❖ جعفر بن علبة

(ألا، لا أبالي...)

ومن شعر الحماسة والبطولة والشجاعة والإقدام في الروع، ما قاله جعفر بن علبة الحارثي، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وقوله هو:

ألا لا أبالي بعد يوم بسحبلٍ ... إذا لم أعذّب أن يجيء حماميا
تركت بأعلى سحبل ومضيقه ... مراق دمٍ لا يبرح الدهر ثاويا
شفيت به غيظي وجرّب موطني ... وكان سَناء آخر الدهر باقيا
أرادوا ليثنوني فقلت تجنّبوا ... طريقي فما لي حاجة من ورائيا
فدىً لبنيّ عمّي أجابوا لدعوتي ... شفوا من بني القرعاء عمّي وخاليا
كأنّ بني القرعاء يوم لقيتهم ... فراخ قطاً لاقين صقراً يمانيا
تركناهم صرعى كأنّ ضجيجهم ... ضجيج دباري النيب لاقت مداويا
أقول وقد أجلت عن اليوم عركة ... ليبك العقيليين من كان باكيا
فإنّ بقرني سحبل لأمارة ... ونضح دماء منهم ومحابيا[1]

❖ ابن عبد ربّه

(والموت يقسم في أرواحها النقما)

وفي سطوة أبي العباس، وشجاعته في الحرب، يقول صاحب العقد، ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد (ت ٩٤٠ م):

نفسي فداؤك والأبطال واقعة ... والموت يقسم في أرواحها النقما
شاركت صرف المنايا في نفوسهمُ ... حتّى تحكّمت فيها مثل ما احتكما
لو تستطيع العلا جاءتك خاضعة ... حتّى تقبّل منكَ الكفّ والقدما[2]

(وربّ ملتفةٍ...)

ومنه أيضاً، هذا الشعر الذي يصور فيه ابن عبد ربّه شجاعة القائد، وإقدامه، وجرأته، واقتحامه غمرات الموت في الحرب، وهو:

وربّ ملتفّة العوالي ... يلتمع الطرف في ذراها
إذا توطّنت حزون أرض ... طحطحت الشمّ من رباها
يقودها منه ليث غاب ... إذا رأى فرصة قضاها

---

(١) الأغاني ١١/ ١٤٢ .

والحمام: الموت. والقطا: ضرب من الحمام البرّي. ودباري النيب: مؤخرات الإبل فيها دبر، وهو ضرب من الجرب.

(٢) العقد ١/ ٣٤ .

تمضي بآرائه سيوف ... يستبق الموت في ظُباها
بيض تخلّي القلوب سوداً ... إذا انتضى عزمه انتضاها
تتبعه الطير في الأعادي ... يجنى كلا العشب من كلاها
أقدم إذ كسّع كلّ ليث ... عن حومة الموت إذ رآها
فاقتحم الموت في غمار ... تعفر بالموت لهوتاها
عنت له أوجه المنايا ... فعافها القوم واشتهاها[1]

❖ أبو حيّة النمري

(لنا جمرات...)

ومن الذين عبروا عن الشجاعة، وشدة البأس، والثبات في مواطن الحرب، أبو حيّة النميري، الشاعر الأموي العباسي. ذكر مناقب قومه، فأثنى عليهم قائلاً:

وهم جمرة ما يصطلي الناس نارهم ... توقَّدُ لا تطفا بزيت الرواهبِ
لنا جمرات ليس في الناس مثلها ... ثلاث فقد جُرّبن كلّ التجارب
نميرٌ وعبسٌ تتّقى صقراتها ... وضبّةُ قوم بأسهم غير كاذب
إلى كلّ قوم قد دلفنا بجمرة ... لها عارض جَونٌ قويّ المناكب[2]

❖ الشريف الرضي

(من طلب العزّ بغير السيف ذلّ)

للشريف الرضي، نقيب الأشراف في عصره، عصر بني العباس الثالث، جولات وصولات في الحديث عن الشجاعة والبطولة، والصبر والإقدام، وثبات الرجل في المواقع العظام، وإن من شعره هذا الذي يتغنّى بالبطولة والشجاعة والبسالة، والحثّ على نيل الأمانيّ بالمضيّ قدماً في ميدان الحياة، قوله من الرجز، مختطّاً للفتيان الناهضين خطة الطموح:

قد انقضى العمر وأنت في شُغُلْ ... فاجسُر على الأهوال إن كنت رجلْ
ونل بأطراف القنا ما لم يُنل ... من طلب العزّ بغير السيف ذلْ
وامشِ إلى المجد ولو على الأسلْ ... وانجُ من الهون كما ينجو البطلْ[3]

---

(١) العقد ١/ ٣٦ .
والعوالي: الرماح. وطحطحت: بدّدت وفرّقت وأهلكت. والحزون: جمع حزن، وهو الأرض الصعبة. وظُبا السيوف: حدّها. وانتضى: استلّ. وكسع: ارتدّ، وتخلّف وذهب. واللهوتان: مثنى لهوة، اللحمة في أقصى الفم.
(٢) الحيوان، للجاحظ ٥/ ٢١١ . دار مكتبة الهلال. بيروت ١٩٨٦ .
والعارض: السحاب المعترض. والجون: الأسود والأبيض.
(٣) ديوان الشريف ٧٠٦ . ط دمشق.
والأسل: أطراف الرماح.

(أجوّب آجام المنايا...)

ومن جيّد شعر الشجاعة والبطولة، وبعد الهمّة. والثبات في غمار الشدائد، والكرّ على الأعداء، والإيقاع بالفرسان، قوله:

أجوّب آجام المنايا وأُسْدُها ... تروّعني من بينها بالهُماهم
وبيني وبين القوم من آل يعرب ... ضغائن تثنيني زهيد المطَاعم
إذا ما جنوا من مالهم ثمر العلى ... جنيتُ المعالي من غصون اللهاذم
أغرّ بني فهر وعيد مجاشع ... وأيّ وعيد بعد وقع الصوارم
أيوعدنا من عطّل البيض والقنا ... وأقسم لا ينجو بغير الهزائم
عشيّة خضنا بالضوامر ليلهم ... وفي كلّ جفن منهمُ طيف حالم
نريهم صدور السُّمر بين نحورهم ... فما استيقظوا إلاّ بقرع الحلاقم
وولّوا على الخيل العتاق كأنّهم ... تزاحم غيم العارض المتراكم
تفيض عيون الطعن بالدم منهمُ ... ويغلبها فيض العيون السواجم[1]

❖ **أبو تمام**

(وقال لها من تحت أخمصك الحشر)

ومن أجزل الشعر وأجوده في وصف الإقدام والشجاعة والجرأة، قول أبي تمام وهو في الغاية من الروعة وشدة الأسر:

وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه ... إليه الحفاظ المرّ والخلق الوعرُ
ونفس تعاف الضيم حتّى كأنّه ... هو الكفر يوم الرّوع أو دونه الكفر
فأثبت في مستنقع الموت رجله ... وقال لها من تحت أخمصك الحشر
تردّى ثياب الموت حمراً فما أتى ... لها الليل إلاّ وهي من سندس خضر[2]

(يستعذبون مناياهم...)

وإن منه قوله الآخر:

يستعذبون مناياهم كأنّهم ... لا يخرجون من الدنيا إذا قتلوا[3]

(قوم إذا لبسوا الحديد...)

وقوله الثالث، وهو في غاية الروعة والتفنن والإبتكار:

---

(١) ديوان الشريف ٨١٥ .
واللهاذم: الأشداء. والعارض: المطر الدائم السكب. وسواجم: سائلة. والسمر: صفة للرماح. والضوامر: صفة للخيل. والهماهم: صفة للشجاع من الأسد.
(٢) العقد ١/ ٣٣ .
(٣) نفسه ١/ ٣٣ .

قوم إذا لبسوا الحديد حسبتهم ... لم يحسبوا أنّ المنيّة تخلق
أنظر بحيث ترى السيوف لوامعاً ... أبداً وفوق رؤوسهم تتألّق[١]

(أعاذلتي...)

وما أحسن هذا الوصف لعلوّ الهمّة، والبعد في الشجاعة، والمضاء والعزيمة، وركوب الأهوال، وهو قول في منتهى الروعة والتفنّن والإبتكار، يقول أبو تمام:

أعاذلتي ما أخشن الليل مركباً ... وأخشن منه في الملمّات راكبُهْ
ذريني وأهوالَ الزمان أقاسِها ... فأهواله العظمى تليها رغائبه[٢]

(لو لم يقدْ جحفلاً...)

ومن جيّد تصوير الشجاعة، وشدّة البأس، ما وصف به أبو تمام الخليفة المعتصم، لما غزا بلاد الروم، وظفر بهم في عمورية، وفي ذلك يقول أبو تمام:

لم يغزُ قوماً ولم ينهضْ إلى بلد ... إلاّ تقدّمه جيش من الرُعب
لو لم يقد جحفلاً يوم الوغى لغدا ... من نفسه وحدها في جحفل لجب[٣]

❖ مروان بن أبي حفصة

(بنو مطرٍ...)

ومن شعر الحماسة والبطولة والشجاعة، والإقدام يوم الروع، قول مروان بن أبي حفصة (ت ٧٩٨ هـ) الشاعر الأموي العباسي المخضرم مادحاً معن بن زائدة ورهطه بني مطر، والقول هو:

بنو مطر يوم اللقاء كأنّهم ... أسود لها في بطن خفّان أشبلُ
هم يمنعون الجار حتّى كأنّما ... لجارهم بيّن السماكين منزل
لهاميم في الإسلام سادوا ولم يكن ... كأوّلهم في الجاهلية أوّل
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا ... أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
ولا يستطيع الفاعلون فعالهم ... وإن أحسنوا في النائبات وأجملوا[٤]

---

(١) العقد ١/ ٣٣ .
(٢) نفسه ١/ ٢٤٩ .
(٣) الديوان ١/ ٩٧ .
والجحفل: الجيش العظيم. واللجب: الكثير الصياح. والوغى: الحرب.
(٤) الأغاني ١٠/ ٤٣ .
والنائبات: الخطوب. والأشبل: واحدها الشبل، ولد الأسد. والسماكان: نجمان متقاربان متقابلان أحدهما يقال له الرامح، والآخر الأعزل. ولهاميم: جمع لهموم، وهو الجواد السخيّ.

❖ علي بن الجهم

(وكنت شجاهم والأسنّة تقطر)

ومن المواقف الصعبة، والمضائق الحرجة، ننقل صورة قدمها لنا علي بن الجهم، الشاعر العباسي (ت ٨٦٣ م) لما كان في قافلة إلى الشام، فخرجت عليهم الأعراب في حساف، فهرب من كان في القافلة من المقاتلة، وثبت علي بن الجهم، فقاتلهم قتالاً شديداً، وثاب الناس إليه، فرفعهم، ولم يحظوا بشيء، يقول علي من وحي تلك الحادثة، وفيها يعرب عن شجاعته وثباته، ورباطة جأشه:

صبرت ومثلي صبره ليس ينكر ... وليس على ترك التقحّم يعذر
ولمّا رأيت الموت تهفو بنوده ... وبانت علامات له ليس تنكر
وأقبلت الأعراب من كلّ جانب ... وثار عجاج أسود اللون أكدر
بكلّ مشيح مستميت مشمّر ... يجول به طرف أقبّ مشمّر
بأرض حساف حين لم يك دافع ... ولا مانع إلاّ الصفيح المذكّر
فقلّل في عيني عظيم جموعهم ... عزيمة قلب فيه ما جلّ يصفر
بمعترك فيه المنايا حواسر ... ونار الوغى بالمشرفيّة تسعر
فما صنت وجهي عن ظباة سيوفهم ... ولا انحزت عنهم والقنا تتكسّر
ولم أك في حرّ الكريهة محجماً ... إذا لم يكن في الحرب للورد مصدر
إذا ساعد الطرف الفتى وجنانه ... وأسمر خطّيّ وأبيض مبتر
فذاك وإن كان الكريم بنفسه ... إذا اصطكّت الأبطال في النقع عسكر
منعتهم من أن ينالوا قلامة ... وكنت شجاهم والأسنّة تقطر
أبت لي قروم أنجبتني أن أرى ... وإن جلّ خطب خاشعاً اتضجّر[1]

❖ أبو العتاهية

(كأنّ المنايا...)

ومن جيّد قول أبي العتاهية، اسماعيل بن القاسم، الشاعر العباسي المشهور (ت ٨٢٥ م) في تصوير الشجاعة، والثبات عند اللقاء، قوله:

كأنّك عند الكرب في الحرب إنّما ... تفرّ عن الكرب الذي من ورائكا
كأنّ المنايا ليس تجري لدى الوغى ... إذا التقت الأبطال إلاّ برايكا

---

(١) نفسه ١٠٦/٩ .

والقروم: جمع قرم، وهو الفحل السيد الشجاع. والنقع: غبار الحرب. والأسمر الخطي: صفة للرمح المصنوع بالخط. والمبتر الأبيض: صفة للسيف. والجنان: القلب. والكريهة: الحرب. وظباة السيف: شفرته. والمشيح: المائل من ضربة السيف وطعنة الرمح. والطرف: الفرس. والأقب: المرتفع. والبنود: الرايات.

فما آفة الآجال غيرك في الوغى وما آفة الأموال إلاّ حباؤكا[١]

❖ أبو السفاح

(يجمع عزماً...)

وممّا قاله أبو السفاح، الشاعر، في رثاء أخيه يحيى، وكان يطلق عليه اسم الشجاع، مما قاله في شجاعته تلك، قوله:

يعدو فلا تكذب شدّاته كما عدا الليث بوادي السباع
يجمع عزماً وأناة معاً ثُمّة ينباع انبياع الشجاع[٢]

❖ أبو الغيران

(إنّ الشّراة قصيرة الأعمار)

ونظير للأول، ما قاله أحد شعراء الخوارج المتأخرين، زمن العباسيين، وكنيته أبو الغيران، وهو:

يدنو وترفعه الرماح كأنّه شلو تنشّب في مخالب ضار
فترى صريعاً والرماح تنوشه إنّ الشّراة قصيرة الأعمار[٣]

❖ العبدي

(السيف والرمح...)

ومن الشعراء الشجعان، زمن العباسيين، محمد بن أحمد العبدي ابن سلم بن مدحور. من قوّاد عسكر المتوكل بسامرّاء، يقول العبدي، هذا، في الشجاعة والإقدام:

السيف والرمح دون الخلق قد شهدا أنّي شجاع وما دانايَ الأسدُ
إذا شددت على قوم هزمتهمُ ببأس ذكري فلا يبقى لهم مدد[٤]

---

(١) العقد ١/ ٣٤ .
والحباء: العطاء. والكرب: الغمّ. والوغى: الحرب.
(٢) الحيوان ٤/ ٩٤ .
والشجاع: الحيّة.
(٣) نفسه ٦/ ٥٠٥ .
والشراة: اسم يطلق على فرقة غالية من فرق الخوارج. لأنهم، بزعمهم، شروا الجنة بالجود بأنفسهم في مقاتلة مخاليفهم.
(٤) معجم الشعراء ٤٣٧ .

❖ محمد بن عاصم

(ليوث الوغى...)

ومنهم أيضاً قوم امتدحهم محمد بن عاصم الموفقي الطائي، أثنى على شجاعتهم، فقال:

ليوث الوغى أيّام مضطرم الوغى ... غيوث الورى أيّام تُكدى الفوائدُ
أشدّ الورى فيما يثوب تأسيّاً ... إذا نابت الناس الخطوب الشدائد[1]

❖ أبو العلاء

(فلولا الغِمد يمسكه لسالا)

ومن جيد الشعر في تصوير البطولة، وتشخيص الشجاعة، وتعظيم البسالة، وإعزاز الجرأة والمهابة والإقدام، والثبات في مواطن الزحام، ما قاله أبو العلاء المعري، فيلسوف الشعراء، وشاعر الفلاسفة (ت ٤٤٩ هـ) في سيف الدولة الحمداني، الأمير والبطل والشجاع، وهو قوله:

تكاد قِسِيُّه من غير رام ... تمكّن في قلوبهمُ النبالا
تكاد سيوفه من غير سلّ ... تجدّ إلى رقابهمُ انسلالا
تكاد سوابقٌ حملته تغني ... عن الأقدار صوناً وابتذالا
ذكيّ القلب يخضبها نجيعاً ... بما جعل الحرير لها جَلالا
متى يذمم على بلد بسوطٍ ... فقد أمن المثقّفة النهالا
إذا سقت السماء الأرضَ سَجْلاً ... سقاها من صوارمه سجالا
ويضحى والحديد عليه شاكٍ ... وتكفيه مهابته النزالا
فيَفني الدرعَ لبساً واليماني ... صحاباً والرديني اعتقالا
إذا سئمت مهنّدَه يمينٌ ... لطول الحمل بدّله الشمالا
أفاد المرهفاتِ ضياءَ عزمٍ ... فصار على جواهرها صقالا
وأبصرت الذوابل منه عدلاً ... فأصبح في عواملها اعتدالا
ولو أنّ الرياح تهبّ غرباً ... وقلتَ لها هلا، هبّت شمالا
وأقسم لو غضبت على ثبير ... لأزمع عن محلّته ارتحالا
ولولا ما بسيفك من نحولٍ ... لقلنا أظهر الكمد انتحالا
سليل النار دقّ ورقّ حتى ... كأنّ أباه أورثه السُّلالا
غراراه لسانا مشرفيّ ... يقول غرائب الموت ارتجالا

---

(١) نفسه ٤٥٥ .

يذيب الرعب منه كلّ عضبٍ فلولا الغِمد يمسكه لسالا[١]

(والموت لو يعلم في ورده)

ومن جيد الشعر في تصوير البسالة والشجاعة والإقدام، قول أبي العلاء يرثي جعفر بن علي المهذب:

وحاملٍ ثقل الثرى جيده وكان يشكو الضعف من عقدِهِ
وربّ ظمآن إلى مورد والموت لو يعلم في وِرده
ومرسل الغارة مبثوثة من أدهم اللون ومن وَرده
يخوض بحراً نقعه ماؤه يحمله السابح في لِبده
أشجع مَنْ قلّب خطّيّةً على طويل الباع ممتدّه
يرى وقوع الزُّرق في درعه مثل وقوع الزرق في جلده
لا يصل الرمح إلى طرفه ولا إلى المحكم من سرده
بلحظة منه فما دونها يردّ غرب الجيش عن قصده[٢]

(فوارس حرب...)

وفي ثلّة من الشجعان الفرسان، يقول أبو العلاء:

مغافرهم تيجانهم وحُباهمُ حمائلهم، والفرع ينمي إلى الجذمِ
منا جيد لبّاسون كلّ مفاضة كأنّ غديراً فاض منها على الجسم
كُماة إذا الأعراف كانت أعنّةً فمُغنيهمُ حُسن الثبات عن الحزم
يطيلون أرواق الجياد وطالما ثنوهنّ عُضباً غير رُوقٍ ولا جُمّ
فوارس حرب يصبح المسك مازجاً به الركض نقعاً في أنوفهم الشُّمّ[٣]

❖ المتنبي

(كأنك في جفن الردى وهو نائم)

مهما بلغ الشعر من السموّ فلن يبلغ القدر الذي بلغه أبو الطيّب المتنبي (ت ٣٥٤ هـ) أشهر شعراء العرب قاطبةً، في تصوير شجاعة أمير حلب، عليّ بن حمدان المعروف

---

(١) ديوان سقط الزند ١١ ـ ١٣ . دار مكتبة الحياة. بيروت ١٩٦٥ .
والعضب: السيف. وغمد السيف: بيته. وغرار السيف: حدّه. والمشرفي: صفة للسيف المنسوب إلى مشارف الشام. وثبير: اسم جبل بظاهر مكة. والسلال: السّل. وهلا: كلمة زجر. والذوابل: جمع ذابل، وهو من القنى الرقيق اللاصق بالقشر. والنجيع: الدم. والمثقفة: صفة للرماح. والمهند: صفة للسيف الباتر، المنسوب إلى الهند.
(٢) سقط الزند ١١٨ .
(٣) سقط الزند ١٠٩ .
والأرواق: القرون. والعضب: جمع أعضب، المكسور القرن. والروق: ذوات القرون. والجم. جمع جمّاء، وهي التي لا قرون لها. والمغافر: جمع مغفر، وهو الزرد من الدرع، تحت القلنسوة.

بسيف الدولة. لقد وفّق أبو الطيب أيّما توفيق في الوصول إلى غايته المتمثلة بالتركيز على شجاعة بطل، لا كالأبطال، وفارس لا كالفرسان. كيف لا، وهو الأمير العربي المحارب الذائد عن حياض العروبة في وجه الروم البيزنطيين، يجود بالنفس، يقتحم الصعاب، يقود الجيوش، يبني القلاع، يكون أوّلاً في العراك والصدام، لا تالياً. إنّه القلب والمقدمة، والقطب الذي تدور حوله المعارك والجيوش. يقول أبو الطيب مصوّراً تلك الشجاعة النادرة، والبطولة الخارقة، مخاطباً أميره العربي:

وقفتَ وما في الموت شكٌّ لواقفٍ ... كأنّك في جفن الردى وهو نائمُ
تمرّ بك الأبطال كلمى هزيمةً ... ووجهك وضّاح وثغرك باسم
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى ... إلى قول قوم أنت بالغيب عالم
ضممت جناحيهم على القلب ضمّةً ... تموت الخوافي تحتها والقوادم
بضرب أتى الهامات والنصر غائب ... وصار إلى اللبّات والنصر قادم
حقرت الرديني‌ات حتى طرحتها ... وحتّى كأنّ السيف للرمح شاتم
ومن طلب الفتح الجليل فأنّما ... مفاتحه البيض الخفاف الصوارم
نثرتهم فوق الأحيدب نثرةً ... كما نُثرت فوق العروس الدراهم
تدوس بك الخيل الوكور إلى الذرى ... وقد كثرت حول الوكور المطاعم
إذا زلقت مشّيتها ببطونها ... كما تتمشّى في الصعيد الأراقم
ألا أيّها السيف الذي ليس مغمداً ... ولا فيه مرتاب ولا منه عاصم
هنيئاً لضرب الهام والمجد والعلى ... وراجيك والإسلام أنّك سالم
ولمْ لا يقي الرحمن حدّيْك ما وقى ... وتفليقه هام العدى بك دائم[1]

(الجيش جيشك...)

وإنّ من هذا القبيل أيضاً، أي تصوير الشجاعة، والبسالة، بسالة علي بن حمدان، قول أبي الطيب، من قصيدة ثانية مخاطباً سيف الدولة:

الجيش جيشك غير أنّك جيشه ... في قلبه ويمينه وشمالِهِ
ترد الطعانَ المرَّ عن فرسانه ... وتنازل الأبطال عن أبطاله
كلٌّ يريد رجاله لحياته ... يا من يريد حياته لرجاله
دون الحلاوة في الزمان مرارة ... لا تختطى إلاّ على أهواله

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي ٣٠٨ . دار الزهراء. بيروت ١٩٧٨ .

والهام: أعلى الرأس. والأراقم: الحيّات. والأحيدب: تصغير أحدب، وهو التلّ. والردينيات: صفة للرماح، نسبة إلى ردينة، امرأة كانت تصنع الرماح. والخوافي: ما خفي من ريش الطير، بخلاف القوادم، وهي الريش الظاهر. وكلمى: جرحى.

فلذاك جاوزها عليٌّ وحده وسعى بمُنصله إلى آماله[1]

(سقى الدم كلّ نصل...)

ومثلما نال سيف الدولة من شعر أبي الطيب ما نال في تصوير الشجاعة والبطولة، نال قريبه الأمير الآخر أبو العشائر الحمداني، من الشاعر ما نال. وهاك على سبيل المثال هذا النموذج الذي يصوّر فيه الشاعر بطولة وبسالة وشجاعة أبي العشائر الذي كان يتقدم جنوده في مواجهة الخصوم، جريئاً مقداماً غير هيّاب، حاسراً غير ملتثم درعاً أو بيضاً أو حديداً. . لشجاعته وصلابة عوده، وسرعة نجدته، يقول أبو الطيّب:

سقى الدم كلّ نصل غير نابٍ وروّى كلَّ رمح غير راشِ
فإنّ الفارس المبغوت يُكنى كأنّ أبا العشائر غير فاش
وقد نُسي الحسين بما يُسمّى ردى الأبطال أو غيث العِطاش
لقوه حاسراً في درع ضربٍ دقيق النسج ملتهب الحواشي
كأنّ على الجماجم منه ناراً وأيدي القوم أجنحة الفَراش
كأنّ جواري المهجات ماء يعاودها المهنّد من عُطاش
فولّوْا بين ذي روح مُفاتٍ وذي رمقٍ وذي عقل مُطاش
ومنعفرٍ لنصف السيف فيه توارى الضبّ خاف من احتراش
يُدمّي بعض أيدي الخيل بعضاً وما بعجاية أثر ارتهاش
ورائعها وحيد لم يرُعْه تباعد جيشه والمستجاش[2]

(ما كرّ قطّ...)

ومثل هذا قريب منه ما قاله أبو الطيب في بدر بن عمّار، أمير طبريّة، وكان يضرب المثل به في علوّ الهمّة والشجاعة والإقدام، وحسبه أنه صارع الأسد فصرعه، وحسبه أن تكون شجاعته قد أغنى عنها ذكرها، ونهى حديثها الجبان أن يجبنا. يقول أبو الطيب في شجاعة بدر:

لأبي الحسين جَدىً يضيق وعاؤه عنه ولو كان الوعاء الأزمُنا
وشجاعة أغناه عنها ذكرها ونهى الجبانَ حديثُها أن يجبنا
نيطت حمائله بعاتقِ محربٍ ما كرَّ قطّ، وهل يكرّ وما أنثنى

---

(١) نفسه ٢٣٨ .

(٢) الديوان ٢٠٣ .

والاحتراش: صيد الضباب بالحيلة، كأن يدخل الصياد عوداً في جحر الضب، فيحسبه هذا حيّة، فيخرج لقتلها. والضب: ضرب من العظاه الكبيرة. والعجاية: عصب الوظيف من الساق. والعطاش: مرض يصيب صاحبه بشدة الطلب للماء.

فكأنه والطعن من قدّامه ... متخوّف من خلفه أن يُطعنا
نفت التوهّم عنه حدّةُ ذهنه ... فقضى على غيب الأمور تيقّنا
يتفزّع الجبّار من بغتاتهِ ... فيظلّ في خلواته متكفّنا
أمضى إرادته فسوف له قدٌ ... واستقرب الأقصى فثَمَّ له هنا
لا يستكنّ الرعبُ بين ضلوعه ... يوماً، ولا الإحسان أن لا يحسنا[1]

❖ **أبو فراس**

(نفى الهمّ...)

هو أبو فراس الحمداني، الأمير الحارث بن أبي العلاء، شاعر من ألمع الشعراء، في العصر العباسي؛ فارس نازع الفرسان، وشجاع قلّ نظيره في الشجعان، حارب الروم، وأسر أكثر من مرّة، ذوداً عن الحمى والأهل والعشيرة، عرف بهمّته العالية، ونفسه الأبيّة، مقدام كرّار، غير فرّار. وإن من شعره الجيد في تصوير الشجاعة وعلوّ الهمّة، والثبات وعند المكاره والزعازع، قوله:

نفى الهمّ عنّي همّة عدويّة ... وقلب، على ما شئت منه، مظاهرُ
وأسمر، ممّا يُنبت الخطّ ذابل ... وأبيض ممّا تطبع الهند، باتر
ونفس لها في كلّ أرض لبانة ... وفي كلّ حيّ أسرة ومعاشر
وقلب يقرّ الحرب، وهو محارب ... وعزم يقيم الجسم، وهو مسافر[2]

(أرى نفسي...)

ومن جيد شعره الفخري بالشجاعة والبطولة والبسالة التي ما بعدها بسالة، قوله:

أرى نفسي تطالبني بأمرٍ ... قليل دون غايتة اقتصادي
وما يُغنيك من هم طوالٍ ... إذا قرنت بأعمار قصار
فلا نزلت بيَ الجيران إن لم ... أجاورها مجاورة البحار
ولا صحبتنيَ الفرسان إن لم ... أصاحبْها بمأمون الفرار
ولا خافتني الأملاك إن لم ... أصبّحها بملتفّ الغبار
بجيش لا يكلّ بهم مغير ... ورأي لا يغبّهمُ مغار
شددت على الحمامة كوْر رحل ... بعيد حلّه، دون اليسار
تحفّ به الأسنّة والعوالي ... ومضمرة المهاري والمهاري

---

(١) نفسه ١٤١ .
والمحرب: الشجاع المقدام الذي لا يقهر.
(٢) ديوان أبي فراس الحمداني ٧٦ . دار الفكر العربي. بيروت ١٩٩٤ .
والخط: بلد تثقف فيه الرماح. والذبل: صفة للرمح. واللبانة: الحاجة.

وتخفق حولي الرايات حمراً ... وتتبعني الخضارم من نزار[١]

(والقِرم قرمٌ حيث حلاّ)

وإنّ من جيد الشعر الذي يصوّر البطولة والعفّة والنجدة والرفعة والشجاعة قول أبي فراس فاخراً:

رعت القلوب مهابة ... وملأتها فضلاً ونبلا
ما غضّ منّي حادث ... والقرم قرم حيث حلاّ
أنّى حللت فإنّما ... يدعونني السيف المحلّى
فلئن خلصت فإنّني ... شرق العدى، طفلاً وكهلا
ما كنت إلاّ السيف زاد ... على صروف الدهر صقلا
ولئن قتلت فإنّما ... موت الكرام الصّيد قتلا[٢]

(ولم ألبس حذار الموت لاما)

ومن أجود ما قيل في الشجاعة والإقدام، والبسالة التي لا تناظرها بسالة، قول أبي فراس فاخراً:

ولمّا لم أجدْ إلاّ فراراً ... أشدّ من المنيّة أو جماما
حملت على ورود الموت نفسي ... وقلت لعصبتي: موتوا كراما
وعذت بصارم ويدٍ وقلبٍ ... حماني أن أُلام، وأن أُضاما
ولم أبذل لخوفهمُ مِجنّاً ... ولم ألبس حذار الموت لاما
كشفت به صدور الخيل عنّي ... كما جفّلت في بيدٍ نعاما
ألفّهمُ وأنشرهم كأنّي ... أطرّد منهمُ الإبل السواما
وأنتقد الفوارس بيدَ أنّي ... رأيت اللوم أن ألقى اللئاما
ومدعوّ إليّ أجاب لمّا ... رأى أن قد تذمّم واستلاما
عقدت على مقلّده يميني ... وأعفيت المثقّف والحساما[٣]

---

(١) ديوان ابي فراس الحمداني ٩٧ . دار الفكر العربي. بيروت ١٩٩٤ .
والعوالي: صفة للرماح. ومضمرة المهاري: أضرب من النوق المهريّة والخضارم: الجيوش. والكور: الرحل، ما يحمل على الدابة. ويغبّهم: يبعد عنهم.
(٢) الديوان ١٥٧ .
ورعت: أفزعت. والقرم: السيد والنظير في الشجاعة والشرف. والشرق: الفصّة.
(٣) نفسه ١٨٢ .
والحِمام: الموت. والصارم: السيف. وأضام: أذلّ. والمجنّ: الترس. واللام: جمع لأمة، وهي الدرع. والمثقف: الرمح.

أروع ما قيل في الكرم والجود

القسم الأول

في الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموي

❖ حاتم الطائي:

(ولا البخل في مال الشحيح يزيد)

من أشهر الأجواد، وأسخى الناس، وأكرمهم، في الجاهلية، الشاعر والفارس والمقدام حاتم الطائي.

كان حيثما نزل عرف منزله، وكان إذا غنم أسهب، وإذا قاتل غلب، وإذا سئل وهب، وإذا ضرب بالقداح سبق، وإذا أسر أطلق[١].

لما بلغ حاتماً قول المتلمّس:

لحفظ المال غير من بغاه ... وطوف في البلاد بغير زاد
قليل المال تصلحه فيبقى ... ولا يبقى الكثير على الفساد

قال: ما له، قطع الله لسانه، يحرّض الناس على البخل؟ أفلا قال:

فلا الجود يفني المال قبل فنائه ... ولا البخل في المال الشحيح يزيد
فلا تلتمس بخلاً بعيش مقتّر ... لكلّ غد رزق يعود جديد
ألم ترَ أنّ الرزق غادٍ ورائح ... وأنّ الذي يعطيك سوف يعيد[٢]

والقول: بالطبع، لحاتم. وهو من جيّد القول.

لقد ضرب المثل بجود حاتم الطائي وسخائه وكرمه وبذله وإقرائه الضيف، ولقد قيل في حاتم ما قيل حتى أنّ القول ليبلغ حدّ الأسطورة. ومن الأقوال فيه ما قالته ابنته سفّانة لما وقعت أسيرة في أيدي المسلمين. فلما جيىء بها إلى النبي ﷺ، قالت: «أنا ابنة حاتم طيء، سيّد قومي الذي كان يفك العاني، ويحمي الذمار، ويقري الضيف، ويشبع الجائع، ويفرّج المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام». فلما سمع النبي ﷺ مقالتها، قال: «لو كان أبوك إسلامياً لترحّمنا عليه.. إنّ حاتماً كان يحبّ مكارم الأخلاق، والله يحبّ مكارم الأخلاق».

(ولكنما وجه الكريم خصيب)

ولن نطيل الكلام في كرم حاتم وسخائه وما قيل فيه، لكن حسبنا ما قاله حاتم نفسه، في الكرم، وكلّه من أجود القول وأحسنه، وأصدقه، وأملحه.

وإنّ منه في إقراء الضيف، والبشاشة له، قوله:

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله ... ويخصب عندي، والمحلّ جديب

---

(١) ابن قتيبة: عيون الأخبار ١ / ٣٣٩. دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٦٣ م.
(٢) البيهقي: المحاسن والمساوىء ١ / ٣٠٨. القاهرة ١٩٢٩ م.

وما الخصب للأضياف أنْ يكثر القرى ولكنّما وجه الكريم خصيب[١]

(ضربت بسيفي ساق أفعى فخرّت)

وإنّ منه، وقد نحر للضيوف ناقته الأفعى، وما كان يملك سواها. ينحرها في الليلة الشديدة القرّ، والسنة المحل المجدبة، قوله، وهو من جيّد القول:

ولمّا رأيت الناس هرّت كلابهم ضربت بسيفي ساق أفعى فخرّت
فقلت لأصباءٍ صغار ونسوة بشهباء من ليل الثلاثين قرّت
عليكم من الشطّين كل وريّة إذا النار مسّت جانبيها ازمعلّت
ولا ينزل المرء الكريم عياله وأضيافه ما ساق مالاً بضرّت[٢]

(نعماً محلّ الضيف)

وإنّ منه أيضاً، في إقراء الضيف والترحيب به، قوله مخاطباً زوجه:

نعماً محلّ الضيف لو تعلمينه بليلٍ إذا ما استشرفته النوابح
تقصّى إليّ الحيّ إمادلالة عليّ وإمّا قاده لي ناصح[٣]

(وماذا يعدّي المال عنك وجمعه)

وإن من شعره الرائع في الكرم قوله الحكمي، وفيه يحرّض الناس على البذل والسخاء:

إذا أنت أعطيت الغنى ثمّ لم تجدّ بفضل الغنى ألفيت مالك حامد
وماذا يعدّي المال عنك وجمعه إذا كان ميراثاً ووراك لاحد[٤]

(أقول لمن يصلى بناري أوقدوا)

وإنّ منه هذا الشعر الفائق الروعة، وفيه يحثّ الشاعر على الجود والبذل، غامزاً من قناة الذين يجمعون المال فلا يجودون به، تحرّزاً وشحّاً وبخلاً. يقول حاتم:

إذا كان بعض المال ربّاً لأهله فإنّي بحمد الله مالي معبّد
يفكّ به العاني ويؤكل طيّباً ويُعطى إذا منّ البخيل المطرّد
إذا ما البخيل الخبّ أخمد ناره أقول لمن يصلى بناري: أوقدوا

---

(١) ديوان حاتم. ص ١٥. دار الفكر العربي. بيروت ١٩٩٥.
(٢) ديوان حاتم ١٧. والضرت: أصلها ضرة، الشدّة والجهد. والورية من اللحم: ما كان بضاً. وشطّا الناقة: جانبا سنامها. وازمعلت: ساخ دسمها وشحمها. والأصباء: الصبية الصغار. والشهباء من السنين أو الليالي: الشديدة الإظلام. وقرّت: بردت. وهرّت: نبحت والأفعى: صفة للناقة.
(٣) ديوان حاتم ١٩. والنوابح صفة للكلاب التي تنبح الضيف.
(٤) الديوان ٢٢. واللاحد: من يلحد الميّت في قبره. ووراك: سترك وغيّبك.

توسّع قليلاً أو يكن ثمّ حسبنا ... وموقدها الباري أعفّ وأحمد
كذاك أمور الناس راضٍ دنيّةً ... وسامٍ إلى فرع العلى متورّد
فمنهم جواد قد تلفّت حوله ... ومنهم لئيم دائم الطرف أقود[1]

أجل إنَّ الكرم، لهو دلالة على السموّ والرفعة، وإنَّ البخل لهو دلالة على الذلّة والحطة واللؤم. وكذلك الناس إمّا لئيم وإمّا كريم.

(لكل كريم عادة يستعيدها)

وإن من جيد القول قول حاتم وهو يخاطب امرأته لائماً إيّاها على الإزراء به ولومه لأنّه يجود بكلّ شيء، وينفق بلا حساب.

يقول حاتم:

وقائلة أهلكت بالجود مالنا ... ونفسك حتى ضرّ نفسك جودها
فقلت دعيني إنّما تلك عادتي ... لكلّ كريم عادة يستعيدها[2]

(أوصيك خيراً بها)

ولقد ينصح حاتم ابنه ويوصيه بأن يدل الكلب عليه فلا يؤذيه، ولا يضر به، فهو وحده الذي يدلّ الضيف على حاتم. وهذا من فعال الشرفاء المحسنين. يقول حاتم مخاطباً ابنه:

أقول لابني وقد سطت يديه ... بكلبة لا يزال يجلدها
أوصيك خيراً بها فإن لها ... عندي يداً لا أزال احمدها
تدلّ ضيفي عليّ في غلس الليل ... إذا النار نام موقدها[3]

(وإني لعبد الضيف ما دام ثاوياً)

وإنَّ من أروع الشعر في الكرم، شعر حاتم الذي يخاطب فيه زوجه، طالباً إليها أنْ تلتمس للزاد الذي تصنعه من يأكله معه، من الطرّاق في الليل، أو الجيرة، وذلك لأنَّ حاتماً عوّد عادة لا يغيّرها أبداً، وهي أنّه لا يأكل، بل قل لا يستسيغ الطعام وحده دونما أكيل أو جليس.

يقول حاتم:

أيا ابنة عبدالله وابنة مالك ... ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد
إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له ... أكيلاً فإنّي لست آكله وحدي

---

(١) نفسه ٢٣. والأقود: المستقيم. والخب: المخاتل. والعاني: الأسير. والمطرّد: المنبوذ المطرود.
(٢) الديوان ٢٣.
(٣) نفسه ٢٤. وغلس الليل: آخر ظلمة فيه. وسطت: وثبت.

أخاً طارقاً، أو جار بيت، فإنني ... أخاف مذ مّات الأحاديث من بعدي
وإنّي لعبد الضيف ما دام ثاوياً ... وما فيّ إلاّ تلك منهم شيمة العبد[١]

(وكلّ امرىء جارٍ على ما تعوّدا)

ومن جيد شعره، ذلك الذي يردّ به على زوجته التي تلومه على بذل المال، وتطلب إليه أنْ يمسك عليه، وأنْ لا ينفق بلا حساب، يردّ حاتم على زوجه، مفنّداً قولها، مبيّناً أنَّ المال إنْ هو إلاّ وسيلة لاكتساب العزّة والشرف، والسؤدد والفخار. ولا فخار ولا سؤدد ولا مجد إلاّ ببذل المال وإنفاقه على الضيف والجار والقريب والمحتاج والعاني.

يقول حاتم:

وعاذلة هبّت بليل تلومني ... وقد غاب عيّوق الثريّا مغرّدا
تلوم على إعطائي المال ضلّة ... إذا ضنّ بالمال البخيل وصرّدا
تقول ألا أمسك عليك فإنني ... أرى المال عند الممسكين معبّداً
ذريني وحالي إنَّ مالك وافر ... وكلّ امرىء جارٍ على ما تعوَّدا
أعاذل لا آلوك إلاّ خليقتي ... فلا تجعلي فوقي لسانك مبردا
ذريني يكن مالي لعرضك جنّة ... يفي المال عرضي قبل أن يتبدّدا
أريني جواداً مات هزلاً لعلّني ... أرى ما ترين أو بخيلاً مخلدا
وإلاّ فكفّي بعض لومك واجعلي ... إلى رأي من تلحين رأيك مسندا
ألم تعلمي أنّي إذا الضيف نابني ... وعزّ القرى أقري السديف المسرهدا
أسوّد سادات العشيرة عارفاً ... ومن دون قومي في الشدائد مذوداً
وألفى لأعراض العشيرة حافظاً ... وحقّهم حتى أكون المسوّدا
يقولون لي: أهلكت مالك فاقتصد ... وما كنت لولا ما تقولون سيّدا
كلوا الآن من رزق الإله وأيسروا ... فإنَّ على الرحمٰن رزقكم غدا[٢]

أبيات في غاية الروعة والوضوح، يُدافع فيها حاتم عن موقفه وكرمه، وجوده، وبذله المال في سبيل السيادة والشرف والذود عن العرض.

---

(١) الديوان ٢٤. الشيمة: الطبع والخلق. والطارق: الزائر ليلاً.
والبردان: الثوبان، مثنى برد. والبرد: الثوب. والمقصود بذي البردين، عامر بن أحيمر، أحد الذين وفدوا على المنذر بن ماء السماء، فأخذ منه البردين دلالة على عزّته ومنعته.
(٢) الديوان ٢٥ - ٢٦. والمسرهد: المقطّع. والسديف: شحم سنام الإبل. وتلحين: تلومين.
ونابني: أصابني بداهية: وآلوك: أقصر. والخليقة: الطبيعة. والعيوق: اسم نجم في السماء، يلي الثريا. وعرّد: مال إلى المغيب.

(ويبقى من المال الأحاديث والذكر)

وقريب من هذا المعنى السامي الذي رمى إليه حاتم، معنى آخر لا يقلّ سموّاً، يتمثّل بالدفاع، عن موقفه وكرمه وبذله المال بلا حساب، فهو لا يردّ سائلاً، ولا يمنع محروماً، كيف والمال عارية تذهب، تروح وتغدو، والمرء إلى زوال.. يقول حاتم مخاطباً ماويّة عاذلاً ولائماً:

أماويّ، قد طال التجنّب والهجر ... وقد عذرتني من طلابكم العذر
أماويّ، إنّ المال غادٍ ورائح ... ويبقى من المال الأحاديث والذكر
أماويّ، إنّي لا أقول لسائل ... إذا جاء يوماً حلّ في مالنا نزر
أماويّ، ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت نفس وضاق بها الصدر
أماويّ، إنْ يصبح صداي بقفرة ... من الأرض، لا ماء هناك، ولا خمر
تريني أنّ ما أهلكت لم يك ضرّني ... وأنّ يدي ممّا بخلت به صفر
وقد علم الأقوام لو أنّ حاتماً ... أراد ثراء المال كان له وفر
وإنّي لا آلو بمالٍ صنيعة ... فأوّله زاد وآخره ذخر
يفكّ به العاني ويؤكل طيّباً ... وما إنْ تعرّيه القداح ولا الخمر[1]

(إنْ جلبت ضيفاً فأنت حرّ)

وإنّ من جيّد شعر الكرم والجود وإقراء الضيف، قول حاتم مخاطباً غلامه يساراً، طالباً إليه أنْ يوقد النار لعلّ أحداً ممن تقطّعت بهم السبل في الليل البهيم، لعلّه يرى النار فينزل ضيفاً على حاتم، فيكون في ذلك عتق الغلام:

أوقد فإنّ الليل ليل قرّ ... والريح يا موقد ريح صرّ
عسى يرى نارك من يمرّ ... إنْ جلبت ضيفاً فأنت حرّ[2]

(قالت طريفة...)

ولقد يجود حاتم بكل ما يملك أو يغنم، وهذا ما أثار لوم طريفة له، لما أعطى حاتم رهط طيء كل ما غنمه، وكانت طريفة، جاريته، قد قالت له: اتق الله، وابق على نفسك، فقال:

قالت طريفة ما تبقي دراهمنا ... وما بنا سرف فيها ولا خرق
إنْ يفن ما عندنا فالله يرزقنا ... ممّن سوانا ولسنا نحن نرتزق

---

(١) الديوان ٣٠. والعاني: الأسير. والقداح: قداح الميسر يضرب بها ويقامر. وآلو: أقصّر. وصفر: خالية. وحشرجت: غرغرت وترددت عند النزع.
(٢) نفسه ٣١. والقر: الشديد البرودة. ومثله الصرّ.

ما يألف الدرهم الكاريّ خرقتنا إلاّ يمرّ عليها ثم ينطلق
إنّا إذا اجتمعت يوماً دراهمنا ظلّت إلى سبل المعروف تستبق[١]

(وإنّا لنطعم أضيافنا)

وإنّ منه أيضاً قوله:

وإنّا لنطعم أضيافنا من الكوم بالسيف نعتامها[٢]

(ولا تستري قدري..)

وقوله مخاطباً زوجه أنْ لا تستر القدر، وأنْ لا تمنع الطعام طالبه وعافيه:

ولا تستري قدري إذا ما طبختها علىّ إذا ما تطبخين، حرام
ولكن بهذاك اليفاع فأوقدي بجزل، إذا أوقدت، ولا بضرام[٣]

(وكلّ زاد وإنْ أبقيته فان)

وقوله:

ولا أزرّف ضيفي إنْ تأوّبني ولا أداني له ما ليس بالداني
له المؤاساة عنّي إنْ تأوّبني وكلّ زاد، وإنْ أبقيته، فان[٤]

(فلوميني...)

وقوله مخاطباً زوجه:

فلوميني إذا لم أقر ضيفاً وأكرم مكرمي وأهن مهيني[٥]

❖ قيس بن خفاف:

(يعيش الندى....)

وعلى ذكر حاتم الطائي الذي يضرب المثل بجوده ونداه، فإنَّ شاعراً جاهلياً اسمه قيس بن خفاف، وقيل بل هو عبد قيس بن خفاف، له في حاتم وفي الندى الذي يلتصق معناه به أشدّ الالتصاق، له هذا القول الفائق الروعة والجودة، وهو:

يعيش الندى ما عاش في الناس حاتم وإنْ مات كانت للسخاء مآتم[٦]

---

(١) الديوان ٤٧. والكاري: المنسوب إلى كارة. والخرق: الحمق والجهل.
(٢) الديوان ٥٤. والكوم: القطع من الإبل. ونعتامها: نصطفيها ونختار منها.
(٣) الديوان ٥٤. واليفاع: ما ارتفع من الأرض. والضرام: حطب الموقد المشتعل.
(٤) الديوان ٥٩. وأزرّف: أقصي وأبعد. وتأوّبني: عادني.
(٥) نفسه ٥٩.
(٦) معجم الشعراء، للمرزباني ٣٢٥. ط دمشق ١٩٥٧ م.

❖ **سالم بن زرارة:**

(قرى قبره الأضياف...)

وعلى ذكر حاتم وكرمه، فما أحسن ما قاله سالم بن زرارة الغطفاني، أحد شعراء صدر الإسلام، لعدي بن حاتم، وهو:

أبوك أبو سفّانة الخير لم يزل ... لدن شبّ حتى مات في الخير راغبا
به تضرب الأمثال في الشعر ميتاً ... وكان له إذ ذاك حيّاً مصاحبا
قرى قبره الأضياف إذ نزلوا به ... ولم يُقر قبر قبله الدهر راكبا[1]

❖ **ابن حمار:**

(لا يعلم الجار فيهم أنّه الجار)

من جيّد الشعر في الكرم وإقراء الضيف، والحدب على الجار، وإطعام الطعام في الأيام الشداد، وفي المحل، قول ابن حمار الكوفي، الشاعر الجاهلي، مثنياً على بني شيبان لتكرمهم، ولإيقادهم النيران، التي لا تنطفىء:

إنّي حمدت بني شيبان إذ خمدت ... نيران قومي وفيهم شبّت النار
ومن تكرّمهم في المحل أنّهم ... لا يعلم الجار فيهم أنّه الجار
حتى يكون عزيزاً من نفوسهم ... أو أن يبين جميعاً وهو مختار
كأنّه صرع في رأس شاهقة ... من دونه لعتاق الطير أوكار[2]

❖ **حجيّة بن المضرّب:**

(تلوم على مال...)

من الشعراء الفرسان الأجواد حجيّة بن المضرّب، الجاهلي، ومن شعره الذي يخاطب به زوجه التي تلومه على إهانته المال، وبذله للفقراء واليتامى والمساكين، قوله، وهو من جيّد القول:

تلوم على مال شفاني مكانه ... إليك فلومي ما بدالك واغضبي
رأيت اليتامى لا تسدّ فقورهم ... هدايا لهم في كلّ قعب مشعّب
فقلت لعبدينا أديما عليهم ... سأجعل بيتي مثل آخر معزب[3]

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢ / ١٦٣. دار المعرفة. بيروت ١٩٨٣ م.
(٢) أبو تمام: الحماسة ١ / ١٠٨. دار العلم. بيروت. وعتاق الطير: كبارها وأشدها قوّة.
(٣) نفسه ٢ / ٣٥. والعقب: القدح الضخم الغليظ.

❖ **حجر بن خالد:**

(سمعت بفعل الفاعلين...)

ومن جيّد الشعر في الثناء على الجود وأهله، قول حجر بن خالد، الشاعر الجاهلي، من بني ثعلبة، في النعمان بن المنذر المكنّى بأبي قابوس، يقول حجر:

سمعت بفعل الفاعلين فلم أجدْ ... كمثل أبي قابوس حزماً ونائلا
فساق الإله الغيث من كلّ بلدة ... إليك فأضحى حول بيتك نازلا
متى تنع ينع الجود والبأس والتقى ... وتصبح قلوص الحرب جرباء مائلا[1]

❖ **حنتر بن سعيد:**

(أخي أخي...)

ومن جيّد الشعر قول حنتر بن سعيد، أحد شعراء صدر الإسلام، من بني محارب، في رثاء أخيه عائذ بن سعيد، وكان هذا من الأجواد المشهورين، المقرين للضيف، المطعمين للزاد، يقول حنتر:

أخي، ما أخي، للضيف إنْ جاء طارقاً ... إذا الريح راحت وهي ذات جليد
وكنت كأنّي منه في رأس شاهق ... منيف ذراه، للعدوّ كؤود[2]

❖ **سلمة الجعفي:**

(وهوّن وجدي...)

ومن جيد الشعر في الجود والسخاء، ونحر الإبل والجزر للأضياف، قول سلمة الجعفي، من مذحج. أدرك الإسلام فأسلم، له قوله يرثي أخاه المضياف الجواد:

وهوّن وجدي أنّني سوف أغتدي ... على إثره يوماً وإنْ نفّس العمر
فتىً كان يعطي السيف في الروع حقّه ... إذا ثوّب الداعي وتشقى به الجزر[3]

وفي رواية صاحب «الكامل» أنّ الأبيات السالفة الذكر، وفيها زيادة، إنّما هي للأبيرد الرياحي، وتمامها هو:

فتىً كان يغلي اللحم نيئاً ولحمه ... رخيص لجاريه إذا ينزل القدر
فتىً كان يدنيه الغنى من صديقه ... إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر
فتىً الحيّ والأضياف إنْ روحتهم ... بليل وزاد السفر إنْ أرمل السفر
فتى لا يعدّ المال ربّاً ولا ترى ... به جفوة إنْ نال مالاً ولا كبر

---

(١) الحماسة ٢ / ٢٩٤. والقلوص: الناقة.
(٢) المؤتلف والمختلف، للامدي ٨١. ط دمشق ١٩٥٧ م.
(٣) الحماسة ١ / ٤٤٩. والجزر: صفة للإبل المنحورة. والروع: الحرب والهول.

فتىً كان يعطي السيف في الروع حقّه إذا ثوّب الداعي وتشقى به الجزر
وهوّن وجدي أنّني سوف أغتدي على إثره يوماً وإنْ نفّس العمر
فلا يبعدنك الله إمّا تركتنا حميداً وأودى بعدك المجد والفخر[1]

وما تجدر الإشارة إليه، هنا أنَّ الإمام عليّاً (ع)، تمثّل بهذا الشعر في الجمل، لما وقف على القتلى يتفقدهم، وكان فيهم طلحة بن الزبير.

❖ **النابغة:**

(ولا يحول عطاء اليوم دون غد)

من الملوك الأجواد، النعمان بن المنذر الغساني. والغساسنة، كما هو معلوم، أقاموا دولة أو قل إمارة، في الجاهلية، اتّسع نفوذها حتى بلغت مشارف العراق. ومن الشعراء الذين مدحوا النعمان، النابغة الذبياني، أحد أشهر شعراء الجاهلية، مدحه في جوده وسخائه حتى بلغ حدّ السرف، مستخدماً أسلوب التمثيل والتفريع، ومنه قوله:

فما الفرات إذا جاشت غواربه ترمي أواذيّه العبرين بالزبد
يحدّه كلّ وادٍ مترع لجب فيه ركام من الينبوت والخضد
يظلّ من خوفه الملاّح معتصماً بالخيزرانة بعد الأين والنجد
يوماً بأجود منه سيب نافلة ولا يحول عطاء اليوم دون غد[2]

(له بفناء البيت...)

ومن جيّد شعر النابغة في تصوير النعمان، الجواد المعطاء، المقري للضيفان، صاحب الجفان الكبيرة، قوله:

له بفناء البيت سوداء فخمة تلقّم أوصال الجزور العراعر
ترى الراغبين العاكفين ببابه على كلّ شيزى اترعت بعد كابر[3]

(فلا الضيف ممنوعاً ولا الجار ضائعاً)

أما في جود آل جفنة، قوم النعمان، وهم الغساسنة، فيقول النابغة:

فلله عينا من رأى أهل قبّة أضرّ لمن عادوا وأكثر نافعا

---

(١) الكامل ١ / ١٢٦. وأرمل: افتقر.
(٢) ديوان النابغة ٣٠ - ٣١. دار صعب. بيروت.
والسيب: العطاء. والنافلة: الزيادة في العطاء. والخيزرانة: دقّة السفينة.
والأين: الإعياء والتعب. والنجد: العرق. والينبوت: ضرب من الشجر. والخضد: ما تكسّر من أغصان الشجر. والغوارب: الأمواج العالية. ومثله الأواذي. والعبران: الضفتان.
٣) الديوان ٦٨. والعراعر: الفحل من الإبل. والشيزى: القدر أو الجفنة الكبيرة.

وأعظم أحلاماً وأكثر سيّداً ... وأفضل مشفوعاً إليه وشافعا
متى تلقهم لا تلقَ للبيت عورة ... فلا الضيف ممنوعاً ولا الجار ضائعا[١]

❖ زهير:

(تلق السماحة في خلق وفي خُلق)

أما زهير بن أبي سلمى، أحد أشهر أصحاب المعلقات، في الجاهلية، فقد مدح هرم ابن سنان، معروفه، وكرمه، وبذله وسماحته، فقال:

متى تلاق على علاّته هرماً ... تلق السماحة في خَلْق وفي خُلُق[٢]

(كأنّك تعطيه الذي أنت سائله)

وفيه يقول أيضاً، مادحاً جوده وسخاءه:

وأبيض فيّاض يداه غمامة ... على معتفيه، ما تغبّ فواضله
تراه إذا ما جئته متهللاً ... كأنّك تعطيه الذي أنت سائله
أخو ثقة لا يتلف الجود ماله ... ولكنه قد يتلف المال نائله[٣]

(لو كان يقعد...)

ومن جيّد شعر زهير في قوم هرم، الأسخياء، قوله:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم ... قوم بأوّلهم أو مجدهم قعدوا[٤]

(إنّ الشمائل والأخلاق تتّفق)

وقوله:

المطعمون إذا ما أزمة أزمت ... والطيّبون ثياباً كلّما عرقوا
كأنّ آخرهم في الجود أوّلهم ... إنّ الشمائل والأخلاق تتّفق[٥]

(إنّ البخيل ملوم...)

ومنه أيضاً، وهو في الغاية من الإبداع والتفنن:

إنّ البخيل ملوم حيث كان ولكنّ ... الجواد على علاّته هرم
هو الكريم الذي يعطيك نائله ... عفواً ويظلم أحياناً فينظلم
وإنْ أتاه خليل يوم مسألة ... يقول لا غائب مالي ولا حرم[٦]

---

(١) زهر الآداب، للحصري ٣ / ٢٣٣. مكتبة الهلال. بيروت.
(٢) العقد ١ / ٨٩
(٣) العقد ١ / ٨٩. وتغبّ: تتأخر وتبطىء.
(٤) الديوان ٧٥.
(٥) نفسه ١٠٣.
(٦) زهر الآداب، للحصري ٢ / ٣١٧. دار ومكتبة الهلال. بيروت.

(والخليل من أخلّ به الفقر)

(قد جعل الطالبون...)

ومنه أيضاً وهو من أحسن المدح، قوله:

قد جعل الطالبون الخير في هرم ... والسائلون إلى أبوابه طرقا[1]

❖ **نهشل بن حريّ:**

(جزى الله خيراً..)

ومن جيّد القول في امتداح الندى وأهله، قول نهشل بن حريّ، الدارمي، في كثير ابن أبي الصلت، وكان من الأجواد، هو وقومه، وقول نهشل هو التالي:

جزى الله خيراً، والجزاء بكفّه ... بني الصلت إخوان السماحة والمجد

أتاني وأهلي بالعراق نداهم ... كما انقضّ سيل من تهامة أو نجد[2]

❖ **النابغة الجعدي:**

(فتىً كملت أخلاقه..)

ومن جيّد الشعر الذي أنشده ابن سلام للنابغة الجعدي، قوله في أحد الأجواد:

فتىً كملت أخلاقه غير أنّه ... جواد فما يبقي من المال باقيا

فتىً تمّ فيه ما يسرّ صديقه ... على أنّ فيه ما يسوء الأعاديا[3]

❖ **الفارعة:**

(السابىء الزقّ للأضياف...)

ومن الشعر الجيّد في الجود والثناء على أهله، والبكاء عليهم ما قالته الفارعة بنت شدّاد، في رثاء أخيها مسعود، وكان من الفرسان الشجعان الأجواد:

يا عين بكّي لمسعود بن شدّاد ... بكاء ذي عبرات شجوه باد

من لا يذاب له شحم السديف ولا ... يجفو العيال إذا ما ضنّ بالزاد

ولا يحلّ إذا ما حلّ منتبذاً ... يخشى الرزيّة بين المال والنادي

نعم الفتى ويمين الله قد علموا ... يحلو به الحيّ أو يغدو به الغادي

هو الفتى تحمد الجيران مشهده ... عند الشتاء وقد همّوا بإخماد

السابىء الزقّ للأضياف إنْ نزلوا ... في داره وغيث المصبح الغادي[4]

---

(١) الديوان ١١٧.

(٢) زهر الآداب ٣ / ٧٨.

(٣) زهر الآداب ٣ / ٢٣٣.

(٤) زهر الآداب ٣ / ٢٧٣. والزقّ: وعاء الخمر. والسابىء: الثاقب.

❖ الحارث بن حلّزة:

(فإنَّ شرّ اللبن الوالج..)

ومن شعر الضيافة، وإقراء الضيفان، والجود بالمال، ما قاله الحارث بن حلّزة اليشكري، أحد أصحاب المعلقات العشر، ومن الفرسان والأجواد، وهو التالي:

قلت لعمر حين أرسلته ... وقد حبا من دوننا عالج
لا تكسع الشول بأغبارها ... إنَّك لا تدري من الناتج
واصبب لأضيافك ألبانها ... فإنَّ شرّ اللبن الوالج[1]

(وكسع الشول بأغبارها، فإنَّ العرب كانت تنضح على ضروعها الماء البارد ليكون أسمى لأولادها في بطونها، والغبر، بقيّة اللبن في الضرع فيقول: لا تبق ذلك لسمن أولادها فإنَّك لا تدري من ينتجها، فلعلك تموت، فتكون للوارث، أو يغار عليها)

❖ الشماخ:

(إنَّ الحديث طرف من القرى)

عرف عبدالله بن جعفر بن أبي طالب بجوده وسخائه وسماحته، وفي هذا المعنى يقول الشماخ بن ضرار بن سنان... ابن سعد بن ذبيان، أحد مخضرمي الجاهلية والإسلام، يقول فيه من الرجز:

إنَّك يا ابن جعفر نعم الفتى ... ونعم مأوى طارق إذا أتى
وجار ضيف طرق الحيّ سرى ... صادف زاداً وحديثاً ما اشتهى
إنَّ الحديث طرف من القرى[2]

❖ المسيّب بن علس:

(وعطاؤه متدفّق جزل)

ومن جيد الشعر في الثناء على الجود وأهله، ما قاله المسيّب بن علس، واسمه زهير، ويكنى أبا الفضّة، في ذي الرقيبة القشيري، الجواد والفارس، والقول هو:

ولقد رأيت القائلين وفعلهم ... فلذي الرقيبة مالك فضل
كفّاه متلفة ومخلفة ... وعطاؤه متدفّق جزل[3]

---

(١) المبرّد: الكامل في اللغة والأدب ١ / ٢٢٥. مكتبة المعارف. بيروت.
وعالج، اسم رمل. والشول: الإبل.
(٢) الأغاني، للأصفهاني ٨ / ١٠٢. دار عزالدين. بيروت.
والقرى: طعام الضيف. وطرق: أتى ليلاً.
(٣) الكامل في اللغة والأدب، للمبرد ١ / ٢٨٤.

(أنت الذي...)

ومنه أيضاً قوله مادحاً القعقاع بن معبد بن زرارة، وكان جواداً شجاعاً متلافاً:

فلأهدينّ مع الرياح قصيدة ... مني مغلغلة إلى القعقاع
أنت الذي زعمت معدّ أنّه ... أهل التكرّم والندى والباع[1]

❖ **طرفة:**

(وترى الجفان لدى مجالسنا)

ومن أجود الشعر في الكرم والسخاء قول طرفة بن العبد، الشاعر الجاهلي المعروف، في بني قومه بكر بن وائل، أصحاب الجفان الكبيرة، تملأها لحوم الإبل، معروضة للآكلين من الأضياف وغير الأضياف، من الفقراء والمساكين والأيتام وكل عابر سبيل، الجأته السنة الشهباء إليهم. يقول طرفة متغنياً بهذه المعاني الكبار:

إنّي من القوم الذين إذا ... أزم الشتاء ودوخلت حجرُهْ
يوماً ودونيت البيوت له ... فثنى قبيل ربيعهم قررهْ
رفعوا المنيح وكان رزقهم ... في المنقيات يقيمه يسرهْ
تلقى الجفان بكلّ صادقة ... تمّت تردّد بينهم حيرهْ
وترى الجفان لدى مجالسنا ... متحيّرات بينهم سؤرهْ
فكأنّها عقرى لدى قلب ... يصفرّ من أغرابها صقره[2]

(إنّما يخزن لحم المدّخر)

وقريب من هذا المعنى أيضاً، قوله فاخراً بكرم القوم وسخائهم وإقرائهم الضيف:

نحن في المشتاة ندعو الجفلى ... لا ترى الآدب فينا ينتقر
بجفان تعتري نادينا ... من سديف حين هاج الصنّبر
كالجوابي لاتني مترعة ... لقرى الأضياف أو للمحتضر
ثمّ لا يخزن فينا لحمها ... إنّما يخزن لحم المدّخر[3]

---

(١) الطبقات، لابن سلام. ٥٩. نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية.

(٢) ديوان طرفة ٣٥ دار الكتب العلمية. بيروت.
وأزم: اشتد. والقرر: البرد الشديد، جمع قرّة. والمنقيات: صفة للإبل السمان.
والجفان: جمع جفنة، وهي القصعة الكبيرة للطعام. والصادقة: صفة للناقة السمينة. وحير: قطع اللحم.
ومتحيرات: مملوءة. والسؤر: البقايا. وعقرى: معقورة، أي مطعونة. والقلب: الآبار، جمع قليب.
والأغراب: جمع غرب، وهو الماء في البئر. والصقر: بقية الماء الآسن.

(٣) نفسه ٤٣. والجوابي: ترع الماء. والمحتضر: وارد الماء. والسديف: لحم سنام الناقة.
والصنبّر: الشديد البرد. والجفلى: الدعوة إلى الطعام عامة.
وينتقر: يتذمر. والآدب: الداعي إلى الطعام.

(ويأوي إلينا الأشعث المتجزف)

ومثله أيضاً قوله ثالثة:

وإنّا إذا ما الغيم أمسى كأنّه ... سماحيق ثرب وهي حمراء حرجف
وجاء قريع الشول يرقص قبلها ... إلى الدفء والراعي لها متجرّف
نردّ العشار المنقيات شظيّها ... إلى الحيّ حتى يمرع المتصيّف
تبيت إماء الحيّ تطهي قدورنا ... ويأوي إلينا الأشعث المتحرّف[1]

❖ **حسّان:**

(يغشون حتى ما تهز كلابهم)

ومن الشعر الجيّد قول حسان بن ثابت الأنصاري، أحد مخضرمي الجاهلية، والإسلام، وهو من أحسن القول مادحاً ملوك غسان بالسماحة والجود، والعزّة، وكرم الحسب، وطيب المحتد، والشعر هو التالي:

لله درّ عصابة نادمتها ... يوماً بجلّق في الزمان الأوّل
أولاد جفنة عند قبر أبيهم ... قبر ابن ماويّة الكريم المفضل
يغشون حتى ما تهرّ كلابهم ... لا يسألون عن السواد المقبل
يسقون من ورد البريص عليهم ... كأساً تصفّق بالرحيق السلسل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم ... شمّ الأنوف من الطراز الأول[2]

ولقد اعتبر الحطيئة حساناً أشعر الشعراء في البيت الثالث (يغشون..) والمعنى فيه واضح. وهو أنّ أولاد جفنة تعوّدت كلابهم عادة عدم الهرّ، أي النباح، عند قدوم الغرباء ليلاً، وهذا إنْ دلّ فإنّما يدلّ على سماحة القوم ونداهم، وإقرائهم الأضياف في أي وقت من الأوقات.

(يعطي الجزيل..)

وفي ابن جفنة يقول حسان، وهو من جيّد القول:

إنّ ابن جفنة من بقيّة معشر ... لم تغذهم آباؤهم باللوم
يعطي الجزيل ولا يراه عنده ... إلاّ كبعض عطيّة المذموم[3]

(وأنت ربيع لليتامى..)

من الأجواد المعدودين عبيدالله بن عباس، أول من فطر جيرانه، وأوّل من وضع

---

(١) الديوان ٥٥. والمتجرفّ: من جرف ماله وتبعثر. والعشار: الإبل التي مضى على حملها عشرة أشهر. والمنقيات: صفة للإبل السمان. والشظي: عظم الساق.
(٢) الديوان ١٤٦. وجلّق: اسم كان يطلق على دمشق.
(٣) العقد ١ / ١١٦.

الموائد على الطرق، وأوّل من حيّا على طعامه، وأوّل من نهبه، وفيه يقول حسّان:

وفي السنة الشهباء أطعمت حامضاً ... وحلواً ولحماً تامكاً ومموّزعا
وأنت ربيع لليتامى وعصمة ... إذا المحل من جود السماء تطلّعا
أبوك أبو الفضل الذي كان رحمة ... وغوثاً ونوراً للخلائق أجمعا[1]

❖ **أعرابي:**

(فيمطر يوم الجود من كفّه الندى)

ومن جيّد ما قيل في ندى النعمان بن المنذر وجوده وسخائه وشجاعته وشدّة بأسه، وكان للنعمان يومان: يوم بؤس ويوم نعم، ما قاله ذلك الأعرابي فيه، وهو:

له يوم بؤس فيه للناس أبؤس ... ويوم نعيم فيه للناس أنعم
فيمطر يوم الجود من كفّه الندى ... ويمطر يوم البؤس من كفّه الدم
فلو أنّ يوم البؤس فرّع كفّه ... لبذل الندى لم يبقَ في الأرض معدم
ولو أنّ يوم الجود لم يثن كفّه ... عن البأس لم يصبح على الأرض مجرم[2]

❖ **أمية بن أبي الصلت:**

(المطعمين الشحم...)

ومن شعر أمية بن أبي الصلت الشاعر الجاهلي الإسلامي المخضرم، في رثاء قتلى بدر، من المسلمين، وما كان فيهم إلاّ كلّ جوّاد مقدام شجاع، سخيّ، قوله:

ألا بكيت على الكرام ... بني الكرام أولي الممادح
القائلين الفاعلين ... الآمرين بكلّ صالح
المطعمين الشحم فو ... ق الخبز شحماً كالأنافح
نقل الجفان مع الجفان ... إلى جفان كالمناضح
ليست بأصغار لمن ... يقفو ولا راح رحارح
وهب المئين من المئين ... إلى المئين من اللواقح[3]

❖ **القاسم بن أمية:**

(لا ينكثون الأرض...)

وعلى ذكر أمية، فما أحسن هذين البيتين الشعريين للقاسم بن أمية بن أبي الصلت، في قوم أجواد مياسير. يقول القاسم:

---

(١) العقد ١ / ٩٠.
(٢) الكشكول، لبهاء الدين العاملي ٣ / ٤٢٢. دار الكتاب اللبناني. بيروت ١٩٨٣.
(٣) العقد ٢ / ٣٢.

قـوم إذا نـزل الـغـريـب بـدارهـم ... ردّوه ربّ صـواهـل وقـيـان
لا يـنـكـثـون الأرض عـنـد سـؤالـهـم ... لـتـلـمّـس الـعـلاّت بـالـعـيـدان[1]

❖ الشماخ:

(إذا ما راية رفعت...)

ومن أجود شعر المدح في الجود والأجواد، والسماحة وأهلها قول الشماخ بن ضرار، واسمه معقل، من غطفان، الشاعر الجاهلي المعمّر الذي أدرك الإسلام، قوله مادحاً عرابة بن أوس الأنصاري، أحد أشهر الأجواد الشجعان، وهو:

رأيـت عـرابـة الأوسـي يـسـخـو ... إلـى الـخـيـرات مـنـقـطـع الـنـظـيـر
إذا مـا رايـة رفـعـت لـمـجـد ... تـلـقّـاهـا عـرابـة بـالـيـمـيـن
إذا بـلـغـتـنـي وحـمـلـت رحـلـي ... عـرابـة فـاشـرقـي بـدم الـوتـيـن[2]

(فتى يمرىء الساري..)

وقوله الآخر فيه:

وأبـيـض قـد قـدّ الـسـفـار قـمـيـصـه ... يـجـرّ الـشـوّا بـالـعـصـا غـيـر مـنـضـج
دعـوت إلـى مـا نـابـنـي فـأجـابـنـي ... كـريـم مـن الـفـتـيـان غـيـر مـزلـج
فـتـىً يـمـرىء الـسـاري ويـروي سـنـانـه ... ويضرب في رأس الكميّ المدَّجج[3]

❖ الخنساء:

(مأوى اليتيم وغاية المنتاب)

من الأجواد الفرسان والشجعان في الجاهلية، صخر بن عمرو بن الحارث، أخو الخنساء الشاعرة المخضرمة المشهورة، قتل يوم ذي الأثل، فبكته الخنساء ورثته رثاء حارّاً تضمّن الإشادة بمعاني الكرم والجود تينك الصفتين اللتين كان يتحلّى بهما صخر، وإنّ من هذا الشعر الجيد في تلك المعاني قولها فيه، وهو الذي كان يقري الضيف، ويؤوي اليتيم، ويُطعم الجائع:

ضـخـم الـدسـيـعـة بـالـنـدى مـتـدفّـقـاً ... مـأوى الـيـتـيـم وغـايـة الـمـنـتـاب[4]

---

(١) الأغاني ٣ / ١٧٩.
(٢) الكامل في اللغة ١ / ٣٩٨. والوتين: عرق في جانب العنق.
(٣) العقد ٣ / ٧٥.
والكمي: الفارس. ويمرىء: يشبع.
(٤) ديوان الخنساء ٩، دار الفكر العربي. بيروت. ١٩٩٤ م.
والدسيعة: القدر أو الجفنة الكبيرة.

(يا فارس الخيل..)

وقولها فيه، وهو الذي كان يقوم بأود الأرامل والفقراء والجائعين:

يا فارس الخيل إذ شدّت رحائلها ... ومطعم الجوّع الهلكى إذا سغبوا
كم من ضرائك هلاّك وأرملة ... حلّوا لديك فزالت عنهم الكرب
سقياً لقبرك من قبر ولا برحت ... جود الرواعد تسقيه وتحتلب
ماذا تضمّن من جود ومن كرم ... ومن خلائق ما فيهنّ مقتضب[1]

(الواهب المائة الهجان...)

وإذا ذكر الندى، ذكر صخر، كيف وهو الذي كان يهب في حياته من الجياد العتاق المائة عدّاً، فإذا مات مات الكرم والجود وكلّ خير وصالح:

يا عين جودي بالدموع المستهلاّت السوانح
وابكي لصخر إذ ثوى بين الضريحة والصفائح
الواهب المائة الهجان من الخناذيذ السوابح
فنساؤنا يندبنَ نوحاً بعد هادية النوائح
يندبنَ فقد أخي الندى والخير والشيم الصوالح
والجود والأيدي الطوال المستفيضات السوامح[2]

(المستضاف من السنين...)

وكيف لا تبكي الباكيات صخراً وهو الذي كان ينحر الإبل للأضياف في السنين الشديدة، والليالي القرّ، تقول الخنساء:

يا عين جودي بالدموع ... فقد جفّت عنك المراود
وابكي لصخر إنّه ... شقّ الفؤاد لما يكابد
المستضاف من السنين ... إذا قسا منها المحارد
حين الرياح بلائل ... نكب هوائجها صرائد
فيفكّ كربة من تمخّخ ... نقية الدول المجاهد
والناس سابلة إليك ... فصادر بغنىً ووارد
يغشون منك غطامطاً ... جاشت بوابله الرواعد[3]

---

(١) ديوان الخنساء ١١. والرحائل: السرج من الجلد. وسغبوا: جاعوا. والضرائك: الفقراء. وجود الرواعد: كناية عن الأمطار التي تصحبها.

(٢) الديوان ٢١. والشيم: الخلق والطباع. والهادية: المتقدمة. والسوابح: صفة للخيل المسرعة. والخناذيذ: صفة ثانية لها، وهي الطويلة القوية. والهجان: صفة ثالثة لها أو هي الجياد العتاق.

(٣) الديوان ٢٦ - ٢٧.

والغطامط: صفة للبحر الكثير الأمواج، كناية عن الكرم. والوابل: المطر الشديد. وتمخخ العظم: أخرج مخّه. والنقية: مخّ العظم وشحم العين. والمحارد من الإبل: الإناث التي قلّ لبنها. ومن السنين: ما قلّ مطرها.

(ولا يكتنّ دونهم بستر)

وتقول ثانية، وهو من جيّد القول، وفيه تبرز ملامح صخر الكريم السخيّ الجواد:

ألا يا عين فانهمري بغُدر ... وفيضي فيضة من غير نزر
على صخر وأيّ فتىً كصخر ... لعانٍ عائل غلق بوتر
وللأضياف إذ طرقوا هدوّا ... وللكلّ المكلّ وكلّ سفر
إذا نزلت بهم سنة جماد ... أبيّ الدرّ لم تسكع بغبر
هناك يكون غيث حيا تلاقى ... نداه في جناب غير وعر
إذا ما الضيف حلّ إلى ذراه ... تلقّاه بوجه غير بسر
تفرّج بالندى الأبواب عنه ... ولا يكتنّ دونهم بستر[1]

(وفي الجدوب كريم الجدّ ميسار)

ومن جيد الشعر في إظهار معاني الجود والسخاء التي كان يتحلّى بها صخر قولها فيه:

ولا تراه وما في البيت يأكله ... لكنّه بارز بالصحن مهمار
ومطعم القوم شحماً عند مسغبهم ... وفي الجدوب كريم الجدّ ميسار
طلق اليدين لفعل الخير ذو فجر ... ضخم الدسيعة بالخيرات أمّار
لا يمنع القوم إنْ سالوه خلعته ... ولا يجاوزه بالليل مرّار[2]

(فمن لقرى الأضياف..)

وحريّ بالخنساء أنْ تبكي أخاها صخراً، تبكي الفارس والكريم، مقري الضيف، أخا الندى والجود.

تقول، وهو من جيّد القول:

لقد صوّت الناعي بفقد أخي الندى ... نداء لعمري، لا أبا لك، يسمع
فمن لقرى الأضياف بعدك إنْ هم ... قبالك حلّوا ثمّ نادوا فأسمعوا
كعدكم إذ أنت حيّ وإذ هم ... لديك منالات وريّ ومشبع
وكنت إذا ما خفت إرداف عسرة ... أظلّ لها من خيفة أتقنّع

---

(١) الديوان ٣٧ - ٣٨.
والبسر: العابس. والحيا: المطر.
والسنة الجماد: الشديدة لم يصبها مطر. وتكسع: تطرد.
والعاني: الأسير. والغلق: المغضب. والوتر: الثأر.
(٢) الديوان ٤٤. والدسيعة: الجفنة الكبيرة للطعام. والمسغب: المجاعة. وميسار: صاحب يسر وخير كثير. ومهمار: شديد الإنهمار، كناية عن الجود.

دعوت لها صخر الندى فوجدته له موسر ينفى به العسر أجمع[١]

(يملأ الجفنة شحماً)

وما أحسن هذا الوصف الذي يظهر فيه جود صخر وكرمه، وإقراؤه الأضياف، فهم ما بين صادر وارد، وآكل، وشبعان، ريّان وقد امتلأت بطنه بالشحم والسديف، من أشرف الإبل والصفايا الكوم. تقول الخنساء:

إنَّ صخراً كان حصناً وربىً للعطفة
وغياثاً وربيعاً للعجوز الخزفة
وإذا هبّت شمال أو جنوب عصفة
نحر الكوم الصفايا والبكار الخلفة
يملأ الجفنة شحماً فتراها سدفة
وترى الهلاّك شبعى نحوها مزدلفة
وترى الأيدي فيها وسمات غدفة
واردات صادرات كقطا مختلفة[٢]

(فمن للضيف إنْ هبّت شمالاً)

وما أحسن هذا الوصف الآخر الذي يظهر صخراً وكأنه فتى الفتيان، وجواد الأجواد، ربّ الندى، والسابق إلى البذل، وما من أحد يبلغ حدّ نداه، وسماحته ونجدته، تقول الخنساء:

بكت عيني وعاودها قذاها بفوّار فما تقضي كراها
على صخر وأيّ فتى كصخر إذا ما الناب لم ترأم طلاها
فتى الفتيان ما بلغوا مداه ولا يُكدى إذا بلغت كداها
له كفّ يشدّ بها وكفّ تحلّب ما يجفّ ثرى نداها
فمن للضيف إنْ هبّت شمال مزعزعة تجاوبها صباها
هنالك لو نزلت بآل صخر قرى الأضياف شحماً من ذراها[٣]

❖ **قيس بن عاصم:**

(وإنّي لعبد الضيف...)

ومن جيد ما قيل في الجود، وإقراء الضيف، والحثّ على البذل، قول قيس بن

---

(١) الديوان ٦٣.
(٢) الديوان ٩٧. والقطا: ضرب من الحمام البري. ومزدلفة: منصبّة، قاصدة. والكوم: كرام الإبل، ومثلها الصفايا.
(٣) الديوان ٩٠. وعوار العين: الرمد. وقذاها: ما يعلق بها من أذى وغبار.

عاصم المنقري، الفارس والجواد المتلاف، أدرك الإسلام، فأسلم، قوله مخاطباً زوجه، وقد تنسب هذه الأبيات إلى حاتم أيضاً، وهو:

أيا ابنة عبدالله وابنة مالك ... ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد
إذا ما أصبت الزاد فالتمسي له ... أكيلاً فإنّي لست آكله وحدي
قصيّاً كريماً أو قريباً فإنّني ... أخاف مذمّات الأحاديث من بعدي
وإنّي لعبد الضيف ما دام ثاوياً ... وما من خلالي غيرها شيمة العبد[1]

❖ **الأعشى:**

(يرى البخل مرّاً...)

ومن جيد الشعر في الجود والسخاء قول الأعشى، الشاعر الجاهلي المعروف، في مدح هوذة بن علي الحنفي، أحد الأجواد المعدودين، وهو:

فتىً لو ينادي الشمس ألقت قناعها ... أو القمر الساري لألقى المقالدا
ويصبح كالسيف الصقيل إذا غدا ... على ظهر أنماط له ووسائدا
يرى البخل مرّاً، والعطاء كأنّما ... يلذّ به عذباً من الماء بارداً[2]

(المطعمو اللحم...)

وقوله يمدح عامر بن الطفيل ورهطه، وهم الذين إذا ما أمحلت الأرض، واشتدّ القرّ، نحروا الإبل السمان للضيف والجائع والجار الجنب:

حولي ذوو الآكال من وائل ... كالليل من بادٍ ومن حاضر
المطعمو اللحم إذا ما شتوا ... والجاعلو القوت على الياسر
من كلّ كوماء سحوف إذا ... جفّت من اللحم مدى الجازر
والشافعون الجوع عن جارهم ... حتى يرى كالغصن الناضر[3]

(يوماً باجود منه...)

وبالعودة إلى هوذة، فإنّ الأعشى وكعادة الشعراء الجاهليين الذين استخدموا التفريع في شعرهم، ليرى أنّ هوذة أكرم، وأكثر عطاء من نهر هيت في أشدّ حالاته هيجاناً وطوفاناً. يجود هوذة بالمال، ولا يضنّ به على من يسأله، وذلك خلافاً لسائر الناس، بل الأجواد الذين قدْ يضنّون به في الشدّة.

يقول الأعشى:

---

(١) الكامل ١ / ٣٤٥. والورد: صفة للفرس فيه لون الورد.
(٢) ديوان الأعشى ٤٤. دار صادر. بيروت.
(٣) نفسه ٩٥.

وما مجاور هيت إنْ عرضت له ... قد كان يسمو إلى الجرفين واطّلعا
يجيش طوفانه إذ عبّ محتفلاً ... يكادُ يعلو ربى الجرفين مطّلعا
طابت له الريح فامتدّت غواربه ... ترى حوالبه من موجه ترعا
يوماً بأجود منه حين تسأله ... إنْ ضنّ ذو المال بالإعطاء أو خدعا[1]

(الواهب المائة الهجان...)

أما قوله في جود قيس بن معد يكرب، هذا الجوّاد السخيّ الكريم، فهو لا يختلف كثيراً عن قوله في هوذة، المارّ ذكره. لا بل إنَّ جود قيس ليزيد على جود هوذة، إذ أنَّ النيل، وما أدراك النيل، في حالة فيضانه، وليس النيل بمصر، بل بالعراق، قريباً من بابل، النيل هذا في حال هياجه وفيضانه ما كان ليكون أكثر عطاء وسماحة وبذلاً من قيس. يقول الأعشى مفرّعاً ومبالغاً ومادحاً ومنبهراً بعطاء قيس:

ولقد نزلت بخير من وطىء الحصى ... قيس فأثبت نقلها وقبالها
ما النيل أصبح زاخراً من مدّه ... جادت له الريح الصبّا فجرى لها
زبداً ببابل فهو يسقي أهلها ... رغداً تفجّره النبيط خلالها
يوماً بأجود نائلاً منه إذا ... نفس البخيل تجهّمت سؤّالها
الواهب المائة الهجان وعبدها ... عوذاً تزجّي خلفها أطفالها
والقارح العدّا وكلّ طمرّة ... ما إنْ تنال يد الطويل قذالها[2]

(هو الواهب الكوم..)

ومن الأجواد العرب في الجاهلية، إياس بن قبيصة الطائي، وأين النيل، نيل مصر، لا العراق، وأين بانقيا، نهر بالعراق، وأين عطاؤه من عطاء إياس، الذي يهب الإبل الصفايا، والفرس الكميت، والجواد الطمّر الأدهم، والفنيق الذمول من الإبل، والقينة المغنية. يهب كل هذا لمن جاءه سائلاً ولا يردّ له طلباً.

يقول الأعشى منوّهاً بجود إياس، مستخدماً التفريع والمقابلة والمشابهة:

فما نيل مصر إذا تسامى عبابه ... ولا بحر بانقيا إذا راح مفعما
بأجود منه نائلاً إنَّ بعضهم ... إذا سئل المعروف صدّ وجمجما
هو الواهب الكوم الصفايا لجاره ... يشبهن دوماً أو نخيلاً مكمّما
وكلّ كميت كالقناة محاله ... وكلّ طمرّ كالهراوة أدهما

---

(١) ديوان الأعشى ١٠٩. وهيت: اسم بلد بالعراق. وترعاً: جمع ترعة، وهي ملتقى الماء.
(٢) ديوان الأعشى ١٥٢. والنبيط، والنبط: قبائل غير عربية سكنت العراق. والعوذ، والهجان: صفة للإبل الحديثة النتاج. والقارح: صفة لفحل الإبل الذي ينبت أسنانه.
والطمرّة: صفة للفرس السريع. والقذال: مؤخر الرأس.

وكلّ مزاق كالقناة طمرّة ... وأجرد جيّاش الأجاريّ مرجما
وكلّ ذمول كالفنيق وقينة ... تجرّ إلى الحانوت برداً مسهّما
ولم يدعِ ملهوف من الناس مثله ... ليدفع ضيماً أو ليحمل مغرما[1]

(وبات على النار الندى والمحلّق)

وما أحسن ما قاله الأعشى في المحلّق بن خيثم بن شدّاد، وكان هذا قد نحر ناقته التي لا يملك غيرها، وقدمها للأعشى وصحبه، فقال الأعشى قوله المشهور:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة ... إلى ضوء نار في يفاع تحرّق
تشبّ لمقرورين يصطليانها ... وبات على النار الندى والمحلّق
ترى الجود يسري سائلاً فوق وجهه ... كما زان متن الهنديوانيّ رونق
نفى الذمّ عن رهط المحلّق جفنة ... كجابية الشيخ العراقيّ تفهق[2]

❖ **عنترة:**

(والمطعمون إذا السنون تتابعت)

ومن القول الجيّد البليغ في الكرم والجود والبذل قول عنترة بن شدّاد العبسي، الشاعر الجاهلي المعروف، وهو من هو نجدة وشجاعة وفروسية وجوداً، يقول عنترة مثنياً على بني قومه المطعمين في الشدّة والضرّاء، الباذلين المال بالفعل، لا بالقول، يقول:

قومي صمام لمن أرادوا ضيمهم ... والقاهرون لكلّ أغلب صالي
والمطعمون وما عليهم نقمة ... والأكرمون أباً ومحتد خال
منّا المعين على الندى بفعاله ... والبذل في اللزبات بالأموال
والمطعمون إذا السنون تتابعت ... محلاً وضنّ سحابها بسجال[3]

---

(١) ديوان الأعشى ١٨٩.
والذمول: الناقة في سيرها ذمل، أيّ بطء. والمسهّم من البرود: المخطّط. والفنيق: الفحل من الإبل، لا يركب لعزّته وكرامته. والمزاق: صفة للفرس السريع، ومثلها الطمرّة. أما الأجرد من الخيل: فهو القويّ السريع. ومثله الكميت، في لونه صهبة وسواد وحمرة. والأدهم: الأسود. والكوم: واحدتها الكوماء، صفة للناقة الضخمة. والصفايا، من الإبل: الغزيرة اللبن. والدوم: ضرب من الشجر.
(٢) العقد ٣ / ١٢١.
(٣) ديوان عنتر ١١٠ - ١١١. دار الفكر العربي ١٩٩٦. بيروت.
واللزبات: الشدائد. وصمام: اسم علم جنس، يُطلق على الداهية.
والصالي: المخادع. والسنون: الأعوام المجدبة لا مطر فيها.
والسجال: المطر.

❖ الحطيئة:

(حليف الندى..)

ومن أجود الشعر في الجود والأجواد، قول الحطيئة، الشاعر الجاهلي الذي أدرك الإسلام، مادحاً عمراً الثقفي الجواد:

يعيش الندى ما عاش عمرو بن عامر ... وولّى الندى إنّ نفس عمرو وتولّت
حليف الندى لما تولّى خلا الندى ... فماتت عطايا المكثرين وقلّت[1]

(ويعلم أنّ المال غير مخلّد)

ومن حسن المدح، وجيّد الشعر في الثناء على الجود وأهله، قوله:

تزور امرأً يعطي على الحمد ماله ... ومن يعطِ أثمان المحامد يحمد
يرى البخل لا يبقي على المرء ماله ... ويعلم أنّ المال غير مخلّد
كسوب ومتلاف إذا ما سألته ... تهلّل واهتز اهتزاز المهنّد
متى تأته تعشو إلى ضوء ناره ... تجد خير نار عندها خير موقد[2]

(وإنْ أنعموا لا كدّروها ولا كدّوا)

ولا يقلّ عن هذا الشعر جودة، قوله الآخر:

يسوسون أحلاماً بعيداً أناتها ... وإنْ غضبوا جاء الحفيظة والجدّ
أقلّوا عليهم لا أباً لأبيكم ... من اللوم أو سدّوا المكان الذي سدّوا
أولئك قوم إنْ بنوا أحسنوا البنا ... وإنْ عاهدوا أوفوا وإنْ عقدو شدّوا
وإنْ كانت النعماء فيهم جزوا بها ... وإن أنعموا لا كدّروها ولا كدّوا
وإنْ قال مولاهم على جلّ حادث ... من الدهر ردّوا فضل أحلامكم ردّوا[3]

(وذاك فتىً...)

وإنّ من بليغ القول في الجود واصطناع المعروف، قول الحطيئة مادحاً أحد الأجواد:

وذاك فتىً إنْ تأته في صنيعة ... إلى ماله لا تأته بشفيع[4]

(إنْ يعطك اليوم لا يمنعك ذاك غدا)

وإنّ منه أيضاً، قوله مثنياً على جود كل من علقمة بن هوذة، وبغيض القريعي:

لا يبعد الله إذ ودّعت أرضهم ... أخي بغيضاً، ولكن غيره بعدا

---

(١) ديوان الحطيئة ١٦٨. دار صادر. بيروت ١٩٦٧.
(٢) زهر الآداب ٣ / ٢٣٣.
(٣) زهر الآداب ٣ / ٢٣٤.
والأحلام: العقول. والحفيظة: الغضب.
(٤) الكامل ١ / ١٧.

لا يبعد الله من يعطي الجزيل ومن ... يحبو الجليل وما أكدى وما نكدا
ومن يلاقيه بالمعروف مبتهجاً ... إذا اجرهد صفا المذموم أو صلدا
لاقيته ثلجاً تندي أنامله ... إنْ يعطك اليوم لا يمنعك ذاك غدا[1]

❖ ذو الإصبع العدواني:

(وابسط يمينك بالندى)

من الشعراء، قدامى هم في الجاهلية، وكان فارساً شجاعاً سيداً مطاعاً، ذو الإصبع العدواني، واسمه حرثان بن الحرث. له في الجود، والحثّ عليه، شعر جيّد، وإنّ منه على سبيل المثال، قوله مخاطباً ابنه أسيداً، حاثاً إياه على مصاحبة الكرام، ومجانبة اللئام:

أأسيد إنْ مالاً ملكت ... فسر به سيراً جميلا
آخ الكرام إن استطعت ... إلى إخائهم سبيلا
واشرب بكأسهم وإنْ ... شربوا به السمّ الثميلا
أهن اللئام ولا تكن ... لإخائهم جملاً ذلولا
أبنيّ إنّ المال لا ... يبكي إذا فقد البخيلا
فاحفظ وإنْ شحط المزا ... ر أخا أخيك أو الزميلا
وصل الكرام وكن لمن ... ترجو مودّته وصولا
وابسط يمينك بالندى ... وامدد لها باعاً طويلا
وابسط يديك بما ملكت ... وشيّد الحسب الأثيلا
وابذل لضيفك ذات رحلك ... مكرماً حتى يزولا
واحلل على العافين للعا ... فين واجتنب المسيلا[2]

وذو الإصبع، هذا هو الذي دعا ابنه أسيداً، لما كان يحتضر فأوصاه قائلاً:

«إنّي موصيك بما إنْ حفظته بلغت في قومك ما بلغته، فاحفظ عني: ألن جانبك لقومك يحبوّك، وتواضع لهم يرفعوك، وابسط لهم وجهك يطيعوك، ولا تستأثر عليهم بشيء يسوّدوك. واسمح بمالك، واحم حريمك، وأكرم ضيفك»[3]

---

(١) الأغاني ٢ / ٥٥. ويحبو: يعطي.
(٢) الأغاني ٣ / ٦ - ٧.
(٣) الأغاني ٣ / ٦.

❖ **العرندس:**

(هينون لينون...)

ومن الشعر الجيّد في هذا الموضوع ما قاله العرندس، أحد بني بكر بن كلاب يمدح أبا عمرو الغنوي وقومه:

هينون لينون أيسار ذوو كرم ... سوّاس مكرمة أبناء أيسار
إنْ يسألوا العرف يعطوه وإنْ خبروا ... في الجهد أدرك منهم طيب أخبار
لا ينطقون عن الأهواء إنْ نطقوا ... ولا يمارون إنْ ماروا بإكثار
من تلقَ منهم تقل لا قيت سيّدهم ... مثل النجوم التي يسري بها الساري
منهم وفيهم يعدّ الخير متلّداً ... ولا يعدّ شنا خزي ولا عار[1]

❖ **الوليد بن عقبة:**

(إذا هبّت رياح أبي عقيل)

كان الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس والياً لعثمان على الكوفة. عرف عنه نجدته وسرعة إغاثته، والجود بما يملك.

ومن نادر ما حدّثوا عنه أنَّ لبيد بن ربيعة بن مالك، الشاعر الجاهلي والإسلامي، كان قد نذر أنْ لا تهبّ الصبا إلاّ ونحر وأطعم، وهو من الأجواد المعدودين في الإسلام والجاهلية، فهبّت الصبا وهو بالكوفة، وكان مملقاً لا يملك شيئاً. فعلم بذلك الوليد بن عقبة، فخطب الناس وقال إنّكم قد عرفتم نذر أبي عقيل، أيْ لبيد، وما وكدّ على نفسه فأعينوا أخاكم. ثمّ نزل فبعث إليه بمائة ناقة، مع أبيات يقول فيها:

أرى الجزّار تشحذ مديتاه ... إذا هبّت رياح أبي عقيل
طويل الباع أبيض جعفريّ ... كريم المجد كالسيف الصقيل
وفى ابن الجعفريّ بما لديه ... على العلاّت والمال القليل

فلمّا أتته قال جزى الله الأمير خيراً، قد عرف الأمير أني لا أقول شعراً ولكن اخرجي يا بنيّتي، فخرجت خماسية، فقال لها: أجيبي الأمير، فأقبلت وأدبرت، وبعث الناس فقضى نذره، ففي ذلك تقول ابنة لبيد:

إذا هبّت رياح أبي عقيل ... دعونا عن هبّتها الوليدا
طويل الباع أبيض عبشميّاً ... أعان على مروّته لبيدا
بأمثال الهضاب كأنَّ ركباً ... عليها من بني حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيراً ... نحرناها وأطعمنا الثريدا

---

(١) زهر الآداب ٣ / ٢٩٣.

فـعِـدْ إنَّ الـكـريـم لـه مـعـاد وظـنّـي بـابـن أروى أنْ يـعـودا

قال لها لبيد: أحسنت يا بنيّتي لولا أنّك سألت، فقالت: إنَّ الملوك لا يستحى من مسئلتهم. فقال لها: يا بنيّتي، وأنت في هذا أشعر[١].

❖ **متمّم بن نويرة:**

(خصيباً إذا ما زائد الجدب أوضعا)

من الأجواد الشجعان مالك بن نويرة، وفي جوده وسخائه المنقطع النظير، يقول أخوه متمّم، وكنيته أبو مالك، من بني يربوع المتوفى سنة ١٢ هـ / ٦٤٤م

يقول في معرض رثائه أخاه مالكاً، وهو من جيّد القول:

لـقـد كـفّـن الـمـنـهـال تـحـت ردائـه فـتـىً غـيـر مـبـطـان الـعـشـيـات أروعـا
ولا بـرم تـهـدي الـنـسـاء لـعـرسـه إذا الـقـشـع مـن بـرد الـشـتـاء تـقـعـقـعـا
لـبـيـبـاً أعـان الـلـبّ مـنـه سـمـاحـة خـصـيـبـاً إذا مـا زائـد الـجـدب أوضـعـا
تـراه كـنـصـل الـسـيـف يـهـتـزّ لـلـنـدى إذا لـم تـجـد عـنـد امـرىء الـسـوء مـطـمـعـا
إذا ابـتـدر الـقـوم الـقـداح وأوقـدت لـهـم نـار أيـسـار كـفـى مـن تـضـجّـعـا
بـمـثـنـى الأيـادي ثـمّ لـم تـلـف مـالـكـاً عـلـى الـغـرث يـحـمـي الـلـحـم أنْ يـتـمـزّعـا[٢]

(جميل المحيّا ضاحك عند ضيفه)

وإنَّ من شعر متمّم الرائع في رثاء أخيه مالك، يرثي الشجاعة والندى والجود، قوله:

جـمـيـل الـمـحـيّـا، ضـاحـك عـنـد ضـيـفـه أغـرّ جـمـيـع الـرأي مـشـتـرك الـرحـل
وقـور إذا الـقـوم الـكـرام تـقـاولـوا فـحـلّـت حـبـاهـم واسـتـطـيـروا مـن الـجـهـل
وكـنـت إلـى نـفـسـي أشـدّ حـلاوة مـن الـمـاء بـالـمـاذيّ مـن عـسـل الـنـحـل
وكـلّ فـتـىً فـي الـنـاس بـعـد ابـن أمّـه كـسـاقـطـة إحـدى يـديـه مـن الـخـبـل
وبـعـض الـرجـال نـخـلـة لا جـنـى لـهـا ولا ظـلّ إلاّ أنْ تـعـدّ مـن الـنـخـل[٣]

ومن أحسن أوصاف متمّم في أخيه مالك ما قاله لما سأله عمر ابن الخطاب قائلاً: إنَّك لجزل، فأين كان أخوك منك؟ فقال: كان والله، أخي في الليلة المظلمة ذات الأزيز والصرّاد، يركب الجمل الثفال، ويجنب الفرس الجرور، وفي يده الرمح الثقيل، وعليه الشملة الفلوت، وهو بين المزادتين حتى يصبح فيصبّح أهله مبتسماً[٤].

---

(١) الكامل ٢ / ٦١ وعبشمياً: منسوباً إلى عبد شمس. وأروى: أمّ الوليد، وهي أروى بنت كريز بن حبيب.
(٢) الكامل ٢ / ٣٥٥.
والمبطان: الملآن البطن. والقشع: السحاب والقطع منه. والغرث: خرء الدواب.
(٣) الكامل ٢ / ٣٦٠.
(٤) الكامل ٢ / ٣٦٠.

(والثفال: البطيء الذي لا يكاد ينبعث. والجرور: الذي لا يكاد ينقاد مع من يجنبه، إنّما يجرّ الحبل، والشملة الفلوت: التي لا تكاد تثبّت على لابسها).

❖ لبيد:

(وجزور أيسار...)

من الشعراء الأجواد والفرسان الشجعان، لبيد بن ربيعة، أحد أبرز شعراء الجاهلية والإسلام، وصاحب المعلقة المشهورة، وقد عبّر عن جوده وجود قومه، وسيّدهم، أحسن تعبير، وذلك حين يقول:

وجزور أيسار دعوت لحتفها ... بحغالق متشابه أعلامها
أدعو بهنّ لعاقر أو مطفل ... بذلت لجيران الجميع لحامها
فالضيف والجار الغريب كأنّما ... هبطا تبالة مخصباً أهضامها
تأوي إلى الأطناب كل رذيّة ... مثل البليّة قالص أهدامها
ويكلّلون إذا الرياح تناوحت ... خلجاً تمدّ شوارعاً أيتامها
إنّا إذا التقت المجامع لم يزل ... منّا لزاز عظيمة جشامها
ومقسّم يعطي العشيرة حقّها ... ومغذمر لحقوقها هضّامها
فضلاً وذو كرم يعين على الندى ... سمح كسوب رغائب غنّامها[1]

(يباري الريح...)

وفي موضع آخر يعبّر لبيد عن كرم القوم وسخائهم وإيثارهم الضيف على أنفسهم، وفي السنين الشداد، وأيام المحل، فيقول:

فلا وأبيك ما حيّ كحيّ ... لجار حلّ فيهم أو عديم
ولا للضيف إنْ طرقت بليل ... بأفنان العضاه وبالهشيم
وروّمت اللقاح بغير درّ ... إلى الحجرات تعجل بالرسيم
إذا ما درّها لم يقر ضيفاً ... ضمنّ له قراه من الشحوم
فلا نتجاوز العطلات منها ... إلى البكر المقارب والكزوم
ولكنّا نعضّ السيف منها ... بأسوق عافيات اللحم كوم

---

(١) الديوان ٨٧.

والجزور: صفة للناقة التي تنحر للأضياف. والعاقر: صفة للناقة التي لا تحمل. وتبالة: اسم موضع بعينه، يريد أن يعبّر عمّا يلاقيه الضيف وكل غريب يأتي هذا الموضع للارتباع حيث الخصب والنماء. والرذية: ما يلقى بها بعيداً. والبليّة: صفة للناقة التي تربط عند قبر صاحبها بعد وفاته. ويكلّلون: يجعلون الطعام واللحوم بعضها فوق بعض، كأنّها الأكاليل. والخلبج: صفة للجفان التي يوضع فيها اللحم.

واللزاز: من اللز بالشيء، لإثارة النار. وجشّامها: متكلفها. ومغذ مر: مستخف بالحقّ.

وكم فينا إذا ما المحل أبدى ... نحاس القوم من سمح هضوم
يباري الريح ليس بجانبيّ ... ولا دفن مروءته لئيم
إذا عدّ القديم وجدت فينا ... كرائم ما يعدّ من القديم[1]

❖ حجر بن خالد:

(له بفناء البيت...)

ومن جيّد المدح مدح حجر بن خالد، من بني ثعلبة، للنعمان ابن المنذر، المكنّى بأبي قابوس، ولقومه الذين عرفوا بالجود والسخاء، وهو قوله:

ترى الراغبين العاكفين ببابه ... على كلّ شيزى أترعت بالعراعر
له بفناء البيت سوداء فخمة ... تلقّم أوصال الجزور العراعر
بقيّة قدر من قدور توزّثت ... لآل الجلاح كابراً بعد كابر
تظل الإماء يبتدرن قديمها ... كما ابتدرت سعد مياه قراقر[2]

ولقد تنسب بعض أبيات هذه المقطوعة إلى النابغة أيضاً، فليراجع.

❖ أبو الطمحان:

(إذا طلب المعروف أجدب راكبه)

من الشعراء الأجواد الفرسان، وكان من الصعاليك الفتّاك، أبو الطمحان، واسمه حنظلة بن الشرقي، أدرك الإسلام، له مفتخراً ببني لأم، جودهم وحسبهم، قوله:

إذا قيل أيّ الناس خير قبيلة ... واصبر يوماً لا تواري كواكبه
فإنّ بني لأم بن عمرو أرومة ... علت فوق صعب لا ترام مراقبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
لهم مجلس لا يحصرون عن الندى ... إذا مطلب المعروف أجدب راكبه[3]

---

(١) ديوان لبيد ص ١٠٦. وزارة الإرشاد. الكويت ١٩٦٢ م.
والبليل: الريح الرطبة الباردة. والعضاه: ضرب من الشجر الشائك.
والهشيم: ما يبس من النبت. والدر: اللبن. ورسيم الإبل: ضرب من مشيها. واللقاح: الإبل الحامل.
والعطلات من الإبل: الطوال الأعناق منها. والمقارب: الدنيء.
والكزوم: الناقة المسنّة. والعافيات: كثيرات اللحم.
ونعضّ السيف: نضرب به. والكوم: عظام الأسنمة من الإبل. وأسواق الإبل: قوائمها. ونحاس: طبيعة.
(٢) الحماسة ٦٧ - ٦٨.
والشيزى: القدر الضخمة المصنوعة من الخشب الأسود الصلب. والعراعر: الجمل السمين.
والجزور: الناقة. وآل الجلاح: الغساسنة، نسبة إلى ابن الجلاح، القائد الغساني الشهير.
وقراقر: اسم ماء.
(٣) الأغاني ١١ / ١٢٧.
والأرومة: الأصل. والجزع: اللؤلؤ

❖ **الأسود بن يعفر:**

(مضوا لسبيلهم..)

ومن الشعراء المجيدين في الجاهلية، وكان فارساً مغواراً وجواداً كريماً، الأسود بن يعفر.. بن زيد مناة بن تميم.. وضعه ابن سلام في الطبقة الثامنة.

حدث أبو عمرو قال: إنّ ابنة الأسود، واسمها سلمى، عاتبت أباها على إضاعته ماله فيما ينوب قومه من حمالة، وما يمنحه فقراءهم، ويعين به مستمنحهم، فقال لها:

وقالت لا أراك تليق شيئاً ... أتهلك ما جمعت وتستفيد
فقلت بحسبها يسر وعار ... ومرتحل إذا رحل الوفود
فلومي إنْ بدا لك أو أفيقي ... فقبلك فاتني وهو الحميد
أبو العوراء لم أكمد عليه ... وقيس فاتني وأخي يزيد
مضوا لسبيلهم وبقيت وحدي ... وقد يغني رباعته الوحيد[1]

❖ **أحدهم:**

(لحافي لحاف الضيف..)

وما أحسن قول ذلك الشاعر الجواد المقري للضيف، الهاشّ له، غير المنصرف عنه إلى زوجه، والقول هو التالي:

لحافي لحاف الضيف والبيت بيته ... ولم يلهني عنه غزال مقنّع
أحدّثه إنّ الحديث من القرى ... وتعلم نفسي أنّه سوف يهجع[2]

❖ **كعب بن سعد:**

(وداع دعا...)

ومن الأجواد المشهورين أبو المغوار الغنوي، وفيه، يقول كعب بن سعد، أخوه، يرثيه:

وداع دعا يا من يجيب إلى الندى ... فلم يستجبه عند ذاك مجيب
فقلت ادع أخرى وارفع الصوت رفعة ... لعلّ أبا المغوار منك قريب[3]

❖ **جزء بن ضرار:**

(كرام إذا ما النائبات تنوب)

ومما فخر به جزء بن ضرار بن سنان الغطفاني، أخو الشماخ، الشاعر الجاهلي الإسلامي، قوله فاخراً بكرم غطفان وجودها. يقول جزء:

---

(١) الأغاني ١١ / ١٣٣.
(٢) المؤتلف ٣٠١.
(٣) اللسان ١ / ٢٨٣.

وحدّثت قومي أحدث الدهر فيهم ... وعهدهم بالحادثات قريب
فإنْ يك حقاً ما أتاني فإنّهم ... كرام إذا ما النائبات تنوب
فقيرهم مبدي الغنى وغنيّهم ... له ورق للسائلين رطيب[1]

❖ **ابن حميضة:**

(وإني لأقري الضيف...)

ومن الشعراء الأجواد، والفرسان الشجعان، ابن حميضة، واسمه سنان، أخو قبال ابن يربوع.. بن بغيض. له قوله في إقراء الضيف، والجود بالمال:

وإنّي لأقري الضيف في ليلة الندى ... من الجلّة العليا وأروي العواليا
وأعطي إذا ضنّ الجواد بماله ... من البكرات المنقيات المتاليا[2]

❖ **جابر بن حيّان:**

(فإنْ يقتسم مالي..)

ومن جيّد الشعر في الجود وإهانة المال حفاظاً على الفعال الحسنة والخلق الكريم، قول جابر بن حيّان:

فإنْ يقتسم مالي بنيّ وإخوتي ... فلن يقسموا خلقي الكريم ولا فعلي
أهين لهم مالي وأعلم أنّني ... سأورثه الأحياء سيرة من قبلي[3]

❖ **جبير بن ربعي:**

(ونحمد عند الميح حين نميح)

ومن جيّده أيضاً قول ابن خالد بن بجالة الفقيمي فاخراً بالحسب والنجدة وبذل المال، والوفاء للجار:

نريح الندى فينا ونوفي بجارنا ... وللخير والٍ سارح ومريح
ونحمي على الأحساب إذ حمي الوغى ... ونحمد عند الميح حين نميح[4]

❖ **جهم بن سبل:**

(أنا الجواد..)

ومن جيّد الشعر في مدح الندى والجود، قول جهم بن سبل، وكان من الأجواد، وهو التالي:

---

(١) الحماسة ١ / ١٢٨.
وقوله: لهم ورق، كناية عن الندى والغنى.
(٢) المؤتلف ٩١.
(٣) لسان العرب ٦ / ٢٢١. دار صادر. بيروت.
(٤) المؤتلف ٧٦. والميح: العطاء.

أنا الجواد بن الجواد ابن سبل إنْ ديّموا جاد وإنْ جادوا وبل[١]

❖ جوّاس بن حسّان:

(ولقد أقدم...)

ومن الشعراء الفرسان، والأسياد الأجواد، جوّاس بن حسان بن عبدالله بن منازل الأزدي. له قوله فاخراً بالسماحة والبذل والشجاعة والجود:

ولقد أقدم في الروع وأحمي المستضافا
ثمّ قد يحمدني الضيف إذا ذمّ الضيافا
ولقد أروي نداماي من الخمر سلافا
من أباريق تراها لثماً بيضاً خفافا[٢]

❖ جؤية بن النضر:

(قالت طريفة..)

ومن نادر الشعر في مدح الكرم وبذل المال في الخيرات والمعروف، قول جؤية بن النضر. يردّ على زوجه لمّا لامته على إتلاف المال فيقول:

قالت طريفة ما تبقي دراهمنا وما بنا سرف فيها ولا خرق
إنا إذا اجتمعت يوماً دراهمنا ظلّت إلى طرق المعروف تستبق
ما يألف الدرهم الصيّاح صرّتنا لكن يمرّ عليها وهو منطلق[٣]

❖ الحادرة:

(ونكفّ شحّ نفوسنا في المطمع)

ومن جيّد الشعر في كفّ النفس عن الشحّ، وبذل المال من أجل الحفاظ على الشرف والحسب، قول الحادرة، واسمه قطبة بن قيس، وهو:

إنّا نعفّ فلا نريب حليفنا ونكفّ شحّ نفوسنا في المطمع
ونقي بآمن مالنا أحسابنا ونجرّ في الهيجا الرماح وندّعي[٤]

❖ رديح بن الحارث:

(فليس لما يبقي الشحيح بقاء)

ومن جيّد القول في الندى والجود، قول رديح بن الحارث بن ربيعة بن غنم. من بني تيم الله بن ثعلبة، وهو التالي:

---

(١) اللسان ١ / ٢٧٢.
(٢) اللسان ٣ / ٢٠٧
(٣) اللسان ٧ / ٣٦. والخرق: النزق والطيش.
(٤) العقد ٣ / ٧٣. والهيجاء: الحرب.

وسام الندى وارفع يديك إلى العلى ... فليس بأخلاق الكرام خفاء
إذا أنت لم تأخذ برأيك فضله ... فإنّك والرأي الضعيف سواء
فلا يمنعنك الخير بقيا معيشة ... فليس لما يبقي الشحيح بقاء[1]

❖ سوادة اليربوعي:

(ولا يهلك المعروف من هو فاعله)

ومن أجود ما قيل في ذمّ البخل، والثناء على الجود، قول سوادة اليربوعي، يردّ فيه على لوم زوجه، إيّاه لجوده وسخائه وبذل ماله، يقول سوادة:

ألا بكرت ميّ عليّ تلومني ... تقول ألا أهلكت من أنت عائله
ذريني فإنّ البخل لا يخلد الفتى ... ولا يهلك المعروف من هو فاعله[2]

❖ عباءة بن مجشم:

(وبات الندى والجود يصطليانها)

ومن الشعراء الأجواد والشجعان، عباءة بن مجشم بن يزيد العبسي. له في الندى والجود قوله:

كأنْ لم يقل يوماً يزيد بن مجشم ... لنار الندى إرفع سناها وأوقد
وبات الندى والجود يصطليانها ... حليفي كريم واجد غير مجحد[3]

❖ عديّ بن خرشمة:

(وتوقد باليفاع الليل ناري)

ومن شعر الكرم وإقراء الضيف وإيقاد النار ليهتدي بها العفاة والضالّون في الليل، قول عدي بن خرشمة الخطمي، الأوسي، وهو:

ولستُ برافع صوتي بسوء ... على الكنّات آخر ما حييت
وتوقد باليفاع الليل ناري ... تحشّ ولا يحش لها خبوت[4]

❖ ليلى العنبرية:

(فاعطِ ولا تبخل...)

ولئن عرفت المرأة عموماً بالميل إلى الحرص وعدم التفريط بمال الزوج، فإنّ ليلى العنبرية، امرأة سالم بن قحفان العنبري، خلاف ذلك، فها هي تحثّ زوجها سالماً وكان

---

(١) المؤتلف ١٢١.
(٢) العقد ٣ / ٢٢٥.
(٣) معجم الشعراء ٣٠٤.
(٤) معجم الشعراء ٢٥٢.

من الأجواد، على بذل المزيد من المال، وعلى عدم الحرص أو البخل به لمن طلبه. تقول ليلى:

حلفت يميناً يا ابن قحفان بالذي ... تكفّل بالأرزاق في السهل والجبل
تزال حبال محصداة أعدّها ... لها ما مشى منها على خفّة حجل
فأعطِ ولا تبخل لمن جاء طالباً ... فعندي لها خطم وقد زاحت العلل[1]

❖ المخضّع القيسي:

(... إنَّ الكريم مدافع)

ومن الأجواد الشعراء المخضّع القيسي، من بني عبد القيس. وله قوله فاخراً بالجود وبذل المال، ونحر الإبل، وتقديمها للأضياف. قوله:

ومن يبتدع خلقاً سوى خلق نفسه ... يدعه وترجعه إليه الرواجع
ندافع عن أحسابنا بلحومها ... وألبانها إنَّ الكريم مدافع[2]

❖ معاوية بن حصن:

(لقد علم الأضياف...)

ومن جيّد شعر الكرم، وبذل المال والطعام لكلّ طارق من الأضياف، قول معاوية بن حصن بن بدر الفزاري، ويلقّب بالمقتّل، وهو:

لقد علم الأضياف أنّي منزل ... لهم مألف إذ باب غيري مغلق
وإنَّ كلابي لا يهرّ عقورها ... إذا طارق من آخر الليل يطرق[3]

❖ يزيد بن الجهم:

(... حتى على البخل أحمدا)

ومن الأجواد، يزيد بن الجهم الهلالي. له قوله معاتباً زوجه أم محمد وقد لامته على البذل والجود والسخاء:

لقد أمرت بالبخل أمّ محمّد ... فقلت لها حتى على البخل أحمدا
فإنّي امرؤ عوّدت نفسي عادة ... وكلّ امرىء جار على ما تعوّدا
أحين بدا في الرأس شيب وأقبلت ... إليّ بنو عيلان مثنىً وموحدا
رجوت سقاطي واعتلالي ونبوتي ... وراءك عنّي طالقاً وارحلي غدا[4]

---

(١) الحماسة ٢ / ٢٦٢.
(٢) معجم الشعراء ٤٧٥.
(٣) نفسه ٣٩٢.
(٤) الحماسة ٢ / ٣٤١.

❖ ابن صراحة:

(وإنْ كان فضل المال فيكم فأفضلوا)

ومن جيّد الشعر في الحثّ على الجود واصطناع المعروف ما قاله ابن صراحة الأسدي الأنصاري، وهو:

أوصيكم بالله أوّل وهلة ... وأحسابكم والبرّ بالله نوّل
وإنْ قومكم سادوا فلا تحسدوهم ... وإنْ كنتم أهل السيادة فاعدلوا
وإنْ أنتم أعوزتم فتعفّفوا ... وإنْ كان فضل المال فيكم فأفضلوا[1]

❖ الخولاني:

(إنَّ المكارم كلّها حسن)

ومنه أيضاً قول أبي مسلم الخولاني، وهو:

إنَّ المكارم كلّها حسن ... والبذل أحسن ذلك الحسن
كم عارف بي لست أعرفه ... ومخبّر عنّي ولم يرني
يأتيهم خبري وإنْ بعدت ... داري وبوعد عنهم وطني
إنّي لحرّ المال ممتهن ... ولحرّ عرضي غير ممتهن[2]

❖ ابن عباس:

(إذا طارقات الهمّ...)

ومنه قول ابن عباس، وهو من جيّد القول:

إذا طارقات الهمّ ضاجعت الفتى ... وأعمل فكر الليل والليل عاكر
وباكرني في حاجة لم يجد لها ... سواي ولا من نكبة الدهر ناصر
فرجت بمالي همّه عن خناقه ... وزاوله الهمّ الطروق المساور
وكان له فضل عليّ بظنّه ... بي الخير إنّي للذي ظنّ شاكر[3]

❖ أحدهم:

(ماذا عن الفضل بين البخل والجود)

ومن جيّد الشعر في الجود والسخاء والحث على اصطناع المعروف، قول أحدهم:

ألا تراني وقد قطعتني عذلا ... ماذا من الفضل بين البخل والجود

---

(١) العقد الفريد ١ /٦٨.
(٢) العقد ١ / ٦٩.
(٣) العقد ١ / ٦٩.

إلاّ يكن ورق يوماً أراح به ... للخابطين فإنّي ليّن العود
لا يعدم السائلون الخير أمنية ... إمّا نوالاً وإمّا حسن مردود[1]

❖ جعفر بن أبي طالب

(ولا تجود يدٌ إلاّ بما تجد)

ومن الأجواد المعروفين جعفر بن أبي طالب، أخو علي بن أبي طالب، قتل يوم مؤتة. حدث أبو هريرة، قال: ما وددت أنَّ أحداً ولدتني أمّه إلاّ أمّ جعفر بن أبي طالب، تبعته ذات يوم وأنا جائع، فلما بلغ الباب التفت فرآني، فقال لي: ادخل، فدخلت ففكر حيناً، فما وجد في بيته شيئاً إلاّ نحياً من سمن، فأنزله من رفّ لهم، فشقّه بين أيدنا، فجعلنا نلعق ما كان فيه من السمن والزيت، وهو يقول، وهو من جيّد القول:

ما كلّف الله نفساً فوق طاقتها ... ولا تجود يد إلاّ بما تجد[2]

❖ أحدهم:

(... ولكن يلذّ طعم العطاء)

ومن جيدّ الشعر في مدح الأجواد الأسخياء قول أحدهم، وقيل هو بشّار العقيلي وهو:

مالكيّ تنشقّ عن وجهه الحرب ... كما انشقت الدجى عن ضياء
لنجاح السماء فيض يديه ... لقريب ونازح الدرا ناء
ليس يعطيك للرجاء وللخوف ... ولكن يلذّ طعم العطاء
لا ولا أنْ يقال شيمته الجود ... ولكن طبائع الآباء[3]

❖ ضبيّ:

(فنادِ زياداً أو أخاً لزياد)

ومن جيّد الشعر في الندى والسماحة وأهلهما ما قاله أحدهم، وهو من ضبّة، في زياد، لما فرض هذا لكلّ واحدة من بناته السبع مائة دينار، وفرض له خادماً، والقول هو:

إذا كنت مرتاد السماحة والندى ... فنادِ زياداً أو أخاً لزياد
يجبك امرؤ يعطي على الحمد ماله ... إذا ضنّ بالمعروف كلّ جواد

---

(١) العقد ١ / ٦٩.
(٢) العقد ١ / ٧٠.
(٣) العقد ١ / ٧٢.

ومالي لا أثني عليك وإنّما طريفي من معروفكم وتلادي[١]

❖ أحدهم:

(جواد حتى في وجه كلّ جواد)

ومن الشعر الجيّد في الجود ما قاله أحد الأعراب في سعيد بن مسلم، وهو:

ألا قل لساري الليل لا تخش ضلّة سعيد بن مسلم نور كلّ بلاد
لنا سيّد أربى على كلّ سيّد جواد حتى في وجه كلّ جواد[٢]

❖ قضاعي:

(إنّي رأيتك للمكارم عاشقاً)

من الأجواد المعروفين يزيد بن المهلب بن أبي صفرة. وفد عليه قوم من قضاعة، من بني ضبّة فقال أحدهم:

والله ما ندري إذا ما فاتنا طلب إليك من الذي نتطلّب
ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد أحداً سواك إلى المكارم ينسب
فاصبر لعادتنا التي عوّدتنا أولا فأرشدنا إلى من نذهب

فأمر له بألف دينار. فلمّا كان في العام المقبل وفد عليه فقال:

مالي أرى أبوابهم مهجورة وكأنّ بابك مجمع الأسواق
حابوك أمْ هابوك أمْ شاموا الندى بيديك فاجتمعوا من الآفاق
إنّي رأيتك للمكارم عاشقاً والمكرمات قليلة العشاق

فأمر له بعشرة آلاف درهم[٣].

❖ ابن ميّادة:

(نصر الحجاز بغيث عبد الواحد)

أحد الشعراء المطبوعين، واسمه الرماح بن أبيرد الذبياني، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية.

له من الشعر الجيّد قوله في عبد الواحد بن سليمان، أحد الأمراء الأجواد:

من كان أخطأه الربيع فإنّه نصر الحجاز بغيث عبد الواحد
سبقت أوائله أواخر نوئه بمشرّع عذب ونبت واعد

---

(١) العقد ١ / ٨٦. والطريف: المال المكتسب حديثاً، بخلاف التليد.
(٢) العقد ١ / ٨٧.
(٣) العقد ١ / ٩٤.

لانت وغرّقها النعيم وشرّبت طيب العراق فنعم غصن العاضد[١]

❖ **أبو زياد الأعرابي:**

(له نار..)

ومن جيّد الشعر في الممدوحين الأسخياء الأجواد، قول أبي زياد الأعرابي، الشاعر الأموي الذي عاش حتى أدرك بني العباس:

له نار تشبّ على يفاع إذا النيران ألبست القناعا
ولم يك أكثر الفتيان مالاً ولكن كان أرحبهم ذراعا[٢]

❖ **أبو زيد الأسلمي:**

(مدحت عروقاً للندى..)

وقريب منه قول أبي زيد الأسلمي، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وفيه يمتدح الندى وأهله، يقول أبو زيد:

مدحت عروقاً للندى مصّت الثرى حديثاً فلم تهمم بأنْ تتزعزعا
سقاها ذوو الأرحام سجلاً على الظما وقد كربت أعناقها أنْ تقطّعا
فضمّت بأيديها على فضل مائها من الريّ لمّا أوشكت أنْ تضلّعا[٣]

❖ **عبدالله بن معاوية:**

(ومالي لا يبلّغني فعالي)

من أشهر الأجواد، والشعراء والفرسان والأسياد، عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر، من بني هاشم (ت ١٣١ هـ / ٧٤٩ م)... ومن جيّد شعره في السخاء والنجدة والعطاء، قوله:

أرى نفسي تتوق إلى أمور ويقصر دون مبلغهنّ مالي
فنفسي لا تطاوعني ببخل ومالي لا يبلّغني فعالي[٤]

❖ **جرير:**

(الستم خير من..)

ومن الشعر الجيّد في تصوير الجود وأهله، قول جرير، الشاعر الأموي المشهور، يمدح الأمويين، بشخص عبد الملك بن مروان، وهو:

---

(١) الديوان ١١٢.
(٢) الحماسة ٢ / ٢٦٩.
(٣) الكامل في اللغة والأدب ١ / ١٠٩.
(٤) الحماسة ٢ / ٤١.

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

تقول الرواية إنَّ جريراً لما قال هذا استوى عبد الملك جالساً، وكان متكئاً، وقال: من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا، أو فليسكت[١].

(قامت تنادي بأعلى الصوت يا عمر)

ومن جيّد ما قاله في جود عمر بن عبد العزيز، قوله:

كم من ضرير، أمير المؤمنين، لدى أهل الحجاز دهاه البؤس والضرر
أصابت السنة الشهباء ما ملكت يمينه فحناه الجهد والكبر
ومن قطيع الحشا عاشت مخبأة ما كانت الشمس تلقاها ولا القمر
لما اجتلتها صروف الدهر كارهة قامت تنادي بأعلى الصوت: يا عمر[٢]

(وتفرج عنهم الكرب الشدادا)

ومنه أيضاً، قوله الآخر فيه، وهو من جيّد الشعر:

يعود الفضل منك على قريش وتفرج عنهم الكرب الشدادا
وقد أمّنت وحشهم برفق ويعيي الناس وحشك أن تصادا
وتبني المجد يا عمر بن ليلى وتكفي الممحل السنة الجمادا
وما كعب بن مامة وابن سعدى بأجود منك يا عمر الجوادا
تعوّد صالح الأخلاق إنّي رأيت المرء يلزم ما استعادا[٣]

وكعب بن مامة، هذا من إياد، كان أحد أجواد العرب والمؤثرين على أنفسهم، وهو الذي تصافن الماء ورفيقه، لمّا قلّ عليهما الماء، ورفيقه من بني النمر بن ساقط. وتصافن الماء أنْ يطرح في الإناء حجر، ثمّ يصبّ فيه من الماء ما يغمره لئلا يتغابنوا، فجعل النمريّ يشرب نصيبه، فإذا أخذ كعب نصيبه، قال: اسقِ أخاك النمريّ، فيؤثره، حتى جهد كعب، ورفعت له أعلام الماء، فقيل له: ردْ الماء، ولا ورود به، فمات عطشاً، ففي ذلك يقول أبو دؤاد الإيادي:

أوفى على الماء كعب ثم قيل له رد كعب إنّك وارّاد فما وردا

فضرب به المثل، واستشهد به مثالاً في الجود والإيثار.

هذا كعب بن مامة، أما ابن سعدى، وهو الذي ورد ذكره في شعر جرير، فهو أوس ابن حارثة، بن لأم الطائي، من الأجواد المشاهير. وفي أوس هذا، يقول الشاعر، وهو بشر بن أبي خازم:

---

(١) الديوان.
(٢) العقد ١ / ١٢٣
(٣) الكامل ١ / ١٣١.

إلى أوس بن حارثة بن لأم ... ليقضي حاجتي فيمن قضاها
وما وطىء الثرى مثل ابن سعدى ... ولا لبس النعال ولا احتذاها[1]

❖ **زياد الأعجم:**

(ألفيت باب نوالكم لم يرتج)

ومن جيّد الشعر في الجود والسماحة والندى، شعر زياد الأعجم الشاعر الأموي المتوفى سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٥ م. وفيه يمدح عبدالله بن الحشرج، وكان هذا من الفرسان الأجواد، يقول زياد وهو من جيّد القول:

إنَّ السماحة والمروءة والندى ... في قبّة ضربت على ابن الحشرج
ملك أغرّ متوّج ذو نائل ... للمعتفين يمينه لم تشنج
يا خير من صعد المنابر للتقى ... بعد النبيّ المصطفى المتحرّج
لما أتيتك راجياً لنوالكم ... ألفيت باب نوالكم لم يرتج[2]

ومن رائع شعره قوله في رثاء المهلب بن المغيرة، وكان هذا من الأجواد. يقول باكياً الجود والسماحة والندى:

قلْ للقوافل والقريّ إذا قروا ... والباكرين وللمجدّ الرائح
إنَّ المروءة والسماحة ضمّنا ... قبراً بمرو على الطريق الواضح[3]

❖ **السفاح بن بكير:**

(ولا يخرج الأضياف..)

ومن الشعر الجيّد في مدح الأجواد والأسخياء، الذين يقرون الضيف قول السفاح بن بكير بن معدان اليربوعي في رثاء يحي بن ميسرة، صاحب مصعب بن الزبير، وكان قتل معه.

يقول السفاح:

صلّى على يحي وأشياعه ... ربّ غفور شفيع مطاع
يعدو فلا تكذب شدّاته ... كما عدا الذئب بوادي السباع
لا يخرج الأضياف من بيته ... إلاّ وهم من رواء شباع[4]

---

(١) الكامل ١ / ١٣٧
(٢) الأغاني ١٥ / ٣٧
ويرتج: يغلق. والنوال: العطاء. وتشنج: تنقبض. والمعتفون: طالبو المعروف.
(٣) المفضليات ٦١٤
(٤) المؤتلف ٦٨

❖ عبدالعزيز بن زرارة:

(دعوت إليها...)

ومن الشعراء الأجواد الأمويين عبد العزيز بن زرارة الكلابي، تولى مصر لمعاوية بن أبي سفيان، له مفتخراً بعقر ناقته للأضياف:

دعوت إليها فتية بأكفّهم ... من الجزر في برد الشتاء كلوم
إذا ما اشتهوا منها شواء سعى لهم ... به هزريان للكرام خدوم[1]

❖ عبد الله بن الحشرج:

(ولكني امرؤ...)

من الولاة الشجعان، والشعراء الفرسان المارّ ذكره عبدالله بن الحشرج، ابن الورد الجعدي. ولي خراسان وكرمان في الدولة الأموية. وكان سخياً جواداً. له قوله راداً على زوجه التي تلومه على جوده وإسرافه:

ألا بكرت تلومك أمّ سلم ... وغير اللوم أدنى للسداد
وما بذلي تلادي دون عرضي ... بإسراف أميم ولا فساد
فلا وأبيك ما أعطي صديقي ... مكاثرتي وأمنعه تلادي
ولكنّي امرؤ عوّدت نفسي ... على علاّتها جري الجواد[2]

(متى يأتنا الغيث المغيث...)

ومن شعر آخر يردّ فيه على زوجه التي تلومه على بسط الكفّ، والبذل بالمال، كما يردّ على رفاعة الهندي الذي لامه على كرمه، يقول ثانية:

متى يأتنا الغيث المغيث يجد لنا ... مكارم ما تعبا بأموالنا التلد
مكارم ما جدنا به إذ تمنّعت ... رجال وضنّت في الرخاء وفي الجهد
أردنا بما جدنا به من تلادنا ... خلاف الذي يأتي خيار بني نهد
تلوم على إتلافي المال خلّتي ... ويسعدها نهد بن زيد على الزهد
أنهد بن زيد لست منكم فتشفقوا ... عليّ ولا منكم غواي ولا رشدي

(أراد غوايتي فحذف التاء ضرورة)

ويتابع عبدالله قائلاً:

أبيت صغيراً ناشزاً ما أردتم ... وكهلاً وحتى تبصروني في اللحد
سأبذل مالي إنّ مالي ذخيرة ... لعقبي وما أجني به ثمر الخلد

---

(١) الحماسة ٢ / ٣٢١
(٢) الحماسة ٢ / ٣٤٦

ولستُ بمكّاء على الزاد باسل ... يهرّ على الأزواد كالأسد الورد
ولكنّني سمح بما حزت باذل ... لمّا كلّفت كفّاي في الزمن الجحد
بذلك أوصاني الرقاد وقبله ... أبوه وأن أعطي وأوفي بالعهد[1]

(والرقاد، هذا، هو ابن عمرو بن ربيعة، من عمومته وكان شجاعاً سيّداً جواداً).

(ولا شيء يبقى للفتى غير جوده)

وعبدالله هو القائل أيضاً:

سأجعل مالي دون عرضي وقاية ... من الذّم إنّ المال يفنى وينفد
ويبقي لي الجود اصطناع عشيرتي ... وغيرهم والجود عزّ مؤبّد
ومتّخذ دِيناً عليّ سماحتي ... بمالي ونار البخل بالذمّ توقد
يبيد الفتى والحمد ليس ببائد ... ولكنّه للمرء فضل مؤكّد
ولا شيء يبقى للفتى غير جوده ... بما ملكت كفّاه والقوم شهّد
ولائمة في الجود نهنهت غربها ... وقلت لها بيني المكارم أحمد
فلمّا ألحّت في الملامة واعترت ... بذلك غيظي واعتراها التبلّد
فلحّت وقالت أنت غاوٍ مبذّر ... قرينك شيطان مريد مفنّد
فقلت لها بيني فما فيك رغبة ... ولي عنك في النسوان ظلّ ومقعد
فعشْ ناعماً واترك مقالة عاذل ... يلومك في بذل الندى ويفنّد
وجد للّها إنّ السماحة والندى ... هي الغاية القصوى وفيها التمجّد
وحسب الفتى مجداً سماحة كفّه ... وذا المجد محمود الفعال تمجد[2]

(وعاذلة..)

ومن قصيدة ثالثة تصبّ في المعنى عينه، يقول ابن الحشرج:

وعاذلة هبّت بليل تلومني ... وتعزلني في ما أفيد وأتلف
تلوّمتها حتى إذا هي أكثرت ... أتيت الذي كانت لديّ توكف
وقالت عليك الفخ أكثرت في الندى ... ومثلي تحاماه الألدّ المغطرف
أبالي ما قد سمتني غير واحد ... أب وجدود مجدها ليس يوصف
كهول وشبّان مضوا لسبيلهم ... إذا ذكروا فالعين منّي تذرف
هم الغيث إنْ ضنّت سماء بقطرها ... وعندهم يرجو الحيا المتلهّف[3]

---

(١) الأغاني ١٠ / ١٤٥
وخلّتي: زوجي وصاحبتي.
(٢) الأغاني ١٠ / ١٤٦.
(٣) الأغاني ١٠ / ١٤٧.

(فإنّي امرؤ...)

وله أيضاً، في ردّه على ابن عم زوجته، اسمه حنظلة بن الأشهب، وكان هذا قد نصح ابن الأشهب بعدم الإسراف، فطلّق ابن الأشهب زوجه للومها إيّاه على كرمه وإسرافه، يقول ابن الحشرج:

أحنظل دع عنك الذي نال ماله ... ليحمده الأقوام في كلّ محفل
فكم من فقير بائس قد جبرته ... ومن عائل أغنيت بعد التعيّل
فمثلك قد عاصيت دهراً ولم أكن ... لأسمع أقوال اللئيم المبخّل
أبالي جدّي البخل مذ كان يافعاً ... صغيراً ومن يبخل يلم ويضلل
وتستغن عنه الناس فاركب محجّة ... الكرام ودع ما أنت عنه بمعزل
فإنّي امرؤ لا أصحب الدهر باخلاً ... لئيماً وخير الناس كل معدّل[1]

(فيا لائمي في الجود...)

ولمّا لامه رفاعة بن روي الهندي في التبذير والجود، قال ابن الحشرج:

ألام على جودي وما خلت أنّني ... ببذلي وجودي حدت عن منهل القصد
فيا لائمي في الجود أقصر فإنّني ... سأبذل مالي في الرخاء وفي الجهد
وجدت الفتى يفنى وتبقى فعاله ... ولا شيء خير في الحديث من الحمد
وإنّي وبالله احتيالي وحرقتي ... أصيّر جاري بين أحشاي والكبد
أرى حقّه في الناس ما عشت واجباً ... عليّ وآتي ما أتيت على عمد[2]

❖ **عبدالله بن طاهر:**

(نفسي فداؤك..)

ومن الأجواد المشاهير عبدالله بن طاهر، أعطاه الخليفة المأمون مال مصر لسنة خراجها وضياعها، فوهبه كلّه وفرّقه في الناس، فرجع صفراً من ذلك، فغاظ المأمون فعله، فدخل إليه يوم مقدمه، فأنشده أبياتاً قالها في هذا المعنى، وهي:

نفسي فداؤك والأعناق خاضعة ... للنائبات أبيّاً غير مهتضم
أقفو مساعيك اللائي خصصت بها ... حذو الشراك على مثل من الأدم
فكان فضلي فيها أنّني تبع ... لما سننت من الأنعام والنعم[3]

---

(١) الأغاني ١٠ / ١٤٦.
(٢) الأغاني ١٠ / ١٤٨.
(٣) الأغاني ١٠ / ١١.

❖ **المعلّى الطائي:**

(وأظلم الناس عند الجود بالمال)

وعلى ذكر عبدالله بن طاهر وجوده الذي منه أنّه وزّع ثلاثة آلاف ألف من الدنانير، في مصر، ذات عام، فقصده المعلّى الطائي، وكان من قبل واجداً عليه، فقال فيه:

يا أعظم الناس عفواً عند مقدرة ... وأظلم الناس عند الجود بالمال
لو أصبح النيل يجري ماؤه ذهباً ... لما أشرت إلى خزن بمثقال
لم تخل كفّك من جود لمختبط ... ومرهف قائل في رأس قتال
وما بثثت رعيل الخيل في بلد ... إلاّ عصفن بأرزاق وآجال[1]

❖ **سلم بن زياد:**

(ولا الجود يدنيني إلى الموت والقتل)

من الأجواد الشجعان سلم بن زياد، وهو الذي دفع عشرة آلاف درهم للنوار، مهراً لها عن الفرزدق وكان سلم في حبس عبدالله بن الزبير، وعشرين ألفاً أخرى للفرزدق، فلامته زوجته أمّ عثمان بنت عبدالله الثقفية، وقالت له: أتعطي عشرين ألفاً وأنت محبوس؟ فقال سلم:

ألا بكرت عرسي تلوم سفاهة ... على ما مضى منّي وتأمر بالبخل
فقلت لها والجود منّي سجيّة ... وهل يمنع المعروف سؤاله مثلي
ذريني فإنّي غير تارك شيمتي ... ولا مقصر عن السماحة والبذل
ولا طارد ضيفي إذا جاء طارقاً ... فقد طرق الأضياف شيخي من قبلي
أأبخل إنّ البخل ليس بمخلدي ... ولا الجود يدنيني إلى الموت والقتل[2]

❖ **ليلى الأخيليّة:**

(كأنّ فتى الفتيان...)

ومن عيون الشعر، ما قالته ليلى الأخيليّة (ت حوالي ٧٠٤ م) صاحبة توبة، وحبيبته، وكان توبة هويها، وهو من الشعراء الفرسان الأجواد.

تقول ليلى ترثي توبة، سماحته ونائله وشجاعته:

كأنّ فتى الفتيان توبة لم يسر ... ينجد ولم يطلع من المتغوّر
ولم يغلب الخصم الضجاج ويملأ ... الجفان سديفاً يوم نكباء صرصر
فيا توب للهيجا، ويا توب للندى ... ويا توب للمستنبح المتنوّر[3]

---

(١) الأغاني ١٠ / ١٢.
(٢) الأغاني ٨ / ١٨٣.
(٣) الأغاني ١٠ / ٧٣. والسديف: اللحم في الدهن من سنام الناقة. والنكباء الصرصر: صفة للريح الشديدة الباردة.

(فتىً كان للمولى...)

وفيه تقول أيضاً:

فتىً كان للمولى سناء ورفعة ... وللطارق الساري قرى غير ياسر
وللبازل الكوماء يرغو حوارها ... وللخيل تعدو بالكماة المشاعر[1]

❖ **العجير السلولي:**

(أيا موقدي ناري...)

من الشعراء الإسلاميين في الدولة الأموية، العجير بن عبدالله السلولي، جعله ابن سلام في الطبقة الخامسة من طبقات شعراء الإسلام. عرف بجوده وإتلافه المال، حتى أثقل بالدين ومدّ يده إلى مال زوجه فمنعته منه وعاتبته على فعله، فقال في ذلك:

تقول وقد غالبتها أمّ خالد ... على مالها أغرقت ديناً فأقصر
أبى القصر من يأوي إذا الليل جنّني ... إلى ضوء ناري من فقير ومقتر
أيا موقدي ناري ارفعاها لعلّها ... تشبّ لمقو آخر الليل مقفر
أمن راكب أمسى بظهر تنوفة ... أواريك أم من جاري المتنظّر
ولا قدر دون الجار إلاّ ذميمة ... وهذا المقاسي ليلة ذات منكر
تكاد الصبا تبتزّه من ثيابه ... على الرحل إلاّ من قميص مؤزّر
وماذا علينا أن يخالس ضوءها ... كريم ثناه شاحب المتحسّر[2]

(وأبذل معروفي له دون منكري)

ومن جيّد شعر العجير، مخاطباً أخته، منافحاً عن جوده وسخائه وتبذيره المال، قوله:

سلي الطارق المعترّ يا أمّ مالك ... إذا ما أتاني بين قدري ومجزري
أأبسط وجهي إنّه أول القرى ... وأبذل معروفي له دون منكري
فلا قصر حتى يفرج الغيث من أوى ... إلى جنب رحلي كلّ أشعث أغبر
أقي العرض بالمال التلاد وما عسى ... أخوك إذا ما ضيّع العرض يشتري
يؤدّي إليّ النيل قنيان ماجد ... كريم ومالي سارحاً مال مقتر
إذا متّ يوماً فاحضري أمّ مالك ... تراثك من سيف وطرف وأقدر[3]

---

(١) الأغاني ١٠ / ٧٢.
(٢) الأغاني ١١ / ١٤٩.
والمتحسّر: ما انكشف وتجرّد جسمه.
(٣) نفسه ١١ / ١٤٩.
والقنيان: ما اقتني من المال. يقول إنّه لبذله المال والقرى كأنّه موسر، وإذا سرح ماله علم أنّه مقتر.

❖ عبدالله بن الزبير:

(ألم ترَ أنَّ الجود...)

ومن المدائح الرائجة في مدح الأجواد، ما قاله عبدالله بن الزبير بن الأشيم، الأسدي، من شعراء الدولة الأموية، في أسماء ابن خارجة الفزاري، وكان هذا قد شفع للشاعر لدى ابن أمّ الحكم، فعمل على إطلاق سراحه، وأجرى له من ماله جراية دائمة. وفيها يقول عبدالله:

ألم ترَ أن الجود أرسل فانتقى ... حليف صفاء واتلى لا يزاله
تخيّر أسماء بن حفص فبطنت ... بفعل العلا أيمانه وشمائله
ولا مجد إلاّ مجد أسماء فوقه ... ولا جري إلاّ جري أسماء فاضله
فمن مثل أسماء بن حصن إذا عدت ... شآبيبه أمْ أيّ شيء يعادله
تراه إذا ما جئته متهلّلاً ... كأنّك تعطيه الذي أنت سائله
إذا ما أتوا أبوابه قال مرحباً ... لجوا الباب حتى يقتل الجوع قاتله
إذا أتوا أسماء كان هو الذي ... تحلّب كفّاه الندى وأنامله[1]

❖ عويف القوافي:

(ويدعى ابن عون للندى فيصيب)

ومن أجود الشعر ما قاله عويف القوافي، الشاعر الأموي، واسمه عويف بن معاوية، من فزارة، في طلحة بن عبدالله الزهري، أحد الأجواد المعروفين، وهو:

يصمّ رجال حين يدعون للندى ... ويدعى ابن عون للندى فيصيب
وذاك امرؤ من أيّ عطفيه يلفت ... إلى المجد يحوي المجد وهو قريب[2]

(إنَّ الندى من بعد طلحة ماتا)

وفيه، أيْ في طلحة، قال عويف:

يا طلح أنت أخو الندى وحليفه ... إنَّ الندى من بعد طلحة ماتا
إنَّ الفعال إليك أطلق رحله ... فبحيث بتّ من المنازل باتا[3]

❖ أحدهم:

(تبارون الرياح ندىً وجوداً)

ومن الشعر الذي يثني فيه صاحبه على الندى وأهله، قول ذلك الأعرابي في بني أمية من بني حرب:

---

(١) الأغاني ١٣ / ٣٤.
(٢) زهر الآداب ٢/ ٢٢٠.
(٣) الأغاني ١٧ / ١٤٥.

أديـنـكـم بـقـيـة آل حـرب ... وهـضـبـتـهـا الـتـي فـوق الـهـضـاب
تـبـارون الـريـاح نـديّ وجـوداً ... وتـمـتـثـلـون أفـعـال الـسـحـاب
يـذكّـرنـي مـقـامـي الـيـوم فـيـكـم ... مـقـامـي أمسِ في عـصـر الـشـبـاب[1]

❖ **عدي بن الرقاع:**

(أطفأت نيران الحروب...)

ومن أجود الشعر وأبلغه في مدح الجود، ما قاله عدي بن الرقاع العاملي، أحد أشهر الشعراء في العصر الأموي، وهو قوله:

أطـفـأت نـيـران الـحـروب وأوقـدت ... نـار قـدحـت بـراحـتـيـك زنـادهـا[2]

❖ **الشمردل:**

(راجوا كأنّهم مرضى من الكرم)

ومن أفضل ما شبّه بالكرم وأهله، أو قل ما هم عليه الكرام الأجواد، ما قاله الشمردل بن شريك بن عبدالله بن رؤبة اليربوعي، ويعرف بابن الخرطبة، وهو راجز وشاعر، وقوله هو:

يـشـبّـهـون مـلـوكـاً فـي تـجـلّـتـهـم ... وطـول أنـضـيـة الأعـنـاق واللـمـم
إذا بـدا الـمـسـك يـنـدى فـي مـفـارقـهـم ... راجـوا كـأنّـهـم مـرضـى مـن الـكـرم[3]

❖ **شبيب بن البرصاء:**

(وإنّي لأغلي اللحم...)

ومن جيّد ما عبّروا به عن إكرام الضيف وإقرائه، تعبير أبي الحسن شبيب بن البرصاء، والبرصاء أمه، أمّا أبوه فهو يزيد بن جمرة.... ابن سعد بن ذبيان، من المحسنين الأجواد، أما قوله فهو:

لـقـد عـلـمـت أمّ الـصـبـيّـيـن أنّـنـي ... إلـى الـضـيـف قـوّام الـسـنـات خـروج
إذا الـمـرغـث الـعـوجـاء بـات يـعـزّهـا ... عـلـى ضـرعـهـا ذو تـومـتـيـن لـهـوج
وإنّـي لأغـلـي الـلـحـم نـيّـاً وإنّـنـي ... لـمـمّـن يـهـيـن الـلـحـم وهـو نـضـيـج[4]

وهذا قريب من المعنى الذي قاله الآخر:

---

(١) زهر الآداب ٣ / ٣٦١.
(٢) العقد ٣ / ١١٦.
(٣) الكامل ١ / ٣٦.
(٤) نفسه ١ / ٨٦.
وقوله قوّام السنات: يريد سريع الإنتباه. والسنّة: شدّة النعاس. والمرغث: المرضع ولدها، ويُقال لها رغوث. ويعزّها: يغلبها. واللهوج: الملازم الضرع. وقوله ذو تومتين: التومة الحبّة أو التي تعلق في الأذن.

وإنّي لأغلي لحمها وهي حيّة ... ويرخص عندي لحمها حين تذبح
بذافا ندبيني واصدحيني فإنّني ... فتىً تعتريه هزّة حين يمدح[١]

(وللحقّ من مالي...)

ومن شعر شبيب أيضاً، في هذا الموضوع، قوله الآخر:

وللحقّ من مالي إذا هو ضافني ... نصيب، وللنفس الشعاع نصيب
ولا خير في من لا يوطّن نفسه ... على نائبات الدهر حين تنوب[٢]

(رفعت له ناري...)

ومن جيّد ما تغنّى به شبيب في الكرم وإقراء الضيف قوله:

ومستنبح يدعو وقد حال دونه ... من الليل سجفا ظلمة وستورها
رفعت له ناري فلمّا اهتدى بها ... زجرت كلابي أن يهرّ عقورها
فبات وقد أسرى من الليل عقبة ... بليلة صدق غاب عنها شرورها
وقد علم الأضياف إنّ قراهم ... شواء المتالي عندنا وقديرها[٣]

(وليل بخيل القوم ظلماء حندس)

ومن أوصافه أيضاً، لجوده، قوله:

وإنّي لسهل الوجه يعرف مجلسي ... إذا أحزن القاذورة المتعبّس
يضيء سنا جودي لمن يبتغي القرى ... وليل بخيل القوم ظلماء حندس
ألين لذي القربى مراراً وتلتوي ... بأعناق أعدائي حبال فتمرس[٤]

❖ **الأخطل:**

(وما الفرات...)

ومن صور تمثيل جود الجواد بالبحر أو النهر، وهي صورة تقليدية أخذها الأمويون عن الجاهليين، قول الأخطل، أحد أشهر شعراء العصر الأموي، مادحاً عبد الملك بن مروان، في جوده وسخائه وعظيم نائله، يقول الأخطل مستخدماً أسلوب التفريع والتمثيل:

وما الفرات إذا جاشت حوالبه ... في حافتيه وفي أوساطه العشر
وزعزعته رياح الصيف واضطربت ... فوق الجآجيء من آذيّه غدر
مسحنفر من بلاد الروم يستره ... منها أكافيف فيها دونه زور

---

(١) المؤتلف ٦٨.
(٢) نفسه ١٣٧.
(٣) الأغاني ١١ / ٩١.
(٤) الأغاني ١١ / ٩٣.

يوماً بأجود منه حين تسأله ... ولا بأجهر منه حين يجتهر[١]

(هم الذين يبارون...)

ثمّ يعدل إلى مدح جود بني أمية، فيقول:

هم الذين يبارون الرياح إذا ... قلّ الطعام على العافين أو قتروا

بني أمية نعماكم مجلّلة ... تمّت فلا منّة فيها ولا كدر[٢]

(إذا متّ مات العرف...)

ومن جيّد شعره في جود معاوية، قوله:

إذا متّ مات العرف وانقطع الندى ... فلم يبقَ إلاّ من قليل مصرّد

وردت أكفّ السائلين وامسكوا ... عن الدين والدنيا بحلف مجدّد

❖ **الفرزدق:**

(ما قال «لا» قطّ...)

ومن جيّد شعر المدح في الكرم والجود والسخاء، شعر الفرزدق، أحد أبرز شعراء عصر بني أمية.

في مدح الإمام عليّ زين العابدين (ع)، وهو في الغاية من الإفصاح والسهولة والجزالة.

يقول الفرزدق:

حمّال أثقال أقوام إذا فدحوا ... حلو الشمائل تحلو عنده نعم

ما قال لا قطّ إلاّ في تشهّده ... لولا التشهد كانت لاءه نعم

إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

عمّ البرية بالإحسان فانقشعت ... عنها الغياهب والإملاق والعدم

إنْ عدّ أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت ... والأسد أسد الشرى والبأس محتدم

يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم[٣]

(ومنّا الذي...)

ومن أحسن قوله فاخراً بجود سيّد قومه:

ومنّا الذي اختير الرجال سماحة ... وجوداً إذا هبّ الرياح الزعازع[٤]

---

(١) الديوان ٩٥.
(٢) الديوان ٩٥.
(٣) الديوان ٢ / ١٣٩.
(٤) الكامل ١ / ٢١.

(ويطعم ضيفه الغبط السمانا)

وإن من جيّد شعر الفرزدق في مدح أبان بن الوليد البجلي، وهو من أشهر الولاة الأجواد، قوله:

فلو جمعوا من الخلاّن ألفاً ... فقالوا أعطنا بهم أبانا
لقلت لهم إذا ما تغبنوني ... وكيف أبيع من شرط الزمانا
خليل لا يرى المائة الصفايا ... ولا الخيل الجياد ولا القيانا
عطاء دون أضعاف عليها ... ويطعم ضيفه الغبط السمانا[1]

(فضيفك يا عيسى هنيئاً مطاعمه)

وفي عيسى بن خصيلة بن معتب السلمي، يقول الفرزدق مادحاً الجود والبذل:

فتى الجود عيسى والمكارم والعلى ... إذا المال لم ينفع بخيلاً كرائمه
ومن كان يا عيسى يؤنّب ضيفه ... فضيفك يا عيسى هنيئاً مطاعمه[2]

❖ **العديل:**

(فإنَّ عطاياه على الناس تنفح)

ومن الشعر المطبوع في الجود والأجواد، شعر العديل بن الفرج، من بني عجل، قاله في يزيد بن المهلب، وكان الحجاج قد صرف عنه العديل، فقال هذا:

لئن أرتج الحجّاج بالبخل بابه ... فباب الفتى الأزدي بالجود يفتح
فتىً لا يبالي الدهر ما قلّ ماله ... إذا جعلت أيدي المكارم تسنح
يداه يد بالعرف تنهب ما حوت ... وأخرى على الأعداء تسطو وتجرح
إذا ما أتاه المرحلون تيقّنوا ... بأنَّ الغنى فيهم وشيكا سيسرح
أقام على العافين حرّاس بابه ... ينادونهم والحرّ بالحرّ يفرح
هلمّوا إلى سيب الأمير وعرفه ... فإنَّ عطاياه على الناس تنفح[3]

❖ **حمزة بن بيض:**

(كأنَّك تعطيه الذي جئت تسأل)

ومن جيّد ما قيل في مخلد بن يزيد المهلّب، السيّد والجواد والشجاع وقومه، قول حمزة بن بيض الكوفي، وهو:

وأبيض بهلول إذا جئت داره ... كفاني وأعطاني الذي جئت أسأل

---

(١) الأغاني ١٩ / ٢٠.
والغبط من الإبل: السليمة المعافاة.
(٢) نفسه ١٩ / ٣١.
(٣) الأغاني ٢٠ / ١٣.

تراه إذا ما جئته تطلب الندى ... كأنّك تعطيه الذي جئت تسأل
يجودون حتى يحسب الناس أنّهم ... لجودهم نذر عليهم يحلّل
غيوث لمن يرجو نداهم وجودهم ... سمام للأقوام صحاة وثمّل
كفاك من ابناء المهلّب أنّهم ... إذا سئلوا المعروف لم يتسعّلوا
أمخلد لم تترك لنفسي بقية ... وزدت على ما كنت أرجو وآمل
أصاب الذي رجّى نداك مخيلة ... تصبّ عزاليها عليك وتهطل
وموت الفتى خير له من حياته ... إذا كان ذا مال يضنّ ويبخل[1]

❖ **المفضّل بن المهلّب:**

(هل الجود إلاّ أنْ نجود بأنفس)

ولما كان الجود ضروباً، وإن من أسماه الجود بالنفس، وهو أرقى الجود فإنَّ المفضّل بن المهلّب بن أبي صفرة يقول:

هل الجود إلاّ أنْ نجود بأنفس ... على كلّ ماضي الشفرتين قضيب
وما خير عيش بعد قتل محمّد ... فليس لمجد صالح بكسوب
وما هي إلاّ رقدة تورث العلى ... لرهطك ما حنّت روائم نيب[2]

❖ **يحيى بن نوفل:**

(سيكفي الكريم إخاء الكريم)

من الأجواد المشهورين في البصرة، بلال بن أبي بردة، وكان أميراً ووالياً وقاضياً، زمن عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي. عرف بلال بدهائه ولسنه وأدبه. ومن أحسن ما قيل فيه، جوده خاصة، قول يحيى بن نوفل الحميري، ويقال إنّه لم يمدحْ أحداً قط، يقول يحيى:

فلو كنت ممتدحاً للنوال ... فتىً لامتدحت عليه بلالا
ولكنّني لست ممنّ يريد ... بمدح الرجال الكرام السؤالا
سيكفي الكريم إخاء الكريم ... ويقنع بالودّ منه نوالا[3]

❖ **ذو الرمّة:**

(وأكرمهم وإن كرموا فعالا)

أما ذو الرمّة، الشاعر الأموي المشهور، كنيته أبو الحارث، واسمه غيلان بن عقبة،

---

(١) الأغاني ١٥ / ٢٤.
(٢) الكامل ١ / ١٨١.
(٣) الكامل ١ / ٢٦٩.

عرف بحبّه لميّة (مات سنة ١١٧ هـ / ٧٣٦ م). أما ذو الرمّة، هذا، فله ممتدحاً نوال بلال بن أبي بردة، وجوده، قوله:

تناخي عنه خير فتىً يمان ... إذا النكباء عارضت الشمالا
وخيرهم مآثر أهل بيت ... وأكرمهم وإنْ كرموا فعالا[1]

(تقول عجوز...)

ومن أحسن ما امتدح به ذو الرمّة بلالاً، قوله:

تقول عجوز مدرجي متروّحاً ... على بيتها من عند أهلي وغاديا
أذو زوجة بالمصر أمّ ذو خصومة ... أراك لها بالبصرة العام ثاويا
فقلت لها لا إنَّ أهلي لجيرة ... لأكثبة الدهنا جميعاً ومالياً
ولكنّني أقبلت من جانبي قساً ... أزور فتىً نجداً كريماً يمانيا
من آل أبي موسى ترى القوم حوله ... كأنّهم الكروان أبصرن بازيا
وما الخرق منه يرهبون ولا الخنى ... عليهم ولكن هيبة هي ماهيا[2]

❖ **عبدالله بن همام:**

(...إنّما المال عارة)

ومن جيّد ما قيل في الحث على الجود، وبذل المال، بل إتلافه، وما قاله عبدالله بن همام السلولي، من بني مرة ابن صعصعة، وكان من الداعين إلى إرساء قواعد الدولة الأموية، وهو:

فأخلف وأتلف إنّما المال عارة ... فكله مع الدهر الذي هو آكله
فأهون مفقود وأيسر هالك ... على الحيّ من لا يبلغ الحيّ نائله[3]

❖ **أبو الأسود:**

(كساك وما استكسيته...)

ومن أحسن ما قاله أبو الأسود الدؤلي، واسمه ظالم بن عمرو بن جندل بن سفيان (مات حوالي ٦٩ هـ / ٦٨٨ م) في عبيدالله بن زياد، وكان دخل عليه في ثياب رثّة، فكساه ثياباً حسنة، فخرج وهو يقول:

كساك وما استكسيته فشكرته ... أخ لك يعطيك الجزيل وناصر

---

(١) الديوان ٣ / ٥٣٤.
(٢) الكامل ١ / ٢٧٠.
ومدرجي: مروري. وقساً: اسم موضع من بلاد بني تميم. ومثله الدهنا. والكروان: من الطيور.
(٣) الكامل ١ / ٣٢١.

وإنَّ أحقّ الناس إن كنت مادحاً ... بمدحك إنْ أعطاك والعرض وافر[١]

وأبو الأسود، هذا، هو القائل:

وإذا طلبت من الحوائج حاجة ... فادع الإلٰه وأحسن الأعمالا
ودع العباد ولا تكن بطلابهم ... لهجاً تضعضع للعباد سؤالا
إنَّ العباد وشأنهم وأمورهم ... بيد الإلٰه يقلّب الأحوالا[٢]

❖ **ابن الرقيات:**

(أتيناك نثني...)

من الأجواد المشهورين، عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وهو الذي أعطى الفرزدق لما حرمه عبد الملك بن مروان عطاءه لمدحه زين العابدين، حرمه ألف دينار سنوياً، فتعهد عبدالله بن جعفر إعطاء الفرزدق أربعين ألف دينار، لأربعين سنة، عن كل سنة ألف، وعبدالله، هذا، هو الذي قال له الحسن بن علي إنَّك قد أسرفت في بذل المال، فقال: إنَّ الله عوّدني أنْ يفضل عليّ، وعوّدته أن أفضل على عباده، فأخاف أنْ أقطع العادة فيقطع عنيّ. والمهم أنَّ من شعر الجود والثناء على أهله، ما قاله عبدالله بن قيس ابن الرقيات، أحد ألمع شعراء العصرين الإسلامي والأموي، في عبدالله، وهو:

أتيناك نثني بالذي أنت أهله ... عليك كما أثنى على الأرض جارها
تقدّت بي الشهباء نحو ابن جعفر ... سواء عليها ليلها ونهارها
تزور فتىً قد يعلم الناس أنّه ... تجود له كفّ قليل غرارها
فوالله لولا أنْ تزور ابن جعفر ... لكان قليلاً في دمشق قرارها[٣]

❖ **موسى شهوات:**

(وما بابه للمجتدي بسديد)

من الأجواد، سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان، عرف بسخائه وإتلافه المال، وفي هذا يقول موسى بن يسار، المعروف بموسى شهوات، وقيل هو مولى بني سهم، من شعراء المدينة، وكان سعيد قد أنجز طلبته:

أبا خالد، أعني سعيد بن خالد ... أخا العرف، لا أعني ابن بنت سعيد
عميد الندى، ما عاش يرضى به الندى ... فإنْ مات لم يرضى الندى بعميد
دعوه، دعوه إنَّكم قد رقدتم ... وما هو عن أحسابكم برقود[٤]

---

(١) الكامل ١ / ٣٤١.
(٢) الأغاني ١ / ١٠٨.
(٣) الكامل ١ / ٣٩٩.
(٤) العقد ١ / ٩٨.

فيعطي ولا يعطى ويغشى ويجتدى وما بابه للمجتدي بسديد

(برت المال كبري بالسفن)

وكان من الأجواد حمزة بن عبدالله بن الزبير، وفيه يقول موسى شهوات، وهو من جيّد القول:

حمزة المبتاع بالمال الثنا ويرى في بيعه أن قد غبنْ
وهو إن أعطى عطاء كاملاً ذا إخاء لم يكدّره بمنْ
وإذا ما سنة مجحفة برت المال كبري بالسفنْ
حسرت عنه نقياً لونه طاهر الأخلاق ما فيه درنْ[1]

وبالمناسبة، تقول الرواية، إنَّ موسى كان قد قال لمعبد المغنّي: أقول شعراً في حمزة، وتتغنّى أنت به، فما أعطاك من شيء فهو بيننا، فقال هذا الشعر، فأعطاه مالاً، فقاسمه موسى[2].

❖ **ابن أرطاة:**

(بأبي الوليد...)

ومن الأجواد الوليد بن عثمان بن عفان، وكان ميالاً إلى السرف واللهو، وفيه يقول نديمه عبد الرحمٰن بن أرطاة، ابن سليمان، مثنياً على خلائقه وسخائه وسماحته:

بأبي الوليد وأمّ نفسي كلّما بدت النجوم وذرّ قرن شارق
كم عنده من نائل وسماحة وفضائل معدودة وخلائق
وسماحة للمعتفين إذا اعتفوا في ماله حقاً وقول صادق
أثوى فأكرم في الثواء وقضّيت حاجاتنا من عند أروع باسق[3]

❖ **الأقيشر:**

(معدن الضيف...)

من الأجواد المشاهير زكريا بن طلحة، يعرف بطلحة الفياض، لكرمه وجوده. وفيه يقول الأقيشر، واسمه المغيرة بن عبدالله:

قرّب الله بالسلام وحيّا زكريا طلحة الفيّاض
معدن الضيف إن أناخوا إليه بعد إبن الطلائع الأنقاض[4]

---

(١) الكامل ١ / ٤٠٠.
(٢) الكامل ١ / ٤٠٠.
(٣) الأغاني ٢ / ٧٨.
(٤) الأغاني ١٠ / ٨٢.

القسم الثاني

في العصر العباسي وما بعد العباسي

❖ أبو تمام:

(هو البحر...)

من جيّد الشعر الذي يمجّد فيه صاحبه، شعر أبي تمام، الشاعر العباسي المشهور، وهو من الرفعة والسموّ والبلاغة بمكان:

هو البحر من أيّ النواحي أتيته ... فلجّته المعروف والجود ساحله
كريم إذا ما جئت للعرف طالباً ... حباك بما تحوي عليه أنامله
فلو لم يكن في كفّه غير نفسه ... لجاد بها فليّتق الله سائله[1]

(وتبقى وجوه الراغبين بمائها)

ومن نادر ما قاله أبو تمام وأفرط في وصف الجود قوله للممدوح:

عطاؤك لا يفنى ويستغرق الثنا ... وتبقى وجوه الراغبين بمائها[2]

ومن نادر مشابهات أبي تمام ومفارقاته في الكرم واللؤم، وقوله للممدوح:

لئن مجدتك ما أوليت من نعم ... إنّي لفي اللؤم أمضى منك في الكرم
أنسى ابتسامك والألوان كاسفة ... تبّسم الصبح في داجٍ من الظلم
رددت رونق وجهي في صحيفته ... ردّ الصقال بهاء الصارم الخذم
وما أبالي وخير القول أصدقه ... حقنت لي ماء وجهي أو حقنت دمي[3]

(هذا الذي خلق السحاب...)

ومن جيّد الثناء على الجود وأهله، ثناء أبي تمام على جود حاتم الطائي وكعب بن مامة الإيادي، وهو الذي آثر رفيقه السعدي بالماء حتى مات عطشاً، ونجا السعدي، وهذا أكثر من كلّ ما أثنى لغيره. يقول أبو تمام:

كعب وحاتم اللذان تقسّما ... خطط العلى من طارف وتليد
هذا الذي خلق السحاب ومات ذا ... في الجهد ميتة خضرم صنديد
ألاّ يكن فيها الشهيد فقومه ... لا يسمحون به بألف شهيد[4]

(تكاد عطاياه...)

ومن جيّد أوصافه في الجود والأجواد، قوله في أبي دلف العجلي القاسم بن عيسى، وهو من القول المبتكر:

---

(١) المحاسن والمساوىء ٤٨.
(٢) العقد الفريد ١ / ٧١.
(٣) العقد ١ / ٧٣.
(٤) العقد ١ / ٨٩. والخضرم: السيّد الجواد الشجاع. والصنديد: الفارس الشجاع.

تكاد عطاياه يجنّ جنونها ... إذا لم يعوّدها بنعمة طالب
تكاد مغانيه تهشّ عراصها ... فتركب من شوق إلى كلّ راكب[١]

(جرى حاتم...)

ومن جيّده أيضاً، قوله:

جرى حاتم في حلبة منه لو جرى ... بها القطر قال الناس أيّهما القطر
فتىً أذخر الدنيا أناساً ولم يزل ... لها باذلاً فانظر لمن بقي الذخر
فمن شاء فليفخر بما شاء من ندى ... فليس لحيّ غيرنا ذلك الفخر
جمعنا العلى بالجود بعد افتراقها ... إلينا كما الأيام يجمعها الشهر[٢]

(لما بلغنا...)

ومن جيّده ما قاله في الحسن بن رجاء، وهو:

لما بلغنا ساحة الحسن انقضى ... عنّا تملّك دولة الإمحال
بسط الرجاء لنا برغم نوائب ... كثرت بهنّ مصارع الآمال
ورأيتني فسألت نفسك سيبها ... لي ثمّ جدت وما انتظرت سؤالي
كالغيث ليس له أريد غمامه ... أو لم يرد بدّ من التهطال[٣]

❖ **أبو ذفافة:**

(إن جدت فالجود شيء قد عرفت به)

ومن جيّد الشعر في تمثيل الجود وأهله، قول أبي ذفافة المعري، من شعراء الشام، في العصر العباسي، له في بعض الرؤساء قوله:

وما السحاب إذا ما انجاب عن بلد ... ولم يلمّ به يوماً بمذموم
إن جدت فالجود شيء قد عرفت به ... وإن تجافيت لم تنسب إلى اللوم[٤]

❖ **الحسين بن مطير:**

(ألّا على معن...)

من أبرز شعراء العصر العباسي المطبوعين، الحسين بن مطير بن الأشيم الأسدي (توفي سنة ١٦٩ هـ / ٧٨٥ م).

ولقد وفّق إلى حد بعيد في تصوير جود معن بن زائدة، معن هذا الذي ضرب المثل به في السماحة والندى والكرم. يقول الحسين راثياً معناً:

---

(١) زهر الآداب ١ / ٨٨.
(٢) الكشكول ٢ / ٢٩٨.
(٣) الأغاني ١٥ / ١٠٠.
(٤) اليتيمة ٥ / ٤٥.

ألمّا على معن وقولا لقبره ... سقتك الغوادي مربعاً ثم مربعا
فيا قبر معن أنت أول حفرة ... من الأرض خطّت للسماحة مضجعا
ويا قبر معن كيف واريت جوده ... وقد كان منه البرّ والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميّت ... ولو كان حيّاً ضقت حتى تصدّعا
ولما مضى معن مضى الجود والندى ... وأصبح عرنين المكارم أجدعا[1]

❖ **الشنوفي:**

(أغرّ كأنّ الجود غيث بكفّه)

ومن جيّد شعر الكرم والسخاء والجود ما قاله محمد الشنوفي، كنيته أبو الحسين، من شعراء القرن الرابع الهجري، في مدح أبي علي عمران بن موسى، وهو من جيّد القول:

سليل ذرى العلياء موسى فجوده ... كبحر أتى العافين تجري متاعبه
فتىً للحياء الجمّ خدن وللندى ... عقيد، وفي الآداب تعلو مراتبه
أغرّ كأنّ الجود غيث بكفّه ... أنامله للمعتفين سحائبه[2]

❖ **ابن الطيفوري:**

(سبوق إلى الغايات مشترك الجدى)

ومن الشعر الجيد في تمثيل الجود وأصحابه، قول عيسى بن الطيفوري، من شعراء خراسان وبغداد، في ابن طاهر، والي خراسان، وهو:

شكا الضرّ أهل الشرق في الزمن الذي ... سبتهم سيوف الجدب فيه مع الجدى
فساق إليهم ربّنا غيث أرضه ... عماد المعالي ذا اليمينين بالندى
فتىً طاهريّ يستضاء بوجهه ... سبوق إلى الغايات مشترك الجدى[3]

❖ **حمّاد عجرد:**

(فكلّ ما سدّ فقراً فهو محمود)

ومن جيّد الشعر في الحثّ على الجود، والبذل بالمال، قول حمّاد عجرد، أحد الشعراء المطبوعين العباسيين، وهو:

أبرق بخير تؤمّل للجزيل فما ... ترجى الثمار إذا لم يورق العود
بث النوال ولا تمنعك قلّته ... فكلّ ما سدّ فقراً فهو محمود

---

(١) معجم الأدباء ٩ / ٧٢.
وأجدع: مقطوع.
(٢) معجم الشعراء ٤٦٢.
(٣) معجم الشعراء ٢٦٢.

وللبخيل على أمواله علل ... زرق العيون عليها أوجه سود[١]

❖ أعرابي:

(فتىً تفرق الأموال من جود كفّه)

ومن ألطف الشعر في الجود قول أحد الأعراب في داود بن المهلب، وهو:

أمنت بداود وجود يمينه ... من الحدث المخشيّ والبؤس والفقر
فأصبحت لا أخشى بداود نبوة ... من الحدثان إذ شددت به أزري
فتىً تفرق الأموال من جود كفّه ... كما يفرق الشيطان من ليلة القدر[٢]

❖ أبو فراس:

(ويصبح الضيف أولانا بمنزلنا)

ومن جيّد الشعر وأسماه وأروعه، ذلك الشعر الذي يمجّد فيه أبو فراس الحمداني (ت ٣٥٧ هـ / ٩٦٧ م). الشاعر العباسي المشهور، والأمير المذكور، البطولة والشجاعة والعقل والندى إذ يقول:

إذا مررت بوادٍ جاش غاربه ... فاعقل قلوصك وانزل ذاك وادينا
وإن عبرت بناد لا تطيف به ... أهل السفاهة فاجلس ذاك نادينا
نغير في الهجمة الغراء ننحرها ... حتى ليعطش في الأحيان راعينا
وتجفل الشول بعد الخمس صادية ... إذا سمعن على الأمواه حادينا
ويصبح الضيف أولانا بمنزلنا ... نرضى بذاك ويمضي حكمه فينا[٣]

(ألست أقرّهم بالضيف عينا)

وقوله فاخراً بالجود والسخاء وإقراء الضيف:

سلي فتيات هذا الحيّ عنيّ ... يقلن بما رأين وما سمعنه
ألست أمدّهم لذويّ ظلاً ... ألست أعدّهم للقوم جفنه
ألست أقرّهم بالضيف عيناً ... ألست أمرّهم في الحرب لهنه[٤]

---

(١) العقد ١ / ٧٠.
(٢) العقد ١ / ٧٨. ويفرق: يفزع وينفر.
(٣) ديوان أبي فراس الحمداني ١٩٤. دار الفكر العربي. بيروت ١٩٩٤ م.
والغارب: الموج. والقلوص: الناقة والزمام. واعقل: اربط.
والهجمة الغراء: صفة للإبل البيض. والشول: صفة للإبل التي تشيل بأذنابها. والخمس: ترك الإبل خمسة أيام لتشرب. وصادية: عطشى.
(٤) ديوان أبي فراس الحمداني ١٩٤. والجفنة: القدر العظيمة. واللهنة: الطعام يتعلّل به قبل الغذاء.

(يا نار إن لم تجلبي...)

ومنه أيضاً هذا الشعر الفاخر بإقراء الضيف، وإيقاد النار أبداً لعلّها تدلّ حائراً، أو تهدي ضالاً، ليبيت عند الشاعر، فيحسن ضيافته ووفادته، يقول أبو فراس:

لمن الجدود الأكرمون ... من الورى إلاّ لِيَهْ
منذا يقوم لقومه ... بين الصفوف مقامِيَهْ
منذا يردّ صدورهنّ ... إذا أغرن علانِيَهْ
أحمي حريمي أن يباح ... ولست أحمي مالِيهْ
وتخافني كوم اللقاح ... وقد أمنّ عداتِيَهْ
يمسي إذا طرق الضيوف ... فناؤها بفنائِيَهْ
ناري على شرف تأجّج ... للضيوف السارِيهْ
يا نار إن لم تجلبي ... ضيفاً فلست بنارِيَهْ[1]

❖ **بكر بن النطاح:**

(أقول لمرتاد الندى...)

ومن أفرط ما قيل في الجود، ما قاله أبو بكر النطاح، من الشعراء الصعاليك في العصر العباسي، وهو:

أقول لمرتاد الندى عند مالك ... تمسّك بجدوى مالك ونواله
فتىً جعل الدنيا وقاء لعرضه ... فأسدى بها المعروف قبل عداته
فلو خذلت أمواله جود كفّه ... لقاسم من يرجوه شطر حياته
وإن لم يجز في العمر قسم لمالك ... وجاز له أعطاه من حسناته
وجاد بها من غير كفر بربّه ... وأشركه في صومه وصلاته[2]

(وما تدري إذا أعطيت مالاً)

ومن جيّد شعره في الجود ثناؤه على أبي دلف، ذي اليد السمحة المعطاء، يقول بكر مخاطباً أبا دلف:

إذا كان الشتاء فأنت شمس ... وإن كان المصيف فأنت ظلّ
وما تدري إذا أعطيت مالاً ... أتكثر في سماحك أو تقلّ[3]

(له راحة...)

ومن جملة إفراطات بكر بن النطاح أيضاً، ومنه التشبيه المفرط المتجاوز في وصف

---

(١) الديوان. وطرق: نزل ليلاً. وكوم اللقاح: الإبل التي لقحت.
(٢) العقد الفريد ١ / ٧١.
(٣) الأغاني ١٧ / ١٥٦.

أخي الجود والشجاعة، أبي دلف القاسم بن عيسى، قول بكر:

له همم لا منتهى لكبارها ... وهمّته الصغرى أجلّ من الدهر
له راحة لو أنّ معشار جودها ... على البرّ صار البرّ أندى من البحر
ولو أنّ خلق الله في مسك فارس ... وبارزه كان الخليّ من العمر
أبا دلف بوركت في كلّ بلدة ... كما بوركت في شهرها ليلة القدر[١]

❖ بشّار:

(ولكن يلذّ طعم العطاء)

ومن الأجواد عقبة بن سلم، وفيه يقول بشار بن برد، أحد أبرز شعراء العصر العباسي الأول، كانت وفاته سنة ٧٨٤ م:

إنّما لذّة الجواد بن سلم ... في عطاء ومركب للّقاء
ليس يعطيك للرجاء ولا الخوف ... ولكن يلذّ طعم العطاء
يسقط الطير حين ينتثر الحبّ ... وتغشى منازل الكرماء[٢]

(وما كلّ من الغنى عنده يجدي)

وفي خالد بن برمك، وهو من هو، وأسرته، في الجود، يقول بشّار:

لعمري قد أجدى عليّ ابن برمك ... وما كلّ من كان الغنى عنده يجدي
حلبت بشعري راحتيه فدرّتا ... سماحاً كما درّ السحاب مع الرعد
إذا جئته للحمد أشرق وجهه ... إليك وأعطاك الكرامة بالحمد
له نعم في القوم لا يستثيبها ... جزاء وكيل التاجر المدّ بالمدّ
مفيد ومتلاف سبيل تراثه ... إذا ما غدا أو راح كالجزر والمدّ[٣]

❖ ابن المولى:

(يا واحد العرب...)

ومن الشعراء المعاصرين لبشار محمّد بن عبدالله بن مسلم بن المولى، مولى الأنصار، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. له من شعر الثناء على الجود وأهله، قوله مادحاً أحد أشهر الأجواد في عصره، وهو يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلّب، والي مصر، والقول:

يا واحد العرب الذي ... أضحى وليس له نظير

---

(١) الكامل ٢ / ١٠١.
(٢) الأغاني ٣ / ٤٣.
(٣) نفسه ٣ / ٤٤.

لـــو كـــان مـــثـــلـــك آخـــراً ... مـا كـان فـي الـدنـيـا فـقـيـر[١]

(... فعلا الندى فوق البلاد وطارا)

وفيه أيضاً، يقول:

يـا واحـد الـعـرب الـذي دانـت لـه ... قـحـطـان قـاطـبـة وسـاد نـزارا
إنـي لأرجـو إن لـقـيـتـك سـالـمـاً ... أن لا أعـالـج بـعـدك الأسـفـارا
رشـت الـنـدى ولـقـد تـكـسّـر ريـشـه ... فـعـلا الـنـدى فـوق الـبـلاد وطـارا[٢]

(يا جعفر الخيرات يا جعفر)

وعلى ذكر الندى وعلوّه وطيرانه فوق البلاد، ما أحسن أن نذكر ما قاله ابن المولى، نفسه، في جعفر بن سليمان، أمير البصرة، وكانت له أياد بيض على المحتاجين والمعوزين:

كـم صـارخ يـدعـو وذي فـاقـة ... يـا جـعـفـر الـخـيـرات يـا جـعـفـر
أنـت الـذي أحـيـيـت بـذل الـنـدى ... وكـان قـد مـات فـلا يـذكـر
هـذا امـتـداحـيـك عـقـيـد الـنـدى ... أشـهـد بـالـمـجـد لـك الأشـقـر[٣]

(قال الندى فأطعته لك أكثر)

وفي مدح يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلّب، المارّ ذكره، يقول ابن المولى مثنياً على جوده وسخائه، وهو من جيّد القول:

وإذا تـبـاع كـريـمـة أو تـشـتـرى ... فـسـواك بـائـعـهـا وأنـت الـمـشـتـري
وإذا تـوعّـرت الـمـسـالـك لـم يـكـن ... مـنـهـا الـسـبـيـل إلـى نـداك بـأوعـر
وإذا صـنـعـت صـنـيـعـة أتـمـمـتـهـا ... بـيـديـن لـيـس نـداهـمـا بـمـكـدّر
وإذا هـمـمـت لـمـعـتـفـيـك بـنـائـل ... قـال الـنـدى فـأطـعـتـه لـك أكـثـرِ[٤]

❖ **أبو النضير:**

(ويفرح بالمولود من آل برمك)

من الشعراء في عصر بني العباس، عمر بن عبد الملك، وكنيته أبو النضير، كان مولى لبني جمح في البصرة. غلب عليه الظرف حتى أن حماد بن إسحاق يقول لو قيل لي من أظرف من رأيته قط أو عاشرته لقلت أبو النضير. ومن نادر شعر أبي النضير في

---

(١) الأغاني ٣ / ٨٧.
(٢) نفسه ٣ / ٨٧.
(٣) الأغاني ٣ / ٩٣.
(٤) الحماسة ٢ / ٣٥٨.

جود البرامكة، الفضل بن يحيى خاصة، ما قاله ارتجالاً لما مثل بين يديه مهنئاً إياه بمولود جديد. قال أبو النضير:

ويفرح بالمولود من آل برمك ... بغاة الندى والسيف والرمح والنصل
وتنبسط الآمال فيه لفضله ... ولا سيّما إن كان من ولد الفضل[١]

(وجدت نسيم الجود من آل برمك)

ومن جيّد شعره في جود البرامكة قوله ثانية:

إذا كنت من بغداد في رأس فرسخ ... وجدت نسيم الجود من آل برمك[٢]

(للفضل في تدبيره حامد)

ويقول ثالثة:

تشاغل الناس ببنيانهم ... والفضل في بنيانه جاهد
كلّ ذوي الفضل وأهل النهى ... للفضل في تدبيره حامد[٣]

(كأنّك تحكي راحة ابن هاشم)

أما في عبدالله بن هشام بن عمرو التغلبي، وكان جوّاداً سخياً، والياً على السند، ففيه يقول أبو النضير، وهو من نادر القول ومدح الجود، مخاطباً الغيث المنهمل:

ألا أيّها الغيث الذي سحّ وابله ... كأنّك تحكي راحة ابن هشام
كأنّك تحكيها ولكنّ جوده ... يدوم وقد تأتي بغير دوام
وفيك جهام ربّما كان مخلفاً ... وراحته تغدو بغير جهام[٤]

❖ **مطيع بن إياس:**

(وليس بمانع ذي حاجة)

ومن روائع الأشعار في الأجواد الأسخياء، ما قاله مطيع بن إياس، أحد مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، في جرير بن يزيد ابن خالد بن عبدالله القسري، من الأجواد المشاهير، يقول مطيع:

تقول ابنتي إذ رأت حالتي ... وقرّبت للبين عنساً وكورا
إلى منْ أراك وقتك الحتوف ... نفسي تجشّمت هذا المسيرا
فقلت إلى البجليّ الذي ... يفكّ العناة ويغني الفقيرا

---

(١) الأغاني ١٠ / ٩٥.
(٢) الأغاني ١٠ / ٩٥.
(٣) الأغاني ١٠ / ٩٥.
(٤) الأغاني ١٠ / ٩٦.

أخي العرف أشبه عند الندىّ ... وحمل المئين إباه جديرا
عشير الندى ليس يرضى الندى ... يد الدهر بعد جرير عشيرا
إذا استكثر المجتدون القليل ... للمعتفين استقلّ الكثيرا
إذا عسر الخير في المجتدين ... كان لديه عتيداً يسيرا
وليس بمانع ذي حاجة ... ولا خاذل من أتى مستجيرا[1]

❖ **الشريف الرضي:**

(ولولا الندى...)

من الشعراء الأجواد الأفذاذ، في العصر العباسي، محمّد بن الحسين، المعروف بالشريف الرضي (ت ١٠١٦ م).

نقيب الأشراف والطالبيين، جامع «نهج البلاغة» وصاحب «الإخوانيات» «والحجازيات».

ومن جيّد الشعر وأبلغه وأكثره سموّاً، في الجود والكرم والسخاء، قول الشريف:

أرى موضع المعروف لو أستطيعه ... وأغضي ولو شاء الغنى لي لم أغض
ألاحظ خلاّت الكرام بغصّة ... ويقصر مالي عن بلوغ الذي يرضي
ولولا الندى ما طأطأ العدم هامتي ... ولا كان ينضيني من الهمّ ما ينضي
وكيف وفور العرض والمال وافر ... ومن يخزن الأموال ينفق من العرض
ومن عدم أقري النوازل عذرة ... ولو حلّ لي لحمي قريتهم بعضي[2]

أجل... إنّه يجود بلحم بدنه، لو كان يحلّ ذلك، ليطعمه للأضياف، وليذود به عن العرض، لكن سوء الحال، والعسر، من بعد يسر، يحول دون ذلك.

❖ **أبو بصير:**

(يا طالب الجود...)

من أطبع شعراء القرن الثالث الهجري، في العصر العباسي، أبو بصير، وقيل أبو علي البصير، واسمه الفضل. تقلّد ديوان رسائل الخليفة المستعين. من أجود شعره في مدح يحيى بن خالد البرمكي، وهو من هو وقومه في الرياسة والسؤدد، والبذل والسخاء والجود، قوله:

نام الخليّون من وهم ومن سقم ... وبتّ من كثرة الأحزان لم أنمِ

---

(١) الأغاني ١٢ / ٨٩.
(٢) ديوان الشريف الرضيّ ٤٤٤ - ٤٤٥.

يا طالب الجود والمعروف مجتهداً اعمد ليحيى حليف الجود والكرم[١]

(ولا سيّما إنْ كان من ولد الفضل)

وإنَّ منه أيضاً، في آل برمك، قوله:

ويفرح بالمولود من آل برمك بغاة الندى والسيف والرمح والنصل
وتنبسط الآمال فيه لفضله ولا سيّما إن كان من ولد الفضل[٢]

❖ **مروان بن أبي حفصة:**

(... وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا)

ومن جيّد شعر المدح بالكرم والجود والسخاء، شعر مروان بن أبي حفصة (ت ١٨١ هـ / ٧٩٧ م) في مدح بني شيبان، وهم الذين شهروا بالجود والعقل والسؤدد:

هم القول إن قالوا أصابوا وإن دعوا أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
فلا يستطيع الفاعلون فعالهم وإن أحسنوا في النائبات وأجملوا[٣]

(حرام عليه قول لا حين يسأل)

وإن منه أيضاً، هذا الشعر الجيّد في مدح كرم معن بن زائدة، ومعن كان من الأجواد الفرسان والشجعان. يقول مروان متحدثاً عن معن:

تجنّب لا في القول حتى كأنّه حرام عليه قول لا حين يسأل
تشابه يوماه علينا فأشكلا فلا نحن ندري أيّ يوميه أفضل
أيوم نداه الغمر أمْ يوم بأسه وما منهما إلاّ أغرّ محجّل[٤]

(وقلنا أين نرحل بعد معن)

وفيه يقول أيضاً ناعياً الجود والكرم والسخاء والعطاء:

مضى لسبيله معن وأبقى مكارم لن تبير ولن تنالا
أصاب الموت يوم أصاب معناً من الأحياء أكرمهم فعالا
وكان الناس كلهم لمعن إلى أن زار حفرته عيالا
ولم يك طالب للعرف ينوي إلى غير ابن زائدة ارتحالا
أقمنا باليمامة إذ يئسنا مقاماً لا نريد به زيالا

---

(١) الأغاني ٥ / ١٢.
(٢) الأغاني ٥ / ١٣.
(٣) الشعر والشعراء ٢ / ٧٦٥.
(٤) الأغاني ٩ / ٤٤.
والأغرّ: في جبينه بياض. والمحجّل: ما فيه حجل.

وقلنا أين نرحل بعد معن ... وقد ذهب النوال فلا نوالا[١]

(له راحتان...)

وفيه يقول أيضاً:

فما حجم الأعداء عنك تقية ... عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
له راحتان الحتف والجود فيهما ... أبى الله إلاّ أن يضرّ وينفعا[٢]

❖ **أبو العلاء:**

(كأنّك حوض المزن...)

ومن جيّد القول في الجود والسخاء، قول أبي العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ) الشاعر العباسي المشهور، والفيلسوف، صاحب «اللزوميات» و«سقط الزند» في أبي القاسم علي بن جلبات، وكان من الأجواد:

إذا أطلقت كفّاك عارض عسجد ... على سائل لم ترضيا برهامه
غمامان مبيضّان منذ براهما ... لنا الله لم نحفل بسود غمامه
كأنّك حوض المزن طأطأ نفسه ... إلى ورده حتى ارتوى من سجامه
كأنّك درّ البحر أصبح طافياً ... على الماء فاعتام الورى من تؤامه
كأنّك ركن البيت أعطي قدرة ... فسار إلى زوّاره لاستلامه
أفدت جزيل المال لما استفدته ... وحكّمت فيه الدهر قبل احتكامه
ولو نال ذو القرنين ما نلت من غنىً ... بنى السدّ من ذوب النضار وسامه
بنو الجلبات الباعثون من الندى ... سراياه والفازون وسط لهامه[٣]

(فتىً يهب اللجين)

ومن جيّد القول، قوله في سخاء الممدوح:

عهدت لأحسن الحيّين وجهاً ... وأوهبهم طريفاً أو تلادا
فتىً يهب اللجين المحض جوداً ... ويدّخر الحديد له عتادا
ويغبق أهله لبن الصفايا ... ويمنح قوت مهجته الجوادا
يذود سخاؤه الأذواد عنه ... ويحسن من حرائبه الذيادا

---

(١) الأغاني ٩ / ٣٣.
(٢) العقد ١ / ٩٣.
(٣) سقط الزند ٥١. دار مكتبة الحياة. لبنان.
اللهام: الجيش العظيم. واعتام: اختار. وتؤام: جمع توأم، كناية عن اللؤلؤ المستخرج من تؤام، اسم موضع بالبحرين. والرهام: المطر الدائم الضعيف القطر. والعسجد: الذهب.

إذا نزل الضيوف ولم يريحوا كرام سوامهم عقروا الجيادا[١]

(وقد وهبت أناملك التلادا)

ومثله قوله في آخر مخاطباً:

وكيف تسير مبتغياً طريفاً وقد وهبت أناملك التلادا
فما ينفكّ ذا مال عتيد فتىً جعل القنوع له عتادا
ولو أنّ السحاب همى بعقل لما أروى مع النخل القتادا
ولو أعطى على قدر المعالي سقى الهضبات واجتنب الوهادا[٢]

(وأنت نمير الجود عذب الشمائل)

ومن أجمل الشعر وأبدعه في سخيّ جواد:

تنازع فيك الشّبه بحر وديمة ولست إلى ما يزعمان بماثل
إذا قيل بحر فهو ملح مكدّر وأنت نمير الجود عذب الشمائل
ولست بغيث فوك للدرّ معدن ولم تلف داراً في الغيوث الهواطل[٣]

(وقدورهم...)

ومن جيّد القول، قوله في رثاء أبي أحمد الشريف، والد الشريف الرضي، مثنياً على نداه وكرمه وجوده:

وقدورهم مثل الهضاب رواكداً وجفانهم كرحيبة الأفياف
من كلّ جائشة العشيّ مفيئة بالمير جير مرافد وصحاف
دهماء راكبة ثلاثة أجبل عظماً وإن حسبت ثلاث أثافي[٤]

❖ **الأصفهاني:**

(وردنا نداه مجدبين فأخصبنا)

ومن نادر الشعر في الجود والعطاء، وحسن البذل، قول أبي الفرج الأصفهاني، صاحب «الأغاني» في الوزير المهلّبي:

ولما انتجعنا لائذين بظلّه أعان وما عنّى ومنّ وما منّى

---

(١) سقط الزند ٦٣. والحرائب: أموال المرء التي يعيش بها. ويغبق: يسقي في الغبوق، أي في العشاء. والصفايا: الإبل الغزيرة اللبن.
(٢) سقط الزند ٨٩.
(٣) سقط الزند ١٢٨.
(٤) سقط الزند ١٥٤. ومفيئة: تعطي الفيء والغنيمة. والمير: الطعام. والمرافد: الأقداح يقرى بها الضيوف. والأفياف: الأماكن الواسعة.

وردنا عليه مقترين فراشنا ... وردنا نداه مجدبين فأخصبنا[١]

❖ **البحتري:**

(ولو أنَّ كفّك...)

ومن جيّد ما قيل في الجود وأهله، ما قاله البحتري مخاطباً الممدوح:

لو أنَّ كفّك لم تجد لمؤمّل ... لكفاه عاجل وجهك المتهلّل
ولو أنَّ مجدك لم يكن متقادماً ... أغناك آخر سؤدد عن أوّل[٢]

(جميل محيّاه سباط أناملُه)

ومنه أيضاً، وقد أفرط، في مدح الفتح بن خاقان:

بدا لي محمود السجيّة شمّرت ... سرابيله عنه وطالت حمائله
فسلّمت فاعتافت جناني هيبة ... تنازعني القول الذي أنا قائله
إلى مسرف في الجود لو أنَّ حاتماً ... لديه لأضحى حاتم وهو عادله
فلما تأمّلت الطلاقة وانثنى ... إليّ ببشر آنستني مخايله
دنوت فقبّلت الندى من يد امرىء ... جميل محيّاه سباط أنامله
صفت مثلما تصفو المدام خلاله ... ورقّت كما رقّ النسيم شمائله[٣]

(ولولاه...)

وفيه أيضاً، أي في الفتح يقول مادحاً الندى والكرم والبذل:

وكانت يد الفتح بن خاقان عندكم ... يد الغيث عند الأرض أجدبها المحلُ
ولولاه طلّت بالغفوق دماؤكم ... فلا قود يعطى الأذلّ ولا عقل
فما برحوا حتى تعاطت أكفّهم ... قراك فلا ضغن لديهم ولا ذحل
وجرّوا ذيول العصب تضفو ذيولها ... عطاء كريم ما تكأدّه بخل
وما عمّهم عمرو بن غنم بنسبة ... كما عمّهم بالأمس نافلك الجزل[٤]

(هل المكارم إلاّ ما تجمّعه)

ومن جيّد شعر الكرم والجود، وفيه من بديع التقسيم ما يربو على الوصف، قوله في الممدوح:

كأنّك السيف حدّاه ورونقه ... والغيث وابله الداني وريّقه

---

(١) الكامل ١ / ١٠٣.
(٢) المحاسن والمساوىء ٤٩.
(٣) زهر الآداب ١ / ٧٩. والسجية: الطبيعة. ومخايله: سجاياه. وسباط: طوال. والمدام: الخمرة.
(٤) زهر الآداب ١ / ٨٩. والقود، والعقل: الدّية: وأخذ الثأر. والذحل: الثأر. وتأكده: شقّ.

هل المكارم إلاّ ما تجمّعه ... أو المواهب إلاّ ما تفرّقه[١]

❖ أبو دهبل:

(إنَّ النساء بمثله عقم)

ومن فريد القول في إطراء الجود، وأهله قوله:

عقم النساء فما يلدن شبيهه ... إنَّ النساء بمثله عقم
متهلّل بنعمْ، بلا متباعد ... سيّان منه الوفر والعدم[٢]

❖ دعبل:

(لم أرضَ بعدك كائناً من كانا)

من جيّد الشعر ونادره في مدح الجود والثناء على أهله، مدح دعبل بن علي الخزاعي، للمطلب بن عبدالله بن مالك، وكان والياً على مصر زمن العباسيين، وهو:

كلّ الندى إلاّ نداك تكلّف ... لم أرضَ بعدك كائناً من كانا
أصلحتني بالبرّ بل أفسدتني ... فتركتني أتسخّط الإحسانا[٣]

(عجبت لحرّاقة...)

ومن الأجواد المعدودين، عبدالله بن طاهر الخراساني، أحد أشهر الولاة العباسيين (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م)، عرض له دعبل الخزاعي، وهو راكب في حراقة له في دجلة فأشار إليه برقعة، فأمر بأخذها، فإذا فيها:

عجبت لحرّاقة بن الحسين ... كيف تسير ولا تغرق
وبحران من تحتها واحد ... وآخر من فوقها مطبق
وأعجب من ذاك عيدانها ... إذا مسّها كيف لا تورق

فأمر له بخمسين ألف درهم، وجارية، وفرس[٤].

وكان دعبل قد تلقاه ثانية برقعة فيها قوله:

طلعت قناتك بالسعادة فوقها ... معقودة بلواء ملك مقبل
تهتزّ فوق طريدتين كأنّما ... تهفو يفضّلها جناحا أجدل
ربح البخيل على احتيال عرضه ... بندى يديك ووجهك المتهلّل
لو كان يعلم أنَّ نيلك عاجل ... ما فاض منه جدول في جدول

---

(١) زهر الآداب ٣ / ٢٠٠. والرونق: الطلاوة وحسن الإشراق.
(٢) زهر الآداب ١ / ٢٠٤.
(٣) الأغاني ١٨ / ٥٠.
(٤) العقد ١ / ٩٧. والحراقة: السفينة.

فأمر له بخمسة آلاف[١].

❖ عليُّ بن الجهم:

(يداه في الجود...)

ومن نادر الشعر في وصف الجود والأجواد، ما قاله الشاعر العباسي المطبوع عليّ ابن الجهم(ت ٨٦٣ م) في المتوكل، وكان هذا في يده جوهرتان، فأعطاه التي في يمينه، فأطرق متفكراً في شيء يقوله ليأخذ التي في يساره، فقال مالك مفكراً؟ إنّما تفكر فيما تأخذ به الأخرى. خذها، لا بورك لك فيها. فأنشأ يقول:

بسرّ من رأى إمام عادل ... تغرف من بحره البحار
يرجى ويخشى لكلّ أمر ... كأنّه جنّة ونار
الملك فيه وفي بنيه ... ما اختلف الليل والنهار
يداه في الجود ضرّتان ... عليه كلتاهما تغار
لم تأتِ منه اليمين شيئاً ... إلاّ أتت مثله اليسار[٢]

(ومن قال...)

ومنه أيضاً في مدح المتوكل، نداه، وعطائه، قوله من القصيدة التي مطلعها:

عيون المها بين الرصافة والجسر ... جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

أما القول في ندى المتوكل فهو:

ولو جلّ عن شكر الصنيعة منعم ... لجلّ أمير المؤمنين عن الشكر
ومن قال إنّ البحر والقطر أشبها ... نداه فقد أثنى على البحر والقطر[٣]

❖ أبو السمط:

(وليس له عن طالب العرف حاجب)

ومن جيّد شعر الكرم والجود ما قاله أبو السمط بن أبي حفصة، حفيد مروان بن أبي حفصة، الشاعر المشهور، وهو قوله في أحد الأجواد:

فتىً لا يبالي المدلجون بنوره ... إلى بابه أن لا تضيء الكواكب
له حاجب في كلّ خير يعينه ... وليس له عن طالب العرف حاجب[٤]

---

(١) العقد ١ / ٩٨.
(٢) العقد ١ / ١٠٠.
(٣) الكشكول، للعاملي ٣ / ٤٩٧. والمها: بقر الوحش.
(٤) زهر الآداب ٢ / ١٢٢. والمدلجون: السائرون ليلاً.

❖ المبرّد:

(جهرت بحلفة...)

ومن جيّد المدح، في الجود والبذل والسماحة والعطاء، قول أبي العباس المبرّد في المتوكل، وهو:

جهرت بحلفة لا أتّقيها ... بشكّ في اليمين ولا ارتياب
بأنّك أحسن الخلفاء وجهاً ... وأسمح راحتين، ولا أحابي
وأنّ مطيعك الأعلى محلاً ... ومن عاصاك يهوي في تباب[1]

❖ النمري:

(إنّ المكارم والمعروف أودية)

ومن جيّد الشعر في الثناء على الجود، وأهله، وتبيان محاسنه، قول أبي منصور النمري، الشاعر العباسي (ت ١٨٣ هـ / ٨٠٥ م) في الرشيد، وهو:

إنّ المكارم والمعروف أودية ... أحلّك الله منها حيث تجتمع
من لم يكن بأمين الله معتصماً ... فليس بالصلوات الخمس ينتفع
إن أخلف المزن لم تخلف أناملـه ... أو ضاق أمر ذكرناه فيتّسع[2]

❖ ابن المعتزّ:

(يداه تروّي قبره من نداهما)

ومن أحسن القول في الندى وأهله، ما قاله عبدالله بن المعتزّ (ت ٩٠٨ م) في عبيد الله بن سليمان بن وهب يرثيه، وهو:

ذكرت عبيد الله والترب دونه ... فلم تحبس العينان منيّ بكاهما
وحاشاه من قول سقى الغيث قبره ... يداه تروّي قبره من نداهما[3]

(لم تمت...)

وقوله فيه أيضاً:

لم تمت أنت إنّما مات من لم ... يبقَ في المجد والمكارم ذكرا
لست مستسقياً لقبرك غيثاً ... كيف يظما وقد تضمّن بحرا[4]

---

(١) زهر الآداب ٢ / ١٧٤. وتباب: هلاك.
(٢) زهر الآداب ٢ / ٢٧٤. وتخلف: تخطىء وتمنع.
(٣) زهر الآداب ٢ / ٢٨٨.
(٤) زهر الآداب ٢ / ٢٨٨.

❖ الجوهري:

(هذا الجواد على العلاّت لا هرم)

ومن أطرف الشعر في الجود والكرم، ونادره، وفارطه، قول يوسف الجوهري، مادحاً الحسن بن سهل سعيد، وهو الذي ضرب المثل بجوده وسخائه:

لو أنَّ عيني زهير أبصرت حسناً ... وكيف يصنع في أمواله الكرم
إذن لقال زهير حين يبصره ... هذا الجواد على العلاّت، لا هرم[1]

إشارة إلى قول زهير، الشاعر الجاهلي في مدح جود هرم بن سنان:

من يلقَ يوماً على علاّته هرماً ... يلقَ السماحة في خَلْقٍ وفي خُلُقِ

❖ أبو الجنوب:

(أتى جود عبد الله...)

ومن جيّد القول في ندى عبدالله بن طاهر، أحد أشهر الأجواد في العصر العباسي، قول أبي الجنوب بن أبي حفصة، وكان عبدالله بعث إليه، وهو ببغداد بعشرين ألف درهم:

لعمري لنعم الغيث غيث أصابنا ... ببغداد من أرض الجزيرة وابله
ونعم الفتى والبيد بيني وبينه ... بعشرين ألفاً صبّحتني رسائله
فكنّا كحيّ صبّح الغيث أهله ... ولم ينتجع أظعانه وحمائله
أتى جود عبدالله حتى كفت به ... رواحلنا سير الفلاة رواحله[2]

❖ عبد الصمد بن المعذّل:

(حويت الجود...)

من الأجواد المعروفين في العصر العباسي عمرو بن سعيد بن مسلم الباهلي، ومن جيّد الشعر في جوده ونداه، قول عبد الصمد بن المعذّل فيه راثياً الجود:

أقبر أبي أمية لو علاه ... حملت إذاً لضقت به ذراعا
حويت الجود والتقوى وعمراً ... فكيف أطقت يا قبر اضطلاعا
لموتهم أطقت له انضماما ... ولولا ذاك لم تطق اتساعا[3]

---

(١) زهر الآداب ٢ / ٣١٦.
(٢) زهر الآداب ٣ / ٧٩. وينتجع: يطلب النجعة والماء. والأظعان: جماعة المسافرين. والرواحل: جمع راحلة، وهي صفة للناقة.
(٣) زهر الآداب ٣ / ١٠٣.

(ليس لي عذر...)

ولقد كان عبد الصمد نفسه جواداً، متلافاً للمال، وله يردّ على عاذلته لومها إياه على السخاء، قوله:

زعمت عاذلتي أنّي لما ... حفظ البخل من المال مضيع
كلفتني عذرة الباطل إذ ... طرق الطارق والناس هجوع
ليس لي عذر وعندي بلغة ... إنّما العذر لمن لا يستطيع[1]

❖ **جنوب:**

أما جنوب، أخت عمرو بن سعيد، فلها فيه مراثٍ حسان، لا سيمّا تلك التي تنوه فيها بجود عمرو وبذله وسخائه، وبخاصة قولها فيه، وهو من جيّد القول:

وقد علم الضيف والمرملون ... إذا اغبّر أفق وهبّت شمالا
وخلّت عن اولادها المرضعات ... ولم ترعين لمزن بلالا
بأنّك كنت الربيع المغيث ... لمن يعتفيك وكنت الثمالا[2]

❖ **ربيعة الرقي:**

(قد بسط المهدي...)

وفي جود الخليفة العباسي المهدي، وحدبه على أصحاب الحاجات، يقول ربيعة الرقي، أحد شعراء الغزل المطبوعين:

قد بسط المهديّ كفّ الندى ... للناس والعفو عن الظالم
فالراحل الصادر عن بابه ... مبشّر للوارد القادم[3]

❖ **صريع الغواني:**

(وأثبت نيران الندى بالعشائر)

ومن جيّد أشعار مسلم بن الوليد، ويعرف بصريع الغواني، قوله يمدح ابن منصور، الجواد المقدام، وهو التالي:

جزيت ابن منصور على نأي داره ... جزاء مقرّ بالصنيعة شاكر
فتىً راغم الأموال واصطنع العلا ... وأثبت نيران الندى بالعشائر[4]

---

(١) الكامل ١ / ٢٣٧. وهجوع: ينام. والبلغة: ما يتبلغ به من المال والقوت.
(٢) زهر الآداب ٣ / ١٠٤. المرملون: الفقراء. ويعتفيك: يطلب عفاءك وجودك.
(٣) زهر الآداب ٣ / ١٢٩. والصادر: الشارب. والوارد: طالب المورد والشرب.
(٤) زهر الآداب ٣ / ١٢٩.

❖ مهيار:

(يتقارعون على قرى الضيفان)

ومن الشعر الجيّد، في الجود وإقراء الضيفان، قول مهيار الديلمي، تلميذ الشريف الرضي، والشاعر العباسي المطبوع المتوفى سنة ١٠٣٧ م، وهو:

ضربوا بمدرجة الطريق قبابهم ... يتقارعون على قرى الضيفان
ويكاد موقدهم يجود بنفسه ... حبّ القرى حطباً على النيران[١]

❖ الشهرزوري:

(قلت من بالديار...)

ومن جيد الشعر في الجود وإقراء الضيف، ما قاله، عبدالله بن القاسم الشهرزوري، أبو حفص، أحد الوافدين على الصاحب بن عباد، وهو:

قلت من بالديار قالت جريح ... وأسير مكبّل وقتيل
ما الذي جئت تبتغي قلت ضيف ... جاء يبغي القرى فأين النزول
فأشارت بالرحب دونك فاعقر ... ها فما عندنا لضيف رحيل
قلت أهل الهوى سلام عليكم ... لي فؤاد عنكم بكم مشغول
جئت كي أصطلي فهل لي إلى نا ... ركم هذه الغداة سبيل
فأجابت شواهد الحال عنهم ... كلّ حدّ من دونها مفلول[٢]

❖ سوّار:

(أندى من الليلة الماطرة)

ومن جيّد ما أنشده سوّار القاضي في حضرة عبدالله بن طاهر، صاحب خراسان قوله مثنياً على كرم ابن طاهر وجوده وسخائه:

فبابك أيمن أبوابهم ... ودارك مأهولة عامرة
وكفّك حين ترى المجتدين ... أندى من الليلة الماطرة
وكلبك آنس بالمعتفين ... من الأمّ بابنتها الزائرة[٣]

---

(١) الكشكول ٣ / ٤٦٧.
(٢) الكشكول ٢ / ٢٠١. واعقرها: اذبحها. وأصطلي: أتدفأ بالنار.
ومفلول: فيه فلل، أيّ عيب، وعدم مضاء.
(٣) العقد ١ / ٧٣.
المعتفون: طالبو الخير. والمجتدون: طالبو الجدّ والعطاء.

❖ ابن هرمة:

(وإن قال إنّي فاعل فهو فاعل)

ومن جيّد الشعر المبتكر في مدح الأجواد، ما قاله ابن هرمة أحد شعراء الدولتين الأموية والعباسية، في الخليفة المنصور، وكان هذا قد أمر بعدم إدخال الشعراء ومدحهم إياه عن طريق تمثيل شجاعته بالأسد، وجوده بالبحر، وغير ذلك مما هو مألوف، فدخل ابن هرمة، وقال فيه:

له لحظات عن جفا في سريره ... إذا كرها فيها عذاب ونائل
لهم طينة بيضاء من آل هاشم ... إذا اسودّ من كرم التراب القبائل
إذا ما أتى شيئاً مضى كالذي أتى ... وإن قال إنّي فاعل فهو فاعل

فأكرمه المنصور وأحسن وفادته، وأمر له بخمسة آلاف درهم[1].

(جواد على العلاّت..)

ومن جيد ما قاله في السريّ بن عبدالله، باليمامة، قوله:

فقل للسريّ الواصل البرّ ذي الندى ... مديحاً إذا ما بثّ صدق قائله
جواد على العلاّت يهتز للندى ... كما اهتزّ عضب أخلصته صياقله
بك الله أحيا أرض حجر وغيرها ... من الأرض حتى عاش بالبقل آكله[2]

❖ السعدي:

(إذا هاب أقوام...)

من الشعراء الأجواد الفرسان الشجعان، محمّد بن هاشم، أبو محلّم السعدي التميمي، له يردّ على زوجه التي عجبت من شجاعته وفروسيته، قوله:

تقول وصكّت صدرها بيمينها ... أبعلي هذا بالرحى المتقاعس
فقلت لها لا تعجبي وتبيّني ... بلائي إذا التفّت عليّ الفوارس
ألست أردّ القرن يركب ردعه ... وفيه سنان ذو غرارين يابس
إذا هاب أقوام تجشّمت هول ما ... يهاب حميّاه الألدّ المداعس
لعمر أبيك الخير إنّي لخادم ... لضيفي وإنّي إن ركبت لفارس[3]

---

(١) العقد ١ / ١٠٠.
(٢) الأغاني ٤ / ١٠٩. والعضب: السيف.
(٣) الكامل ١ / ٢٣.
والمتقاعس: من يخرج صدره ويدخل ظهره. وقوله: بالرحى المتقاعس، من قبيل جعل المتقاعس اسماً على وجهه، وتبييناً بمنزلة. والغرار: الحدّ. والألدّ: الشديد الخصومة. والمداعس: الشديد الجرأة في الحرب.

(وليس يحملني إلاّ ابن حمّال)

وفي طلحة بن حبيب، الجواد، يقول:

لطلحة بن حبيب حين تسأله ... أندى وأكرم من فند بن هطّال
ألا فتىً من بني ذبيان يحملني ... وليس يحملني إلاّ ابن حمّال
فقلت طلحة أولى من عمدت له ... وجئت أمشي إليه مشي مختال[1]

❖ **ابن أبي عيينة:**

(لا يرتق الراتقون إن فتقوا)

ومن جيّد فخار محمّد بن أبي عيينة، من الشعراء المطبوعين في العصر العباسي، بالجود والشجاعة والمنعة والسؤدد، قوله:

كنّا ملوكاً إذ كان أوّلنا ... للجود والبأس والعلى خلقوا
كانوا جبالاً عزاً يلاذ بها ... ورائحات بالوبل تنبعق
كانوا بهم ترسل السماء على الأر ... ض غياثاً ويشرق الأفق
لا يرتق الراتقون إن فتقوا ... فتقاً ولا يفتقون ما رتقوا
ليسوا كمعزى مطيرة بقيت ... فما بها من سحابة لثق[2]

وابن أبي عيينة، هو القائل:

ما راح يوم على حيّ ولا ابتكرا ... إلاّ رأى عبرة فيه إن اعتبرا
ولا أتت ساعة في الدهر فانصرفت ... حتى تؤثر في قوم لها أثرا
إنّ الليالي والأيام أنفسها ... عن غير أنفسها لم تكتم الخبرا[3]

❖ **أبو دلف:**

(ألا ربّ ضيف...)

من الأجواد الشجعان، ذوي المحلّ الأعلى عند الخلفاء، وعظم الغناء في المشاهد، وحسن الأدب، وجودة الشعر، القاسم بن عيسى بن إدريس، أحد بني عجل بن لجيم، من بكر وائل، ويكنّى بأبي دلف. له قوله مجيباً علي بن جبلة، الشاعر العباسي المطبوع، على أبيات كان بعث بها إليه مع معقل بن عيسى:

ألا ربّ ضيف طارق قد بسطته ... وآنسته قبل الضيافة بالبشر
أتاني يرجّيني فما حال دونه ... ودون القرى والعرف من نائلي ستري

---

(١) الكامل ١ / ٢١٣.
(٢) الكامل ١ / ٢٥٠.
واللثق: البلل.
(٣) الكامل ١ / ٢٤٠.

وجدت له فضلاً عليّ بقصده ... إليّ وبرّاً زاد فيه على بريّ
فزوّدته مالاً يقلّ بقاؤه ... وزوّدني مدحاً يدوم على الدهر

ثمّ إن أبا دلف بعث مع الأبيات أعلاه إلى عليّ بن جبلة، بألف دينار، إضافة إلى وصيف له، فقال عليّ حينئذ: إنّما الدنيا أبو دلف[١]

❖ **عبيد الله بن طاهر:**

(فلا الجود يفني المال...)

ومن نادر الصنعة، وجيّد الشعر في الحثّ على الجود، وعدم الإقتار، صنعة عبيد الله ابن عبدالله بن طاهر، زمن المعتضد بالله، العباسي، يقول عبيد الله:

فأنفق إذا أيسرت غير مقتّر ... وأنفق على ما خيّلت حين تعسر
فلا الجود يفني المال والمال مقبل ... ولا البخل يبقي المال والجدّ مدبر[٢]

❖ **إبراهيم بن العباس:**

(لفضل بن سهل...)

ومن نادر الشعر في تصوير الندى وأهله، ما قاله في الفضل بن سهل، الجواد المشهور، إبراهيم بن العباس بن محمّد بن صول، مولى يزيد بن المهلّب، والقول هو التالي:

لفضل بن سهل يدٌ ... تقاصر عنها الأمل
فباطنها للندى ... وظاهرها للقبل
وبسطتها للغنى ... وسطوتها للأجل[٣]

ولقد توكأ على هذا المعنى كثيرون، منهم ابن دريد في مدحه رجلاً جواداً من البصرة، يقول ابن دريد:

يا من يقبّل كفّ كلّ مخرق ... هذا ابن يحيى ليس بالمخراق
قبّل أنامله فلسن أناملاً ... لكنهنّ مفاتح الأرزاق[٤]

ومنهم أيضاً ابن الرومي الذي يقول:

أصبحت بين خصاصة ومذلة ... والحرّ بينهما يموت هزيلا
فامدد إليّ يداً تعوّد بطنها ... بذل الندى وظهورها التقبيلا[٥]

---

(١) الأغاني ٧ / ١٥١. الطارق: الزائر ليلاً.
(٢) الأغاني ٨ / ٤٣. الجدّ. الحظّ.
(٣) الأغاني ٩ / ٢٨.
(٤) الأغاني ٩ / ٢٨.
(٥) الأغاني ٩ / ٢٨. الخصاصة: الحاجة والعوز.

❖ الحمّاني:

(ومن ذا الذي يثني السحاب عن القطر)

ومن نادر شعر المدح والثناء على الجود وصحبه، وما قاله أبو الأسد، واسمه نباتة ابن عبدالله الحمّاني، من شعراء الدولتين الأموية والعباسية، في الفيض بن صالح، وزير المهديّ.

يقول الحمّاني:

ولائمة لامتك يا فيض في الندى ... فقلت لها لن يقدح اللوم في البحر
أرادت لتنهى الفيض عن عادة الندى ... ومن ذا الذي يثني السحاب عن القطر
مواقع جود الفيض في كلّ بلدة ... مواقع ماء المزن في البلد القفر
كأنّ وفود الفيض لمّا تحمّلوا ... إلى الفيض لا قوا عنده ليلة القدر[1]

❖ عليّ بن جبلة:

(ملك تندى أنامله)

من الشعراء المجوّدين عليّ بن جبلة بن عبدالله الأنباري، كنيته أبو الحسن، من شيعة خراسان، ومن أهل بغداد، عُميَ بعد أن نشأ، وكان مطبوع الشعر، عذب اللفظ، جزله، حسن المعنى والوصف. مدح العديد من الأجواد، ومنهم أبو دلف العجلي، وحميد بن عبد الحميد الطوسي.

أما مدحه جود أبي دلف القاسم بن عيسى، فإنّ منه، قوله، وكان المأمون يردّده:

ملك تندى أنامله ... كانبلاج النوء عن مطره
مستهلّ عن مواهبه ... كابتسام الروض عن زهره
إنّما الدنيا أبو دلف ... بين مبداه ومحتضره
فإذا ولّى أبو دلف ... ولّت الدنيا على أثره[2]

(وكلّ امرىء يجري على ما تعوّدا)

ومنها قوله:

أبو دلف إن تلقه تلق ماجداً ... جواداً كريماً راجح الحلم سيّدا
أبو دلف الخيرات أنداهم يداً ... وأبسط معروفاً وأكرم محتدا
تراث أبيه عن أبيه وجدّه ... وكلّ امرىء يجري على ما تعوّدا[3]

---

(١) الأغاني ١٢ / ١٦٨.
(٢) الأغاني ١٨ / ١٠٣. والنوء: النجم الذي يزعم أنّه يأتي بالمطر.
(٣) الأغاني ١٨ / ١٠٦. والمحتد: الأصل.

(صار للخائف...)

وأما مدحه حميداً الطوسي، وثناؤه على جوده، فإنَّ منه قوله:

جعل الله حميداً ... لبني الدنيا كفيلا
جاد بالأموال حتى ... علّم الجود البخيلا
وبنى الفخر على الفخر ... بناء مستطيلا
صار للخائف أمناً ... وعلى الجود دليلا[1]

(وصوّر الناس من ماء ومن طين)

وفيه، يوم النوروز، يقول:

حميد يا قاسم الدنيا بنائله ... وسيفه بين أهل النكث والدين
أنت الزمان الذي يجري تصرّفه ... على الأنام بتشديد وتليين
لو لم تكن كانت الأيام قد فنيت ... والمكرمات ومات المجد مذ حين
صوّرك الله من مجد ومن كرم ... وصوّر الناس من ماء ومن طين[2]

(جوده أظهر السماحة...)

وإنَّ من أجوده، أيضاً، قوله فيه:

بحميد وأين مثل حميد ... فخرت طيّء على الأحياء
جوده أظهر السماحة في ... الأرض وأغنى المقوى عن الإقواء
ملك يأمل العباد نداه ... مثل ما يأملون قطر السماء
صاغه الله مطعم الناس في ... الأرض وصاغ السحاب للإسقاء[3]

❖ **المتنبي:**

(لقد جدت...)

ومن روائع شعر أبي الطيّب المتنبي في مدح جود ممدوحيه وكرمهم وسخائهم، قوله مخاطباً سيف الدولة الحمداني، وهو الأمير الفارس الجواد الشجاع:

لقد جدت حتى جدت في كلّ ملة ... وحتى أتاك الحمد من كلّ منطق
رأى ملك الروم ارتياحك للندى ... فقام مقام المجتدي المتملّق[4]

---

(١) الأغاني ١٨ / ١٠٧.
(٢) الأغاني ١٨ /١٠٩.
(٣) الأغاني ١٨ / ١١٠. والإقواء: العجز والخلل.
(٤) ديوان أبي الطيّب ٢٧٩. دار الزهراء. بيروت ١٩٧٨.
والمجتدي: طالب الجود. والمتملّق. من طلب بملق الإحسان.

❖ ابن أرفع رأسه:

(دعوا الملوك...)

ومن الشعر الجيد في الندى والجود، ما قاله الشاعر الأندلسي ابن أرفع رأسه، واسمه محمّد، في المأمون ذي النون بطليطلة، وهو:

دعوا الملوك وأبناء الملوك فمن ... أضحى على البحر لم يشتق إلى النهر
يا واحداً ما على عليائه مختلف ... مذ جاد كفّك لم تحتج إلى المطر
ومذ طلعت لنا شمساً فما نظرت ... عيني إلى كوكب يهدي ولا قمر[1]

❖ ابن الأصيلي:

(وقلّص ظلّ الجود عن كل أرمل)

ومنه أيضاً ما قاله ابن الأصيلي، أبو عامر، خلل رثائه أحد الأجواد، وهو:

أؤبّن من مات الندى يوم موته ... وقلّص ظلّ الجود عن كلّ أرمل
وما كان صمتي منذ حين لسلوة ... ولكنّ عظم الرزء أخرس مقولي[2]

❖ جعفر بن إبراهيم:

(لم لا أحبّ الضيف..)

وفي إقراء الضيف، والحثّ على الندى قول جعفر بن إبراهيم اللرتي، الوزير، كنيته أبو الوليد، ويعرف بالحاج، وهو:

لم لا أحبّ الضيف أو ... أرتاح من طرب إليه
والضيف يأكل رزقه ... عندي ويشكرني عليه[3]

❖ مقدّم بن معافى:

(وقد حوى حلف الندى رمس)

ومن نادر الشعر في رثاء الندى وأهله، قول مقدم بن معافى يرثي أميراً جواداً هو سعيد بن جودي، وهو:

من ذا الذي يطعم أو يكسو ... وقد حوى حلف الندى رمس[4]

---

(١) المغرب في حلى الأندلس ١٨.
(٢) نفسه ٢٤٤.
والرزء: المصاب.
(٣) أخبار وتراجم ١٥٦.
(٤) المغرب ٣٠٥. والرمس: القبر.

❖ ابن زيدون:

(مواهب فياض..)

وإنَّ من جيّد الشعر في مدح الندى وأهله، قول ابن زيدون المتوفى سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م، مادحاً المعتضد بالله، وهو من جيّد القول:

ولما حضرنا الإذن والدهر خادم ... تشير فيمضي والقضاء مصرّف
وصلنا فقبّلنا الندى منك في يد ... بها يتلف المال الجسيم ويخلف
لقد جدت حتى ما بنفس خصاصة ... وأمّنت حتى ما بقلب تخوّف
مواهب فيّاض اليدين كأنّما ... من المزن تمرى أو من البحر تغرف[1]

❖ ابن عبد ربّه:

(كريم على العلاّت...)

ومن جيّد الشعر في الكرم والبذل والنوال، ما قاله ابن عبد ربّه، صاحب العقد، وهو:

كريم على العلاّت جزل عطاؤه ... بنيل وإن لم يعتمد لنوال
وما الجود من يعطي إذا ما سألته ... ولكن من يعطي بغير سؤال[2]

(قد يكسف البدر أحياناً إذا كملا)

ومنه أيضاً في الممدوح:

لا غرو أن نال منك السقم ما سألا ... قد يكسف البدر أحياناً إذا كملا
ما تشكى في علّة الدهر واحدة ... إلاّ اشتكى الجود من وجد بها عللا[3]

❖ ابن اللبانة:

(ونال جودك قوام وما شعروا)

ومن جيّد ما قيل في الجود، قول أبي بكر بن اللبانة محمد بن عيسى الداني المتوفى سنة ٧٠٥ هـ، بالأندلس، وهو:

إن ضعت بالشعر مما قد علمت به ... ونال جودك أقوام وما شعروا
فالجود كالمزن قد يسقى بصيّبه ... شوك القتاد ولا يسقى به الزهر[4]

---

(١) ديوان ابن زيدون ١٥٧. دار الفكر العربي ١٩٩٦ م.
الخصاصة: الفقر. وتمري: تستنتج.
(٢) العقد الفريد ١ / ٧١.
(٣) نفسه ١ / ٢٣٢.
(٤) الكشكول ٣ / ٣٦٩.
والصيّب: الماء المتدفق. والمزن: الغمام فيه الماء.

❖ ابن جلالا:

(وبعض سحابه يهدى إليه)

ومن نادر مدح الأجواد، ما مدح به ابن جلالا، المتأخر عصره، وهو قوله:

أيا بحراً غدونا من نداه ... نقدّم بعض أنعمه لديه
كذاك البحر ينشأ منه غيث ... وبعض سحابه يهدى إليه[1]

❖ الفرفوري:

(ولديه حاتم في السخا لا يذكر)

ولقد يبالغ الشاعر في الثناء على جود الممدوح، ومن هذا قول الفرفوري، أحد الشعراء المتأخرين:

يا من أياديه سحاب ممطر ... ولديه حاتم في السخا لا يذكر
وعليه من سيما الكرام دلالة ... وشواهد تبدو عليه وتظهر
طوّقتني من راحتيك بمنّة ... أضحت على طول الليالي تنشر
لم أقضِ حقَّ ثنائها لو أنَّ لي ... في كلّ جارحة لساناً يشكر[2]

❖ الخاتوني:

(رويدك إنَّ الجود سارت ظعونه)

ومن أحسن أوصاف الأجواد، قول فخر الدين بن محمّد الخاتوني، أحد الشعراء المتأخرين، في أحد الأجواد المحسنين:

فتىً كان والأيام للجدب كلّح ... إذا أمّه العافي أضاء جبينه
فتبصر بدراً منه قد تمّ حسنه ... وتنشقّ روضاً قد تناهت فنونه
تجود وإن أودى الزمان يساره ... بما قد حوت من كلّ وفر يمينه
فقل للندى قد جدّ في طلب الندى ... رويدك إنَّ الجود سارت ظعونه[3]

---

(١) خلاصة الأثر، للمحبّي ٣ / ٨٨. مكتبة خيّاط. بيروت.
(٢) خلاصة الأثر ٤ / ١٠١.
(٣) خلاصة الأثر ٤ / ٢٧٠.

ثبت المصادر والمراجع

١ - **الأخطل الصغير:**
أ - حياته وشعره، مفيد قميحة، ط ١ دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٢ .
ب - دار الكتاب العربي، دار العودة، بيروت ١٩٧١ .

٢ - **الأرواح المائرة:** نسيب عريضة، بيروت ١٩٧١ .

٣ - **الأزمنة والأمكنة:** للمرزوقي، ط ١٩٦٨ .

٤ - **الإعجاز والإيجاز:** الثعابي، دار صعب، بيروت.

٥ - **الأغاني:** لأبي الفرج الأصفهاني:
أ - ط بولاق وط دار الكتب.
ب - دار الفكر العربي للجميع، بيروت، ١٩٧٠ .
ج - دار الكتب المصرية. ط. دار الشعب، القاهرة ١٩٦٩ .

٦ - **الأمالي:** أبو علي القالي، المكتبة التجارية، مصر ١٩٥١ .

٧ - **أخبار الشعراء:** للصولي، جمع وتحقيق هوارت دن. بغداد وبيروت.

٨ - **أذكريني يا أفريقيا:** الفيتوري، دار العودة، بيروت ١٩٧٠ .

٩ - **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب:** ياقوت الحموي، المطبعة الهندية، القاهرة ١٩٢٧ .

١٠ - **أزهار الرياض:** أحمد المقري التلمساني، تحقيق السّقا - الإبياري شلبي، القاهرة ١٩٤٢ .

١١ - **أغاني الدرويش:** رشيد أيوب، دار صادر، دار بيروت ١٩٥٩ .

١٢ - **أنساب الأشراف:** للبلاذري، طبعة القدس ١٩٣٦ م.

١٣ - **أوراق الزيتون:** لمحمود درويش، بيروت ١٩٨٥.

١٤ - **البحتري:**
أ - لخليل شرف الدين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٢ م.
ب - ط. القاهرة ١٣٥٥ هـ.

١٥ - **البخلاء: للجاحظ.**
أ - تحقيق طه الحاجري دار المعارف بمصر ١٩٦٣ م.
ب - دار الفكر العربي - بيروت ١٩٩٥.

١٦ - **البصائر والذخائر:** لأبي حيان التوحيدي لجنة التأليف والنشر، القاهرة ١٩٥٣ م.

١٧ - **البيان والتبيين:** للجاحظ، دار صعب، بيروت ١٩٦٨ م.

١٨ - **بهجة المجالس:** للقرطبي، تحقيق محمد مرسي الخولي دار الكتاب العربي، بيروت.

١٩ - **تاريخ الآداب العربية:** لرشيد يوسف عطا الله، تحقيق علي عطوي، ط ١. دار عز الدين، بيروت ١٩٨٥ م.

٢٠ - **تاريخ بغداد**، للبغدادي، دار المأمون والبيان.
٢١ - **توشيح التوشيح**: للصفدي، تحقيق ألبير مطلق، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٦.
٢٢ - **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**: للثعالبي، ط دمشق ١٩٥٣ م.
٢٣ - **جمهرة الأمثال**: العسكري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ط القاهرة ١٩٦٤ م.
٢٤ - **جيش التوشيح**: لابن الخطيب، تحقيق هلال ناجي، طبعة المنار، تونس.
٢٥ - **الحيوان**: للجاحظ، شرح يحيى شامي، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٦ م.
٢٦ - **حب وبطولة**: لسليمان العيس، مكتبة الشرق، حلب ١٩٦٠.
٢٧ - **حبي الكبير**: لأسمى طوبى، بيروت ١٩٧٢.
٢٨ - **حصاد العمر**: لأحمد محمد الشامي، دار العودة، بيروت.
٢٩ - **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: لأبي نعيم الأصفهاني دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧ م.
٣٠ - **حميد ثور**: حياته وشعره، لرضوان النجار، رسالة ماجستير ١٩٧٨ م.
٣١ - **خزانة الأدب**: البغدادي. ط. دمشق.
٣٢ - **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**: محمد أمين المحبّي، مكتبة خياط بيروت.
٣٣ - **ديوان ابن الرومي**:
أ - دار صادر. دار بيروت ١٩٦٥ م.
ب - ط. بغداد ١٩٧٥ م.
٣٤ - **ديوان ابن العربي**: لمحيي الدين ابن العربي، بولاق ١٩٥٥.
٣٥ - **ديوان ابن المعتز**: مطبعة المحروسة بمصر ١٨٩١ م. نشر دار بيروت ١٩٦١ م.
٣٦ - **ديوان ابن حمديس**: دار صادر، دار بيروت ١٩٦٠ م.
٣٧ - **ديوان ابن مطروح**: مطبعة الجوائب، القسطنطينية ١٢٩٨ هـ.
٣٨ - **ديوان ابن ميادة**: تحقيق حنا جمل حداد، المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٨٢ م.
٣٩ - **ديوان أبي الطيب المتنبي**:
أ - ط دمشق ١٩٦٠ م.
ب - دار الزهراء، بيروت ١٩٧٨ .
٤٠ - **ديوان أبي العتاهية**: دار صادر. دار بيروت ١٩٦٥ م.
٤١ - **ديوان أبي تمام**:
أ - شرح التبريزي تحقيق محمد عزام دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م.
ب - طبعة محمد بك سعيد، دمشق.
٤٢ - **ديوان أبي فراس الحمداني**:
أ - ط دار البيان. دمشق. بدون تاريخ.
ب - ط المشرق، دمشق ١٩٤٧ م.

ج - دار الفكر العربي بيروت ١٩٩٤ .
٤٣ - **ديوان أبي محجن**: ط. دمشق.
٤٤ - **ديوان أبي نواس** تحقيق أحمد الغزالي، دار الكتاب العربي. بيروت.
٤٥ - **ديوان الأخطل**: المطبعة الكاثوليكية. بيروت ١٨٩١ م.
٤٦ - **ديوان الأعمى التطيلي**: تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٣.
٤٧ - **ديوان الأعشى**:
أ - دار صادر. بيروت. بدون تاريخ.
ب - المطبعة الأدبية، بيروت ١٩٠٧هـ.
٤٨ - **ديوان الإمام علي بن أبي طالب**: المطبعة العلمية، القاهرة، طبعة منقحة ١٣١٩ هـ.
٤٩ - **ديوان الأمير شكيب إرسلان**: ضبط محمد رشيد رضا. القاهرة ١٩٣٥ م.
٥٠ - **ديوان إبراهيم طوقان**: تحقيق عبد اللطيف شرارة، دار صادر، بيروت ١٩٦٤.
٥١ - **ديوان أحمد رامي**: دار العودة، بيروت.
٥٢ - **ديوان أدونيس**: (الآثار الكاملة): دار العودة، بيروت ١٩٧١.
٥٣ - **ديوان أغاني الحياة**: لأبي القاسم الشابي، الدار التونسية للنشر.
٥٤ - **ديوان أغاني الحرية**: لكاظم جواد، بغداد ١٩٧٥.
٥٥ - **ديوان البارودي**: تحقيق محمد شفيق معروف، دار المعارف بمصر ١٩٧٤.
٥٦ - **ديوان البحتري**: ط. دمشق.
٥٧ - **ديوان البئر المهجورة**: ليوسف الخال، بيروت ١٩٨٨.
٥٨ - **ديوان بدر شاكر السياب**: دار العودة، بيروت ١٩٧١.
٥٩ - **ديوان بدوي الجبل**: دار العودة، بيروت ١٩٨٧.
٦٠ - **ديوان بشار بن برد**، شرح محمد الطاهر بن عاشور مطبعة لجنة التأليف والترجمة. تونس ١٩٥٧ م.
٦١ - **ديوان بهاء الدين زهير**: دار صادر، دار بيروت ١٩٦٤ م.
٦٢ - **ديوان جرير**: ط. القاهرة ١٩٥١ م.
٦٣ - **ديوان جميل**: المطبعة التجارية. القاهرة ١٩٤٧ .
٦٤ - **ديوان الحماسة** لأبي تمام، شرح التبريزي ط ١. دار القلم. بيروت.
٦٥ - **ديوان الحطيئة**: دار صادر، دار بيروت ١٩٦٧ م.
٦٦ - **ديوان حاتم الطائي**: دار الفكر العربي بيروت ١٩٩٥
٦٧ - **ديوان حافظ إبراهيم**:
أ - شرح أحمد أمين - أحمد الزين - إبراهيم الإبياري. نشر محمد دمج. بيروت ١٩٦٩ م.
ب - دار المعارف ١٩٦٨.
٦٨ - **ديوان حسان بن ثابت الأنصاري**:

أ - ط بيروت ١٩٦٠ م.
ب - تحقيق سيد حنفي. ط دار الكتب المصرية ١٩٧٤ م.
٦٩ - **ديوان الخليل**: دار مارون عبود، بيروت ١٩٧٧.
٧٠ - **ديوان الخمائل**: لإيليا أبو ماضي، ط ٢، مكتبة صادر، بيروت.
٧١ - **ديوان الخنساء**: دار الفكر العربي، بيروت ١٩٩٤ .
٧٢ - **ديوان ذي الرمة**: طبعة كمبردرج ١٩١٩ م الدار العربية بدمشق.
٧٣ - **ديوان الرصافي**:
أ - دار العودة، بيروت ١٩٧٢ م.
ب - دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٥٧ .
٧٤ - **ديوان الزهاوي**:
أ - المطبعة العربية بمصر، القاهرة ١٩٢٤ م.
ب - دار العودة، بيروت ١٩٧٩ .
٧٥ - **ديوان زهير بن أبي سلمى**: دار صادر - بيروت.
٧٦ - **ديوان سبط بن التعاويذي**: تصحيح مرجليوث، مطبعة المقتطف، القاهرة ١٩٠٣ م.
٧٧ - **ديوان سقط الزند**: لأبي العلاء المعري. شرح نزار رضا. دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥ م.
٧٨ - **ديوان السموأل**: دار بيروت
٧٩ - **ديوان الشافعي**: تحقيق زهدي يكن دار الثقافة بيروت ١٩٦١ م.
٨٠ - **ديوان الشماخ بن ضرار**: تحقيق صلاح الدين الهادي، دار المعارف بمصر.
٨١ - **ديوان شوقي (الشوقيات)**:
أ - المطبعة الأميرية.
ب - ط دار الأدب ١٩٨٥.
٨٢ - **دوان الصاحب شرف الدين**: تحقيق محمد موسى باشا، المطبعة الهاشمية، دمشق ١٩٦٧ م.
٨٣ - **ديوان طرفة بن العبد**: شرح مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت. ١٩٨٧ م.
٨٤ - **ديوان عامر بن الطفيل**: دار صادر ودار بيروت، بيروت ١٩٦٣ م.
٨٥ - **ديوان عبد الله بن الزبير الأسدي**: تحقيق يحيى الجبوري، وزارة الإعلام، بغداد ١٩٧٤ م.
٨٦ - **ديوان العسكري**: لأبي هلال العسكري تحقيق جورج قنازع، المطبعة التعاونية. دمشق ١٩٧٩ م.
٨٧ - **ديوان علي بن الجهم**: تحقيق خليل مردم بك. ط ٢ دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٠ م.
٨٨ - **ديوان عنترة**:
أ - دار صادر ودار بيروت، بيروت ١٩٦٦ م.
ب - دار الفكر العربي، بيروت ١٩٩٤ .
٨٩ - **ديوان عمر بن أبي ربيعة**: تحقيق فوزي عطوي الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت ١٩٦٨ م.
٩٠ - **ديوان عبيد بن الأبرص**: دار صادر. بيروت ١٩٦٤ .

٩١ - **ديوان فرحات**: تحقيق جورج المعلوف، سان پاولو ١٩٣٢.
٩٢ - **ديوان القروي**: لرشيد سليم الخوري، وزارة الإعلام العراقية، بغداد ١٩٧٣.
٩٣ - **ديوان قيس بن الخطيم**: تحقيق ناصر الدين الأسد، ط ٢ دار صادر. بيروت ١٩٦٣ م.
٩٤ - **ديوان كعب بن زهير**: دار صادر، بيروت.
٩٥ - **ديوان الكميت**: دار صادر - بيروت.
٩٦ - **ديوان لبيد بن ربيعة**: تحقيق إحسان عباس، وزارة الإرشاد والأنباء، ط الكويت١٩٦٢ م.
٩٧ - **ديوان المعاني**: لأبي هلال العسكري، ط القاهرة ١٣٥٢ هـ.
٩٨ - **ديوان المجد للأطفال والزيتون**: لعبد الوهاب البياتي، بيروت ١٩٧٥.
٩٩ - **ديوان النابغة الذبياني**:
أ - شرح فوزي عطوي دار صعب، بيروت ١٩٨٠ م.
ب - دار صادر، بيروت ١٩٨٠
١٠٠ - **دار الطراز في عمل الموشحات**: لابن سناء الملك، تحقيق جودت الركابي، دمشق ١٩٤٩.
١٠١ - **دموع ونيران**: لعبد الرحمٰن الخميسي، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٢.
١٠٢ - **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، لابن بسام، دار الثقافة بيروت ١٩٧٩ م.
١٠٣ - **الذيل على طبقات الحنابلة**: لابن رجب تحقيق محمد خان الفقي، مطبعة السنّة المحمدية القاهرة ١٩٥٢ م.
١٠٤ - **الروائع**: لفؤاد أفرام البستاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.
١٠٥ - **رسالة الغفران**: لأبي العلاء المعري، دار صعب بيروت ١٩٦٨ م.
١٠٦ - **رفيق الأقحوان**: لنقولا فياض، بيروت ١٩٨١.
١٠٧ - **زهر الآداب وثمر الألباب**: للحصري:
أ. تحقيق علي البجاوي. ط ١. دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٣ م.
ب. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ط ٤. دار الجيل، بيروت ١٩٧٢ م.
ج - هامش العقد الفريد للحصري، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
١٠٨ - **السيرة النبوية**: لابن هشام دار الكنوز الأدبية، بيروت.
١٠٩ - **سنابل حزيران**: لفؤاد الخشن، دار المعارف بمصر.
١١٠ - **الشعر والشعراء**: لابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف ١٩٥٨ م.
١١١ - **الشعر العربي في المهجر**: لمحمد عبد الغني حسن، ط ٢، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٥٨.
١١٢ - **الشريف الرضي**: لأديب التقي البغدادي مطبعة كرم. دمشق ١٩٦١ م.
١١٣ - **الشلال**: لأحمد الصافي النجفي، دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٢.
١١٤ - **شعر الزهد في القرنين الثاني والثالث للهجرة**: لعلي عطوي. ط ١. المكتب الإسلامي. بيروت ١٩٨١ م.

١١٥ - **شعر دعبل بن علي الخزاعي**: تحقيق عبد الكريم الأشتر، المجمع العلمي العربي بدمشق.
١١٦ - **صرخة في واد**: لمحمود غنيم، ط. ١، القاهرة ١٩٥٧ م.
١١٧ - **طبقات الشعراء**: لابن قتيبة، ط ٢، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٩ م.
١١٨ - **طبقات الشعراء**: لابن سلام،
أ - طبعة نسخة خطية قديمة مقابلة على نسخة طبع أوروبا.
ب - شرح محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.
ج - مكتبة الثقافة العربية بيروت.
١١٩ - **العقد الفريد**: لابن عبد ربه،
أ - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٥ م.
ب - شرح خليل شرف الدين، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
١٢٠ - **العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب المتنبي**: شرح ناصيف اليازجي.
١٢١ - **العمدة**: لابن رشيق،
أ - ط. دار البيان، القاهرة.
ب - ط ٤. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت ١٩٧٢ م.
١٢٢ - **عيون الأخبار**: لابن قتيبة، المؤسسة المصرية للطباعة والنشر.
١٢٣ - **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**: لابن أبي أصيبعة، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥.
١٢٤ - **عاشق من أفريقيا**: للفيتوري، دار العودة، بيروت.
١٢٥ - **الفرزدق**: الخليل شرف الدين، دار ومكتبة الهلال بيروت.
١٢٦ - **الفروسية العربية**: لسعيد عسيلي دار الزهراء، بيروت ١٩٩٣ .
١٢٧ - **فوات الوفيات**: لابن شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٤.
١٢٨ - **فلسطين في القلب**: لمعين بسيسو، دار الآداب، بيروت ١٩٦٥.
١٢٩ - **الكامل في اللغة والأدب**: للمبرد مكتبة المعارف، بيروت.
١٣٠ - **الكشكول**: للبهائي، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٣.
١٣١ - **الكشكول**: لبهاء الدين العاملي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت.
١٣٢ - **كتاب الصناعتين**: أبو هلال العسكري، أبو هلال، طبعة القاهرة ١٩٥١ م.
١٣٣ - **اللفحات**: لأحمد الصافي النجفي، ط ٣. مكتبة المعارف، بيروت ١٩٨٣ م.
١٣٤ - **اللزوميات**: لأبي العلاء المعري، دار صادر، دار بيروت ١٩٦١ م.
١٣٥ - **الليل والفرسان**: لفدوى طوقان، دار العودة، بيروت.
١٣٦ - **لسان العرب**: لابن منظور، دار صادر، بيروت.
١٣٧ - **المجموعة الشعرية الكاملة**: الجواهري، محمد مهدي، ط ١. دار الطليعة، بيروت ١٩٦٨ م.

١٣٨ - **المحاسن والأضداد**: للجاحظ، شرح فوزي عطوي، دار صعب، بيروت ١٩٦٩ م.
١٣٩ - **المستطرف من كل فن مستظرف**: للأبشيهي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣ م.
١٤٠ - **المستوفى بعد الوافي**: لابن تغري بردي، تحقيق أحمد نجاتي، دار الكتب المصرية ١٩٥٦.
١٤١ - **المعلقات العشر**: شرح فوزي عطوي، دار صعب، بيروت ١٩٨١ م.
١٤٢ - **المغرب في حلى المغرب**: لابن سعيد الأندلسي، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف بمصر ١٩٦٤.
١٤٣ - **المفضليات**: للضبي، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٢٠ .
١٤٤ - **المؤتلف والمختلف**: للآمدي، دار صعب، بيروت ١٩٦٨.
١٤٥ - **مروج الذهب**: للمسعودي، دار المعرفة، بيروت ١٩٨٢.
١٤٦ - **مجمع الأمثال**: للميداني، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٩٥٥.
١٤٧ - **مجلة العربي**: منشورات وزارة الإعلام الكويتية.
١٤٨ - **مجلة معهد المخطوطات العربية**: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥ م.
١٤٩ - **محاضرات الأدباء ومحادرات الشعراء والبلغاء**: للراغب الأصبهاني، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦١ م.
١٥٠ - **مصارع العشاق**: لأبي محمد ابن السراج ط الجوائب، القاهرة ١٣٠١ هـ.
١٥١ - **معادن الجواهر ونزهة الخواطر**: للسيد محسن الأمين، بيروت ١٤٠١ هـ.
١٥٢ - **معجم الأدباء**: الحموي، ياقوت، طبعة دار المأمون، القاهرة.
١٥٣ - **معجم البلدان**: لياقوت، دار صادر، دار بيروت ١٩٨٤ م.
١٥٤ - **معجم الشعراء**: للمرزباني،
أ - دار صعب - بيروت ١٩٦٨.
ب - ط. دمشق.
١٥٥ - **نفح الطيب**: لأحمد بن محمد المقري:
أ - تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٨.
ب - مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٤٩ م.
١٥٦ - **نبضات**: لجورج صيدح، شرح جميل حمودة، ط باريس ١٩٥٣.
١٥٧ - **نهاية الأرب في فنون الأدب**: للنويري، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية القاهرة.
١٥٨ - **الوافي بالوفيات**: للصفدي، شرح هلموت ريترت ١٩٦١ م.
١٥٩ - **وفيات الأعيان**: لابن خلكان، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨ م.
١٦٠ - **اليتيمة**: للثعالبي، ط. القاهرة.
١٦١ - **الينبوع**: لأحمد زكي أبو شادي، ط ١. القاهرة ١٩٣٤ م.

الفهرس

المقدمة ٥

أروع ما قيل في الحكمة

الباب الأول شعر الحكمة في الجاهلية وفي العصرين الإسلامي والأموي ١٢
الباب الثاني شعر الحكمة في العصر العباسي ٤٠
الباب الثالث شعر الحكمة في ما بعد العصر العباسي ٦٤

أروع ما قيل في الزهد

الباب الأول في ما قبل العصر العباسي ٧١
الباب الثاني في العصر العباسي ٨١
الباب الثالث في ما بعد العصر العباسي ١٢٢

أروع ما قيل في الرثاء

الباب الأول رثاء الأهل ١٢٩
الباب الثاني رثاء غير الأهل ١٦٦

أروع ما قيل في الهجاء

الباب الأول الهجاء الفردي ١٩٥
الباب الثاني الهجاء الجماعي ٢١٥
الباب الثالث الهجاء المختلف ٢٢٨

أروع ما قيل في الوصف

الباب الأول الطبيعة الحية ٢٤٣
الباب الثاني الطبيعة الجامدة ٢٦٦
الباب الثالث موضوعات ونماذج وصفية مختلفة ٢٨٨

أروع ما قيل في الفخر

الباب الأول الفخر الذاتي ٣٠٤
الباب الثاني الفخر الجماعي ٣٢٦
الباب الثالث الفخر المشترك ٣٣٧

أروع ما قيل في المدح

الباب الأول في الجاهلية ٣٥٤
الباب الثاني في العصر الإسلامي والأموي ٣٦٨
الباب الثالث في العصر العباسي ٣٨٧
الباب الرابع في عصر الانحطاط والنهضة ٣٩٨

أروع ما قيل في الوطنية

القسم الأول الشعر الوطني الآسيوي ٤٠٣
القسم الثاني الشعر الوطني الأفريقي ٤٤٣

أروع ما قيل في الموشحات

القسم الأول موشحات الأندلسيين ٤٦٥
القسم الثاني موشحات المشارقة والمغاربة ٥٠٣

أروع ما قيل في الغزل

الباب الأول في النسيب ٥٢٦
الباب الثاني في التشبيب ٥٥٠

أروع ما قيل في البخل

القسم الأول في الجاهلية وصدر الإسلام ٥٧٦
القسم الثاني في العصر الأموي ٥٨٧
القسم الثالث في العصر العباسي وما بعده ٦١٠
فصل خاص بعض من قصص ونوادر واحتجاجات البخلاء. ٦٤٦

أروع ما قيل في الفروسية

القسم الأول في الجاهلية وعصر صدر الإسلام ٦٦٣
القسم الثاني في العصرين الأموي والعباسي ٧٠٩

أروع ما قيل في الشجاعة

القسم الأول في الجاهلية وعصر صدر الإسلام ٧٣٠
القسم الثاني في العصرين الأموي والعباسي ٧٦٩

أروع ما قيل في الكرم والجود

القسم الأول في الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموي ٧٩٧
القسم الثاني في العصر العباسي وما بعد العباسي ٨٥١
ثبت المصادر والمراجع ٨٧٩

فهرس الجزء الأول

المقدمة ٥

أروع ما قيل في الحكمة

الباب الأول شعر الحكمة في الجاهلية وفي العصرين الإسلامي والأموي ١٢
الباب الثاني شعر الحكمة في العصر العباسي ٤٠
الباب الثالث شعر الحكمة في ما بعد العصر العباسي ٦٤

أروع ما قيل في الزهد

الباب الأول في ما قبل العصر العباسي ٧١
الباب الثاني في العصر العباسي ٨١
الباب الثالث في ما بعد العصر العباسي ١٢٢

أروع ما قيل في الرثاء

الباب الأول رثاء الأهل ١٢٩
الباب الثاني رثاء غير الأهل ١٦٦

أروع ما قيل في الهجاء

الباب الأول الهجاء الفردي ١٩٥
الباب الثاني الهجاء الجماعي ٢١٥
الباب الثالث الهجاء المختلف ٢٢٨

أروع ما قيل في الوصف

الباب الأول الطبيعة الحية ٢٤٣

الباب الثاني الطبيعة الجامدة ٢٦٦
الباب الثالث موضوعات ونماذج وصفية مختلفة ٢٨٨

أروع ما قيل في الفخر

الباب الأول الفخر الذاتي ٣٠٤
الباب الثاني الفخر الجماعي ٣٢٦
الباب الثالث الفخر المشترك ٣٣٧

أروع ما قيل في المدح

الباب الأول في الجاهلية ٣٥٤
الباب الثاني في العصر الإسلامي والأموي ٣٦٨
الباب الثالث في العصر العباسي ٣٨٧
الباب الرابع في عصر الانحطاط والنهضة ٣٩٨

فهرس الجزء الثاني

أروع ما قيل في الوطنية

القسم الأول الشعر الوطني الآسيوي ٤٠٣
القسم الثاني الشعر الوطني الأفريقي ٤٤٣

أروع ما قيل في الموشحات

القسم الأول موشحات الأندلسيين ٤٦٥
القسم الثاني موشحات المشارقة والمغاربة ٥٠٣

أروع ما قيل في الغزل

الباب الأول في النسيب ٥٢٦
الباب الثاني في التشبيب ٥٥٠

أروع ما قيل في البخل

القسم الأول في الجاهلية وصدر الإسلام ٥٧٦
القسم الثاني في العصر الأموي ٥٨٧
القسم الثالث في العصر العباسي وما بعده ٦١٠
فصل خاص بعض من قصص ونوادر واحتجاجات البخلاء ٧٠٩

أروع ما قيل في الفروسية

القسم الأول في الجاهلية وعصر صدر الإسلام ٧٣٠
القسم الثاني في العصرين الأموي والعباسي ٧٦٩

أروع ما قيل في الكرم والجود

القسم الأول في الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموي ٧٩٧
القسم الثاني في العصر العباسي وما بعد العباسي ٨٥١
ثبت المصادر والمراجع ٨٧٩